قبل 300 عام من «لعبة العروش» حكمَت التِّنانين وستروس

النَّار والدَّم

FIRE & BLOOD

جورج ر. ر. مارتن

ترجمة: فريق ضرغام
مراجعة وتحرير: هشام فهمي

مكتبة ١١٦٦ رسوم: دوج ويتلي

چورچ ر. ر.مارتن

النَّار والدَّم

مارتن، چورچ
النار والدَّم I: رواية / چورچ ر. ر. مارتن.
التَّرجمة: **فريق ضرغام**
مراجعة وتحرير: **هشام فهمي**
القاهرة: كيان للنشر والتوزيع، 2022.
528 صفحة، 20 سم.
تدمك: 978-977-820-132-1
١- القصص الأمريكية
أ- ضرغام، فريق (مترجم)
ب- العنوان: 823
رقم الإيداع: 2022 / 21485
الطبعة الأولى: نوفمبر 2022.

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 - 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com - info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

مكتبة | 1166

چورج ر. ر. مارتن

النَّار والدَّم

رسوم: **دوج ويتلي**

التَّرجمة: **فريق ضرغام**

مراجعة وتحرير: **هشام فهمي**

مسؤول فريق التَّرجمة

ضرغام حمود

المتُرجمون

إبراهيم ملهم – أحمد محمد

طيبة القطان – عمر زمان

محمد الككلي – مروان حاجي

إلى
لينور، وإلياس، وآندريا، وسيد،
أتباع الجبل

النَّار والدَّم

تأريخ لحُكم ملوك وستروس من عائلة تارجارين

الجُزء الأوَّل

من إجون الأوَّل (الفاتِح)

إلى

وصايةِ إجون الثَّالث (مُهلك التَّنانين)

دوَّنه المِايستر الرَّئيس جيلداين

من قلعةِ البلدة القديمة

(نسخَه هنا چورچ ر. ر. مارتن)

فتحُ إجون

اتَّخذ مِايسترات (القلعة)، الذين يُدوِّنون تاريخ (وستروس)، فتحَ إجون نُقطة بدايةِ تأريخ أحداث الثَّلاثمئة عامٍ الأخيرة. الولادات والوفيات والمعارك وغيرها من الأحداث، كلُّها مؤرَّخ إمَّا بـ«بعد الفتح» وإمَّا بـ«قبل الفتح».

يعرف الباحثون الحقيقيُّون أن ذلك التَّأريخ بعيد كلَّ البُعد عن الدِّقَّة، ففتح إجون (الممالِك السَّبع) لم يَحدُث في يومٍ واحدٍ فقط، بل على مرِّ أكثر من عامَيْن، ما بين رسوهِ على سواحل (وستروس) وتتويجه ملكًا في (البلدة القديمة)... ورغم ذلك ظلَّ الفتح غير مكتمل، إذ لم تَخضَع (دورن) لسيطرة إجون الفاتِح، وبقيَت صامدةً ضدَّ كلِّ المحاولات المتفرِّقة لضمِّ الدورنيِّين إلى البلاد، في عهده وفي عهود أبنائه وأحفاده، وهو ما جعلَ تحديد تاريخي بداية حروب الفتح ونهايتها من الأمور المستحيلة.

حتى تاريخ البداية مسألة فيها شيء من الالتباس. يفترض كثيرون خطأً أن عهد الملك إجون تارجاريَن الأوَّل بدأ في اليوم الذي رسا فيه عند مصبِّ (النَّهر الأسود)، أسفل التِّلال الثَّلاثة التي سترتفع فوقها

مدينة (كينجز لاندنج) فيما بعدُ. ولم يكن الأمر كذلك. صحيحٌ أن الملك وذُرِّيَّته احتفلوا بيوم رسوِ إجون، لكن الحقيقة أن إجون أرَّخ بداية عهده من اليوم الذي تُوِّجَ فيه ونُصِّبَ على يد سِپتون العقيدة الأعلى في (السِّپت النَّجمي) وسط (البلدة القديمة)، وقد حدثَ هذا بعد عامين من رسوِ إجون، وبعد أن خاضَ معارك حروب الفَتح الرَّئيسيَّة الثَّلاث كلِّها وانتصرَ. يُمكن بالتَّالي ملاحظة أن أغلب أحداث فتحِ إجون الفعليَّة وقعَ بين عامَي 2 و1 قبل الفتح.

كانت دماء (ڤاليريا) النَّقيَّة تجري في عروق آل تارجاريَن المنحدرين من نسل سادة التَّنانين القُدامى. قبل اثني عشر عامًا من الهلاك (114 قبل الفتح)، باعَ إينار تارجاريَن أملاكه في (المعقل الحُر) و(أراضي الصَّيف الطَّويل)، ورحلَ بثروته وجميع زوجاته وعبيده وتنانينه وأشقَّائه وأقربائه وأطفاله إلى (دراجونستون)، وهي قلعة موحشة تقع على جزيرةٍ جرداء تحت ظلِّ جبلٍ بُركاني داخن في (البحر الضيِّق).

في ذروة مجدها، كانت (ڤاليريا) المدينة الأعظم في العالم المعروف، ومركز الحضارة. وراء أسوارها اللَّامعة، تنافسَت أربعون عائلةً على السُّلطة والمجد في البلاط والمجلس، تنهض وتَسقُط في صراعٍ خبيث، لم يخلُ في كثيرٍ من الأحيان من الوحشيَّة، من أجل الهيمنة والسِّيادة. لم يكُن آل تارجاريَن من أقوى سادة التَّنانين على الإطلاق، ورأى منافسوهم رحيلهم إلى (دراجونستون) أمارةً على الاستسلام ودلالة جُبن. غير أن بنت اللورد إينار العذراء، المعروفة إلى الأبد بدينيس الحالمة، كانت قد تنبَّأت بدمار (ڤاليريا) بالنَّار، وعندما حلَّ الهلاك بعد اثني عشر عامًا، كان آل تارجاريَن النَّاجين الوحيدين من سادة التَّنانين على وجه البسيطة.

كانت (دراجونستون) أقصى نُقطة حدوديَّة غربيَّة للسُّلطة الڤاليريَّة طوال قرنيْن، وكان موقعها شديد الأهمِّيَّة عند مضيق (الحُلقوم)، الذي جعلها بمثابة قبضةٍ خانِقة على لوردات (الخليج الأسود)، ومكَّن كلًّا من آل تارجاريَن وآل ڤيلاريون -وهُم عائلة ڤاليريَّة أقل شأنًا سكنَت جزيرة (دريفتمارك)- من ملءِ خزائنهم من التِّجارة المارَّة بـ(دراجونستون). سيطرَت سُفن آل ڤيلاريون، جنبًا إلى جنبِ عائلةٍ ڤاليريةٍ أخرى هي عائلة سلتيجار من (جزيرة المخالب)، على روافد (البحر الضيِّق) الوُسطى، فيما تسيَّد آل تارجاريَن السَّماء بتنانينهم.

ومع ذلك، طيلة السَّواد الأعظم من الأعوام المئة التي تلَت هلاك (ڤاليريا)، المسمَّاة عن جدارةٍ بـ«قرن الدَّم»، ظلَّ آل تارجاريَن ينظُرون إلى الشَّرق لا إلى الغرب، ولم يشغلوا بالهم كثيرًا بشؤون (وستروس). أصبحَ جيمون تارجاريَن، شقيق دينيس الحالمة وزوجها، سيِّد (دراجونستون) بعد وفاة أبيه إينار، وغدا يُعرَف بجيمون المجيد. بعد وفاته تولَّى ابنه إجون وابنته إلينا الحُكم معًا، ومن بعدهما انتقلَ الحُكم إلى ابنهما ميجون، وشقيقه إيرس، وأبناء إيرس: إيلكس، وبايلون، وديميون. كان ديميون آخِر مَن حكمَ من الإخوة الثَّلاثة، وخلفَه ابنه إريون سيِّدًا على (دراجونستون).

وُلِدَ إجون، الذي يعرِفُه التَّاريخ بإجون الفاتِح وإجون التنِّين، في (دراجونستون) في عام 27 قبل الفتح، وكان الولد الذَّكر الوحيد والطِّفل الثَّاني لإريون سيِّد (دراجونستون) وزوجته الليدي ڤالينا سليلة آل ڤيلاريون، التي كانت نصف تارجاريَن من جهة الأمِّ. كانت لإجون شقيقتان شرعيَّتان؛ أخت كُبرى اسمها ڤيزينيا، وأخرى صُغرى هي رينيس. كان زواج الأخ بأخته تقليدًا معتادًا منذ زمنٍ طويل بين سادة

التَّنانين في (ڤاليريا) للحفاظ على نقاء الدِّماء، لكن إجون اتَّخذ كلتا أختيه زوجةً. كان المتوقَّع، حسب التَّقاليد، أن يتزوَّج أخته الكُبرى ڤيزينيا فقط، أمَّا زواجه الثَّاني بريينس فحدث استثنائيًّا لم تكن لمثله سوابق. قال البعض إن إجون اقترنَ بأخته الكُبرى ڤيزينيا بدافع الواجب، وتزوَّج أخته الصُّغرى ريينس بدافع الرَّغبة.

برهنَ ثلاثة الأشقَّاء على أنهم سادة تنانين من قبل أن يتزوَّجوا. من التَّنانين الخمسة التي حلَّقت مع إينار المنفي من (ڤاليريا)، واحدٌ فقط عاشَ ليشهد زمن إجون الفاتِح، وهو بالريون الملقَّب بالرُّعب الأسود. أما التنِّينتان الأخريان، ڤاجهار وميراكسس، فكانتا أصغر سنًّا، وفقسَت بيضتاهما في (دراجونستون).

تشيع بين الجهلة خُرافة تدَّعي أن قدمَي إجون لم تطَأ أرض (وستروس) قطُّ حتى اليوم الذي أبحرَ فيه لفتحها، ولكن لا يمكن أن يكون ذلك الادِّعاء حقيقةً، فقبل سنواتٍ من إبحاره للفتح، أمرَ اللورد إجون بنحت المائدة المرسومة، وهي لوح خشبي هائل بطول خمسين قدمًا، منحوت ومرسوم ليُحاكي شكل قارَّة (وستروس) بتفاصيلها جميعًا، جميع الغابات والأنهار والبلدات والقلاع في (الممالِك السَّبع)، لذا فمن الواضح أن اهتمام إجون بـ(وستروس) سبقَ رغبته في الفتح بفترةٍ طويلة. علاوةً على ذلك، ثمَّة مرويَّات موثوقة عن زيارة إجون وأخته ڤيزينيا (القلعة) بـ(البلدة القديمة) في شبابهما، وأنهما مارسا الصَّيد بالأبواز في (الكرمة) تحت ضيافة اللورد ردواين، وربَّما زارَ إجون (لانسپورت) كذلك، ولو أن المصادر تتبايَن حول ذلك.

كانت (وستروس) في شباب إجون منقسمةً إلى سبع ممالك متصارعة، حتى إنه نادرًا ما مرَّ زمن لم تكن فيه مملكتان أو ثلاث منها في حالة

حرب. الشمال الشَّاسع الصَّخري البارد كان يَحكُمه آل ستارك أولاد (وينترفل)، وفي صحاري (دورن) فرضَ أمراء آل مارتل نفوذهم، وحكمَ الغرب الغنيَّ بالذَّهب آل لانستر أولاد (كاسترلي روك)، فيما رعى آل جاردنر أولاد (هايجاردن) الأراضي الخصبة المشهورة بالمراعي والأشجار، أمَّا (الوادي) و(الأصابِع) و(جبال القمر) فتسيَّدها آل آرن أولاد (العُش)... على أن أشد الملوك عداوةً في عهد إجون هما الاثنان اللذان كانت مملكتاهما الأقرب جوارًا لـ(دراجونستون)، هارن الأسود وأرجيلاك المتكبِّر.

من قلعتهم العُظمى (ستورمز إند)، كان ملوك العواصف من آل دوراندون قد حكَموا في الماضي نصف (وستروس) الشَّرقي من (رأس الغضب) حتى (خليج السَّراطين)، لكن سُلطتهم بدأت تتضاءَل قبل قرونٍ عدَّة. كان ملوك (المرعى) يقتطعون من مناطقهم من جهة الغرب، والدورنيُّون يُزعِجونهم من الجنوب، ودفَعهم هارن الأسود ورجاله الحديديُّون عن (الثَّالوث) وأراضي شمال (النَّهر الأسود). كان الملك أرجيلاك، آخِر سادة آل دوراندون، قد أوقفَ هذا الانحدار لفترة، وردَّ عادية غزوٍ دورني حين كان يافعًا، وعبرَ (البحر الضيِّق) للانضمام إلى التَّحالف العظيم ضد نمور (ڤولانتيس) الاستعماريِّين، وبعدها بعشرين عامًا قتلَ جارس جاردنر السَّابع ملِك (المرعى) في معركة حقل الصَّيف. لكن أرجيلاك شاخَ وشابَ شعره الأسود الشَّهير، وبدأت براعته في السِّلاح تتلاشى.

شمال (النَّهر الأسود)، كانت (أراضي النَّهر) محكومةً بوحشيَّةٍ بيد هارن الأسود سليل عائلة هور، ملك الجُزر والأنهار. كان هارن حفيدًا لهاروين ذي اليد القويَّة الذي أخذَ (الثَّالوث) من الملك آريك جدِّ

أرجيلاك، الذي أطاحَ أسلافه بآخِر ملكٍ لـ(أراضي النَّهر) قبل قرونٍ طويلة، وكان والد هارن، هاليك هور، قد وسَّع نطاق سُلطته إلى (وادي الغسق) و(روزبي). هارن نفسه كرَّس معظم حياته، ما يُقارِب الأربعين عامًا، لبناء قلعةٍ عملاقة بجانب بحيرة (عين الآلهة)، ولكن مع قُرب الفروغ من بناء (هارنهال) أخيرًا، كانت حرِّيَّة حديديِّي الميلاد في السَّعي لاحتلال مناطق جديدة تقترب.

لا ملك في (وستروس) كان أشدَّ مهابةً من هارن الأسود، الذي اكتسبَت قسوته شهرةً أسطوريَّةً في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع)، ولا ملك في (وستروس) شعرَ بالتَّهديد أكثر من أرجيلاك ملك العواصف، آخِر آل دوراندون. الوريث الوحيد لهذا المحارب المسن كان ابنته البكر، وهكذا مدَّ الملك أرجيلاك يده إلى آل تارجاريَن في (دراجونستون)، فعرضَ على اللورد إجون ابنته للزَّواج، ومعها جميع الأراضي الواقعة شرق (عين الآلهة) منَ (الثَّالوث) حتى (النَّهر الأسود) مهرًا لها.

رفضَ إجون تارجاريَن عرضَ أرجيلاك، قائلًا إن له زوجتين وليس في حاجةٍ إلى ثالثة، ثم إن أراضي المهر المعروضة تنتمي إلى (هارنهال) منذ أكثر من جيل، وليست تابعةً لسُلطة أرجيلاك حتى يُهديها لمن يشاء. كان ملك العواصف العجوز يهدف بوضوحٍ إلى إرساء آل تارجاريَن بطول ضفاف (النَّهر الأسود)، لكي يكونوا حائلًا بين أراضيه وأراضي هارن الأسود.

ردَّ سيِّد (دراجونستون) بعرضه الخاص، قائلًا إنه سيأخُذ أراضي المهر المعروضة إذا تنازلَ أرجيلاك أيضًا عن (خُطَّاف ماسي) والغابات والسُّهول جنوب (النَّهر الأسود) حتى (النَّهر الدَّافق) ومنابع (الماندر)، وسيُبرَم الاتِّفاق بزواج ابنة أرجيلاك بأوريس باراثيون، صديق طفولة

اللورد إجون ونصيره.

رفضَ أرجيلاك تلك الشُّروط بغضب. أوريس باراثيون كان أخًا غير شرعيٍّ لإجون حسب ما تداولَته الهمسات، ولن يُهين ملك العواصف ابنته بإعطاء يدها لنغل. ثارَت ثائرة أرجيلاك لمجرَّد الاقتراح، فقطعَ يدَي مبعوث إجون ووضعَهما في صندوق، وأرسلَهما إلى إجون مع رسالةٍ كتبَ فيها: «هاتان هما اليدان الوحيدتان اللتان سينالهما نغلك مني».

لم يردَّ عليه إجون، وبدلًا من ذلك استدعى أصدقاءه وحمَلة رايته وحُلفاءه الرَّئيسيِّين للحضور إلى (دراجونستون). كان عددهم قليلًا. آل ڤيلاريون سادة (دريفتمارك) كانوا مقسمين على الولاء لآل تارجاريَن، وكذلك آل سلتيجار سادة (جزيرة المخالب)، ومن (خُطَّاف ماسي) أتى اللورد بار إمون سيِّد (الرَّأس الحاد) واللورد ماسي سيِّد (الحجر الرَّاقص)، وكلاهما أقسمَ على الولاء لـ(ستورمز إند)، لكن علاقتهما كانت أقوى مع (دراجونستون). تشاورَ اللورد إجون وأختاه معهم، وزاروا سِپت القلعة أيضًا ليصلُّوا لآلهة (وستروس) السَّبعة، مع أن إجون لم يُعَدَّ رجلًا متديِّنا قَطُّ.

في اليوم السَّابع، تفجَّرت سحابةٌ من الغِدفان منطلقةً من (دراجونستون) لإيصال كلمة إجون إلى (الممالِك السَّبع). طارَت الغِدفان إلى ملوك (وستروس) السَّبعة، وإلى (القلعة) في (البلدة القديمة)، وإلى كلِّ اللوردات كبارا وصغارًا، حاملةً جميعًا الرِّسالة نفسها: من اليوم فصاعدًا سيكون في (وستروس) ملكٌ واحدٌ فقط. سيحتفظ مَن يركعون لإجون سليل عائلة تارجاريَن بأراضيهم وألقابهم، ومَن يرفعون السِّلاح ضدَّه سيُطاح بهم ويُذَلُّون ويُحطَّمون تحطيمًا.

تختلف الرِّوايات حول عدد السُّيوف التي أبحرَت من (دراجونستون)

مع إجون وأختيه. بعضهم يقول ثلاثة آلاف، ويقول آخَرون إن عددها كان بالمئات فقط. رسا حشد تارجاريَن المتواضع هذا عند مصبِّ (النَّهر الأسود)، على الضِفَّة الشَّماليَّة حيث ارتفعَت ثلاثة تلالٍ مشجَّرة فوق قرية صيدٍ صغيرة.

في أيام الممالك المئة ادَّعى العديد من الملوك التَّافهين سيادتهم على مصبِّ النَّهر، ومن بينهم ملوك آل داركلين سادة (وادي الغسق)، وآل ماسي سادة (الحجر الرَّاقص)، وملوك النَّهر القُدامى، سواء أكانوا من آل مود أم آل فيشر أم آل براكن أم آل بلاكوود أم آل هوك. وكانت الأبراج والحصون تُتوِّج التِلال الثَّلاثة في أزمنةٍ مختلفة، إلى أن تَسقُط في حربٍ أو أخرى، فلم يتبقَّ منها إلَّا الحجارة المكسورة والأطلال النَّابتة عليها الحشائش لتُرحِّب بآل تارجاريَن. على الرَّغم من ادِّعاء كُلٍّ من (ستورمز إند) و(هارنهال) امتلاكَ هذه الأراضي، ظلَّ مصبُّ النَّهر غير محمي، وكانت القلاع الأقرب خاضعةً للورداتٍ أقل قوةً وبراعةً عسكريَّةً، وعلاوةً على ذلك كانوا لوردات ليس لديهم أدنى سبب لحُبِّ مَن يُعَدُّ سيِّدهم الأعلى، هارن الأسود.

وضعَ إجون حاجِزًا من الخشَب فوق أعلى التِلال الثَّلاثة، وأرسلَ أختيه لتأمين خضوع أقرب القلاع. استسلمَت (روزبي) لرينس وتنِّينتها ميراكسس ذات العينين الذَّهبيَّتين دون قِتال، وفي (ستوكوورث) قاومَ بعض الرُّماة بإطلاق وابلٍ من السِّهام على ڤيزينيا، حتى أحرقَت ڤاجهار أسطُح القلعة بألسنة اللَّهب، وهكذا ركعوا.

تعرَّض الفاتحون للاختبار الحقيقي الأوَّل على أيدي اللورد داركلين سيِّد (وادي الغسق) واللورد موتون سيِّد (بِركة العذراى)، اللذين جمَعا قوَّاتهما معًا وزحفا جنوبًا بثلاثة آلاف رجل لدفعِ الغُزاة إلى البحر. أرسلَ

إجون أوريس باراثيون لمهاجمتهم في أثناء الزَّحف، فيما انقضَّ هو عليهم من أعلى بالرُّعب الأسود. قُتِلَ كلا اللورديْن في المعركة منعدمة التَّكافؤ، وبعد ذلك سلَّم ابن اللورد داركلين وشقيق اللورد موتون قلعتيهما، وأقسَما على الولاء لآل تارجاريَن. آنذاك كانت (وادي الغسق) ميناء (وستروس) الرَّئيسي على (البحر الضيِّق)، ونمَت وأصبحَت ميناءً يُثري من التِّجارة المارَّة به. لم تسمَح ڤيزينيا تارجاريَن بنهب البلدة، لكنها لم تتردَّد في الاستيلاء على ثرواتها، وهو ما أدَّى إلى مَلء خزائن الفاتحين بالذَّهب والفضَّة.

لعلَّ الوقت مناسب الآن لمناقشة التَّبايُن بين شخصيَّة إجون وشخصيَّتَي أختيْه وملكتيْه.

كانت ڤيزينيا، البِكر بين الأشقَّاء الثَّلاثة، مُحارِبةً بقدر ما كان إجون نفسه، ترتاح في قميص الحلقات المعدنيَّة كما لو أنها ترتدي الحرير. حملَت ڤيزينيا السَّيف الڤاليريَّ الطويل (الأخت المظلِمة)، وكانت ماهرةً في استخدامه، إذ تدرَّبت بجوار شقيقها منذ الطُّفولة. على الرَّغم من تميُّزها بما تميَّز به الڤاليريُّون من شعرٍ ذهبي فضِّي وأعيُنٍ أرجوانيَّة، فجمالها كان جمالًا قاسيًا حازمًا، وحتى مَن أحبُّوها للغاية وجدوا ڤيزينيا شديدة الجدِّيَّة عديمة الرَّأفة، وقال البعض إنها تلعب بالسُّموم ومنغمسة في السِّحر الأسود.

أمَّا رينس، الصُّغرى بين أولاد تارجاريَن الثَّلاثة، فكانت كلَّ ما لم تكنه أختها؛ مرحةً فضوليَّةً عفويَّةً، وميَّالةً إلى شطوح الخيال. لم تكن رينس مُحارِبة، وأحبَّت الرَّقص والموسيقى والشِّعر، ودعمَت العديد من المغنِّين والممثِّلين ومحرِّكي الدُّمى. ومع ذلك قيل إن رينس قضَت وقتًا في الرُّكوب على ظهر تنِّينتها أكثر من إجون وڤيزينيا مجتمعيْن، لأنها أحبَّت

الطَّيران فوق كلِّ شيء. ذات مرَّة سُمِعَت تقول إنها تنوي قبل وفاتها أن تطير بميراكسس عبر (بحر الغروب) لترى ما يقَع وراء السَّواحل الغربيَّة. لئن لم يُشكِّك أحدٌ في إخلاص ڤيزينيا لشقيقها وزوجها، كانت ريينس تُحيط نفسها بالشُّبَّان الوُسماء، وقيلَ همسًا إنها استضافَت بعضهم في غُرفة نومها في اللَّيالي التي كان إجون يقضيها عند شقيقتها الكُبرى. ولكن على الرَّغم من هذه الشائعات، لم يستطِع المراقبون في البلاط إلا أن يلحظوا أن الملك كان يقضي عشر ليالٍ مع ريينس مقابل كل ليلةٍ قضاها مع ڤيزينيا.

الغريب أن إجون نفسه كان لُغزًا لمعاصريه بقدر ما هو لُغز لنا. كان مسلَّحًا بحُسامٍ من الفولاذ الڤاليري هو (اللَّهب الأسود)، وعُدَّ من أعظم مُحاربي عصره، ومع ذلك لم يبتهِج بأغنية السُّيوف ولم يُشارِك في أيِّ دورة مبارياتٍ أو التحامٍ جماعي. تنِّينه كان بالريون الرُّعب الأسود، لكنه ما طارَ به إلَّا في المعارك أو للسّفر بسرعةٍ عبر البرِّ والبحر. اجتذبَ حضوره وفطنته القياديَّة الرِّجال إلى راياته، ومع ذلك لم يكن له أصدقاء مقرَّبون إلَّا أوريس باراثيون رفيق شبابه. انجذبَت إليه النِّساء، لكن إجون ظلَّ وفيًّا لأختيه دومًا. بعدما صارَ ملكًا، وضعَ ثقةً كبيرةً في مجلسه الصَّغير وأختيه، تاركًا الكثير من شؤون الحُكم اليوميَّة لهم... وإن لم يتردَّد قَطُّ في تولِّي القيادة وقت الضرورة. على الرَّغم من تعامُله بقسوةٍ مع المتمرِّدين والخونة، كان مبسوط اليدين سمحًا مع الأعداء السَّابقين الذين ركَعوا له.

أظهرَ هذا أوَّل مرَّةٍ في (حصن إجون)، القلعة البدائيَّة المبنيَّة بالخشب والتُّربة، التي أقامَها فوق ما سيُعرَف من الآن وللأبد بـ(تل إجون العالي). بعد أن أخذَ اثنتي عشرة قلعةً وأمَّن مصبَّ (النَّهر الأسود) على جانبيْه، أمرَ إجون اللوردات المهزومين بالمثول أمامه هناك، ليركعوا ويضعوا سيوفهم

عند قدميه، وساعدَهم إجون على النُّهوض، وتركَهم يحتفظون بأراضيهم وألقابهم. أمَّا أنصاره القُدماء فأسبغَ عليهم إجون ألقابًا شرفيَّةً جديدةً. ديمون ڤيلاريون، سيِّد المدِّ والجَزر، أصبحَ قيِّم السُّفن وقائد الأسطول الملكي. تريستن ماسي، سيِّد (الحجر الرَّاقص) أضحى قيِّم القوانين. كريسپيان سلتيجار غدا أمينَ النَّقد. وأما أوريس باراثيون فقد أعلنَه إجون «تُرسي، ونصيري، ويدي اليُمنى القويَّة». لذلك يعدُّ المِايسترات أوريس باراثيون أوَّل يد ملك.

لطالما كانت رايات العوائل ورموزها تقليدًا قديمًا بين لوردات (وستروس)، وإن لم يتبنَّها سادة التَّنانين في (ڤاليريا القديمة) على الإطلاق. عندما رفعَ فُرسان إجون رايته الحريريَّة العظيمة، وهي تنِّين أحمر بثلاثة رؤوسٍ على خلفيَّةٍ سوداء، أخذَها اللوردات أمارةً على أن إجون أصبحَ واحدًا منهم حقًّا، ملكا ساميًا عظيمًا جديرًا بحُكم (وستروس). وعندما وضعَت ڤيزنيا تاجًا من الفولاذ الڤاليري مرصَّعًا بالياقوت الأحمر على رأس أخيها فيما حيَّته الملكة رينس هاتفةً: «إجون الأوَّل، ملك (وستروس) كافَّة، وحامي شعبه»، هدرَت التَّنانين وأطلقَ اللوردات والفُرسان صيحات الابتهاج... لكن العوام، الصيَّادين وعُمَّال الحقول وربَّات البيوت، كانوا أشدَّ حماسةً وهتفوا بأعلى صوت.

على أن الملوك السَّبعة الذين انتوى إجون تجريدهم من مُلكهم لم يُهلِّلوا. في (هارنهال) و(ستورمز إند)، كان هارن الأسود وأرجيلاك المتكبِّر قد استدعَيا راياتهما، وفي الغرب سلكَ مِرن جاردنر ملك (المرعى) طريق المحيط شمالًا إلى (كاسترلي روك) للاجتماع بالملك لورن لانستر، فيما أرسلَت أميرة (دورن) غُدافًا إلى (دراجونستون)، عارضةً الانضمام إلى إجون ضد أرجيلاك ملك العواصف... ولكن باعتبارها حليفةً مساويةً

في المنزلة لا كأحد رعاياه. جاءَ عرضٌ آخَر للتَّحالُف من الملك الصَّبي في (العُش)، رونل آرن، الذي طلبَت والدته جميع الأراضي شرق (الفرع الأخضر) من (الثَّالوث) مقابل دعم (الوادي) ضدَّ هارن الأسود. حتى في الشَّمال، اجتمعَ الملك تورين ستارك سيِّد (وينترفل) بلورداته وحمَلة رايته ومستشاريه في وقتٍ متأخِّر من اللَّيل، وناقشوا ما ينبغي فِعله بشأن هذا الغازي المحتمَل. كانت البلاد كلُّها منتظرةً بقلقٍ لترى أين ستكون خطوة إجون التَّالية.

وفي غضون أيامٍ بعد تتويجه، عادَت جيوش إجون تزحف مجدَّدًا. عبرَ الجزء الأكبر من جيشه (النَّهر الأسود) متَّجهًا جنوبًا نحو (ستورمز إند) تحت قيادة أوريس باراثيون، ورافقَته الملكة رينس ومعها التنِّينة ميراكسس بعينيها الذَّهبيَّتين وحراشفها الفضِّيَّة، فيما أقلعَ أسطول تارجاريَن من (الخليج الأسود) تحت قيادة ديمون ڤيلاريون، واتَّجه نحو (بلدة النَّوارس) و(الوادي)، ومعه ذهبَت الملكة ڤيزينيا والتنِّينة ڤاجهار. أمَّا الملك إجون نفسه فتوجَّه إلى الشَّمال الغربي، وصولًا إلى بحيرة (عين الآلهة) و(هارنهال)، تلك القلعة العملاقة التي كانت فخر الملك هارن الأسود وهوسه.

واجهَت هجمات قوَّات تارجاريَن الثَّلاث مقاومة شرسة. فاجأ اللوردات إرول وفِل وبكلر، حمَلة راية (ستورمز إند)، العناصر المتقدِّمة من جيش أوريس باراثيون في أثناء عبورها (النَّهر الدَّافق)، وقتلوا أزيد من ألفٍ منها قبل أن يختفوا في الغابة من جديد. وتمكَّن أسطول حشدَه آل آرن على عجلٍ وعزَّزته دستة من السُّفن الحربيَّة البراڤوسيَّة من هزيمة أسطول تارجاريَن في خليج (بلدة النَّوارس)، وكان من بين القتلى ديمون ڤيلاريون أميرال الملك إجون. وقد هوجِمَ إجون نفسه على شاطئ بحيرة

(عين الآلهة) الجنوبي، وليس لمرَّةٍ واحدةٍ فقط بل مرَّتان. كان النَّصر لصالح آل تارجاريَن في معركة البوص، لكنهم عانوا خسائر فادحةً عند (الصَّفصاف الباكي)، حين عبرَ اثنان من أبناء الملك هارن البُحيرة بقوارب طويلة مكتومة المجاذيف، وهجما على مؤخِّرة الجيش.

في النِّهاية، لم يكن لدى أعداء إجون ما يُقاوِمون به تنانينه. أغرقَ رجال (الوادي) ثُلث أسطول تارجريَن واستولوا على ما قاربَ ذلك العدد من السُّفن، لكن عندما انقضَّت عليهم الملكة ڤيزينيا من السَّماء، احترقَت سُفنهم. واختبأ اللوردات إرول وفِل وبكلر في غابتهم المألوفة حتى أطلقَت الملكة رينس العنان لنيران التنِّينة ميراكسس، واجتاحَ جدارٌ من النِّيران الغابة محوِّلًا الأشجار إلى مشاعل. ولم يكن المنتصرون في (الصَّفصاف الباكي)، العائِدون عبر البحيرة إلى (هارنهال)، مهيَّئين حين كرَّ عليهم بالريون من سماء الصَّباح، فاحترقَت قوارب هارن الطَّويلة كما احترقَ ابناه.

كما أن خصوم إجون وجدوا أنفسهم مبتلين بأعداءٍ آخَرين. بينما جمعَ أرجيلاك المتكبِّر قوَّاته في (ستورمز إند)، هجمَ قراصنةٌ من (الأعتاب) على سواحل (رأس الغضب) مستغلِّين غياب القوَّات، وخرجَ المغيرون الدورنيُّون يتدفَّقون من (الجبال الحمراء) ليكتسِحوا (التُّخوم)، وفي (الوادي) كان على الملك الصَّغير رونل آرن أن يتعامَل مع تمرُّد (الأخَوات الثَّلاث)، بعد أن تنصَّل أهلها من ولائهم لـ(العُش) معلنين الليدي مارلا سندرلاند ملكةً عليهم.

ومع ذلك لم تكُن هذه إلَّا مُضايقاتٍ بسيطة مقارنة بما حدثَ لهارن الأسود. على الرَّغم من أن آل هور حكَموا (أراضي النَّهر) لثلاثة أجيال، لم يكن أهالي (الثَّالوث) يحملون أيَّ حُبٍّ لسادتهم حديدِيِّي الميلاد، إذ دفعَ هارن الأسود ألوفًا منهم إلى حتفهم في أثناء بناء قلعته

العظيمة (هارنهال)، ونهبَ (أراضي النَّهر) للحصول على الموارد، وأفقرَ اللوردات والعوام على حدٍّ سواء بنهمه للذَّهب. والآن ثارَت (أراضي النَّهر) ضدَّه بقيادة اللورد إدمين تَلي سيِّد (ريفررَن)، الذي استُدعِيَ لحماية (هارنهال) وبدلًا من ذلك أعلنَ ولاءه لآل تارجاريَن رافِعًا راية التنِّين فوق قلعته، وركبَ مع فُرسانه ورُماته ليضمَّ قوَّته إلى إجون. بثَّ عصيانه هذا الشَّجاعة في قلوب لوردات النَّهر، وواحدًا تلو الآخَر نبذَ لوردات (الثَّالوث) هارن الأسود معلنين ولاءهم لإجون التنِّين. بلاكوود، ماليستر، ڤانس، براكن، پايپر، فراي، سترونج... استدعى كلٌّ هؤلاء جُندهم زاحفين على (هارنهال).

وإذ وجدَ العدوَّ يفوقه عددًا فجأةً، تراجَعَ الملك هارن الأسود إلى قلعته التي من المفترض أن تكون منيعةً. (هارنهال) أكبر قلعةٍ بُنِيَت في (وستروس) على الإطلاق، وضمَّت خمسة أبراجٍ هائلةً، ومصدرًا لا ينضب من المياه العذبة، وأقبيةً ضخمةً تحت الأرض زاخرةً بالمؤن، وأسوارًا ضخمةً من الحجرِ الأسود أعلى من أيِّ سُلَّم حصار وأسمك من أن يَنقُبها مدكٌّ أو يُحطِّمها منجنيق. وهكذا أغلقَ هارن الأسود بوَّاباته وتحصَّن داخل القلعة مع من تبقَّى من أبنائه ومُناصريه ليُقاوِموا الحصار.

لكن إجون ابن (دراجونستون) كان مسألةً أخرى. بعد ضمِّ قوَّاته إلى قوَّات إدمين تَلي وبقيَّة لوردات النَّهر لحصار القلعة، أرسلَ إجون مِايسترًا إلى أبواب القلعة تحت راية سلامٍ ليعرض التَّفاوُض. خرجَ هارن للقائه، وكان رجلًا عجوزًا اشتعلَ رأسه شيبًا، لكنه لا يزال يبدو شرسًا في درعه السَّوداء. كان في رفقة كلٍّ من الملكيْن حامل رايةٍ ومِايستر، ولذا تظلُّ الكلمات المتبادَلة بينهما محفوظةً غير منسيَّة.

باداه إجون قائلًا: «استسلِم الآن ولك أن تبقى سيِّدًا على (جُزر الحديد). استسلِم الآن وسيعيش أبناؤك ليَحكُموا من بعدك. إن معي

ثمانية آلاف رجل خارج أسوارك».

فردَّ هارِن: «ما يُوجَد خارج أسواري لا يعنيني. هذه الأسوار قويَّة وصُلبة».

- «لكنها ليست عاليةً بما يكفي لتمنعَ التَّنانين. التَّنانين تطير».

قال هارن: «لقد بنيتُها من الحجارة. الحجارة لا تحترق».

وعلى هذا جاوبَ إجون: «عندما تغربُ الشَّمس سينتهي نسلك».

يُقال إن هارن بصقَ لقوله هذا وعادَ إلى قلعته، وبمجرَّد دخوله أرسلَ رجاله جميعًا إلى الأسوار مسلَّحين بالحِراب والأقواس والنُّشَّابيَّات، وتعهَّد بالأراضي والثَّروة لأيِّ أحدٍ منهم يتمكَّن من إسقاط التنِّين. قال هارن الأسود: «لو أن لي ابنةً لكان لقاتل التنِّين أن يطلُب يدها أيضًا، ولكن بدلًا من ذلك سأُعطيه يد إحدى بنات تَلي، أو الثَّلاث معًا إذا رغبَ، أو له أن يختار واحدةً من بُنيَّات بلاكوود أو ستورونج أو أيَّ فتاةٍ أنجبَها خونة (الثَّالوث) هؤلاء، لورداتُ الطَّمي الأصفر». ثمَّ انسحبَ هارن الأسود إلى بُرجه محاطًا بحرس أهلِ بيته، ليتناول العشاء مع أبنائه المتبقِّين.

ومع غياب ضوء الشَّمس الأخير، حدَّق رجال هارن الأسود إلى الظَّلامِ المتزايد ممسكين حِرابهم ونُشَّابيَّاتهم، ولما لم يظهر أيُّ تنِّين ظنَّ بعضهم أن تهديدات إجون كانت جوفاء. إلَّا أن إجون تارجاريَن حلَّق ببالريون عاليًا وسط السَّحاب، إلى أعلى وأعلى حتى بدا كأن التنِّين ليس أكبر من ذُبابةٍ على وجه القمر. عندها فقط انحطَّ من صببٍ داخل نطاق أسوار القلعة، وبجناحيْن أسوديْن كالقار انقضَّ بالريون في ظلام اللَّيل، وحين تبدَّت أبراج (هارنهال) العظيمة من تحته، أطلقَ التنِّين غضبه وغمرَها بنيران سوداء تتخلَّلها دوَّامات من الأحمر.

تبجَّح هارن بأن الحجارة لا تحترق، لكن قلعته لم تكن حجارةً فقط، بل أخشاب وصوف وقنَّب وقش وخُبز ولحم مملَّح وحبوب، وكلُّها نشبَت فيه النَّار. ولم يكن رجال هارن الحديديُّون من حجرٍ أيضًا. داخنين، صارخين تكتنفهم النِّيران، ركضوا عبر السَّاحات وسقطوا من فوق مماشي الأسوار ليموتوا على الأرض أسفلها. وحتى الحجر يتصدَّع وينصهِر إذا كانت النِّيران حاميةً كفايةً. قال لوردات النَّهر خارج أسوار القلعة لاحقًا إن أبراج (هارنهال) توهَّجت بالأحمر في اللَّيل كخمس شموعٍ عظيمة... ومثل الشُّموع بدأت تلتوي وتذوب، وتدفَّق سيلٌ من الحجارة المصهورة على جوانبها.

ماتَ هارن وآخِر أبنائه بالنِّيران التي التهمَت قلعته الوحشيَّة ليلتها، ومعه انقرضَ آل هور وسيطرة (جُزر الحديد) على (أراضي النَّهر). في اليوم التَّالي، خارج أنقاض (هارنهال) الدَّاخنة، قبل إجون قسمَ الولاء من إدمين تَلي سيِّد (ريفررَن) وعيَّنه إجون سيِّدًا أعلى لأراضي (الثَّالوث)، وبايعَ لوردات النَّهر الآخَرون إجون ملكًا وإدمين تَلي سيِّدًا عليهم. وحين بردَ الرَّماد بما يكفي لدخول الرِّجال القلعة بأمان، كانت نصال المهزومين منصهرةً أو ملتويةً في شرائط من الفولاذ بفعل نيران التنِّين، فجُمعَت وأُرسِلَت على عرباتٍ إلى (حصن إجون).

في الجنوب والشَّرق أثبتَ حمَلة راية ملك العواصف أنهم أشد ولاءً من حمَلة راية الملك هارن. حشدَ أرجيلاك المتكبِّر جيشًا عظيمًا حوله في (ستورمز إند). كان معقل آل دوراندون حصنًا عظيمًا، أسواره الواقية أسمك من أسوار (هارنهال) ذاتها، التي ظُنَّ أيضًا أنها منيعة ضد الهجمات. وسُرعان ما وصلَ خبر نهاية الملك هارن إلى مسامع عدوِّه القديم الملك أرجيلاك. على أن اللورديْن فِل وبكلر المتقهقريْن أمام الجيش المقترب (وقد قُتِلَ اللورد إرول) كانا قد أرسلا إليه خبرًا عن الملكة رينس وتنِّينتها. هدرَ الملك المحارِب العجوز بأنه لا ينوي أن

يموت كما ماتَ الملك هارن، مطبوخًا في قلعته كخنزيرٍ رضيع بتفّاحةٍ في فمه. كان معتادًا المعارك، وسُيقرِّر مصيره بنفسه وسيفه بيده. وهكذا ركبَ أرجيلاك المتكبِّر خارجًا من (ستورمز إند) للمرَّة الأخيرة، ليُلاقي أعداءه في ميدانٍ مفتوح.

لم يكن اقتراب ملك العواصف مفاجئًا لأوريس باراثيون ورجاله، فقد حلَّقت الملكة رينس بميراكسس وشهِدَت مُغادرة أرجيلاك (ستورمز إند)، وأعلمَت يد الملك بالعدد الكُلِّي لجنود الأعداء وتنظيماتهم، فاتَّخذ أوريس موقعًا قويًّا فوق التِّلال الواقعة جنوب (بوَّابة البرونز)، وحفرَ خنادقه هناك على الأرض المرتفعة منتظرًا وصول رجال العواصف.

عندما التقى الجيشان أثبتَت (أراضي العواصف) أنها اسم على مُسمًّى. بدأ المطر في الهطول في ذلك الصَّباح، وبحلول منتصف النَّهار تحوَّل المطر إلى عاصفةٍ ثائرة. حثَّ اللوردات حمَلة الرَّاية الملك أرجيلاك على تأجيل هجومه لليوم التَّالي، على أمل أن يتوقَّف المطر، لكن رجال ملِك العواصف كانوا يفوقون أعداد الغُزاة بما يُقارِب الضِّعفيْن، ولديهم نحو أربعة أضعاف من الفُرسان والجياد الثقَّيلة. أغضبَت المحارب العجوز المخضرم رؤية رايات تارجاريَن الرَّطبة تُرفرِف فوق تلاله، ولم يفُته أن يُلاحِظ انهمار المطر من الجنوب في وجوه جنود تارجاريَن، فأمرَ أرجيلاك المتكبِّر ببدء الهجوم، وبدأت المعركة المعروفة تاريخيًّا باسم العاصفة الأخيرة.

استمرَّ القتال حتى بعد حلول اللَّيل، وكانت معركةً داميةً وأكثر تكافؤًا كثيرًا من هجمة إجون على (هارنهال). قادَ أرجيلاك المتكبِّر فُرسانه ضد مواقع باراثيون ثلاثَ مرات، لكن المنحدَرات كانت حادَّةً، والمطر جعلَ الأرض موحلةً زلِقةً، فكافحَت الجياد الحربية وتعثَّرت، وفقدَت الهجمات كلَّ تماسُكٍ وزخم. كان أداء رجال العواصف أفضل حين أرسَلوا حمَلة

الحِراب ليصعدوا التِّلال راجلين. مغشيًّا على أبصارهم بسبب المطر، لم يرَ الغُزاة تسلُّقهم إلَّا بعد فوات الأوان، وقد جعلَت الرُّطوبة أوتار أقواس الرُّماة عديمة الفائدة. سقطَ تلٌّ ثمَّ آخَر، وكسرَت الهجمة الرَّابعة والأخيرة لملك العواصف وفُرسانه مركز جيشِ باراثيون... فقط ليجدوا أنفسهم وجهًا لوجهٍ مع الملكة رينس وميراكسس. حتى وهي على الأرض أثبتَت التنِّينة أنها قوَّة قاهِرة، وغُمِرَ ديكون موريجن زنغل (المرفأ الأسود)، اللذان قادا طليعة الجيش، بلهب التنِّينة، جنبًا إلى جنبِ فُرسان حرس الملك أرجيلاك الشَّخصي. أصيبَت الجياد بالذُّعر وهربَت في حالةٍ من الهلع، مصطدمةً بالخَيَّالة خلفها ومحوِّلةً الهجمة إلى فوضى، وحتى ملك العواصف نفسه سقطَ من فوق سَرجه.

ومع ذلك واصلَ أرجيلاك القتال. عندما نزل أوريس باراثيون مع رجاله من فوق التَّل الموحل، وجدَ الملك العجوز يردع نصف دستةٍ من الرِّجال، وقد افترشَت الأرض عند قدميه جُثث بالعدد نفسه. قال باراثيون: «تنحَّوا جانبًا»، وترجَّل من فوق صهوة جواده لمواجهة الملك على قدم المساواة، وعرضَ على ملك العواصف فُرصةً أخيرة للاستِسلام. شتمَه أرجيلاك بدلًا من ذلك، وتنازلَ الرَّجلان، الملك المحارب بشعره الأشيب الطَّويل، ويد إجون الضَّاري ذو اللِّحية السَّوداء. قيلَ إن كليهما أصابَ الآخَر بجرح، ولكن في النِّهاية نالَ آخِر آل دوراندون رغبته، وماتَ بسيفٍ في يده وبسبَّةٍ على شفتيه. خارَت قُوى رجال العواصف تمامًا لمصرع مليكهم، وبمجَّرد انتشار خبر موت أرجيلاك، ألقى لورداته وفُرسانه سيوفهم وهربوا.

لبضعة أيَّام خُشِيَ أن تُلاقي (ستورمز إند) مصير (هارنهال) نفسه، لأن ابنة أرجيلاك، الأميرة أرجيلا، أغلقَت بوَّاباتها بمجرَّد اقتراب أوريس باراثيون وجيش تارجاريَن، وأعلنَت نفسها ملكة العواصف بدلًا من الرُّكوع، وأعلنَت أن رجال حامية (ستورمز إند) سيموتون حتى آخِر

فردٍ منهم إذا تطلَّب الأمر. حدثَ ذلك عندما طارَت الملكة رينس بميراكسس نحو القلعة للتَّفاوض، وقالت لها أرجيلا: «قد تأخُذون قلعتي، لكنكم لن تجدوا إلَّا العِظام والدِّماء والرَّماد»... غير أن جنودَ الحامية أثبَتوا أنهم أقلَّ رغبةً في الموت، إذ رفعوا في تلك اللَّيلة راية السَّلام وفتحوا بوَّابة القلعة، وسلَّموا الليدي أرجيلا مكمَّمةً ومقيَّدةً وعاريةً إلى معسكر أوريس باراثيون.

يُقال إن باراثيون حلَّ قيودها بيديه وكساها بمعطفه وصبَّ لها كأسًا من النَّبيذ وتحدَّث معها بلُطف، فأخبرَها عن شَجاعة والدها وكيف ماتَ. وبعد ذلك، تكريمًا للملك المهزوم، اتَّخذ أوريس راية آل دوراندون وكلماتهم لنفسه، فغدا الوعل المتوَّج رمزه، و(ستورمز إند) مقرَّه، والليدي أرجيلا زوجته.

الآن وقد صارَت (أراضي النَّهر) و(أراضي العواصف) تحت سيطرة إجون التنِّين وحُلفائه، رأى ملوك (وستروس) المتبقِّين بوضوحٍ أن دورهم مقبل. في (وينترفل) استدعى الملك تورين راياته، وبسبب مساحة الشَّمال الشَّاسعة كان يعلم مسبقًا أن حشد الجيش سيستغرق وقتًا طويلًا، فيما لجأت شارا ملكة (الوادي)، الوصيَّة على ابنها رونل، إلى (العُش) وقوَّت دفاعاتها وأرسلَت جيشًا إلى (البوَّابة الدَّامية)، التي تُعَدُّ مدخل (وادي آرِن) ومخرجه. في شبابها، أشيدَ بالملكة شارا باعتبارها «زهرة الجبل»، أجمل فتاةٍ في (الممالِك السَّبع). ربما ظنَّت شارا أنها ستستطيع استمالة إجون بجمالها الأخَّاذ، فأرسلَت إليه لوحةً مرسومةً لها، وعرضَت نفسها عليه زوجةً، شريطة أن يُسمِّي ابنها وريثًا له، وعلى الرَّغم من وصول الرَّسم إليه فمن غير المعروف إن كان إجون قد ردَّ على عرضها أم لا. كان له ملكتان بالفعل، وفي ذلك الوقت كانت شارا آرن مجرَّد زهرةٍ ذابلة، أكبر منه بعشر سنين.

في تلك الأثناء تحالفَ الملكان الغربيَّان وحشدا جيوشهما، عازمَيْن على وضع حدٍّ لإجون للأبد. من (هايجاردن) زحفَ الملك مِرن جاردنر التاسع ملك (المرعى) بجيشٍ ضخم، وتحت أسوار (البُستان الذَّهبي)، معقل آل روان، قابلَه الملك لورن لانستر الأول ملك (الصَّخرة)، الذي قادَ جيشًا مِن (أراضي الغرب). معًا، قادَ الملكان أقوى جيشٍ شهدَته (وستروس)، جيشًا مكوَّنًا من خمسةٍ وخمسين ألف رجل، من ضمنهم ستُّمئة لورد كبير وصغير، وأكثر من خمسة آلافٍ من الفُرسان بخيولهم. «قبضتنا الحديديَّة»، هكذا أعلنَ الملك مِرن بزهو، وقد ركبَ إلى جانبه أبناؤه الأربعة وعملَ اثنان من أحفاده مُرافقَيْن له.

لم يبقَ الملكان طويلًا في (البُستان الذَّهبي)، إذ يجب أن يستمرَّ جيش لَجِب بهذا الحجم في الزَّحف، لئلَّا يأكل خلاء الرِّيف المحيط به بأكمله. وهكذا تحرَّك الحُلفاء في الحال، زاحفين شمالًا وشرقًا عبر الكلأ الطَّويل وحقول القمح الذَّهبيَّة.

عند تنبيهه إلى مجيئهم في معسكره بجانب (عين الآلهة)، حشدَ إجون قوَّاته وتقدَّم لمواجهة الأعداءِ الجُدد. كانت قوَّات الملكين تفوق ما لدى إجون بخمسة أضعاف، إذ تكوَّن معظم قوَّاته من المقسمين للوردات النَّهر، الذين كان ولاؤهم لآل تارجاريَن حديث العهد ولم يُختبَر بعدُ. ومع ذلك، لأن معه الجيش الأصغر، استطاعَ إجون أن يتحرَّك أسرع كثيرًا من خصومه. انضمَّت إليه ملكتاه في بلدة (السِّبت الحجري) مع تنِّينتيْهما: رينس عائدةً من (ستورمز إند)، وڤيزنيا من (الرَّأس المتصدِّع) حيث قبلَت عدَّة تعهُّدات ولاءٍ حارَّة من اللوردات المحلِّيِّين. معًا شاهد ثلاثة الأشقَّاء تارجاريَن من السَّماء جيش إجون يَعبُر منابع (النَّهر الأسود) وينطلق جنوبًا.

التقى الجيشان وسط السُّهول الواسعة المفتوحة جنوب (النَّهر

الأسود)، قُرب المكان الذي سيمرُّ منه (طريق الذَّهب) ذات يوم. ابتهجَ الملكان عندما عادَ الكشَّافة إليهما وأبلَغوهما عن أعداد جيش تارجاريَن وتنظيماته. كان لديهما على ما يبدو خمسة رجال مقابل كلِّ رجلٍ لدى إجون، والتَّفاوت في أعدادِ اللوردات والفُرسان أكبر وأكبر، والأرض واسعةً ومفتوحةً، والعُشب والقمح على مدى البصر، أي إنها مثاليَّة للجياد الثَّقيلة، ولن يتحكَّم إجون في الأرض المرتفعة على غرار أوريس باراثيون في معركة العاصفة الأخيرة، فالأرض صُلبة وغير موحلة، ولن يكون المطر مصدر إزعاجٍ لهم كذلك، إذ كان اليوم صافيًا رغم الرِّياح، ولم يهطل المطر منذ أسبوعيْن.

كان الملك مِرن قد جلبَ أعدادًا تفوق أعداد الملك لورن مرَّةً ونصفًا، ولذا طالبَ بشرف قيادة قلب الجيش، في حين تولَّى ابنه ووريثه إدموند قيادة الطَّليعة، وشكَّل الملك لورن وفُرسانه الميمنة، وأخذَ اللورد أوكهارت الميسرة. لعدم وجود حواجز طبيعيَّة تُثبِّت صفوف تارجاريَن، خطَّط الملكان لتطويق إجون من الجانبين ثمَّ الانقضاض عليه من المؤخَّرة، فيما تُحطِّم «القبضة الحديديَّة»، وهي تشكيل عسكري مثل إسفين عظيم من الفُرسان المدرَّعين واللوردات الكبار، مركز جيش إجون.

وزَّع إجون رجاله على شكل هلالٍ غير منتظم يعجُّ بحمَلة الحِراب والرِّماح القصيرة، واضعًا الرُّماة وحمَلة النُّشَّابيَّات خلفهم مباشرةً، والفُرسان خفيفي التَّسليح على كلٍّ من جانبَي الجيش، وولَّى قيادة جيشه چون موتون سيِّد (بِركة العذارى)، أحد أوائل الخصوم الذين انضمُّوا إلى قضيَّته. أمَّا الملك نفسه فنوى أن يُقاتِل من السَّماء بجوار ملكتيْه. كان إجون أيضًا قد لاحظَ غياب المطر، وأن العُشب والقمح حول الجيشيْن طويلان جاهزان للحصاد... وشديدا الجفاف.

انتظرَ جيش تارجاريَن حتى أطلقَ الملكان أبواقهما وبدآ التَّقدُّم تحت

بحرٍ من الرَّايات. قادَ الملك مِرن الهجوم بنفسه على متن فحله الذَّهبي، وبجانبه ابنه جاون برايته، يد خضراء كبيرة على خلفيَّة بيضاء. وسط الهدير والصِّياح المدموج بأصوات الأبواق والطُّبول، اندفعَ جيش جاردنر ولانستر في عاصفة من السِّهام المنهمرة على أعدائهم، كانسًا حاملي حِراب جيش تارجاريَن، ولكن عندئذٍ كان إجون وأختاه قد ارتفعوا في الجوِّ.

حلَّق إجون فوق صفوف أعدائه على متن باليريون وسط عاصفة من الحِراب والحجارة والسِّهام، منقضًّا مرارًا وتكرارًا ليُحمِّم خصومه باللَّهب، فيما أطلقَت ريينس وڤيزينيا النِّيران عكس اتِّجاه الرِّيح خلف صفوف العدو. اشتعلَت الحشائش الجافَّة وسنابل القمح دُفعةً واحدة، وأجَّجت الرِّياح ألسنة اللَّهب ونفثَت الدُّخان في وجوه الصُّفوف المتقدِّمة من قوَّات الملكيْن. دفعَت رائحة النَّار الجياد إلى الهلع، وأصابَ الحصان وراكبه على حدِّ سواء العَمى ما إن تكثَّف الدُّخان، وبدأت صفوفهم في الانهيار إذ ارتفعَت جُدران من النِّيران على كلِّ جانب حولهم. لكونهم عكس اتِّجاه الرِّياح، خرجَ رجال اللورد موتون بأمان من ضرام السَّعير، وانتظَروا بأقواسهم وحِرابهم، وسرعان ما أجهَزوا على الرِّجال المحترقين الذين خرجوا مترنِّحين من الجحيم.

بعد ذلك سُمِّيَت هذه المعركة بحقل النِّيران.

ماتَ أكثر من أربعة آلاف رجل في الحريق، وهلكَ أكثر من ألفٍ آخَرين بالسُّيوف والحِراب والسِّهام. أصيبَ عشرات الآلاف بالحروق، بعضها كان سيِّئًا لدرجة أنهم بقوا مشوَّهين مدى حياتهم. كان الملك مِرن التاسِع وأبناؤه وأحفاده وإخوته وأبناء عمومته وغيرهم بين القتلى. ابن عمٍّ واحد نجا لثلاثة أيَّامٍ ثمَّ ماتَ متأثِّرًا بحروقه، ومعه ماتَ آل جاردنر. أمَّا لورن ملك (الصَّخرة) فقد عاشَ إذ ركبَ عبر جدارٍ من

النِّيران والدُّخان متَّجهًا نحو برِّ الأمان حين رأى رأي العيان أن المعركة خاسرة.

فقدَ جيش تارجاريَن أقلَّ من مئة فرد، وأصابَ الملكة ڤيزينيا سهم في كتفها، لكنها سُرعان ما تعافَت. بينما أولمت التَّنانين على جُثث الموتى، أمرَ إجون بجمع سيوف القتلى وإرسالها عبر النَّهر إلى معقله.

في اليوم التَّالي، قُبِضَ على لورن لانستر، ووضعَ ملك (الصَّخرة) سيفه وتاجه عند قدمَي إجون وركعَ له وبايعَه، وأوفى إجون بوعده بالإبقاء على حياة ملك (الصَّخرة)، فأعان خصمه المهزوم على النُّهوض، وأقرَّ سيادته على أراضيه ولورديَّته، وأطلقَ عليه لقب سيِّد (كاسترلي روك) وحاكمَ الغرب. حذا اللوردات حمَلة راية اللورد لورن حذوه، وكذا العديد من لوردات (المرعى)، أولئك الذين نجوا من نيران التَّنانين.

ومع ذلك ظلَّ فتحُ الغرب غير مكتمل، لذلك انفصلَ الملك إجون عن أختيه وزحفَ على الفور نحو (هايجاردن)، على أمل تأمين استسلامها قبل أن يتمكَّن أحد المطالبين الآخَرين من الاستيلاء عليها لنفسه، إلَّا أنه وجدَ القلعة بين يدَي وكيلها هارلان تايرل، الذي خدمَ أسلافه آل جاردنر لعدَّة قرون. سلَّم هارلان مفاتيح القلعة دون قتال، وتعهَّد بولائه للملك الفاتِح، وعلى سبيل المكافأة منحَه إجون (هايجاردن) وجميع مناحيها، ملقِّبًا إياه بحاكم الجنوب وسيِّد (الماندر) الأعلى، ومانحًا له السُّلطة على جميع أتباع عائلة جاردنر السَّابقين.

كانت نيَّة الملك إجون مواصلة مسيرته جنوبًا لإجبار (البلدة القديمة) و(الكرمة) و(دورن) على الرُّضوخ، ولكن في أثناء وجوده بـ(هايجاردن) بلغَت أُذنَيه أنباء تحدٍّ جديد. تورين ستارك، الملك في الشمال، اجتازَ (العنق) ودخلَ (أراضي النَّهر)، يقود جيشًا من الشَّماليِّين المتوحِّشين عماده ثلاثون ألف جُندي. توجَّه إجون من فوره إلى الشمال لملاقاته

سابقًا جيشه على متن بالريون الرُّعب الأسود، كما أرسلَ خبرًا إلى ملكتيْه أيضًا، وإلى كلِّ اللوردات والفُرسان الذين ركعوا له بعد (هارنهال) وحقل النِّيران.

عندما وصلَ تورين ستارك إلى ضفاف (الثَّالوث)، وجدَ جيشًا يبلُغ حجم جيشه مرَّةً ونصفًا ينتظِرُه جنوب النَّهر. لوردات النَّهر والغرب و(أراضي العواصف) و(المرعى)... جميعهم جاؤوا، وفوق معسكرهم حامَ بالريون وميراكسس وڤاجهار في السَّماء في دوائر آخذة في الاِتِّساع.

رأى كشَّافة تورين أطلال (هارنهال)، حيث لم تزَل النِّيران الحمراء مشتعلةً تحت الأنقاض، وكان الملك في الشَّمال قد سمع أيضًا العديد من الحكايات عن حقل النِّيران، فعلمَ أن المصير نفسه ينتظِره إذا حاولَ عبور النَّهر بالقوَّة. حضَّه بعض حمَلة رايته على القتال حتى آخِر نفَس، وأصرُّوا أن البسالة الشَّمالية ستمنحهم النَّصر، وحثَّه آخَرون على الانسحاب نحو (خندق كايلن) والصُّمود هناك على التُّراب الشَّمالي، فيما عرضَ براندون سنو، أخو الملك غير الشرعي، عبور (الثَّالوث) وحده تحت جنح الظلام، لقتل التَّنانين وهي نائمة.

أرسلَ الملك تورين براندون سنو عبر (الثَّالوث)، لكنه عبرَه مع ثلاثةٍ من المايسترات إلى جانبه، لا ليَقتُل أحدًا ولكن ليتفاوَض. طوال اللَّيل ظلَّت الرسائل تتوالى ذهابًا وإيابًا، وفي الصَّباح التَّالي اجتازَ تورين ستارك نفسه (الثَّالوث)، وهناك على ضفَّة النَّهر الجنوبيَّة جثا تورين على ركبتيه، ووضعَ تاج ملوك الشِّتاء العتيق عند قدمَي إجون، وأقسمَ أن يكون رجله المخلِص، ثم نهضَ بصفته سيِّد (وينترفل) وحاكم الشَّمال، ولم يعد ملكًا. منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا يُذكَر تورين ستارك بأنه الملك الذي ركعَ... لكنه لم يَترُك أيَّ رجلٍ شمالي محترق الأشلاء على ضفاف (الثَّالوث)، ولم تكن سيوف تورين وأتباعه التي جمعَها إجون ملويَّةً أو

مصهورةً أو مثنيَّةً.

ثم افترقَ إجون وملكتاه. عادَ إجون يتوجَّه جنوبًا زاحفًا نحو (البلدة القديمة)، فيما امتطَت شقيقتاه تنِّينتيْهما: ڤيزينيا إلى (وادي آرِن)، وريينس إلى (صنسپير) وصحاري (دورن).

عزَّزت شارا آرن دفاعات (بلدة النَّوارس)، ونقلَت جيشًا قويًّا إلى (البوَّابة الدَّامية)، وضاعفَت ثلاث مرَّات حجم الحاميات في (حجر) و(ثلج) و(سماء)، القلاع الفرعيَّة التي تحرس الطَّريق إلى (العُش). أثبتَت هذه الدِّفاعات كلُّها أنها عديمة الجدوى ضدَّ ڤيزينيا تارجاريَن، التي ارتفعَت على جناحَي ڤاجهار الجِلديَّيْن وطارت فوقهم جميعًا وهبطَت في فِناء (العُش) الدَّاخلي، وعندما هرعَت الوصيَّة على العرش لمواجهتها مع دستةٍ من الحرس خلفها، وجدَت ڤيزينيا وروبل آرن جالسًا على ركبتها، يُحدِّق إلى التنِّين مذهولًا. سأل الملك الصَّبي: «أمِّي، هل يُمكنني الطَّيران مع الليدي؟». لم تُوجَّه تهديدات أو يَحدُث تراشُق بالألفاظ، بل ابتسمَت كلتا الملكتيْن للأخرى وتبادلتا المجاملات. ثمَّ أرسلَت الليدي شارا لإحضار التيجان الثَّلاثة (تاج الوِصاية الذي تعتمره، وتاج ابنها الصَّغير، وتاج صقر الجبل والوادي الذي اعتمرَه ملوك عائلة آرن لآلاف السِّنين)، وسلَّمتها إلى الملكة ڤيزينيا مع سيوف الحامية. قيل بعد ذلك إن الملك الصَّغير حلَّقَ ثلاث مرَّاتٍ حول قمَّة (رُمح العملاق)، وهبطَ ليجد نفسه سيِّدًا صغيرًا. وهكذا ضمَّت ڤيزينيا تارجاريَن (العُش) إلى سُلطان أخيها.

أمَّا غزوة ريينس تارجاريَن فلم تكن بتلك البساطة. كان جيش من حمَلة الحِراب الدورنيِّين يحرس (ممر الأمير)، وهو المدخل عبر (الجبال الحمراء)، لكن ريينس لم تشتبِك معهم، إذ حلَّقت فوق المجاز، فوق

الرِّمال الحمراء والبيضاء، ونزلَت على (ڤايث) لتُطالِب باستسلامها، لتجد القلعة خاليةً مهجورةً، وفي البلدة تحت أسوارها لم يبقَ إلَّا النِّساء والأطفال والعجائز، وحين سألَتهم أين ذهبَ سادتهم لم يجيبوا بغير: «بعيدًا». اتَّبعت ريينس مجرى النَّهر في اتِّجاه المصبِّ إلى (عطيَّة الآلهة)، مقرِّ آل إليريون، لكنه كان مهجورًا أيضًا، فطارَت مجدَّدًا. حيث يلتقي نهر (الدَّم الأخضر) بالبحر، ذهبَت ريينس إلى (بلدة الأخشاب)، حيث ترسو مئاتٌ من القوارب وزوارق الصَّيد والصَّنادل والعوامات والسُّفن الثَّقيلة تتلظَّى في الشَّمس، وقد ضمَّتها الحِبال والسَّلاسل والألواح الخشبيَّة مكوِّنةً بلدةً عائمةً. وإن بدا أن عددًا قليلًا من النِّساء المسنَّات والأطفال الصِّغار نظرَ إليها وهي طائرة فوقهم بميراكسس.

أخيرًا أخذَتها رحلتها إلى (صنسپير)، معقل آل مارتل، حيث وجدَت الملكة أميرة (دورن) منتظرةً في قلعتها المهجورة. كانت ميريا مارتل تبلُغ من العمر ثمانين عامًا، كما يُخبِرنا المايسترات، وقد حكمَت (دورن) ستِّين سنةً، وكانت سمينةً جدًّا وعمياء وشبه صلعاء، وجلدها شاحبًا مترهِّلًا. أطلقَ عليها أرجيلاك المتكبِّر لقب «ضفدعة (دورن) الصَّفراء»، ولو أن لا السِّن ولا العمى أضعفا شيئًا من ذكائها.

قالت الأميرة ميريا لريينس: «لن أقاتلكِ، ولن أركع لكِ. (دورن) لا ملك لها. أبلِغي أخاكِ بهذا».

فجاوبَتها ريينس: «سأفعلُ، لكننا سنعود من جديدٍ أيَّتها الأميرة، وفي المرَّة القادمة سنأتي بالنَّار والدَّم».

فردَّت الأميرة ميريا: «تلك كلماتكم أنتم، أمَّا كلماتنا نحن فهي لا ننحني، لا نخضَع، لا ننكسِر. يُمكنكم إحراقنا يا سيِّدتي... لكنكم لن تُخضِعونا أو تكسرونا أو تُجبِرونا على الانحناء. إن هذه (دورن)، وأنتم

غير مرغوبين هنا. عودوا على مسؤوليَّتكم».

وهكذا افترقَت الملكة والأميرة، وظلَّت (دورن) لم تُقهَر.

في الغرب لقيَ إجون تارجاريَن ترحيبًا دافِئًا. كانت (البلدة القديمة) أعظم مدينةٍ في (وستروس)، مُحاطةً بأسوارٍ ضَخمة، ويحكُمها آل هايتاور أولاد (البُرج العالي)، أقدم وأغنى وأقوى عوائل (المرعى) النَّبيلة. كانت (البلدة القديمة) مركز العقيدة أيضًا، وفيها سكَن السِّپتون الأعلى، أبو المؤمنين، صوت الآلهة الجديدة على الأرض، الذي يحظى بطاعة الملايين من المتديِّنين في جميع أنحاء القارَّة (باستثناء الشمال، حيث لم تزل الآلهة القديمة سائِدةً)، ويتحكَّم في مناضلي العقيدة، وهي الجماعة المقاتلة التي سمَّاها العوام «السُّيوف» و«النُّجوم».

ومع ذلك، حين اقتربَ إجون تارجاريَن وجيشه من (البلدة القديمة)، وجدوا بوَّابات المدينة مفتوحةً واللورد هايتاور منتظرًا ليُعلن استسلامه. حسب ما حدثَ، عندما وصل خبر رسوِ إجون إلى (البلدة القديمة)، حبسَ السِّپتون الأعلى نفسه في (السِّپت النَّجمي) سبعة أيَّام وسبعَ ليالٍ طلبًا لهداية الآلهة، دون غذاءٍ إلَّا الخُبز والماء، يبذل ساعات يقظته في الصَّلاة منتقلًا من مذبحٍ إلى مذبح. وحين خرجَ أعلنَ أن العقيدة لن تُناوئ إجون وأختيْه، لأن (العجوز) رفعَت مِصباحها وأرَته سبيل المستقبل. رأى صاحب القداسة الأعلى أنه لو رفعَت (البلدة القديمة) السِّلاح ضدَّ إجون التنِّين لاحترقَت، ولحاقَ الخراب والدَّمار بـ(البُرج العالي) و(القلعة) و(السِّپت النَّجمي).

كان سيِّد (البلدة القديمة) اللورد مانفرد هايتاور رجلًا حذرًا ومتديِّنًا، خدمَ أحد أبنائه الصِّغار في جماعة أبناء المحارب، وكان آخَر قد ردَّد نذوره مؤخَّرًا ليصبح سِپتونًا. لما سمعَ من السِّپتون الأعلى الرُّؤيا التي

منَّت عليه بها (العجوز)، قرَّر اللورد هايتاور أنه لن يُعارِض الفاتِح بقوَّة السِّلاح، ولهذا السَّبب لم يحترِق أحد من رجال (البلدة القديمة) في حقل النِّيران، على الرَّغم من أن آل هايتاور كانوا تابعين مقسمين على الولاء لآل جاردنر سادة (هايجاردن). وهكذا انطلَق اللورد مانفرد هايتاور ليُلقي التحيَّة على إجون الفاتِح عندما اقتربَ، وليقدِّم سيفه وبلدته وقسم ولائه. (يقول بعضهم إن اللورد هايتاور عرضَ أيضًا يد ابنته الصُّغرى، لكن إجون رفضَ بأدب، خشية أن يُسيء إلى ملكتيْه).

بعد ثلاثة أيام، في رحاب (السِّپت النَّجمي)، مرخَ صاحب القداسة الأعلى إجون بالزُّيوت السَّبعة بنفسه، ووضعَ تاجًا فوق رأسه، وأعلنَه إجون الأوَّل سليل عائلة تارجاريَن، ملِك الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل، سيِّد (الممالِك السَّبع) وحامي البلاد. («سيِّد الممالِك السَّبع» هو اللَّقب الذي استُخدِمَ، على الرَّغم من أن (دورن) لم تكن قد خضعَت، ولم تخضَع إلَّا بعد أكثر من قرنٍ من الزَّمان).

عددٌ قليل جدًّا من اللوردات كان حاضرًا يوم تتويج إجون الأوَّل عند مصبِّ (النَّهر الأسود)، لكن مئاتٍ حضروا تتويجه الثَّاني في (البلدة القديمة)، وهتفَ له عشرات الآلاف بعد ذلك وهو يجوب شوارع المدينة على متن بالريون. بين حاضري تتويج إجون الثَّاني كان المِايسترات ورؤساء المِايسترات من (القلعة)، وربما لهذا السَّبب أصبحَ هذا التَّتويج الثَّاني بداية عهد إجون بدلًا من التَّتويج الأوَّل عند (حصن إجون) يوم رسا.

وهكذا أصبحَت ممالك (وستروس) السَّبع مملكة موحَّدةً كُبرى، بإرادة إجون الفاتِح وأختيه.

حسبَ كثيرون أن الملك إجون سيجعل (البلدة القديمة) عاصمة

عرشه ومقرَّه الملكي بعد انتهاء الحروب، وظنَّ آخَرون أنه سيَحكُم من (دراجونستون)، قلعة تارجاريَن العتيقة، لكن الملك فاجأهم جميعًا بالإعلان عن نيَّته إقامة بلاطه في بلدةٍ جديدة ترتفع فوق التِّلال الثَّلاثة الواقعة عند مصبِّ (النَّهر الأسود)، حيث وطأت أقدامه هو وأختيه تُراب (وستروس) أوَّل مرَّة. (كينجز لاندنج) سيكون اسم البلدة الجديدة، ومن هناك سيَحكُم إجون التنِّين مملكته ويعقد بلاطه من فوق كُرسيِّه المعدني العظيم، المشكَّل من السُّيوف المصهورة والنِّصال المكسورة التي استولى عليها من كلِّ خصومه المهزومين، وهو مقعدٌ محفوفٌ بالمخاطر، سيُعرَف قريبًا في العالم كلِّه باسم عرش (وستروس) الحديدي.

عهد التنِّين

حروب الملك إجون الأوَّل

كان عهدُ الملك إجون الأوَّل (1 بعد الفتح - 37 بعد الفتح)، علاوةً على طوله، عهدَ سلامٍ إجمالًا... خاصَّة في سنواته الأخيرة. لكن قبل سلام التنِّين، كما سمَّى مِايسترات (القلعة) العقديْن الأخيريْن من حُكمه، دارَت حروب التنِّين، التي كانت سلسلة صراعاتٍ أشدَّ دمويَّةً ووحشيَّةً مما سبقَها من صراعاتٍ في (وستروس).

مع أنه قيلَ إن حروب الفتح انْتهَت عندما تُوِّجَ إجون ومُرِخ بالزُّيوت بيدَي السِّپتون الأعلى في (السِّپت النَّجمي) بـ(البلدة القديمة)، إلا أن (وستروس) لم تخضَع لإجون بأكملها بعدُ.

في (الخليج النَّاهش)، استغلَّ لوردات (الأخوات الثَّلاث) فوضى فتح إجون ليُعلنوا أنفُسهم مملكةً مستقِلَّةً ويُتوِّجوا الليدي مارلا سليلة عائلة سندرلاند ملكةً عليهم. ولما كان أسطول (الوادي) قد دُمِّر بالكامل تقريبًا في أثناء الفتح، فقد أمرَ الملك حاكم الشَّمال، تورين ستارك سيِّد (وينترفل)، بإنهاء تمرُّد رجال الأخوات، فأبحرَ جيش شمالي من

(الميناء الأبيض) بأسطولٍ مكوَّنٍ من قوادِس[1] مستأجَرة من (براقوس)، تحت قيادة السير واريك ماندرلي. تكفَّلت رؤية أشرعة الأسطول قادمةً، والظُّهور المفاجىء للملكة ڤيزينيا وتنِّينتها ڤاجهار في سماء (بلدة الأخوات)، ببثِّ الرُّعب في رجال الأخوات، فنزَعوا التَّاج عن رأس الملكة مارلا فورًا لصالح أخيها الأصغر ستفون سندرلاند، الذي جدَّد ولاءه لـ(العُش)، وركعَ للملكة ڤيزينيا، وقدَّم ولديْه رهينتيْن تعبيرًا عن حُسن النيَّات، لينشأ أحدهما مع آل ماندرلي والآخَر مع آل آرن. أمَّا أخته الملكة المخلوعة فقد نُفِيَت وحُبِسَت، وبعد خمس سنواتٍ قُطع لسانها، وأكملَت بقيَّة حياتها رِفقة الأخوات الصَّامِتات، تعتني بموتى النُّبلاء.

على جانب (وستروس) الآخَر، ضربَت الفوضى (جُزر الحديد). كانت عائلة هور قد حكمَت الحديديِّين قرونًا طويلةً، قبل أن يوضَع الحدُّ لحُكمها في ليلةٍ واحدة، عندما أطلقَ إجون نيران بالريون على (هارنهال). مع أن هارن الأسود وأولاده هلكوا جميعًا في تلك النِّيران، فقد أعلنَ كورين ڤولمارك سليل عائلة هارلو، الذي كانت جدَّته أختًا صُغرى لجدِّ هارن الأسود، أنه الوريث الشَّرعي لـ«السُّلالة السَّوداء»، وتولَّى الملك.

لم يقتنِع الحديديُّون كلُّهم بادِّعائه. في (ويك القديمة)، تحت عظام تنِّينة البحر ناجا، كان رُهبان الإله الغريق قد وضعوا تاج الخشب المجروف فوق رأس أحدهم، المدعو لودوس، الرَّجل المقدَّس حافي القدمين الذي أعلنَ نفسه الابن الحي للإله الغريق، وقيل بأنه يملك القُدرة على الإتيان بالمعجِزات. ادِّعاءات كثيرة أخرى نشأَت في (ويك الكُبرى) و(پايك) و(أوركمونت)، ولأكثر من عامٍ قاتلَ المدَّعون بعضهم بعضًا في البرِّ

1- القادِس: نوع من السُّفن المزوَّدة بمجاذيف، يتميَّز ببدنه الطَّويل الرَّفيع، والقدرة على الملاحة في الظُّروف غير المواتية، واستُخدِم في الحرب والتِّجارة والقرصنة. (المترجمون).

والبحر، وقد قيلَ بأن المياه بين الجُزر كانت طافحةً بالجُثث لدرجة أن الكَراكن[2] ظهرت بالمئات منجذبةً إلى الدِّماء الغزيرة المراقة.

وضعَ إجون تارجاريَن حدًّا للقِتال عندما ذهبَ على متن بالريون إلى (جُزر الحديد) في عام 2 بعد الفتح، وذهبَت معه الأساطيل الحربيَّة لكلٍّ من (الكرمة) و(هايجاردن) و(لانسپورت)، وحتى بعض السُّفن الطَّويلة من (جزيرة الدِّببة) مبعوثةً من اللورد تورين ستارك. كانت أعداد الحديديِّين قد تناقصَت كثيرًا بعد عامٍ من الحرب الأهليَّة، فلم يَصدُر منهم إلَّا مقاومة طفيفة... وكثير منهم هلَّل لقدوم التَّنانين. قتلَ إجون تارجاريَن كورين ڤولمارك بسيفه (اللَّهب الأسود)، لكنه سمحَ لابنه الرَّضيع بوراثة أراضي السيِّد والده وقلعته. وفي (ويك القديمة) حاولَ الملك الرَّاهب الذي ادَّعى أنه ابن الإله الغريق استدعاء الكَراكِن للصُّعود من الأعماق وسحب سُفن الغُزاة وإغراقها، وعندما عجزَ لودوس عن ذلك ملأَ جيوب إزاره بالحجارة وألقى نفسه في البحر «للسَّعي لمشورة والدي»، وتبعَه آلاف، حتى إن جُثثهم المنتفخة التي قضمَتها السَّراطين ظلَّت تُجرَف إلى شواطئ (ويك القديمة) طوال سنواتٍ بعد الحادثة.

لاحقًا ظهرَت مسألةٌ جديدةٌ أمام الملك، وهي اختيار مَن عليه أن يَحكُم (جُزر الحديد). طُرِحَ على الملك تقديم الجُزر لآل تَلي سادة (ريڤررَن) أو آل لانستر سادة (كاسترلي روك)، بل واقترحَ بعضهم تقديمَها لآل ستارك سادة (وينترفل). وقد استمعَ إجون للاقتراحات كلِّها، لكنه سمحَ في النِّهاية للوردات (جُزر الحديد) النَّاجين باختيار حاكمهم الأعلى، وقد اختاروا دون إثارة أيِّ مفاجآتٍ واحدًا منهم: ڤيكون جرايچوي سيِّد حصاد (پايك)، وبعدها قدَّم ڤيكون البيعة

2- الكرِاكِن (ج. كَراكِن): وحش بحري أسطوري عملاق يظهر على سطح البحر مثل الجزيرة، وله أذرع أخطبوطيَّة طويلة تلتفُّ حول السُّفن وتُغرِقها. (المترجمون).

للملك إجون، وغادرَ التنِّين الجُزر برفقة أسطوله.

سيطرَ ڤيكون جرايجوي على حدود (جُزر الحديد) فقط، إذ تخلَّى عن حيازة جميع الأراضي التي كانت تحت حُكم آل هور على البرِّ الرَّئيسي. قدَّم إجون أطلال قلعة (هارنهال) ونطاق حُكمها للسير كوينتون كوهريس قيِّم السِّلاح في (دراجونستون)، مع توجيه الأمر له بقبول اللورد إدمين تَلي سيِّد (ريڤررَن) حاكمًا أعلى فوقه. كان للورد الجديد كوينتون ابنان قويَّان وحفيد سمين لتأمين الخلافة، لكن بما أن زوجته الأولى وافَتها المنيَّة بسبب الحُمَّى قبل ثلاث سنوات، فقد وافَق اللورد كوينتون على اتِّخاذ إحدى بنات اللورد تَلي زوجةً.

باستِسلام (الأخوات الثَّلاث) و(جُزر الحديد)، أصبحَ كلُّ ما هو جنوب (الجِدار) في (وستروس) تحت حُكم إجون تارجاريَن، باستثناء (دورن) وحدها، وعليه كان المكان التَّالي الذي استدعى من التنِّين اهتمامه هو (دورن). حاول الملك أوَّلًا كسبَ ولاء الدورنيِّين عن طريق الكلمات، بإرسال بعثةٍ من اللوردات النُّبلاء والمِايسترات والسِّپتونات إلى (صنسپير) للتَّعامُل مع الأميرة ميريا مارتل المدعوَّة بـ«ضِفدعة (دورن) الصَّفراء»، وإقناعها بمكاسب ضمِّ مملكتها إلى سُلطان الملك. تواصلَت المفاوَضات لمدَّةٍ قاربَت العام، لكنها لم تُحقِّق أيَّ نتائج.

بشكلٍ عام، ترجع بداية الحرب الدورنيَّة الأولى إلى عام 4 بعد الفتح، عندما عادَت رينس تارجاريَن إلى (دورن)، هذه المرَّة بالنَّار والدَّم كما توعَّدت من قبل. على ظهر ميراكسس ظهرَت الملكة من السَّماء الصَّافية وأحرقَت (بلدة الأخشاب). وثبَت النَّار من قاربٍ إلى آخَر حتى صارَ مصبُّ (الدَّم الأخضر) مملوءًا بحُطام السُّفن المشتعِلة، وكانت أعمدة الدُّخان المنبعثة من البلدة مرئيَّةً من (صنسپير) ذاتها. أوى سُكَّان

البلدة العائمة إلى النَّهر من أجل الهرب من النِّيران، وهكذا مات أقلُّ من مئة شخصٍ في أثناء الهجوم، أغلبهم من جرَّاء الغرق وليس بنيران التنِّين... لكن الدِّماء الأولى كانت قد أريقَت بالفعل.

في مكانٍ آخَر قادَ أوريس باراثيون ألفًا من خيرة الفُرسان عبر (طريق العظام)، فيما زحفَ إجون بنفسه عبر (ممرِّ الأمير) على رأس جيشٍ قوامه ثلاثون ألف رجل، يقودهم نحو ألفي فارس على جيادهم وثلاثمئة من اللوردات وحملة الرَّايات، وقد سُمِعَ اللورد هارلان تايرل حاكم الجنوب يقول إن لديهم قوَّاتٍ أكثر من كافية لسحق أيِّ جيشٍ دورني يُحاوِل الوقوف أمامهم، حتى من دون إجون وبالريون.

وله الحقُّ في ذلك لا شكَّ، وإن لم يُبرهَن على صحَّة قوله قَطُّ، لأن الدورنيِّين لم يسعوا للمعركة، وبدلًا من ذلك انسحَبوا قبل وصول جيش إجون، يُحرِقون محاصيلهم في الحقول ويُسمِّمون كلَّ بئر. وجدَ الغُزاة أبراج مُراقبة الدورنيِّين في (الجبال الحمراء) مهملةً مهجورةً، وفي الممرَّات العالية وجدَت طليعة إجون طريقها مسدودًا بجدارٍ من جُثث الأغنام المجزوز صوفها كلُّه وأعفن من أن تُؤكَل. كان طعام جيش الملك وعلفه في طريقهما إلى النَّفاد بالفعل لدى خروجه من (ممرِّ الأمير) لمواجهة الرِّمال الدورنيَّة. هناك قسمَ إجون قوَّاته، فأرسلَ اللورد تايرل جنوبًا لمواجهة أوثور أولر سيِّد (هضبة الجحيم)، فيما توجَّه هو شرقًا لمحاصرة اللورد فاولر في قلعته الجبليَّة، (قلعة السَّماء).

كانت تلك السَّنة الثَّانية من الخريف، ويُعتقَد أن الشِّتاء قريب. في ذلك الفصل كان الغُزاة يأملون أن يكون الحرُّ أخفَّ في الصَّحاري، والمياه أوفر، لكن الشَّمس الدورنيَّة أثبتَت أنها لا تعرف الهوادة فيما زحفَ اللورد تايرل نحو (هضبة الجحيم). في مثل هذه الحرارة يشرب

الرِّجال أكثر، وكانت كلُّ بئرٍ وواحةٍ في طريق الجيش مسمَّمةً. بدأت الخيول تموت بأعدادٍ تزايدَت يوميًّا، وتبعَها راكبوها، وتخلَّى الفُرسان الفخورون عن راياتهم وتروسهم ودروعهم. فقدَ اللورد تايرل رُبع جيشه وجميع خيوله تقريبًا تحت سطوة الرِّمال الدورنيَّة، ولما وصلَ أخيرًا إلى (هضبة الجحيم) وجدَها مهجورةً.

أبلى أوريس باراثيون بلاءً أفضل بعض الشَّيء في هجومه. كافحَت خيوله على المنحدرات الصَّخريَّة للطُّرق الضيِّقة الملتوية، لكن العديد منها رفضَ المواصلة تمامًا عند الوصول إلى أشدِّ مناطق الطَّريق انحدارًا، حيث حفرَ الدورنيُّون مراقيَ في الجبال. أُمطِرَ فُرسان اليد بالجلاميد من أعلى، وهو فعلٌ من المدافعين الدورنيِّين لم يشهده رجال العواصف قطُّ. وعلى (نهر وايل)، حيث يقطَعه (طريق العظام)، ظهرَ الرُّماة الدورنيُّون فجأةً فيما شقَّ طابور الجنود طريقه عبر الجسر، وانهمرَت عليهم السِّهام بالآلاف، وعندما أمرَ اللورد أوريس رجاله بالتَّراجُع، سدَّ انهيار صخري هائل طريق انسحابهم. بلا سبيلٍ للتقدُّم أو العودة، ذُبِّحَ رجال العواصف مثل الخنازير في زريبة، أمَّا أوريس باراثيون نفسه فقد عُفِيَ عنه إلى جانب دستةٍ من اللوردات الآخَرين اعتُقِدَ أنهم يستحقُّونَ فديةً، لكنهم وجدوا أنفسهم أسرى عند وايل ابن (وايل)، سيِّد الجبل الجلف المتوحِّش الملقَّب بعاشق الأرامل.

حالفَ الملك إجون نفسه نجاح أكبر، إذ زحفَ شرقًا عبر التِّلال السَّفحيَّة حيث وفَّر الجريان السَّطحي من المرتفعات مصدرًا للمياه، وكان الصَّيد وفيرًا في الوديان، فاستولى على (قلعة السَّماء) بالقوَّة، وفازَ بـ(يرونوود) بعد فترةٍ وجيزةٍ من الحِصار، وكان سيِّد (الرَّبوة) قد ماتَ مؤخَّرًا، واستسلمَ وكيله دون قِتال. على مسافةٍ أبعد شرقًا، أرسلَ اللورد

تولانـد سيِّد (تـل الأشباح) بطلَه ليُواجِـه الملك في نـزالٍ فـردي، فقبـلَ إجون التَّحدي وقتلَ الرَّجل، فقط ليكتشف أنه لم يكن بطل تولاند، بل مهرِّجه، أمَّا اللورد تولانـد نفسـه فقـد اختفى.

واختفَت أيضًا ميريا مارتـل، أميرة (دورن). عندما نـزل الملك إجـون ببالريون على (صنسپير)، وجدَ أخته سبقَته إلى هناك. بعد أن أحرقَت ريينس (بلدة الأخشاب)، استولَت على (غابة اللَّيمون) و(الخَمَّة) و(الغابة الرَّقطاء)، وقبلت فروض الطَّاعة من النِّساء المسنات والأطفال، ولكن بلا وجودٍ لعدوٍّ حقيقي. حتى مدينة الظِّل خارج أسوار (صنسپير) كانت نصف مهجورة، ولم يعترف أيٌّ من الأهالي المتبقِّين فيها بأيِّ معلوماتٍ عن مكان اللوردات والأميرة الدورنيَّة. قالت الملكة ريينس للملك إجون: «لقد اختفَت الضِّفدعة الصَّفراء في الرِّمال».

وكان ردُّ إجون هو إعلان النَّصر، إذ جمعَ من تبقَّى من الوُجهاء في القاعة الكُبرى بـ(صنسپير)، وأخبرَهم أن (دورن) الآن جزءٌ من المملكة، ومن الآن فصاعِدًا سيكونون رعاياه المخلصين، وأن لورداتهم السَّابقين متمرِّدون وخارجون عن القانون، وقد عُرضت مُكافَآت لقاء رؤوسهم، لا سيَّما الضِّفدعة الصَّفراء، الأميرة ميريا مارتل. عُين اللورد چون روزبي أمينَ القلعة في (صنسپير) وحاكِم الرِّمال ليَحكُم (دورن) باسم الملك، وعُيِّنَ وكَلاء وأُمناء قلاعٍ على جميع الأراضي والقلاع الأخرى التي استولى عليها الفاتِح، ثمَّ رحلَ الملك إجون وجيشه من الطَّريق الذي جاؤوا منه، غربًا بطول التِّلال السَّفحيَّة وعبر (ممر الأمير).

وبالكاد كانوا قد وصلوا إلى (كينجز لاندنج) قبل أن تثورَ (دورن) من خلفهم. ظهرَ حاملو الحِراب الدورنيُّون من العدم، مِثل أزهار الصَّحراء بعد المطر، فأعادوا الاستيلاء على (قلعة السَّماء) و(غابة اللَّيمون) و(الرَّبوة) و(تل الأشباح) في غضون أسبوعين، وقتلوا حامياتها الملكيَّة.

لم يُسمَح لأُمناء قلاع إجون ووُكلائه بالموت إلا بعد تعذيبٍ طويل، وقد قيل إن اللوردات الدورنيِّين تراهَنوا على من يقدر على إبقاء أسراه على قيد الحياة لأطولِ فترةٍ ممكنة فيما يُمزِّق أطرافهم. لاقى اللورد روزبي، أمين القلعة في (صنسپير) وحاكِم الرِّمال، نهايةً أرحم من معظمهم، فبعد انقضاض الدورنيِّين من مدينة الظِّل لاستعادة القلعة، قُيِّدَت يداه وقدماه وجُرجِرَ إلى أعلى (بُرج الحربة)، وألقَته من النَّافذة الأميرة ميريا المسنَّة بنفسها.

سرعان ما لم يَعُد باقيًا إلَّا اللورد تايرل وجيشه، إذ تركَ الملك إجون تايرل خلفه عندما رحلَ. كانت (هضبة الجحيم) قلعةً قويَّةً على (نهر الكِبريت)، يُظَنُّ أن موقعها مناسب للتَّعامُل مع أيِّ ثورات. غير أن النَّهر -كما يقول اسمه- كبريتي، وتسبَّب السَّمك المصطاد منه في مرض رجال (هايجاردن). لم يكن آل كورجايل سادة (حجر الرمل) قد خضعوا، فقتلَ حمَلة حِراب كورجايل فِرق تحصيل المؤن ودوريَّات جيش اللورد تايرل كلَّما ضلَّت طريقها بعيدًا جهة الغرب، وهو الشَّيء ذاته الذي فعلَه آل ڤايث سادة (ڤايث) في الشَّرق. حين وصلَت أخبار سقوط (صنسپير) إلى (هضبة الجَحيم)، جمعَ اللورد تايرل قوَّاته المتبقِّية وانطلقَ عبرَ الرِّمال. كانت نيَّته المعلنة احتلال (ڤايث)، ثم الزَّحف شرقًا بطول النَّهر واستعادة (صنسپير) ومدينة الظِّل، ومعاقبة قتَلة اللورد روزبي، ولكن في مكانٍ ما شرق (هضبة الجَحيم)، وسط الرِّمال الحمراء، اختفى تايرل وجيشه بالكامل، ولم يُرَ أيُّ رجلٍ منهم مرَّةً أخرى.

لم يكن إجون تارجارين رجلًا يقبل الهزيمة. استمرَّت هذه الحرب سبع سنين أخرى، إلَّا أن القتال انحسرَ بعد عام 6 بعد الفتح مستحيلًا إلى سلسلةٍ دمويَّة لا نهائيَّة من الفظائع والغارات والانتقامات، تخلَّلتها فترات طويلة من الخمول وعدد من الهُدن قصيرة الأمد، وعدَّة من عمليَّات القتل والاغتيال.

في عام 7 بعد الفتح، دُفِعَت فدية عودة أوريس باراثيون، واللوردات الآخَرين الذين أُسِروا على (طريق العظام)، إلى (كينجز لاندنج)، وقُدِّرَت بوزن كلٍّ منهم ذهبًا، ولكن لدى عودتهم تبيَّن أن عاشِق الأرامل بترَ اليد حاملة السَّيف لكل رجلٍ منهم، لكي يضمن ألَّا يرفعوا سيوفهم ضد (دورن) ثانيةً. لذا، انتقامًا له، كرَّ الملكَ إجون بنفسه ممتطيًا بالريون على المعاقل الجبليَّة في (ويل)، وحوَّل نصف دستةٍ من حصونها وأبراج المراقبة إلى حجارةٍ مصهورة. على أن آل وايل لاذوا بالكهوف والأنفاق تحت جبالهم، وعاشَ عاشق الأرامل عشرين سنةً أخرى.

في عام 8 بعد الفتح، وكان عامًا شديد الجفاف، عبرَ المغيرون الدورنيُّون (بحر دورن) على متن السُّفن التي قدَّمها لهم ملك قراصنةٍ من (الأعتاب)، مهاجمين نصف دستةٍ من القُرى والبلدات بطول السَّاحل الجنوبي لـ(رأس الغضب)، ومشعلين حرائق انتشرَت في نصف مساحة (الغابة المطيرة). يُقال إن الأميرة ميريا قالت: «النَّار مقابل النَّار».

لم يكن هذا بشيءٍ يسمح به آل تارجاريَن دونَ رَدٍّ. في وقتٍ لاحِق من العام نفسه، ظهرَت ڤيزينيا تارجاريَن في سماء (دورن)، وأطلقَت نيران ڤاجهار على (صنسپير) و(غابة الليمون) و(تل الأشباح) و(الرَّبوة).

وفي عام 9 بعد الفتح عادَت ڤيزينيا مجدَّدًا، وهذه المرَّة معها إجون نفسه، واحترقَت (حجر الرَّمل) و(ڤايث) و(هضبة الجحيم).

جاء ردُّ الدورنيِّين في العالم التَّالي، حين قاد اللورد فاولر جيشًا عبر (ممر الأمير) دخلَ به (المرعى)، حيث تحرَّك بسرعةٍ كبيرةٍ جدًّا لدرجة أنه استطاعَ إحراق عشرات القُرى والاستيلاء على (التغريدة)، القلعة الحدوديَّة العظيمة، قبل أن يُدرك لوردات (التُّخوم) أن العدو قد هجمَ عليهم. عندما وصلَت أخبار الهجوم إلى (البلدة القديمة)، أرسل اللورد هايتاور ابنه أدام بقوَّةٍ ذات شوكةٍ لاستعادة (التَّغريدة)، لكن الدورنيِّين

كانوا قد توقَّعوا ذلك تحديدًا. جيشٌ ثانٍ من الدورنيِّين تحت قيادة السير چوفري داين انصبَّ من (ستارفول) وهاجمَ (البلدة القديمة)، ولئن أثبتَت أسوار المدينة أنَّها قويَّة جدًّا وعصيَّةٌ على الدورنيِّين، فقد أحرقَ چوفري داين الحقول والمزارعِ والقُرى على مسافة عشرين فرسخًا حول المدينة، وقتلَ جارمون الابن الأصغر للورد هايتاور حين قادَ الفتى غارةً ضدَّه. وصلَ السير أدام هايتاور إلى (التَّغريدة) ليجد أن اللورد فاولر أحرقَ القلعة وقتلَ أفراد حاميتها جميعًا، في حين نُقِلَ اللورد كارون وزوجته وأطفاله إلى (دورن) بعد أسْرهم. بدلًا من السَّعي خلفهم، عادَ السير أدام هايتاور مسرعًا إلى (البلدة القديمة) لنجدتها، لكن السير چوفري داين وجيشه كانوا قد اختفوا في الجبال ثانيةً.

تُوفِّيَ اللورد العجوز مانفرد هايتاور بعد فترةٍ وجيزة، وخلفَه ابنه السير أدام هايتاور سيِّدًا لـ(البُرج العالي)، فيما نادَت (البلدة القديمة) بالانتِقام. طارَ الملك إجون ببالريون إلى (هايجاردن) ليتشاوَر مع حاكم الجنوب، لكن ثيو تايرل، اللورد الشَّاب، تردَّد للغاية في التفكير بغزوٍ آخَر لـ(دورن) بعد المصير الذي حلَّ بوالده.

مرَّةً أخرى أطلق الملك العنان لتنانينه ضدَّ (دورن). هجمَ إجون نفسه على (قلعة السَّماء)، متعهِّدًا بأن يجعل معقل آل فاولر «هارنهال ثانيةً»، فيما جلَبت ڤيزينيا وڤاجهار النَّار والدَّم إلى (ستارفول)، وعادَت ريينس وميراكسس من جديدٍ إلى (هضبة الجحيم)... حيث وقعَت المأساة.

لقد وُلِدَت تنانين آل تارجاريَن ودُرِّبَت على المعارك، وحلَّقَت وسط عواصف من الحِراب والسِّهام في مناسباتٍ عِدَّة من غير أن تتضرَّر كثيرًا، ذلك أن حراشِف التنِّين كامل البلوغ أقسى من الفولاذ، وحتى السِّهام التي أصابَت هدفها نادرًا ما اخترقَته بما يكفي لتسبيب ما هو أكثر من إغضاب تلك الوحوش العظيمة. بينما كانت ميراكسس طائرةً

فوق (هضبة الجحيم)، أطلقَ أحد المدافعين فوق أعلى بُرجٍ في القلعة سهم عرَّادةٍ[3] طوله ياردة، أصابَ تنِّينة الملكة في عينها اليُمنى. لم تمُت ميراكسس في الحال، بل سقطَت على الأرض في ألمٍ مميت، مدمِّرةً البُرج وجزءًا كبيرًا من أسوار (هضبة الجحيم) في سكرات موتها.

إن كانت رينس قد عاشَت بعد موت تنِّينتها فهذا موضع خلاف. يقول البعض إن توازُنها اختلَّ وسقطَت لتلقى حتفها، والبعض الآخَر إنها سُحِقت تحت ميراكسس في ساحة القلعة، ويَزعُم بعض الرِّوايات أن الملكة نجَت من سقطة تنِّينتها، لتُعاني موتًا بطيئًا بالتعذيب في زنازين آل أولر. على الأرجح لن تُعرَف ظروف موتها الحقيقيَّة أبدًا، لكن رينس تارجاريَن، أخت الملك إجون الأوَّل وزوجته، قضَت نحبها عند (هضبة الجحيم) بـ(دورن) في عام 10 بعد الفتح.

كان العامان التَّاليان عامَي غضبة التنِّين. كلُّ قلعةٍ في (دورن) أُحرِقَت ثلاث مرَّات، إذ عادَ باليريون وڤاجهار مرارًا وتكرارًا، وانصهَرت الرِّمال حول (هضبة الجحيم) وتحوَّلَت إلى زُجاجٍ في بعض الأماكِن بفعل أنفاس باليريون اللَّاهبة. أُجبِر لوردات (دورن) على الاختباء، لكن حتى ذلك لم يجعلهم في مأمَن، إذ قُتِلَ غيلةً، واحدًا تلوَ الآخَر، اللورد فاولر واللورد ڤايث والليدي تولاند وأربعة من لوردات (هضبة الجحيم) المتعاقبين، فالعرش الحديدي كان قد عرضَ فدية لورد ذهبًا مُقابل رأسِ أيِّ لوردٍ دورني. عاش اثنان فقط من القَتَلة ليُحصِّلوا الجائزة، ومع ذلك نالَ الدورنيُّون انتقامهم، وسدَّدوا الدَّمَ بالدَّمِ، فقُتِلَ اللورد كوننجتون سيِّد (وكر الجرافِن) في أثناء الصَّيد، وسُمِّمَ اللورد مرتنز سيِّد (غابة الضَّباب) وأُسرته ببرميلٍ من النَّبيذ الدورني، وخُنِقَ اللورد فِل في ماخور بـ(كينجز لاندنج).ولم يكن آل تارجاريَن أنفسهم بمنأى، إذ تعرَّض الملك للهجوم ثلاث مرَّات، وكان من الممكن أن يُقتل في اثنتين منها لولا حُرَّاسه،

3- العرَّادة: آلة حَربيَّة قَديمة مثل المنجَنيق، تُقذَف بها الأحجار والسِّهام الكبيرة. (المترجمون).

وهُوجِمَت الملكة ڤيزينيا ذات ليلةٍ في (كينجز لاندنج)، وقُتل اثنان من حرسها المرافقين قبل أن تفتك ڤيزينيا نفسها بالمهاجم الأخير بسيفها (الأخت المظلِمة).

شهِدَ عام 12 بعد الفتح الحدث الأحقر في تلك الفترة الدمويَّة، حين وصلَ عاشِق الأرامل وايل ابن (وايل) بلا دعوةٍ إلى حفلِ زفاف السير چون كافِرن وريث (بلدة الظِّباء) وآليس أوكهارت ابنة سيِّد (السِّنديانة القديمة). بعد أن أدخلَهم خادم خائن من بوَّابةٍ جانبيَّة، قتلَ المهاجمون التابعون للورد وايل اللورد أوكهارت ومعظم ضيوف الزِّفاف، ثم أجبَروا العروس على المشاهدة وهُم يخصون زوجها، وتناوَبوا بعد ذلك على اغتصاب الليدي آليس ووصيفاتها، ثم أخَذوهن وباعوهن إلى نخَّاسٍ مايري.

في ذلك الحين كانت (دورن) قد أصبحَت عبارةً عن صحراء داخِنة، ديارًا منكوبةً تفشَّى فيها الطَّاعون والمجاعة. سمَّاها تُجَّار المدُن الحُرَّة أرضًا خرابًا، ومع ذلك ظلَّت عائلة مارتل *لا تنحني، لا تخضع، لا تنكسِر*، كما تقول كلماتها. أصرَّ فارسٌ دورني، مثلَ أمام الملكة ڤيزينيا أسيرًا، أن الأميرة ميريا تُفضِّل رؤية قومها موتى على أن تراهُم عبيدًا لآل تارجاريَن، لتردَّ ڤيزينيا بأنه سيسعدها وأخاها أنْ يُحقِّقا للأميرة رغبتَها.

أخيرًا، فعلَت السِّنُّ والصِّحَّة المعتلَّة ما لم تستطِع التَّنانين والجُيوش فِعله، ففي عام 13 بعد الفتح ماتَت ميريا مارتل، ضِفدعة (دورن) الصَّفراء في فِراشها (فيما أصرَّ أعداؤها على أنها ماتَت في أثناء علاقةٍ حميمة مع فحل حصان). خلفَها ابنها نيمور في منصب سيِّد (صنسپير) وأمير (دورن)، وكان شيخًا يبلغ من العمر ستين عامًا، وصحَّته متدهورة بالفعل. لم تكن لدى الأمير الدورنيّ الجديد أيُّ رغبةٍ في المزيد من المذابح، فبدأ عهده بإرسال وفدٍ إلى (كينجز لاندنج)، لإعادة جمجمة

التنِّينة ميراكسس وعرض شروط السَّلام على الملك إجون، وترأَّست ابنته ووريثته ديريا الوفد.

لاقَت شروط السَّلام التي قدَّمها الأمير نيمور معارضةً شديدةً في (كينجز لاندنج). لم تقبَل الملكة ڤيزينيا بالشُّروط على الإطلاق، وأعلنَت: «لا سلام دون خضوع»، وردَّد أصدقاؤها في مجلس الملك كلماتها، فيما جادلَ أوريس باراثيون، الذي ازدادَ استياءً ومرارةً في سنواته اللَّاحقة، من أجل إعادة الأميرة ديريا إلى والدها مَبتورة اليد، في حين أرسلَ اللورد أوكهارت غُدافًا، مقترحًا بيع الفتاة الدورنيَّة إلى «أحقر ماخور في (كينجز لاندنج)، حتى يستمتع بها كلُّ متسوِّلٍ في المدينة». رفضَ إجون تارجاريَن هذه الاقتراحات كلَّها، فالأميرة ديريا جاءَت مبعوثةً تحت راية السَّلام، وقد تعهَّد بأنها لن تتعرَّض لأيِّ أذى تحت سقفه.

لقد سئِمَ الملك الحرب، وهو ما اتَّفق عليه الجميع، لكن منحَه الدورنيِّين السَّلام دون خضوعٍ سيكون بمثابة القول بأن أخته الحبيبة رينس ماتَت عبثًا، وأن تلك الدِّماء والتَّضحيات كلَّها ذهبَت هباءً منثورًا. حذَّر مستشارو مجلسه الصَّغير كذلك من أن أيَّ سلامٍ من هذا القبيل يُمكن أن يُنظر إليه على أنه علامة ضعف، وقد يُشجِّع على تمرُّداتٍ جديدة لا بُدَّ من قهرها. كان إجون يُدرِك أن (أراضي العواصف) و(المرعى) و(التُّخوم) عانَت بشدَّةٍ في أثناء القتال، ولن تُسامِح أو تنسى. حتى في (كينجز لاندنج) لم يجرؤ الملك على السَّماح للدورنيِّين بالخروج من (حصن إجون) دون حراسةٍ مُشدَّدة، خوفًا من أن يُمزِّقهم عامَّة المدينة أشلاءً. في وقتٍ لاحق كتبَ المِايستر الأكبر لوكان أن لهذه الأسباب كلِّها كان الملك على وشك رفض عرض (دورن)

وإعلان مواصلة الحرب.

وعندئذٍ قدَّمت الأميرة ديريا للملك رسالةً مختومةً من والدها، وقالت: «لعينيك فقط يا صاحب الجلالة».

قرأَ الملك إجون كلمات الأمير نيمور في أثناء عقد البلاط بوجهٍ جامدٍ وحسٍّ صامت وهو جالس على العرش الحديدي، وقال النَّاس إنه عندما نَهَضَ بعد ذلك كانت يده تَقطُر دمًا. أحرقَ إجون الرِّسالة ولم يتحدَّث عنها مرَّةً أخرى قَطُّ، لكنه في تلك اللَّيلة امتطى بالريون وطارَ عبر (الخليج الأسود) متَّجهًا إلى (دراجونستون) فوق جبلها الدَّاخن، وحين عاد في صباح اليوم التَّالي وافقَ إجون تارجاريَن على الشُّروط التي قدَّمها نيمور، وسرعان بعدها ما وقَّع معاهدة سلامٍ أبدي مع (دورن).

حتى يومنا هذا لا أحد بإمكانه الجزم بفحوى رسالة ديريا. يدَّعي البعض أنها كانت التماسًا بسيطًا من أبٍ إلى آخَر، كلمات صادقةً لامسَت قلبَ الملك إجون، ويصرُّ آخرون أنها كانت لائحةً بأسماء كلِّ اللوردات والفُرسان النُّبلاء الذين فقَدوا حياتهم في الحرب، في حين تمادى سِپتونات معيَّنون إلى حدِّ القول بأن الرِّسالة كانت مسحورةً، كتبَتها الضِّفدعة الصَّفراء قبل وفاتها مستخدمةً قارورةً من دماء الملكة رينيس كحِبر، حتى يعجز الملك عن مقاومة سحرها الخبيث.

استنتجَ المِايستر الأكبر كليج، الذي جاءَ إلى (كينجز لاندنج) بعد سنواتٍ عديدة، أن (دورن) لم تعُد لديها طاقةٌ للقتال، واقترحَ أن الأمير نيمور ربما هدَّد –بدافع اليأس في حال رُفِضَ سلامه– باستئجار رجال (براڤوس) عديمي الوجوه لقتل إينس وريث الملك إجون وابنه من الملكة رينيس، الذي كان في السَّادسة فقط آنذاك. قد يكون الأمر كذلك... لكن أحدًا لن يعرف الحقيقة أبدًا.

وهكذا انتهت الحرب الدورنيَّة الأولى (13-4 بعد الفتح).

لقد فعلَت ضفدعة (دورن) الصَّفراء ما عجزَ عنه هارن الأسود، والملكان، وتورين ستارك؛ هزمَت إجون تارجاريَن وتنانينه. ومع ذلك لم تُكسِبها تكتيكاتها إلَّا الازدراء شمال (الجبال الحمراء)، وأصبحَت «الشَّجاعة الدورنيَّة» اسمًا ساخرًا مرادفًا للجُبن بين لوردات ممالك إجون وفُرسانها. دوَّن أحد الكتَبة عن ذلك: «تنطُّ الضِّفدعة إلى جُحرها عندما تتعرَّض للتهديد»، وقال آخَر: «قاتلَت ميريا كامرأة، عن طريق الأكاذيب والخيانة والشَّعوذة». كان يُنظَر إلى «نصر» (دورن) -إن عُدَّ نصرًا- على أنه وصمة عار، وقد وعدَ النَّاجون من القتال، وأبناء القتلى وإخوتهم، بعضهم بعضًا بأن يومًا آخَر سيأتي، ومعه الحساب آتٍ.

سيتطلَّب انتقامهم الانتظار حتى جيل مُستقبلي، وارتقاء ملكٍ أصغر وأكثر تعطُّشًا للدِّماء العرش. على الرَّغم من أنه سيجلس على العرش الحديدي أربعًا وعشرين سنةً أخرى، فإن الصِّراع الدورني كان حرب إجون الفاتِح الأخيرة.

للتِّنين ثلاثة رؤوس

الحُكم في عهد الملك إجون الأوَّل

كان إجون تارجاريَن الأوَّل مُحاربًا ذائع الصِّيت، أعظم فاتِحٍ في تاريخ (وستروس)، ومع ذلك يعتقد كثيرون أنه حقَّق إنجازاته الأهم في أوقات السِّلم. يُقال إن العرش الحديدي صيغَ بالنَّار والفولاذِ والخوف، ولكن بمجرَّد أن بردَ، أصبحَ العرش سُدَّة العدالة لـ(وستروس) كلِّها.

كان وفاق (الممالِك السَّبع) تحت حُكم آل تارجاريَن مُرتكَز سياسات إجون الأوَّل الملكيَّة، ولتحقيق تلك الغاية بذلَ جهودًا كبيرةً لإشراك رجال (بل وبعض النِّساء) من كل بُقعةٍ من المملكة في بلاطه ومجالسه، وشُجِّعَ خصومه السَّابقون على إرسال أولادهم (لا سيَّما الأبناء والبنات الأصغر سِنًّا، إذ أراد معظم كبار اللوردات إبقاء ورثتهم بجانبهم) إلى بلاطه، حيث خدمَ الأولاد بصفتهم تابعين وسُقاةً ومُرافقين للفرسان، والفتيات بصفتهن رفيقاتٍ ووصيفاتٍ لملكتَي إجون. في (كينجز لاندنج) شهدَ هؤلاء بأنفسهم عدلَ الملك، وحُثُّوا على عدِّ أنفسهم رعايا مخلصين لمملكة عظيمة واحدة، لا غربيِّين أو من (أراضي العواصف) أو شماليِّين.

توسَّط آل تارجاريَن في عدَّة زيجاتٍ بين العوائل النَّبيلة من جميع أنحاء المملكة، على أمل أن يُساعِد مثل هذه التَّحالفات على ربطِ بعض الأراضي المفتوحة ببعض، وجعلِ سبعة الممالك مملكة واحدةً. استمتعَت ملكتا إجون، ريينس وڤيزينيا، استمتاعًا خاصًّا بترتيب هذه الزِّيجات، ومن خلال جهودهن تزوَّج اللورد رونل آرن سيِّد (العُش) بابنة اللورد تورين ستارك سيِّد (وينترفل)، وتزوَّج ابن لورن لانستر البِكر ووريث (كاسترلي روك) فتاةً من آل ردواين سادة (الكرمة)، وعندما أنجبَ نجم المساء سيِّد (تارث) ثلاث بناتٍ توائم، رتَّبت الملكة ريينس لهن خطبةً مع كلٍّ من عوائل كوربراي وهايتاور وهارلو، وتوسَّطت الملكة ڤيزينيا في زواجٍ مزدوج بين عائلتَي بلاكوود وبراكن، العائلتيْن المتخاصمتيْن اللتين يرجع تاريخ العداوة بينهما قرونًا، بحيث يتزوَّج ابن من كلِّ عائلة بابنةٍ من العائلة الأخرى لإبرام الصُّلح بينهما، وعندما اكتشفَت بنتٌ لعائلة روان في خدمة الملكة ريينس أنها حامِل بطفلٍ من عامل مطابخ، وجدَت الملكة لها فارسًا في (الميناء الأبيض) يتزوَّجها، وآخَر في (لانسپورت) كان على استعدادٍ لتبنِّي نغلها.

على الرَّغم من أن أحدًا لم يُشكِّك في أن السُّلطة النِّهائيَّة كانت لإجون تارجاريَن في كلِّ المسائِل المتعلِّقة بإدارة المملكة، ظلَّت أختاه ڤيزينيا وريينس شريكتيْن له في السُّلطة طوال فترة حُكمه. باستثناء الملكة الكريمة أليسين، زوجة الملك چهيرس الأوَّل، لم تتمتَّع ملكة أخرى في تاريخ (وستروس) بمثل نفوذ شقيقتَي التنِّين على السِّياسة. كان من عادة الملك أن يصطحِب معه إحدى ملكتيْه أينما سافرَ، فيما تبقى الأخرى في (دراجونستون) أو (كينجز لاندنج)، جالسةً في أغلب الأحيان على العرش الحديدي لتُحكِّم في الشُّؤون المطروحة عليها.

لئن جعلَ إجون (كينجز لاندنج) مقرَّه الملكي، ووضعَ العرش الحديدي في القاعة الكُبرى بـ(حصن إجون)، إلا أنه لم يقضِ أكثر من رُبع وقته هناك، إذ قضى أغلب أيَّامه ولياليه في (دراجونستون)، قلعة أسلافه العتيقة. كانت القلعة الواقعة أسفل الجبل البُركاني المعروف بـ(دراجونمونت) تضمُّ عشرة أضعاف الغُرف في (حصن إجون)، وأكثر أمانًا وراحةً، ومليئةً بالذِّكريات. سُمِعَ الفاتِح ذات مرَّة يقول إنه أحبَّ رائحة (دراجونستون) وهوائها المالِح المفعَم برائحتَي الدُّخان والكبريت. كان إجون يقضي ما يُقارِب نصف العام في مقرَّيْه شاطرًا وقته بينهما.

أمَّا النِّصف الآخَر فكرَّسه لرحلاته الملكيَّة، يرتحِل ببلاطه من قلعةٍ إلى أخرى، وينزل ضيفًا على كلٍّ من لورداته الكبار بدوره. تشرَّفت (بلدة النَّوارس) و(العُش) و(هارنهال) و(ريفررَن) و(لانسپورت) و(كاسترلي روك) و(كراكهول) و(السِّنديانة القديمة) و(هايجاردن) و(البلدة القديمة) و(الكرمة) و(هورن هيل) و(آشفورد) و(ستورمز إند) و(بهو المساء) باستضافة جلالته عدَّة مرَّات، لكن إجون كان يستطيع زيارة أيِّ مكانٍ تقريبًا، وقد فعلَ، آخذًا معه أحيانًا ما زادَ على ألفٍ من الفُرسان واللوردات والليديهات في موكبه، فسافرَ إلى (جزر الحديد) ثلاثَ مرَّات -إلى (پايك) مرَّتين وإلى (ويك الكبرى) مرَّة- وفي عام 19 بعد الفتح قضى أسبوعين في (بلدة الأخوات)، وزارَ (الشَّمال) ستَّ مرَّات، عاقدًا بلاطه ثلاث مرَّاتٍ في (الميناء الأبيض)، ومرَّتين في (بلدة الروابي)، ومرَّةً في (وينترفل) خلال رحلته الملكيَّة الأخيرة في عام 33 بعد الفتح.

- «الأفضل أن نتحاشى الثَّورات بدلًا من أن نقمعها». هكذا كان جواب إجون الشَّهير حين سُئِلَ عن سبب جولاته. مجرَّد لمحةٍ من الملك وما يملكه من شوكة، ممتطيًا بالريون الرُّعب الأسود ومصحوبًا بمئات

الفُرسان المتألِّقين في الحرير والفولاذ، كان له أبلغ الأثر في ترسيخ الولاء في اللوردات المتردِّدين في ولائهم. وأضاف الملك أن العوام أيضًا بحاجةٍ إلى رؤية ملوكهم وملكاتهم من وقتٍ إلى آخَر، ليعلموا أنه قد تُتاح لهم الفُرصة للتَّعبير عن مظالمهم وهمومهم أمامه.

وهكذا فعلوا. كثير من الجولات الملكيَّة امتلأ بالولائم والحفلات والصَّيد بالكلاب أو الأبواز، بما أن كلَّ لورد سعى للتَّفوُّق على الآخَر في الفخامة وكرم الضِّيافة، لكن إجون حرصَ على عقد البلاط أينما حلَّ، سواءً أمن فوق منصَّةٍ في قلعة أحد كبار اللوردات، أم من فوق صخرةٍ تنمو عليها الطَّحالب في حقل مُزارع. ستة مِايسترات سافَروا معه للإجابة عن أيِّ أسئلةٍ لديه عن القانون المحلي والأعراف والتَّاريخ، ولتدوين المراسيم والأحكام التي أقرَّها جلالته. فيما بعد أخبرَ الفاتح ابنه إينس: «على الملك أن يعرف الأراضي التي يحكمُها»، ومن خلال جولاته هذه تعلَّم إجون الكثير عن (الممالِك السَّبع) وشعوبها.

كان لكلِّ مملكة من الممالِك المفتوحة قوانينها وتقاليدُها التي لم يتدخَّل فيها إجون كثيرًا، إذ سمحَ للورداته بالاستمرار في الحُكم بقدر ما فعلوا من قبل، وبالاحتفاظ بجميع الصَّلاحيَّات والامتيازات التي يتمتَّعون بها. بقيَت قوانين الميراث والخلافة على حالها، وأُقرَّت البِنَى الإقطاعيَّة الموجودة، واحتفظَ اللوردات، كبارا كانوا أم صغارًا، بسُلطة العقاب بالإغراق والشَّنق في أراضيهم، وامتياز حقِّ اللَّيلة الأولى أينما سادَ ذلك التَّقليد سابقًا.

كان السَّلام همَّ إجون الشَّاغل. قبل فتحه (وستروس) كانت الحروب شائعةً، حتى إنه لم يكد يمرُّ عامٌ دون اندلاع قتالٍ بين فريقٍ وفريقٍ في مكانٍ ما، وحتى في تلك الممالك التي قيلَ إنها تعيش في سلام، حلَّ

اللوردات خلافاتهم بحدِّ السَّيف. وضعَ ارتقاء إجون العرش الحديدي نهايةً لمعظم تلك الخلافات، والآن صارَ على اللوردات الأقل شأنًا والفُرسان مُلَّاك الأراضي أن يرفعوا خلافاتهم إلى سادتهم الأعلى ويلتزموا أحكامهم، فيما تُرفع خلافات العوائل الكُبرى للتَّاج ليفصل فيها. حسبما قضى الملك إجون، «القانون الأوَّل للملك هو سلامُ الملك، وأيُّ لورد يشنُّ الحرب دون إذني سيُعدُّ متمرِّدًا وعدوًّا للعرش الحديدي».

أصدرَ الملك إجون أيضًا مراسيم تُنظِّم الجمارك والرُّسوم والضَّرائب في جميع أنحاء المملكة، لما كان للموانى كلِّها واللوردات الصِّغار كلِّهم في السَّابق كامل الحريَّة في تحديد الضَّرائب المحصَّلة من المستأجِرين العوام والتُّجَّار. أعلنَ إجون أيضًا إعفاء أراضي رجال ونساء العقيدة وممتلكاتهم من الضَّرائب المفروضة عليها، كما أكَّد على حقِّ العقيدة في محاكمة المتَّهمين من السِّپتونات والإخوة المحلَّفين والأخوات النَّاسكات بارتكاب المحرَّمات دون تدخُّل العرش في تلك المحاكمات. رغم أنه لم يكن متديِّنًا أصلًا، حرصَ أوَّل ملوك آل تارجاريَن على التَّودُّد إلى العقيدة والسِّپتون الأعلى في (البلدة القديمة) لأجل نيل الدَّعم.

تنامَت (كينجز لاندنج) حول الملك إجون وبلاطه، فوق وحول ثلاثة التِّلال العظيمة التي تقف على مقربةٍ من مصبِّ (النَّهر الأسود). أصبحَ أعلى تلك التِّلال يُعرف بـ(تل إجون العالي)، وسرعان ما سُمِّيَ التلَّان الآخَران الأقل منه ارتفاعًا بـ(تل ڤيزينيا) و(تل رينس)، ونُسيَت أسماء التِّلال الثَّلاثة السَّابقة. لم تكن القلعة البدائيَّة المشيَّدة بالخشب، التي بناها إجون سريعًا عند قدومه، كبيرةً أو مهيبةً بما يكفي لإيواء الملك وبلاطه، وكان قد بدأ توسيعها من قبل أن يُنهي فتحَه (الممالِك السَّبع). بُنيَت قلعة جديدة من جذوع الأشجار بلغَ ارتفاعها خمسين قدمًا،

واستقرَّت أسفلها قاعة طويلة فسيحة، ومطبخ حجري عبر الفِناء، سقفه من ألواح الأرْدُواز تحسُّبًا لوقوع الحرائق. ثم ظهرَت الاسطبلات، وتبعَتها صومعة حبوب، وشُيِّدَ بُرج مراقبةٍ جديد يبلُغ ارتفاعه ضِعفَي ارتفاع البُرج القديم. سرعان ما أصبحَت الأسوار قادرةً بالكاد على احتواء القلعة، لذلك بُني حاجز خشبي جديد مغطِّيًا مساحةً أكبر من التَّل، وهو ما سمحَ ببناء ثُكناتٍ للجُند ومستودع سلاحٍ وسِپت وبُرجٍ دائري.

أسفل التِلال تزايدت أعداد أرصفة الميناء والمخازن على ضفَّتَي النَّهر، وحلَّ التُّجَّار القادمون من (البلدة القديمة) والمدُن الحُرَّة، وقوادِس عائلتَي سلتيجار وڤيلاريون، محلَّ قوارب الصَّيد التي اعتاد المرء أن يراها سابقًا، وأصبحَ معظم التِجارة التي كانت تمرُّ من (بركة العذارى) و(وادي الغسق) يتَّجه الآن إلى (كينجز لاندنج). ظهرَت كذلك سوق للأسماك بجانب النَّهر، وسوق للأقمشة بين التِلال، وظهرَت دائرة جمارك، فيما ارتفعَ سِپت متواضع على ضفَّة (النَّهر الأسود) داخل بدن كوجٍ[4] قديم، وتبعَه واحدٌ أمتن مبنيٌّ من الخشب المغطَّى بالطَّمي على الشَّاطئ، ثم سِپت ثانٍ أكبر مرَّتين وأفخم ثلاث مرَّات بُنِيَ على (تل ڤيزينيا) بمالٍ تبرَّع به السِّپتون الأعلى. انبثقَت المنازل والمحال كالفطر عقب هطول المطر، وشيَّد الأغنياء إيواناتٍ مسوَّرةً على جنبات التِلال، فيما ازدحمَ الفقراء في الأكواخ البائسة المبنيَّة بالطَّمي والقشِّ في البقاع المنخفِضة بين التِلال.مكتبة .. سُر مَن قرأ

لم يُخطِّط أحد لبناء (كينجز لاندنج)، بل نمَت المدينة ببساطة... وبسرعةٍ أيضًا، إذ كانت عند تتويج إجون عبارة عن قريةٍ صغيرة تقبع تحت قلعةٍ بدائيَّة ذات أسوارٍ خشبيَّة، ثم أصبحَت عند تتويجه الثَّاني بلدةً مزدهرةً يقطنُها آلاف، وبحلول عام 10 بعد الفتح أضحَت مدينةً

4- الكوج: سفينة صغيرة الحجم لها شراع واحد مربَّع، وتُبنى عادةً من خشب البلُّوط. (المترجمون).

حقيقيَّةً تُناهِز (بلدة النَّوارس) أو (الميناء الأبيض) في المساحة، وفي عام 25 بعد الفتح غدَت أكبر من كلتيهما لتُصبِح ثالث أكبر مدينةٍ في البلاد من حيث عدد السُّكَّان، لا تتفوَّق عليها إلَّا (لانسپورت) و(البلدة القديمة).

لكن على العكس من منافستيْها، لم يكن لـ(كينجز لاندنج) أسوارٌ تُحيط بها، وإن لم تحتَج إلى أسوارٍ كما اعتادَ بعض سُكَّانها القول، ذلك أن لا عدوَّ يجسُر على الهجوم على المدينة في وجود آل تارجاريَن وتنانينهم. وربَّما شاركَهم الملك الرَّأي في البدء، لكن وفاة أخته رينس وتنِّينتها ميراكسس في عام 10 بعد الفتح، ومحاولات اغتياله، أعطَته سببًا لا ريب لبناء الأسوار...

وفي عام 19 بعد الفتح، وصلَت إلى (وستروس) أنباء عن غارةٍ جريئةٍ في (جُزر الصَّيف)، حيث نهبَ أسطول من القراصِنة (بلدة الأشجار الطَّويلة)، فأخذوا ألف امرأةٍ وطِفل عبيدًا لهم، بالإضافة إلى ثروةٍ من الغنائم. أقلقَت الرِّوايات عن تلك الغارة الملك للغاية، إذ أدركَ أن مدينته (كينجز لاندنج) مكشوفةٌ بالمثل لأيِّ عدوٍّ حاذق بما يكفي للهجوم عليها في غيابه هو وأخته ڤيزينيا. وبناءً عليه أمرَ جلالته ببناء حلقةٍ من الأسوار العالية المتينة حول مدينته، كتلك التي تحمي (لانسپورت) و(البلدة القديمة)، ووقعَت مهمَّة البناء على عاتق المِايستر الأكبر جاون ويَد الملك السير أوزموند سترونج. ولتكريم (السَّبعة)، أمرَ إجون ببناء سبع بوَّاباتٍ للمدينة، لكلٍّ منها مبنى بوَّابةٍ عظيم وأبراج للدِّفاع عنها. بدأ البناء على الأسوار في العام التَّالي، واستمرَّ حتى عام 26 بعد الفتح.

كان السير أوزموند رابع يدٍ للملك. يده الأوَّل كان اللورد أوريس باراثيون، أخا إجون النَّغل غير الشَّقيق ورفيق صِباه، غير أن اللورد

أوريس أُسِرَ في الحرب الدورنيَّة وفقدَ يد سيفه، وعندما دُفِعت فديته وعادَ، طلبَ اللورد أوريس إعفاءه من مهامِّه قائلًا: «ينبغي أن تكون ليد الملك يد. لن أسمح بأن يُقال إن يد الملك بتراء». عيَّن الملك اللورد إدمين تَلي، سيِّد (ريفررَن)، في منصب يد الملك، وخدمَ اللورد إدمين من عام 7 حتى عام 9 بعد الفتح، لكن عند وفاة زوجته في فِراش الوضع قرَّر الرَّجل أن أولاده يحتاجون إليه أكثر من البلاد، واستأذنَ الملك في العودة إلى (أراضي النَّهر). حلَّ آلتون سلتيجار، سيِّد (جزيرة المخالب)، محلَّ اللورد تَلي، وخدمَ بإخلاصٍ في منصب يد الملك حتى تُوفِّيَ وفاةً طبيعيَّةً في عام 17 بعد الفتح، وبعدها عيَّن الملك السير أوزموند سترونج.

كان جاون ثالث مَن شغلوا منصب المِايستر الأكبر. اعتادَ إجون تارجاريَن دائمًا تعيين مِايستر في (دراجونستون)، كما فعلَ أبوه وجدُّه من قبله، وقد اعتمدَ كلُّ لوردات (وستروس) الكبار، وكذا اللوردات الأقل شأنًا والفُرسان مُلَّاك الأراضي، على المِايسترات المدرَّبين في (القلعة) بـ(البلدة القديمة) ليخدموا بصفتهم معالجين وكَتَبةً ومستشارين، ولكي يُربُّوا الغِدفان ويُدرِّبوها على حمل رسائلهم (وقراءة تلك الرَّسائل وكتابتها لمن افتقرَ إلى تلك المهارات مِن اللوردات)، وأيضًا لمساعدة وُكلاء اللوردات في حساب مصروفات بيوتهم وتعليم أطفالهم. في أثناء الفتح كان لكلٍّ من إجون وأختيه مِايستر، وبعد ذلك عيَّن نحو نصف دستةٍ من المِايسترات للتَّعامل مع ما يُطرَح عليه من شؤون المملكة.

لكن أكثر رجال (الممالِك السَّبع) علمًا وحكمةً كانوا رؤساء المِايسترات بـ(القلعة)، ولكلٍّ منهم السُّلطة العُليا في أحد الفروع الكُبرى للمعرفة. في عام 5 بعد الفتح ارتأى إجون أن البلاد قد تستفيد من

علمهم وحكمتهم الجمَّة، فأرسلَ إلى المجمع[5] سائلًا أن يُرسِل أحد رجاله ليعمل مستشارًا له في إدارة شؤون البلاد، وبناءً على طلب الملك أنشئَ منصب المِايستر الأكبر.

أوَّل رجلٍ خدمَ في هذا المنصِب كان المِايستر الرئيس أوليدار، حافِظ التَّواريخ، الذي كان خاتمه وصولجانه وقِناعه من البرونز، ولكن رغم أن معرِفته بالتَّاريخ كانت استثنائيَّةً، فقد كانت شيخوخة أوليدار استثنائيَّةً أيضًا، ورحلَ عن هذا العالم بعد أقلِّ من عامٍ من تولِّيه منصب المِايستر الأكبر. اختارَ المجمع المِايستر الرَّئيس ليونس لشغل منصبه، وكان خاتمه وصولجانه وقناعه من الذَّهب الأصفر، وقد أثبتَ أنه أشد صلابةً من سلفه، وخدمَ البلاد حتى عام 12 بعد الفتح، حين انزلقَ في بركةٍ من الوحل كاسرًا وركه، وتُوفيِّ بعدها بفترةٍ قصيرة، وعندئذٍ رُفِعَ جاون إلى منصب المِايستر الأكبر.

لم تَبلُغ بنية مجلس الملك الصَّغير منتهى الازدهار حتى عهد الملك جهيرس المصلح، إلَّا إن ذلك لا يعني أن إجون الأوَّل حكمَ مستبدًّا برأيه، فمن المعروف أن إجون اعتادَ أن يستشير مختلِف كبار المِايسترات، والمِايسترات الذين يخدمون عائلته كذلك. بشأن الأمور المتعلِّقة بالضَّرائب والدُّيون والدَّخل العام للمملكة، سعى لاستشارة أُمناء النَّقد، ورغم أنه عيَّن سِپتونًا في (كينجز لاندنج) وآخَر في (دراجونستون)، فقد اعتادَ غالبًا أن يُراسِل السِّپتون الأعلى بـ(البلدة القديمة) بخصوص القضايا الدِّينيَّة، وحرصَ على زيارة (السِّپت النَّجمي) خلال جولته السَّنويَّة. وأكثر من أيٍّ من هؤلاء، اعتمدَ الملك إجون على يد الملك، وبالطَّبع على أختيه، الملكتيْن ريينس وڤيزينيا.

5- مجمع المِايسترات: مجلس (القلعة) الذي يختار المِايستر الأكبر أو يُنحِّيه. (المترجمون).

كانت الملكة رينس راعيةً كبيرةً لشُعراء (الممالِك السَّبع) ومطربيها، فاعتادَت أن تُمطِر من يُبهِجها بالذَّهب والهدايا. رغم أن الملكة ڤيزينيا ظنَّت أختها عابثةً، فقد كان في ذلك حكمة تجاوزَت مجرَّد الولع بالموسيقى، لأن مُطربي المملكة، حرصًا منهم على الفوز بحظوة الملكة، ألَّفوا عديد الأغاني التي تمدح آل تارجاريَن والملك إجون، ثم انطلَقوا يُغنُّون تلك الأغاني في كلِّ حصنٍ وقلعةٍ وقريةٍ عامرة من (التُّخوم الدورنيَّة) وحتى (الجِدار). هكذا كان الفتح مجيدًا عند بُسطاء النَّاس، فيما أصبحَ إجون التنِّين ذاته ملكًا بطلًا.

كما أولَت الملكة رينس العوام اهتمامًا كبيرًا، وكانت تحمل للنِّساء والأطفال حبًّا خاصًّا. ذات مرَّة، في أثناء عقدها البلاط بـ(حصن إجون)، مثلَ أمامها رجل ضربَ زوجته حتى الموت. أراد أشقَّاء المرأة أن يُعاقَب، لكن الزَّوج جادلهم بأن ذلك من ضمن حقوقه المشروعة، لأنه وجدَ زوجته تخونه مع رجلٍ آخَر. كان حقُّ الزوج في تأديب الزَّوجة الخاطِئة راسخًا في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع) باستثناء (دورن). وأشارَ الزَّوج كذلك إلى أن العصا التي استخدمها لضرب زوجته لم تكن أسمك من إبهامه، حتى إنه قدَّم العصا دليلًا، وعندما سألَته الملكة كم مرَّةً ضربَ زوجته، لم يستطِع الزوج الإجابة، لكن أشقَّاء المرأة الميتة أصرُّوا أنه ضربَها مئة مرَّة.

تشاورَت الملكة رينس مع مِايستراتها وسِپتوناتها، ثم أصدرَت حُكمها. الزوجة الزَّانية أساءَت إلى (السَّبعة)، الذين خلقوا النِّساء ليُصبِحن أميناتٍ ومطيعاتٍ لأزواجهن، وبالتَّالي يجب عقابها على ما اقترفَت. وبما أن للإله سبعة أوجُه، فالعقوبة يجب أن تكون من ستِّ ضرباتٍ فقط (لأن الضَّربة السَّابعة ستكون لـ(الغريب)، و(الغريب) هو وجه الموت).

وهكذا فإن الضَّربات السِّت الأولى التي وجَّهها الزَّوج كانت مشروعةً... لكن الأربع والتِّسعون الأخرى كانت جريمةً في نظر الآلهة والبشر، ويجب معاقبتها بالمِثل. منذ ذلك اليوم فصاعدًا، أصبحَت «قاعدة السِّت» جزءًا من القانون العام، جنبًا إلى جنبِ «قاعدة الإبهام». (أمَّا الزَّوج فأُخِذَ إلى سفح (تل ريينس)، حيث ضربَه إخوة المرأة الميتة أربعًا وتسعين ضربةً باستخدام عِصِي من الحجم القانوني).

لم تُشارِك الملكة ڤيزينيا شقيقتها في حُبِّ الموسيقى والأغاني، ومع ذلك لم تكن تفتقِر إلى حِسِّ الفُكاهة، فلعدَّة سنين كان لها مهرِّجها الخاص؛ مُهرِّج منفوش الشَّعر أحدب الظَّهر يُدعى باللورد وجه القِرد، كانت طرائفه تُسلِّي الملكة بشدَّة. حين اختنقَ بنواة خوخةٍ جلبَت الملكة قِردًا فعليًّا وألبَسته ملابس اللورد وجه القِرد، واعتادَت القول بأن «الجديد أذكى».

ومع ذلك كانت في ڤيزينيا تارجاريَن ظُلمة. لقد أظهرَت لأكثر العالم وجه المحارِبة الصَّارِمة التي لا ترحم، وحتى جمالها كان جادًّا، كما قال المعجبون بها. كانت ڤيزينيا أكبر رؤوس التنِّين الثَّلاثة سنًّا، كما عَمَّرَت بعد موت شقيقيْها، وقد قيل إنها في سنواتها الأخيرة، عندما لم يعُد بإمكانها استخدام السَّيف، انغمَست في الفُنون المظلِمة، من خلطِ السُّموم وإلقاء التَّعاويذ الخبيثة، حتى إن البعض يدَّعي أنها كانت قاتِلة أقربين قاتِلة مُلوك، ولو أن أيَّ دليلٍ لم يُقدَّم لدعم مثل هذه الافتراءات.

ستكون مُفارقةً قاسيةً ومحزنةً حقًّا إن صحَّت هذه الأقاويل، لأن في شبابها لم يحمِ أحد الملك أكثر منها، إذ دافعَت ڤيزينيا عن إجون مرَّتين بسيفها (الأخت المظلِمة) عندما هاجمَه القَتَلة المأجورون الدورنيُّون. كانت شرسةً شكَّاكةً، ولم تثق بأحدٍ إلَّا شقيقها. في أثناء الحرب الدورنيَّة

اعتادَت ارتداء قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة ليل نهار، حتى تحت ملابس البلاط، وحثَّت الملك على فعلِ الشَّيء نفسه، وعندما رفضَ إجون غضبَت ڤيزينيا، وقالت له: «حتى مع وجود (اللَّهب الأسود) في يدك، فأنت رجلٌ واحد، ولا يُمكنني أن أكون معك دائمًا»، وحين أشارَ الملك إلى وجود حرس حوله، استلَّت ڤيزينيا (الأخت المظلِمة) وجرحَته في خدِّه بسرعةٍ لم يجد الحرس الوقت الكافي لصدِّها. قالت ڤيزينيا: «حرسك شديدو البُطء كسالى. كان بمقدوري أن أقتلك بالسُّهولة نفسها كما جرحتك. أنت بحاجةٍ إلى حمايةٍ أفضل»، فلم يجد الملك إجون الذي ينزف خيارًا غير الموافقة.

كان للعديد من الملوك أنصار للدِّفاعِ عنهم. كان إجون سيِّد (الممالِك السَّبع)، لذا قرَّرت الملكة ڤيزينيا أنه يجب أن يكون له سبعة أنصار. وهكذا أُنشِئ الحرس الملكي، أُخوَّة مكوَّنة من سبعة فُرسان هُم الأمهر في البلاد، مدرَّعون ومكسوُّون بأنصع بياض، بلا غايةٍ إلَّا الدِّفاع عن الملك والتَّضحية بحياتهم من أجله إذا لزمَ الأمر. صاغَت ڤيزينيا نُذورهم على غرار نذور حرس اللَّيل، مثل الغِربان ذوي المعاطِف السَّوداء على (الجِدار)، ليخدم السُّيوف البيضاء مدى الحياة، ويتخلَّوا عن جميع أراضيهم وألقابهم وممتلكاتهم الدُّنيويَّة ليعيشوا حياة العفَّة والطَّاعة، بلا مَثُوبَةٍ إلَّا الشَّرف.

تقدَّم العديد من الفُرسان لعرضِ ترشيحهم للحرس الملكي، وهو ما حدا بالملك إجون إلى التَّفكير في إقامة دورة مبارياتٍ لتحديد أيٍّ منهم الأكثر استحقاقًا. إلَّا إنَّ ڤيزينيا رفضَت تمامًا، مشيرةً إلى أنه ليكون المرء من فوارس الحرس الملكي فذلك يتطلب ما هو أكثر من المهارة في السِّلاح، فهي لن تُخاطِر بوضع رجال غير مضموني الولاء حول الملك،

بغضِّ النَّظر عن براعتهم في الالتحام الجماعي، ولذا فستختار الفُرسان بنفسها.

الأبطال الذين اختارتهم كانوا صغارًا وكبارًا، طوالًا وقصارًا، فاحمي الشَّعر وشُقرًا، قدموا من جميع أنحاء المملكة، بعضهم أبناء صغار ليس لهم حقٌّ في الميراث، وآخَرون ورثة لعائلاتٍ عريقة تركوا إرثهم في سبيل خدمة الملك. أحدهم كان فارسًا جوَّالًا، وآخَر نغلًا وضيع المولد. كانوا جميعًا سريعين، وأقوياء، ويقظين، ومهرةً في القتال بالسَّيف والتُّرس، ومخلصين للملك.

هذه هي أسماء سبعةِ إجون، كما هو مدوَّن في كتاب الحرس الملكي الأبيض: السير ريتشارد روت، والسير أديسون هِل نغل (حقل الذُّرة)، والسير جريجور جود، وأخوه السير جريفيث جود، والسير همفري المُمثِّل، والسير روبن داركلين الملقَّب بروبن المظلِم، والسير كورلس ڤيلاريون، حضرة قائد الحرس الملكي. أكَّد التَّاريخ أن ڤيزينيا أحسنَت الاختيار، فاثنان من سبعتها الأصليِّين ماتا دفاعًا عن إجون، وخدمَ الباقون الملك بكلِّ بسالةٍ حتى آخِر رمقٍ فيهم. كثيرٌ من الرِّجال الشُّجعان اتَّبعوا خُطاهم منذ ذلك الحين، مدوِّنين أسماءهم في الكتاب الأبيض ومرتدين المعطف الأبيض، وحتى يومنا هذا يبقى اسم الحرس الملكي مرادفًا للشَّرف.

ستَّة عشر فردًا من آل تارجاريَن ورثوا العرش الحديدي من بعد إجون التنِّين، قبل أن تُطيح بسُلالته ثورة روبرت. كان بينهم رجال حُكماء وآخَرون حمقى، وقُساة ورُحماء، وأبرار وأشرار، لكن إذا تدبَّرنا في ملوك التَّنانين بناءً فقط على الموروثات والقوانين والمؤسَّسات والإصلاحات التي تركوها من بعدهم، فإن اسم الملك إجون الأوَّل ينتمي قُرب قمَّة اللَّائحة، في أوقات الحرب وفي أوقات السِّلم.

اتَّخذ الملك إجون تارجاريَن الأوَّل أختيه كلتيهما زوجةً. كانت ريينس وڤيزينيا من راكبات التَّنانين، وتتمتَّعان بشعرٍ ذهبيٍّ مائلٍ إلى الفضِّي وأعيُنٍ أُرجوانيَّة وجمال آل تارجاريَن الأخّاذ، ولكن بخلاف ذلك كانت الملكتان مختلفتيْن لأقصى درجة... إلَّا من ناحيةٍ أخرى واحدة، فكلٌّ منهما منحَت الملك ابنًا.

جاءَ إينس أوَّلًا. وُلِدَ في عام 7 بعد الفتح لزوجة إجون الصُّغرى ريينس، وكان الصَّبيُّ صغير الحجم عند مولده، وعليلًا، ويبكي طوال الوقت، وقيلَ إن أطرافه كانت هزيلةً، وعيناه صغيرتيْن دامعتيْن، وخشيَ مِايسترات الملك على نجاته. كان يرفُض حلمتَي مُرضعته دائمًا، ويلتقِم ثديَي أمِّه فقط، ويُشاع أنه ظلَّ يَصرُخ أسبوعين كاملين حين فُطِمَ. لم يكن يُشبه الملك إجون على الإطلاق، حتى إن البعض تجرَّأ على التَّلميح إلى أن جلالته ليس والد الصَّبي الحقيقي، وأن إينس نغل لواحدٍ من محظيِّي الملكة ريينس العديدين، ابن لمغنٍّ أو ممثِّل أو مؤدٍّ صامت. وكان نموُّ الأمير بطيئًا أيضًا، ولم يبدأ يترعرَع حتى أُعطِيَ التنِّينة الصَّغيرة كويكسيلفر، وهي فرخ فقسَت بيضته في العام نفسه على

(دراجونستون).

كان الأمير إينس في الثَّالثة من عُمره حين قُتِلَت والدته الملكة رينس وتنِّينتها ميراكسس في (دورن)، وتركَ موتها الأمير الصَّبيَّ حزينًا بلا عزاء، فامتنعَ عن الأكل، بل وبدأ يزحف كما كان يفعل في عامه الأوَّل، كما لو أنه نَسِيَ كيف يمشي. يئِسَ منه والده، وانتشرَت شائعات في البلاط تفيد بأن الملك إجون قد يتَّخذ لنفسه زوجةً أخرى، بما أن رينس ماتَت، وڤيزينيا بلا ذُريَّة وقد تكون عاقِرًا. احتفظَ الملك بأفكاره حول تلك الأمور طيَّ الكِتمان، لذلك لا يستطيع أحد القول بما جالَ في ذهنه وقتها، لكن العديد من اللوردات الكبار والفُرسان النُّبلاء ظهروا في البلاط الملكي مع بناتهم العذراوات، اللاتي كانت كلٌّ واحدةٍ منهن أبرع جمالًا من سابقتها.

انتهَت تلك التَّكهُّنات كلُّها في عام 11 بعد الفتح، عندما أعلنت الملكة ڤيزينيا فجأةً أنها حُبلى بولد الملك. قالت بكلِّ ثقةٍ إنه ابن ذكر، وثبتَت صِحَّة قولها، إذ جاءَ الأمير إلى العالم صارخًا في عام 12 بعد الفتح. اتَّفق المِايسترات والقابلات أن لا رضيعَ قطُّ كان أقوى أو أصحَّ من الأمير ميجور تارجاريَن، فوزنه عند ولادته كان ضِعف وزن أخيه الأكبر تقريبًا.

لم يكن الأخوان غير الشَّقيقيْن مقرَّبيْن قَطُّ. كان الأمير إينس وليَّ العهد، وأبقاه الملك بالقُرب مِنه، وكلَّما جابَ إجون المملكة مرتحِلًا من قلعةٍ إلى أخرى صحبَه الأمير، فيما ظلَّ الأمير ميجور مع والدته جالسًا بجانبها حين تعقِد البلاط. في تلك السِّنين، غالبًا ما كانت الملكة ڤيزينيا والملك إجون مفترقيْن، فحين لا يذهب في جولةٍ ملكيَّة، كان إجون يعود إلى (كينجز لاندنج) و(حصن إجون)، في حين تبقى ڤيزينيا

وابنها في (دراجونستون). لهذا السَّبب بدأ النُّبلاء والعوام على حدٍّ سواء يُشيرون إلى ميجور باعتباره أمير (دراجونستون).

وضعَت الملكة ڤيزينيا سيفًا في يد ابنها حين كان في الثَّالثة من عُمره، ويُقال بأن أوَّل شيءٍ فعلَه بالسَّيف هو الفتك بإحدى قِطط القلعة... ولو أن الأرجح أن تلك الحكاية كانت بُهتانًا اختلقَه أعداؤه بعد سنواتٍ عديدة. على أن لا سبيل لإنكار حقيقة أن الأمير بدأ التَّدريب على القتال من ساعته، وقد اختارَت والدته أوَّل قيِّم سلاحٍ له السير جاون كوربراي، الذي كان من أشدِّ فُرسان (الممالِك السَّبع) بأكملها فتكًا.

أما الأمير إينس فغالبًا ما بقيَ إلى جوار والده، ومن ثمَّ تلقَّى معظم أصول الفروسيَّة من فُرسان حرس إجون الملكي، وفي بعض الأحيان من الملك نفسه. كما اتَّفق مُعلِّموه، كان الفتى مجتهدًا ولم تعْزه الشَّجاعة، لكنه افتقرَ إلى حجم أبيه وقوَّته، ولم يكن أكثر من مُحارب مقبول، حتى عندما وضعَ الملك (اللَّهب الأسود) في يده، كما اعتادَ أن يفعل من وقتٍ إلى آخر. قال معلِّموه إن إينس لن يُخزي نفسه في القتال، ولكن لن تُنشَد أبدًا أغانٍ عن براعته وبأسه.

سكنَت المواهب التي امتلكَها الأمير مواطن أخرى، إذ كان إينس نفسه مغنِّيًا مُجيدًا يتمتَّع بصوتٍ عذبٍ جهور، ولبقًا وفاتنًا، وذكيًّا ولكن دون هوسٍ بالكُتب. كوَّن الصَّداقات بسهولة، وبدَت الفتيات الصَّغيرات شغوفاتٍ بالأمير، سواء أكن رفيعات النَّسب أم وضيعاته. أحبَّ إينس الرُّكوب أيضًا، إذ أهداه أبوه الملك إجون فحولًا وخيولًا مدرَّبةً وجيادًا حربيَّةً، لكن مطيَّته الأثيرة كانت دائمًا تنِّينته كويكسيلڤر.

كان الأمير ميجور يركب أيضًا، لكنه لم يُبدِ حبًّا جمًّا للخيول أو الكلاب أو أيٍّ من الحيوانات عمومًا. عندما كان في الثَّامنة من عُمره

رفسَه حصان في الاسطبل، فطعنه ميجور حتى الموت... وسلخَ نصف وجه عامل الاسطبل الذي جاء يجري على إثر صرخات الحصان. كان لأمير (دراجونستون) العديد من الرِّفاق على مرِّ السِّنين، ولكن لا أصدقاء حقيقيُّون. كان صبيًّا مشاكسًا، سريع الشُّعور بالإهانة، بطيء التَّسامُح، مرعبًا في غضبته. على أن مهارته في السِّلاح كانت بلا نظير. أصبحَ مُرافقًا في الثَّامنة، ولدى بلوغه الثَّانية عشرة استطاعَ الإطاحة بصبيةٍ يكبرونه بأربعة أو خمسة أعوام من فوق أحصنتهم في مضمار النِّزال، وكان ينهال بالضَّربات على الحرس المخضرمين ويرغِمُهم على الاستِسلام في ساحة القلعة. وفي يوم ميلاده الثَّالث عشر، في عام 25 بعد الفتح، منحَته والدته الملكة ڤيزينيا سيفها الفولاذي الڤاليري (الأخت المظلِمة)... قبل نصف عامٍ من زواجه.

كان زواج الأقارب من عادة آل تارجاريَن، وكان يُعتقَد أن زواج الأخ بأخته زواجٌ مثاليٌّ، وإذا تعذَّر ذلك فقد تتزوَّج الفتاة بعمِّها أو خالها، أو ابن عمِّها أو خالها، أو ابن أخيها أو أختها؛ والفتى ببنت عمِّه أو خاله، أو عمَّته أو خالته، أو بنت أخيه أو أخته. تعود تلك الممارسات إلى أعراف (ڤاليريا القديمة)، حيث شاعَت بين العوائل العريقة، خاصَّة تلك التي ربَّت التَّنانين وركبَتها. **يجب أن يظلَّ دمُ التنِّين نقيًّا**. هكذا نصَّت الحكمة عندهم. كما أن بعض الأمراء المشعوذين اقترَنوا بأكثر من زوجةٍ إذا رغبوا، وإن كان ذلك أقلَّ شيوعًا من زواج المحارم. كتبَ الحُكماء أن أهل (ڤاليريا) قبل هلاكها كانوا يُكرِّمون ألفًا من الآلهة، لكنهم لم يخشوا أحدًا منها، لذلك لم يجرؤ إلَّا قِلَّة على معارضة هذه العادات.

لم يكن ذلك واقعًا في (وستروس)، حيث كانت سُلطة العقيدة قاطعةً. كانت الآلهة القديمة لا تزال تُعبَد في الشَّمال، والإله الغريق في (جُزر

الحديد)، ولكن في بقيَّة البلاد عُبِدَ إله واحد له سبعة أوجُه، والسِّپتون الأعلى في (البلدة القديمة) هو صوته على الأرض، كما أن تعاليم العقيدة -المتوارَثة عبر القرون من (أندالوس) نفسها- أدانَت عادات الزَّواج الڤاليري التي مارسَها آل تارجاريَن. نُدِّدَ بسِفاح القُربى باعتباره خطيئةً حقيرةً، سواء أبين الأب والابنة أم الأُمِّ والابن أم الأخ والأخت، وعُدَّت ثمار هذه الزِّيجات رِجسًا في نظر الآلهة والبشر جميعًا. بالإدراك المتأخِّر، يُمكن ملاحظة أن الصِّراع بين العقيدة وآل تارجاريَن كان حتميًّا. في الواقع، توقَّع العديد من أعضاء مجلس القانِتين من السِّپتون الأعلى أن يُجاهر بالتنديد بإجون وأختيه في أثناء الفتح، واستاؤوا للغاية حين نصحَ أبو المؤمنين اللورد هايتاور بعدم مقاومة التنِّين، بل وباركَ إجون ومرَّخه عند تتويجه الثَّاني.

وكما يُقال، الاعتياد أبو القبول. بقيَ السِّپتون الأعلى الذي توَّج إجون الفاتِح راعيًا للمؤمنين حتى وفاته في عام 11 بعد الفتح، وعندئذٍ كانت البلاد قد اعتادَت فكرة ملكٍ له ملكتان هما زوجتاه وشقيقتاه في آنٍ واحد. حرصَ الملك إجون دائمًا على توقير العقيدة، وتأكيد حقوقها وامتيازاتها التَّقليديَّة، وإعفاء ثروتها وممتلكاتها من الضَّرائب، والتَّشديد على أن لمحاكم العقيدة وحدها مُحاكمة السِّپتونات والسِّپتوات وكلِّ خدم (السَّبعة) الآخَرين المتَّهمين بارتكاب مُخالفات.

استمرَّ الوفاق بين العقيدة والعرش الحديدي طوال فترة حُكم إجون الأوَّل. من عام 11 إلى عام 37 بعد الفتح اعتمرَ ستة سِپتوناتٍ متعاقبين التَّاج البلَّوري، وظلَّ جلالته على علاقةٍ حسنة مع كلِّ واحدٍ منهم، فزارَ (السِّپت النَّجمي) في كلِّ مرَّةٍ ذهبَ فيها إلى (البلدة القديمة). ومع ذلك بقيَت مسألة زواج المحارِم تغلي كالسُّم على نارٍ هادئة تحت

قناع المجاملات. لئن لم يتحدَّث مَن شغِلوا منصب السِّپتون الأعلى في عهد الملك إجون قَطُّ ضدَّ زواجِ الملك بأختيه، فإنهم كذلك لم يُعلنوا أنه مشروع مُجاز، وظلَّ أعضاء العقيدة الأكثر تواضُعًا -سِپتونات القُرى، والأخوات النَّاسكات، والإخوة الشحَّاذون، والصَّعاليك- يعتقدون أن من الخطيئة أن يقترِن الأخُ بأخته، أو أن يتَّخذ الرَّجل زوجتين.

على أن إجون الفاتِح لم يُنجِب أيَّ بنات، لذلك لم تَبلُغ تلك الأمور حدَّ الأزمة في الحال. لم يكن لابنَي التنّين أخوات للزَّواج، لذلك اضطُرَّ كلٌّ منهما للبحث عن عروسه في مكانٍ آخَر.

كان الأمير إينس أوَّل من تزوَّج. في عام 22 بعد الفتح عُقِدَ قرانه بالليدي أليسا، الابنة العذراء لسيِّد المدِّ والجَزر إيثان ڤيلاريون، أميرال الملك إجون وقيِّم السُّفن. كانت في الخامسة عشرة من العُمر، في سنِّ الأمير نفسها، وتشترك معه في شعره الفضِّي وعينيه الأرجوانيَّتيْن أيضًا، ذلك أن عائلة ڤيلاريون عائلة قديمة تنحدِر من أصولٍ ڤاليريَّة. كانت والدة الملك إجون نفسه من عائلة ڤيلاريون، لذلك اعتُبِرَ القران زواج أولاد خُؤولة.

سرعان ما تبيَّنَ أنها زيجة سعيدة ومثمرة. في العام التَّالي أنجبَت أليسا ابنةً أَطلقَ عليها الأمير إينس اسم رِاينا تيمُّنًا بوالدته، ومثل والدها، كانت الفتاة صغيرة الحجم عند الولادة، ولكن على عكسه كانت رِاينا طفلةً سعيدةً تتمتَّع بالعافية، لها عينان أرجوانيَّتان نابضتان بالحياة وشعر لامع كالفضَّة المطرَّقة. كُتِبَ أن الملك إجون نفسه بكى في المرَّة الأولى التي وُضِعَت فيها حفيدته بين ذراعيه، وبعد ذلك صارَ شغوفًا بالطِّفلة... ربما لأنها ذكَّرته بملكته المفقودة، رينس التي سُمِّيَت الفتاة تيمُّنًا بذكراها.

انتشرَت بُشرى ولادة رِاينا في كلِّ مكان، وابتهجَت البلاد كلُّها... باستثناء الملكة ڤيزينيا ربما. كان الأمير إينس الوريث المؤكَّد للعرش الحديدي، وقد اتَّفق الجميع على ذلك، وإن طرأت الآن مسألة إن كان الأمير ميجور في المرتبة الثَّانية في تسلسُل الخلافة، أم ينبغي اعتباره تراجعَ إلى المرتبة الثَّالثة بعد الأميرة المولودة حديثًا. اقترحَت الملكة ڤيزينيا تسوية الأمر عن طريق خِطبة الرَّضيعة رِاينا إلى ميجور الذي بلغَ الحادية عشرة لتوِّه، إلَّا أن إينس وأليسا عارَضا الزِّيجة... وحين وصلَت الأخبار إلى السِّپتون الأعلى في (السِّپت النَّجمي)، أرسلَ غُدافًا ليُحذِّر الملك من أن العقيدة لن تستحسِن زيجةً كتلك. اقترحَ قداسته عروسًا مختلفةً لميجور، ابنة أخته سيريس هايتاور، البِكر كريمة سيِّد (البلدة القديمة) مانفرد هايتاور (يجب عدم الخلط بينه وبين جدِّه الذي حملَ الاسم نفسه). رأى الملك إجون فوائد العلاقات الوثيقة بـ(البلدة القديمة) والعائلة التي تحكمُها، ورأى الحكمة في هذا الاختيار، ووافقَ على الخطبة المقترَحة.

وهكذا حدثَ في عام 25 بعد الفتح أن تزوَّج ميجور تارجارين أمير (دراجونستون) بالليدي سيريس هايتاور في (السِّپت النَّجمي) بـ(البلدة القديمة)، بإشراف السِّپتون الأعلى بنفسه على مراسم الزِّفاف. كان ميجور يبلُغ ثلاثة عشر عامًا، والعروس تكبره بعشر سنوات... لكن اللوردات الذين شهِدوا الإضْجاع اتَّفقوا جميعًا على أن الأمير كان زوجًا مفعمًا بالشَّهوة، وتفاخرَ ميجور نفسه بأنه أدَّى واجبه الزَّوجي دستةً من المرَّات في تلك اللَّيلة، وأعلنَ وهو يفطر في صباح اليوم التَّالي: «لقد أضفتُ ابنًا إلى آل تارجارين ليلة أمس».

جاءَ الابن في العام التَّالي... لكن الولد المسمَّى إجون على اسم جدِّه أنجبَته الليدي أليسا والأمير إينس، ومن جديدٍ اجتاحَت الاحتِفالات

(الممالِك السَّبع). كان الأمير الصَّغير قويًّا مفعمًا بالحيويَّة، ولديه «هيئة مُحارب» كما أعلن جدُّه إجون التنِّين بنفسه. بينما لا يزال كثيرون يتجادَلون حول وجوب الأسبقيَّة في تسلسُل الخلافة للأمير ميجور أم ابنة أخته رِاينا، لم يكن لدى أحدٍ شكٌّ في أن إجون سيخلف أباه إينس، تمامًا كما سيخلف إينس أباه إجون.

في السَّنوات التي تلَت وُلِدَ أطفال غيرهم واحدًا تلو الآخَر في عائلة تارجاريَن، وهو ما أبهجَ الملك إجون... وإن لم يُبهِج الملكة ڤيزنيا بالضَّرورة. في عام 29 بعد الفتح أصبح للأمير إجون أخٌ أصغر، عندما منحَت أليسا الأمير إينس ابنًا ثانيًا اسمه ڤسيرس، وفي عام 34 بعد الفتح وُلِدَ چهيرس، طفلها الرابع وابنها الثَّالث، وفي عام 36 بعد الفتح وُلِدَت ابنة أخرى هي أليسين.

كانت الأميرة رِاينا في الثَّالثة عشرة عندما وُلِدَت أختها الصَّغيرة، لكن المِايستر الأكبر جاون لاحظ أن «الفتاة سعيدة جدًّا بالرَّضيعة، لدرجة أن المرء قد يحسبها هي الأُمَّ». كانت الابنة الكُبرى لإينس وأليسا فتاةً خجولًا حالمةً، ويبدو أنها تشعر بالارتياح مع الحيوانات أكثر من الأطفال الآخَرين. خلال نعومة أظفارها، غالبًا ما كانت تختبئ خلف تنُّورة أمِّها أو تتشبَّث بساق أبيها في حضرة الغُرباء... لكنها أحبَّت إطعامَ قِطط القلعة، وكان لديها دائمًا جروٌ أو اثنان في سريرها. رغم أن والدتها زوَّدتْها بعددٍ من الرَّفيقات المناسبات من بنات اللوردات الكبار والصِّغار، لم يبدُ أن رِاينا ارتاحَت لأيٍّ منهن، مفضِّلةً رِفقة الكُتب.

ولكن في سن التَّاسعة قُدِّمَ لرِاينا فرخٌ من أجباب (دراجونستون)، ونشأ بينها وبين التنِّينة الصَّغيرة التي سمَّتها دريمفاير رابط فوري. في وجود تنِّينتها إلى جانبها، بدأت الأميرة تتخلَّص من خجلها رُويدًا رُويدًا،

وفي سنِّ الثَّانية عشرة حلَّقَت في السَّماء للمرَّة الأولى، وبعد ذلك، رغم أنها ظلَّت فتاةً هادئةً، لم يجرؤ أحد على وصفها بالخجل. لم يمضِ وقت طويل حتى وجدَت رِاينا أوَّل صديقةٍ حقيقيَّة لها في ابنة خُؤولتها لاريسا ڤيلاريون، ولفترةٍ من الوقت كانت الفتاتان لا تنفصِلان... حتى استُدعِيَت لاريسا فجأةً إلى (دريفتمارك) لتتزوَّج الابن الثَّاني لنجم المساء سيِّد (تارث). على أن أكثر ما يُميِّز الصِّغار هو المرونة، وسرعان ما وجدَت الأميرة في سامانثا ستوكوورث ابنة يد الملك رفيقةً جديدةً.

تقول الأسطورة إن الأميرة رِاينا هي التي وضعَت بيضة التنِّين في مَهد الأميرة أليسين، تمامًا كما فعلَت مع الأمير چهيرس قبلها بعاميْن. إن صحَّت تلك الحِكايات، فمن تلكما البيضتيْن جاءَ ثُنائي التَّنانين سيلڤروينج وڤرميثور، اللذان سيُخلَّد اسماهما في سجلَّات السَّنوات التَّالية.

لم يكن الأمير ميجور أو والدته الملكة ڤيزينيا يُشارِكان الأميرة رِاينا حُبَّها لإخوتها أو فرحة المملكة بكلِّ أميرٍ جديد من آل تارجاريَن، لأن كلَّ ابنٍ جديد يولَد لإينس دفعَ ميجور إلى قاع القائمة في تسلسُل الوراثة، علاوةً على وجود من ظلُّوا يدَّعون أنه خلف بنات إينس أيضًا في التَّرتيب، وطوال الوقت ظلَّ ميجور نفسه بلا ذُريَّة، إذ فشلَت محاولاته والليدي سيريس بالحَمل في السَّنوات التي عقبَت زواجهما.

أمَّا في مضمار النِّزال وميدان القتال فقد تجاوزَت إنجازات الأمير ميجور إنجازات شقيقه مرارًا. في دورة المباريات العظيمة التي أقيمَت بـ(ريڤررَن) في عام 28 بعد الفتح نجحَ ميجور في إسقاط ثلاثة فُرسان من الحرس الملكي من فوق أحِصنتهم علي التَّوالي، قبل أن يَسقُط أمام البطل النِّهائي، كما لم يتمكَّن أحد من الوقوف أمامه في الالتحام الجماعي. بعد ذلك حصلَ على فروسيَّته في الميدان من والده، الذي

نصَّبه بسيفه الشَّهير (اللَّهب الأسوَد) لا أقل، وبذا في سن السَّادسة عشرة أصبحَ ميجور أصغر فارسٍ في (الممالِك السَّبع) قاطبةً.

من مآثره التي تبعَت ذلك في عام 29، ومرَّةً أخرى في عام 30 بعد الفتح، مُرافقته أوزموند سترونج وإيثان ڤيلاريون وقت ذهابهما لاقتلاع ملك القراصنة اللايسيني سارجوسو سان من جُزر (الأعتاب)، وقتاله في عدَّة اشتباكاتٍ دامية مثبتًا جرأته وخطورته. وفي عام 31 بعد الفتح طاردَ الفارس اللِّص سيِّئ السُّمعة المسمَّى بعملاق الثَّالوث عبر (أراضي النَّهر) وقتلَه.

غير أن ميجور لم يُصبِح راكب تنِّينٍ بعدُ، على الرَّغم من مولد دستةٍ من الأفراخ وسط نيران (دراجونستون) في أواخِر عهد الملك إجون، وقد عُرِضَت جميعًا على الأمير ميجور، إلَّا أنه رَفضَها. عندما ارتفعَت ابنة أخيه رِاينا ذات الاثني عشر عامًا فقط لتجوب أقطار السَّماء على ظهر تنِّينتها دريمفاير، صارَ فشل ميجور حديث (كينجز لاندنج). ذات مرَّةٍ مازحَته الليدي أليسا في البلاط متسائلةً بصوتٍ مسموعٍ إن كان «شقيق زوجي يخشى التَّنانين»، ليربدَّ وجه الأمير غضبًا من الدُّعابة، ثم يردَّ ببرودٍ أن تنِّينًا واحدًا يَجدُر به.

عمَّ السَّلام في السَّنوات السَّبع الأخيرة من عهد الملك إجون الفاتِح. بعد إحباطات حربه الدورنيَّة، قبل الملك استمرار استقلال (دورن) عن (الممالِك السَّبع)، وطارَ على ظهر بالريون إلى قلعة (صنسپير) للاحتفال بالذِّكرى العاشرة لمعاهدة السَّلام في ما سُمِّيَ بـ«وليمة الصَّداقة» مع ديريا مارتل، أميرة (دورن) الحاكمة. صاحبَه ابنه الأمير إينس وتنِّينته كويكسيلڤر، فيما بقيَ ميجور في قلعة (دراجونستون). لقد وحَّد إجون سبعة الممالك بالنَّار والدَّم، ولكن بعد احتفاله بيوم ميلاده السِّتين في

عام 33 بعد الفتح وجَّه اهتمامه إلى البناء والإعمار، فظلَّ يُخصِّص نصف كلِّ عامٍ للجولات الملكيَّة، وإن باتَ الأمير إينس والليدي أليسا هما مَن يرتحلان عبر المملكة من قلعةٍ إلى أخرى، فيما اقتسمَ الملك المسنُّ أيامه بين (دراجونستون) و(كينجز لاندنج).

أضحَت قرية الصيَّادين المتواضعة، التي رسا عندها إجون لأوَّل مرَّة، مدينةً ممتدَّة تعمُّها القذارة، يقطنُها نحو مئة ألف نسَمة، ولا يتعدَّاها في المساحة إلَّا (لانسپورت) و(البلدة القديمة). رغم ذلك، من نواحٍ عدَّة، لم تكن (كينجز لاندنج) أكثر من مُعسكر جيشٍ تضخَّم على نحو مشوَّه، لتُصبِحَ شيئًا قذِرًا كريه الرَّائحة، شيئًا غير منظَّم ومؤقَّت. وأمَّا (حصن إجون)، الذي كبرَ ليحتلَّ نصف ارتفاع (تل إجون العالي) في ذلك الحين، فكان من أقبح القلاع في (الممالِك السَّبع)، فوضى من الأخشاب والتُّربة والحجارة فاقت في حجمها الحواجز الخشبيَّة القديمة التي كانت أسواره الوحيدة.

كان من المؤكَّد أن الحِصن القديم لا يليق بملِكٍ عظيم، لذلك انتقلَ إجون وكامل بلاطه إلى (دراجونستون)، وأصدرَ أمرًا بهدم (حصن إجون) لتُشيَّد في مكانه قلعة جديدة، وقضى أن تُبنى هذه المرَّة من الحجر. للإشراف على تصميم القلعة الجديدة وبنائها، عيَّن إجون يد الملك اللورد آلِن ستوكوورث (الذي تولَّى منصب اليد بعد وفاة السير أوزموند في العام السَّابق) والملكة ڤيزينيا (التي انتشرَت عنها طُرفة في البلاط تقول بأن الملك كلَّفها ببناء (القلعة الحمراء) لكيلا يُكابِد حضورها في (دراجونستون)).

ماتَ إجون الفاتِح في عام 37 بعد الفتح بأزمةٍ قلبيَّة أصابتَه في (دراجونستون). كان حفيداه إجون وڤسيرس معه في (قاعة المائدة

المرسومة) عند موته، وكان يحكي لهما تفاصيل فتوحاته. ألقى الأمير ميجور، المقيم في (دراجونستون) في ذلك الوقت، خطابًا نعى فيه أباه الممدَّد فوق المحرقة الجنائزيَّة في ساحة القلعة، وقد ارتدى الملك درعه الحربيَّة والتفَّت أصابع يديه المقفَّزتيْن بالحلقات المعدنيَّة حول مقبض سيفه (اللَّهب الأسود). منذ أيام (ڤاليريا القديمة) جرَت عادة آل تارجاريَن على إحراق جُثث موتاهم بدلًا من دفنها تحت الأرض. أضرمَت ڤاجهار النَّار في المحرقة، واحترقَ (اللَّهب الأسود) مع الملك، لكن الأمير ميجور التقطَه لاحقًا من وسط الرَّماد سليمًا كما وُضِعَ، وإن غدا لون شفرته أغمق، فلا نار عاديَّة يُمكِنها الإضرار بالفولاذ الڤاليري.

ماتَ التنِّين تاركًا أخته ڤيزينيا، وابنيه ميجور وإينس، وخمسة أحفاد. كان الأمير إينس يبلغ ثلاثين عامًا عند وفاة والده، وأخوه الأمير ميجور في الخامسة والعشرين.

كان إينس في (هايجاردن) يُؤدِّي واجباته عندما وصلَ إليه خبر موت أبيه، فعادَ من فوره إلى (دراجونستون) على ظهر تنِّينته كويكسيلڤر لحضور الجنازة، وبعدها اعتمرَ تاجَ أبيه الحديدي المرصَّع بالياقوت، وأعلنَه المِايستر الأكبر جاون الملك إينس الأوَّل سليل آل تارجاريَن، ملك الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل، سيِّد (الممالِك السَّبع) وحامي البلاد. قدَّم اللوردات، الذين جاؤوا إلى (دراجونستون) لوداع مليكهم، فروض الطَّاعةِ والولاءِ، وركعوا خافضين الرُّؤوس، وعندما أتى دور الأمير ميجور ليركَع، أنهضَه إينس وقبَّله على خدِّه وقال: «أخي، ليس عليك أن تركعَ لي مجدَّدًا أبدًا. سنحكُم أنا وأنت هذه المملكة معًا»، ثم قدَّم الملك لأخيه سيف أبيه (اللَّهب الأسود) قائلًا: «هذا السَّيف يُلائمك أكثر مني. احمله في سبيلي وسأكونُ راضيًا».

(تبيَّن أن هذا التَّصرُّف لم يكن حكيمًا على الإطلاق، كما ستُظهِر الأحداث التَّالية، إذ كانت الملكة ڤيزينيا قد أهدَت ابنها سيفها (الأخت المظلِمة) مسبقًا، وهكذا أصبح في حوزة الأمير ميجور سيفَا آل تارجاريَن الڤاليريَّان المتوارثان. ولكن من ذلك اليوم فصاعدًا حملَ ميجور (اللَّهب الأسود) على الدَّوام، فيما علَّق (الأخت المظلِمة) في (دراجونستون) على حائط غُرفته).

بعد انتهاء مراسِم الدَّفْن أبحرَ الملك الجَديد وحاشِيته إلى (كينجز لاندنج)، حيث يستقرُّ العرش الحديدي بين أكوامٍ من الرُّكام والوَحل. كان معقل إجون القديم قد هُدِمَ، ونخرَت التَّلَّ الحُفر والأنفاق حيث حُفِرَت أقبية (القلعة الحمراء) وأساساتها، لكن القلعة الجديدة لم ترتفع بعدُ. وعلى الرَّغم من ذلك حضرَ آلاف لتحيَّة الملك الجديد عندما ارتقى عرش أبيه.

انطلَق جلالته بعد ذلك مُسافرًا إلى (البلدة القديمة) لتلقِّي مُباركة السِّپتون الأعلى، ورغم قُدرته على قطع الرِّحلة الطَّويلة خلال أيامٍ معدودات على ظهر تنِّينته كويكسيلڤر، فضَّل الملك إينس السَّفر برًّا في صُحبة ثلاثمئة من الفُرسان ومُرافقيهم، وركبَت إلى جواره الملكة أليسا وأكبر ثلاثةٍ من أولادهما. الأميرة رِاينا كانت في الرَّابعة عشرة، فتاةً حسناء سرقَت قلب كلِّ فارسٍ رآها، والأمير إجون في الحادية عشر، والأمير ڤسيرس في الثَّامنة، (أمَّا أخوهم وأختهم الصَّغيران، چهيرس وأليسين، فقد تُركا في (دراجونستون) لكونهما أصغر من أن يتحمَّلا مشقَّة الرِّحلة). بعد مغادرة (كينجز لاندنج)، سافرَ فوج الملك جنوبًا حتى (ستورمز إند)، ثمَّ غربًا مرورًا بـ(التُّخوم الدورنيَّة)، ومنها إلى (البلدة القديمة)، وحلَّ ضيفًا بكلِّ قلعةٍ في الطَّريق. أمَّا العودة فقُرِّرَ أن تكون

عن طريق (هايجاردن) و(لانسپورت) و(ريفررَن).

بطول الطَّريق خرجَ العامَّة بالمئات والآلاف ليهتفوا للملك والملكة الجديديْن، ويُهلِّلوا للأميرة رِاينا والأميرين الصَّغيرين، ولكن بينما استمتَع الأميران بهتاف العامَّة والمآدب والمهرجانات التي أُقيمت في كلِّ قلعةٍ للاحتفاء بالملك الجديد وأُسرته، ارتدَّت الأميرة رِاينا إلى خجلها السَّابق، لدرجة أن المِايستر الخاص بأوريس باراثيون في (ستورمز إند) كتبَ عن هذا: «لم تبدُ الأميرة راغبةً بالوجود هناك، ولم تستحسِن أيَّ شيءٍ رأته أو سمعَته، ونادرًا ما أكلَت، وامتنعَت عن الذَّهاب للصَّيد، وعندما ألحُّوا عليها لكي تُغنِّي -إذ يُقال إنها تمتَّعت بصوتٍ عذب- رفضَت الأميرة بفظاظةٍ وعادَت إلى غُرفتها». كانت الأميرة شديدة الحنق لبُعدها عن تِنِّينتها دريمفاير وصديقتها المفضَّلة الجديدة ميلوني پايپر، وهي فتاة حمراء الشَّعر من (أراضي النَّهر). فقط حين أرسلَت والدتها الملكة أليسا إلى ميلوني لتُشاركهم الجولة، كفَّت الأميرة رِاينا عن العُبوس أخيرًا وشاركَت في الاحتفالات.

وفي أبهاء (السِّپت النَّجمي) مرخَ السِّپتون الأعلى الملك إينس بالزُّيوت كما فعلَ السِّپتون السَّابق مع أبيه من قبله، وأهدى إليه تاجًا ذهبيًّا زُخرِفَت عليه أوجُه الآلهة السَّبعة مرصَّعةً باليشب واللُّؤلؤ. ولكن حتى في لحظة حصول إينس على مباركة أبي المؤمنين، شكَّك آخَرون في أهليَّته للجلوس على العرش الحديدي، وانتشرَت الهمسات بينهم عن حاجة (وستروس) إلى محُارب، ومن الواضح أن ميجور أقوى ابنَي التنِّين. أبرز هؤلاء الهامسين الملكة الأرملة ڤيزينيا تارجاريَن، إذ يُقال بأنها صرَّحت: «إن الحقيقة واضحة كالشَّمس. حتى إينس يراها، وإلَّا فلِمَ منحَ (اللَّهب الأسود) لابني؟ إنه يعلم أن ميجور وحده يتمتَّع بالقوَّة ليَحكُم».

وُضِعَت همَّة الملك الجديد تحت الاختبار أسرع ممَّا تخيَّل أحد. كانت حروب الفاتِح قد تركَت نُدوبًا في نواحي المملكة كلِّها، من أبناءٍ بلغوا حالمين بالانتقام لآبائهم القتلى، وفُرسان راوَدَتهم ذكرى أيَّامٍ استطاعَ فيها الرِّجال شقَّ طريقهم إلى الثَّروة والمجد على ظهور جيادهم مسلَّحين بسيوفهم ودروعهم، ولورداتٍ استدعوا زمنًا لم يحتاجوا فيه إلى إذن الملك في فرض الضَّرائب على رعاياهم أو قتال أعدائهم. قال السَّاخطون لبعضهم بعضًا: «الأغلال التي طرَّقها التنِّين قابلة للكسر. يُمكننا استرداد حُريَّتنا، ولكن علينا أن نضرب ضربتنا الآن، لأن هذا الملك الجديد ضعيف».

بدأت إرهاصات الثَّورة تظهر في (أراضي النَّهر) بين أطلال قلعة (هارنهال) العظيمة، التي منحَها إجون للسير كوينتون كوهريس، قيِّم سلاحه السَّابِق. حين مات اللورد كوهريس على إثر سقوطه من فوق حصانه في عام 9 بعد الفتح، انتقلَ منصبه إلى حفيده جارجون، الذي كان بدينًا أحمق يشتَهي الفتيات الصَّغيرات بشكلٍ مُنفِّر غير لائق، ولُقِّبَ بجارجون الضَّيف إذ اشتهرَ بحضوره كلَّ زِفافٍ يُقام في نطاق أراضيه ليتمتَّع بالعروس مستغلًّا حقَّ اللَّيلة الأولى، حتى إنه يَصعُب تخيُّل ضيف زفافٍ لاقى ترحيبًا أقلّ. أعطى جارجون نفسه كذلك حرِّيَّة استغلال زوجات خدمه وبناتهم.

كان الملك إينس ما يزال في جولته عبر الممالِك، وقد نزلَ ضيفًا على اللورد تَلي سيِّد (ريفررَن) في طريق العودة إلى (كينجز لاندنج)، حينما فتحَ والد خادمةٍ «شرَّفها» اللورد كوهريس بوَّابةً خلفيَّةً بـ(هارنهال) لجماعةٍ من قُطَّاع الطُّرق ادَّعى قائدها أنه هارن الأحمر حفيد هارن الأسود. سحبَ قُطَّاع الطُّرق حضرة اللورد من سريره وجرُّوه حتى أيكة

الآلهة، حيث قطعَ هارن الأحمر قضيبه وأطعمَه لكلب. قُتل خلال ذلك عدد قليل من الجنود المخلصين، فيما وافقَ الباقون على الانضمام إلى هارن، الذي أعلنَ نفسه سيِّد (هارنهال) وملك الأنهار (ولأنه ليس حديديَّ الميلاد بالأصل، فلم يُطالِب بالجُزر).

عندما وصلَت الأخبار إلى (ريفررَن)، حثَّ اللورد تَلي الملك على امتطاء تنِّينته كويكسيلڤر ومهاجمة (هارنهال) كما فعلَ والده، لكن جلالته، الذي ربما وضعَ في اعتباره مقتل والدته في (دورن)، أمرَ اللورد تَلي باستدعاءِ راياته بدلًا من ذلك، والانتِظار في (ريفررَن) حتى يُحشَد الجُند. فقط عندما حُشِدَ ألف رجل زحفَ إينس... ولكن حين بلغَ رجاله (هارنهال) وجدوها خاويةً إلَّا من الجثث. كان هارن الأحمر قد أعدمَ خدم اللورد جارجون جميعًا، وأخذَ فِرقته إلى الغابة.

لدى عودة إينس إلى العاصمة كانت أخبار أسوأ قد انتشرَت. في (الوادي) عزلَ چونوس الأخ الأصغر للورد رونل آرن شقيقه المخلص وحبسَه، وأعلنَ نفسه ملكًا على الجبل والوادي، وفي (جُزر الحديد) خرجَ ملك راهب آخَر من البحر، وأعلنَ أنه لودوس الغارق مرَّتين ابن الإله الغريق وقد عادَ أخيرًا من زيارة والده، وفي أعالي جبال (دورن) الحمراء ظهرَ مدَّعٍ يُسمَّى الملك النَّسر ودعا جميع الدورنيِّين الأُصلاء للانتقام من الشُّرور التي جلبَها آل تارجاريَن على (دورن)، وعلى الرَّغم من أن الأميرة ديريا تبرَّأت منه وأقسمَت أنها وجميع أهل (دورن) يريدون السَّلام فقط، توافدَ آلاف إلى راياته متدفِّقين من التِّلال وخارجين من الرِّمال عبر دروب الماعز في الجبال نحو أراضي (المرعى).

كتبَ اللورد هارمون دونداريون للملك: «هذا الملك النَّسر نصف مجنون، وأتباعه رِعاع، لا يعرفون الانضباط أو النَّظافة. يُمكننا أن نشمَّ

رائحتهم من بُعد خمسين فرسخًا». بعد فترةٍ وجيزة اقتحمَ أولئك الرِّعاع أنفسهم قلعة (المرفأ الأسود) واستولوا عليها، وجدعَ الملك النَّسر بنفسه أنف اللورد هارمون دونداريون قبل إحراق (المرفأ الأسود) والرَّحيل.

أدركَ الملك إينس وجوب قمع هؤلاء المتمرِّدين، وإن بدا غير قادرٍ على أن يُحدِّد أين يبدأ. كتبَ المِايستر الأكبر جاون أن الملك لم يستطِع فهم سبب حدوث ما يَحدُث. لقد أحبَّه عوام الرعيَّة، أليس كذلك؟ چونوس آرن، هذا اللودوس الجديد، الملك النَّسر... هل أخطأ في حقِّهم؟ إن كانت لديهم مظالم، فلِمَ لا يجلبونها إليه؟ «كنتُ سأسمعهم». تكلَّم جلالته عن إرسال رُسلٍ إلى المتمرِّدين لمعرفة أسباب أفعالهم، وخاشيًا ألَّا تكون العاصمة آمنةً وهارن الأحمر قريب وعلى قيد الحياة، أرسل الملكة أليسا وأطفالهما الصِّغار إلى (دراجونستون)، وأمرَ يده اللورد آلِن ستوكوورث بأخذ أسطولٍ وجيشٍ إلى (الوادي) لإسقاط چونوس آرن وإعادة شقيقه رونل إلى السِّيادة، ولكن حين أوشكَت السُّفن على الإبحار ألغى الأمر خوفًا من أن يترُك رحيل ستوكوورث العاصِمة دون حماية، وبدلًا من ذلك أرسلَ اليد مع بضع مئاتٍ من الرِّجال لمطارَدة هارن الأحمر، وقرَّر أن يعقد مجلسا كبيرًا لمناقشة أفضل السُّبل لقمع المتمرِّدين الآخَرين.

بينما تفاوضَ الملك، نزلَ اللوردات إلى أرض المعركة، وتصرَّف بعضهم بناءً على سلطته الخاصَّة، والبعض الآخَر بالتَّنسيق مع الملكة الأرملة. في (الوادي) حشدَ اللورد آلارد رويس سيِّد (رونستون) أربعين من حمَلة الرَّايات المخلصين وزحفَ بهم ضدَّ (العُش)، وبيُسرٍ دحروا أنصار مَن يُسمِّي نفسه ملك الجبل والوادي، ولكن عندما طالبوا بالإفراج عن سيِّدهم الشَّرعي، أرسلَ چونوس آرن شقيقه إليهم عبر باب القمر.

هكذا كانت النِّهاية الحزينة لرونِل آرن، الذي طارَ ثلاث مرَّاتٍ حول (رُمح العملاق) على ظهر تنِّينة.

كانت (العُش) منيعةً ضدَّ أيِّ هجومٍ تقليدي، لذلك أمطرَ «الملك» چونوس وأنصاره المتعصِّبون الموالين بالتحدِّي، وهيَّأوا أنفسهم للحصار... حتى ظهرَ الأمير ميجور في السَّماء فوقهم على متن بالريون. ها قد امتطى ابن الفاتِح الأصغر تنِّينه أخيرًا، ولم يكن إلَّا الرُّعب الأسود نفسه، أعظم التَّنانين جميعًا.

لذا، بدلًا من مواجهة نيران بالريون، قبضَت حامية (العُش) على المدَّعي وسلَّمته إلى اللورد رويس. فُتِحَ باب القمر مجدَّدًا، ورُمِيَ منه چونوس قاتِل الأقربين كما رمى أخاه. أنقذَ الاستسلام أتباع المدَّعي من الاحتراق، ولكن ليس من الموت، فبعد الاستيلاء على (العُش) أعدمَهم الأمير ميجور عن آخِرهم. حتى أنبلهم محتَدًا حُرِموا شَرف الموت بحدِّ السَّيف، إذ رأى ميجور أن الخونة لا يستحقُّون غير الحبل، وعليه شُنِقَ الفُرسان الأسرى عُراةً على جُدران (العُش)، يرفسون وهم يختنِقون ببُطء. نُصِّبَ هوبرت آرن، ابن عمِّ الأخويْن الرَّاحليْن، سيِّدًا لـ(الوادي)، فنظرًا إلى أنه أنجبَ بالفعل ستَّة أبناء من زوجته سليلة آل رويس سادة (رونستون)، اعتُبِرَت وراثة آل آرن مؤمَّنةً.

في (جُزر الحديد) وضعَ جورن جرايچوي، سيِّد حصاد (پايك)، نهايةً سريعةً مماثلةً لـ«الملك» لودوس (الثَّاني)، إذ حشدَ مئة سفينةٍ طويلة للهجوم على (ويك القديمة) و(ويك الكُبرى)، حيث العدد الأكبر من أتباع المدَّعي، وقَتلَ آلافًا منهم. بعد ذلك حُفِظَ رأس الرَّاهب الملك في محلولٍ ملحي وأُرسِلَ إلى (كينجز لاندنج)، فسُرَّ الملك إينس جدًّا بالهديَّة التي قدَّمها له جرايچوي، وقال له أن يَطلُب أيَّ شيءٍ يرغب

فيه. تبيَّن لاحقًا غياب الحكمة عن هذا، إذ طلبَ اللورد جورِن، الذي يرغب في إثبات نفسه ابنًا حقيقيًّا للإله الغريق، من الملك الحقَّ في طردِ جميع السِّپتونات والسِّپتوات الذين جاؤوا إلى (جُزر الحديد) بعد الفتح لكي يحوِّلوا الحديديِّين إلى عبادة (السَّبعة)، ولم يكن لدى الملك إينس من خيارٍ إلَّا الموافقة.

ظلَّ التمرُّد الأكبر والأشد تهديدًا تمرُّد الملك النَّسر بطول (التُّخوم الدورنيَّة). رغم أن الأميرة ديريا استمرَّت في تنديدها به من (صنسپير)، اشتبهَ كثيرون في كونها متواطئةً، لأنها لم تنزِل إلى الميدان لقمع المتمرِّدين، وأشيعَ أنها تُرسِل إليهم الرِّجال والمال والإمدادات. وسواء أكان ذلك صحيحًا أم لم يكن، فقد انضمَّ مئات من فُرسان (دورن) وآلاف من حاملي الحِراب المخضرمين إلى رعاع الملك النَّسر، وتضخَّم عدد الرِّعاع نفسه تضخُّمًا هائلًا بلغَ أكثر من ثلاثين ألف رجل. أصبح جيش الملك النَّسر ضخمًا لدرجة أنه اتَّخذ قرارًا غير مدروس بقسم قوَّاته، ففيما زحفَ غربًا ضدَّ قلعتَي (التَّغريدة) و(هورن هيل) بنصف قوَّة (دورن)، توجَّه النِّصف الآخَر شرقًا لحصار (الدفَّة الحجريَّة)، مقرِّ آل سوان، تحت قيادة اللورد والتر وايل نجل عاشق الأرامل.

وحلَّت على كلا قسمَي الجيش كارثة. انطلقَ أوريس باراثيون، المعروف الآن بأوريس الأبتَر، من (أراضي العواصف) للمرَّة الأخيرة لتحطيم الدورنيِّين أسفل أسوار (الدفَّة الحجرية)، وعندما سُلِّمَ إليه والتر وايل مُصابًا ولكن على قيد الحياة، قال له اللورد أوريس: «لقد أخذَ والدك يدي، وأنا أطالبُ بيدك تعويضًا». وإذ قال هذا بترَ يد اللورد والتر، ثمَّ أخذَ يده الأخرى وقدميه أيضًا، واصفًا فعلته بـ«الرِّبا». من الغريب القول إن اللورد باراثيون وافَته المنيَّة خلال مسيرة العودة إلى قلعته (ستورمز إند)

من جرَّاء الجراح التي أصيبَ بها في المعركة، وإن قال نجله داڤوس دائمًا إنه ماتَ راضيًا، مبتسمًا للكفَّيْن والقدميْن المتعفِّنة المتدلِّية في خيمته مثل حزمةٍ من البصل.

كان أداء الملك النَّسر نفسه أفضل قليلًا. لعدم قُدرته على الاستيلاء على (التَّغريدة)، تخلَّى عن الحصار وزحفَ غربًا، فقط ليجد أن الليدي كارون تسلَّلت من خلفه لتنضمَّ إلى كتيبةٍ قويَّة من رجال (التُّخوم) تحت قيادة هارمون دونداريون، سيِّد (المرفأ الأسود) المشوَّه، وفي تلك الأثناء ظهرَ اللورد ساموِيل تارلي سيِّد (هورن هيل) فجأةً مخترقًا مجنِّبة طابور الدورنيِّين الزَّاحف بعدَّة آلافٍ من الفُرسان والرُّماة. كان هذا اللورد يُدعى بسام الوحشي، وهذا هو ما أثبتَه خلال المعركة الدَّامية التي تلَت ذلك، إذ جندلَ عشراتٍ من الدورنيِّين بحُسامه الڤاليري العظيم (آفة القلوب). كان عند الملك النَّسر ضِعف عدد رجال أعدائه الثَّلاثة مجتمعين، لكن معظمهم كان بلا تدريبٍ وبلا انضباط، وعندما واجَهوا فُرسانًا مدرَّعين من الأمام والخلف تحطَّمَت صُفوفُهم، وألقوا الحِراب والتُّروس هاربين مكسورين صوبَ الجبال البعيدة، لكن لوردات (التُّخوم) طارَدوهم وذبحوهم في ما عُرِفَ بعد ذلك بـ«صيد النَّسر».

وبالنِّسبة إلى الملك المتمرِّد نفسه، فقد أُخِذَ الرَّجل الذي أطلقَ على نفسه اسم الملك النَّسر حيًّا وربطَه سام تارلي الوحشي عاريًا بين قائمتيْن. يَهوى المطربون القول بأن النُّسور ذاتها التي أخذَ منها اسمه مزَّقته، لكنه هلكَ في الحقيقة من العطش وحرِّ الشَّمس، ولم تأكُل الطَّير منه إلَّا بعد موته. (في لاحق السِّنين اتَّخذ العديد من الرِّجال الآخَرين لقب الملك النَّسر، ولكن لا يُمكن لأحدٍ الجزم بكونهم من سُلالة الأوَّل نفسها). عمومًا، يُعتبَر موته نهاية الحرب الدورنيَّة الثَّانية، على الرَّغم من أن هذه

التَّسمية مغلوطةٌ إلى حدٍّ ما، إذ لم ينزل أمراء (دورن) إلى ميدان المعركة على الإطلاق، واستمرَّت الأميرة ديريا في تشويه سُمعة الملك النَّسر حتى نهايته، ولم تُشارِك في حملاته.

تبيَّن أن أوَّل المتمرِّدين هو الأخير كذلك، لكن هارن الأحمر حُوصِرَ أخيرًا في قريةٍ غرب (عين الآلهة). لم يمُت الملك الخارج عن القانون بخنوع، ففي قتاله الأخير صرعَ حضرة يد الملك اللورد آلِن ستوكوورث، قبل أن يُرديه برنار برون مُرافق ستوكوورث. منحَ الملك إينس الممتنُّ رُتبة الفروسيَّة لبرون وكافأ كلًّا من داڤوس باراثيون وسامويل تارلي ودونداريون الأجدع وإلين كارون وآلارد رويس وجورِن جرايچوي بالذَّهب والمناصب والتَّشريفات. أمَّا أعظم الثَّناء فأغدقَ به على أخيه، إذ استُقبِلَ الأمير ميجور استقبال الأبطال عند عودته إلى (كينجز لاندنج)، وعانقَه الملك إينس أمام حشدٍ مهلِّل، وسمَّاه يد الملك. وعندما فقسَت بيضتا اثنين من التَّنانين وسط حُفر النَّار في (دراجونستون) في نهاية ذلك العام، عُدَّت تلك علامة.

لكن المودَّة بين ابنَي التنِّين لم تدُم طويلًا.

ربما كان الصِّراع حتميًّا، لأن طباع الأخويْن كانت مختلفةً تمامًا. أحبَّ الملك إينس زوجته وأبناءه وشعبه، لا يرجو إلَّا أن يكون محبوبًا في المقابل. فقدَ السَّيف والرُّمح كلَّ جاذبيَّةٍ لهما عنده، وبدلًا من ذلك انغمسَ جلالته في الخيمياء والفلك والتَّنجيم، وتلذَّذ بالموسيقى والرَّقص، وارتدى أجود أنواع الحرير والسَّميت والمخمل، واستمتع بصُحبة اللوردات والسِّپتونات والظُّرفاء. أمَّا أخوه ميجور فكان أطول وأعرض ومخيفًا في قوَّته، ولا صبر لديه على أيٍّ من ذلك، بل عاشَ من أجل الحروب والبطولات والمعارك. كان يُنظر إليه بحقٍّ على أنه أحد أفضل

الفُرسان في (وستروس)، رغم أن وحشيَّته في الميدان وقسوته تجاه الأعداء المهزومين كثيرًا ما كانت موضع تعليقٍ أيضًا. بينما سعى الملك إينس دائمًا للإرضاء، وحين واجهَته الصُّعوبات أجابَ بليِّن القول، كان ردُّ ميجور دومًا الفولاذ والنَّار. كتبَ المِايستر الأكبر جاون أن إينس كان يثق بالنَّاس كلِّهم، فيما لم يثق ميجور بأحد، ولاحظَ جاون سهولة التأثير على الملك، إذ يتأرجَح في هذا الاتِّجاه وذاك في الهواء مثل البُوص، على الأرجح ليستمع لآخِر مستشارٍ حازَ اهتمامه. من ناحيةٍ أخرى، كان الأمير ميجور صُلبًا كقضيبٍ حديدي، ثابت الرَّأي، لا ينحني.

على الرَّغم من تلك الاختلافات استمرَّ ابنا التنِّين في الحُكم معًا بالمعروف نحو عامين، ولكن في عام 39 بعد الفتح منحَت الملكة أليسا الملك إينس وريثًا آخَر، فتاةً اسمها ڤايلا، للأسف ماتَت في المهد بعد فترةٍ وجيزة. ربما كان هذا الدَّليل المستمر على خُصوبة الملكة هو ما دفعَ الأمير ميجور إلى فعلِ ما فعلَه. أيًّا كان السَّبب، فقد صدمَ الأمير البلاد والملك عندما أعلنَ فجأةً أن الليدي سيريس عاقِر، ومن ثمَّ فقد اتَّخذ زوجةً ثانية هي آليس هاروواي، ابنة سيِّد (هارنهال) الجديد.

أقيمَ حفل الزِّفاف في (دراجونستون) تحت رعاية الملكة الأرملة ڤيزينيا. لما كان سِپتون القلعة قد رفضَ أن يُؤدِّي المراسِم، زُفَّ ميجور وعروسه الجديدة بالطُّقوس الڤاليريَّة، «تزوَّجا بالدَّم والنَّار». عُقِدَ القران دون إجازة الملك إينس أو علمه أو حضوره، وعندما انتشرَ الخبر تشاجَر الأخَوان غير الشَّقيقيْن شجارًا حاميًا. ولم يكن جلالته وحده في غضبه، إذ احتجَّ مانفرد هايتاور والد الليدي سيريس أمام الملك مطالبًا بتنحية الليدي آليس جانبًا، وفي (السِّپت النَّجمي) بـ(البلدة القديمة) فعلَ السِّپتون الأعلى ما هو أكثر من الاحتجاج، مُستنكرًا زواج ميجور

باعتباره خطيئةً وفِسقًا، ودعا عروس الأمير الجديدة بـ«عاهرة هارووواي هذه»، وهدرَ معلنًا أن أحدًا من أبناء وبنات (السَّبعة) لن ينحني لواحدةٍ مثلها.

ظلَّ الأمير ميجور على تحدِّيه، وأشارَ إلى أن والده قد اتَّخذ أختيه زوجتيْن، مضيفًا أن قيود العقيدة قد تحكُم الرِّجال الأقلَّ شأنًا، ولكن ليس دم التنِّين. لم تستطِع كلمات الملك إينس أن تشفي الجُرح الذي فتَحته كلمات أخيه، إذ أدانَ العديد من اللوردات المتديِّنين في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع) الزِّيجة، وبدأوا يتحدَّثون جهرًا عن «عاهرة ميجور».

مُنزعجًا وغاضِبًا، أعطى الملك إينس لأخيه خيارين: إمَّا أن يُنحِّي آليس هارووواي جانبًا ويعود إلى الليدي سيريس، وإمَّا أن يُكابِد النَّفي مدَّة خمس سنوات. اختارَ الأمير ميجور المنفى، وفي عام 40 بعد الفتح رحلَ إلى (بِنتوس) آخذًا معه الليدي آليس وتنِّينه بالريون وسيف (اللَّهب الأسود). (يُقال إن إينس طلبَ من أخيه إعادة (اللَّهب الأسود)، فردَّ عليه الأمير ميجور: «مرحبًا بجلالتك إذا حاولت أخذَه منِّي»). وهكذا تُرِكَت الليدي سيريس مهجورةً في (كينجز لاندنج).

لاستبدال أخيه في منصب اليد، لجأ الملك إينس إلى السِّپتون موريسون، وهو رجل دينٍ تقي قيل إنه قادر على شفاء المرضى بلمسهم بيديه. (جعلَه الملك يضع يديه على بطن الليدي سيريس كلَّ ليلة، على أمل أن يتوب أخوه عن حماقته إذا كان بالإمكان جعل زوجته الشَّرعيَّة خصبةً، ولكن سُرعان ما سئمَت الليدي ذلك الطَّقس اللَّيلي، وغادرَت العاصِمة إلى (البلدة القديمة)، حيث انضمَّت إلى والدها في (البُرج العالي) من جديد. (لا شكَّ أن صاحب الجلالة الملك أملَ أن يُرضي الاختيار العقيدة، وإذا كان الأمر كذلك فقد أخطأ، إذ لم يستطِع

السِّپتون مورميسون أن يشفي العالم أكثر مما استطاع أن يجعل سيريس هايتاور خصبةً. استمرَّ السِّپتون الأعلى في إلقاء الخُطب كالرَّعد، وعبرَ ربوع المملكة تحدَّث اللوردات في قاعاتهم عن ضعف الملك قائلين: «كيف له أن يحكُم (الممالِك السَّبع) في حين أنه لا يستطيع حتى أن يحكُم أخاه؟».

ظلَّ الملك غافلًا عن السُّخط في البلاد. السَّلام عادَ، وأخوه المزعِج على الجانب الآخَر من (البحر الضيِّق)، وبدأت قلعة جديدة عظيمة في الارتفاع على قمَّة (تل إجون العالي)، مبنيَّة بأكملها بالحجر الأحمر الباهت، وستكون مقرَّ الملك الجديد الأكبر والأفخم من (دراجونستون)، بجُدرانٍ وحصونٍ أماميَّة ضخمة وأبراجٍ قادرة على مقاومة أيِّ عدو. أطلقَ عليها ساكِنة (كينجز لاندنج) اسم (القلعة الحمراء)، وقد أصبحَ بناؤها هاجس الملك، إذ أعلنَ جلالته: «سيحكُم نسلي من هنا ألف سنة». ربما بسبب التَّفكير في هؤلاء الأحفاد حدثَ في عام 41 بعد الفتح أن ارتكبَ إينس تارجاريَن خطأً فادحًا، بإعلان نيَّته منح يد ابنته رِاينا للزَّواج بشقيقها إجون وريث العرش الحديدي.

كانت الأميرة في الثَّامنة عشرة، والأمير في الخامسة عشرة، وكانا مقرَّبيْن منذ الطُّفولة، ويلعبان معًا في صِغرهما. على الرَّغم من أن إجون لم يحظَ بتنِّينٍ لنفسه، فقد عرجَ إلى السَّماء أكثر من مرَّةٍ مع أخته على ظهر التنِّينة دريمفاير. كان رشيقًا وسيمًا ويزداد طولًا كلَّ عام، وقال كثيرون إن إجون نُسخة من جدِّه في سنِّه هذه. على مرِّ ثلاثِ سنواتٍ قضاها مُرافقًا، صقلَ إجون مهاراته في السَّيف والفأس، وعُدَّ على نطاقٍ واسع أفضل حامل رُمحٍ شاب في المملكة. في الآونة الأخيرة كانت عذراوات عديدات قد وضعن أعيُنهن على الأمير، ولم يكن إجون غير

مبالٍ بمفاتنهن، إذ كتبَ المِايستر الأكبر جاون: «إذا لم يتزوَّج الأمير، فقريبًا سيكون لجلالته حفيد غير شرعيٍّ ليتعامل معه».

كان للأميرة رِاينا العديد من الخاطِبين أيضًا، لكنها -على عكس شقيقها- لم تُشجِّع أيًّا منهم، وفضَّلَت أن تقضي أيامها مع إخوتها وكلابها وقِططها، وصديقتها الأثيرة الأحدث إليني رويس ابنة سيِّد (رونستون)... فتاة قبيحة ممتلئة الجسد، لكنها عزيزة على رِاينا للغاية لدرجة أنها أخذَتها للطَّيران أحيانًا على ظهر دريمفاير، تمامًا كما فعلَت مع شقيقها إجون، ولكن في أغلب الأحيان كانت رِاينا تُحلِّق في السَّماء بمفردها. بعدما أتمَّت السَّادسة عشرة، أعلَنت الأميرة نفسها امرأةً بالغةً، «حُرَّةً في الطَّيران حيثما أشاءُ».

وقد طارَت فعلًا، إذ شوهِدَت دريمفاير في أماكن بعيدة مثل (تارث) و(هارنهال) و(رونستون) و(بلدة النَّوارس). قيلَ همسًا -وإن لم يَثبُت ذلك مطلقًا- إن رِاينا سلَّمت زهرة عُذريَّتها إلى عشيقٍ وضيع النَّسب في إحدى هذه الرِّحلات. ذكرَت إحدى القصص إنه كان فارسًا جوَّالًا، وقصص أخرى أنه مغنٍّ أو ابن حدَّاد أو سِپتون قرية، وفي ضوءِ هذه الحكايات اقترحَ البعض أن إينس ربما شعرَ بالحاجة إلى رؤية ابنته تتزوَّج في أقرب وقتٍ ممكن. بغضِّ النَّظر عن حقيقة ذلك التَّخمين، في الثَّامنة عشرة كانت رِاينا في سنِّ الزَّواج بالتأكيد، أكبر بثلاث سنوات من والدتها وأبيها حين تزوَّجا.

نظرًا إلى تقاليد آل تارجاريَن ومُمارساتهم، مؤكَّد أن الجمع بين أكبر اثنين من أولاده بدا السَّبيل الواضح للملك إينس. كانت المودَّة بين رِاينا وإجون معلومةً للجميع، ولم يُثِر أيٌّ منهما اعتراضًا على الزِّيجة، والواقع أن الكثير يُوحي بأن كليهما كان يتوقَّع علاقةً كهذه منذ بداية لعبهما

معًا في رياض (دراجونستون) و(حصن إجون).

العاصفة التي قابلَت إعلان الملك فاجَأتهم جميعًا، مع أن إشارات التَّحذير كانت واضحةً بما يكفي لأن يستوعبها كلُّ ذي لُب. لقد تغاضَت العقيدة عن زواج الفاتِح بأختيه، أو على الأقل تجاهلَته، لكنها لم تكن على استعدادٍ لفعل الشَّيء نفسه مع أحفادهم. من (السِّپت النَّجمي) جاءَت إدانة شديدة واستنكار لزواج الأخ بالأخت باعتباره فاحشةً، وأعلنَ أبو المؤمنين في مرسومٍ قرأه عشرة آلاف سِپتون في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع) أن أيَّ أطفالٍ يُولدون من مثل تلك الزِّيجة سيكونون «رِجسًا في نظر الآلهة والبشر».

كان إينس تارجاريَن معروفًا بتردُّده، ومع ذلك تصلَّب وعاندَ في مواجهة غضبة العقيدة. نصحَته الملكة الأرملة ڤيزينيا بأن أمامه خيارَيْن فقط: إمَّا أن يتخلَّى عن تلك الزِّيجة ويجد أُخريَين جديدتَين لابنه وابنته، وإمَّا أن يمتطي تنِّينته كويكسيلڤر ويطير إلى (البلدة القديمة) ليُحرِق (السِّپت النَّجمي) ويهدمه فوق رأس السِّپتون الأعلى. لم يُنفِّذ الملك إينس أيًّا من الاقتراحيْن، وبدلًا من ذلك استمرَّ ببساطةٍ في تعنُّته.

في يوم الزِّفاف زخرَت الشَّوارِع خارج (سِپت الذِّكرى) -الذي بُنيَ على قمَّة (تل رينس)، وسُمِّيَ تكريمًا للملكة إجون التنِّين الرَّاحلة- بأبناء المحارب المصطفِّين بدروعهم الفضِّيَّة البرَّاقة، منتبهين إلى كلِّ مَن يمرُّ بهم من ضيوف الزِّفاف، سواء أكانوا على أقدامهم أم فوق أحصنةٍ أم في هوادج. وربما لتوقُّعهم حدوث ذلك، بقيَ اللوردات الأكثر حكمةً بمنأى عن الزِّفاف.

أمَّا الذين جاؤوا لمشاهدة الحدث فقد رأوا أكثر من حفلِ زِفاف، ففي المأدبة التي تلَته زادَ الملك إينس الطِّين بلَّةً بمنحِ لقب أمير (دراجونستون)

لوريثه المفترَض الأمير إجون. خيَّم الصَّمت على القاعة لدى سماعِ كلماته هذه، لأن الحاضِرين جميعًا كانوا يعلمون أن اللَّقب يخصُّ الأمير ميجور حتى الآن. نهضَت الملكة ڤيزينيا عن المائدة الملكيَّة وغادرَت القاعة دون إذن الملك، وفي تلك اللَّيلة امتطَت ڤاجهار وعادَت إلى (دراجونستون)، وكُتِبَ أنه حين مرَّت بتنِّينتها من أمام القمر، اصطبغَ لون الجرم السَّماوي بحُمرةٍ كالدَّم.

لم يبدُ أن إينس تارجاريَن يفهم إلى أيِّ مدى أثارَ البلاد ضدَّه. حرصًا منه على استعادة حظوة العوام، أصدرَ مرسومًا يقضي بذهاب الأمير والأميرة في جولةٍ ملكيَّة عبر البلاد، مفكِّرًا بلا شكٍّ في الهتافات التي استقبلَته في كلِّ مكانٍ ذهبَ إليه في جولاته. ربما كانت الأميرة رِاينا أكثر حكمةً من والدها، إذ طلبَت إذنه في أخذ تنِّينتها دريمفاير معهم، لكن إينس حظرَ ذلك. نظرًا إلى أن الأمير إجون لم يركب تنِّينًا بعد، فقد خشيَ الملك أن يظن النُّبلاء والعامَّة أن ابنه لا يتحلَّى بالرُّجولة إذا رأوا زوجته على متن تنِّين وهو على ظهر حصان.

لقد أساءَ الملك تقدير مِزاج المملكة بشدَّة، وتديُّن شعبه وقوَّة كلمات السِّپتون الأعلى. منذ اليوم الأوَّل الذي انطلَقوا فيه، استهزأت حشود المؤمنين بإجون ورِاينا ومرافقيهما أينما حلُّوا. في (بِركة العذارى) لم يُعثَر على سِپتون واحد ليُعلِن مباركته المأدبة التي أقامَها اللورد موتون على شرف الأمير والأميرة، وعند وصولهما إلى (هارنهال) رفضَ اللورد لوكاس هارووای دخولهما قلعته ما لم يوافقا على الاعتراف بأن ابنته آليس الزَّوجة الحقيقيَّة والشَّرعيَّة لعمِّهما، فلم يُنوِّلهما رَفضُهما أيَّ حُبٍّ من المتديِّنين؛ فقط ليلة باردة رطبة في خيامٍ أسفل أسوار قلعة هارن الأسود العظيمة الشَّاهقة. وفي إحدى قُرى (أراضي النَّهر) تمادى العديد من

الصَّعاليك لدرجة رشق الثُّنائي الملكي بالقاذورات. استلَّ الأمير إجون سيفه لتأديبهم، وتعيَّن على فُرسانه كبحه، لأن أندادَ الأمير كانوا يفوقونهم عددًا بكثير. ومع ذلك لم يمنَع هذا الأميرة رِاينا من الرُّكوب إليهم قائلةً: «أرى أنكم لا تعرفون الخوف عندما تُواجِهون فتاةً على حصان. حين آتي المرَّة القادمة سأكونُ على متنِ تنّينة. ألقوني بالأوساخ حينها، أدعوكم أن تفعلوها».

في أماكن أخرى من المملكة سارَت الأمور من سيِّئ إلى أسوأ. طُرِدَ يد الملك إينس، السِّپتون مورميسون، من العقيدة عقابًا على أدائه مراسمَ الزَّواج المحرَّم، وعليه أخذَ إينس نفسه ريشةً في يده ليكتُب للسِّپتون الأعلى طالبًا من صاحب القداسة الأعلى إعادة «رجلي الطيِّب مورميسون»، وشارحًا التَّاريخ الطَّويل لعادة زواج الأخ بأخته في (ڤاليريا القديمة). كان ردُّ السِّپتون الأعلى سامًّا لدرجة أن وجه جلالته شحبَ حين قرأه. بعيدًا أشدَّ البُعد عن التَّراجُع عن موقفه، وصفَ أبو المؤمنين إينس بأنه «ملك رِجس»، معلنًا أنه مدَّعٍ وطاغية، وليس له الحقُّ في حُكم (الممالِك السَّبع).

وكان المؤمنون يستمعون. بعد أقلِّ من أسبوعين، عندما كان السِّپتون مورميسون يقطع المدينة في هودجه، خرجَت مجموعةٌ من الصَّعاليك من أحدِ الأزقَّة وانقضَّت عليه بالفؤوس وقطَّعته إلى أشلاء، وبدأ أبناء المحارب تحصين (تل رينس) محوِّلين (سِپت الذِّكرى) إلى قلعةٍ لهم. لأن سنواتٍ كانت لا تزال تفصل (القلعة الحمراء) عن انتهاء البناء، قرَّر الملك أن إيوانه على قمَّة (تل ڤيزينيا) ضعيفٌ للغاية، ووضعَ خُططًا للانتِقال بنفسه إلى (دراجونستون) مع الملكة أليسا وأطفالهما الصِّغار. تبيَّن أنه كان إجراءً احترازيًّا حكيمًا، فقبل ثلاثة أيَّام من الإبحار تسلَّق

اثنان من الصَّعاليك أسوار القلعة واقتحَموا غُرفة نومِ الملك. وحده تدخُّل الحرس الملكي في الوقت المناسب هو ما أنقذَ إينس من ميتةٍ دنيئة.

استبدلَ جلالته بـ(تل ڤيزينيا) ڤيزينيا نفسها. في (دراجونستون) استقبَلته الملكة الأرملة بقولها: «إنك أحمق وضعيف يا ابن أختي. هل تظنُّ أن أيَّ رجل كان ليجرؤ على مخاطبة أبيك بهذا الأسلوب؟ إن لديك تنّينًا، فاستخدِمه. طِر إلى (البلدة القديمة) واجعَل (السِّپت النَّجمي) (هارنهال) أخرى، أو أعطني إذنك ودعني أشوي لك هذا الأحمق الورِع». لم يأذن إينس إطلاقًا، وبدلًا من ذلك أرسلَ الملكة الأرملة إلى جناحها في (بُرج تنّين البحر)، وأمرَها بالبقاء هناك.

بحلول نهاية عام 41 بعد الفتح كان جزء كبير من البلاد في مخاض التَّمرُّد الكامل ضد عائلة تارجاريَن. الآن بدأ الملوك الزَّائفون الأربعة الذين ظهروا عند موت إجون الفاتِح كمجرَّد مهرِّجين مقارنةً بالتَّهديد الذي تُمثِّله هذه الانتفاضة الجديدة، لأن هؤلاء المتمرِّدين اعتقدوا أنهم جنود (السَّبعة)، يُقاتلون في حربٍ مُقدَّسة ضد الاستبداد الكافر.

تبنَّى عشرات من اللوردات المتديِّنين في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع) نداء السِّپتون وشرعوا في التَّمرُّد مُسقطين رايات الملك ومعلنين مناصرتهم (سِپت الذِّكرى). استولى أبناء المحارب على بوَّابات (كينجز لاندنج)، وهو ما منحَهم التَّحكُّم في دخول المدينة أو مغادرتها، وطردوا العُمَّال من (القلعة الحمراء) غير المكتمِلة، فيما خرجَ آلاف من الصَّعاليك إلى الطُّرق مُجبرين المسافرين على إعلان ما إذا كانوا يقفون مع «الآلهة أم الرِّجس»، وتجمهروا احتجاجًا خارج بوَّابات القلاع حتى يتقدَّم سادتهم للتنديد بالملك تارجاريَن. في (أراضي الغرب) أُجبِرَ الأمير إجون والأميرة

رِاينا على إلغاء جولتهما واللُّجوء إلى قلعة (كراكهول). أُرسِلَ مبعوث من (المصرف الحديدي) في (براڤوس) إلى (البلدة القديمة) ليتعامَل مع مارتن هايتاور، سيِّد (البُرج العالي) الجديد وصوت (البلدة القديمة)، بعد والده اللورد مانفرد الذي تُوفِّيَ قبل بضعة أقمار، وقد كتبَ المبعوث لموطنه قائلًا إن السِّپتون الأعلى هو «ملك (وستروس) الحقيقي في كلِّ شيءٍ عدا الاسم».

مع حلول العام الجديد كان الملك إينس لا يزال في (دراجونستون)، مريضًا مليئًا بالخوف والتَّردُّد. لم يكن جلالته يبلغُ أكثر من الخامسة والثَّلاثين، ولكن قيل إنه بدا كأنه رجلٌ في الستِّين، وأفادَ المِايستر الأكبر جاون أنه غالبًا ما خلدَ إلى فِراشه مصابًا بإسهالٍ وتقلُّصاتٍ في المعدة. عندما لم يُثبِت أيٌّ من عِلاجات المِايستر الأكبر فاعليَّةً، تولَّت الملكة الأرملة مسؤوليَّة العناية بالملك، وبدا لبعض الوقت أن إينس يتحسَّن... إلَّا أنه عانى انهيارًا مفاجئًا عندما وصلَ إليه خبرٌ مفاده أن آلافًا من الصَّعاليك أحاطوا بـ(كراكهول)، حيث نزلَ على مضضٍ ابنه وابنته «ضيفيْن». وبعد ثلاثة أيَّام ماتَ الملك.

ومثل والده، سُلِّمَ إينس تارجاريَن الأوَّل إلى ألسِنة اللَّهب في ساحة (دراجونستون)، وحضرَ جنازته ابناه ڤسيرس وچهيرس اللذان بلغا من العُمر اثنتي عشرة وسبع سنوات على التَّوالي، وكذا ابنته أليسين البالغة خمس سنوات. غنَّت أرملته الملكة أليسا مرثاةً له، وأضرمَت محبوبته كويكسيلڤر النَّار في جُثمانه، وإن دُوِّنَ أن التنِّينيْن ڤرميثور وسيلڤروينج أضافا نيرانهما إلى نيرانها.

لم تكن الملكة ڤيزينيا حاضرةً. في غضون ساعةٍ من وفاة الملك كانت قد امتطَت ڤاجهار وطارَت شرقًا عبر (البحر الضيِّق)، وحين عادَت

كان الأمير ميجور معها على متن بالريون.

نزلَ ميجور على (دراجونستون) لفترةٍ كافيةٍ فقط للمطالبة بالتَّاج. ليس التَّاج الذَّهبي المزخرَف الذي فضَّله إينس وحملَ صُور (السَّبعة)، بل تاج أبيهما الحديدي المرصَّع بالياقوت الأحمر الدَّموي. وضعَته والدته على رأسه، وركعَ اللوردات والفُرسان المجتمعون هناك إذ أعلنَ نفسه ميجور الأوَّل سليل عائلة تارجاريَن، ملك الأنداليِّين والرويناار والبشر الأوائل، سيِّد (الممالِك السَّبع) وحامي البلاد.

فقط المِايستر الأكبر جاون جرؤَ على الاعتراض، إذ قال المِايستر المسن إنه بموجب جميع قوانين الوراثة، والقوانين التي أكَّدها الفاتِح بنفسه بعد الفتح، يجب أن يؤول العرش الحديدي إلى إجون ابن الملك إينس، فردَّ ميجور: «سيذهَب العرش الحديدي إلى الرَّجل الذي لديه الشَّوكَة للاستيلاء عليه»، وبناءً على هذا أصدرَ مرسومًا بالإعدام الفوري للمِايستر الأكبر، وطيَّر رأس جاون بنفسه بضربةٍ واحدة من (اللَّهب الأسود).

لم تكُن الملكة أليسا وأولادها حاضرين لمشاهدة تتويج الملك ميجور، فقد رحلَت من (دراجونستون) في غضون ساعاتٍ بعد جنازة زوجها، وعبرَت المياه نحو قلعة أبيها القريبة على جزيرة (دريفتمارك). حين أُعلِم بذلك، هزَّ ميجور كتفيْه بلا مبالاة... ثمَّ انتقلَ إلى (قاعة المائدة المرسومة) مع مِايستر، ليُملي عليه الرَّسائِل إلى اللوردات الكبار والصِّغار في جميع أنحاء المملكة.

مئة من الغِدفان طارت في ظرف يوم، وفي اليوم التَّالي طارَ ميجور أيضًا ممتطيًا بالريون، وعبرَ (الخليج الأسود) إلى العاصمة برِفقة الملكة الأرملة ڤيزينيا على متن ڤاجهار. أشعلَت عودة التِّنينيْن الشَّغب في المدينة،

فحاولَ مئات الفِرار، فقط ليجدوا البوّابات مغلقةً وموصدةً. كان أبناء المحارب قد أحكَموا قبضتهم على أسوار المدينة والحُفر والأكوام التي ستُغدو (القلعة الحمراء)، بالإضافة إلى (تل ريينس) حيث جعلوا (سِپت الذِّكرى) حصنهم. رفعَ آل تارجاريَن راياتِهم على قمَّة (تل ڤيزينيا) ودَعَوا المخلصين للتَّجمُّع معهم، وهو ما فعلَه آلاف. أعلنَت ڤيزينيا تارجاريَن أن ابنها ميجور جاءَ ليكون ملِكًا عليهم، إذ رفعَت عقيرتها وقالت: «ملكٌ حقٌّ، من دم إجون الفاتِح الذي كان لي الأخ والزَّوج والحبيب. إن كان أحد يُشكِّك في حقِّه بالعرش، فليُثبِت لنا ذلك بجسده».

وسُرعان ما قبلَ أبناء المحارب التَّحدِّي. ركبوا نازلين (تل ريينس)، سبعمئة فارسٍ مدرَّعٍ بالفولاذ المفضَّض، يقودهم السير دامون موريجن الملقَّب بدامون الورِع. قال له ميجور: «دعنا لا نتراشق بالكلام. لتحسم السُّيوف الأمر»، ليُوافِقه السير دامون قائلًا إن الآلهة ستهب النَّصر لصاحب القضيَّة العادِلة، وأضافَ: «ليكُن لكلِّ طرفٍ سبعة أنصار كما جرى العُرف في (أندالوس) قديمًا. هل بإمكانك العثور على ستَّة رجالٍ يعضُدونك؟»، ذلك أن أخاه إينس كان قد أخذَ حرسه الملكي معه حين انسحبَ إلى (دراجونستون)، فوقفَ ميجور وحيدًا.

التفتَ الملك إلى الحشود، وهتفَ: «من يأتي ليقف في صفِّ مليكه؟». كثيرون أشاحوا بوجوههم رُعبًا أو تظاهروا بأنهم لم يسمعوه، لما علموه عن ضراوة أبناء المحارب وفتكهم، ولكن أخيرًا عرضَ أحد الرِّجال نفسه. ليس بالفارس، بل مجرَّد رجلٍ بسيط من الجُند يُسمَّى دِك بين، قال: «إنني رجل الملك منذ طفولتي، وأنوي أن أموت رجل الملك».

في تلك اللَّحظة فقط تقدَّم أوَّل فارسٍ وهتفَ: «حبَّة الفاصوليا هذا يُخزينا جميعًا. ألا يوجد هنا فُرسان أُصلاء؟ ولا حتى أتباع أوفياء؟».

كان المتحدِّث برنار برون، المرافق الذي ذبحَ هارن الأحمر ونالَ فروسيَّته من الملك إينس ذاته. دفعَ ازدراؤه الآخَرين إلى عرض سيوفهم، ونُقِشَت أسماء أربعة الفُرسان الذين اختارهم الملك ميجور بحروفٍ كبيرة في صفحات تاريخ (وستروس): السير برام ابن (البدن الأسود)، وهو فارس جوَّال، والسير رايفورد روزبي، والسير جاي لوثستون، ويُدعى بجاي الشَّره، والسير لوسيفر ماسي سيِّد (الحجر الرَّاقص).

وبالمثل بلغَتنا أسماء سبعةِ العقيدة: السير دامون موريجن المعروف بدامون الورِع، القائد الأعلى لأبناء المحارب، والسير لايل براكن، والسير هاريس هورپ وشهرته هاري رأس الموت، والسير إجون أمبروز، والسير ديكون فلاورز نغل (بيزبوري)، والسير ويلام الرَّحال، والسير جاريبالد ابن النُّجوم السَّبعة، الفارس السِّپتون. كُتِبَ أن السير دامون الورِع قادَ صلاةً تضرَّع فيها إلى (المحارب) أن يمنح أذرُعهم البأس، وبعدها أعطَت الملكة الأرملة الأمر بالبدء، ونشبَ القتال.

ماتَ ديك بين أوَّلًا، قتلَه لايل براكن بعد لحظاتٍ معدودة من بدءِ النِّزال. بعد ذلك تختلف الرِّوايات بجلاء، إذ تَزعُم إحداها أنه حين بُقِرَ بطن السير جاي الشَّره، انسكبَت منه أربعون فطيرة غير مهضومة، وتدَّعي أخرى أن السير جاريبالد ابن النُّجوم السَّبعة ردَّد أنشودةً وهو يُقاتل. العديد من المصادر يَذكُر أن اللورد ماسي بترَ ذراع السير هاري رأس الموت، وفي روايةٍ أخرى التقفَ الأخير فأسه بيده الأخرى ودفنَها بين عينَي اللورد ماسي. مصادر أخرى تقترح أن السير هاريس ماتَ ببساطة. يقول البعض إن القتال طالَ واستمرَّ عدَّة ساعاتْ، وغيرها يَذكُر أن أغلبَ الخُصَماء تساقَط في دقائقَ مَعدودات. لكن الجميع اتَّفقوا أن ميدان القتال شهدَ عظيم الصَّولات، وتبادلَ الخصوم فيه

جبّارة الطَّعنات، إلى أن صارَ ميجور تارجاريَن في النِّهاية واقفًا وحده في مواجهة دامون الورِع وويلام الرحَّال. كان ثُنائي أبناء المحارب قد أثخَنته الجراح، وجلالته يحمل (اللَّهب الأسود) في يده، ومع ذلك كان النِّزال شبه متكافئ، وحتى في أثناء سقوطه هوى السير ويلام على رأسِ الملك بضربةٍ فظيعة، لدرجة أنها حطَّمت خوذته وأفقدَته الحسَّ. ظنَّ كثيرون أن ميجور مات، حتى هرعَت إليه أمُّه الملكة الأرملة ورفعَت خوذته المهشَّمة، لتهتف قائلةً: «الملك يتنفَّس. الملك حي». وكان النَّصر له.

ماتَ سبعة من أعتى أبناء المحارب، بمَن فيهم قائدهم، وإن تبقَّى أكثر من سبعمئةٍ مُسلَّحين مدرَّعين محتشدين حول قمَّة التَّل. أمرَت الملكة ڤيزينيا بنقل ابنها إلى المِايسترات، وعندما نزلَ به حاملو الهودج التَّل خرَّ سيوف العقيدة على رُكبهم خاضعين، وأمرَتهم الملكة الأرملة بإعادة سِپتهم المحصَّن فوق (تل رينس).

طوال سبعةٍ وعشرين يومًا لبثَ ميجور تارجاريَن على حافة الموت، فيما عالجَه المِايسترات بالعقاقير والكمادات، وصلَّى السِّپتونات على سريره. في (سپت الذِّكرى) صلَّى أبناء المحارب أيضًا، وتجادلوا حول سبيلهم. شعرَ البعض أن لا حلَّ أمام الجماعة إلَّا قبول ميجور ملكًا لأن الآلهة بارَكته بالنَّصر، وأصرَّ آخَرون على كونهم ملزَمين بالقسم على طاعة السِّپتون الأعلى ومواصلة القتال.

وصلَ رجال الحرس الملكي من (دراجونستون)، وبناءً على طلب الملكة الأرملة تولوا قيادة آلافٍ من الموالين لآل تارجاريَن في المدينة وحاصَروا (تل رينس). في (دريفتمارك) أعلنت الملكة الأرملة أليسا أن ابنها إجون هو الملك الحقيقي، لكن قِلَّةً استجابَت لندائها. كان الأمير الصَّغير القريب من سنِّ البلوغ قد ظلَّ في (كراكهول) ونصف المملكة

بينه وبين عمِّه، مُحاصَرًا في قلعةٍ مطوَّقةٍ بالصَّعاليك والفلَّاحين المتديِّنين، أغلبهم ممن يعتبرونه رِجسًا.

في (القلعة) بـ(البلدة القديمة) اجتمعَ رؤساء المِايسترات لمناقشة الخلافة واختيار مِايستر أكبر جديد. تدفَّق آلاف من الصَّعاليك نحو العاصِمة، يتبع القادمون من الغرب الفارس الجوَّال السير هوريس هِل، والقادمون من الجنوب مُحارب فأسٍ عملاقًا يُدعى بوات الحفَّار. عندما غادرَ المخيِّمون في جموعٍ مهلهَلة حول (كراكهول) للانضمام إلى زُملائهم في المسير، تمكَّن الأمير إجون والأميرة رِاينا من المغادرة أخيرًا، فتخلَّيا عن جولتهما الملكيَّة وشقَّا طريقهما إلى (كاسترلي روك)، حيث قدَّم لهما اللورد لايمان لانستر حمايته. كانت زوجته الليدي چوكاستا أوَّل من يُدرِك أن الأميرة رِاينا حامل، كما يُخبِرنا مِايستر اللورد لايمان.

في اليوم الثَّامن والعشرين بعد محاكَمة السَّبعة وصلَت سفينة من (پنتوس) محمولةً على المدِّ المسائي، تحمل امرأتين وستَّمئةٍ من المرتزِقة. آليس سليلة آل هارووای، زوجة ميجور تارجاريَن الثَّانية، عادَت إلى (وستروس)... ولكن ليس وحدها، فقد أبحرَت معها امرأةٌ أخرى حسناء شاحبة الوجه ذات شعرٍ أسود فاحم كريش الغِدفان، عُرِفَت فقط باسم تيانا بنت البُرج. قال البعض إن المرأة محظيَّة ميجور، فيما دعاها آخَرون بخليلة الليدي آليس. كانت تيانا الابنة الطَّبيعيَّة[6] لماچستر پنتوشي، راقِصة حاناتٍ ارتقَت لتكونَ محظيَّةً، وتردَّدت شائعاتٌ عن كونها مسمِّمةً ومشعوذةً أيضًا. سُمِعَ العديد من الحكايات الغريبة عنها... ولكن بمجرَّد وصولها صرفَت الملكة ڤيزينيا مِايسترات ابنها وسِپتوناته، وعهدت بميجور إلى عناية تيانا.

6 - الولد الطَّبيعي: مصطلح من القرون الوُسطى يُطلَق على الأولاد غير الشَّرعيِّين. (المترجمون).

في صباح اليوم التَّالي استيقظَ الملك مع شروق الشَّمس. عندما ظهرَ ميجور فوق أسوار (القلعة الحمراء)، واقِفًا بين آليس هارووَاي وتيانا البِنتوشيَّة، هتفَت الحشود بجنون، وانفجرَت المدينة في الاحتِفال. لكن الابتهاج تَلاشى حين امتطى ميجور بالريون وانقضَّ على (تل رينس)، حيث كان سبعمئة من أبناء المحارب يؤدُّون صلاتهم الصَّباحيَّة في السِّپت المحصَّن. بينما أضرمَ لهب التنِّين النَّار في المبنى، كمنَ الرُّماة وحاملو الحِراب في الخارج، منتظرين من خرجوا مشتعلين من الأبواب. قيلَ إن صُراخ المحروقين سُمِعَ في جميع أنحاء المدينة، وظلَّلت غمامة من الدُّخان سماء (كينجز لاندنج) عدَّة أيام. هكذا لقيَ خيرة أبناء المحارب نهايتهم النَّاريَّة، ورغم بقاء فصائل أخرى في (البلدة القديمة) و(لانسپورت) و(بلدة النَّوارس) و(السِّپت الحَجري)، لم تُدانِ جماعتهم قوَّتها السَّابقة مجدَّدًا.

على أن حرب الملك ميجور ضدَّ مُناضلي العقيدة كانت قد بدأت لتوِّها، وستستمرُّ حتى نهاية حُكمه. كان أوَّل قرارٍ للملك بعد اعتلائه العرش الحديدي هو أمرُه الصَّعاليك المتدفِّقين نحو المدينة أن يُلقوا أسلحتهم، مهدِّدًا بعقوبة إباحة دمهم وقتلهم، وعندما لم يظهَر لمرسومه أيُّ تأثير أمرَ جلالته «كلَّ اللوردات الأوفياء» بالنُّزول إلى الميدان وتفريق جحافل العقيدة المهلهَلة بالقوَّة. ردًّا على ذلك، دعا السِّپتون الأعلى في (البلدة القديمة) «أطفال الآلهة الورِعين الحقيقيِّين» إلى حملِ السِّلاح دفاعًا عن العقيدة، ووضعِ حدٍّ لعهد «التَّنانين والوحوش والأرجاس».

نشَبت المعركة أولًا في (المرعى)، في بلدة (الجِسر الحجري). هناك وجد تسعة آلاف من جماعة الصَّعاليك تحت قيادة وات الحفَّار أنفسهم مُحاصَرين بين جيوش ستة لورداتٍ في أثناء محاولتهم عبور نهر (الماندر).

في وجود نصف رجاله على الجانب الشَّمالي من النَّهر، والنِّصف الثَّاني على الجانب الجنوبي، مُزِّقَ جيش وات تمزيقًا. كان أتباعه لا مدرَّبين ولا منضبطين، متَّشحين بالجِلد المقوَّى والمنسوجات الخشِنة وخُردة الفولاذ الصَّدئ، ومُسلَّحين غالبًا بفؤوس الحطَّابين والعِصِي المدبَّبة وعُدَّة الحقل، وقد برهنوا على أنهم عاجزون تمامًا عن مواجهة هجمةٍ من الفُرسان المدرَّعين على ظهور الخيول الثَّقيلة. كانت المذبحة فظيعةً لدرجة أن مياه نهر (الماندر) جرَت حمراء قانيةً مسافة عشرين فرسخًا، ومنذ ذلك الحين أصبحَت القلعة والبلدة اللتين دارَت فيهما المعركة تُعرَفان بـ(جِسر العلقم). قُبِضَ على وات نفسه حيًّا، ولكن بعد صرعه نصف دستةٍ من الفُرسان، من بينهم اللورد ميدوز سيِّد (الوادي المعشِب) قائد جيش الملك، وأُرسِلَ العِملاق إلى (كينجز لاندنج) مقيَّدًا بالسَّلاسل.

عندئذٍ كان السير هوريس هِل قد بلغَ الفرع الكبير من (النَّهر الأسود) بجيشٍ أكبر، قُرابة ثلاثة عشر ألفًا من جماعة الصَّعاليك، قوِّيَت صفوفهم بإضافة مئتَي خيَّالٍ من أبناء المحارب من (السِّيبت الحَجري)، وفُرسان بيوتٍ ومجندين إقطاعيِّين زوَّدتهم دستة من اللوردات المتمرِّدين في (أراضي الغرب) و(أراضي النَّهر). قادَ اللورد روبرت فالوِل، الشَّهير بمُهرِّج القتال، صفوف الأتقياء الذين لبَّوا نداء السِّپتون الأعلى، وركبَ معه السير لايونل لورك والسير آلِن تريك واللورد ترستيفر واين واللورد چون لايتشستر والعديد من الفُرسان الأشاوس، فبلغَ تعداد جيش المؤمنين عشرين ألفَ رجل.

على أن جيش الملك ميجور ناظرَه حجمًا، كما أن جلالته كان لديه ضِعف عدد الخيول المدرَّعة، بالإضافة إلى قوَّةٍ كبيرة من رُماة الأقواس الطَّويلة، والملك نفسه على متن بالريون. ومع ذلك كانت المعركة صراعًا وحشيًّا. قتلَ مهرِّج القتال اثنين من فُرسان الحرس الملكي قبل أن يُقتل هو بيد اللورد موتون سيِّد (بِركة العذارى)، وأعمَت ضربة سيفٍ في

وقتٍ مبكِّر من المعركة چون هوج الكبير الذي كان يُقاتِل لصالِح الملك، ورغم ذلك جمعَ رجاله وقادَ هجومًا اخترقَ به صفوف المؤمنين وجعلَ الصَّعاليك يُولُّون الدُّبر. أخمدَت عاصفة ممطرة نيران بالريون، لكنها لم تقدر على إطفائها بالكامل، ووسط الدُّخان والصُّراخ انقضَّ الملك ميجور من أعلى مرارًا وتكرارًا ليُقدِّم لأعدائه اللَّهب. بحلول اللَّيل كان النَّصر له، إذ رمى مَن تبقَّى من الصَّعاليك فؤوسهم واندفَعوا هاربين في مختلِف الاتِّجاهات.

عاد الملك ميجور مظفَّرًا إلى (كينجز لاندنج) ليجلس من جديدٍ على العرش الحديدي. عندما سُلِّمَ إليه وات الحفَّار مُقيَّدًا بالأغلال ولكن باقيًا على تحدِّيه، بترَ ميجور أطرافَه بفأس العِملاق نفسها، لكنه أمرَ مِايستراته بإبقائه على قيد الحياة «لكي يحضر زفافي»، ثمَّ أعلنَ جلالته عن نيَّته اتِّخاذ تيانا البنتوشيَّة زوجةً ثالثةً. رغم ما تناقلَته الهمسات عن أن والدته الملكة الأرملة لم تكنَّ حُبًّا للمشعوذة البنتوشية، كان المايستر الأكبر ميروس وحده من تجرَّأ على التَّحدُّث ضدَّها علانيةً، حين خاطبَ الملك قائلًا: «زوجتك الحقيقيَّة الوحيدة تنتظرك في (البُرج العالي)». أنصتَ إليه الملك بصمت، ثمَّ ترجَّل من فوق العرش الحديدي واستلَّ (اللَّهب الأسود) وقتلَه حيث وقفَ.

تزوَّج ميجور تارجاريَن وتيانا بنت البُرج فوق قمَّة (تل رينس)، وسط رماد وعظام أبناء المحارب الذين ماتوا هناك، ويُقال إن ميجور اضطرَّ لقتلِ دستةٍ من السِّپتونات قبل أن يجد واحدًا يوافِق على أداء مراسِم الزَّواج، وقد أُبقِيَ وات الحفَّار -بلا أطراف- حيًّا ليشهد الزَّواج.

حضرَت الملكة أليسا أرملة الملك إينس مع ابنيها الأصغر ڤسيرس وچهيرس وابنتها أليسين، إذ تكفَّلت زيارة من الملكة الأرملة وڤاجهار بإقناعها بترك ملجأها في (دريفتمارك) والعودة إلى البلاط، حيث بايعَت

أليسا وإخوانها وأولاد عمومتها من عائلة ڤيلاريون ميجور بصفته الملك الشرعي، بل وأُجبِرَت الملكة المترمّلة على الانضمام إلى سيِّدات البلاط الأخريات، اللَّاتي خلعن ملابس جلالته ورافقنَه إلى غُرفة النَّوم لإتمام زيجته، وهي مراسم الإضْجاع التي ترأَّستها زوجة الملك الثَّانية آليس هارووواي. انتهَت تلك المهمَّة وغادرَت أليسا وباقي السيِّدات غُرفة النَّوم الملكيَّة، لكن آليس بقِيَت وانضمَّت إلى الملك وزوجته الجديدة في ليلةٍ من الشَّهوة الجسديَّة.

وعبرَ المملكة في (البلدة القديمة) كان صوت السِّپتون الأعلى صاخبًا في إدانته «الرِّجس وعاهراته»، في حين واصلَت زوجة الملك الأولى الليدي سيريس سليلة عائلة هايتاور إصرارها على أنها ملكة ميجور الشَّرعيَّة الوحيدة، وفي الغرب بقيَ الأمير إجون تارجاريَن أمير (دراجونستون) وزوجته الأميرة رِاينا على تحدِّيهما.

خلال كلِّ الاضطرابات التي سبَّبها اعتلاء ميجور العرش، ظلَّ ابن الملك إينس وزوجته الأميرة في (كاسترلي روك)، حيث كانت رِاينا حُبلى. كان معظم الفُرسان واللوردات الصِّغار الذين رافقَوهما في جولتهما الملكيَّة المشؤومة قد تخلَّوا عنهما، وانطلَقوا إلى (كينجز لاندنج) ليركعوا ولاءً لميجور. حتى وصيفات رِاينا ورفيقاتها وجَدن أعذارًا للتَّغيُّب، باستثناء صديقتها إليني رويس، وميلوني پايپر مفضَّلتها السَّابقة التي وصلَت إلى (لانسپورت) مع إخوتها ليُقسِموا على ولاء عائلتهم.

طوال حياته عُدَّ الأمير إجون الوريث المحتمل للعرش الحديدي، لكنه وجدَ نفسه مُحتقرًا عند الأتقياء ومهجورًا من لَدُن كثيرين حسبَهم أصدقاءه المخلصين. لم يخجَل أنصار ميجور، الذين بدا أنهم يزدادون عددًا كلَّ يوم، من قول إن إجون «ابن أبيه»، وهو ما يُوحي بأنهم رأوا فيه الضَّعف ذاته الذي أسقطَ الملك إينس، وأشاروا إلى أن إجون لم

يمتطِ تنِّينًا قطُّ، في حين أن ميجور ظفرَ ببالريون، وعروس الأمير إجون الأميرة رِاينا تُحلِّق بدريمفاير منذ سنِّ الثَّانية عشرة. أُعلِنَ حضور الملكة أليسا زفاف ميجور دليلًا على أن والدة إجون نفسها تَخلَّت عن قضيَّته، وعلى الرَّغم من رفض لايمان لانستر سيِّد (كاسترلي روك) بحزمٍ حين طالبَ ميجور بإعادة إجون وأخته إلى (كينجز لاندنج) «مقيَّديْن إذا لزمَ الأمر»، ما كان الأمر ليصل به إلى التَّعهُّد بسيفه للشَّاب الذي وجدَ نفسه يُسمَّى «المدَّعي» و«إجون غير المتوَّج».

وهكذا حدثَ هناك في (كاسترلي روك) أن أنجبَت الأميرة رِاينا بنتَيْ إجون، توأمتيْن أطلقا عليهما اسمَي إيريا ورِايلا. من (السِّپت النَّجمي) جاءَ إعلانٌ عنيفٌ آخَر، إذ أعلنَ السِّپتون الأعلى أن هاتين الطِّفلتين رِجسٌ أيضًا، ثمرتان للشَّهوة وسِفاح القُربى وملعونتان من الآلهة. يُخبرنا المايستر في (كاسترلي روك)، الذي ساعَد في ولادة الطِّفلتين، بأن بعد ذلك الإعلان توسَّلت الأميرة رِاينا إلى زوجها الأمير أن يأخُذهم جميعًا عبر (البحر الضيِّق) إلى (تايروش) أو (مير) أو (ڤولانتيس)، أو أيِّ مكانٍ بعيدٍ عن متناوَل عمِّهم. قالت الأميرة: «يسرُّني أن أتخلَّى عن حياتي لجعلِكَ ملِكًا، لكنِّي لن أضعَ حياة بنتيْنا في خطر»، لكن كلماتها وقَعت على أُذنيْن من حجر، وانهمرَت دموعها عبثًا، لأن الأمير إجون كان مصمِّمًا على المطالبة بحقِّه الشَّرعي.

شهدَ فجر عام 43 بعد الفتح الملك ميجور في (كينجز لاندنج)، حيث تولَّى شخصيًّا مسؤوليَّة تشييد (القلعة الحمراء). كثير من الأعمال المنتهية تعرَّض للهدم أو التَّغيير، وجُلِبَ بنَّاؤون وعُمَّال جُدد، وزحفَت ممرات وأنفاق سرِّيَّة عبر أعماق (تل إجون العالي). وفيما ارتفعَت الأبراج الحجريَّة الحمراء، أمرَ الملك ببناءِ قلعةٍ داخل القلعة، حصن منيع مُحاط بخندقٍ جاف سيُعرَف للجميع لاحقًا بـ(حصن ميجور).

في العام نفسه عيَّن ميجور اللورد لوكاس هارووِاي والد زوجته الملكة آليس يده الجديد... وإن لم يكن اليد هو من حازَ أُذنيَ الملك. تهامَس النَّاس قائلين إن جلالته قد يحكُم (الممالِك السَّبع)، لكنه هو نفسه محكوم من الملكات الثَّلاث؛ والدته الملكة ڤيزينيا، وخليلته الملكة آليس، والسَّاحرة الپنتوشيَّة الملكة تيانا. كانت تيانا تُلقَّب بـ«وليَّة الهامسين»، وبـ«غُداف الملك» لسواد شعرها، وقيلَ إنها تتحدَّث مع الجرذان والعناكب، وإليها تأتي كلُّ حشراتِ (كينجز لاندنج) ليلًا لتُخبِرها عن أيِّ أحمقٍ متهوِّرٍ بما فيه الكفاية تكلَّم ضدَّ الملك.

في تلك الأثناء ظلَّ آلاف من جماعة الصَّعاليك يتردَّدون إلى الطُّرق والبراري في (المرعى) و(الثَّالوث) و(الوادي)، ورغم أنها لم تُشكِّل حشودًا غفيرة لمواجهة الملك في معركةٍ مفتوحة مجدَّدًا، قاتلَت جماعة النُّجوم بنواحٍ أصغر، فهاجمَت المرتحلين وداهمَت البلدات والقُرى والقلاع ذات الدِّفاعات الضَّعيفة، وقتلَت الموالين للملك أينما ثقفَتهم. فرَّ السير هوريس هِل من معركة الفرع الكبير، لكن الهرب والهزيمة لوَّثاه، وكان أتباعه قِلَّةً. كان القادة الجُدد لجماعة الصَّعاليك رجالًا من أمثال سيلاس الأشعث والسِّپتون مون ودينس الكسيح، بالكاد يمكن تمييزهم عن الخارجين عن القانون، وكانت واحدة من أشرس قادتهم امرأة تُدعى بچين پور المجدورة، لم يُساهِم أتباعها الأجلاف إلَّا في تحويل الغابة بين (كينجز لاندنج) و(ستورمز إند) إلى مجازٍ غير سالكٍ أمام المسافرين الشُّرفاء.

وفي تلك الأثناء اختار أبناء المحارب قائدًا أعلى جديدًا هو السير چوفري دوجت، كلب التِّلال الأحمر، الذي كان عازمًا على استعادة الجماعة مجدها السَّابق. عندما انطلقَ السير چوفري من (لانسپورت) ليطلُب مباركة السِّپتون الأعلى ركبَ معه مئة رجل، ولدى بلوغه (البلدة القديمة) كان قد انضمَّ إليه العديد من الفُرسان والمرافقين والمحاربين غير

النِّظاميِّين، فوصلت أعدادهم إلى ألفَي رجل. في مكانٍ آخَر من المملكة كان المزيد من اللوردات ورجال الدِّين يحشدون الرِّجال أيضًا، ويتآمَرون لإسقاط حُكم التَّنانين.

لم يمرَّ أيٌّ من هذا دون ملاحظة. طارَت الغِدفان إلى كلِّ ركنٍ من أركان المملكة تستدعي اللوردات والفُرسان المشكوك في ولائهم إلى (كينجز لاندنج)، ليجثوا على رُكبهم ويُقسِموا على الولاء ويُحضِروا ابنًا أو بنتًا رهينةً تضمن طاعتهم. صارَت جماعتا النُّجوم والسُّيوف خارجتيْن عن القانون، ومن الآن فصاعدًا ستُعاقَب عضويَّة أيٍّ منهما بالموت، وأُمِرَ السِّپتون الأعلى بتسليمِ نفسه في (القلعة الحمراء) ليُحاكَم بتُهمة الخيانة العُظمى.

وردَّ صاحب القداسة الأعلى من (السِّپت النَّجمي) آمرًا الملك بالمجيء إلى (البلدة القديمة) ليتوسَّل المغفرة من الآلهة عن خطاياه ووحشيَّته، وردَّد كثير من المؤمنين صدى تحدِّيه. بعض اللوردات المتديِّنين ارتحلَ إلى (كينجز لاندنج) بالفعل للقسم على الولاء وتقديم الرَّهائن، لكن أكثرهم لم يفعلوا، واثقين بأن أعدادهم وصلابة قلاعهم ستُبقيهم في مأمن.

تركَ الملك ميجور الأجواء المسمومة تتفاقَم طوال نصف عام تقريبًا، إذ كان منشغلًا جدًّا بتشييد قلعته الحمراء. والدته هي التي هاجمَت أوَّلًا، إذ امْتطَت الملكة الأرملة ڤاجهار وجلبَت النَّار والدَّم على (أراضي النَّهر) كما فعلَت سابقًا في (دورن)، وفي ليلةٍ واحدة اشتعلَت النِّيران في مقارِّ آل تريك وآل بلاينتري وآل ددينجز وآل لايتشستر وآل واين، ثم امتطى ميجور نفسه بالريون وطارَ به إلى الغرب، حيث أحرقَ قلاع آل بروم وآل فالوِل وآل لورك وغيرهم من «اللوردات الورعين» الذين عَصوا استدعاءه، وأخيرًا هجمَ على مقرِّ آل دوجت وحوَّله إلى

رماد. أودَت النِّيران بحياة والد السير چوفري ووالدته وأخته الصُّغرى، إلى جانب خدمهم وحرسهم المقسمين على الولاء وماشيتهم. بتصاعُد أعمدة الدُّخان في جميع أنحاء (أراضي الغرب) و(أراضي النَّهر)، اتَّجهت ڤاجهار وباليريون جنوبًا. في حقبة الفتح نُصِحَ لورد آخَر من آل هايتاور من سِپتون أعلى آخَر بفتح بوَّابات (البلدة القديمة)، ولكن بدا الآن أن المدينة الأكبر والأكثر اكتظاظًا بالسُّكَّان ستحترق لا محالة.

هربَ ألوف من (البلدة القديمة) في تلك اللَّيلة متدفِّقين من أبواب المدينة أو مستقلِّين السُّفن نحو موانٍ بعيدة، ونزل ألوف آخَرون إلى الشَّوارع في حَفلة عربدةٍ ومجون. قال النَّاس لبعضهم بعضًا: «هذه ليلةٌ للغناء والخطيئة والثَّمل، فبحلول صباح الغد سيحترق العفيف والوغد معًا». تجمَّع آخَرون في السِّپتات والمعابد والغابات العتيقة للصَّلاة لكي ينجوا، وفي (السِّپت النَّجمي) أرغى السِّپتون الأعلى وأزبدَ مستنزلًا غضبة الآلهة على آل تارجاريَن. اجتمعَ رؤساء مِايسترات (القلعة)، وملأَ رجال حرس المدينة الأجولة بالرِّمال والدِّلاء بالماء لمكافحة النِّيران التي علموا أنها قادمة. على امتداد أسوار المدينة تموضعَت النُّشَّابيَّات والعرَّادات ونافِثاتُ اللَّهب وقاذفات الحِراب في الشُّرفات، على أملِ إسقاط التنِّينيْن حين يظهران. بقيادة السير مورجان هايتاور، الأخ الأصغر لسيِّد (البلدة القديمة)، خرجَ مئتان من أبناء المحارب للدِّفاع عن قداسة السِّپتون الأعلى، وطوَّقوا (السِّپت النَّجمي) بحلقةٍ من الفولاذ، وعلى قمَّة (البُرج العالي) تحوَّلَت نار المنارة الكبيرة إلى لونٍ أخضر ضارٍ مستدعيةً حمَلة رايات اللورد مارتن هايتاور. انتظرَت (البلدة القديمة) حلول الفجر، ومجيء التنِّينيْن.

وجاءَ التنِّينان، ڤاجهار أوَّلًا عند شروق الشَّمس، وباليريون قُبيل مُنتصَف النَّهار، لكنهما وجَدا بوَّابات المدينة مفتوحةً، والشُّرفات مهجورةً، ورايات آل تارجاريَن وآل تايرل وآل هايتاور تُرفرِف جنبًا إلى

جنبٍ فوق أسوار المدينة. كانت الملكة الأرملة ڤيزينيا أوّل من يعلم بالخبر. في وقتٍ ما خلال أحلكِ ساعات تلك اللّيلة الطّويلة المرعِبة، ماتَ السِّپتون الأعلى.

كان هذا السِّپتون الأعلى في الثّالثة والخمسين من عُمره، لا يكلُّ ولا يعرف الخوف، ويبدو للجميع في صحّةٍ جيّدة، وأكثر من مرّة ألقى خُطبًا دامَت يومًا وليلةً دون أن ينام أو يذوق الزّاد. صدمَ موته المفاجئ المدينة وأذهلَ أتباعه. حتى يومنا هذا ما زالَت أسباب موته محلَّ جدل. البعض يقول بأن قداسته انتحرَ، في ما عُدَّ فعلَ شخصٍ جبانٍ خائِف من مواجهة غضبِ الملك ميجور، أو تضحيةً نبيلةً ليُجنِّب أهل المدينة الطَّيِّبين لفح نيران التنّين، فيما يزعُم آخرون أن الآلهة السّبعة بطشَت به لخطيئة الاستكبار، ولأجل الهرطقة والخيانة والغطرسة.

آخَرون أكثر كثيرًا يصرُّون أنه قُتِلَ... ولكن على يد مَن؟ يقول البعض إن السير مورجان هايتاور هو مَن فعلها بأمرٍ من أخيه اللورد، (وقد شُوهِدَ السير مورجان في أثناء دخوله وخروجه من مسكن السِّپتون الخاص في تلك اللَّيلة)، في حين يُوجِّه آخَرون أصابع الاتِّهام إلى الليدي پاتريس هايتاور عمَّة اللورد مارتن العذراء التي أشيعَ أنها ساحرة (وقد طلبَت بالفعل لقاء قداسته عند الغسق، ولو أنه كان حيًّا وقت رحيلها). رؤساء المِايسترات في (القلعة) موضِع اشتباهٍ كذلك، ولو أن مسألة استخدامهم الفنون السَّوداء أو قاتلًا مأجورًا أو رقًّا مَسمومًا تظلُّ محلَّ جدل (إذ تبادلَ (السِّپت النَّجمي) و(القلعة) العديد من الرَّسائل طوال اللَّيل). ويبقى مَن لا يزال يؤمِن ببراءتهم جميعًا، ويلقي اللَّوم في موت السِّپتون الأعلى على ساحرةٍ مزعومة أخرى، الملكة الأرملة، ڤيزينيا تارجاريَن.

قد لا نعرف الحقيقة أبدًا... لكن المؤكَّد هو ردَّة فعل اللورد مارتن السَّريعة حين بلغَه الخبر في (البُرج العالي)، إذ أرسلَ من فوره جنوده لتجريد أبناء المحارب -الذين كان أخوه بينهم- من السِّلاح واعتقالهم، وفُتِحَت بوَّابات المدينة ورُفِعَت رايات آل تارجاريَن فوق أسوارها. من قبل أن يظهرَ جناحا ڤاجهار في الأفق كان رجال اللورد هايتاور يُنهِضون رجال مجلس القانِتين من أسرَّتهم ويقودونهم بحدِّ الحربة إلى (السِّپت النَّجمي) لاختيار السِّپتون الأعلى الجديد.

تطلَّب الأمر اقتراعًا واحدًا فقط. كأنهم واحد تقريبًا، اختارَ حُكماء وحكيمات العقيدة السِّپتون پاتر، الذي كان يبلُغ من العُمر تسعين عامًا وأعمى ومحنيَّ الظَّهر وذابل الجسد، لكنه مشهورٌ بدماثته. كادَ السِّپتون الجديد ينهار تحت ثقل التَّاج البلَّوري عند تتويجه... ولكن

حين ظهرَ أمامَه ميجور تارجاريَن في (السِّپت النَّجمي)، أسعدَه بشدَّة أن يُبارِكه بصفته ملكًا ويمرِّخ رأسه بالزُّيوت المقدَّسة، حتى مع نسيانه كلمات المباركة.

عادَت الملكة ڤيزينيا إلى (دراجونستون)، فيما بقيَ الملك نصف العام تقريبًا في (البلدة القديمة)، مقيمًا بلاطه ومترئِّسًا جلسات محاكمة أسرى أبناء المحارب الذين منحَهم خيارًا. مَن ينبذون ولاءهم لجماعتهم سيُسمَح لهم بالرَّحيل إلى (الجِدار) ليقضوا حياتهم إخوةً سُودًا في حرس اللَّيل، أمَّا مَن يرفُضون فسينالون فرصة الموت شُهداءً في سبيل عقيدتهم. وافَق ثلاثة أرباع الأسرى على الاتِّشاح بالأسود وماتَ الباقون، ومن هؤلاء نال سبعة فُرسان من ذوي الصِّيت الذائع وأبناء اللوردات شرف أن يفصل الملك ميجور بنفسه رؤوسهم عن أبدانهم بسيفه (اللَّهب الأسود). نُفِّذَت الأحكام في الباقين بيد إخوتهم السَّابقين في السِّلاح، ومن بين هؤلاء جميعًا تلقَّى فرد واحد فقط العفو الملكي الكامل، وهو السير مورجان هايتاور.

حلَّ السِّپتون الأعلى الجديد جماعتَيْ أبناء المحارب والصَّعاليك رسميًّا، آمرًا أعضاءهما المتبقِّين بالتَّوقُّف عن القتال باسم الآلهة، وأعلنَ قداسته أن (السَّبعة) لم يعودوا بحاجةٍ إلى مُحاربين، فمِن الآن فصاعدًا سيدافِع العرش الحديدي عن العقيدة ويحميها. أمهلَ الملك ميجور الأعضاء الباقين على قيد الحياة من مُناضلي العقيدة حتى نهاية العام ليَستسلِموا ويوقِفوا تمرُّدهم، ومن يستمرُّ منهم في عصيانه ستُوضَع مكافأة على رأسه: تنِّين ذهبي على رأس أيٍّ من أبناء المحارب، وأيلٍ فضِّي على فروة الرأس «القَمِلة» لأيِّ صُعلوك.

ولم يُبدِ السِّپتون الأعلى الجديد اعتراضًا على ذلك، ولا أعضاء مجلس

القانِتين.

خلال إقامته بـ(البلدة القديمة) تصالحَ الملك وزوجته الأولى، الملكة سيريس أخت مُضيفه اللورد هايتاور، ووافقَت صاحبة الجلالة على قبول زوجات الملك الأخريات ومعاملتهن باحترامٍ وتكريم، وعدم الكلام عنهن بسوءٍ مرَّةً أخرى، فيما أقسمَ ميجور أنه سيردُّ لها حقوقها ودخولها وامتيازاتها بصفتها زوجته وملكته. أقيمَت مأدبة عظيمة في (البُرج العالي) للاحتفالِ بصُلحهما، حتى إن الاحتفال شهدَ إضْجاعًا ثانيًا و«إتمامًا ثانيًا»، حتى يكون معلومًا للناس جميعًا قدر حُبِّهما وصدق ارتباطهما.

ليس معلومًا إلى متى كان سيستمرُّ بقاء الملك في (البلدة القديمة)، ففي النِّصف الثَّاني من عام 43 بعد الفتح ظهرَ منافس آخَر على العرش. لم يمرَّ غياب جلالته الطَّويل عن (كينجز لاندنج) مرور الكرام على ابن أخيه، وقد سارعَ إجون بانتهاز الفرصة والخروج أخيرًا من (كاسترلي روك). انطلقَ إجون غير المتوَّج وزوجته رِاينا عبر (أراضي النَّهر) ومعهما مجموعة محدودة من الرِّفاق ليَدخُلوا (كينجز لاندنج) مستترين تحت أجولة ذُرة، ولقلَّة عدد رجاله لم يجرؤ إجون على إجلاس نفسه على العرش الحديدي، عالما أنه لن يستطيع الحفاظ عليه. كانوا هناك من أجل تنّينة رِاينا، دريمفاير... ولكي يُحاوِل الأمير أن يأخذ تنّينة أبيه كويكسيلفر لنفسه، وساعدَهم في مسعاهم المتهوِّر هذا أصدقاء من داخل بلاط الملك ميجور، من الذين فاضَ بهم الكيل من وحشيَّته. عند دخولهما المدينة كان الأمير والأميرة مختبئَيْن داخل عربة تجرُّها البغال، لكن حين خرجا كانا محلِّقَيْن جنبًا إلى جنبٍ على متنَي تنّينيْهما.

من هناك عاد إجون ورِاينا إلى (أراضي الغرب) ليحشدا جيشًا، وبينما تردَّد آل لانستر في مناصرتهم قضيَّة الأمير إجون علنًا، كان مؤيّدوه

قد اجتمعوا في (قلعة العذراء الورديَّة)، التي تعهَّد سيِّدها چون پاپر بالولاء للأمير، وإن شاعَ الاعتقاد بأن أخته ميلوني، صديقة طفولة رِاينا، هي التي أقنعَته. هناك في (العذراء الورديَّة) امتطى إجون تارجاريَن تِنِّينته كويكسيلڤر ليهبِط من السَّماء مُعلنًا عمَّه ميجور تارجاريَن طاغيةً وغاصبًا، وداعيًا كلَّ الرِّجال الشُّرفاء للاحتشاد تحت رايته.

كان معظم من لبَّوا دعوته من لوردات (أراضي الغرب) و(أراضي النَّهر)، منهم اللوردات تاربك وروت وڤانس وشارلتون وپايپ وفراي وپارن وفارمان ووسترلينج، وكذلك اللورد كوربراي من (الوادي)، ونغل الرَّوابي، وابن سيِّد (وكر الجرافِن) الرَّابع. ومن (لانسپورت) جاءَ خمسمئة رجلٍ تحت راية السير تايلر هِل نغل لايمان لانستر، وبهذه الحيلة مدَّ سيِّد (كاسترلي روك) الدَّاهية الأمير الصَّغير بالدَّعم، وفي الحين نفسه أبقى يديه نظيفتيْن في حال انتِصار ميجور. لم يجئ جنود پاپر تحت قيادة اللورد چون أو إخوته، بل قادتهم أختهم الليدي ميلوني التي ارتدَت الحلقات المعدنيَّة كما الرِّجال وتسلَّحَت بحربة. خمسة عشر ألف رجل كانوا قد انضموُّا إلى التَّمرُّد عندما بدأ إجون غير المتوَّج زحفه عبر (أراضي النَّهر) للمطالبة بالعرش الحديدي، يقودهم الأمير بنفسه على ظهر تنِّين الملك إينس الأثير، كويكسيلڤر.

رغم احتواء صفوفهم على قادةٍ أَكْفَاء وفُرسان أشاوِسَ أشِدَّاء، لم يُناصِر أيٌّ من اللوردات الكبار قضيَّة الأمير إجون... إلا أن الملكة تيانا وليَّة الهامسين أرسلَت إلى الملك ميجور تُنبِّهه إلى تواصُل (ستورمز إند) و(العُش) و(وينترفل) و(كاسترلي روك) سِرًّا مع أرملة أخيه الملكة أليسا، ليخبروها أنه قبل إعلان تأييدهم أمير (دراجونستون)، يجب أن يقتنِعوا بقُدرته على فوزه على عمِّه. أي إن الأمير في حاجةٍ إلى انتصار.

لكن ميجور أبى عليه ذلك، إذ لبّى نِداءه اللورد هارووداي سيِّد (هارنهال)، واللورد تَلي سيِّد (ريڤررَن)، وخرجَ فارس الحرس الملكي السير داڤوس داركلين على رأس خمسة آلاف مُحارب من (كينجز لاندنج) متَّجهًا غربًا لمواجهة المتمرِّدين، ومن (المرعى) حضرَ كلٌّ من اللورد پيك واللورد ميريويذر واللورد كازويل بجنودهم. وجد جيش إجون بطيء الحركة نفسه مُحاصرًا من كلِّ الجهات بجيوشٍ كل منها أصغر منه، ولكنها كُثر لدرجة أن جيشَ الأمير الشَّاب (الذي لم يتعدَّ السَّبعة عشر عامًا) لم يعرِف إلى أين يذهب. نصحَه اللورد كوربراي بمواجهة كلِّ عدوٍ على حِدة قبل أن تنضمَّ جيوشهم معًا، لكن إجون عزفَ عن فكرة تقسيم قوَّاته، واختارَ بدلًا من ذلك التَّقدُّم في اتِّجاه (كينجز لاندنج).

جنوب (عين الآلهة) مباشرةً وجدَ رجال السير داڤوس داركلين يعترضون سبيله فوق أرضٍ مرتفِعة واقفين خلف حائطٍ من الحِراب، فيما أبلغَ كشَّافته عن تقدُّم اللوردَيْن ميريويذر وكازويل من الجنوب واللوردَيْن تَلي وهارووداي من الشَّمال. أمرَ الأمير بالهجوم آمِلًا كسر صفوف مُقاتلي (كينجز لاندنج) والعبور من وسطهم قبل أن تَنقضَّ بقيَّة جيوش الموالين للملك على جناحَي جيشه، وامتطى كويكسيلڤر ليقود الهجوم بنفسه. بالكاد كان قد ارتفَع قبل أن يسمعَ صيحات الرِّجال ويراهم يشيرون بأصابعهم إلى حيث ظهرَ بالريون الرُّعب الأسود في سماء الجنوب.

ها قد جاءَ الملك ميجور.

ولأوَّل مرَّةٍ منذ هلاك (ڤاليريا) تقاتلَ تنِّينان في السَّماء، فيما قامَت المعركة على الأرض.

كان حجم كويكسيلڤر يبلغ رُبع حجم بالريون، ولم تكُ نِدًّا للتنِّين الأكبر سنًّا والأشدَّ ضراوةً، إذ ابتلعَت حُجب عظيمة من النَّار السَّوداء

كُرات اللَّهب البيضاء الشَّاحبة التي قذفَتها، ثم انقضَّ عليها الرُّعب الأسود من أعلى مطبقًا فكَّيه على عُنقها فيما اقتلعَ أحد جناحيها من جسمها، لتهوي التنِّينة الصَّغيرة صارخةً داخنةً إلى الأرض، ومعها الأمير إجون.

دامَت المعركة بالأسفل وقتًا أقل، وإن كانت أشدَّ دمويَّةً، فما إن سقطَ إجون رأى المتمرِّدون قضيَّتهم خاسرةً، فألقوا أسلحتهم ودروعهم في أثناء هروبهم، لكن جيوش الموالين حاصرَتهم ولم يكن لهم من مهرَب. بنهاية ذلك اليوم سقطَ ألفان من رجال إجون مقابل مئة من رجال الملك، وكان من بين القتلى اللورد آلِن تاربك، ودينس سنو نغل (بلدة الرَّوابي)، واللورد رونِل ڤانس، والسير ويلام ويسلر، وميلوني پايپر وثلاثة من إخوتها... وأمير (دارجونستون) إجون غير المتوَّج سليل آل تارجارين. أمَّا على جانب الملك فكانت الخسارة الوحيدة الجديرة بالملاحظة هي السير داڤوس داركلين، فارس الحرس الملكي الذي سقطَ على يد اللورد كوربراي وسيفه (سيِّدة البؤس). تلا ذلك نصف عام من المحاكمات والإعدامات. أقنعَت الملكة ڤيزينيا ابنها بالعفو عن بعض اللوردات المتمرِّدين، ولكن حتى من أُبقيَ على حياتهم خسروا أراضيَ وألقابًا، وأُجبِروا على تسليم رهائن للملك.

لكن شخصًا بارزًا واحدًا لَم يُعثَر عليه بين الذين قُتلوا أو ضمن الذين أُسروا: رِاينا تارجارين، أخت الأمير إجون وزوجته التي لم تكن مع الجيش. سواء أكان ذلك بأمرِ الأمير أم باختيارها، لا تزال المسألة محلَّ نقاشٍ إلى يومنا هذا. المؤكَّد أن رِاينا بقيت في (العذراء الورديَّة) بصُحبة بنتيْها عندما زحَفَ إجون... ومعها دريمفاير. هل كانت إضافة تنِّينٍ ثانٍ إلى جيش الأمير لتُشكِّلُ فارِقًا حين اندلعَت المعركة؟ لن نعرف

أبدًا... وإن أشيرَ إلى أن الأميرة رِاينا لم تكن مُحاربةً، ودريمفاير أصغر سنًّا وحجمًا من كويكسيلڤر، وبالتَّأكيد ليست بتهديدٍ حقيقي تُشكِّله لبالريون الرُّعب الأسود.

عندما وصلَت أخبار المعركة إلى الغرب، وعلِمَت الأميرة رِاينا بسقوط كلٍّ من زوجها وصديقتها الليدي ميلوني، قيل إنها تلقَّت الأخبار بصمتٍ كأنها من حجر، ولما سُئِلَت: «ألن تبكيهما؟»، كان ردُّها: «لا أملكُ وقتًا للدُّموع». وهكذا، خوفًا من غضبة عمِّها، أخذَت ابنتيها إيريا ورِايلا وهربَت بهما مسافاتٍ أبعد، إلى (لانسپورت) أوَّلًا، ثمَّ عبرَ البَحر إلى (الجزيرة القصيَّة) حيث سيِّد الجزيرة الجديد، مارك فارمان (الذي قُتِل والده وأخوه الأكبر في المعركة في أثناء قتالهما لأجل الأمير إجون). وفَّر لها اللورد مارك ملاذًا آمِنًا، وأقسمَ ألَّا يلحق بها أذى تحت سقفه. لقُرابة العام ظلَّ سُكَّان (الجزيرة القصيَّة) يُراقِبون الشَّرق بتوجُّس، متخوِّفين من رؤية جناحَي بالريون الأسودَيْن، إلَّا أن ميجور لم يجئ، وبدلًا من ذلك فضَّل الملك المنتصِر العودة إلى (القلعة الحمراء)، حيث شرعَ بتصميمٍ في محاولة إنجاب وريث.

كان عام 44 بعد الفتح عام سلامٍ مقارنةً بما حدثَ قبله... لكن المِايسترات الذين أرَّخوا تلك الحِقبة كتبوا أن رائحة الدَّم والنَّار ظلَّت عالقةً في الهواء. جلسَ ميجور تارجاريَن الأوَّل على العرش الحديدي فيما ارتفعَت قلعته الحمراء من حوله، لكن بلاطه كان كئيبًا عابسًا رغم وجود مِلكاته الثَّلاث... أو ربما بسبب وجودهن. في كلِّ ليلةٍ كان يستدعي إحدى زوجاته إلى فراشه، ورغم ذلك ظلَّ منقطِع النَّسل، بلا وريثٍ ما عدا أبناء وبنات أخيه إينس. «ميجور المتوحِّش»، بهذا لُقِّبَ، وبـ«قاتل الأقربين» أيضًا، وإن كان الموت مصير من نطقَ أحد هذين

اللَّقبيْن على مسمعٍ منه.

حدثَ في (البلدة القديمة) أن تُوفِّيَ السِّبتون الأعلى الشَّيخ وعُيِّنَ آخَر في مكانه، وعلى الرَّغم من أنه لم يتفوَّه بكلمة ضدَّ الملك أو زوجاته فقد ظلَّت العداوة بين الملك ميجور والعقيدة قائمةً. مئات من جماعة الصَّعاليك طُورِدوا وقُتِلوا وسُلِّمَت فروات رؤوسهم إلى رجال الملك مقابل جائزة، ولكن بقيَ آلاف منهم يجوبون غابات (الممالِك السَّبع) ووشائعها وبراريها لاعنينَ آل تارجاريَن مع كلِّ نفَسٍ يخرج من صدورهم، حتى إن إحدى الفِرق توَّجت السِّبتون الأعلى الخاصِّ بها، وكان رجلًا كثَّ اللِّحية يُدعى بالسِّبتون مون. وظلَّ عددٌ قليل من أبناء المحارب متجلِّدين، يقودهم السير چوفري دوجت كلب التِّلال الأحمر. صارَت الجماعة خارجةً عن القانون ومحكومًا عليها بالموت، فلم تعُد تتمتَّع بالقوَّة الكافية لمواجهة رجال الملك في معركةٍ مفتوحة، لذلك أرسلَ الكلب الأحمر أفرادها متنكِّرين كفُرسان جوَّالين لاصطياد وذَبح الموالين لآل تارجاريَن و«خونة العقيدة». كان السير مورجان هايتاور، العضو السَّابق في تنظيمهم، ضحيَّتهم الأولى، إذ قُتِلَ وذُبِح على الطريق إلى (ربوة العسل). اللورد العجوز ميريويذر كان التَّالي، وتلاه ابن اللورد پيك ووريثه، ووالِد داڤوس داركلين المسِن، وحتى چون هوج الأعمى. ومع أن المكافأة المرصودة لرأس ابنٍ من أبناء المحارب بلغَت تنِّينًا ذهبيًّا، إلَّا أن عامَّة الشَّعب وفلَّاحي المملكة وفَّروا لهم الملجأ والحماية، متذكِّرين ما كانوا عليه.

في (دراجونستون) أصبحَت الملكة الأرملة ڤيزينيا هزيلةً ضعيفةً، يذوب لحمُها عن عظمها، وبدورها ظلَّت الملكة أليسا على الجزيرة في رفقة ابنها چهيرس وابنتها أليسين، مساجين في كلِّ شيءٍ عدا اسمًا. استُدعِيَ

الأمير فسيرس، الابن الاكبر حاليًّا لإينس وأليسا، إلى بلاط صاحب الجلالة، وعُيِّنَ الفتى الواعد ذو الخمسة عشر عامًا والمحبوب من العامَّة مُرافقًا للملك... يُرافِقه فارس حرس ملكيٍّ كظلِّه لضمان بقائه بعيدًا عن المؤامرات والخيانات.

لفترةٍ وجيزة في عام 44 بعد الفتح بدا أن الملك قد يحصل على الابن الذي يرجوه بشدَّة. أعلنَت الملكة آليس أنها حُبلى، وابتهجَ البلاط الملكي كلُّه. ألزمَ المِايستر الأكبر دزموند الملكة فِراشها، وتولَّى رعايتها بمساعدة اثنتين من السِّپتوات وقابِلة، بالإضافة إلى شقيقتَي الملكة چين وهانا، وأصرَّ ميجور أن تخدم زوجتاه الأخريان أيضًا الملكة الحامل.

ولكن خلال القمر الثَّالث من حملها بدأت الليدي آليس تنزف بغزارةٍ من رحمها، وفقدَت الجنين. حين جاء الملك ميجور ليرى الجنين الجهيض، أرعبَه أن يجد الصَّبي وحشًا بأطرافٍ ملتوية ورأسٍ كبير وبلا عينين. هدرَ الملك بلوعة: «لا يمكن أن يكون هذا ابني!»، ثمَّ انقلبَ الحُزن إلى غضب، وأمرَ بالإعدام الفوري لكلٍّ من القابلة والسِّپتيتَيْن اللاتي تولَّين العناية بالملكة، وكذا المِايستر الأكبر دزموند، وعفا عن أختَي الملكة آليس فقط.

يُقال إن الملك ميجور كان جالسًا على العرش الحديدي برأس المِايستر الأكبر بين يديه عندما أتَت الملكة تيانا لتُخبِره أنه خُدِعَ، فالطِّفل لم يكن من صُلبه. عند رؤية الملكة سيريس تعود إلى البلاط الملكي مسنَّةً بلا ذُرِّيَّة، بدأت آليس هاروواي تخشى أن يكون المصير نفسه في انتظارها ما لم تمنح الملك ابنًا، فلجأت إلى أبيها اللورد يد الملك. في اللَّيالي التي شاركَ فيها ميجور الملكة سيريس أو الملكة تيانا الفِراش، كان لوكاس هاروواي يُرسِل رجالًا إلى فِراش ابنته لجعلها تحبل. رفضَ

ميجور أن يُصدِّق ذلك، وقال لتيانا إنها ساحرة غيور وعاقِر، وقذفَها برأس المايستر الأكبر. «العناكب لا تكذب». بذا ردَّت وليَّة الهامسين، وسلَّمت الملك قائمةً.

كانت القائمة تضمُّ أسماء عشرين رجلًا زُعِمَ أنهم زرعوا بذرتهم في رحِم الملكة. رجال مُسنون وشُبَّان، وُسام وقِباح، فُرسان ومُرافقون، لوردات وخدم، بل وساسة وحدَّادون ومغنُّون. على ما يبدو، ألقى يد الملك شبكةً واسعة. بين هؤلاء الرِّجال شيء واحد مشترك، إذ كانوا قد أثبتوا جميعًا تمتُّعهم بالخصوبة، وعُرِفوا بقُدرتهم على إنجاب أطفالٍ أصحَّاء.

اعترفَ الجميع تحت التَّعذيب ما عدا اثنان. كان أحدهما أبًا لاثني عشر طفلًا، ولا يزال بحوزته الذَّهب الذي دفعَه له اللورد هارووّاي مُقابل خدماته. جرى الاستجواب سريعًا وفي السِّر، ولذا لم يكن لدى اللورد هارووّاي أو الملكة أدنى فكرة عن شكوك الملك حتى داهَمهما الحرس الملكي. جُرجِرَت الملكة آليس من سريرها، وشاهدَت أختيْها تُقتَلان أمام عينها في محاولتهما الدِّفاع عنها، أمَّا والدها الذي كان يتفقَّد (بُرج اليد) فقد قُذِفَ من فوق سطح البُرج ليتحطَّم على الحجارة بالأسفل، واعتُقِلَ أيضًا أبناء اللورد هارووّاي وإخوته وأبناؤهم، وأُلقوا على الخوازيق المصفوفة في الخندق الجاف حول (حصن ميجور)، فاستغرقَ بعضهم ساعاتٍ حتى مات، فيما بقِيَ هوراس هارووّاي الأبله أيَّامًا على هذه الحال. سرعان ما انضمَّ إليهم أصحاب الأسماء العشرين على قائمة الملكة تيانا، ودستة أخرى من الرِّجال الذين ذكرَ العشرون أسماءهم.

كانت الميتة الأشنع من نصيب الملكة آليس ذاتها، إذ سُلِّمَت إلى ضُرَّتها تيانا لتتولَّى تعذيبها. لن نتكلَّم عن موتها، فبعض الأشياء من الأفضل دفنه ونسيانه. يكفينا أن نقول إن موتها استغرقَ قُرابة

الأسبوعيْن، وإن ميجور كان حاضِرًا طوال تلك المدَّة، شاهِدًا على عذابها. بعد موت الملكة قُطِّعَت جُثَّتها إلى سبعة أجزاء، وعُلِّق كلُّ جزءٍ على خازوق فوق إحدى بوَّابات المدينة السَّبع، حيث بقيَت أشلاء الملكة هناك حتى تعفَّنت.

غادر الملك نفسه (كينجز لاندنج) حاشدًا قوَّةً كبيرة من الفُرسان والرِّجال المسلَّحين، زحفَ بها نحو (هارنهال) ليستكمِلَ تدمير آل هارواي. لم تكُن القلعة العظيمة الواقعة على شاطئ (عين الآلهة) ذات حمايةٍ قويَّة، وعليه فتحَ أمينها، ابن شقيق اللورد لوكاس وابن عمِّ الملكة الرَّاحلة، البوَّابات للملك، لكن استسلامه لم يُنجيه، فقد وضعَ الملك حامية القلعة كاملةً تحت حدِّ السَّيف، ومعها كلَّ رجلٍ وامرأةٍ وطِفلٍ لديه نقطة دَمٍ تنتمي لآل هارواي. بعدها زحفَ باتِّجاه (بلدة اللورد هارواي) الواقِعة على (الثَّالوث) ليفعل الشَّيء ذاته هناك.

في أعقاب إراقة الدِّماء بدأ النَّاس يقولون إن (هارنهال) ملعونة، لأن كلَّ عائلةٍ حكمَتها لاقَت نهايةً مأساويَّةً دامية، ومع ذلك طمعَ كثيرون من رجال الملك الطَّموحين في الحصول على معقل هارن الأسود العظيم بأراضيه الخصبة الشَّاسعة... كثيرون لدرجة أن الملك سئمَ من كثرة المناشدات، فقرَّر أن تكون (هارنهال) من نصيب أقواهم. وهكذا تقاتَل ثلاثة وعشرون من فُرسان أهل بيت الملك بالسَّيف والهراوة والرُّمح وسط شوارع (بلدة اللورد هارواي) الغارقة بالدِّماء، حتى تُوِّجَ السير والتون تاورز بالنَّصر وأنعمَ عليه ميجور لقبَ سيِّد (هارنهال)... لكن النِّزال كان وحشيًّا، ولم يعِش السير والتون طويلًا للاستمتاع باللورديَّة، إذ ماتَ متأثِّرًا بجراحه في غضون أسبوعيْن، فانتقلَت (هارنهال) إلى ابنه البِكر، على الرَّغم من تقليص نطاق حُكمه بأمرٍ من الملك، الذي منحَ

(بلدة اللورد هارووای) للورد ألتون بترويل، وباقي أملاك هارووای للورد دارنولد داري.

حين عادَ الملك ميجور أخيرًا إلى (كينجز لاندنج) ليستقرَّ مجدَّدًا على العرش الحديدي، استُقبِلَ بخبر وفاة والدته الملكة ڤيزينيا. علاوةً على ذلك، في أعقاب الارتباك الذي تلا رحيل الملكة الأرملة، نجحَت الملكة أليسا وأولادها في الهرب من (دراجونستون) مع التِّنِّينَيْن ڤرميثور وسيلڤروينج... إلى أين؟ لا يمكن لأحد الجزم. بل وتمادوا لدرجة سرقة سيف (الأخت المظلِمة) في أثناء فرارهم.

أمرَ جلالته بحرق جُثمان والدته ودفن رُفاتها ورمادها بجانب رُفات الفاتِح ورماده، ثم أرسلَ رجال حرسه الملكي للقبض على مُرافِقه الشَّخصي، الأمير ڤسيرس، وأمرَهم قائلًا: «قيِّدوه بالسَّلاسل في زِنزانةٍ سوداء واستجوِبوه بحَزم، واسألوه أين ذهبَت أمُّه».

قال السير أوين بوش، أحد فُرسان حرس ميجور الملكي، محتجًّا: «ربما لا يعلم»، فردَّ الملك ميجور ردَّه الشهير: «إذًا دعه يموت، فقد تعود الحقيرة لحضور جنازته».

لم يدرِ الأمير ڤسيرس أين ذهبَت أمُّه، ولا حتى عندما مارسَت عليه تيانا البنتوشيَّة فنونها السَّوداء. بعد تسعة أيَّامٍ من الاستجواب ماتَ الأمير، وتُرِكَت جُثَّته في ساحة (القلعة الحمراء) طوال أسبوعيْن بناءً على أوامر جلالته، إذ قال ميجور: «فلتأتِ أمُّه وتُطالِب بجُثَّته»، لكن الملكة أليسا لم تظهر، وفي النِّهاية سلَّم الملك ابنَ أخيه إلى النَّار. كان الأمير يبلغ من العُمر خمسة عشرة عامًا حين تُوفِّيَ، محبوبًا عند العامَّة واللوردات على حدٍّ سواء، وبكَته البلاد.

في عام 45 بعد الفتح انتهَت أخيرًا أعمال بناء (القلعة الحمراء)، وقد

احتفلَ الملك ميجور بذلك بإقامة مأدبةٍ للبنائين والعُمَّال الذين كدحوا في البناء، مرسلًا إليهم عرباتٍ محمَّلةً ببراميل النَّبيذ القوي والحُلويات، وعاهراتٍ من أفضل مواخير المدينة. استمرَّت الاحتِفالات ثلاثة أيَّام، وبعدها تدخَّل فُرسان الملك وأعدَموا جميع البنَّائين والعاملين لمنعهم من إفشاء أسرار (القلعة الحمراء)، ودُفِنَت عِظامهم تحت القلعة التي شيَّدوها.

بعد فترةٍ ليست بالطَّويلة من تمام بناء القلعة، فارقَت الملكة سيريس الحياة نتيجةَ مرضٍ مفاجئ، وقد انتشَرت شائعة في البلاط عن أن جلالتها أساءَت للملك بكلام وقِح، فأمرَ السير أوين بقطع لسانها. حسبما زعمَت الحكاية، فقد قاومَته الملكة، لينزلق سكِّين السير أوين وينحر عُنقها. ومع أن صحَّة القصَّة لم تَثبُت، لكن كثيرين صدَّقوها آنذاك، أمَّا اليوم فيعتقد أغلب المايسترات أنها مجرَّد افتراءٍ من بعض أعداء الملك لتشويه سُمعته أكثر. بغضِّ النَّظر عن الحقيقة، تركَت وفاة زوجته الأولى الملك ميجور برِفقة ملكةٍ واحدة، المرأة البنتوشيَّة تيانا سوداء الشَّعر والفؤاد، مولاة العناكب التي كانت مكروهةً ومرهوبةً من الجميع في البلاط.

بالكاد كان آخِر حجر في (القلعة الحمراء) قد وُضِعَ حين أمرَ الملك بإزالة أطلال (سِبت الذِّكرى) من فوق قمَّة (تل رينس)، ومعها رُفات ورماد أبناء المحارب الذين هلكوا هناك، وفي مكانها قرَّر الملك بناء «اسطبل للتَّنانين» من الحجر، عرين عظيم يليق بمقام بالريون وڤاجهار ونسلهما. وهكذا بدأ بناء (جُب التَّنانين)، وكما كان متوقَّعًا، صَعُبَ جدًّا إيجاد بنَّائين ونحَّاتين وأُجراءً للعمل على المشروع، إذ هربَت أعداد غفيرة من الرِّجال من المدينة، حتى اضطرَّ الملك أخيرًا لاستخدام سُجناء

من زنازين المدينة قوَّةً عاملةً تحت إشراف بنائين استُقطِبوا من (مير) و(ڤولانتيس).

نزلَ الملك ميجور في أواخِر عام 45 بعد الفتح إلى الميدان مجدَّدًا ليستكمل حربه ضدَّ بقايا الخارجين عن القانون من مُناضلي العقيدة، تاركًا الملكة تيانا لتَحكُم (كينجز لاندنج) رفقة يد الملك الجديد، اللورد إدويل سلتيجار. في الغابة العظيمة جنوب (النَّهر الأسود) طاردَت قوَّات الملك عشراتٍ من الصَّعاليك الذين اتخذوا الغابة مأوى، مرسلين أغلبهم إلى (الجِدار) وشانقين من رفضوا الاتِّشاح بالأسود. تمكَّنت المرأة التي تقودهم، المعروفة بچين پور المجدورة، من مواصلة التملُّص من قبضة الملك، إلى أن خانَها ثلاثة من أتباعها نالوا عفوًا ملكيًّا وفروسيَّةً مكافأةً.

أعلن ثلاثة سِپتونات مرافقون لجلالته أن چين پور مشعوذة، وحكمَ عليها الملك بالحرق حيَّةً في حقلٍ بالقُرب من مجرى (النَّهر الدَّافق). في يوم تنفيذ الحُكم اندفعَ ثلاثمئة من أتباع چين، جميعهم من الصَّعاليك والفلَّاحين، من الغابة بنيَّة إنقاذ قائدتهم، لكن الملك توقَّع ذلك، وكان رجاله مستعدِّين للهجوم، فحُوصِرَ المنقذون وقُتِلوا جميعًا. بين أواخِر الموتى كان قائدهم، الذي تبيَّن أنه الفارس الجوَّال النَّغل هوريس هِل، الذي نجا من المعمعة التي وقعَت عند الفرع العظيم قبل ثلاث سنوات، ولم يُحالِفه الحظُّ في النَّجاة هذه المرَّة.

ولكن في بقاعٍ أخرى من ربوع المملكة بدأت عجلة الزمن تدور ضدَّ الملك، إذ أضحى عامَّة النَّاس واللوردات على حدٍّ سواء يمقتونه بسبب البشاعات العديدة التي ارتكبَها، وصارَ كثيرون منهم يمنحون أعداءَه العونَ والسُّلوان. جالَ السِّپتون مون، «السِّپتون الأعلى» الذي اختارَه الصَّعاليك ضدَّ الرَّجل القابع في (البلدة القديمة) الذي دعوه بـ«المتملِّق

الأعلى»، في أنحاء (أراضي النَّهر) و(المرعى) جامعًا أعدادًا غفيرة في كلِّ مرَّةٍ خرجَ فيها من الغابة ليُحرِّض ضدَّ الملك. أمَّا أراضي الهضاب شمال (النَّاب الذَّهبي) فكانت محكومةً -فعلًا إن لم يكن اسمًا- من كلب التِّلال الأحمر، السير چوفري دوجت الذي سمَّى نفسه القائد الأرفع لأبناء المحارب، وإن لم تُبدِ (كاسترلي روك) أو (ريڤررَن) اهتمامًا بالتَّحرُّك ضِدَّه. وبقِيَ دينس الكسيح وسيلاس الأشعث طليقيْن، وأينما هاما ساعدَ العامَّة على إبقائهما في مأمن، واختفى أغلب الفُرسان والأجناد الذين أُرسِلوا للقبض عليهما بلا أثر.

في عام 46 بعد الفتح عاد الملك ميجور إلى (القلعة الحمراء) بألفي جُمجمة، ثمرة عامٍ من الحملات العسكريَّة، وأعلن إذ كبَّها عند قدم العرش الحديدي أنها رؤوس الصَّعاليك وأبناء المحارب... ولو أنه يُقال إن كثيرًا من تلك الغنائم الشَّنيعة كان لعُمَّال الحقول ورُعاة الخنازير والفلَّاحين البُسطاء الذي كان ذنبهم الوحيد هو الإيمان.

حلَّت السَّنة الجديدة على ميجور مجدَّدًا دون ابن، ولا حتى نغل يُمكن شرعنته، وبدا أن الملكة تيانا لن تمنح الملك الابن الذي يرجوه، ومع أنها استمرَّت في خدمة جلالته في منصب وليَّة الهامِسين، إلَّا إنَّ الملك لم يعُد يسعى إلى فِراشها.

كان الوقت قد حان لاتِّخاذ الملك زوجةً جديدةً، واتَّفق أعضاء المجلس على ذلك... لكنهم اختلَفوا حول هويَّة الزوجة. اقترحَ المِايستر الأكبر بنيفر زواجًا بسيِّدة (ستارفول) الحُلوة الفَخور، كلاريس داين، على أمل فصل عائلتها وأراضيها عن (دورن)، فيما عرضَ آلتون بترويل أمين النَّقد أخته الأرملة، امرأةً بدينةً أنجبَت سبعة أولاد، وجادلَ بأنه رغمَ إقرار الجميع بافتقارها إلى الجمال، فقد ثبُتَ أن خصوبتَها ليست موضع

شك. كان ليد الملك اللورد سلتيجار ابنتان عذراوان، واحدة في الثَّالثة عشر والأخرى في الثَّانية عشر، وقد عرضَ على الملك أن يختار إحداهما أو كلتيهما إن فضَّل. أمَّا اللورد ڤيلاريون سيِّد (دريفتمارك) فنصحَ الملك باستدعاء ابنة أخيه رِاينا، أرملة إجون غير المتوَّج، فبالزَّواج بها يستطيع الملك أن يقمع مُطالبَتها بالعرش، ويضع حدٍّ لأيِّ نيَّةٍ مُبيَّتة لإشعالِ ثورةٍ جديدة لأجل تتويجها، ويُبقيها رهينةً عنده تحسُّبًا لتدبير والدتها الملكة أليسا أي مكايد.

استمعَ الملك لكلِّ رجلٍ على حدَة، ورغم أنه ازدرى معظم اللائي رشَّحوهنَّ له، فقد ترسخَّ بعض أسبابهم وحُججهم في وجدانه، فقرَّر أخيرًا أنه سيتَّخذ زوجةً خصيبةً، لكنها لن تكون أخت بترويل السَّمينة القبيحة. حثَّه اللورد سلتيجار على الزَّواج بأكثر من امرأة، فزوجتان ستُضاعِفان فُرصه في إنجاب وريث، وثلاث زوجاتٍ سيُضاعِفنها أكثر، وبالتَّأكيد يجب أن تكون واحدةٌ من تلك الزَّوجات ابنة أخيه. كانت في مشورة اللورد ڤيلاريون حكمة وبُعد نظر، فرغم بقاء الملكة أليسا وأصغر أولادها مختفين (وكان يُظَنُّ أنهم فرُّوا عبر (البحر الضيِّق) إلى (تايروش) أو (ڤولانتيس) ربما)، فقد ظلُّوا يُشكِّلون تهديدًا لتاج ميجور أو أيِّ ابنٍ قد يُنجِبه، واتِّخاذ ابنة إينس زوجةً سيُضعِف أيَّ مطالبة بالعرش من قِبل أشقَّائها الأصغر.

بعد موت زوجها وهربها إلى (الجزيرة القصيَّة)، تصرَّفت رِاينا تارجاريَن بسرعةٍ لحماية بنتيْها. إذا كان الأمير إجون الملك حقًّا، فإن ابنته الكُبرى إيريا هي وريثته بالقانون، ومن ثمَّ يُمكنها المطالبة بالعرش... لكن إيريا وأختها رِايلا كانتا بالكاد تبلغان العام سِنًّا، ورِاينا تعلم أنها إذا طالبَت بحقِّهما بالميلاد فمعنى ذلك الحُكم عليهما بالموت. بدلًا من ذلك

صبغَت شعرهما وغيَّرت اسميْهما، وأرسلتهما بعيدًا عنها مؤتمنةً حُلفاءها الأقوياء عليهما لتنشآ في بيوتٍ آمنة عند رجال جديرين لا يعرفون شيئًا عن حقيقة هويَّتيْهما. حتى والدتهما أصرَّت على عدم معرفة مكانهما، فهي لا تستطيع الإفصاح عمَّا لا تعرفه، حتى تحت ويلات التَّعذيب.

لم يكن هروبٌ مماثلٌ متاحًا لرِاينا تارجاريَن. رغم استطاعتها تغيير اسمها وصبغ شعرها وارتداء ثيابٍ من الخيش كساقية حانةٍ أو التَّواري تحت أردية السِّپتوات، لم يكن إخفاء تنِّينتها مُمكنًا. كانت دريمفاير تنِّينةً نحيلةً، زرقاء شاحبةً ذات خطوطٍ فضِّيَّة، وقد وضعَت مجموعتين من البيض بالفعل، ورِاينا تمتطيها منذ سنِّ الثَّانية عشرة.

لا يمكن إخفاء تنِّينٍ بسهولة، وبدلًا من ذلك أخذَت رِاينا نفسها وتنِّينتها إلى أبعد مكانٍ ممكن عن ميجور، إلى (الجزيرة القصيَّة) حيث قدَّم لها اللورد مارك فارمان حُسن الضِّيافة في (القلعة القصيَّة) بأبراجها البيضاء الطَّويلة المرتفعة عاليًا فوق (بحر الغروب)، وهناك أقامَت رِاينا، تُزجي وقتها بالقِراءة والصَّلاة، وتتساءَل كم من الوقت سيُمهِلها عمُّها قبل أن يُرسِل في طلبها. لم تشكَّ رِاينا قَطُّ أنه سيفعل، ولقد قالت بعد ذلك إن المسألة كانت **متى** سيفعلها، لا **هل** سيفعلها.

وصلَ الاستدعاء أسرع مما رجَت ولكن ليس أسرع مما خشيَت. لم يكن التَّحدِّي مطروحًا على الإطلاق، إذ كان ذلك ليكلِّفها ذهاب الملك بنفسه إلى (الجزيرة القصيَّة) على متن بالريون، وقد صارَت رِاينا مُتعلِّقةً جدًّا باللورد فارمان، وأشدَّ تعلُّقًا بابنه الثَّاني آندرو، ولن تدفعَ لهما ثمن طيبتهما بالنَّار والدَّم، وهكذا امتطَت دريمفاير وطارَت إلى (القلعة الحمراء)، حيث علمَت أن عليها أن تتزوَّج عمَّها وقاتِل زوجها، وهناك أيضًا التقَت رِاينا نظيراتها العرائس، لأنها ستكون زيجةً ثُلاثيَّة.

الليدي چاين سليلة عائلة وسترلينج كانت متزوِّجةً بآلن تاربك، الذي ماتَ مع الأمير إجون في ميدان المعركة التي دارَت تحت (عين الآلهة)، وبعد أشهر قليلة أنجبَت ابنًا من اللورد الميت. كانت الليدي چين طويلةً نحيفةً ذات شعرٍ بُني غزير، ويتودَّد إليها ابن أصغر لسيِّد (الصَّخرة)، حين أرسلَ ميجور يستدعيها، لكن ذلك لم يعن شيئًا للملك إطلاقًا.

كانت حالة الليدي إلينور سليلة عائلة كوستاين -وهي زوجةُ فارسٍ من مُلَّاك الأراضي اسمه السير ثيو بولنج- أشدَّ تعقيدًا. كان زوجها قد حارب في صفوف الملك خلال الحملة العسكريَّة الأخيرة على الصَّعاليك، ومع أن سنها لم تتعدَّ التَّاسعة عشرة، فقد كانت قد أنجبَت لبولنج ثلاثة أبناء عندما وقعَت عينا الملك عليها. كان ابنها الأصغر لا يزال يرضع من ثدييْها عندما قُبِضَ على بولنج واتُّهِمَ بالتَّآمُر مع الملكة أليسا على قَتل الملك ووضع الصَّبي چهيرس على العرش الحديدي، ورغم إصرار بولنج على براءته وُجِدَ مذنبًا وقُطِعَ رأسه في اليوم نفسه، وأمهلَ الملك ميجور أرملته سبعة أيَّام للحِداد تكريمًا لـ(السَّبعة)، ثم استدعاها ليُخبرها أنهما سيتزوَّجان.

في بلدة (السِّپت الحجَري) ندَّد السِّپتون مون بمُخطَّط زواج الملك، وهلَّل له مئات من أهل البلدة بحرارة، لكن قلائل آخَرين تجرَّأوا على رفع عقائرهم ضدَّ صاحب الجلالة. استقلَّ السِّپتون الأعلى سفينةً من (البلدة القديمة) إلى (كينجز لاندنج) من أجل إجراء مراسم الزِّفاف، وفي نهار ربيعيٍّ دافئ من عام 47 بعد الفتح اتَّخذ ميجور تارجاريَن ثلاث زوجاتٍ في ساحة (القلعة الحمراء)، ورغم أن كلًّا من ملكاته الجديدات ارتدَت فُستانًا ومعطفًا بألوان عائلة والدها، دعاهن عامَّة سُكَّان (كينجز لاندنج) بـ«العرائس السُّود»، بما أن ثلاثتهن أرامل.

ضمنَ حضور ابن الليدي چاين وأبناء الليدي إلينور الزِّفاف أن تلعب كلتاهما دورها في المسرحيَّة، لكن كثيرين توقَّعوا نوعًا من التحدِّي من الأميرة رِاينا، إلَّا أن توقعاتهم ضُحِدَت عندما ظهرَت الملكة تيانا ومعها طفلتان بشعرٍ فِضِّي وأعيُنٍ أُرجوانيَّة، متَّشحتان بأحمر وأسود عائلة تارجاريَن. أخبرَت تيانا الأميرة: «حمقاءَ كنتِ إذ حسبتِ أن بمقدوركِ إخفاءهما عني». وهكذا حنَت الأميرة رأسَها، وردَّدت نذور زواجها بصوتٍ باردٍ كالثَّلج.

عديدٌ من القِصص الغريبة والمتناقضة يُحكى عن اللَّيلة التي تلت الزِّفاف، ومع توالي السِّنين أصبحَ فصل الحقيقة عن الأساطير مستحيلًا. هل تشاركَت العرائِس السُّود الثَّلاث سريرًا واحدًا كما يدَّعي البعض؟ يبدو ذلك مستبعدًا. هل زارَ جلالته زوجاته الثَّلاث ليلًا وأتمَّ زيجاته الثَّلاث؟ ربما. هل حاولَت الأميرة رِاينا قتلَ الملك بخنجرٍ مخبَّأ تحت وسادتها كما ادَّعت بعدها؟ هل خدشَت إلينور كوستاين ظهر الملك حتى أحالَته إلى شرائط دامية وهما يتضاجعان؟ هل شربَت چاين وسترلينج عقَّار الخصوبة الذي يُفترَض أن الملكة تيانا جلبَته لها أم رمَته في وجه المرأة الأكبر سنًّا؟ هل حُضِّرَ مثل ذلك العقَّار أو عُرِضَ من الأصل؟ ذلك أن الظهور الأول لهذا العقَّار كان بعد سنواتٍ عدَّة من بدء عهد الملك چهيرس، بعد عشرين عامًا من وفاة كلتا المرأتيْن.

أما هذا فنعرفه مؤكَّدًا: في أعقاب الزِّفاف، أعلنَ ميجور ابنة رِاينا، الأميرة إيريا، وريثته الشَّرعيَّة «إلى أن تمنَّ عليَّ الآلهة بابن»، فيما أرسلَ توأمتها الأميرة رِايلا إلى (البلدة القديمة) لتُصبِح سِپتة. أما چهيرس ابن أخيه، الوريث الشَّرعي حسب كلِّ قانونٍ في (الممالِك السَّبع)، فقد حُرِمَ الميراث صراحةً في المرسوم نفسه. أُكِّدَت سيادة ابن الملكة چاين

وسترلينج على (بهو تاربك)، وأُرسِلَ إلى (الصَّخرة) ليكون ربيب اللورد لايمان لانستر، وبالمثل فُصل ابنا الملكة إلينور الكبيران من خلال إرسال أحدهما إلى (العُش) والثَّاني إلى (هايجاردن)، أما ابنها الأصغر فسُلِّمَ إلى مُرضعة عندما وجدَ الملك رِضاعة ابنها منها مزعجةً.

بعدها بنِصف عامٍ أعلنَ يد الملك إدويل سلتيجار عن حمل الملكة چاين، وبالكاد كان بطنها قد بدأ ينتفِخ حين أعلنَ الملك بنفسه عن حمل الملكة إلينور أيضا. أغرقَ ميجور الملكتين بالهدايا والتَّكريمات، ومنحَ أراضيَ ومناصبَ جديدةً لوالديهما وإخوتهما وأعمامهما. على أن فرحة الملك لم تَدُم طويلًا، فقبلَ موعِد ولادة الملكة چاين بثلاثة أقمار طُرِحَت في فراشها لتعرُّضها فجأةً لآلام المخاض، ووضعَت طفلًا جهيضًا مشوَّهًا كالذي ولدَته آليس هاروواي، مخلوقًا بلا ذراعيْن أو قدميْن، وله أعضاء تناسليَّة ذكريَّة وأنثويَّة في آنٍ واحد. ولم تعِش الأمُّ طويلًا بعد طفلها.

قال النَّاس إن ميجور ملعون. لقد قتل ابن أخيه، وأعلن الحرب على العقيدة والسِّپتون الأعلى، وتحدَّى الآلهة، وارتكبَ العديد من جرائم القتل ونكاح المحارم والاغتصاب والزِّنى. إن أعضاءه الذَّكريَّة مسمومة، ونُطفته مليئة بالدِّيدان، ولن تمنحَه الآلهة ابنًا حيًّا أبدًا... أو هكذا همسَت الشَّائعات. أمَّا ميجور نفسه فاستقرَّ على تفسيرٍ آخَر، وأرسلَ السير أوين بوش والسير مالادون مور لاعتقال الملكة تيانا وإيداعها الزَّنازين، وهناك اعترفَت الملكة البنتوشيَّة اعترافًا كاملًا فيما جهَّز جلَّادو الملك أدواتهم. لقد سمَّمَت ابن چاين وسترلينج وهو في رحِمها، تمامًا كما سمَّمَت ابن آليس هاروواي، وتوعَّدت ميجور بأن الأمر ذاته سيتكرَّر مع ولد إلينور كوستاين.

يُقال إن الملك قتلَها بنفسه، وانتزعَ قلبها بـ(اللَّهب الأسود) وأطعمَه

لكلابه. ولكن حتى وهي ميتة استطاعت تيانا بنت البُرج أن تنال انتقامها، إذ أثبتَت الأيام اللَّاحقة صحَّة وعيدها. دارَ القمر، ودارَ من جديد، وفي سواد اللَّيل ولدَت الملكة إلينور أيضًا ابنًا مشوَّهًا ميتًا، طفلًا عديم العينين ذا جناحيْن ضامريْن.

كان ذلك في عام 48 بعد الفتح، العام السَّادس من حُكم ميجور والأخير من حياته. الآن لم يَعُد أيُّ إنسانٍ في (الممالِك السَّبع) يستطيع أن يُنكِر أن الملك ملعون. بدأ أتباعه القلائل المتبقُّون يختفون، يتبخَّرون كقطرات النَّدى في صباحٍ مُشمس. وصلَ إلى العاصمة خبر بمشاهدة السير چوفري دوجت يدخل (ريڤررَن)، ليس أسيرًا عند اللورد تَلي بل ضيفًا عليه، وظهرَ السِّپتون مون من جديدٍ قائدًا آلافًا من المؤمنين في زحفٍ عبر (المرعى) إلى (البلدة القديمة)، معلنًا نيَّته مواجهة متملِّق (السِّپت النَّجمي) لمطالبته بالتَّنكُّر لـ«الرِّجس الجالس على العرش الحديدي»، وأن يرفع الحظر عن جماعات العقيدة المسلَّحة. في أثناء زحفه إلى (البلدة القديمة) ظهرَ اللوردان أوكهارت وروان أمامه مع قوَّاتهما، ولكن ليس لقتال مون بل للانضمام إليه، وتنحَّى اللورد سلتيجار عن منصب يد الملك ورجِعَ إلى معقله في (جزيرة المخالب)، ووصلَت تقارير من (التُّخوم) تُفيد بأن الدورنيِّين يحتشدون في الممرَّات تمهيدًا لغزو البلاد.

الضربة الأسوأ جاءَت من (ستورمز إند). هناك على سواحل (خليج السُّفن الغارِقة) أعلنَ اللورد روجار باراثيون أن چهيرس تارجاريَن هو الملك الحقيقي والشَّرعي الوحيد للأنداليِّين والرَّوينار والبشر الأوائل، ومن ثمَّ عيَّن الأمير چهيرس اللورد روجار حاميًا للبلاد ويدًا للملك. وقفَت الملكة أليسا والدة الأمير وابنتها أليسين بجانبه عندما استلَّ چهيرس (الأخت المظلِمة) وتعهَّد بأن يُنهي حُكم عمِّه الغاصِب، وهلَّل مئات اللوردات حمَلة الرَّايات وفُرسان (أراضي العواصف) قبولًا لدعوة الأمير. كانت سنُّ چهيرس أربعة عشرَ عامًا حين طالبَ بالعرش الحديدي،

وكان فتى وسيمًا ماهرًا في القتال بالحربة والقوس الطَّويل، وراكب خيلٍ موهوبًا، وبالإضافة إلى ذلك يمتطي وحشًا برونزيًّا عظيمًا يُدعى بڤرميثور، وتمتطي أخته أليسين العذراء ذات الاثني عشرَ عامًا تنّينتها الخاصَّة سيلڤروينج. أخبرَ اللورد روجار جمعَ لوردات العواصف: «ميجور لديه تنّينٌ واحدٌ فقط. أميرنا لديه اثنان».

وسرعان ما صارَ التنّينان ثلاثةً. عندما وصلَ الخبر إلى (القلعة الحمراء) عن حشد چهيرس قوّاته عند (ستورمز إند)، امتطَت رِاينا تارجاريَن دريمفاير وذهبَت لتنضمَّ إليه متخلّيةً عن العمِّ الذي أُرغِمَت على الزَّواج به. وأخذَت رِاينا ابنتها إيريا... وأيضًا (اللَّهب الأسوَد) الذي سرقَته من غِمد الملك نفسه وهو نائم.

كان ردُّ الملك ميجور بطيئًا ومتخبّطًا، إذ أمرَ المِايستر الأكبر بنيفر بإرسال غِدفانه لاستدعاء جميع لورداته وحمَلة رايته الأوفياء إلى (كينجز لاندنج)، فقط ليجد أن بنيفر استقلَّ سفينةً إلى (پنتوس)، وعندما علمَ بهرب الأميرة إيريا أرسلَ مبعوثًا إلى (البلدة القديمة) يُطالِب برأس أختها التَّوأم رِايلا، ليُعاقِب أُمَّهما على خيانتها، ولكن بدلًا من ذلك سجنَ اللورد هايتاور مبعوثه، وفي ليلةٍ اختفى اثنان من رجال الحرس الملكي للانْضِمام إلى چهيرس، ووُجِدَ السير أوين بوش ميّتًا خارج ماخور، وعُضوه محشورًا في فمه.

كان اللورد ڤيلاريون سيِّد (دريفتمارك) من أوائل من اعترفوا بچهيرس، وبما أن آل ڤيلاريون كانوا أميرالات (وستروس) المعتادين، فقد استيقظَ ميجور ليجد أنه خسرَ الأسطول الملكي كلَّه. تبعَهم آل تايرل سادة (هايجاردن) بكامل قوَّة (المرعى)، وآل هايتاور سادة (البلدة القديمة)، وآل ردواين سادة (الكرمة)، وآل لانستر سادة (كاسترلي روك)، وآل آرن سادة (العُش)، وآل رويس سادة (رونستون)... عائلةً تلو الأخرى

خرجوا جميعًا ضد الملك.

في (كينجز لاندنج) تجمَّعَ بعض اللوردات الصِّغار تحت إمرة ميجور، منهم اللورد داركلين سيِّد (وادي الغسق)، واللورد ماسي سيِّد (الحجر الرَّاقص)، واللورد تاورز سيِّد (هارنهال)، واللورد ستاونتون سيِّد (استراحة الرُّخ)، واللورد بار إمون سيِّد (الرَّأس الحاد)، واللورد بكويل سيِّد (القرون)، وانْضمَّ إليهم أيضًا اللوردات روزبي وستوكوورث وهايفورد وهارت وبيرش ورولنجفورد وبايووتر ومالري. ولكن على كثرتهم فكلُّ ما جمعوه من رجال لم يتَعدَّ الأربعة آلافِ، وواحدٌ فقط من كلِّ عشرة كان فارسًا.

جمعَهم ميجور ذات ليلةٍ في (القلعة الحمراء) لمناقشة خُطَّة المعركة، ولكن عندما رأوا أعدادهم القليلة، وتأكَّدوا أن لا أحد من اللوردات الكبار آتٍ للانضمام إليهم، خارَت شجاعتهم، وتمادى اللورد هايفورد لدرجة أنه حثَّ الملك على التَّنازل عن العرش وارتداء أسود حرس اللَّيل. أمرَ جلالته بقطع رأسه على الفور، ثمَّ استكملَ مجلس الحرب ورأس اللورد معلقٌ على رُمح وراء العرش الحديدي. تناقشَ اللوردات ووضعوا الخطط طوال النَّهار وحتى أواخِر اللَّيل، وكانت ساعة الذِّئب[7] قد حلَّت بالفعل حين سمحَ لهم ميجور أخيرًا بالانصراف. بقي الملك وحيدًا، يُفكِّر مليًّا وهو جالس على العرش الحديدي فيما رحلَ لورداته، وآخِر من رأى جلالته كان اللوردان تاورز وروزبي.

بعد ساعات، والفجر يطلع، أتَت آخِر ملكاته تبحث عنه، ووجدَت إلينور الملك لا يزال فوق العرش الحديدي، شاحبًا ميتًا وثوبه منقوع في دمه. كانت ذراعاه مشقوقتيْن من المعصم إلى المرفق بنصالٍ حادَّة، واخترقَ نصل آخَر رقبته بارزًا من تحت ذقنه.

7 - ساعة الذِّئب: الفترة الأشدُّ حلكةً من اللَّيل، تسبقها ساعة البومة، وتأتي بَعدها ساعة العندليب، ثم الفَجر. (المترجمون).

يعتقد البعض إلى يومنا هذا أن العرش الحديدي ذاته قتلَ الملك. كان ميجور حيًّا عندما غادر اللوردان روزبي وتاورز قاعة العرش، وأقسمَ الحرس على الأبواب أن أحدًا لم يدخل بعدهما حتى رأَت الملكة ما رأَته. يدَّعي البعض أن الملكة نفسها دفَعتْه للسُّقوط على تلك النِّصال والسُّيوف انتقامًا لقتل زوجها الأوَّل. وربما فعلَها رجال الحرس الملكي، لكن ذلك كان ليتطلَّب منهم العمل بالتنسيق مع بعضهم بعضًا، بسبب وجود حارسيْن على كلِّ باب. وربما كان من قتلَه شخصًا أو أشخاصًا مجهولين دخلوا قاعة العرش وخرجوا منها عن طريق الممرَّات السرِّيَّة. إن لـ(القلعة الحمراء) أسرارها التي يعرفها الموتى وحدهم. وربما تذوَّق الملك طعم اليأس في ساعات اللَّيل المظلمة، ثمَّ قرَّر أن يُنهي حياته بنفسه بثني النِّصال على قدر الحاجة ثم شقِّ عروقه، مجنِّبًا نفسه الخزي والهزيمة اللذين كانا حتمًا ينتظرانه.

دامَ حُكم الملك ميجور تارجاريَن الأوَّل، المعروف تاريخيًّا بميجور المتوحِّش، ستَّ سنواتٍ وستَّةً وستين يومًا، وبعد موته أُحرِقَ جُثمانه في ساحة (القلعة الحمراء)، ثمَّ أُرسِلَ رُفاته إلى (دراجونستون) ووُضِعَ بجانب رُفات أمِّه. ماتَ ميجور بلا أولاد، ولم يَترُك وريثًا من صُلبه.

من أميرٍ إلى ملك
صعود چهيرس الأوَّل

اعتلى چهيرس تارجاريَن الأوَّل العرش الحديدي في عام 48 بعد الفتح وهو في الرَّابعة عشرة من العُمر، ليحكُم (الممالِك السَّبع) خمسًا وخمسين سنةً حتى وفاته لأسبابٍ طبيعيَّة في عام 103 بعد الفتح. في السَّنوات اللَّاحقة من حُكمه، وخلال حُكمِ خليفته، أصبحَ يُطلَق على چهيرس لقب الملك العجوز (لأسبابٍ واضحة)، لكن چهيرس ظلَّ رجلًا فتيًّا مفعمًا بالحيويَّة لفترةٍ أطول كثيرًا من الفترة التي قضاها مسنًّا واهنًا، ويُوقِّره بعض المؤرِّخين النُّبهاء باستخدام لقب «المصلح» عند الحديث عنه. بعدها بقرن، كتبَ المِايستر الأكبر أومبرت معلنًا صراحةً أن إجون التنِّين وأختيْه فتحوا (الممالِك السَّبع) -أو ستًّا منها على الأقل- لكن چهيرس المصلح هو الذي وحَّدها حقًّا.

على أن مهمَّته لم تكن سهلةً، لأن سلفيْه خرَّبا كثيرًا مما بناه الفاتِح؛ إينس بتردُّده وضعفه، وميجور بقسوته وشهوته للدِّماء. كانت المملكة التي ورثَها چهيرس فقيرةً عديمة القوانين، مزَّقتها الحرب والتَّفرقة والثِّقة

المعدومة، وكان الملك نفسه صبيًّا أخضر عديم الخبرة في شؤون الحُكم.

حتى أحقيَّته بالعرش لم يكن مسلَّمًا بها كُليًّا. على الرَّغم من كون چهيرس الابن الوحيد النَّاجي من أبناء الملك إينس الأوَّل، فقد طالبَ أخوه الأكبر إجون بالعرش قبله. ماتَ إجون غير المتوَّج في المعركة تحت (عين الآلهة) عندما كان يُحاوِل خلع عمِّه ميجور، ولكن ليس قبل أن يتزوَّج أخته رِاينا ويُنجِب منها ابنتيْن من صُلبه، التَّوأمتيْن إيريا ورِايلا. إذا كان ميجور المتوحِّش يُعَدُّ مجرَّد غاصِبٍ ولا حقَّ له بالحُكم، كما قال بعض المِايسترات، فالأمير إجون كان الملك الشَّرعي، وبموجب قانون الوراثة يجب أن ترث الحُكم كُبرى ابنتيْه إيريا، لا أخوه الأصغر.

غير أن جنس التَّوأمتيْن وقفَ ضدَّهما، وكذا سنهما، إذ كانتا في السَّادسة فقط عند موت ميجور، بالإضافة إلى أن من عاصَروهما وصفوا الأميرة إيريا بأنها طفلة خجول، تُبلِّل فِراشها وكثيرة البكاء، في حين كانت رِايلا، الأجرأ والأقوى بينهما، راهبةً مبتدئةً تخدم في (السِّبت النَّجمي) وموعودةً للعقيدة. ولا واحدة منهما كانت تملك صفات ملكة، وحتى أمُّهما الملكة رِاينا أقرَّت بذلك عندما وافقَت على وجوب انتقال التَّاج إلى أخيها چهيرس عوضًا عن ابنتيْها.

قال البعض إن رِاينا نفسها كانت لها الأحقِّيَّة الأقوى في التَّاج، بصفتها المولود الأوَّل للملك إينس والملكة أليسا، بل وتهامسَ آخَرون قائلين إن الملكة رِاينا قد عملَت بطريقةٍ ما على تحرير البلاد من ميجور المتوحِّش، وإن لم تَثبُت بنجاحٍ قَطُّ الوسيلة التي دبَّرت بها موته قبل فرارها من (كينجز لاندنج) على متن تِنِّينتها دريمفاير. على العموم، جنسها هي الأخرى وقفَ ضدَّها، إذ قال اللورد روجار باراثيون عندما طُرِحَت عليه الفكرة: «ليست هذه (دورن)، ورِاينا ليست نايميريا». علاوةً على

ذلك، صارَت الملكة المرمَّلة مرَّتين تبغض (كينجز لاندنج) والبلاط، ورجَت فقط أن ترجع إلى (الجزيرة القصيَّة)، حيث وجدَت قدرًا من السَّكينة قبل أن يجعلها عمُّها واحدةً من عرائسه السُّود.

كان الأمير چهيرس يَبعُد سنةً ونصفًا عن بُلوغ مصاف الرِّجال عندما ارتقى العرش الحديدي، وهكذا قُرِّرَ أن تكون أُمُّه الملكة الأرملة أليسا وصيَّةً عليه، فيما يخدمه اللورد روجار يدًا للملك وحاميًا للبلاد. ولكن ينبغي لنا ألَّا نظن أن چهيرس كان مجرَّد ملكٍ صوري، فمنذ البداية أصرَّ الملك الصَّبي على أن يكون له صوتٌ في كلِّ ما يَصدُر باسمه من قرارات.

بينما سُلِّمَ جُثمان ميجور الأوَّل إلى المحرقة، واجهَ وريثه الصَّغير أوَّل قرارٍ عصيبٍ له: كيف سيتعامَل مع مؤيِّدي عمِّه المتبقِّين. عندما عُثِرَ على ميجور ميتًا على العرش الحديدي كان معظم عائلات البلاد الكبيرة وكثير من اللوردات الصِّغار قد تخلَّوا عنه بالفعل... لكن المعظم لا يعني الجميع، فقد انحازَ كثيرون من مالكي الأراضي والقلاع قُرب (كينجز لاندنج) و(أراضي التَّاج) إلى ميجور حتى ساعة موته، ومنهم اللورد روزبي واللورد تاورز اللذين كانا آخِر مَن رأى الملك حيًّا، وآخَرون ممَّن احتشَدوا تحت راياته، ومنهم اللوردات ستوكوورث وماسي وهارت وبايووتر وداركلين ورولنجفورد ومالري وبار إمون وبيرش وستاونتون وبكويل.

وفي خضمِّ الفوضى التي تبعَت اكتشاف جُثَّة ميجور، تجرَّع اللورد روزبي كأسًا من الشَّوكران السَّام ليلحق بملكه في الموت، في حين أخذَ بكويل ورولنجفورد سفينةً إلى (پنتوس)، وهربَ الباقون إلى قلاعهم ومعاقلهم. اللوردان داركلين وستاونتون فقط تحلَّيا بالشَّجاعة للبقاء بجانِب اللورد

تاورز ليُسلِّموا (القلعة الحمراء) لجهيرس وأختيه رِاينا وأليسين، الذين هبطوا على القلعة على ظهور تنانينهم. تُخبِرنا سجلَّات البلاط أنه بينما انزلقَ جهيرس نازِلًا من فوق ظهر ڤرميثور، ركعَ «اللوردات الأوفياء الثَّلاثة» ووضَعوا سيوفهم عند قدميه وحيُّوه بصفته الملك.

- «تأخَّرتم عن الوليمة». يُقال إن الأمير جهيرس قال لهم هذا، ولكن بنبرةٍ دمثة. «لكن سيوفكم هذه ساعدَت على قتل أخي إجون تحت (عين الآلهة)». وبأمره كُبِّلَ ثلاثتهم بالأغلال فورًا، وإن طالبَه بعض أنصاره بإعدامهم حالًا. انضمَّ إليهم في الزَّنازين السَّوداء عدالة الملك، وكذا قيِّم الاعترافات، وقيِّم الزَّنازين، وقائد حرس المدينة، وفُرسان الحرس الملكي الأربعة الذين بقوا بجانب ميجور.

بعد أسبوعين وصلَ اللورد روجار باراثيون والملكة أليسا إلى (كينجز لاندنج) بجيشهِما، وقُبِضَ على مئاتٍ آخَرين وسُجِنوا. سواء أكانوا فُرسانًا أم مُرافقين أم وُكلاء أم سِپتونات أم خدمًا، كانت التُّهمة الموجَّهة ضدَّهم واحدةً، وهي دعم ميجور تارجاريَن وتحريضه على اغتصاب العرش الحديدي، وكلُّ ما تبعَ ذلك من جرائم وبشاعاتٍ وسوء حُكم. حتى النِّساء لم يُستَثنَيْن، إذ قُبِضَ أيضًا على السَّيِّدات النَّبيلات اللَّائي خدمن العرائس السُّود، رِفقة عددٍ من الفاسقات وضيعات المولد اللَّاتي دُعين بعاهرات ميجور.

مع امتلاء الزَّنازين أسفل (القلعة الحمراء) حدَّ الانفجار، أثيرَت مسألة ما يجب فِعله بالسُّجناء. إذا عُدَّ ميجور غاصِبًا، فحُكمه بأكمله كان غيرَ شرعي، وكلُّ من ناصروه مُذنبون بالخيانة ويجب أن يُقتَلوا. كان ذلك هو التَّصرُّف الذي حثَّت عليه الملكة أليسا، فقد فقدَت الملكة الأرملة ابنين بسبب قسوة ميجور ووحشيَّته، ولم ترغب في منح الذين نفَّذوا

مراسيمه شرف المحاكَمة حتى، إذ قالت: «بينما كان ابني ڤسيرس يُعذَّب ويُقتَل، وقفَ هؤلاء الرِّجال صامتين ولم يُبدوا اعتراضًا، فلماذا علينا أن نستمع لهم الآن؟».

اعترضَ اللورد روجار باراثيون، يد الملك وحامي البلاد، على رأيها المشحون بالغضب، ولئن وافقَها على استحقاق رجال ميجور العِقاب بالفعل، إلَّا أنه أوضحَ أنه إذا قُتل هؤلاء الرِّجال فسيرفض باقي الموالين لميجور الخضوع للملك، ولن يكون أمام اللورد روجار من خيارٍ إلَّا الزَّحف إلى قلاعهم واحدًا تلوَ الآخَر، واقتلاع كلٍّ منهم من حِصنه بالفولاذِ والنَّار. تساءلَ معاليه: «بإمكاننا فِعل ذلك، ولكن بأيِّ ثمن؟

سيكون عملًا دمويًّا، وقد يُقسِّي قلوب النَّاس تجاهنا»، وحثَّ حضرة الحامي على مثول رجال ميجور للمحاكَمة والاعتراف بخيانتهم، ومن يثبُت عليه أسوأ الجرائم فليُعاقَب بالموت، أما البقيَّة فعليهم تسليم رهائن لضمان ولائهم مستقبلًا، وأيضًا بعض أراضيهم وقلاعهم.

كانت الحكمة في منهج اللورد روجار باديةً لمعظم مؤيِّدي الملك الصَّغير، ولكن ربما ما كان ليُؤخَذ باقتراحه لو لم يتدخَّل جهيرس نفسه. رغم كونه في الرابعة عشرة، فقد برهنَ الملك الصَّبي من البداية على عدم قنوعه بالجلوس خانعًا فيما يَحكُم آخَرون باسمه، وبرفقة مِايستره الخاص وأخته أليسين وحفنة من الفُرسان الشُّبَّان، ارتقى العرش واستدعى رجاله ليمثُلوا أمامه، وأعلنَ جلالته: «لا محاكمات أو تعذيب أو إعدامات. يجب أن ترى البلاد أني لستُ عمِّي، ولن أبدأ حُكمي بحمَّامٍ من الدَّم. البعض انضمَّ إليَّ مبكِّرًا، والبعض الآخَر متأخِّرًا. دعوا البقيَّة تأتي الآن».

لم يكن جهيرس قد تُوِّجَ أو مُرِّخَ بالزُّيوت بعدُ، ولم يَبلُغ سنَّ الرُّشد، وبالتَّالي لم تحمل أوامره قوَّةً تشريعيَّةً، ولا امتلك بعدُ السُّلطة الكافية لإلغاء قرارات مجلسه أو والدته الوصيَّة عليه، ومع ذلك فقد تبدَّت القوَّة في كلماته، وكذا التَّصميم الذي أظهرَه وهو جالس يُطالعهم من علٍ فوق عرشه الحديدي، وهو ما حدا باللورد باراثيون واللورد ڤيلاريون إلى المسارعة بمنح الأمير تأييدهما على الفور، وسرعان ما تبعَهما البقيَّة. وحدها أخته رِاينا تحلَّت بالجرأة لتقول له لا، إذ قالت: «سيهتفون باسمك عندما يوضَع التَّاج على رأسك، كما فعلوا مع عمِّنا ومع أبينا من قبله».

في النِّهاية وقعَ حلُّ المسألة على عاتِق الوصيَّة... وبينما رغِبَت الملكة أليسا بالانتِقام لأجل نفسها، فقد كرهَت مُعارضَة رغَبات ابنها، ويُذكَر

أنها قالت للورد روجار: «سيجعلُه ذلك يبدو بمظهرِ االضَّعيف، ويجب ألَّا يبدو ضعيفًا أبدًا، فقد كان هذا سبب سقوطِ أبيه». وهكذا عُفِيَ عن معظم رجال ميجور.

في الأيام التَّالية أُفرِغَت زنازين (كينجز لاندنج)، وبعدما نالَ المحابيس طعامًا وشرابًا وملبسًا نظيفًا، سيقوا إلى قاعة العرش سبعةً في المرَّة، وهناك تحت أعيُن الآلهة والبشر نبذوا ولاءهم لميجور وبايعوا ابن أخيه جهيرس راكعين أمامه، وعليه أمرَ الملك كلًّا منهم بالنُّهوض، ومنحَه عفوه وأعادَ إليه ألقابَه وأراضيه. ومع ذلك يجب ألَّا يُظَنَّ أن المتَّهمين فلتوا دون عقاب، فقد أُمِرَ كلُّ فارسٍ ولورد بإرسال أحد أبنائه إلى البلاط ليخدم الملك ويكون بمثابة رهينة، ومن كان منهم بلا أبناء فليُرسِل ابنةً. تنازلَ أثرى رجال ميجور عن أراضٍ مُعيَّنة كذلك، وكان آل تاورز وستاونتون وداركلين من بينهم، فيما اشترى آخَرون العفو بذهبهم.

ومع ذلك لم تسَع رحمة الملك الجميع، فقد أدينَ كلٌّ من جلّادي ميجور وسجّانيه وجامعي الاعترافات بتُهمة التواطؤ مع تيانا بنت البُرج على تعذيب وقتلِ الأمير فسيرس، الذي كان وريث ميجور ورهينته لفترةٍ وجيزة، وأُرسِلَت رؤوسهم إلى الملكة أليسا، ومعها أيديهم التي تجرَّأوا على رفعها ضد دم التنِّين، فأعلنَت جلالتها أنها «مسرورة للغاية» بالتّذكارات.

كما فقدَ رجل آخَر رأسه، وهو السير مالادون مور فارس الحرس الملكي الذي اتُّهِمَ بالإمساك بالملكة سيريس هايتاور فيما نزعَ أخوه المحلَّف السير أوين بوش لسانها، وكانت مقاومتها في أثناء ذلك السَّبب في انزلاق النَّصل الذي أدَّى إلى موتها. (يجب أن نَذكُر أن السير مالادون أصرَّ أن تلك الحكاية بأكملها مختلَقة، وأن الملكة ماتت بسبب «نشوزها»، غير أنه اعترفَ بتسليم الملكة تيانا بنت البُرج إلى يدَي الملك ميجور، ووقوفه شاهدًا فيما قتلَها الملك، لذلك كانت يداه ملطَّختيْن بدم ملكةٍ رغم كلِّ شيء).

ظلَّ خمسة من فُرسان حرس الملك ميجور السَّبعة على قيد الحياة، وقد لعبَ اثنانِ من هؤلاء، السير أوليڤر براكن والسير رايموند مالري، دورًا في إسقاط الملك بالمروق والانحياز إلى چهيرس، لكن الملك الجديد رأى أنهما بفعلتهما هذه قد حنثا بقسمهما على التَّضحِية بنفسيهما دِفاعًا عن حياة الملك، وأعلَن: «لن أسمح بوجودٍ لناكثي القسم في بلاطي». حُكِمَ على جميع أفراد الحرس الملكي الخمسة بالإعدام... ولكن بناءً على إلحاحٍ من الأميرة أليسين، فقد ووفقَ على تجنُّبهم القَصاص إذا استبدَلوا بمعاطفهم البيضاء أخرى سوداء من خلال الانضمام إلى حرس اللَّيل. قبلَ أربعةٌ من الخمسة هذه الرَّأفة وغادروا إلى (الجِدار)، وجنبًا

إلى جنب المارِقيْن السير أوليفر والسير رايموند ذهبَ السير چون توليت والسير سايموند كراين.

طالبَ الحارِس الخامس، السير هارولد لانجوارد، بمحاكمةٍ بالقتال، فلبَّى چهيرس رغبته وعرضَ مواجهة السير هارولد بنفسه في نزالٍ فردي، لكن الملكة الوصيَّة نقضَت العرض، وبدلًا من ذلك أُرسِلَ فارس شاب من أبناء (أراضي العواصف) ليكون نصيرًا للتَّاج. كان السير جايلز موريجن الرَّجل المختار، وهو ابن شقيق دامون الورِع القائد الأرفع لأبناء المحارب، الذي قادَهم في محاكمة السَّبعة ضدَّ ميجور. حريصًا على إثبات ولاء عائلته للملك الجديد، تعاملَ السير جايلز بسرعةٍ مع السير هارولد المسن، وبعد ذلك بقليلٍ عُيِّنَ قائد حرس چهيرس الملكي.

في غضون ذلك انتشرَت أخبار رحمة الأمير في جميع أنحاء المملكة. واحدًا تلو الآخَر صرفَ بقيَّة أنصار الملك ميجور حشودهم وتركوا قلاعهم وقطعوا الرِّحلة إلى (كينجز لاندنج) ليُقسِموا على الولاء. فعلَ بعضهم ذلك على مضض، خشية أن يكونَ چهيرس ملكًا ضعيفًا عاجزًا كوالده... ولكن بما أن ميجور لم يَترُك أيَّ ورثةٍ من صُلبه، فلم يكن هناك منافس معقول قد تجتمِع حوله المعارضة. حتى أشد مؤيِّدي ميجور حماسةً كسبَهم چهيرس بمجرَّد أن التقوه، لأنه كان كلَّ ما يجب أن يكونه أمير، مهذَّبًا وكريمًا وشهمًا بقدر ما كان شُجاعًا. كتبَ المايستر الأكبر بنيفر -الذي عادَ حديثًا من منفاه الاختياري في (پنتوس)- أن چهيرس كان «متعلِّمًا كمِايستر وتقيًّا كسِپتون»، وفي حين أن بعضًا من ذلك قد يُعَدُّ تملُّقًا، إلَّا أن فيه بعضًا من الحقيقة أيضًا. حتى والدته، الملكة أليسا، وردَ أنها وصَفَت چهيرس بـ«خير أبنائي الثَّلاثة».

يجب ألا يُظَنَّ أن مصالحة اللوردات تلك جلبَت السَّلام إلى (وستروس)

بين عشيَّةٍ وضُحاها، فقد أدَّت جهود الملك ميجور لإبادة الصَّعاليك وأبناء المحارب إلى وقوف العديد من الرِّجال والنِّساء المتديِّنين ضدَّه وضدَّ عائلة تارجارين. بينما جمعَ ميجور رؤوس مئاتٍ من جماعتَي النُّجوم والسُّيوف، بقي مئات غيرهم طُلقاء، ومدَّهم عشرات الآلاف من اللوردات الأقلِّ شأنًا والفُرسان مُلَّاك الأراضي والعوام بالمأوى والمأكل، ومنحوهم العون والمواساة حيثما استطاعوا. قاد سيلاس الأشعَث وديِنس الكسيح فرقًا مُتنقِّلة من الصَّعاليك الذين ظهروا واختفوا مثل الأشباح في (الغابة الخضراء) عندما تعرَّضوا للتَّهديد، وشمال (النَّاب الذَّهبي) تنقَّل كلب التِّلال الأحمر السير چوفري دوجت بين (أراضي الغرب) و(أراضي النَّهر) كما يشاء، بدعمٍ وتواطؤ من الليدي لوسيندا زوجة سيِّد (أراضي النَّهر) المتديِّنة. أعلن السير چوفري، الذي أخذَ على عاتقه مسؤوليَّة القائد الأرفع لأبناء المحارب، نيَّته استعادة المجدِ السَّابِق لهذا التنظيم الذي كان مدعاةً لفخرهم، وكان يُجنِّد الفُرسان تحت راياته.

ومع ذلك كان التَّهديد الأكبر في الجنوب، حيث خيَّم السِّپتون مون وأتباعه تحت أسوار (البلدة القديمة) التي يدافِع عنها اللورد أوكهارت واللورد روان وفُرسانهما. كان السِّپتون ضخم البنية، وقد أُنعِمَ عليه بصوتٍ هدَّار وحضورٍ بدنيٍّ مهيب. رغم أن أتباعه الصَّعاليك أعلَنوه «السِّپتون الأعلى الحقيقي»، فإن هذا السِّپتون (إذا كان كذلك فعلًا) لم يكن مِثالًا للتَّقوى، فقد تفاخرَ بأن (النَّجمة السُّباعيَّة) هو الكتاب الوحيد الذي قرأه على الإطلاق، وشكَّك كثيرون في ذلك حتى، لأنه لم يكن معروفًا عنه قطُّ أنه يقتبس من نصوص ذاك الكتاب المقدَّس، ولم يرَه أحد يقرأ أو يَكتُب من قبل.

حافي القدمين وملتحيًا ومتَّقدًا بالحماسة، كان بإمكان «الصُّعلوك

الأفقر» التَّحدُّث لساعات، وغالبًا ما فعلَ... وكانت الخطيئة كلَّ ما تحدَّث عنه. «أنا خطَّاء». بهاتين الكلمتين افتتحَ السِّپتون مون كلَّ خطبة، وهكذا كان؛ مخلوقًا هائل الشَّهوات، شرهًا وسكِّيرًا ومشهورًا بفجوره، كلَّ ليلةٍ يُجامِع امرأةً مختلفةً، وقد حبلَت منه كثيرات لدرجة أن معاونيه بدأوا يقولون إن نُطفته قادرة على جعل العاقِر ولودًا. تسبَّب جهل أتباعه وحُمقهم في تصديق هذه الحكاية على نطاقٍ واسع، فبدأ الأزواج يعرضون عليه زوجاتهم والأمَّهات بناتهن، ولم يرفُض السِّپتون مون مثل هذه العروض قَطُّ، وبعد فترةٍ بدأ بعض الفُرسان الجوَّالة والرِّجال المسلَّحين بين رعاعه يرسمون صورةً لـ«قضيب مون» على تروسهم، ونشأت تجارةٌ نشطة للهراوات والقلادات والعكاكيز المنحوتة لتُماثِل عُضو مون، وكان يُعتقَد أن لمسةً من هذه التَّمائم تمنح الرَّخاء والحظَّ السَّعيد.

كان السِّپتون مون يخرج كلَّ يومٍ للتَّنديد بخطايا آل تارجاريَن والمتملِّق المجيز لرجسهم، فيما أصبح أبو المؤمنين الحقيقي داخل (البلدة القديمة) سجينًا فعليًّا في مقرِّه، غير قادرٍ على الظُّهور خارج حدود (السِّپت النَّجمي). على الرغم من أن اللورد هايتاور أغلقَ بوَّاباته ضد السِّپتون مون وأتباعه ورفضَ السَّماح لهم بدخول مدينته، فإنه لم يُظهِر أيَّ رغبةٍ في حمل السِّلاح ضدَّهم رغم المناشدات المتكرِّرة من صاحب القداسة الأعلى، وعندما ضُغِطَ عليه لمعرفة أسبابه، ساقَ معاليه كراهيته إراقة الدِّماء التقيَّة مبرِّرًا، لكن كثيرين ادَّعوا أن السَّبب الحقيقي كان عدم رغبته في قتال اللورديْن أوكهارت وروان اللذين منحا مون الحماية، ولذا أكسبَه إحجامه وتردُّده تسمية دونل المماطل من مِايسترات (القلعة).

جعلَ الصِّراع الطَّويل بين الملك ميجور والعقيدة تمريخ چهيرس على

يد السِّپتون الأعلى أمرًا حتميًّا، وهو ما اتَّفق عليه اللورد روجار والملكة الوصيَّة. ولكن قبل أن يحدُث ذلك كان يجب التَّعامل مع السِّپتون مون وحشده الرَّث، حتى يتمكَّن الأمير من السَّفر بأمانٍ إلى (البلدة القديمة). كان المأمول أن يكفي خبر موت ميجور لإقناع أتباع مون بالتَّفرُّق، وبعضهم فعلَ ذلك بالضَّبط... وإن لم يزد هؤلاء على بضعِ مِئاتٍ من حشدٍ بلغَ تعداده ما يقرُب من خمسة آلاف. أعلنَ السِّپتون مون لحشده: «ما جدوى موت تنِّينٍ حين ينهض آخَر ليحلَّ محلَّه؟ لن تعود (وستروس) طاهرةً من جديد حتى يُقتَل آل تارجاريَن جميعًا أو يُطرَدوا إلى البحر». كان يخطُب كلَّ يومٍ واعظًا من جديد، مطالبًا اللورد هايتاور بتسليم (البلدة القديمة) إليه، وداعيًا المتملِّق الأعلى لمغادرة (السِّپت النَّجمي) ومواجهة نقمة الصَّعاليك الذين خانَهم، ومُناشِدًا عوام المملكة بالثَّورة. (وكلَّ ليلةٍ ارتكبَ خطيئةً جديدةً).

في الجانب الآخَر من المملكة في (كينجز لاندنج)، فكَّر چهيرس ومستشاروه في كيفيَّة تخليص البلاد من هذا البلاء. كان لدى الملك الصَّبي وأختيه رِاينا وأليسين تنانينهم، وشعَرَ البعض أن الطَّريقة الأمثل للتَّعامُل مع السِّبتون مون هي الطَّريقة التي تعاملَ بها إجون الفاتح وأختاه مع الملكيْن في حقل النِّيران، ولكن لم يكن لدى چهيرس أيُّ ميلٍ لمثل تلك المذبحة، وحظَرت والدته الملكة أليسا ذلك بشكلٍ قاطِع، مذكِّرةً إيَّاهم بمصير رينس تارجاريَن وتنِّينتها في (دورن). هكذا قال يد الملك اللورد روجار باراثيون بشيءٍ من التَّردُّد إنه سيقود جيشه الخاص عبر (المرعى) ويُفرِّق أتباع مون بقوَّة السِّلاح... رغمَ أن ذلك سيعني تأليب رعاياه في (أرض العواصف)، وأيِّ قواتٍ أخرى سيجمعها، ضدَّ اللورديْن أوكهارت وروان وفُرسانهما وجنودهما، إضافةً إلى الصَّعاليك. قال الحامي: «على الأرجح سننتصر، ولكن ليس دونَ ثمن».

وربما كانت الآلهة مصغيةً، ففي أثناء جدال الملك ومجلسه في (كينجز لاندنج) حُلَّت المعضلة بطريقةٍ غير متوقَّعة على الإطلاق. كان الغسق يحلُّ خارج (البلدة القديمة) عندما انسحبَ السِّپتون مون إلى خيمته ليتناول وجبتَه المسائيَّة، متعبًا بعد نهارٍ قضاه في الخطابة. كالعادة وقفَ صعاليكه يحرسونه، رجال ضخام من حملة الفؤوس بلحى كثَّة لم يمسسها مقص قطُّ، لكن عندما قدَّمَت شابَّةٌ جميلةٌ نفسها لتدخل خيمة السِّپتون حاملةً إبريقًا من النَّبيذ بُغية تقديمه لصاحِب القَداسة مقابل مساعدته، سمحوا لها بالدُّخول في الحال، إذ علِموا نوع المساعدة الذي تحتاج إليه تلك الشَّابَّة؛ النَّوع القادر على جعلها تحبَل.

مرَّ وقت قصير سمِعَ خلاله الرِّجال خارج الخيمة نوبات ضحكٍ مُتقطِّعةً من السِّپتون مون بالداخل. ولكن بعدها، فجأةً، ارتفعَ أنين، وصُراخ امرأةٍ تلَته زمجرةُ غضَب. ثم انفتحَت سديلة الخيمة واندفعَت المرأة من الدَّاخل نصف عاريةٍ وحافية القدمين، وانطلقت مشدوهةً مرعوبةً قبل أن يفكِّر أيٌّ من الصَّعاليك في إيقافها، وتبعَها السِّپتون مون نفسه بعد لحظةٍ عاريًا هادرًا مخضَّلًا بالدَّم. كان يُمسِك رقبته، والدَّم يتسرَّب من بين أصابعه ويقطُر بين ثنايا لحيته من حيث شُقَّ حلقه.

يُقال إن مون قطعَ نصف المخيَّم مترنِّحًا، مضى مُتمايلًا من نار معسكرٍ إلى أخرى في مطاردة البغيِّ التي شقَّت حلقه، وأخيرًا خارَت قوَّته العظيمة، وانهارَ ميتًا فيما تحلَّق أتباعه حوله يُولولون حزنًا. لم يكن لقاتلته أثر، تلاشَت في اللَّيل ولم تُرَ مرَّةً أخرى. قلبَ الصَّعاليك الحانقون المخيَّم طوال يومٍ وليلةٍ بحثًا عنها، وهدموا الخيام، واحتجزوا عشرات النِّساء، وضربوا أيَّ رجلٍ حاول الوقوف في طريقهم... ولكن لم يكن لبحثهم المحموم من جدوى، ولم يتمكَّن حُرَّاس السِّپتون مون من الاتِّفاق

على شكلٍ قاتلته حتى.

تذكَّر الحُرَّاس أن المرأة أحضرَت معها إبريقًا من النَّبيذ هديَّةً للسِّپتون. كان نصف النَّبيذ لا يزال في الإبريق عند تفتيش الخيمة، وتقاسمَه أربعة من الصَّعاليك فيما أشرقَت الشَّمس، بعد أن حملوا جُثَّة نبيِّهم إلى سريره. مات الأربعة قبل الظَّهيرة، إذ كان النَّبيذ مسمَّمًا.

في أعقاب موت مون بدأ الحشد المهلهل الذي قادَه إلى (البلدة القديمة) في التفكُّك. كان بعض أتباعه قد هربوا بالفعل عندما بلغَهم خبر موت الملك ميجور وصعود الأمير چهيرس، والآن أضحى ذلك التسرُّب سيلًا. قبل أن تبدأ جُثَّة السِّپتون مون في التَّعفُّن تقدَّمت دستة من المنافسين للمطالبة بمعطفه، وبدأت الشِّجارات تندلِع بين أتباعهم. ربما كان يُظَنُّ أن رجال مون سيلجؤون إلى اللورديْن الحاضريْن بينهم لتولِّي القيادة، لكن شيئًا لم يكن أبعد عن الحقيقة. لم يكن الصَّعاليك على وجه الخصوص من مُبجِّلي النُّبلاء... وجعلَهم إحجام اللورديْن روان وأوكهارت عن إلزام فرسانهما وجنودهما بالهجوم على أسوار (البلدة القديمة) يُشكِّكون فيهما.

أصبحَت حيازة رُفات مون في حدِّ ذاتها موضع خلافٍ بين اثنين من خُلفائه المحتملين: الصُّعلوك المعروف باسم روب الجائع، ولوركاس مُعيَّن يُدعى بلوركاس العارِف، الذي تباهى بحفظه كتاب (النَّجمة السُّباعيَّة) كاملًا عن ظهرِ قلب. ادَّعى لوركاس أنه رأى في رؤيا أن مون لا يزال سيُسلِّم (البلدة القديمة) إلى أيدي أتباعه حتى بعد الموت، وبعد الاستيلاء على جُثَّة السِّپتون من روب الجائع، ثبَّتها هذا الأحمق «العارف» على صهوة جوادٍ عاريةً داميةً متعفِّنةً، ليقتحم بها بوَّابات (البلدة القديمة).

انضمَّ أقلُّ من مئةِ رجلٍ إلى الهجوم، وماتَ معظمهم تحت وابلٍ من

السِّهام والحِراب والحجارة قبل أن يصلوا إلى مسافة مِئة ياردة من أسوار المدينة، أمَّا الذين وصلوا إلى الأسوار فأُغرِقوا بالزَّيت المغلي أو أُضرِمَت فيهم النَّار بالقار المشتعل، وكان لوركاس العارِف نفسه بينهم. عندما ماتَ جميع رجاله أو سقطوا محتضرين، انطلقَت دستة من أجرأ فُرسان اللورد هايتاور من مخرَجٍ في البوَّابة، واستولوا على جُثَّة السِّپتون مون وقطعوا رأسه، ولاحقًا قُدِّمَ الرَّأس مسفوعًا محنطًا إلى السِّپتون الأعلى في (السِّپت النَّجمي) على سبيل الهديَّة.

تبيَّن أن الهجوم الفاشل كان آخِر رمقٍ لحمْلة السِّپتون مون. حلَّ اللورد روان مخيَّمه في غضون ساعةٍ ورحلَ مع كلِّ فرسانه ورجاله، وتبعَه اللورد أوكهارت في اليوم التَّالي. مَن تبقَّوا من الحشد من الفُرسان المتجوِّلين والصَّعاليك وأتباع المعسكرات والتُّجَّار تدفَّقوا مبتعدين في جميع الاتِّجاهات (وسلبوا ونهبوا كلَّ مزرعةٍ وقريةٍ ومعقل في طريقهم). كان أقلُّ من أربعمئة من الخمسة آلاف الذين جلبهم السِّپتون مون إلى (البلدة القديمة) قد بقيَ حين حرَّك اللورد دونل المماطل نفسه أخيرًا وانطلقَ راكبًا على رأس قوَّةٍ لذبح المتطرِّفين.

أزاحَ اغتيال مون آخِر عقبةٍ رئيسيَّة أمام وصول چهيرس تارجارين إلى العرش الحديدي، ولكن منذ ذلك الحين وحتى يومنا هذا يحتدم الجدل حول المسؤول عن موته. لم يصدِّق أحد حقًّا أن المرأة التي أقدَمت على تسميم «السِّپتون الخطَّاء» وانتهى بها الأمر بشقِّ حلقه تصرَّفت من تلقاء نفسها، فمن الجليِّ أنها كانت مجرَّد أداة... ولكن لمن؟ هل أرسلَها الملك الصَّبي نفسه؟ أم كانت ربما عميلةً ليد چهيرس روجار باراثيون أو أمِّه الملكة الوصيَّة؟ أصبحَ البُعض يعتقد أن المرأة كانت واحدةً من عديمي الوجوه، رابطة المشعوذين المغتالين سيِّئي السُّمعة من (براڤوس).

لدعم هذا الادِّعاء استشهدوا باختفائها المفاجئ والطَّريقة التي «ذابت بها في اللَّيل» بعد الاغتيال، وحقيقة أن حُرَّاس السِّپتون مون لم يتمكَّنوا من الاتِّفاق على شكلها.

يضع الرِّجال الأكثر حكمة وأولئك الأعلى درايةً بأساليب الرِّجال عديمي الوجوه في هذه النَّظريَّة القليل من المصداقيَّة، فالخرَق الشَّديد الذي جرى به مقتل مون يدلُّ على أنه لم يكن من عملهم، لأن عديمي الوجوه يهتمُّون للغاية بجعل ميتات ضحاياهم تظهر كوفياتٍ طبيعيَّة، وهذا مصدر فخرٍ لهم وحجر الأساس في فنِّهم، أمَّا نحر رجلٍ وتركه يترنح صارخًا في اللَّيل فليس من شِيَمهم. يعتقد معظم الباحثين اليوم أن القاتلة لم تكن إلَّا إحدى تابعات المعسكر، وقد تصرَّفت بأمرٍ من اللورد روان أو اللورد أوكهارت، أو ربما الاثنين. رغم أن أحدًا منهما لم يجرؤ على التَّخلي عن السِّپتون مون وهو حي، فاللَّهفة التي تخلَّى بها اللوردان عن قضيَّته بعد موته تُشير إلى أن مظلمتهما كانت ضد ميجور شخصيًّا وليس آل تارجاريَن جميعًا... وبالفعل سُرعان ما عادَ كلا الرَّجلين إلى (البلدة القديمة) نادمًا مطيعًا وراكعًا أمام الأمير چهيرس عند تتويجه.

والآن وقد صارَ الطَّريق إلى المدينة سالكًا آمنًا مرَّةً أخرى، حدث ذلك التَّتويج في (السِّپت النَّجمي) في الأيام الأخيرة من عام 48 بعد الفتح. مرخَ السِّپتون الأعلى -المتملِّق الأعلى الذي كان السِّپتون مون يأمل إزاحته- الملك الصَّغير بنفسه، ووضعَ تاج والده إينس على رأسه، وتلا ذلك سبعة أيامٍ من الاحتفال جاء خلالها مئات من اللوردات الكبار والصِّغار للرُّكوع والتَّعهُّد بسيوفهم لچهيرس. كان بين الحاضرين شقيقتاه رِاينا وأليسين، وبنتا أخيه الصَّغيرتان إيريا ورِايلا، ووالدته الملكة الوصيَّة أليسا، ويد الملك روجار باراثيون، وكذا السير جايلز موريجن

قائد الحرس الملكي، والمايستر الأكبر بنيفر، وجمعٌ من رؤساء المايسترات من (القلعة)... ورجلٌ لم يتوقَّع أحد رؤيته: السير چوفري دوجت، كلب التِّلال الأحمر الذي نصَّب نفسه القائد الأرفع لجماعة أبناء المحارب الخارجة عن القانون. وصل دوجت في صُحبة اللورد والليدي تَلي سيِّدَي (ريڤررَن)... ليس مكبَّلًا بالأغلال كما توقَّع معظم النَّاس، ولكن بجواز مرورٍ آمِن حملَ ختمَ الملك.

كتبَ المايستر الأكبر بنيفر بعد ذلك أن الاجتماع بين الملك الصَّبي والفارس الخارج عن القانون «مهَّد السَّبيل» لكلِّ ما تبعَ في عهد چهيرس. عندما حثَّه السير چوفري والليدي لوسيندا على التَّراجع عن قرارات عمِّه ميجور وإعادة تشكيل جماعتَي السُّيوف والنُّجوم، رفضَ چهيرس بحزم، وأعلنَ: «العقيدة لا تحتاج إلى سيوف، فلديها حمايتي، حماية العرش الحديدي». ومع ذلك فقد ألغى المكافآت التي رصدَها ميجور لقاء رؤوس أبناء المحارب والصَّعاليك، وقال: «لن أشن حربًا على شعبي، لكني لن أتساهل مع الخيانة والتَّمرُّد».

ردَّ كلب التِّلال الأحمر بتحدٍّ: «لقد ثرتُ ضد عمِّك تمامًا كما ثرتَ».

جاوبَ چهيرس: «صحيح، ولقد قاتلتَ بشجاعةٍ ولا يمكن لأحدٍ أن ينكر ذلك. لم يعُد لأبناء المحارب وجود، وانتهت تعهُّداتك لهم، ولكن ليس خدمتك بالضَّرورة، فعندي مكان مناسب لك»، وبتلك الكلمات صدمَ الملك الصَّغير بلاطه بمنح السير چوفري منصبًا إلى جواره في الحرس الملكي. خيَّم الصَّمت عندئذٍ، كما يُخبِرنا المايستر الأكبر بنيفر، وعندما استلَّ الكلب الأحمر سيفه من غِمده، تخوَّف البعض من أنه قد يُهاجِم الملك، لكنه جثا بدلًا من ذلك على رُكبةٍ واحدة حانيًا رأسه وواضعًا سيفه تحت قدمَي چهيرس، ويقال إن الدُّموع كانت تجري على خدِّه وقتها.

بعد تسعة أيامٍ من التَّتويج تركَ الملك (البلدة القديمة) متَّجهًا إلى (كينجز لاندنج)، وارتحلَ معه معظم البلاط في ما أصبحَ موكبًا عظيمًا عبرَ أراضي (المرعى)... لكن أخته رِاينا بقيَت معهم حتى (هايجاردن) فقط، لتمتطي تنِّينتها دريمفاير وتُغادِر من هناك نحو (الجزيرة القصيَّة) وقلعة اللورد فارمان فوق البحر، تاركةً ليس الملك وحسب، بل ابنتَاها. بقيَت رِايلا المحلَّفة المبتدئة لدى العقيدة في (السِّپت النَّجمي)، فيما تابعَت توأمتها إيريا رحلتها مع الملك لتخدم الأميرة أليسين ساقيةً ورفيقةً.

لكن لُوحِظَ أمر مثير للاهتمام حدثَ لابنتَيْ الملكة رِاينا بعد تتويج الملك. كانت التَّوأمتان دومًا صورةً طِبق الأصل في الشَّكل، وإن اختلفَت طِباعهما، فبينما اتَّصفت رِايلا بكونها طفلةً جريئةً جامحةً روَّعَت السِّپتوات اللَّائي تولَّيْن مسؤوليَّتها، كانت إيريا فتاةً خجولًا، دائمًا تستسلِم لدموعها ومخاوفها، وقد كتبَ المِايستر الأكبر بنيفر عن إيريا حين جاءَت إلى البلاط أوَّل مرَّة: «إنها تخاف الأحصنة والكلاب والصِّبية الصَّاخبين والرِّجال ذوي اللِّحى والرَّقص، وترتعِب من التَّنانين».

غير أن ذلك كان قبل سقوط ميجور وتتويج چهيرس. بعدها كرَّسَت الفتاة التي بقيَت في (البلدة القديمة) نفسها للصَّلاة والدِّراسة ولم تتطلَّب التَّأديب مجدَّدًا أبدًا، في حين أصبحَت الفتاة التي عادَت إلى (كينجز لاندنج) مرحةً سريعة البديهة مُحبَّةً للمُغامرات، وسرعان ما صارَت تقضي نصف يومها في أوجِرة الكِلاب والاسطبلات وساحات التَّنانين. رغم أن شيئًا لم يَثبُت قَطُّ، فقد اعتُقِدَ على نطاقٍ واسع أن شخصًا ما -الملكة رِاينا نفسها أو ربَّما والدتها الملكة أليسا- استغلَّ مناسبة تتويج الملك لتبديل التَّوأمتيْن، ولكن حتى إن حدثَ ذلك بالفعل، فلم يجرؤ أحد أن يستعلم عن تلك الخدعة، فإلى أن يُرزَق چهيرس بوريثٍ من صُلبه، كانت الأميرة إيريا (أو الفتاة التي أصبحَت تحمل ذلك الاسم

حينها) وريشة العرش الحديدي.

اتَّفقت الرِّوايات جميعها على أن عودة الملك من (البلدة القديمة) إلى (كينجز لاندنج) كانت نصرًا. ركبَ السير چوفري إلى جِواره، وبطول الطَّريق حيَّتهم الحشود المهلِّلة، ومن هنا وهناك خرجَ الصَّعاليك مهزولين قذرين بلِحى وفؤوسٍ طويلة، طالبين رحمةً من الملك مثل التي نالَها الكلب الأحمر، ليُجيب طلَبهم چهيرس بشرط أن يوافقوا على الذَّهاب شمالًا إلى (الجِدار) ليخدموا في حرس اللَّيل، فأقسمَ مئات على فِعل ذلك، ومن بينهم روب الجائِع نفسه لا أقل. دوَّن المايستر الأكبر بنيفر: «في غضون دورة قمرٍ من تتويجه، صالَح الملك بين العرش الحديدي والعقيدة، ووضعَ نهايةً لسفك الدِّماء الذي استبدَّ بالبلاد خلال عهدَي عمِّه وأبيه».

عام العرائس الثَّلاث
49 بعد الفتح

استبشرَ أهل (وستروس) في عام 49 بعد فتح إجون بفترةٍ راحةٍ من الفوضى والنِّزاعات السَّابِقة. سيكون هذا العام عامًا من السَّلام والرَّخاء والزِّيجات، ويُذكَر في سجلَّات الممالِك السَّبع باسم «عام العرائس الثَّلاث».

لم يكن قد مرَّ من العام الجديد أكثر من أسبوعيْن عندما وصلَت أخبار أولى الزِّيجات الثَّلاث من الغرب، من (الجزيرة القصيَّة) في (بحر الغروب). هناك، في احتفالٍ صغير سريع تحت السَّماء، تزوَّجت رِاينا تارجريَن بآندرو فارمان، الابن الثَّاني لسيِّد (الجزيرة القصيَّة)، وكانت تلك زيجة العريس الأولى وزيجة العروس الثَّالثة. رغم ترمُّلها مرَّتين، لم تتجاوَز رِاينا السَّادسة والعشرين، فيما بلغَت سنُّ زوجها الجديد السَّابعة عشرة، وكان وبشكلٍ ملحوظ شابًّا وسيمًا ولطيفًا، قيلَ إنه مُغرمٌ للغاية بزوجته الجديدة.

ترأَّسَ أبو العريس، مارك فارمان سيِّد (الجزيرة القصيَّة)، حفل الزِّفاف،

وتمَّ الزَّواج على يد سِپتونه الخاص. كان لايمان لانستر سيِّد (كاسترلي روك) وزوجته چوكاستا الحاضريْن الوحيديْن من لوردات (وستروس) الكبار، وحضرَت أيضًا اثنتان من صديقات رِاينا المفضَّلات السَّابقات، سامانثا ستوكوورث وإليني رويس، اللتان جاءتا إلى (الجزيرة القصيَّة) بشيءٍ من العجلة، لتقفا بجوار صديقتهما الملكة الأرملة، ومعهما الليدي إليسا شقيقة العريس المرحة. أمَّا باقي الضُّيوف فكانوا من حاملي الرَّايات والفُرسان المقسمين على الولاء لآل فارمان أو آل لانستر، وظلَّ الملك وبلاطه غافلين حتى وصلَ غُدافٌ من (الصَّخرة) بعد أيامٍ من وليمة الزِّفاف ومراسِم الإضْجاع التي أتمَّت الزِّيجة.

ذُكر في سجلَّات (كينجز لاندينج) أن الملكة أليسا شعرَت بإهانةٍ بالغة لاستبعادها من زفاف ابنتها، ولم تعُد العلاقات بين الأمِّ وابنتها حميميَّةً بعد ذلك، فيما غضبَ اللورد روجار باراثيون بسبب اجتراء رِاينا على الزَّواج مرَّةً أخرى دون إذن التَّاج... وكان يقصد بالتَّاج شخصه، بصفته يد الملك الصَّغير. ولكن بافتراض أنها طلَبت الإذن في الزَّواج، لم يكن أكيدًا أن الطَّلب سيُقبَل، إذ عُدَّ آندرو فارمان، الابن الثَّاني للوردٍ صغيرِ الشَّأن، غير لائقٍ على الإطلاق لأن يحظى بيد امرأةٍ كانت ملكةً مرَّتين وأمًّا لوريثة الملك (والسَّبب في ذلك أن الابن الأصغر للورد روجار كان أعزب وقتها، وكان لحضرته ابنا أخٍ في سنٍّ ونسبٍ مناسبيْن للزَّواج بأرملةٍ من آل تارجاريَن، وقد تُفسِّر تلك الوقائِع غضب حضرة اليد وسِرِّية زواج الملكة رِاينا). الملك چهيرس نفسه وأخته أليسين ابتهجا لسماعهما نبأ زواج رِاينا، فأرسلا الهدايا والتَّهاني إلى (الجزيرة القصيَّة)، وأمرا بدقِّ أجراس (القلعة الحمراء) احتفالًا.

وبينما احتفلَت رِاينا تارجاريَن بزواجها في (الجزيرة القصيَّة)، كان الملك

چهيرس وأمُّه الملكة الوصيَّة على العرش في (كينجز لاندنج) مشغولَيْن باختيار المستشارين الذين سيساعدونهما على حُكم المملكة طوال العامَيْن التَّاليَيْن. ظلَّت المصالحة المبدأ المتَّبع، لأن جراح الفُرقة التي مزَّقت البلاد لم تزل بعيدةً كلَّ البُعد عن الالتئام. ارتأى الملك أن مؤدَّى مكافأة الموالين وعزل رجال ميجور والمؤمنين من مراكز السُّلطة هو تفاقُم الجراح وظهور المزيد من الشَّكاوى، ووافقَته أمُّه.

بناءً على ذلك، تواصَل الملك مع سيِّد (جزيرة المخالب) إدويل سلتيجار، الذي كان يد الملك ميجور، واستدعاه إلى (كينجز لاندنج) ليخدم في منصب أمين النَّقد والخزانة. وبالنِّسبة إلى الأميرال وقيِّم السُّفن فقد اختارَ الملك الصَّغير خاله ديمون ڤيلاريون سيِّد المدِّ والجَزر، شقيق الملكة أليسا وأحد أوائل كبار اللوردات الذين تخلَّوا عن ميجور المتوحِّش. واستُدعِيَ پرنتس تَلي سيِّد (ريڤررَن) إلى البلاط ليشغل منصب قيِّم القوانين، وقدمَت معه زوجته المهيبة الليدي لوسيندا المشهورة بتديُّنها. وفوَّض الملك قيادة حرس المدينة، أكبر قوَّةٍ مسلَّحة في (كينجز لاندنج)، إلى كارل كوربراي سيِّد (بيت القلوب)، الذي قاتلَ إلى جانب إجون غير المتوَّج تحت (عين الآلهة). وفوقهم جميعًا وقفَ روجار باراثيون سيِّد (ستورمز إند) ويد الملك.

من الخطأ الاستِخفاف بنفوذ چهيرس تارجاريَن نفسه خلال سنوات الوِصاية عليه، فعلى الرغم من صِغر سنِّه كان للملك الصَّبي مقعد في كلِّ مجلسٍ تقريبًا (ولكن ليس جميعها، كما سيُروى بعد قليل)، ولم يخجل قَطُّ من جعلِ صوته مسموعًا. لكن في النِّهاية آلَت السُّلطة الأخيرة طوال هذه الفترة إلى أُمِّه الملكة الوصيَّة ويده، الذي كان في حدِّ ذاته رجلًا مهيبًا.

بعينين زرقاوين، ولحيةٍ سوداء، وعضلاتٍ مثل الثَّور، كان اللورد روجار الأكبر بين خمسة إخوة، جميعهم أحفاد لأوريس الأبتر، أوَّل سيِّدٍ لـ(ستورمز إند) من آلِ باراثيون. كان أوريس أخًا غيرَ شرعي لإجون الفاتِح وأكثر قائدٍ يحظى بثقته، وبعد قتله أرجيلاك المتكبِّر، آخِر آل دوراندون، تزوَّج ابنته، وبهذا استطاعَ اللورد روجار التَّفاخُر بأن دماء التنِّين ودماء ملوك العواصف القُدامى تجري في عروقه. لم يكن حضرة اللورد سيَّافًا، إذ فضَّل استخدام فأسٍ مزدوجة النَّصل في المعارك... فأسٍ قال عنها في كثيرٍ من الأحيان إنها «كبيرة وثقيلة بما يكفي لشقِّ جمجمة تنِّين».

كانت هذه كلمات خطيرةً في عهد ميجور المتوحِّش، ولكن إن خشيَ اللورد روجار باراثيون غضبَ ميجور فقد أحسنَ إخفاء خشيته. الذين عرفوه لم يندهشوا حين آوى الملكة أليسا وأطفالها بعد هروبهم من (كينجز لاندنج)، وحين كان أوَّل من أعلنَ الأمير جهيرس ملكًا. وقد سُمِعَ شقيقه بوريس يقول إن روجار حلمَ بمواجهة ميجور في نزالٍ فردي والفتك به بفأسه.

حرمَه القدَر تحقيق حُلمه، وبدلًا من روجار قاتِل الملك، أصبحَ روجار صانِع الملك بتسليمه العرش الحديدي إلى الأمير جهيرس. شكَّكَ البعضِ في حقِّه بأخذِ مكانٍ إلى جانب الملك الصَّغير وشغل منصب اليد، وقلائل تمادوا لدرجة الهَمس بأن اللورد روجار باراثيون هو الذي سيحكُم البلاد من ذلك الحين فصاعدًا، لأن جهيرس مجرَّد صبيٍّ وابنٍ لأبٍ ضَعيف، وأُمَّه مجرَّد امرأة، وعندما أعلنَ اللورد روجار والملكة أليسا نيَّتهما الزَّواج، تعالَت الهمَسات... فما زوج الملكة إن لم يكن ملِكًا؟

تزوَّج اللورد روجار مرَّةً من قبل، لكن زوجته ماتَت في عمرٍ صغير

إذ أخذَتها الحُمَّى بعد مضيّ أقلّ من عامٍ على زواجهما. كانت الملكة الوصيَّة أليسا في الثَّانية والأربعين، وظُنَّ أنها تجاوزَت سنوات قُدرتها على الإنجاب، وسيِّد (ستورمز إند) يصغرها بعشرِ سنوات. كتبَ لنا السِّپتون بارث بعد بضع سنواتٍ أن چهيرس عارضَ فكرة الزَّواج، إذ شعرَ الملك الصَّغير أن يده يتخطَّى حدودَه بدافع رغبةٍ في المزيد من السُّلطة والمناصب أكثر من عاطفةٍ حقيقيَّةٍ لأمِّه. قال بارث إن الملك غضبَ لأن لا أمَّه ولا خاطبها طلبا إذنه في الزَّواج... ولكن لأنه لم يعترض على زواج أخته، لم يعتقد الملك أن له الحَقَّ في مَنع زواج أمِّه. وهكذا لاذَ چهيرس بالصَّمت ولم يُلمِّح إلى هواجسه لأيِّ أحدٍ باستثناء بعض المقرَّبين.

كان حضرة اليد موضع إعجابٍ لشجاعته، واحترامٍ لقوَّته، وخوفٍ لبراعته العسكريَّة ومهارته بالسِّلاح، والملكة الوصيَّة كانت محبوبةً، وقالت عنها النِّساء إنها *جميلة جدًّا، شُجاعة جدًّا، تعيسة جدًّا*. حتى اللوردات الذين كانوا ليَرفُضوا أن تحكُمهم امرأة كانوا مستعدِّين لقبولها حاكمةً عليهم، مطمئنِّين لمعرفتهم أن روجار باراثيون يقف بجانبها، وأن الملك الصَّغير على بُعد أقلّ من سنةٍ عن يوم ميلاده السَّادس عشر.

اتَّفق الجميع على كونها بنتًا جميلةً، ابنة العظيم إيثان ڤيلاريون سيِّد المدِّ والجَزر والسيِّدة زوجته ألارا سليلة عائلة ماسي. كان نسبها عريقًا فخورًا غنيًّا، ووالدتها ذات جمالٍ رائع، وجدُّها من أقدم وأقرب أصدقاء إجون التنِّين وملكتيْه. أنعمَت الآلهة على أليسا نفسها بعينين أرجوانيَّتين داكنتين وشعر (ڤاليريا القديمة) الفضِّي اللَّامع، ومنَّت عليها كذلك بالجاذبيَّة والذَّكاء واللُّطف، وإذ كبرَت توافدَ الخُطَّاب إليها من كلِّ رُكنٍ من أركان المملكة. مع ذلك لم يكن زواجها محلَّ سؤالٍ حقيقي، ففتاة

مثلها لا يليق بها إلَّا زوج من العائلة الملكيَّة، وهكذا في عام 22 بعد الفتح تزوَّجت بالأمير إينس تارجاريَن، الوريث المؤكَّد للعرش الحديدي.

كان زواجهما سعيدًا ومثمرًا. كان إينس لطيفًا مراعيًا لزوجته، وودودًا وكريمًا ومخلصًا دومًا، وأنجبَت له أليسا خمسة أطفالٍ أقوياء وأصحَّاء، ثلاثة أبناء وابنتيْن (وطفلًا سادسًا، ابنة ماتت في المهد بعد ولادتها بفترةٍ وجيزة)، وعندما توفيِّ والده في عام 37 بعد الفتح انتقلَ التَّاج إلى إينس، وأصبحَت أليسا ملكته.

في السنوات التي تلَت ذلك رأت أليسا حُكم زوجها ينهار ويتحوَّل إلى رمادٍ إذ برزَ الأعداء من حوله، وفي عام 42 بعد الفتح ماتَ مكسورًا محتقَرًا، يبلغ من العُمر الخامسة والثَّلاثين فقط، وبالكاد حظيَت الملكة بوقتٍ لتحزنَ عليه قبل أن يستوليَ أخوه على العرش الذي وجبَ أن ينتقِلَ شرعًا إلى ابنها الأكبر. رأت أليسا ابنها يثور ضدَّ عمِّه ويموت مع تنِّينته، وبعد فترةٍ وجيزة تبِعَه ابنها الثَّاني إلى المحرقة الجنائزيَّة، بعد تعذيبه على يد تيانا بنت البُرج حتى الموت. كانت أليسا وأولادها الأصغر سُجناء في كلِّ شكلٍ عدا الاسم عند الرَّجل الذي تسبَّب في موتِ ابنيْها، وشاهدَت ابنتها الكُبرى تُجبَر على الزَّواج بذلك الوحش نفسه.

على أن لُعبة العروش تأخُذ العديد من المنعطفات الغريبة. ميجور نفسه سقطَ في أحدها، ويرجع جزء كبير من سقوطه إلى شجاعة الملكة المرمَّلة أليسا، وجرأة اللورد روجار الذي صادقَها وآواها، وهو الفِعل الذي لم يُقدِم عليه أيُّ أحدٍ آخَر. كانت الآلهة معهم ومنحَتهم النَّصر، والآن نالَت المرأة التي كانت أليسا سليلة عائلة ڤيلاريون فُرصةً ثانيةً للسَّعادة مع زوجٍ جديد.

سيكون زفاف يد الملك والملكة الوصيَّة مترفًا بقدر ما كان زواج الملكة

المرمَّلة رِاينا متواضعًا، وسيُؤدِّي السِّپتون الأعلى بنفسه طقوس القران في اليوم السَّابع من القمر السَّابع من العام الجديد، في (جُب التَّنانين) نصف المكتمل الذي لم يزل مفتوحًا على السَّماء، حيث تسمح صفوف الدِّكك الحجريَّة المرتفِعة لعشرات الآلاف بمشاهدة الزِّفاف، وستضمُّ الاحتفالات دورة مبارياتٍ عظيمةً، وسبعة أيامٍ من الولائم والمرح، وحتى معركةً بحريَّةً صوريَّةً ستُخاض في (الخليج الأسود).

لم يُحتفَل بزِفافٍ بنصف تلك الأُبَّهة في ذاكرة (وستروس)، وحضرَ اللوردات كبارا وصغارًا من جميع أنحاء (الممالِك السَّبع) وغيرها ليكونوا جزءًا منه. جاءَ دونل هايتاور من (البلدة القديمة) مع مئة فارسٍ وسبعةٍ وسبعين فردًا من مجلس القانِتين رِفقة قداسة السِّپتون الأعلى، فيما جلبَ لايمان لانستر ثلاثمئة فارسٍ من (كاسترلي روك)، وقطعَ براندون ستارك، سيِّد (وينترفل) المريض، رحلةً طويلةً من الشَّمال مع ابنيْه والتون وألارِك رِفقة دستةٍ من حمَلة الرَّايات الشَّماليِّين الأقوياء وثلاثين من إخوة حرس اللَّيل المحلَّفين، وحضرَ اللوردات آرن وكوربراي ورويس ممثِّلين (الوادي)، واللوردات سلمي ودونداريون وتارلي (التُّخوم الدورنيَّة). حتى من خارج حدود المملكة جاءَ أصحاب السُّلطة والعظماء، فأرسلَ أمير (دورن) أخته، وأمير البحر البراﭬوسي ابنه، أمَّا أركون (تايروش) فعبرَ (البحر الضيِّق) بنفسه ومعه ابنته العذراء، كما فعل ما لا يقل عن اثنين وعشرين ماچسترًا من مدينة (پنتوس) الحُرَّة. أحضروا جميعًا هدايا باذخةً لحضرة اليد والملكة الوصيَّة، وأتَت الهدايا الأبذخ من أولئك الذين كانوا مؤخَّرًا من رجال ميجور، ومن ريكارد روان وتورجن أوكهارت اللذين زحفا مع السِّپتون مون.

جاء ضيوف الزِّفاف ظاهريًّا للاحتفال بزواج اللورد روجار باراثيون

والملكة الأرملة، وإن كانت لديهم أسباب أخرى للحضور دون شكٍّ. أراد العديد منهم التَّعامل مع اليَد، الذي عدَّه كثيرون القوَّة والسُّلطة الحقيقيَّة في البلاد، في حين أرادَ الآخَرون رؤية ملكهم الصَّبي الجديد وتقديره. لم يحرمهم جلالته الفُرصة، إذ أعلنَ السير جايلز موريجِن نصير الملك وتُرسه المحلَّف أن من دواعي سرور چهيرس مقابلة أيِّ لورد أو فارس مالك أراضٍ يرغب في مقابلته، وقبلَت مئة دستة منهم دعوته. متجنِّبًا القاعة الكُبرى وفخامة العرش الحديدي، استقبلَ الملك الصَّغير اللوردات في دفء غُرفته الشَّمسيَّة، ولم يحضر معه إلَّا السير جايلز ومِايستر واحد وبعض الخدم.

وهناك قيلَ إن الملك حثَّ كلَّ لورد على التَّحدُّث بحُريَّة ومشاركة رأيه في مشكلاتِ المملكة وكيف يمكن لهم التَّغلُّب عليها بأفضل طريقةٍ ممكنة. أخبرَ اللورد رويس مِايستره لاحقًا: «إنه ليس ابن أبيه»، وربما كان هذا ثناءً على مضض، لكنه ثناءٌ رغم ذلك. وسُمِعَ اللورد ڤانس سيِّد (استراحة عابري السَّبيل) يقول: «إنه يُحسِن الإصغاء، لكنه يقول القليل». ريكارد روان وجدَ چهيرس لطيفًا ويتحدَّث برفقٍ ودماثة، وظنَّه كايل كوننجتون ظريفًا وسريع البديهة، ومورتون كارون حذِرًا وفطِنًا، وقال عنه چون مرتنز باستحسان: «غالبًا ما يضحَك وبحُرِّيَّة، حتى من نفسه»، لكن آلك هنتر ظنه صارمًا، وتورجن أوكهارت متجهِّمًا، وأعلنَ اللورد ماليستر أنه حكيم بما يفوق سنِّه، فيما قال اللورد داري إن چهيرس وعدَه بأن يكون «من الملوك الذين يفخر أيُّ لوردٍ بالرُّكوع لهم». أمَّا أعظم الثَّناء فصدرَ من براندون ستارك سيِّد (وينترفل)، الذي قال: «أرى فيه جدَّه».

لم يحضر يد الملك أيًّا من تلك المقابلات، ولكن يجب ألَّا يُظَنَّ أن

اللورد روجار كان مضيفًا مهملًا، وإن كرَّس معاليه السَّاعات التي قضاها مع ضيوفه لأشياءَ أخرى، إذ خرجَ معهم للصَّيد بالكلاب والأبواز، وقامرَ وأكلَ، و«شربَ معهم كلَّ ما في الأقبية الملكيَّة»، وبعد الزِّفاف عندما بدأت دورة المباريات حضرَ اللورد روجار كلَّ منازلةٍ والتحامٍ جماعي، محاطًا بمجموعةٍ مرحة وثملة من اللوردات الكبار والفُرسان المشاهير.

أمَّا أسوأ وسائل التَّرفيه عن معاليه سُمعةً فكان قبل يومين من المراسم. رغم عدم وجود دليلٍ في سجلَّات البلاط، تدَّعي حكايات ردَّدها الخدم، وتكرَّرت لسنواتٍ عديدة بين العوام، أن أشقَّاء اللورد روجار جلبوا سبعَ عذراواتٍ عبر (البحر الضيِّق) من أفضل بيوت الهوى في (لِيس). لأن الملكة أليسا سلَّمت إينس تارجاريَن بِكارتها قبل سنواتٍ عديدة، لم تكن مسألة قطف اللورد روجار زهرتها في ليلة زفافهما مطروحةً، وقد جُلِبَت عذارى (لِيس) عوضًا عن هذا النقص. إن صحَّت الهمسات التي سُمعَت في البلاط بعد ذلك، فمن المفترض أن حضرته قطفَ زهور أربع فتياتٍ قبل أن يَغلبَه الإرهاق والسُّكر، وقطفَ إخوانه وأبناؤهم وأصدقاؤه زهور الثَّلاث الأخريات، وجامَعوا أربعين من الجميلات الأكبر سِنًّا اللاتي أبحرن معهن من (لِيس). مكتبة .. سُر مَن قرأ

بينما كان اليد يُعربِد، والملك جهيرس في لقاءٍ مع لوردات مملكته، استضافَت شقيقته الأميرة أليسين النِّساء رفيعات النَّسب اللواتي جِئن إلى (كينجز لاندنج). اختارَت شقيقة الملك الكُبرى رِاينا عدم حضور الزِّفاف، مفضِّلةً البقاء في (الجزيرة القصيَّة) مع زوجها الجديد وبلاطها الخاص، فيما انشغلَت الملكة الوصيَّة أليسا بتحضيرات الزِّفاف، لذا وقعَت على عاتِق أليسين ضيافة زوجات الكبار والعظماء وبناتهم وأخواتهم. رغم أنها كانت قد بلغت الثَّالثة عشرة فحسب مؤخَّرًا، اتَّفقَ

الجميع على أنها ارتقَت إلى مستوى المهمة ببراعة. لمدَّة سبعة أيامٍ وسبع ليالٍ أفطرَت أليسين مع مجموعةٍ من الليديهات النَّبيلات، وتغدَّت مع مجموعةٍ ثانية، وتعشَّت مع ثالثة، وأرَتهن عجائِب (القلعة الحمراء)، وأبحرَت معهن في (الخليج الأسود)، وركبَت معهن في أنحاء المدينة.

لم تكن أليسين تارجاريَن، أصغر أولاد الملك إينس والملكة أليسا، معروفةً بين لوردات وليديهات المملكة، إذ قضَت طفولتها قبل ذلك في ظلِّ إخوتها وأختها الأكبر رِاينا، وإذا ذُكِرَت أشيرَ إليها فقط بـ«الفتاة الصَّغيرة» أو «الابنة الأخرى». كانت أليسين صغيرةً، صحيح، ونحيفة القدِّ، وغالبًا ما وُصِفَت بحُسن المظهر ولكن نادرًا ما وُصِفَت بالجمال، على الرغم من أنها سليلة عائلةٍ مشهورةٍ بجمالها. كانت عيناها زرقاويْن لا أرجوانيَّتيْن، وخُصلات شعرها بلون العسل، ولم يُشكِّك أحدٌ في ذكائها قَطُّ.

قيل عنها لاحقًا إنها تعلَّمت القراءة قبل أن تُفطَم، وكان مهرّج البلاط يُلقي الدُّعابات عن أليسين الصَّغيرة التي يتقاطَر اللبن منها على المخطوطات الڤاليريَّة وهي تُحاوِل القراءة فيما ترضع من حلمة مُرضعتها. لو أنها فتى لأُرسِلَت إلى (القلعة) لتُكوِّن سلسلة مِايستر، حسبما قال عنها السِّپتون بارث... لأن ذلك الرجل الحكيم كان يُبجِّلها أكثر من زوجها نفسه، الذي خدمَه زمنًا طويلًا. لكن ذلك لم يزل بعيدًا في مُستقبل الأيام، أمَّا في عام 49 بعد الفتح فكانت أليسين مجرَّد فتاةٍ في الثَّالثة عشرة، ومع ذلك اتَّفقتِ السجلَّات كلُّها على تركها انطباعًا قويًّا فيمَن قابَلوها.

حين حلَّ يوم الزِّفاف أخيرًا صعدَ أكثر من أربعين ألفًا من العامَّة (تل رينس) إلى (جُب التَّنانين) ليشهدوا زواج الملكة الوصيَّة وحضرة

اليد، (وقدَّرَ بعض الملاحظين أعداد الحضور بأكثر من هذا). هتفَ ألوف من الجماهير للورد روجار والملكة أليسا فيما شقَّ موكبهما طُرقات المدينة، يُرافِقهما مئات من الفُرسان على خيولهم المزيَّنة وصفوف من السِّپتوات يقرَعن الأجراس. كتبَ المِايستر الأكبر بنيفر: «لم يُدوَّن في سجلَّات (وستروس) عن مجدٍ مشابه قَطُّ». ارتدى اللورد روجار قماش الذَّهب من رأسه إلى أخمص قدميْه، واعتمرَ خوذةً مفتوحةً ذات قرون، فيما ارتدَت عروسه معطفًا عظيمًا مرصَّعًا بالأحجار الكريمة، يواجه عليه التنِّين ذو الرؤوس الثَّلاثة رمز آل تارجاريَن حصان البحر الفضِّي رمز عائلة ڤيلاريون.

ولكن على الرغم من روعة العريس والعروس، كان وصول ولدا أليسا هو ما تحدَّثت عنه (كينجز لاندنج) لسنواتٍ تلَت. كان الملك چهيرس والأميرة أليسين آخِر الواصلين، إذ نزلا من السَّماء الصَّافية بتنِّينيْهما ڤرميثور وسيلڤروينج (جديرٌ بالذِّكر أن (جُبَّ التَّنانين) كانت قبَّته العظيمة التي ستُتوِّجه بالمجد لا تزال تنقُصه)، لتُثير أجنحتهما الجِلديَّة العظيمة سحاباتٍ من الرَّمل عند هبوطهما جنبًا إلى جنب، وتُثير الرُّعب والفزع في قلوب الجموع الحاضرة. (الرواية التي تُروى عادةً عن أن وصول التِّنينيْن جعلَ السِّپتون الأعلى العجوز يُبلِّل رداءه، هي مجرَّد افتراءٍ غالبًا).

لا يلزمنا إلَّا قول القليل عن المراسم والمأدبة أو الإضْجاع الذي تلاهما. استضافَت قاعة العرش في (القلعة الحمراء) أعظمَ اللوردات وأبرز الزُّوار الذين جاؤوا عبر البحر، فيما احتفَل اللوردات الأقلُّ شأنًا مع فُرسانهم وحرسهم في ساحات القلعة وقاعاتها الأصغر، واحتفَل عامَّة (كينجز لاندنج) بالزِّفاف في مئةٍ من الحانات والخمَّارات ومحال الأكل والمواخير. ورغم بذله طاقةً عظيمةً قبل ليلتين، فقد أدَّى اللورد روجار واجباته

الزَّوجيَّة بحيويَّةٍ بالغة فيما هلَّل له إخوته السَّكارى.

تلَت الزِّفاف دورة مباريات استمرَّت سبعة أيامٍ ظلَّ خلالها اللوردات الكبار وسُكَّان المدينة مفتونين. اتَّفق الجميع على أن مباريات النِّزال بالخيول كانت شرسةً مشوِّقةً ولم تشهَد (وستروس) مثيلتها منذ سنين... لكن القتال على الأقدام بالسُّيوف والحِراب والفؤوس هو ما ألهبَ مشاعرَ الجماهير، ولسببٍ وجيه.

يُذكَر أن ثلاثةً من الفُرسان السَّبعة الذين خدموا الملك ميجور المتوحِّش في حرسه الملكي ماتوا، والأربعة المتبقِّين أُرسِلوا إلى (الجِدار) ليرتدوا الأسود، وبدلًا منهم عَيَّن الملك چهيرس اثنين جديدين فقط حتى الآن، السير جايلز موريجِن والسير چوفري دوجت. كانت الملكة الوصيَّة أليسا هي من تقدَّمت بفكرة شغل الأماكن الخمسة الشاغرة عن طريق إثبات القوَّة والجدارة، وهل من مناسبةٍ أفضل من الزِّفاف حين يجتمع فُرسان من جميع أنحاء المملكة في مكانٍ واحد؟ صرَّحت الملكة: «كان حول ميجور رجال عجائز ومتملِّقون وجُبناء وهَمَج. أريد أن يكون الفُرسان الذين يحمون ابني أفضل من يمكن العثور عليهم في (وستروس)، رجالًا صادقين أوفياء لا شكَّ في ولائهم وشجاعتهم. فليربحوا معاطفهم بأسلحتهم فيما تشهد البلاد كلُّها».

سارَعَ الملك چهيرس بتأييد فِكرة والدته، ولكن بتعديلٍ عملي من عنده. بكلِّ حكمةٍ أصدرَ الملك الشَّاب مرسومًا يقضي وجوب إثبات حرس الملك أنفسهم على أقدامهم وليس على متون الخيل، وأعلنَ جلالته: «نادِرًا ما يأتي الرَّجل الذي يُريد أذيَّة ملكه على صهوة جوادٍ حاملًا الرُّمح بيده». وهكذا حلَّت الالتحامات الجامحة والمبارزات الدَّامية محلَّ المباريات التي أعقَبت زفاف والدته في مرتبة الصَّدارة، وقد أطلقَ

عليها المِايسترات اسم الحرب لأجل المعاطف البيضاء.

بوجود مئاتٍ من الفُرسان المتحمِّسين للتَّنافُس على شرف الخدمة في الحرس الملكي، استمرَّت المباريات سبعة أيامٍ كاملةً. أصبحَ كثير من المتنافسين غيرَ المألوفين مُفضَّلين عند العامَّة، وهتفوا لهم بصخبٍ في كلِّ مرَّةٍ تقاتلوا فيها. أحدُهم كان الفارس السِّكِّير السير ويلام ستافورد، وهو رجلٌ قصيرٌ مكتنز ذو بطنٍ كبير، بدا دائمًا في حالةِ سُكر لدرجة أن قُدرته على الوقوف كانت أعجوبةً، ناهيك بقُدرته على القتال. أطلقَ عليه العوام لقب برميل المِزر، وكانوا كلَّما نزلَ إلى المضمار يهتفون: «يعيش يعيش برميل المِزر!». شخصٌ آخَر كان مفضَّلًا عند العوام، وهو شاعر (جُحر البراغيث) توم العازِف، الذي سخرَ من خصومه بأغانٍ بذيئة قبل كلِّ مباراة. وكان للفارس الغامض النَّحيل المعروف فقط باسم الأفعى القرمزيَّة معجبون كُثر أيضًا، وعندما هُزِمَ أخيرًا وأُميطَ لِثامُه، اتَّضحَ أنه امرأة تُسمَّى چونكويل دارك، ابنة نغلة لسيِّد (وادي الغسق).

في النِّهاية لا أحد من هؤلاء فازَ بمعطفٍ أبيض. على الرغم من أن الفُرسان الذين فعلوها كانوا أقلَّ طيشًا، فقد أثبتوا أن لا مثيل لهم في الإقدام والفروسيَّة والمهارة بالسِّلاح. واحدٌ منهم فقط كان من عائلةٍ نبيلة: السير لورِنس روكستون من (المرعى)، واثنان كانا من التَّابعين: السير ڤيكتور الشَّهم من حرس أهل بيت اللورد رويس في (رونستون)، والسير ويلام الدبُّور الذي خدمَ اللورد سمولوود في (بهو البلُّوط). أصغر الأبطال كان پايت ذا القضيب الخشبي، الذي نازلَ بحربةٍ بدل السَّيف، وتساءَل البعض إن كان فارسًا من الأساس، لكنه أثبت أنه ماهرٌ للغاية في استخدام سلاحه المختار، لدرجة جعلَت السير چوفري دوجت يُنهي الأمر بتنصيب الفتى فارسًا بنفسه فيما هتفَ مئات وهلَّلوا ابتهاجًا.

الفائز الأكبر سنًّا كان الفارس الجوَّال الأشيب المسمَّى ساجود ابن (التَّل اللَّاذِع)، وهو رجلٌ في الثَّالثة والسِّتين من عُمره تملأ جسده النُّدوب والكدمات، ادَّعى أنه خاضَ مئة معركة، «ولا تشغلوا بالَكم في صفِّ مَن قاتلتُ، فذلك بيني وبين الآلهة». كان الفارس المدعو بسام اللَّاذِع أعور وأصلع وبلا أسنانٍ تقريبًا، ويبدو هزيلًا كعمود سياج، لكنه أثبتَ تمتُّعه بسرعة رجلٍ في نصف سنِّه، ومهارةً بالغةً صُقِلَت على مرِّ عقودٍ طويلة من كُبرى المعارك وصُغراها على حدٍّ سواء.

سيجلس چهيرس المصلح على العرش الحديدي خمسًا وخمسين سنةً، وسيرتدي العديد من الفُرسان المعاطِف البيضاء في خدمته على مرِّ عهده الطَّويل، عددٌ أكبر مما يمكن أن يتباهى به أيُّ ملكٍ آخَر، وإن قيلَ -ولأسبابٍ وجيهة- إن أيَّ تارجاريَن آخَر لم يتمتَّع مطلقًا بحرس ملكي يضاهي سبعة الملك الصَّبي الأوائل.

كانت الحرب لأجل المعاطِف البيضاء ختام الاحتفال بما عُرِفَ لاحقًا باسم الزِفاف الذَّهبي. فيما استأذنَ الضُّيوف في العودة إلى أراضيهم وحصونهم، اتَّفق الجميع على أنه كان حدثًا عظيمًا، وقد حظيَ الملك الصَّغير بإعجاب ومودَّة كثيرٍ من اللوردات الكبار والصِّغار، وأثنَتْ زوجاتهم وأخواتهم وبناتهم على الدِّفء الذي أبدَته لهم الأميرة أليسين. كان عامَّة (كينجز لاندنج) سُعداء أيضًا، إذ بدا أن مِلِكهم الصَّبي يتمتَّع بكلِّ ما يدلُّ على كونه حاكمًا عادلًا رحيمًا شجاعًا، وأثبتَ يده اللورد روجار أنه سخيٌّ بقدر ما هو جريء في المعارك. كان أسعد الجميع في المدينة أصحابُ الخانات والحانات، وصانعو الخمور والتُّجَّار والنشَّالون والعاهرات وأصحاب المواخير، الذين استفادوا جميعًا أيَّما استفادة من الأموال التي جلبَها الضُّيوف إلى المدينة.

ولكن رغم أن الزِّفاف الذَّهبي كان أفخم مناسبات عام 49 بعد الفتح

وأشهرها، فستُثبِت ثالِثة زيجات تلك السَّنة المصيريَّة أنها الأكثر أهميَّةً.

بعد إتمام حفل الزَّواج بأمان، حوَّلت الملكة الوصيَّة ويد الملك اهتمامهما إلى العثور على زوجةٍ لائِقة للملك چهيرس... وباهتمامٍ أقل فكَّرا في إيجادِ زوجٍ مُناسبٍ لأخته الأميرة أليسين أيضًا، فما دامَ الملك الصَّبيُّ أعزب وبلا ذُريَّة فستظلُّ ابنتا أخته رِاينا وريثتيْه... لكن إيريا ورِايلا كانتا لا تزالان طفلتين، وقد شعرَ كثيرون أنهما لا تَصلُحان لتاج الحكم.

علاوةً على ذلك، كان اللورد روجار والملكة أليسا متخوِّفيْن مما قد يحدُث للمملكة إذا ما قرَّرَت رِاينا تارجاريَن العودة من الغرب لتكون وصيَّةً على إحدى ابنتيْها. رغم أن أحدًا لم يجرؤ على الحديث عن الموضوع، كان من الواضح أن خلافًا قد نشبَ بين الملكتيْن، لأن الابنة لم تحضر زفاف أمِّها أو تدعُها هي إلى زفافها. ثم إن البعض تمادى أكثر من ذلك، ليتَّهم رِاينا بأنها مشعوذة استخدَمت الفنون السَّوداء لقتلِ ميجور فوق العرش الحديدي. لذلك كان من واجِب الملك چهيرس الزَّواج وإنجاب ابنٍ في أقرب وقتٍ ممكن.

أمَّا مسألة مَن التي سيتزوَّجها الملك فلم يكن حلُّها بالسُّهولة نفسها. طرحَ اللورد روجار، الذي عُرِف برغبته في مدِّ نفوذ العرش الحديدي عبر (البحر الضيِّق) إلى (إسوس)، فكرة توثيقِ تحالفٍ مع (تايروش) بتزويج الملك چهيرس بابنة الأركون، وهي فتاة جميلة في الخامسة عشر من عُمرها، فتنَت الجميع في حفل الزِّفاف بذكائها وطباعها الغَنِجة اللَّعوب وشعرها الأخضر المزرق.

على أن اللورد روجار واجهَ معارضةً من زوجته الملكة أليسا في ذلك، فلن يتقبَّل عامَّة الشَّعب في (وستروس) فتاةً أجنبيَّة بخصلاتٍ مصبوغة ملكةً لهم، مهما كانت لُكنتها مبهجةً، كما أن المتديِّنين سينتقدون الفتاة

نقدًا لاذعًا، إذ كان من المعروف أن التايروشيّين لا يعبدون (السَّبعة)، بل يُقدِّسون راهلور الأحمر وصانِع الأنماط وتريوس ثلاثي الرُّؤوس وآلهةً غريبةً أخرى. فضَّلت الملكة النَّظر إلى العائلات التي ناصرَت إجون غير المتوَّج في المعركة تحت (عين الألهة). فليتزوَّج چهيرس من آل ڤانس أو كوربراي أو وسترلينج أو پايپر. يجب أن يُكافأ الولاء، وبمثل هذا الارتباط سيُكرِّم الملك ذكرى إجون والذين قاتَلوا معه ببسالةٍ وماتوا في سبيله.

كان المِايستر الأكبر بنيفر هو من رفعَ صوته معارِضًا ذلك التَّوجُّه، مشيرًا الى أن التزامهم السَّلام والصُّلح قد يُصبِح محلَّ شكٍّ إن فضَّلوا من قاتلوا بجانِب إجون على الآخَرين الذين اختاروا أن يبقوا مع ميجور، وارتأى أن الاختيار الأفضل فتاةٌ من عائلةٍ كانت مشاركتها محدودةً أو معدومةً في المعارك بين العمِّ وابن أخيه، مثل عائلة تايرل أو هايتاور أو آرن.

مع الاختلاف البيِّن بين يد الملك والملكة والمِايستر الأكبر، تشجَّع آخَرون من أعضاء المجلس وطرحوا ترشيحاتٍ من عندهم. رشَّح پرنتس تَلي، كبير قضاة الملك، الأخت الصُّغرى لزوجته لوسيندا المعروفة بتقواها، فمثل هذا الاختيار سيُرضي العقيدة لا شكَّ، فيما اقترح ديمون ڤيلاريون، أميرال المملكة، أنه قد يكون على الملك چهيرس أن يتزوَّج الملكة الأرملة إلينور سليلة عائلة كوستاين، فما من طريقةٍ أفضل للبرهنة على العفو عن مناصري ميجور من اتِّخاذ إحدى العرائس السُّود ملكةً، وربما تبنِّي أبنائها الثَّلاثة من زواجها الأوَّل أيضًا. وأضافَ الأميرال أن خصوبة إلينور الأكيدة لهي نقطةٌ أخرى تصبُّ في صالحها. كان للورد سلتيجار ابنتان غير متزوِّجتيْن، وقد اشتهر بعرضه على الملك ميجور تزويجَه إحداهما، والآن تقدَّم اللورد سلتيجار بالعرض نفسه للملك چهيرس، إلا أن اللورد باراثيون عارضَ ذلك تمامًا، وقال لسلتيجار:

«لقد رأيتُ ابنتيْك. كلتاهما بلا ذقنٍ أو ثدييْن أو عقل».

ناقشَت الملكة الوصيَّة ومستشاروها مسألة زواج الملك مرارًا وتكرارًا قُرابة قمرٍ كامل، لكنهم لم يقتربوا من مجرَّد التَّوصُّلِ إلى توافقٍ في الرَّأي. أمَّا چهيرس نفسه فلم يكن مُطَّلِعًا على هذه المناقَشات، كما اتَّفقت الملكة أليسا واللورد روجار. رغم أن چهيرس قد يكون حكيمًا بما يفوق سنه، فهو لم يزل صبيًّا تتحكم به رغبات الصِّبيان، الرَّغبات التي لا يمكن السماح لها بأيِّ حالٍ من الأحوال أن تُفسِدَ حالَ المملكة. لم يكن لدى الملكة أليسا على وجهِ الخصوص أيُّ شكٍّ البتَّة بشأن التي سيختار ابنها الزَّواجَ بها إن تُرِكَ له الخيار، فخياره الوحيد سيكون ابنتها الصُّغرى، أخته الأميرة أليسين.

طبعًا، كانت عادة آل تارجاريَن منذ قرون تزويج الأخ بأخته، وقد كبرَ چهيرس وأليسين وهما يتوقَّعان أن يتزوَّجا، تمامًا كما فعلَ شقيقاهما الأكبر إجون ورِاينا. فضلًا عن ذلك، كانت أليسين أصغر من شقيقها بسنتين فقط، وظلَّ الطِّفلان دائمًا شديدَي القُرب ووثيقَي المحبَّة والاحترام. كان والدهما الملك إينس ليرغب بلا شكٍّ في زواجهما، وكانت والدتهما لترغب في ذلك أيضًا... لكن الفظائع التي شهدَتها منذ موت زوجها أقنعَت الملكة أليسا بالتفكير بطريقةٍ أخرى. على الرغم من حلِّ أبناء المحارب والصَّعاليك وحظرهما منذ زمن، ظلَّ العديد من الأعضاء السَّابقين في كلتا الجماعتين طُلقاء في أنحاء المملكة، وقد يحملون سيوفهم مجدَّدًا إذا تعرَّضوا للاستفزاز. خشيَت الملكة غضبتهم، فقد كانت لديها ذكريات حيَّة عن كلِّ ما جرى لابنها إجون وابنتها رِاينا عندما أُعلِنَ زواجهما، ووردَ أنها قالت ولأكثر من مرَّة: «لا نجرؤ على سلوك ذلك الطَّريق مجدَّدًا».

دعمَها في هذا أحدث عضوٍ في البلاط، السِّپتون ماثيوس من مجلس

القانِتين، الذي بقي في (كينجز لاندنج) عندما عادَ السِّپتون الأعلى وبقيَّة إخوته إلى (البلدة القديمة). كان ماثيوس رجلًا ضخمًا كالحوت، مشهورًا ببدانته وروعة أرديته، وقد ادَّعى أنه ينحدر من ملوك آل جاردنر القُدامى، الذين حكموا (المرعى) من مقرِّهم في (هايجاردن)، وعدَّه كثيرون بشبه تأكيدٍ الأقرب في الاختيار لمنصب السِّپتون الأعلى التَّالي.

كان الشَّاغل الحالي لذلك المنصب المقدَّس، الذي دعاه السِّپتون مون بالمتملِّق الأعلى، حذِرًا ومتساهلًا، لذلك لم يكن يُمثِّل خطرًا من ناحية استنكار أيِّ زيجةٍ من (البلدة القديمة) ما دامَ مستمرًّا في التَّحدُّث باسم (السَّبعة) من مقرِّهِ في (السِّپت النَّجمي). غير أن أبا المؤمنين لم يكن شابًّا، وقال النَّاس إن رحلته إلى (كينجز لاندنج) لأداء مراسم الزِّفاف الذَّهبي كادَت تقضي عليه.

أكَّد السِّپتون ماثيوس للملكة ومُستشاريها: «إذا توجَّب عليَّ أن أرتدي معطف السِّپتون، فسيحظى جلالته بالطَّبع بدعمي في أيِّ خيارٍ قد يتَّخِذُه، لكن بقيَّة الإخوة في جماعتنا ليسوا بهذا اللِّين، و... أخشى القول إن... آخَرين من أمثال مون موجودون بينهم. في ضوء كلِّ ما وقعَ سيُنظَر إلى تزويج الأخ بأخته في هذه المرحلة على أنه إهانة جسيمة للمتديِّنين، وأخشى مما قد يحدث».

وهكذا وقد تأكَّدَت مخاوف الملكة، نحَّى روجار باراثيون واللوردات الآخَرون جانبًا كلَّ اعتبارٍ لكون الأميرة أليسين عروسًا لأخيها چهيرس. كانت الأميرة تَبلُغ من العمر ثلاثة عشر عامًا، وقد احتفلَت أليسين مؤخَّرًا بأوَّل إزهارٍ لها، لذلك كان من المستحسَن رؤيتها تتزوَّج في أقرب وقتٍ ممكن، ومع الاتِّفاق على أنها لا تُناسِب الملك إطلاقًا، استقرَّ المجلس سريعًا على شريكٍ للأميرة، بحيث تتزوَّج في اليوم السَّابع من العام الجديد بأورن باراثيون، أصغر إخوة اللورد روجار.

وهكذا سوَّت المسألةَ الملكةُ ويدُ الملك وأعضاء المجلس من اللوردات وأهلِ المشورة. ولكن كالعديد من تلك التَّرتيبات على مرِّ العصور، سرعان ما أُحبِطَت خطَّتهم، لأنهم استهانوا للغاية بإرادة وتصميم كلٍّ من أليسين تارجاريَن نفسها وملكها الصَّغير چهيرس.

لم تكن خطبة أليسين قد أُعلِنَت بعدُ، لذلك فليس معروفًا كيف وصلَت إليها المعلومة. اشتبَه المِايستر الأكبر بنيفر في خادمٍ ما، ذلك أن كثيرًا من الخدم جاؤوا وذهبوا فيما تناقشَ اللوردات في غرفة الملكة الشَّمسيَّة، وشكَّ اللورد روجار نفسه في الأميرال ديمون ڤيلاريون، وهو رجلٌ معتدٌّ بنفسه، وربما اعتقدَ أن آل باراثيون كانوا يحاولون إزاحة سادة المدِّ والجَزر ليصبحوا العائلة الثَّانية في المملكة. بعد سنوات، عندما تحوَّلَت تلك الأحداث إلى أسطورة، قال بعض العوام لبعضٍ إن «الجرذان في الجُدران» سمِعَت اللوردات يتحدَّثون وهرعَت إلى الأميرة لإخبارها.

لم ينجُ تأريخ لما قالته أليسين تارجاريَن أو فكَّرت فيه عندما علِمَت أنها ستتزوَّج بشابٍّ يكبرها بعشر سنوات وهي بالكاد تعرفه، وأيضًا (إذا كان بالإمكان تصديق الشَّائعات) لا يُعجِبها. ما نعرفه فقط هو ما فعَلته. لو كانت فتاةً أخرى لبكَت أو استشاطَت غضبًا أو ركضَت متوسِّلةً إلى والدتها، وفي أغلب الأغاني الحزينة، إذا أُجبِرَت العذارى على الزَّواج عكس إرادتهن، رمين أنفسهن من فوق الأبراج الشَّاهقة ليلقين حتفهن. إلَّا أن الأميرة أليسين لم تفعل أيًّا من تلك الأشياء، وبدلًا من ذلك ذهبَت مباشرةً إلى چهيرس.

استاءَ الملك الصَّغير مثل أخته من الخبر، وعلى الفور قال مستنتجًا: «سيضعون خططًا لزواجي أيضًا، لا أشكُّ في هذا». وكأخته، لم يُضيِّع الملك وقتًا في اللَّوم أو الشَّكوى أو المناشدات، وبدلًا من ذلك تصرَّف،

فاستدعى رجال حرسه الملكي وأمرَهم بالإبحار فورًا إلى (دراجونستون) حيث سيلتقيهم قريبًا، وذكَّر سبعته: «لقد تعهَّدتُّم لي بسيوفكم وطاعتكم. تذكَّروا تلك العهود ولا تنطقوا بكلمةٍ عن رحيلي».

في تلك اللَّيلة، وتحت ستارِ الظَّلام، امتطى الملك چهيرس والأميرة أليسين تنِّينيْهما ڤرميثور وسيلڤروينج، وغادرا (القلعة الحمراء) إلى قلعة آل تارجاريَن العتيقة أسفل جبل (دراجونمونت). يُقال إن الكلمات الأولى التي قالها الملك الشَّاب عند هبوطه كانت: «أنا بحاجةٍ إلى سپتون».

لم يكن الملك، وله حق، يثق بالسِّپتون ماثيوس الذي كان ليفشي خططهما بالتَّأكيد، لكن سِپت (دراجونستون) كان في عُهدة رجلٍ عجوز يُدعى بأوزويك، كان يعرف چهيرس وأليسين منذ ولادتهما، ولقَّنهما غوامض (السَّبعة) طوال طفولتهما. في شبابه كان السِّپتون أوزويك يخدم الملك إينس، وفي صِباه راهبًا مبتدِئًا في بلاط الملكة رينس، وكان على درايةٍ وافية بتقاليد عائلة تارجاريَن بخصوص زواج الإخوة، ووافقَ على الفور عندما سمعَ أمر الملك.

وصلَ الحرس الملكي من (كينجز لاندنج) على متن قادسٍ بعد بضعة أيام، وفي صباح اليوم التَّالي، مع شروق الشَّمس، تزوَّج چهيرس تارجاريَن الأوَّل أخته أليسين في السَّاحة الكُبرى بـ(دراجونستون) أمام أعيُن الآلهة والبشر والتَّنانين. أدَّى السِّپتون أوزويك طقوس الزَّواج، ورغم أن صوت العجوز كان رقيقًا مرتجفًا فإنه لم يغفل عن أيِّ جزءٍ من المراسم. وقفَ حرس الملك السَّبعة شهودًا على الزَّواج ومعاطِفُهم البيضاء تُرفرِف في مهبِّ الرِّيح. كان رجال حامية القلعة والخدم يُشاهِدون أيضًا، جنبًا إلى جنب عددٍ كبير من عوام قرية الصَّيد القابعة أسفل جدران (دراجونستون) القويَّة.

تلَت المراسم وليمةٌ متواضعة، وشربَ كثيرون في صحَّة الملك الصَّبي وملكته الجديدة. بعد ذلك خلدَ چهيرس وأليسين إلى غُرفة النَّوم التي كان إجون الفاتِح ينام فيها بجانب أخته رينس، ولكن نظرًا إلى سنِّ العَروس لم تُقَم مراسِم إضْجاع، ولم تتمَّ الزِّيجة.

ثبتَت الأهميَّة الكبيرة للتَّجاوُز عن ذلك الجزء حين وصلَ اللورد روجار والملكة أليسا متأخِّريْن من (كينجز لاندنج) على متن سفينةٍ حربيَّة، رِفقة دستةٍ من الفُرسان وأربعين حارسًا والسِّپتون ماثيوس، وأيضًا المِايستر الأكبر بنيفر الذي تُزوِّدنا رسائله بالوصف الأكمل لما حدثَ لاحقًا.

قابلَهم چهيرس وأليسين داخل بوَّابات القلعة بيدين متعانقتين، ويُقال إن الملكة أليسا انتحَبت حين رأتهما، وقالت: «أيها الطِّفلان الأحمقان، إنكما لا تعرفان ما فعلتماه».

ثم تحدَّث السِّپتون ماثيوس، وكان صوته مدوِّيًا وهو يُوبِّخ الملك والملكة ويتنبَّأ بأن هذه الفاحشة ستُغرِق (وستروس) مرَّةً أخرى في الحرب. «سيلعنون سِفاحكما من (التُّخوم الدورنيَّة) وحتى (الجِدار)، وسيُدينكما كلُّ ابنٍ تقيٍّ لـ(الأُم) و(الأب) لإثمكما». يُخبرنا بنيفر أن وجه السِّپتون احمرَّ وانتفخَت أوداجه وهو يرغي ويزبد، وتناثرَ البُصاق من بين شفتيه.

يُشاد بچهيرس المصلح في حوليَّات (الممالِك السَّبع) لسلوكه الهادِئ واعتدال مزاجه، ولكن لا يعتقِدن أحد أن نار آل تارجاريَن لم تكن مشتعلةً في عروقه، وقد أظهرَها حينئذٍ. عندما صمتَ السِّپتون ماثيوس أخيرًا لالتقاط أنفاسه، قال الملك: «سأقبل التَّوبيخ من جلالة الملكة أمِّي فقط، ولكن ليس منك، فصُن لسانك أيُّها الرَّجل السَّمين. إذا خرجت كلمة أخرى من بين شفتيك هاتيْن فسأخيطهما معًا».

ولم يتكلَّم السِّپتون ماثيوس مجدَّدًا.

أمَّا اللورد روجار فلم يكن ليخاف بتلك السُّهولة، وبفظاظةٍ وفي صُلب الموضوع سأل الملك إن كانت الزِّيجة قد تمَّت فعليًّا. «اصدُقني القول يا صاحب الجلالة، هل حدثَ إضْجاع؟ هل فضضت بِكارتها؟».

أجابَه الملك: «لا. إنها صغيرةٌ جدًّا على ذلك».

ابتسمَ اللورد روجار لسماعِ هذا، وقال: «جيد، لم تتزوِّجا إذًا»، ثم نظرَ إلى الفُرسان الذين رافقوه من (كينجز لاندنج) قائلًا: «افصلوا هذين الطِّفلين، برفقٍ من فضلِكم. اصحبوا الأميرة إلى (بُرج تنِّين البحر) وأبقوها هناك، أما جلالته فسيعود معنا إلى (القلعة الحمراء)».

لكن عندما تقدَّم رجال اللورد روجار، وقفَ فُرسان چهيرس السَّبعة في طريقهم واستلُّوا سيوفهم، وحذَّرهم السير جايلز موريجن قائلًا: «لا تتقدَّموا أكثر. أيُّ رجل يضع يده على مليكنا أو مليكتنا سيلقى حتفه اليوم».

صُدِمَ اللورد روجار، وقال آمرًا: «أغمِدوا سيوفكم وتنحَّوا جانبًا. أنسيتم؟ إنني يد الملك!».

أجابَه العجوز السير سام اللَّاذِع: «أجل، لكننا حرس الملك لا حرس اليد، والصَّبي هو من يجلِس على العرش لا أنت».

استشاطَ اللورد روجار غضبًا من كلمات السير سامجود، وردَّ: «أنتم سبعة، وأنا لديَّ نِصفمئةٍ من المقاتلين. كلمة منِّي وسيُقطِّعونكم إربًا إربًا».

ردَّ الشَّاب پايت ذو القضيب الخشبي ملوِّحًا بحربته: «قد يفتكون بنا، لكنك ستكون أوَّل من يموت يا سيِّدي، أعدُك بهذا».

لا يمكن لأيِّ شخصٍ التَّنبُّؤ بما كان ليحدُث في تلك اللَّحظة لو لم

تختَرَ الملكة أليسا التَّدخُّل قائلةً: «لقد شهدتُ ما يكفي من الموت. جميعنا كذلك. أغمِدوا سيوفكم أيُّها الفرسان. ما حدثَ حدثَ، والآن يتوجَّب علينا جميعًا التَّعايش معه. عسى أن ترحم الآلهة البلاد»، ثم نظرَت إلى ولديْها وقالت: «سنرحل في سلام. لا يتحدَّثن أحد عمَّا حصلَ هنا اليوم».

قال الملك جهيرس: «كما تأمُرين يا أُمِّي»، واجتذبَ أخته إليه ولف ذِراعَه حولها متابعًا: «ولكن إيَّاكِ والظَّن أن بإمكانكِ إبطال هذه الزِّيجة. نحن واحدٌ الآن، ولا يمكن للآلهة أو البشر التَفريق بيننا أبدًا».

قالت عروسه مؤيِّدةً: «أبدًا. أرسلوني إلى أطراف الأرض وزوِّجوني بملك (موسوڤي) أو سيِّد (القفر الرَّمادي)، وستعيدني سيلڤروينج دومًا إلى جهيرس»، ثم وقفَت على أصابع قدميها وقرَّبت وجهها من وجه الملك، الذي قبَّلها على شفتيها على مرأى من الجميع[8].

عندما رحلَ اليد والملكة الوصيَّة، أغلقَ الملك وزوجته الصَّغيرة بوَّابات القلعة وعادا إلى مسكنهما، وستبقى (دراجونستون) ملاذهما ومقرَّ إقامتهما طوال فترة قصور جهيرس. مكتوبٌ أن الملك والملكة نادرًا ما افترقا طيلة تلك الفترة، يتشارَكان كلَّ وجبة، ويسهران اللَّيالي ويقضيانها في التحدُّث عن أيام طفولتهما الخضراء والتحدِّيات القادمة، ويصيدان الأسماك ويصطادان بالأبواز، ويختلطان بسُكَّان الجزيرة في خانات الميناء،

8 - أو هكذا دوَّن المواجهةَ عند بوَّابات (دراجونستون) المِايستر الأكبر بنيفر الذي كان حاضرًا ليشهدَها. منذ ذلك الحين أصبحَت الحادِثة من القِصَص المفضَّلة عند العذراوات الولهانات وأحبَّائهن المرافقين في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع)، وتغنى الكثير من الشُّعراء ببسالة فُرسان الحرس الملكي، سبعة فُرسان بسبعة معاطِف بيضاء واجهوا نصفمِئة مُقاتل. على أن تلك القِصص كلَّها تجاهلَت حضور حامية القلعة، إذ تَذكُر التَّقارير التي أمكننا الحصول عليها وجود عشرين من الرُّماة ومثلَهم في العدد من المقاتلين المتمركزين في القلعة تحت قيادة السير ميرِل بولوك وولديه آلِن وهاوارد. ستظلُّ مسألة ولائهم والدَّور الذي لعِبوه في أيِّ نزاع جرى في ذلك الوقت مجهولةً، لكن ادِّعاء أن سبعة الملك وقفوا بمفردِهم في مواجهة تلك الأعداد قد يكون مُبالغًا فيه. (المؤلِّف).

ويقرأ كلاهما للآخَر من المجلَّدات المغبرَّة التي وجداها في مكتبة القلعة، ويتلقَّيان دروسهما من مِايسترات (دراجونستون)، («لأنه لا يزال لدينا الكثير لنتعلَّمه»)، كما قالت أليسين لتُذكِّر زوجها، ويؤدِّيان الصَّلاة بجانب السِّپتون أوزويك، ويحلِّقان معًا أيضًا حول (دراجونمونت)، وأحيانًا بعيدًا حتى (دريفتمارك).

إذا كانت حكايات الخدم قابلةً للتَّصديق، فالملك وملكته الجديدة كانا ينامان عاريَيْن، ويتبادلان قُبلاتٍ طويلةً متمهِّلةً في الفراش وعلى المائدة وفي مختلف ساعات اليوم، وإن لم يتمَّا زيجتهما بعدُ، وسيمرُّ عام ونصف قبل أن يقترن چهيرس وأليسين أخيرًا اقتران الرَّجل بالمرأة.

كلَّما ارتحلَ أعضاء المجلس واللوردات إلى (دراجونستون) من أجل مناقشة أمور المملكة مع الملك الصَّغير، كما فعلوا بين الحين والآخَر، استقبلَهم چهيرس في (قاعة المائدة المرسومة) حيث خطَّط جدُّه لفتح (وستروس)، في وجود أليسين بجانبه دائمًا، وعن هذا قال: «إجون لم يُخفِ أيَّ أسرارٍ عن ريينس وڤيزينيا، وكذلك أنا لا أسرار أخفيها عن أليسين».

مع أنهما لم يخفِيا عن أحدهما الآخَر أسرارًا خلال تلك الأيام المشرِقة من فجرِ زواجهما، ظلَّ الزَّواج في حدِّ ذاته سرًّا عن أغلب (وستروس). عند عودة اليد والملكة الوصيَّة إلى (كينجز لاندنج)، أمرَ اللورد روجار كلَّ من صحبوهما إلى (دراجونستون) بعدم نُطق أيِّ كلمة حول ما شهدوه هناك إن كانوا يرغبون في الاحتفاظ بألسنتهم، ولم يُعلَن عن الزَّواج للمملكة عمومًا، وحين حاول السِّپتون ماثيوس أن يبعث بخبر الزِّيجة إلى السِّپتون الأعلى ومجلس القانِتين في (البلدة القديمة)، أحرقَ المِايستر الأكبر بنيفر الرِّسالة بأمرٍ من يد الملك عوضًا عن إرسال

غُداف.

أرادَ سيِّد (ستورمز إند) المزيد من الوقت. كان روجار باراثيون غاضِبًا من قلَّة الاحترام التي أبداها له الملك، ولم يعتَد الهزيمة، وظلَّ عازمًا على إيجاد طريقةٍ للتفريق بين چهيرس وأليسين. ما دامَ زاوجهما غير مكتمل، فقد آمنَ روجار بأن فرصة تفريقهما لم تزل ممكنةً، وعليه فالأفضل أن يبقى الزِّفاف سرًّا، فربما يُمكن إبطاله دون علم أحد.

أرادَت الملكة أليسا المزيد من الوقت أيضًا، ولكن لسببٍ آخَر. ما حدثَ حدثَ كما قالت عند بوَّابات (دراجونستون)، وقد آمنَت بذلك... لكن ذكريات سفكِ الدِّماء والفوضى التي تبعَت زواج ابنها وابنتها الآخَريْن لم تزَل تُؤرِّق لياليها، وكانت الملكة الوصيَّة مستميتةً على إيجاد وسيلةٍ تضمن ألَّا يُكرِّر التَّاريخ نفسه.

في تلك الأثناء كان لا يزال عند الملكة الوصيَّة والسيِّد زوجها مملكة يَحكُمانها قُرابة العام، حتى يبلُغ چهيرس السَّادسة عشرة وتنتقل إليه السُّلطة رسميًا.

هكذا كانت الأوضاع في (وستروس) عندما بلغَ عام العرائس الثَّلاث ختامه، ليُفسِح السَّبيل لعامٍ جديد، هو العام الخمسون بعد فتحِ إجون.

فرط من الحُكَّام

كلُّ النَّاس خطَأة. هذا ما يُعلِّمنا إيَّاه رُعاة العقيدة. حتى أنبل الملوك وأكثر الفُرسان شهامةً قد يغلبهم الغيظ والشَّهوة والحسد، فيقترفون أفعالًا تُلحِق بهم الخِزي وتُشوِّه أسماءهم الفاضلة. وإن أشقى الرِّجال وأخبث النِّساءِ على حدٍّ سواء قد يُقدِمونَ على أعمالِ البِرِّ من حين إلى آخَر، لأن المحبَّة والرَّأفة والشَّفقة قد تُوجَد حتى في أشد القلوب اسودادًا. كتبَ لنا السِّپتون بارث، الرَّجل الأكثرُ حِكمةً بين مَن خدموا في منصب يد الملك: «إننا كما خلقَتنا الآلهة؛ أقوياء وضُعفاء، صالحون وطالحون، قُساة ورُحماء، بطوليُّون وأنانيُّون. اعلَم ذلك إن أردت أن تَحكُم يومًا ممالك البَشر».

نادرًا ما اتَّضحَت حقيقة كلماته كما حدثَ خلال عامِ 50 بعد فتحِ إجون. مع بزوغ فجر العام الجديد، وُضِعَت الخطط في جميع أنحاء البلاد للاحتفالِ بنصف قرنٍ من حُكمِ آل تارجاريَن لـ(وستروس) بإقامة الولائم والمهرجانات والمباريات. أهوال عهد ميجور كان الماضي يطويها، والعرش الحديدي تصالحَ مع العقيدة، والملك الصَّغير چهيرس الأوَّل كان محبوبًا عند بُسطاء العامَّةِ وكبار اللوردات على حدٍّ سواء، من حاضِرة

(البلدةِ القديمة) وحتى (الجِدار). لكن ما لم يرَه إلَّا قِلَّة، أن سُحب العاصفة كانت تحتشِد في الأفق، والحُكماء وحدهم كان بإمكانهم سماع قعقعة الرَّعد الخافتة من بعيد.

المملكة ذات الملكيْن كالرَّجل ذي الرَّأسيْن، كما اعتادَ العامَّةُ القول، وفي عام 50 بعد الفتح وجَدت مملكة (وستروس) نفسها مباركةً بملِكٍ واحِد، ويد ملِكٍ، وثلاث ملِكات، كما كانت الحال في أيام ميجور... لكن لئن كانت ملكات ميجور محظيَّاتٍ مطيعاتٍ لأمره يعشن ويمُتن حسب هواه، كانت كلٌّ من ملكات منتصَف القرن قوَّةً قائمةً بذاتها.

في قلعة (كينجز لاندنج) الحمراء استقرَّت الملكة الوصيَّة أليسا، أرملة الملك الرَّاحِل إينس ووالدة ابنه جهيرس وزوجة يد الملك روجار باراثيون. وعبرَ (الخليج الأسود)، في (دراجونستون)، بزغَ نجم ملكةٍ أصغر سِنًّا، بنت أليسا الصُّغرى أليسين، العذراء ذات الثَّلاثة عشر عامًا التي وعدَت نفسها لأخيها الملك جهيرس خلافًا لرغبة أمِّها وزوج أمِّها. وفي أقصى الغرب، على (الجزيرة القصيَّة)، وكامل عرض قارَّة (وستروس) يفصل بينها وبين أمِّها وأختها، كانت بنت أليسا الكُبرى، راكبةُ التنِّين رِاينا تارجاريَن، أرملة الأمير إجون غيرِ المتوَّج، التي بدأوا في (أراضي الغرب) و(أراضي النَّهر) وبقاعٍ من (المرعى) يدعونها بالملكة في الغرب.

أختان وأمُّهما، ملكات ثلاث ربطَ بينهن الدَّم والأسى والمعاناة... ورغم ذلك كانت تنمو بينهن ظلال قديمة وجديدة تزداد قتامةً كل يوم. كانت الأُلفة ووحدة الغاية التي مكَّنت جهيرس وأختيه وأمَّهم من الإطاحة بميجور المتوحِّش قد بدأت في الاهتِراء، إذ أصبحَت الأحقاد والانقسامات التي تغلي تحت السَّطح منذ زمنٍ طويل محسوسةً. حتى نهاية مُدَّة الوصاية سيجد الملك الصَّبي وملكته الصَّغيرة نفسيهما في

خلافٍ عميق مع حضرةِ يد الملك والملكة الوصيَّة، وهو نزاع سيستمرُّ خلال عهد چهيرس ذاته، مُهدِّدًا بأن تغمر الحرب (الممالِك السَّبع) مجدَّدًا.[9]

كان السَّبب المباشر للتَّوتُّر هو زواج الملك المفاجئ والسِّرِّي بأخته، الذي أخذَ يد الملك والملكة الوصيَّة على حين غرَّة، وألقى بخُططهما وتدابيرهما في دوَّامةٍ من الفوضى، ولو أن من الخطأ الاعتقاد أن ذلك كان السَّبب الوحيد للاغتراب الذي وقعَ بينهم، ذلك أن الزِّفافات الأخرى، التي جعلَت عام 49 بعد الفتح عام العرائس الثَّلاث، خلَّفت ندوبًا أيضًا.

لم يطلُب اللورد روجار من الملك چهيرس الإذن في الزَّواج بأمِّه، وهو تجاوزٌ عدَّه الملك الصَّبي أمارةً على الازدراء. علاوةً على ذلك، لم يَكُ جلالته راضيًا عن الزِّيجة، وكما اعترفَ لاحقًا للسِّپتون بارث، فقد كان يُقدِّر اللورد روجار باعتباره مستشارًا وصَديقًا، إلَّا أنه لم يكن بحاجةٍ إلى أبٍ ثانٍ، وعدَّ آراءه وطباعه وذكاءه أرجح مما تمتَّع به يد الملك. شعرَ چهيرس أيضًا أنه كان يجب أن يُستشار في مسألة زواجِ أخته رِاينا، على الرَّغم من أن ذلك الاستِخفاف كان أخفَّ وقعًا عليه. ومن ناحيتها شعرَت الملكة أليسا بكربٍ عميق لأنها لم تُستشَر أو تُدع إلى حفل زفاف

9 - تجدُر الإشارة، خشية اتِّهامنا بالإغفال، إلى أنه كانت في (وستروس) مِلكةٌ رابعة في عام ٥٠ بعد الفتح، هي الملكة المترمِّلة مرَّتين إلينور سليلة عائلة كوستاين، التي عثرَت على الملك ميجور ميتًا على العرش الحديدي، وكانت قد غادرَت (كينجز لاندنج) بعد تتويج چهيرس متسربلةً بثياب راهبة ومصطحبةً معها وصيفةً وحارسًا مخلصًا واحدًا، وشقَّت طريقها نحو (العُش) في (وادي آرِن) لزيارة أكبر أبنائها الثَّلاثة من السير ثيو بولنج، ثم نحو (هايجاردن) في (المرعى) حيث يُربَّى ابنها الثَّاني عند اللورد تايرل. بمجرد اطمئنانها أنهما بخيرِ حال، استردَّت الملكة السَّابقة ابنها الأصغر وعادَت به إلى مقرِّ والدها في (قلعة الأبراج الثَّلاثة) في (المرعى)، حيث صرَّحت أنها تنوي العيش بهدوءٍ ما تبقَّى من حياتها. كان للقدر والملك چهيرس مخطَّطات أخرى لها كما سنُبيِّن لاحقًا. يكفي حاليًّا القول إن الملكة إلينور لم تلعب أيَّ دورٍ في أحداث عام ٥٠ بعد الفتح. (المؤلِّف).

رِاينا في (الجزيرة القصيَّة).

وبعيدًا في الغرب ظلَّت رِاينا تارجاريَن شاعرةً بالغبن. كما أسرَّت لصديقاتها القديمات والمفضَّلات اللاتي أحاطَت نفسها بهن، لم تفهم الملكة رِاينا عاطفة والدتها تجاه روجار باراثيون أو تُشارِكها إياها. على الرَّغم من أنها وقَّرته على مضضٍ لدعمه ومساندته شقيقها چهيرس ضدَّ عمِّهما ميجور، فإن تقاعُسه عندما وقعَت المواجهة بين زوجها الأمير إجون وميجور في المعركة تحت (عين الآلهة) كان شيئًا لم تنسَه أو تغفره. وأيضًا، مع مرور الوقت، ازدادَ استياءُ الملكة رِاينا أكثر فأكثر بسبب تجاهُل مطالبتها بالعرش الحديدي هي وابنتيها لصالح «أخي الصَّغير» (مثلما تعوَّدت أن تدعو چهيرس)، واعتادَت أن تُذكِّر الذين يستمِعونَ لها بأنها المولودة الكُبرى، وأنها أصبحَت راكبة تنِّين قبل أيِّ أحدٍ من أشقَّائها، ورغم ذلك فكلُّهم، «حتى أمِّي نفسها»، تآمرَ ضدَّها لتجاوُز حقِّها في الحُكم.

وبالنَّظر الآن إلى ما مضى متمتِّعين بالإدراك المتأخِّر، فمن السَّهل القول إن الحقَّ كان في صفِّ چهيرس وأليسين في النِّزاعات التي نشبَت خلال العام الأخير من وِصايةِ والدتهما، وظهور اللورد روجار والملكة أليسا بصورة الأشرار. هكذا يسرد المغنُّون هذه القصَّة بالتَّأكيد، إذ بدا زواج چهيرس وأليسين السَّريع والمفاجئ كقصَّة حُبٍّ منقطِعة النَّظير منذ أيام البطل فلوريان المهرِّج وحبيبته چونكويل حسبما عبَّرت أغانيهم، وكما هي حال الأغاني، فالغلبة للحُبِّ دومًا. أمَّا نحن فنُقِرُّ بأن الحقيقة أقلُّ بساطةً بكثير، فهواجس الملكة أليسا حول الزِّيجة كانت نابعةً من خشيةٍ حقيقيَّة على ولديْها وسُلالة تارجاريَن والمملكة ككُل، ولم تكُن تخوُّفات الملكة الوصيَّة بلا أساس.

أمَّا دوافع اللورد روجار باراثيون فكانت أقلَّ إيثاريَّةً. لكونه رجلًا معتدًّا بنفسه، أصابته الدَّهشة والغضب من «جحود» الملك الصَّبي الذي عدَّه بمنزلة الابن، وشعرَ بالإهانة عندما أُجبِرَ على التَّراجُع أمام نصفمئةٍ من رجاله عند بوَّابات (دراجونستون). كان روجار مُحاربًا حتى النُّخاع، رجلًا حلمَ يومًا بمواجهة ميجور المتوحِّش في نزالٍ فردي، ولم يستطِع أن يتقبَّل الذُّل الذي لحقَ به من فتى في الخامسة عشرة من عُمره فقط. ومع ذلك، ولكيلا نحكُمَ عليه بقسوة، فخيرٌ لنا أن نتذكَّر كلمات السِّپتون بارث، فرغم أنه سيفعل أشياءَ قاسيةً وحمقاءَ وآثمةً خلال آخِر سنةٍ له في منصب يد الملك، لم يكن روجار باراثيون رجلًا شرِّيرًا أو قاسيًا في داخله، ولم يكُن بالمغفَّل كذلك. لقد كان بطلًا ذات يوم، وعلينا أن نتذكَّر ذلك، حتى ونحن ننظُر إلى أحلك عامٍ في حياته كلِّها.

في أعقابِ مواجهته مع چهيرس مباشرةً، لم يستطِع اللورد روجار التَّفكير في شيءٍ سوى الإذلال الذي تجرَّعه. كان حافز حضرة اللورد الأوَّل هو العودة إلى (دراجونستون) بمزيدٍ من الرِّجال، ما يكفي للتغلُّب على حامية القلعة ووضع حدٍّ للمسألة بالقوَّة. بالنِّسبة إلى الحرس الملكي، ذكَّر اللورد روجار المجلس بأن رجال السُّيوف البيضاء أقسَموا على التَّضحية بحياتِهِم في سبيل حماية الملك، «وسيُسعِدني أن أمنحهم ذلك الشَّرف»، وعندما أشار اللورد تَلي إلى أن چهيرس يُمكنه ببساطةٍ أن يُوصِد بوَّابات (دراجونستون) في وجوههم، لم يُبالِ اللورد روجار أو يرتدِع، وقال: «يُمكنني اقتحام القلعة عنوةً إذا لزمَ الأمر». في النِّهاية، وحدها الملكة الوصيَّة أليسا استطاعَت أن تنفذ إليه في خضمِّ ثورته وتُثنيه عن تلك الحماقة، إذ قالت بهدوءٍ ورفق: «يا حبيبي، أولادي يمتطون التَّنانين، أما نحن فلا».

لم تكن الملكة الوصيَّة أقلَّ من زوجها رغبةً في إبطالِ زيجة الملك المتسرِّعة، لأنها كانت مقتنعةً تمامًا بأنَّ أيَّ كلمة عن الزِّيجة ستضع التَّاج في مواجهة العقيدة مرَّةً أخرى، وقد ساهمَ السِّپتون ماثيوس في تأجيج مخاوفها، فبمجرَّد أن أصبحَ بعيدًا عن چهيرس، واطمئن لمعرفته أنه شفتيه لن تُخاطا معًا، تشجَّع السِّپتون وتكلَّم أكثر ما تكلَّم عن أن «العامَّة الأعفَّاء جميعًا» سيُدينون اقتران الملك عن طريق سِفاح القُربى.

لو عادَ چهيرس وأليسين إلى (كينجز لاندنج) في الوقتِ المناسِب للاحتفالِ بالسَّنةِ الجديدة، كما صَلَّت الملكة أليسا أن يَحدُث («فسوف يثوبان إلى رُشدهما ويتوبان عن هذه الحماقة»، كما قالت للمجلس)، لكانت المصالحة ممكنةً، لكن ذلك لم يحدُث. حين مضى أسبوعان ثم أسبوعان آخَران ولم يظهر الملك في البلاط، أعلنَت أليسا نيَّتها العودة إلى (دراجونستون)، ولكن بمفردها هذه المرَّة، لتترجَّى ولديْها أن يعودا إلى الدِّيار. عارضَ اللورد روجار ذلك بغضبٍ قائلًا: «إذا رجعتِ إليهِ زاحفةً فلن يُصغي إليك الصَّبيُّ ثانيةً. لقد وضعَ رغباته الشَّخصيَّة فوق مصلحة المملكة، وهذا شيءٌ لا يمكن قبوله. أتُريدين أن ينتهي به المطاف كوالده؟». وهكذا خضعَت الملكة لإرادة اللورد روجار ولم تذهب.

كتبَ السِّپتون بارث بعد سنوات: «كانت أليسا ترجو أن تفعل الصَّواب، ولا ينبغي لأحدٍ التَّشكيك في ذلِك، ولكن من المؤسف أن نقول إنها كثيرًا ما بدَت في حيرةٍ من أمرها بشأن معرفة ذلك الصَّواب. لقد أرادَت فوق كلِّ شيءٍ أن تكونَ محلَّ حُبٍ وإعجابٍ وثَناء، وهي رغبةٌ اشترَكَت فيها مع زوجها الأوَّل الملك إينس. لكن على الحاكِم أحيانًا أن يفعل أشياءَ ضروريَّةً قد لا تحظى بالشَّعبيَّة رغم معرفته أن الاحتِقار واللَّوم سيتبعان قراره لا محالة، ونادِرًا ما كانت الملكة أليسا

تستطيع فعل مثل تلك الأشياء».

مرَّت الأيَّام وصارَت أسبوعًا فأسابيعَ، وفي أثنائها تصلَّبت القلوب على جانبَي (الخليج الأسود) وأصبحَ أصحابها أشدَّ تصميمًا. ظلَّ الملك الصَّبي وملكته الصَّغيرة في (دراجونستون) في انتظار اليوم الذي يتولَّى فيه چهيرس حُكم (الممالِك السَّبع)، وبقيَت الملكة أليسا واللورد روجار ممسكيْن بزمام السُّلطة في (كينجز لاندنج)، ويبحثان عن طريقةٍ للتَّراجُع عن زواج الملك وتجنُّبِ الكارِثة التي أيقنا بوقوعها. بخلاف المجلس، لم يُخبرا أحدًا بما حدثَ في (دراجونستون)، إذ أمرَ اللورد روجار الرِّجال الذين رافَقوهم ألَّا يتلفَّظوا بأيِّ كلمة عمَّا رأوه، وإلَّا عُوقِبوا بفقدان ألسنتهم. بمجرَّد فسخ الزَّواج، حسب وجهةِ نظرِ معاليه، سيبدو الأمر لمعظم (وستروس) كما لو أنه لم يحدُث قَطُّ... ما دامَ بقيَ سِرًّا. إلى أن تتمَّ الزِّيجة، لم يزَل إبطالها ممكنًا بسهولة.

كما نعلمُ الآن، كان ذلك أملًا عديم الجدوى، وإن بدا ممكنًا لروجار باراثيون في عام 50 بعد الفتح، إذ لا بُدَّ أنه استمدَّ التَّشجيع لمدَّةٍ من الوقت من صمت الملك نفسه. كان چهيرس قد تحرَّك بسرعةٍ للزَّواج بأليسين، ولكن بعد أن تمَّ الأمر لم يبدُ أنه يتعجَّل إعلانه، مع أنه كان بالتَّأكيد يملك وسائل للإعلان إن رغبَ. كان المايستر كوليبر، الذي ظلَّ يتمتَّع بالحيويَّة في سنِّ الثَّمانين، يخدم منذ زمن الملكة ڤيزينيا، وكان يُعاوِنه باقتدارٍ اثنان من المايسترات الأصغر سِنًّا، وكانت (دراجونستون) تحوي سربًا كاملًا من الغِدفان، ولأمكنَ بكلمةٍ من چهيرس إعلان زواجه من أحد طرفَي المملكة إلى طرفها الآخَر، إلَّا أنه لم ينطق بتلك الكلمة.

منذ ذلك الحين يُناقِش الباحثون أسباب صمته. هل كان نادمًا على

قرانٍ عُقد على عجلٍ كما كانت الملكة أليسا ترجو؟ هل أساءَت إليه أليسين بشكلٍ ما؟ هل أصبحَ خائفًا من ردَّة فعل البلاد نحو الزَّواج، متذكِّرًا كلَّ ما حلَّ بإجون ورِاينا؟ أيُمكن أن نبوءات السِّپتون ماثيوس الرَّهيبة هزَّته أكثر مما جرؤَ على الاعتراف؟ أم إنه كان مجرَّد صبيٍّ في الخامسة عشر من عُمره، تصرَّف بتهوُّرٍ دون تفكيرٍ في العواقب، فقط ليجد نفسه في حيرةٍ من كيفيَّة المضيّ قُدمًا؟

يمكنُ تقديمُ الحُجَج لهذه التَّفسيرات كلِّها، وقد قُدِّمت، ولكن في ضوءِ ما نعرفه الآن عن چهيرس تارجاريَن الأوَّل، فإنها تبدو في النِّهاية واهيةً جوفاء. في شبابه أو هرَمه، كان هذا ملكًا لم يتصرَّف قَطُّ دون تفكير، ويبدو واضحًا لكاتب هذه السُّطور أن چهيرس لم يندم على زواجه، ولم تكن لديه نيَّة للتَّراجُع عنه. لقد اختارَ الملكة التي يُريدها، وسيجعَل العالم يُدرِك ذلك في الوقت المناسب، لكنه سيكون وقتًا يختاره بنفسه، بطريقةٍ محسوبةٍ على أفضلِ وجهٍ لتؤدي إلى القبول، أي حين يُصبِح رجلًا بالغًا يُدير المملكة بإرادته الخاصَّة، وليس الصَّبي الذي تزوَّج في تحدٍّ لرغبات الوصيَّة.

لم يمرَّ غياب الملك الصَّغير عن البلاط دون ملاحظة لفترةٍ طويلة. كان رماد النِّيران التي اشتعلَت احتفالًا بالعام الجديد قد بردَ بالكاد قبل أن يبدأ قاطنو (كينجز لاندنج) في طرحِ الأسئلة، وللحدِّ من تلك الشَّائِعات أذاعَت الملكة أليسا بين النَّاس أن جلالته يَستريح ويتأمَّل في (دراجونستون)، معقل عائلته العتيق... ولكن ومع مرور المزيد من الوقت وعدم وجود أيِّ علامةٍ على وجود چهيرس، بدأ اللوردات والعامَّة في التَّساؤل على حدٍّ سواء. هل كان الملك مريضًا؟ هل حُبِسَ لأسبابٍ غير معروفةٍ بعدُ؟ لقد تحرَّكَ الملك الصَّبي الجذَّاب الوسيم بين سُكَّان

العاصمة بحُريَّة تامَّة، باديًا أنه مسرور بالاختلاط بهم، حتى إن هذا الاختفاء المفاجِئ لم يبدُ من شيمته.

من جانبها، لم تكن الملكة أليسين في عجلةٍ من أمرها للعودة إلى البلاط، إذ أخبرَت چهيرس: «هنا أحظى بك ليل نهار، وعندما نعود سأكونُ محظوظةً إذا خطفتُ ساعةً معك، لأن كلَّ رجلٍ في (وستروس) سيبتغي جُزءًا منك». بالنِّسبة إليها، كانت هذه الأيام على جزيرة (دراجونستون) أشبهَ بالحُلم. «بعد أعوام عديدةٍ من الآن، عندما نشيخ ويُكلِّلنا الشَّيب، سوف ننظُر وراءنا إلى هذه الأيام ونبتسم ونتذكَّر كم كنا سعيدَيْن».

لا شكَّ أن چهيرس نفسه شاركَها بعض هذه المشاعر، لكن الملك الصَّغير كان لديه أسباب أخرى للبقاء في (دراجونستون). على عكس عمِّه ميجور، لم يكن نزَّاعًا إلى الثَّورة، وإن كان أكثر من قادرٍ على الغضب، ولم ينسَ أو يغفِر إقصاءه المتعمَّد من اجتماعات المجلس التي نُوقِشَ فيها زواجه وزواج أخته. وبينما ظلَّ ممتنًّا دائمًا لروجار باراثيون لمساعدته إياه على نيل العرش الحديدي، لم ينتوِ چهيرس أن يحكُمه الرَّجل، إذ قال للمِايستر كوليير خلال تلك الأيَّام في (دراجونستون): «كان لي أبٌ واحد، ولا أحتاجُ إلى أبٍ ثانٍ». اعترفَ الملك بفضائِلِ اليد وقدَّرها، لكنه كان يُدرِك عيوبه أيضًا، وهي العيوب التي أصبَحت واضحةً جدًّا في الأيام التي سبقَت الزِّفاف الذَّهبي، عندما جلسَ چهيرس نفسه مع لوردات المملكة، فيما كان اللورد روجار يصطاد ويسكَر ويُعاشر العذارى.

كان چهيرس يعي نواقِصه الشَّخصيَّة أيضًا، نواقص انتوى علاجها قبل أن يجلس على العرش الحديدي. كان والده الملك إينس قد تعرَّض

للإهانة لكونه ضعيفًا، ورجعَ ذلك جزئيًّا إلى أنه لم يكُن بالمحارِب الفذ كأخيه ميجور، وقد صمَّم چهيرس على عدم تشكيك أيِّ أحدٍ أبدًا في شجاعته أو مهارته في السِّلاح. كان لديه في (دراجونستون) السير ميرِل بولوك قائد حاميةِ القلعة، وابناه السير آلن والسير هاوارد، والسير إلياس سكيلز قيِّم السِّلاح المحنَّك، وسبعةَ رجال حرسه الملكي، أفضل المحارِبين في البلاد. تدرَّب چهيرس معهم في ساحةِ القلعة كلَّ صباح، وكان يصيح فيهم لكي يُهاجِموه بضراوة، أن يضغَطوا عليه ويُناوِشوه ويُهاجِموه بكلِّ طريقةٍ يعرفونها. من شروق الشَّمس وحتى الظهيرة عملَ معهم، يشحذ مهاراته بالسَّيف والحربة والهراوة والفأس فيما تُشاهِد ملكته الجديدة.

كان نظامًا عنيفًا ووحشيًّا. انتهَت كلُّ مباراةٍ فقط عندما أعلنَ الملك نفسه أو خصمُه موته، وقد ماتَ چهيرس في كثيرٍ من الأحيان لدرجة أن رجال الحامية جعلوا من الأمر لعبةً، ليهتفوا «ماتَ الملك» في كلِّ مرَّةٍ سقطَ فيها، و«عاشَ الملك» عندما كافحَ ليقِف على قدميه. بدأ خصومه يتنافسون، يُراهِنون بعضهم بعضًا ليروا مَن منهم يستطيع أن يَقتُل الملك مرَّاتٍ أكثر من غيره. (قيل لنا إن المنتَصِر كان الشَّاب السير بايت ذا القضيب الخشبي، الذي زُعِمَ أن حربته خاطفة السُّرعة أثارَت غيظ الملك). أمسى چهيرس كُلَّ ليلةٍ مكدومًا داميًا، وهو ما فجعَ أليسين، ولكن بالمقابل اشتدَّ عوده وازدادَ جَلدًا وصلابةً على نحو يدعو للدَّهشة، حتى إن قُرب نهاية وقته على الجزيرة أخبرَه الفارس العجوز إلياس: «لن تكون أبدًا فارسًا في الحرس الملكي يا جلالة الملك، ولكن لو قامَ عمُّك ميجور نفسه من القبر بشعوذةٍ ما، فأراهنُ أنك ستغلبه».

في إحدى الأمسيات، بعد يومٍ اختُبِرَ فيه چهيرس بشدَّةٍ وأُوسِعَ ضربًا،

قال له المايستر كوليير: «يا صاحب الجلالة، لماذا تُعاقِب نفسك بتلك القسوة؟ البلاد في سلام»، فابتسمَ الملك الشَّاب ببساطةٍ وأجاب: «البلاد كانت في سلامٍ عندما ماتَ جدِّي، ولكن ما إن اعتلى والدي العرش بعده حتى قامَ الأعداء عليه من كلِّ جانب. كانوا يختبرونه لمعرفة ما إذا كان قويًّا أم ضعيفًا، وسيختبرونني أيضًا».

لم يكُن مخطئًا، على الرَّغم من أن اختباره الأوَّل، حين جاء، كان ذا طبيعةٍ مختلفةٍ تمامًا، تجربة لم يكن من الممكن أن يُهيِّئه لها أيُّ قدرٍ من التَّدريب في ساحات (دراجونستون)، ذلك أن الاختبار كان لقيمته رجلًا، ومقدار محبَّته لملكته الصَّغيرة.

لا نعرف إلَّا القليل عن طفولةِ أليسين تارجاريَن. لكونها الطِّفلة الخامسة للملك إينس والملكة أليسا، وأنثى أيضًا، وجدَها مجتمع البلاط أقلَّ أهميَّة من إخوتها الأكبر سِنًّا، الذين احتلُّوا مرتبةً أعلى في تسلسُل الوِراثة. من القليل الذي وصلَ إلينا عنها، كانت أليسين فتاةً ذكيَّةً ولكن يصعب تمييزها عن غيرها من الفتيات، صغيرة الحجم وإن لم تكن سقيمةً قَطُّ، مهذَّبةً مطيعةً ذات ابتسامةٍ حُلوة وصوتٍ مُبهِج، ومما أراحَ والديْها أنها لم تُبدِ أيًّا من الخجل الذي اعترى أختها الكُبرى رِاينا عندما كانت طفلةً صغيرةً، كما أنها لم تُظهِر مزاج العناد والعصيان مثل إيريا ابنة رِاينا.

بصفتها أميرةً من العائلة المالِكة، كان من المؤكَّد أن لدى أليسين خادِماتٍ ورفيقاتٍ منذ سنٍّ مبكِّرة، وحين كانت رضيعةً كانت لديها مُرضعة بالطَّبع، فمثل معظم النِّساءِ النَّبيلات لم تُرضِع الملكة أليسا أطفالها. في وقتٍ لاحق علَّمها مِايستر ما القراءة والكتابة والحساب، وأرشدَتها سِپتة ما في مسائِل التَّقوى والسُّلوك اللَّائِق وأسرار العقيدة، وخدمَتها فتيات من العوام بغسل ملابِسها وتنظيف وعاء فضلاتها، وفي الوقت المناسب كانت بالتأكيد لتتَّخِذ ليديهات من سنِّها ودمها النَّبيل رفيقاتٍ لها في ركوب الخيل واللَّعب والخياطة.

لم تختَر أليسين هؤلاء الرَّفيقات بنفسها، إذ اختارتهن لها والدتها الملكة أليسا، وكُن يأتين ويذهَبن بشكلٍ متكرِّر نوعًا، لضمان ألَّا تُغرَم الأميرة بأيٍّ منهن. كان ولع أختها رِاينا بالإغداق بقدرٍ لا يليق من العاطفة والاهتمام على سلسلةٍ من الرَّفيقات المفضَّلات، اللاتي عُدَّ بعضهن غير مناسبات، مصدرًا لكثيرٍ من الهمَسات في البلاط، ولم ترغب الملكة في أن تكون الصَّغيرة أليسين موضوع شائعاتٍ مُماثلة.

كلُّ هذا تغيَّرَ عندما ماتَ الملك إينس في (دراجونستون) وعاد ميجور من وراء (البحر الضيّق) للاستيلاء على العرش الحديدي. كان الملك الجديد يكنُّ قدرًا قليلًا من الودِّ وأقلَّ من الثِّقة لأيٍّ من أولاد أخيه، وكانت معه والدته الملكة الأرمَلة ڤيزينيا لتفرض إرادتهِ، فصُرِف حشم الملكة أليسا وفُرسان أهل بيتها، ومعهم مُرافقو أولادها وخدمهم، وأضحى جهيرس وأليسين ربيبيْن لدى خالتهما الكُبرى، ڤيزينيا المخيفة، رهينتيْن في كلِّ شيءٍ عدا الاسم، فقضيا فترةَ حُكم عمِّهما في التَّنقُّل بين (دريفتمارك) و(دراجونستون) و(كينجز لاندنج) حسب رغبة الآخَرين، حتى أتاحت وفاة ڤيزينيا في عام 44 بعد الفتح فُرصة الهرب للملكة أليسا، فُرصةً انتهزَتها بلهفةٍ لتفرَّ من (دراجونستون) مع جهيرس وأليسين وسيفِ (الأخت المظلِمة).

لم تنجُ رواياتٌ موثوقة عن حياة الأميرة أليسين بعد الهرب حتى يومنا هذا، ولا تظهر ثانيةً في سجلَّات المملكة حتى الأيام الأخيرة من عهدِ ميجور الدَّامي، حين انطلَقت والدتها واللورد روجار من (ستورمز إند) على رأسِ جيشٍ فيما هبطَت أليسين وجهيرس وأختهما راينا على (كينجز لاندنج) بتنانينهِم.

لا شكَّ أنه كانت للأميرة أليسين وصيفاتٌ ورفيقاتٌ في الأيام التي تلَت موتَ ميجور، ولكن للأسف لم تصِل إلينا أسماؤهن وتفاصيلهن. نعلَم أن أيًّا منهن لم تذهب مع الأميرة حين فرَّت مع أخيها جهيرس من (القلعة الحمراء) بتنِّينيْهما، وعدا فوارِس الحرس الملكي السَّبعة وحامية القلعة والطُّهاة وعاملي الاسطبلات وخدمٍ آخَرين، لم يكن للملك وعروسه صُحبة في (دراجونستون).

كان ذلك يليق بالكاد بأميرةَ، ناهيكَ بملِكة. يجب أن يكون لأليسين

أهل بيتٍ يخصُّونَها، وقد رأَت أمُّها أليسا في ذلك فرصةً لتقويضِ زواجها، أو ربما إبطاله. قرَّرت الملكة الوصيَّة أن تُرسِلَ إلى (دراجونستون) مجموعةً مختارةً بعنايةٍ من الخادمات والرَّفيقات لتلبية احتياجات الملكة الصَّغيرة، ويُؤكِّد لنا المِايستر الأكبر بنيفر أنها كانت خُطَّة الملكة أليسا... وإن وافقَ عليها اللورد روجار بكلِّ سرور، لأنه رأى على الفور طريقةً لتحريفها بالشَّكل الذي يُمكِّنه من تحقيق أهدافه.

رعى السِّپتون أوزويك المسن، الذي أدَّى طقوسَ زفاف چهيرس وأليسين، سِپت القلعة على (دراجونستون)، لكن سيِّدةً شابَّةً ملكيَّة المولِد تطلَّبت واحدةً من جنسها تتولَّى تعليمها الدِّيني. أرسلَت الملكة أليسا ثلاثًا: السِّپتة يزابل الموقَّرة، واثنتين من المترهبنات نبيلات المولد من سنِّ أليسين، هما لايرا وإيدث. ولتولِّي مسؤوليَّة خادِمات ووصيفات أهل بيت أليسين، أُرسِلَت الليدي لوسيندا تَلي زوجة سيِّد (ريڤررَن)، التي اشتهرت في كُلِّ أنحاء المملكة بتديُّنها الشَّديد، ومعها ذهبَت أختها الصُّغرى إيلا بروم، وهي فتاة محتشمة كان اسمها قد طُرِحَ لفترةٍ وجيزة زوجةً لچهيرس. تضمَّن الوفد كذلك ابنتَي اللورد سلتيجار، اللتين قال عنهما حضرة اليد بازدراءٍ قبل فترةٍ قصيرة إن كلتيهما بلا ذقنٍ أو ثدييْن أو عقل. («يُفضَّل أن نجد لهما فائدة». يُفترَض أن اللورد روجار قال هذا لوالدهما). ثلاث فتياتٍ أخريات من نبيلات المولِد شكَّلن ما تبقَّى من أفراد المجموعة، واحدة من كلٍّ من (الوادي) و(أراضي العواصف) و(المرعى): چنيس سليلة عائلة تمپلتون، وكوريان سليلة عائلة وايلد، وروزاموند سليلة عائلة بول.

أرادَت الملكة أليسا أن تكونَ ابنتها في عناية رفيقاتٍ مناسباتٍ لسنِّها ومكانتها بلا شك، لكن ذلك لم يكُن الدَّافع الوحيد لإرسال هؤلاء

الليديهات إلى (دراجونستون). كان للسِّپتة يزابل، والمترهبنتيْن لايرا وإيدث، ومستفيضَة الورع الليدي لوسيندا تَلي وأختها، تكليف إضافي، إذ أملَت الملكة الوصيَّة أن تتمكَّن هؤلاء النِّسوة الصَّالحات من إقناع أليسين، وربما چهيرس نفسه، بأن نوم الأخ مع الأخت لهو رِجس في نظر العقيدة، وأن «الطِّفليْن» (كما أصرَّت أليسا على تسمية الملك والملكة) ليسا شرِّيريْن، بل صغيران عنيدان فقط، وبالإرشاد المناسب قد يُدركان ضلالهما ويتوبان عن زواجهما قبل أن يُمزِّق البلاد. أو هكذا رجَت أليسا.

أمَّا دوافع اللورد روجار فكانت أشدَّ لؤمًا. لعجزه عن الاعتماد على ولاء حامية القلعة أو فُرسان الحرس الملكي، احتاجَ اليد إلى أعيُنٍ وآذانٍ في (دراجونستون)، ووجبَ إبلاغه بكلِّ ما يقوله چهيرس وأليسين ويفعلانه كما وضَّح لليدي لوسيندا والأخريات، وكان حريصًا بشكلٍ خاص على معرفة ما إذا كان الملك والملكة ينويان إتمام زواجهما، وشدَّد على وجوب منع ذلك.

وربما كان يُوجَد المزيد.

والآن، مع بالغ الأسف، يجب أن نولي بعض الاهتمام لكتاب مَقيتٍ مُعيَّن ظهرَ لأوَّل مرَّة في (الممالِك السَّبع) بعد أربعين سنةً من الأحداث التي تجري مناقشتها حاليًّا. ما زالَت نُسخ من هذا الكتاب تَنتقِل من يد إلى يد في الأماكن الوضيعة من (وستروس)، وقد تُوجَد غالبًا في مواخير معيَّنة (تلكَ التي تُلبِّي احتياجات الزَّبائن القادرين على القِراءة)، وفي مكتبات الرِّجال ذوي الأخلاقِ الوضيعة، حيث يُحتفَظ بها تحت حماية القفل والمفتاح، بعيدًا عن أعيُن العذارى والعقائل والأطفال وأهل العفَّة والورَع.

الكتاب الذي نحن بصدده معروف بعناوين مختلفة، منها (خطايا الجسد)، و(الرَّفيع والوَضيع)، و(حكايةُ فاجِرة)، و(شر البشر)، لكن الإصدارات كلَّها تحمل عنوانًا فرعيًّا موحَّدًا هو (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات). يَزعُم الكتاب أنه شهادة لفتاةٍ شابَّة نبيلة المولِد سلَّمت عُذريَّتها لسائسٍ في قلعة أبيها، وأنجبَت طفلًا خارج إطار الزَّواج، وبعد ذلك وجدَت نفسها تُشارِك في كلِّ أشكال الفسق والعهر التي يُمكن تخيُّلها، خلال حياةٍ طويلة حافلة بالخطيئةِ والمعاناة والعُبوديَّة. إذا صدقَت حكاية المؤلِّفة (فأجزاء منها عصيَّة على التَّصديق)، فقد وجدَت نفسها في أثناء مسار حياتها وصيفةً لمِلكة، وخليلةً لفارسٍ شاب، وتابعةَ مُعسكراتٍ في (أراضي النِّزاع) بقارَّة (إسوس)، وخادمةً في حانات (مير)، وممثلةً في (تايروش)، وألعوبةً لملكة قراصنة في (جزر البازيليسق)، وأمَةً في (ڤولانتيس القديمة) -حيث وُشِمَت وخُرِمَت أُذناها وطُوِّقَ حلقها- وخادمةً لساحرٍ من (كارث)، وأخيرًا محظيَّةً بإحدى دور الهوى في (لِيس)... قبل أن تعود في النِّهاية إلى (البلدة القديمة) والعقيدة. يُزعَم أنها قضَت ما تبقَّى من حياتها سِپتةً في (السِّپت النَّجمي)، حيث دوَّنت قصَّة حياتها هذه لتُحذِّر الفتيات الصَّغيرات الأُخريات من فعل ما فعلَته.

لا تعنينا هنا التَّفاصيل الفاسقة لمغامرات المؤلِّفة المثيرة، فشاغلنا الوحيد هو الجزء المبكِّر من حكايتها المنحطَّة، أي قصَّة شبابها... ذلك أن المؤلِّفة المزعومة لكتاب (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات) ليست إلَّا كوريان وايلد، إحدى الفتيات اللَّاتي أُرسِلنَ إلى (دراجونستون) ليكن رفيقاتٍ للملكة الصَّغيرة.

لا وسيلة لدينا لتأكيد صحَّة قصَّتها، ولا حتى إن كانت هي حقًّا

مؤلِّفة هذا الكتاب سيِّئ السُّمعة (يُجادِل البعض بمعقوليَّة أن الكتاب من إنتاج عدَّة أيادٍ، لاختلاف أسلوب النَّثر اختلافًا كبيرًا بين جزءٍ وآخَر). على أن ماضي الليدي كوريان المبكِّر مثبَت في تقارير المِايستر الذي خدمَ في (دار المطر) خلال فترة صِباها، وقد دوَّن أن في سنِّ الثَّالثة عشرة أُغوِيَت ابنة اللورد وايلد الصُّغرى وقطفَ زهرتها «فتى فظ» من الاسطبلات. يوصَف هذا الفتى في (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات) بأنه صبيٌّ وسيم في سنِّها، لكن وصفَ المِايستر له مُختلِف، إذ يصوِّر المغوي كشابٍّ مجدور الوجه يَبلُغ الثَّلاثين من العُمر، يُميِّزه فقط «عضو ذكري سميك كفحل الخيل».

مهما كانت الحقيقة، فقد أُخصيَ «الفتى الفظ» وأُرسِل الى (الجِدار) مباشرةً بعد افتضاح فعلته، فيما حُبِسَت الليدي كوريان في غُرفتها حتى تلد ابنه غير الشَّرعي. أُرسِلَ الصَّبي إلى (ستورمز إند) بعد ولادته بفترةٍ قصيرة، حيث رعاه أحد وُكلاء القلعة وزوجته العاقِر.

وُلِدَ الصَّبي النَّغل في عام 48 بعد الفتح، حسب مذكِّرات المِايستر، وخضعَت الليدي كوريان لمراقبةٍ لصيقة بعد ذلك، لكن قلائل خارج أسوار (دار المطر) عرفوا بعارها. حين وصلَ الغُداف لاستدعائها إلى (كينجز لاندنج)، أمرَتها السيِّدة والدتها بصرامةٍ بعدم الكلام عن طفلها أبدًا. «في (القلعة الحمراء) سيظنُّونكِ عذراء». لكن إذ شقَّت الفتاة طريقها نحو المدينة رِفقة والدها وشقيقها، توقَّفوا لقضاء اللَّيل في خانٍ على ضفَّة (النَّهر الأسود) الجنوبيَّة بجانِب رصيفِ العبَّارة، وهناك وجدَت لوردًا كبيرًا معيَّنًا في انتظار وصولها.

وهنا تزداد الحكاية تشابُكًا، لأن هويَّة الرَّجل الذي كان في الخان يومها لا تزال موضعَ جدل، حتى بين الذين وافقوا على احتِواء (تحذير

للفتياتِ الصَّغيرات) على قدرٍ ضئيل من الحقيقة.

على مرِّ السِّنين والقرون، إذ نُسِخَ الكتاب وأعيدَ نسخه، تسلَّل كثير من التَّغييرات والتَّنقيحات إلى النَّص. يُدرَّب المايسترات الذين يعملون على نَسخِ الكُتب في (القلعة) تدريبًا صارمًا على إعادة إنتاج النُّصوص كلمة بكلمة، لكن قلائل من النُّسَّاخ البُسطاء يتمتَّعون بالانضباط المطلوب، ومَن ينسخون الكُتب من السِّپتونات والسِّپتوات والأخوات النَّاسكات ويُزخرِفونها للعقيدة، غالبًا ما يتعمَّدون شطب أو تغيير أيِّ فقراتٍ يعتقدون أنها مهينة أو فاحِشة أو غير سليمة لاهوتيًّا. نظرًا إلى أن كامل (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات) تقريبًا فاحش المحتوى، فليس من المحتمَل أن أيًّا من المايسترات أو السِّپتونات قد نسخَه، وبالنَّظر إلى عددِ النُّسخ المعروف وجودها (مئات، رغم أن بايلور المبارَك أحرقَ أكثر من هذا)، فالنُّسَّاخ المسؤولون كانوا على الأرجح سِپتونات مطرودين من العقيدة بسبب الثَّمل أو السَّرقة أو الزِّنى، أو طلبةٌ راسبين فشَلَة تركوا (القلعة) دون سلسلة، أو أقلامًا أجيرةً من إحدى المدن الحُرَّة، أو ممثِّلين (وهؤلاء الأسوأ على الإطلاق). نظرًا إلى افتقارهم إلى صرامة المايسترات، ففي الغالب لا يتردَّد هؤلاء الكتَبة في «تحبير» النُّصوص التي ينسخونها. (والممثِّلون على وجه الخصوص أكثر ميلًا إلى ذلك).

في حالة (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات)، تتألَّف تلك «التَّحبيرات» إلى حدٍّ كبير من إضافة المزيد من الأحداث الفاسقة وتغيير الأحداث الموجودة لجعلها أكثر إزعاجًا وفجورًا. مع تعديلٍ إثر التعديل على مرِّ الأعوام، أصبحَ من العسير للغاية التأكُّد من النَّصِّ الأصليِّ للكتاب، لدرجة أن مِايسترات (القلعة) أنفسهم لا يمكنهم الاتِّفاق على عنوان الكتاب كما لُوحِظَ. أمَّا هويَّة الرَّجلِ الذي قابلَ كوريان وايلد في الخان

بجانب العبَّارة، إذا كانت تلك المقابلة جرَت بالفعل، فموضع خلافٍ آخَر، ففي النُّسخ المعنونة بـ(خطايا الجسد) و(الرَّفيع والوَضيع) -وهي النُّسخ الأقصر والأقدم عادةً- الرَّجل الذي كان في الخان ما هو إلَّا السير بوريس باراثيون، أكبر أشقَّاء اللورد روجار الأربعة، وفي (حكاية فاجرة) و(شر البشر) الرَّجل هو اللورد روجار نفسه.

تتَّفق النُّسخ كلُّها على ما حدثَ بعدها. بعد أن صرفَ اللورد المذكور والد الليدي كوريان وشقيقها، أمرَ الفتاة بخلع ملابِسها حتى يتفحَّصها، وكما كتبَت فقد «مرَّر يديه على كلِّ جُزءٍ من جسدي، وأمرَني بالالتفاف في هذا الاتجاه وذاك، وبأن أنحني وأتمدَّد وأفتح ساقيَّ لِيَنظُر، إلى أن أعلنَ أخيرًا أنه راضٍ». وعندها فقط كشفَ الرَّجل عن الغرض من استدعائها وإحضارها إلى (كينجز لاندنج)، إذ قرَّرَ إرسالها إلى (دراجونستون) باعتبارها وصيفةً لتخدم بين رفيقات الملكة أليسين، ولكن بمجرَّد وصولها عليها أن تستخدم حيلها وفتنة جسدها لإغواء الملك إلى فِراشها.

يُفترَض أن الرَّجل قال لها: «على الأرجح ما زالَ چهيرس بكرًا، وقد سلبته أخته عقلَه، لكنها ليست إلَّا طفلة، في حين أنكِ امرأة يرغب فيها أيُّ رجل، وما إن يتذوَّق جلالته مفاتنكِ فقد يعود إلى صوابه وينثني عن تلك الزِّيجة الحمقاء، بل وقد يُقرِّر الاحتفاظ بكِ إلى جواره بعدها. من يدري؟ لن يتزوَّجكِ بالطَّبع، لكنكِ ستحظين بالجواهر والخدم وكلِّ ما ترغبين فيه. في كونكِ مدفِّئة سريرِ الملك مكافآت سخيَّة، وإذا ضبطتكما أليسين في السَّرير معًا فذلك أفضل كثيرًا. إنها فتاة ذات كبرياءٍ وشمم، وستَترُك زوجها غير المخلص فورًا. وإذا حملتِ مجدَّدًا فسيُعتنى بكِ

وبالطِّفل خير عناية، وسيُكافأ والداكِ بسخاءٍ نظير خدمتكِ التَّاج».[10]

هل من سبيلٍ للتَّحقُّق من مصداقيَّة تلك القصَّة؟ في هذا التَّاريخ المتأخِّر، بعد سنواتٍ طويلة من الأحداث المعنيَّة، وموت جميع أشخاصها الرَّئيسيِّين، ما من وسيلةٍ للتَّأكُّد. باستثناء شهادة الفتاة نفسها، ليس لدينا مصدر للتَّحقُّق من أن ذلك اللِّقاء عند العبَّارة قد جرى حقًّا، وإذا كان أحد أفراد آل باراثيون قد التقى كوريان وايلد سرًّا بالفعل قبل أن تصل إلى (كينجز لاندنج)، فلا يمكننا معرفة ماذا قال لها، فربما كان ببساطةٍ يُملي عليها تعليمات عملها جاسوسةً وواشيةً، مثلها مثل باقي الفتيات.

في الأعوام الأخيرة من حُكم جهيرس الطَّويل، كتبَ المِايستر الرَّئيس كراي في (القلعة) عن اعتقاده أن فكرة اللِّقاء في الخان ما هي إلَّا افتِراء أخرق لتشويهِ سُمعة اللورد روجار باراثيون، ووصلَ به الحدُّ إلى نسب الكذبة إلى السير بوريس باراثيون نفسه، الذي وقعَ بينه وبين أخيه خصام شديد لاحِقًا. صنفَ باحثون آخَرون -من بينهم المِايستر رايِن، أكثر مِايسترات (القلعة) علمًا وخبرةً بالنُّصوص المحظورة والزَّائفة والبذيئة- تلك القصَّة على أنها ليست أكثر من حكايةٍ من النَّوع الذي يُثير شهوات المراهِقين والنُّغول والعاهرات والرِّجال الذين يُشارِكونهم نزواتهم، كتبَ رايِن: «بين العامَّة دومًا رجال فسَقة يتلذَّذون بقصِّ الحكايا عن سلب اللوردات والفُرسان النُّبلاء براءة العذراوات وإفسادهن، لأن ذلك يُقنِعهم بأن أشرافهم يشاركونهم شهواتهم الدَّنيئة».

ربما، لكن أشياءَ محدَّدةً نعلمها تسمحُ لنا دون شكٍّ بأن نَخرُج

10 - تتضمَّن نُسخ معيَّنة من (حكاية فاجرة) واقعةً غراميَّة إضافيَّة، إذ تُقام بين اللورد روجار نفسه والفتاة علاقة حميميَّة «طوال اللَّيل»، ولكن يبدو أن مَن أضافَ ذلك لاحقًا كان كاتبًا شهوانيًّا أو قوَّادًا خسيسًا. (المؤلِّف).

باستنتاجنا الخاص. نعلم أن الابنة الصُّغرى للورد مورجان وايلد سيِّد (دار المطر) فُضَّت بكارتها في سنٍّ مبكِّرة، وأنها أنجبَت ولدًا نغلًا، ولنا أن نثق بقدرٍ معقول بأن اللورد روجار علِمَ بعارها، ليس فقط لأنه كان سيِّد اللورد مورجان الأعلى، بل لأن الرَّضيع ترعرعَ في بيته الخاص أيضًا. ونعلم أن كوريان وايلد كانت من الفتياتِ اللَّاتي أُرسِلنَ إلى (دراجونستون) ليكن رفيقاتٍ للملكة أليسين... وهو الاختيار المثير للفُضول، فلو أن حلولها وصيفةً للملكة هو كلُّ ما كان مفترضًا أن تكونه، كانت تُوجد عشرات من الفتيات الأخريات ذواتِ المولِد النَّبيل والسِّنِّ المناسِبة، فتيات عُذريّتهن مُصانة ولا تشوبُ فضيلتهن شائِبة.

- «فلماذا هي بالذَّات؟». هكذا يتساءلَ كثير من النَّاس منذ ذلك الحين. هل تمتَّعت بموهبةٍ فريدة أو فتنةٍ أخَّاذة؟ إن كان الأمر كذلك فلا أحد علَّق وقتها. أمن الممكِن أن اللورد روجار أو الملكة أليسا كانا مدينيْن بمعروفٍ ما لحضرة اللورد والدها أو الليدي والدتها؟ لا دليل لدينا على ذلك، ولم يُقدَّم أيُّ تفسيرٍ معقول لاختيار كوريان وايلد بالذَّات، باستثناء الجواب السَّهل القبيح المقدَّم في (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات): أنها لم تُرسَل إلى (دراجونستون) من أجل أليسين، بل جهيرس.[11]

أشارت سجلَّات البلاط إلى أن السِّپتة يزابل والليدي لوسيندا والنِّساء الأخريات المختارات لخدمة أليسين تارجاريَن ركبنَ القادِس التِّجاري المسمَّى (المرأة الحكيمة) في فجرِ سابع يومٍ من ثاني دورة قمر من عامِ 50 بعد الفتح، وغادرنَ نحو (دراجونستون) على المدِّ الصَّباحي.

11- يُقال إن بعد سنين عدَّة، حين كان الملك إجون الرَّابع ثملًا، أثارَ أحدُ جُلسائه المسألة في حضرته. يُفترض أن جلالته ضحكَ وصرَّح باقتناعه بأنه لو لم يكن اللورد روجار أحمق كبيرًا، لكان عليه أن يأمُر جميع الفتيات اللاتي أُرسِلنَ إلى (دراجونستون) بالنَّوم مع الملك الصَّغير، ما دام حضرة اليد كان يجهل أيُّ واحدةٍ من الفتيات سيُفضِّلها جهيرس. لقيَ هذا الاقتراح سيِّئ السُّمعة الاستحسان بين العامَّة، لكن لا دليل موجودًا ليُثبِته على الإطلاق، ويُمكن دحضه بسهولة. (المؤلِّف).

أرسلَت الملكة أليسا غُدافًا يحمل خبر قدومهن مسبقًا، ومع ذلك تخوَّفت أن تجد «الحكيمات» -كما أُطلِقَ عليهن منذ ذلك الحين- بوَّابات (دراجونستون) موصدةً في وجوههن. على أن مخاوفها كانت بلا أساس، إذ استقبَلتهن الملكة الصَّغيرة واثنان من الحرس الملكي في الميناء لدى نزولهن، ورحَّبت بهن أليسين ببشاشةٍ مُقدِّمةً لكُلٍّ مِنهن الهدايا.

قبل أن نروي ما حدثَ لاحِقًا، فلنُلقِ نظرةً سريعةً على (الجزيرة القصيَّة)، حيث استقرَّت رِاينا تارجاريَن، «الملكة في الغرب»، مع زوجها الجديد وبلاطها الخاص.

يُذكَر أن الملكة أليسا لم تكن مسرورة بالزِّيجة الثَّالثة لابنتها الكُبرى أكثر من سرورها بزواج ابنها المزمع، رغم أن عواقب زواج رِاينا كانت أقلَّ وطأةً. ولم تكن أليسا الوحيدة التي تشعر بذلك، لأن آندرو فارمان كان في الحقيقة خيارًا غريبًا لامرأةٍ في عروقها دماء التنِّين.

لم يكن ثاني أبناء اللورد فارمان الوريثَ حتى، وكان يُقال إنه فتى وسيم بعينين زرقاوينِ شاحبَتين وشعرٍ طويلٍ بلون الكتَّان الأصفر، لكنه كان يصغر الملكة بتسعةِ أعوام، وحتى في بلاط أبيه كان بعضهم ينعته بـ«النِّصف فتاة» لنعومة صوته ورقَّة طباعه. ولفشله الذَّريع في أن يصير مُرافقًا، لم يُرَقَّ إلى فارس قَطُّ، إذ لم يرِث أيًّا من مهارات والده العسكريَّة، على عكس أخيه الأكبر، ولفترةٍ فكَّر والده في إرساله إلى (البلدة القديمة) ليُصبِح مِايسترًا، حتى أخبره مِايستره الخاص بأن الفتى ليس ذكيًّا كفايةً، وبالكاد يستطيع القراءة أو الكتابة. لاحقًا، عندما سُئِلت رِاينا تارجاريَن عن سبب اختيارها زوجًا غير واعدٍ كهذا، ردَّت: «كان رفيقًا بي».

كان والد آندرو رفيقًا بها كذلك، إذ عرضَ عليها اللُّجوء إلى (الجزيرة القصيَّة) بعد المعركة تحت (عين الآلهة)، عندما أمرَه عمُّها الملك ميجور

بالقبضِ عليها، ونعتَها الصَّعاليك في أرجاء المملكة كافَّةً بالآثِمة القذِرة وابنتيْها بالرِّجس. رأى البعض أن جزءًا من قبول الملكة المترمِّلة الزَّواج بآندرو ما هو إلَّا ردٌّ لجميل والده، لأن اللورد فارمان نفسه كان ابنًا ثانيًا ولم يتوقَّع قَطُّ أن يرِث حُكمَ الجزيرة، وعُرِفَ بمحبَّته العظيمة لآندرو رغم نواقصه. ربما أصابَ البعضُ نوعًا في هذا الافتراض، لكن احتمالًا آخَر قد يكون أقرب إلى الصَّواب، طرحَه مِايستر اللورد فارمان نفسه، المِايستر سمايك الذي كتبَ رسالةً لـ(القلعة) يقولُ فيها: «لقد وجدَت الملكة حُبَّها الحقيقي في (الجزيرة القصيَّة)، ولم يكن آندرو بل أخته الليدي إليسا».

كانت إليسا فارمان تكبر آندرو بثلاث سنوات، واشتركَت معه في لون شعره الكتَّاني الطَّويل وعينيه الزَّرقاوين، وإن كانت طباعها بعيدةً كلَّ البُعد عن طباعه. تمتَّعت إليسا بعقلٍ حاد ولسانٍ أَحَدّ، وأحبَّت الخيول والكلاب والأبواز، وكانت مغنِّيةً موهوبةً وراميةً ماهرةً، لكن شغفها بالإبحار طغى على كلِّ ما عداه. *الرِّياحُ جيادُنا*. تلك كانت كلمات آل فارمان سادة (الجزيرة القصيَّة)، الذين مخروا البحار الغربيَّة منذ عصر الفجر، وقد تجسَّدت كلماتهم في الليدي إليسا. يُقال إنها اعتادَت في طفولتها قضاء وقتٍ أطول في البحر من اليابسة، وكان رجال والدها يضحكون كلَّما تسلَّقت حبالَ الأشرعة كالقِرَدة، وقد أبحرَت بقاربها الخاص حول (الجزيرة القصيَّة) في عامها الرَّابع عشر، وعند بلوغها العشرين كانت قد ارتحلَت شمالًا حتى (جزيرة الدِّببة) وجنوبًا حتى (الكرمة)، وكثيرًا ما أثارَت فزع والديها بالحديث عن رغبتها في الإبحار إلى ما وراء الأُفق الغربي لتستكشف الأراضي الغريبة السَّاحرة التي قد تجِدها على الجانب الآخَر من (بحر الغروب).

خُطِبت الليدي إليسا مرَّتين، مرَّة وهي في الثَّانية عشرة ومرَّة وهي في السَّادِسة عشرة، لكنها أخافَت كلا الفتيَيْن كما أقرَّ أبوها محزونًا. على أنها وجدَت في رِاينا تارجاريَن رفيقةً تُشبِهها في التَّفكير، وفيها وجدَت الملكة كاتمة أسرارٍ جديدةً، وأصبحَت الاثنتان لا تنفصلان تقريبًا عن إليني رويس وسامانثا ستوكوورث صديقتَي رِاينا الأقدم، وهكذا صارَت أربعتهن بمثابةِ بلاط داخل البلاط، وهو ما حدا بالسير فرانكلين، فارمان الابن الأكبر للورد مارك، بتلقيبهنَّ بـ«الوحش ذي الرُّؤوس الأربعة». سُمِحَ لآندرو فارمان، زوج رِاينا الجديد، بدخول دائرتهن من وقتٍ إلى آخَر، ولكن ليس لدرجة أن يُعتبَر رأسًا خامسا، بدليلِ أن الملكة لم تأخذه معها للتَّحليقِ على ظهر تنِّينتها دريمفاير، وهي المغامرة التي كثيرًا ما شاركتها فيها الليديهات إليسا وإليني وسام. (من باب الإنصاف، واردٌ للغاية أن الملكة دعَت آندرو لمشاركتها السَّماء، لكنها قُوبِلَت بالرَّفض من ناحيته لأنه لم يكن ميَّالًا إلى المغامرات).

غير أن من الخطأ أن نعدَّ حياة الملكة رِاينا في (القلعة القصيَّة) سعيدةً مِثاليَّةً، فلم يكن الجميع هناك سُعداء بحضورها بأيَّة حال. حتى على تلك الجزيرة البعيدة كان أفراد من الصَّعاليك، الذين أغضبَهم تقديم سيِّدهم اللورد مارك -كما فعل والده من قبله- الدَّعم والملاذ لواحدةٍ اعتبروها عدوَّةً للعقيدة. وكان وجود دريمفاير على الجزيرة مُسبِّبًا للمشكلات أيضًا، فالتَّنانين كانت تُلمَح مرَّةً كلَّ بضعة أعوام مثيرةً الدَّهشة والرَّهبة في نفس كلِّ من رآها، وصحيحٌ أن بعض سُكَّان الجزيرة افتخروا بوجود «تنِّين يخصُّنا»، لكن وجود ذلك الوحش العظيم أقلقَ البعض الآخَر، خاصَّةً عندما كبرَ حجم دريمفاير.. وزادَ جوعها. إطعامُ تنِّينٍ نامٍ ليس بالأمر الهيِّن، وعندما وضعَت دريمفاير مجموعةً من بيض التَّنانين، بدأ أخ شحَّاذ من تلال الجزيرة يعظ سُكَّانها قائلًا إن التَّنانين ستجتاح الجزيرة

قريبًا، و«ستلتهم الخِراف والأبقار والبشر على حدٍّ سواء»، ما لم يأتِ قاتِل تنانين ويضع حدًّا لهذا الوباء. أرسلَ اللورد مارك فُرسانًا للقبض على الرَّجل وإسكاته، لكن آلافًا كانوا قد سمعوا نبوءاته بالفعل، ورغم موت الواعظ في الزَّنازين تحت (القلعة القصيَّة) عاشَت رسالته لتُلقي الرُّعب في قلوب الجُهلاء أينما سمعوها.

حتى وراء أسوار مقرِّ اللورد مارك كان للملكة رِاينا أعداء، أبرزهم وريث معاليه نفسه، السير فرانكلين فارمان الذي حاربَ في المعركة تحت (عين الآلهة)، وأُصيبَ هناك باذلًا الدِّماء في خدمة الأمير إجون غيرِ المتوّج، وفي ميدان المعركة مات جدُّه بجِوار عمِّه الأكبر، ليُترَك واجب نقل جثمانيهما إلى الجزيرة على عاتقه. بدا له أن رِاينا تارجاريَن أبدَت قليلًا من النَّدم على ما سبَّبته من مآسٍ لآل فارمان، وامتنانًا أقلَّ له شخصيًّا، وكان مستاءً كذلك من الصَّداقة التي جمعَتها بأخته إليسا، إذ رأى أن الملكة شجَّعتها أكثر على جموحها وعنادها بدلًا من أن تُذكِّرها بواجبها نحو عائلتها بالزَّواج وإنجاب الأولاد، ولم يُعجِبه كيف أصبحَ الوحش ذو الرؤوس الأربعة بشكلٍ ما مركز الحياة في بلاط (القلعة القصيَّة)، فيما تزايدَ تهميشه هو والسيِّد والده. كان السير فرانكلين مُحِقًّا في ذلك، فقد توافدَ المزيد والمزيد من اللوردات كريمي المحتد من (أراضي الغرب) وغيرها على الجزيرة، وهو ما دوَّنه المايستر سمايك، لكن تلك الزِّيارات كانت للحصول على فرصة مقابلة الملكة في الغرب، وليس اللورد صغير الشَّأن وابنه.

لا شيء من هذا كان مصدر قلقٍ كبيرًا للملكة ورِفقتها ما دامَ مارك فارمان حاكم (القلعة القصيَّة)، فقد كان حضرته رجلًا ودودًا طيِّب القلب محبًّا لجميع أولاده، بمن فيهم ابنته الجامحة وابنه الضَّعيف، وأحبَّ

رِاينا تارجاريَن لمحبَّتها لهم كذلك. لكن بعد أقلِّ من أسبوعين من احتفال الملكة وآندرو فارمان بالذِّكرى السَّنويَّة الأولى لقرانهما، تُوفِّيَ اللورد مارك فارمان فجأةً وهو جالس إلى مائدته، مختنقًا حتى الموت بشوكة سمكةٍ في سنِّ السَّادسة والأربعين، وبوفاته أصبحَ السير فرانكلين سيِّد (الجزيرة القصيَّة).

لم يُضيِّع فرانكلين وقتًا طويلًا، ففي اليوم التَّالي لجنازة والده استدعى رِاينا إلى قاعته الكُبرى (فلم يكن ليتنازل بالذَّهاب إليها)، وأمرَها بمغادرة جزيرته قائلًا: «لستِ مرغُوبةً هنا. لستِ محلَّ ترحابٍ هنا. خُذي تنِّينتكِ وصديقتيكِ وأخي الصَّغير الذي سيتبوَّل في سراويله لا ريب إذا أُرغِمَ على البقاء. لكن إيَّاكِ أن تُحاوِلي أخذ أختي. ستبقى هنا، وستُزَفُّ إلى رجلٍ من اختياري».

لم تعُز فرانكلين فارمان الشَّجاعة قطُّ، كما دوَّنَ المِايستر سمايك في رسالةٍ إلى (القلعة)، لكنه افتقرَ إلى البصيرة، وفي تلك اللحظة لم يبدُ أنه يُدرِك كم هو دانٍ من عتبة الموت. قال المِايستر: «كان بوسعي رؤية أجيج النَّار في عينيها، وللحظةٍ كان بإمكاني رؤية (القلعة القصيَّة) تحترِق، وأبراجها البيضاء تسوَدُّ وتنهار في البحر فيما تتقافَز ألسنة اللَّهب من كلِّ نافذة، وتحوم التنِّينة حولها وتدور».

كانت رِاينا تارجاريَن من دمِ التنِّين، وأشدَّ اعتدادًا بنفسها من أن تَمكُث طويلًا في مكانٍ وجودها فيه غير مرغوب، لذا غادرت (الجزيرة القصيَّة) في اللَّيلة ذاتها محلِّقةً صوب (كاسترلِي روك) على متن دريمفاير، بعد أن طلبَت من زوجها ورفيقتيْها اللَّحاق بها على متن سفينة «مع كلِّ من يحبُّونني». عرضَ آندرو المتَّقد غضبًا مواجهة أخيه في نزالٍ فردي، لكن سُرعان ما أقنعَته الملكة بالعدول عن ذلك قائلةً: «سيُقطِّعُكَ إلى

أشلاء يا حبيبي، وعندما أترمَّلُ للمرَّة الثَّالِثة سيدعوني النَّاس بالسَّاحرة أو أسوأ، ويتعقَّبونني لطردي من (وستروس) كُلِّها». غير أنها ذكَّرته بلايمان لانستر سيِّد (كاسترلي روك) الذي آواها من قبل، وكانت الملكة رِاينا موقنةً أنه سيُرحِّب بها مرَّةً أخرى.

أبحرَ آندرو فارمان وسامانثا ستوكوورث وإليني رويس لموافاةِ الملكة في الصَّباحِ التَّالي، مع أكثر من أربعين من أصدقائها وخدمها وشِلَّة متملِّقيها، فجلالتها كانت قد جمعَت زُمرةً كبيرةً منهم حولها باعتبارها الملكة في الغرب. كانت الليدي إليسا معهم كذلك، إذ لم تنوِ التَّخلُّف عنهم، وقد جُهِّزَت سفينتها (هوى العذراء) للعبور. لكن عندما وصلَ أصحاب الملكة إلى الأرصفة وجدوا في انتظارهم السير فرانكلين، الذي أعلن أن البقيَّة يمكنهم الذَّهاب إلى حيث ألقَت، أما أخته إليسا فستبقى في (الجزيرة القصيَّة) لتُزوَّج.

لكن اللورد الجديد لم يجلب معه أكثر من نصف دستةٍ من الرِّجال، وقد أخطأ فعلًا في تقديرِ الحُبِّ الذي يُكنُّه العوام لأخته، خاصَّةً البحَّارة والسقَّانون والصَّيَّادون وعُمَّال المرفأ وغيرهم من القاطنين على جوانب الأرصفة، فكثيرٌ منهم عرفوها مُذ كانت طفلةً صغيرةً. بينما واجهَت الليدي إليسا شقيقها، تتحدَّاه وتُطالِبه بأن يتنحَّى عن طريقها، تجمَّع حشدٌ اشتدَّ غضبه مع كلِّ لحظةٍ تمرُّ، وغافلًا عن مزاجهم المتعكِّر، أمرَ حضرته بالقبض على أخته... ليندفِع المتفرِّجون نحو رجاله مكتسحين إيَّاهم قبل أن يتمكَّنوا من سحب نصالهم، فدُفِعَ ثلاثة منهم من فوق الرَّصيف في المياه، في حين أُلقيَ اللورد فرانكلين نفسه في مخزن سفينةٍ ممتلئ بسمك القُدِّ الطَّازج، واستقَلَّت إليسا فارمان وبقيَّة أصدقاء الملكة سفينة (هوى العذراء) سالمين، ليُبحِروا بها نحو (لانسپورت).

كان لايمان لانستر سيِّد (كاسترلي روك) قد منحَ رِاينا وزوجها إجون غير المتوَّج الملاذ عندما طالبَ ميجور المتوحِّش برأسيهما، وقاتلَ ابنه النَّغل، السير تايلر هِل، إلى جانب الأمير إجون تحت (عين الآلهة)، أما زوجته الموقَّرة الليدي چوكاستا سليلة عائلة تاربك فكانت صديقةً لرِاينا في أثناء إقامتها في (الصَّخرة)، وكانت أوَّل من أدركَ أنها حُبلى. تمامًا كما توقَّعت الملكة، رحَّبوا بها مجدَّدًا، وعندما رسَت بقيَّة رِفقتها في (لانسپورت) رحَّب بها آل لانستر بالمثل. أقيمَت وليمةٌ فخمة على شرفهم، وخُصِّصَ اسطبلٌ كامل للتنِّينة دريمفاير، كما جُهِّزَ جناح ملكي آمن من أيِّ ضرر في جوف (الصَّخرة) للملكة رِاينا وزوجها ورفيقاتها في الوحش ذي الرُّؤوس الأربعة، وقد لبثوا هناك أكثر من دورة قمر، متمتِّعين بحُسن ضيافة أغنى عائلةٍ في (وستروس).

ورغم ذلك، مع مرور الأيام، أثارَ كرم الضِّيافة هذا تحديدًا قلقَ رِاينا تارجاريَن أكثر فأكثر، فقد اتَّضح لها أن جميعَ الخدم والوصيفات المخصَّصين لهم ما هُم إلَّا جواسيس ووُشاة، ينقلون أخبار كلِّ ما يحدُث ويُقال إلى اللورد والليدي لانستر، كما أن إحدى سِپتوات القلعة سألَت سامانثا ستوكوورث إن كان زواج الملكة بآندرو فارمان قد تمَّ، وإن كان قد تمَّ فمَن الشَّاهد على الإضْجاع؟ أمَّا نغل اللورد لايمان الوسيم، السير تايلر هِل، فكان يزدري آندرو علانيةً، حتى وهو يبذل كلَّ ما بوسعه للتزلُّف إلى رِاينا نفسها، يُسلِّيها بحكايا مآثره وصولاته في المعركة تحت (عين الآلهة)، ويُريها النُّدوبَ التي أصيبَ بها هناك «في سبيل زوجكِ إجون»، في حين بدأ اللورد لايمان نفسه يُبدي اهتمامًا غير لائقٍ ببيضات التَّنانين الثَّلاث التي جلبتها الملكة معها من (الجزيرة القصيَّة)، متسائلًا كيف ومتى يُتوقَّع أن تفقس، واقترحَت زوجته الليدي چوكاستا -على انفراد- أن بيضةً أو أكثر ستكون هديَّةً فاخرةً، إن

أرادَت جلالتها أن تُبدي امتنانها لآل لانستر الذين آووها، وعندما فشلَت تلك الحيلة اقترحَ اللورد لايمان بلا تحفُّظٍ شراء البيضات مقابل مبلغٍ مذهلٍ من الذَّهب.

حينئذٍ أدركَت الملكة رِاينا أن رغبة سيِّد (كاسترلي روك) أكبر من مجرَّد استضافة إحدى بنات عِلية القوم، فخلف معاملته الطَّيِّبة وكرمه كان يُخفي مكره وطموحه، ولم يكن ليرضى بالقليل. لقد رغبَ في تحالفٍ مع العرش الحديدي، ربما من خلال زواج رِاينا بنغِه أو أحد أبنائه الشَّرعيِّين، فمصاهرةٍ كهذه من شأنها أن ترفع مقام آل لانستر أولاد (الصخرة) فوق آل هايتاور وآل باراثيون وآل ڤيلاريون، ليكونوا بذلك ثاني أقوى عائلةٍ في البلاد كلِّها. كما أنه رغبَ في تنانين، وراكبين لها من بني جِلدته، ليُصبح آل لانستر بذلك أندادًا لآل تارجاريَن أنفسهم. ذكَّرت رِاينا رفيقتها سامانثا ستوكوورث قائلةً: «لقد كانوا ملوكًا فيما سبقَ. ربما ترينَه يبتسِم، لكنه ترعرعَ سامعًا حكاياتٍ عن حقل النِّيران، ولا بُدَّ أنه لم ينسَ». كانت رِاينا تارجاريَن أيضًا تاريخها، تاريخ معقل (ڤاليريا) الحُر المكتوب بالدَّم والنَّار، وقد أسرَّت لرفيقاتها العزيزات بقولها: «لا يُمكننا البقاء هنا».

علينا هنا أن نَترُك الملكة رِاينا بعض الوقت، لنُوجِّه أنظارنا مجدَّدًا إلى الشَّرق نحو (كينجز لاندنج) و(دراجونستون)، حيث ظلَّت الوصيَّة والملك على خلاف.

رغم أن مسألة زواجِ الملك أثقلَت على الملكة أليسا واللورد روجار، يجب ألَّا يُظَن أنها كانت كلَّ ما شغلَ بالهما خلال فترةِ الوصاية، فالأموال، أو بالأحرى الافتِقارُ إليها، كانت أشدَّ مشكلات التَّاج إلحاحًا. كانت حروب الملك ميجور مكلِّفةً على نحو مدمِّر واستنزفَت

الخزانة الملكيَّة، ولإعادة ملء الخزائِن رفعَ أمين نقد ميجور قيمة الضَّرائب المفروضة وفرضَ أخرى جديدةً، لكن هذه الإجراءات عادَت بربحٍ أقل من المتوقَّع، وساهمَت في تعميق بغضاءٍ لوردات المملكة تجاه الملك. لم يتحسَّن الوضع مع صعود چهيرس، فمع أن تتويج الأمير الصَّغير وزفاف أمِّه الذَّهبي كانا حدثيْن باهريْن ساعدا في كسبه محبَّة النُّبلاء والعوام على حدٍّ سواء، فقد تطلَّبا تكلفةً في المقابل، كما لاحَت نفقات أكبر في الأُفق، ذلك أن اللورد روجار كان مصرًّا على إتمام العمل على (جُب التَّنانين) قبل تسليم المدينة والمملكة إلى چهيرس، لكن التَّمويل كان قاصرًا.

فشلَ إدويل سلتيجار سيِّد (جزيرةِ المخالب) في منصب يد ميجور المتوحِّش، ورغم مَنحه فُرصةً ثانيةً بتعيينه أمين النَّقد الجديد في فترة الوِصاية، فقد أثبتَ الرَّجل فشله مجدَّدًا. لتجنُّب الإساءةِ إلى نُظرائه اللوردات، قرَّر سلتيجار بدلًا من ذلك فرض ضرائب جديدة على عوام (كينجز لاندنج) الذين كانوا في متناول اليد، لتُضاعَف رسوم الموانئ ثلاث مرَّات، وتُفرَض على بعض البضائع ضرائب تُدفَع عند دخولها المدينة وخروجها منها، إضافةً إلى ضرائب جديدة فُرِضَت على أصحاب الخانات والبنائين.

لم يُحقِّق أيٌّ من هذه الإجراءات النَّتيجة المرجوَّة ويملأ الخزائن الملكيَّة، وبدلًا من ذلك بدأت أعمال البناء تتباطأ حتى توقَّفت، وفرغَت الخانات، وانتكسَت التِّجارة انتكاسًا ملحوظًا إذ حوَّل التُّجَّار وجهة سُفنهم من (كينجز لاندنج) إلى (دريفتمارك) و(وادي الغسق) و(بِركة العذارى) وغيرها من الموانئ حيث يمكنهم تجنُّب الضَّرائب. (تضمَّنت ضرائب سلتيجار الجديدة باقي مُدن المملكة الكُبرى، كـ(لانسپورت)

و(البلدة القديمة)، إلا أن هذه القرارات لم تُطبَّق إلى حدٍّ كبير هناك، بسبب تجاهُل (كاسترلي روك) و(البُرج العالي) لها وعدم بذلهما أيَّ جهدٍ لتحصيلها). رغمَ ذلك ساهمَت الضَّرائب الجديدة في جعل اللورد سلتيجار مكروهًا في جميع أنحاء المدينة، كما نالَ اللورد روجار والملكة أليسا نصيبهما من الإهانة كذلك، وتمثَّلت ضحيَّة أخرى للأزمة في (جُب التَّنانين)، إذ لم يعُد لدى التَّاج مال يدفعه للبنَّائين، ليتوقَّف بذلك العمل على القُبَّة العظيمة.

كانت العواصف تحتشِد في كُلٍّ من الشَّمال والجنوب، فمع انشغال اللورد روجار في (كينجز لاندنج) اشتدَّت جرأة الدورنيِّين، وبدأوا يشنُّون غاراتٍ متكرِّرةً على أراضي (التُّخوم)، حتى إنها أصبحَت مصدر قلقٍ وإزعاج لـ(أراضي العواصف). كما تُدووِلَت شائعات حول ظهور ملكٍ نسر آخَر في (الجبال الحمراء)، وقد أكَّد أخوا اللورد روجار، بوريس وجارون، أنهم لا يحتكمون على الرِّجال أو المال الكافي لاستئصاله.

وكان الوضع في الشَّمال أشدَّ خطورةً، فقد توفِّيَ اللورد براندون ستارك سيِّد (وينترفل) في عام 49 بعد الفتح، بعد مُدَّةٍ قصيرةٍ من عودته من الزِّفاف الذَّهبي، وقد قال الشَّماليُّون إن الرِّحلة أنهكته للغاية. خلفَه ابنه والتون، وحين اندلَع تمرُّد مفاجئ في عام 50 بعد الفتح بين رجال حرس اللَّيل في قلعتَي (بوَّابة الضَّريب) و(بهو السَّمُّور)، جمعَ اللورد والتون قوَّاته واتَّجهَ نحو (الجِدار) ليُعينَ الحرس الأوفياء على إخضاعهم.

كان المتمرِّدون عُصبةً من الصَّعاليك وأبناءِ المحارب السَّابقين الذين قبلوا عفو الملك الصَّبي، بقيادة السير أوليفر براكن والسير رايموند مالري، فارسي الحرس الملكي المارِقَيْن اللذين خدما ميجور معًا قبل أن يتخلَّيا عنه لأجلِ جهيرس. دون رويَّة، كان حضرة قائد حرس اللَّيل قد ولَّى

براكن ومالري قيادة قلعتيْن متداعيتيْن وأمرَهما بترميمهما، وبدلًا من ذلك قرَّر الرَّجلان جعل القلعتيْن مقرَّيْن لهما، معلنيْن نفسيهما سيِّديْن عليهما.

كان تمرُّدهما قصير الأمد، فمقابل كلِّ رجلٍ انضمَّ إليهما من الحرس، ظلَّ عشرة راسخين في نذورهم، وبمجرد انضمام اللورد ستارك وحمَلة رايته إليهم استعادَ الإخوة السُّود (بوَّابة الضَّريب) وشنَقوا الحانثين بأيمانهم، باستثناء السير أوليفر الذي قطعَ اللورد ستارك رأسه بنفسه بسيفه الشَّهير (جَليد). عندما وصَلت الأخبارُ إلى (بهو السَّمُّور) فرَّ المتمرِّدون هناك إلى ما وراء (الجدار) على أمل التَّحالُف مع الهَمج. لاحقهم اللورد والتون هناك، ولكن بعد مسيرةِ يومين شمالًا في ثلوجِ (الغابةِ المسكونة) تعرَّض هو رجاله لهجمةٍ من العمالقة، وقِيل إن والتون ستارك قَتل اثنينِ منهم قبل أن يُجَرَّ من فوق سَرجه ويُمزَّق إربًا إربًا، ليحمل النَّاجون من رجاله جُثَّته إلى (القلعة السوداء) أشلاء ممزَّعةً.

أمَّا السير رايموند مالري والمتهرِّبون الآخَرون فقد استقبلَهم الهَمج استقبالًا باردًا. سواء أكانوا متمرِّدين أم لم يكونوا، لم يحمل شعب الأحرار أيَّ ودٍّ لغِربان حرس اللَّيل، وهكذا سُلِّمَ رأس السير رايموند إلى (القلعة الشَّرقيَّة) بعد نصف عام، وعند سؤال زعيم الهَمج عمَّا جرى لبقيَّة رجال مالري، ضحكَ وأجابَ: «أكلناهم».

أصبحَ ألارِك، الابن الثَّاني لبراندون ستارك، سيِّدًا لـ(وينترفل)، وسيَحكُم الشَّمال ثلاثةً وعشرينَ عامًا. كان رجلًا قديرًا ولكن صارمًا... وإن ظلَّ وقتًا طويلًا لا يَذكُر الملك جهيرس بخير، لأنه ألقى باللَّوم على رأفةِ الملك في مَقتلِ أخيه والتون، وغالبًا ما سُمِعَ يقول إنه كان على جلالة الملك ضرب أعناق رجال ميجور بدلَ إرسالهم إلى (الجِدار).

بعيدًا عن قلاقلِ الشَّمال، لبِثَ الملك جهيرس والملكة أليسين في منفاهما الاختياري من البلاط الملكي، لكنهما لم يُضيِّعا وقتهما عبثًا، إذ واصلَ جهيرس تدريباته المضنِية مع الحرس الملكي كلَّ صباح، وكرَّس أمسياته للتَّأمُّل في الرِّواياتِ المحكيَّة عن عهد جدِّه إجون الفاتِح، الذي أرادَ أن يتَّخذه نموذجًا لحُكمه، وقد أعانَه مِايسترات (دراجونستون) الثَّلاثة في استفساراته، وكذلك الملكة.

مع مرورِ الأيَّام توجَّهَ المزيد من الزوَّار إلى (دراجونستون) للتحدُّث مع الملك. كان اللورد ماسي سيِّد (الحجر الرَّاقص) أوَّل من ظهرَ، لكن اللورد ستاونتون سيِّد (استراحة الرُّخ) واللورد داركلين سيِّد (وادي الغسق) واللورد بار إمون سيِّد (الرَّأس الحاد) توافَدوا في أعقابه مباشرةً، وتبعَهم اللوردات هارت ورولنجفورد وموتون وستوكوورث، وظهرَ أيضًا اللورد الشَّاب روزبي، الذي انتحرَ والده عندما سقطَ الملك ميجور، خجِلًا متوسِّلًا الملك أن يغفر له، وقد منحَه جهيرس ذلك بسرور. على الرَّغم من أن ديمون ڤيلاريون كان في (كينجز لاندنج) بصفته أميرال التَّاج وقيِّم السُّفن، لم يمنع ذلك جهيرس وأليسين من التَّحليق بتنِّينيْهما إلى جزيرة (دريفتمارك) للتَّجوال بين أحواض سُفنه، رِفقة أبنائه الثَّلاثة كوروين ويورجن وڤيكتور. عندما وصَلت أخبارُ هذه اللِّقاءات إلى اللورد روجار في (كينجز لاندنج) استشاطَ غضبًا، ومضى إلى حدِّ سؤال اللورد ديمون عن إمكانيَّة استخدام أسطول ڤيلاريون لمنع هؤلاء «اللوردات المتملِّقين» من الزَّحف إلى (دراجونستون) للتودُّد إلى الملك الصَّبي. كان ردُّ اللورد ڤيلاريون صريحًا ومقتضبًا: «لا»، وعدَّ يد الملك هذا أمارةً أخرى على عدم الاحترام.

في تلك الأثناء كانت وصيفات الملكة أليسين ورفيقاتها الجديدات

قد استقرَرن في (دراجونستون)، وسُرعان ما أضحى جليًّا أن أمل أمِّها في استطاعة أولئك النِّسوة الحكيمات إقناع الملكة الصَّغيرة بأن زواجها خطوة أثيمة تعوزها الحكمة قد خابَ خيبةً كُبرى. لم تكن الصَّلاة أو المواعِظ أو القراءة من (النَّجمة السُّباعيَّة) بقادرةٍ على زعزعة قناعة أليسين تارجاريَن بأن الآلهة قدَّرت لها أن تتزوَّج بأخيها چهيرس لتكون قرينته ومُعينته وأمَّ أطفاله، وقد أخبرت أليسين السِّپتة يزابل والليدي لوسيندا والأخريات: «سيغدو ملكًا عظيمًا، وسأصبحُ ملكةً عظيمةً». لكم كانت راسخةً في إيمانها بقدر كونها عطوفًا ولطيفةً ومُحبَّةً في كلِّ شيءٍ آخَر، لدرجة أن السِّپتة وباقي الحكيمات وجدن أنفسهنَّ عاجزاتٍ عن استهجانها، وكُنَّ مع كلِّ يومٍ يمرُّ ينحزن إلى جانبها أكثر.

ولم تلقَ خطَّة اللورد روجار للتَّفرقة بين چهيرس وأليسين نجاحًا أكبر. سيقضي الملك الصَّغير ومِلكتُه حياتهما معًا، وعلى الرَّغم من شجاراتهما وانفِصالاتهما الشَّهيرة في المستقبل، التي انتهَت دائمًا بلمِّ شملهما مجدَّدًا، يُخبِرنا كلا السِّپتون أوزويك والمِايستر كولييِر أن لا غمامة كَدَر أو كلمة لاذِعة عكَّرت صفو وقتهما معًا في (دراجونستون) قبل بلوغ چهيرس سنَّ الرُّشد.

هل فشلَت كوريان وايلد في مُضاجعة الملك؟ أمِنَ المحتمَل أنها لم تُقدِم على المحاولة؟ هل كانت حكاية اللِّقاء في الخان بأكملها خيالًا؟ أيٌّ من هذه الاحتِمالات وارد. تختلف الأحداث عند مؤلِّفة (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات)، ولكن هنا يُصبح هذا النَّص سيِّئ السُّمعة أقل موثوقيَّةً، ومشتتًا بين رواياتٍ عدَّة يُناقِض بعضها بعضًا، كل واحدةٍ منها أشد بذاءةً من الأخرى.

لم يكن من المجدي أن تقرَّ الفاجرة في قلب الرِّواية بأن چهيرس رفضَها، أو بأنها فشلت في إيجادِ الفُرصةِ لاجتذابه إلى غُرفة نوم، وبدلًا من ذلك

عرضَت علينا تشكيلةً من المغامرات المشينة، مهرجانًا فعليًّا من المجنون. أصرَّت نُسخ (حكاية فاجرة) على أن كوريان لم تُضاجِع الملك فحسب، بل أفراد الحرس الملكي السَّبعة جميعًا، فعلى ما يبدو منحَ جلالته پايت ذا القضيب الخشبي إيَّاها بعد أن أشبعَ شهوته منها، ومرَّرها پايت بدوره إلى السير چوفري، وهكذا دواليك. تُغفِل نُسخ (الرَّفيع والوضيع) هذه التَّفاصيل، لكنها تُخبِرنا أن چهيرس لم يكتفِ بالتَّرحيب بالفتاة في فِراشه، بل أحضرَ الملكة أليسين أيضًا للمرح والعربدة معهما في وقائع ترتبط غالبًا ببيوت الهوى سيِّئة السُّمعة في (لِيس).

وفي روايةٍ أكثر معقوليَّةً نوعًا وردَت في (خطايا الجسد)، تستدرِج كوريان وايلد الملك چهيرس إلى سريرها بالفعل، فقط لتجده مرتبكًا متوتِّرًا متعجِّلًا كحال كثيرٍ من الصِّبيان الأغرار في سنِّه في أوَّل مرَّةٍ لهم في الفِراش مع فتاة. لكن حينئذٍ كانت الليدي كوريان قد أصبحَت تكنُّ للملكة أليسين الإعجاب والاحترام «كما لو أنها أختي الصَّغيرة»، وتنامَت مشاعرها دافئةً نحو چهيرس كذلك، وبدلًا من محاولة إفشال زيجة الملك أخذَت على عاتقها محاولة إنجاحها عن طريق تعليم جلالته فنَّ منح المتع الجسديَّة وتلقِّيها، لكيلا يجد نفسه عاجزًا عندما يحين وقت افتراش زوجته الصَّغيرة.

يُمكن أن تكون هذه القصَّة خياليَّةً كالقصص الأخرى، إلَّا أن لها طلاوةً معيَّنةً جعلَت بعض الباحثين يُقدِّرون أنها ربما حدثَت بالفعل. على أن الحكايات الخليعة ليست تاريخًا، والتَّاريخ يُخبِرنا بشيءٍ واحد مؤكَّد عن الليدي كوريان سليلة عائلة وايلد، مؤلِّفة (تحذير للفتياتِ الصَّغيرات) المفترَضة: أنها في اليوم الخامس عشر مِنَ القمر السَّادس من عام 50 بعد الفتح غادرَت (دراجونستون) تحت جنح الظَّلام برفقة

السير هاوارد بولوك، الابن الأصغر لقائد حامية القلعة. كان السير هاوارد متزوِّجًا، وقد تركَ زوجته خلفه، وإن أخذَ أكثر حُليِّها. حملَ قارب صيدٍ السير هاوارد والليدي كوريان إلى (دريفتمارك)، حيث استقلَّا سفينةً إلى مدينة (بِنتوس) الحُرَّة، ومن هناك شقَّا طريقهما صوب (أراضي النِّزاع)، وهناك انضمَّ السير هاوارد إلى جماعةٍ حُرَّة تُسمَّى -بانعدامٍ فذ للمخيِّلة الإبداعيَّة- بـ«الجماعة الحُرَّة». بعد ثلاث سنواتٍ سيلقى حتفه في (مير)، وليس في معركةٍ ما، ولكن من جرَّاء سقوطه عن حصانه على إثر ليلةٍ طويلةٍ من السُّكر. ولكونها وحيدةً ومفلِسةً، انتقلَت كوريان وايلد إلى مرحلةٍ أخرى من التَّجارب والمغامرات الشَّهوانيَّة المرويَّة في كتابها، ولا حاجة لدينا إلى سماع المزيد عنها.

لدى وصول خبر هرب الليدي كوريان مع جواهرها المسروقة وزوجها المسروق إلى أُذنَي اللورد روجار في (القلعةِ الحمراء)، أصبحَ من الواضح أن خطَّته فشلَت كما فشلت خطَّة الملكة أليسا، وبهذا تبيَّن أن لا درب التَّقوى ولا سبيل الشهوة قدرا على كسر الآصِرة الجامعة بين جهيرس تارجاريَن وغاليته أليسين.

علاوةً على ذلك، بدأ خبر زواج الملك ينتشر، ذلك أن رجالًا كُثرًا للغاية شهدوا المواجهة التي وقعَت عند بوَّابات القلعة، واللوردات الذين زاروا (دراجونستون) بعدها لم تفُتهم ملاحظة وجود الملكة أليسين الدَّائم بجانب الملك، أو العاطِفة الواضِحة بينهما. ربما تحدَّث روجار باراثيون عن اقتلاع الألسِنة، لكنه عجزَ أمام الهمسات التي انتشرَت في كُلِّ أنحاءِ البلاد... وحتى عبر (البحرِ الضيِّق)، حيث سلَّت ماچسترات (بِنتوس) ومرتزِقة الجماعة الحُرَّة القصص التي نقلَتها إليهم كوريان وايلد.

أخبرَت الملكة الوصيَّة مستشاريها عندما أدركَت الحقيقة أخيرًا: «تمَّ الأمر، تمَّ ولا رجعة فيه، وليحفظنا (السَّبعة). يجب أن نتعايَش مع الواقع

ونُسخِّر سُلطتنا وقوّتنا كلَّها لحمايتهما مما قد يأتي». لقد فقدَت ابنين بسبب ميجور المتوحِّش، وفي علاقتها بابنتها الكُبرى برود قائم، ولم تعُد تتحمَّل فكرة الاغتراب للأبد عن الولديْن اللذين تبقَّيا لها.

غير أن اللورد روجار لم يكن ليتراجعَ بلُطفٍ مثلها، إذ أوقدَت كلمات زوجته الغضَب بداخله، وأمام المِايستر الأكبر بنيفر والسِّپتون ماثيوس واللورد ڤيلاريون وبقيَّة المستشارين، تحدَّث إليها حضرة اليد بازدراءٍ مصرِّحًا: «إنكِ ضعيفة، ضعيفة كزوجكِ السَّابق، ضعيفة كابنكِ. قد تُغفَر لأمٍّ عاطفتها، ولكن ليس لوصيَّة، وليس لملكٍ أبدًا. لقد كنا حمقى حين توَّجنا چهيرس. إنه لا يُفكِّر إلَّا في نفسه، وسيكون ملكًا أسوأ من أبيه. الشُّكر للآلهة أن الأوان لم يفُت بعدُ. يجب أن نتصرَّف الآن ونُنحِّيه».

سيطرَ الصَّمت على القاعة بعد هذه الكلمات. حدَّقت الملكة الوصيَّة إلى السيِّد زوجها برُعب، ثم، كما لو أنها تُثبِت أنه قال ما قاله حقًّا، أجهشَت الملكة أليسا بالبُكاء، وانهمرَت دموعُها بصمتٍ على خدَّيها. حينها فقط استطاعَ باقي اللوردات الكلام، فتساءلَ اللورد ڤيلاريون: «هل فقدتَ صوابَك؟»، وهزَّ اللورد كوربراي قائدُ حرس المدينة رأسه قائلًا: «رِجالي لن يمتثِلوا لذلك»، وتبادلَ المِايستر الأكبر بنيفر النَّظرات مع قيِّمِ القوانين اللورد پرنتس تَلي، الذي قال: «أتنوي المطالبة بالعرش الحديدي لنفسك إذًا؟».

نفى اللورد روجار ذلك بشدَّةٍ قائلًا: «إطلاقًا. أتراني غاصِبًا؟ إنما أريدُ الأفضل لـ(الممالِك السَّبع) لا أكثر. لا داعي لأن يلحَق أذى بچهيرس. يُمكننا إرساله إلى (البلدة القديمة)، إلى (القلعة). چهيرس صبيٌّ يحبُّ الكُتب، وستُناسِبه سلسلة مِايستر».

سألَ اللورد سلتيجار: «ومَن سيَجلِسُ على العرش الحديديِّ إذًا؟».

أجابَه اللورد روجار على الفور: «الأميرة إيريا. إن فيها نارًا يفتقِر إليها چهيرس. إنها صغيرة، ولكن يُمكنني أن أستمرَّ في خدمتها يدًا، أشكِّلها وأرشدها وأعلِّمها كلَّ ما تَحتاج إلى معرفته. إن لديها حقَّ المطالبةِ الأقوى، فأمُّها وأبوها كانا أوَّل وثاني ولديْن للملك إينس، أمَّا چهيرس فكان الرَّابع». وضربَ بقبضته الطَّاولة، كما يُخبِرنا بنيفر، وتابعَ: «سوف تدعمها أمُّها، الملكة رِاينا، ورِاينا لديها تنِّينة».

دوَّن المايستر الأكبر بنيفر ما عقبَ ذلك: «حلَّ الصَّمت، رغمَ أن الكلمات نفسها كانت على شفاهنا جميعًا: *چهيرس وأليسين أيضًا لديهما تنِّينان*. خاضَ كارل كوربراي المعركة تحت (عين الألهة)، وكان شاهدًا على المنظر المريع لقتالِ تنِّينٍ وتنِّين، أما بقيَّتنا فقد استحضرَت كلمات حضرة اليد في مخيِّلاتنا رؤى عن (ڤاليريا القديمة) قبل الهلاك، حيث تنازعَ سادة التَّنانين باللَّهب على السُّلطة، ويا لها من رؤيا شنيعة».

كانت الملكة أليسا هي التي كسرَت الصَّمت، وعبر دموعها التي لم تزَل تسيل ذكَّرتهم: «أنا الملكة الوصيَّة. حتى يبلُغ ولدي ستخدمون جميعًا وفق مشيئتي، بمَن في ذلك يد الملك». يُخبِرنا بنيفر أنها حين التفتَت إلى السيِّد زوجها كانت عيناها أشدَّ ظُلمةً وقسوةً من السَّبَج، وقالت: «خدمتك ما عادت تُرضيني أيها اللورد روجار. انصرِف عنا وارجع إلى (ستورمز إند)، ولن نتحدَّث مجدَّدًا عن خيانتك».

طالعَها روجار باراثيون مذهولًا، وقال: «أتظنِّين أنَّ بإمكانكِ صرفي أنا يا امرأة؟ لا»، وكرَّر وهو يضحك: «لا!».

كان ذلك حين نهضَ اللورد كوربراي وسَلَّ سيفه، السَّيف الفولاذي الڤاليري المسمَّى (سيِّدة البؤس) الذي كان مفخرة عائلته لقرون، وقال: «نعم»، ووضعَ السَّيف على الطَّاولة موجِّهًا رأسه نحو اللورد روجار. حينها فقط أدركَ حضرة اللورد أنه تمادى في شططه، وأنه يقف وحيدًا

ضدَّ كلِّ رجلٍ في القاعة. أو هكذا يُخبِرنا ب.ن.يفر.

لم ينبس معاليه ببنت شفة، ثم وقفَ بوجهٍ شاحِب وخلعَ مشبك اليدويَّة الذَّهبي الذي منحَته إيَّاه الملكة كشارةٍ رمزيَّةٍ لمنصبه، وألقاه نحوها بازدراء، وخطى مغادرًا القاعة. رحلَ اللورد روجار من (كينجز لاندنج) في اللَّيلة ذاتها، وعبرَ (النَّهر الأسود) مع أخيه أورن، وهناك لبثَ ستة أيامٍ فيما حشدَ أخوه رونال فُرسانهم وجُندهم لأجلِ مسيرةِ العودة إلى الديار.

تُخبِرنا الأسطورة بأن اللورد روجار مكثَ منتظرًا وصولهم في الخان المجاور للعبَّارة ذاته، حيث التقى هو، أو شقيقه بوريس، وكوريان وايلد. وحين تحرَّكَ الإخوة باراثيون وأجنادهم أخيرًا متَّجهين نحو (ستورمز إند)، كان معهم بالكاد نصف عدد الرِّجال الذين ساروا معهم قبل عامَيْن للإطاحة بميجور. أمَّا البقيَّة فعلى ما يبدو فضَّلت أزقَّة المدينة العظيمة وخاناتها ومغرياتها على الغاباتِ المطيرة والتِّلال الخضراء والأكواخ المكسوَّة بالطَّحالب في (أراضي العواصف). بمرارةٍ قال اللورد روجار: «لم أخسر قطُّ هذا العدد من الرِّجال في معركةٍ بقدر ما خسرتُ في ملاهي البغاء والحانات في (كينجز لاندنج)».

إحدى هذه الخسائر كانت إيريا تارجارين، ففي اللَّيلة التي صُرِفَ فيها اللورد روجار، اقتحمَ السير رونال باراثيون ودستة من رجاله مسكنها في (القلعةِ الحمراء) مُعتزمين أخذَها معهم... ليكتشِفوا أن الملكة أليسا سبقَتهم بأشواط. كانت الفتاة قد اختفَت بالفعل ولم يعرف خدمها أين ذهَبت، وإن عُلِمَ لاحقًا أن اللورد كارل كوربراي هو من أخفاها بأمرٍ من الملكة الوصيَّة. مُرتديةً أسمال صبيَّةٍ من أدنى العوام، وقد صُبِغَ شعرها الفضِّي بلونٍ بنِّي كالوحل، ستقضي الأميرة إيريا ما تبقَّى من فترة الوِصاية تعمل في اسطبلٍ بالقُربِ من (بوَّابة الملك). كانت في الثَّامنة من العُمر وتحبُّ الخيل، وبعد سنواتٍ ستقول إن تلك الفترة كانت الأسعد

في حياتها.

من المحزن القول إن قادم السَّنوات حملَ القليل من السَّعادة للملكة أليسا. دمَّرت تنحيتها السيِّد زوجها من منصب يد الملك أيَّ عاطفةٍ ربما كنَّها لها اللورد روجار، ومنذ ذلك اليوم فصاعدًا أضحى زواجهما كقلعةٍ متهدِّمة، هيكلًا فارغًا مسكونًا بالأشباح. «لقد نجَت أليسا ڤيلاريون من مآسي موت زوجها وابنيْها الأكبريْن والبنت التي فقدَتها في المهد، ومن سنوات الرُّعب تحت حُكم ميجور المتوحِّش، والشَّرخ في علاقتها بمن تبقَّى من أولادها، لكنها لم تنجُ من هذه المأساة. لقد حطَّمتها». هكذا كتبَ السِّپتون بارث حين راجعَ سيرة حياتها.

وافقَته تقارير معاصرة من المِايستر الأكبر بنيفر في ذلك. برحيل اللورد روجار، سمَّت الملكة أليسا أخاها ديمون ڤيلاريون يدًا للملك، وأرسلَت غُدافًا إلى (دراجونستون) لتُخبِر ابنها چهيرس ببعض -وليس كُلِّ- ما حدثَ، وبعدها انسحبَت إلى مسكنها في (حصن ميجور) تاركةً أعباء حُكم (الممالِك السَّبع) على عاتق شقيقها اللورد ديمون لما تبقَّى من فترة وصايتها، ولم تُمارِس أيَّ دورٍ آخَر في الحياة العامَّة.

لكان من السَّار أن نقول إن روجار باراثيون، بمجرَّد أن عادَ إلى (ستورمز إند)، بدأ يتفكَّر في ضلال أساليبه ويَشعُر بالنَّدم على أخطائه وأصبحَ رجلًا طاهرًا بارًّا، ولكن للأسف لم تكن تلك طبيعة معاليه، فقد كان رجلًا لا يعرف كيف يخضع، ومذاق الهزيمة عنده كان علقمًا لا يُستساغ. كان يتفاخَر بأنه في الحرب لا يُلقي فأسه أبدًا ما دامَت في جسده حياة... ومسألةُ زواج الملك تلك صارَت عنده بمثابة حرب، وكان عازمًا على الانتصار فيها. تَبقَّت له حماقةٌ أخيرة، ولم يُحجِم عنها.

هكذا، في (البلدة القديمة) داخل المعتكَف الملحق بـ(السِّپت النَّجمي)، ظهرَ السير أورن باراثيون ومعه دستة من الرِّجال المسلَّحين ورسالة تحمل

ختم اللورد روجار، مطالبًا بتسليم رِايلا تارجاريَن إليهم على الفور، وعندما سُئِلَ عن السَّبب أجابَ قائلًا إن اللورد روجار يَطلُبها في مسألةٍ ملحَّة في (ستورمز إند). ربما كانت تلك الحيلة لتنجح، لكن السِّپتة كارولين ذات الشخصيَّة الحديديَّة والطَّبيعة الشَّكَّاكة كانت يومها مسؤولةً عن باب المعتكَف، وبينما ألهَت السير أورن متحجِّجةً بالإرسال لطلب الفتاة، أرسلَت بدلًا من ذلك خبرًا إلى السِّپتون الأعلى. كان قداسته نائمًا (وربَّما كان هذا من حُسن حظِّ البنت والبلاد على حدٍّ سواء)، لكن وكيله (الفارس السَّابق وأحد قادة جماعة أبناء المحارب حتى حلِّها) كان مستيقظًا وحذرًا.

وبدلَ مواجهةِ فتاةٍ مَذعورة، وجد رجال باراثيون أنفسهم يواجهون ثلاثين سِپتونًا مُسلَّحًا بقيادة الوكيل كاسپر سترو، وعندما همَّ السير أورن بسحب سيفه أخبرَه سترو بهدوءٍ بأنَّ أربعين من فُرسان اللورد هايتاور في طريقهم (وهو ادِّعاء مكذوب). وهكذا استسلمَ رجال باراثيون، وعند استجوابهم اعترفَ السير أورن بحقيقة المؤامرة كاملةً، وهي أنه كان سيُسلِّم الفتاة إلى (ستورمز إند)، حيث خطَّط اللورد روجار لإجبارها على الاعتراف بأنها الأميرة إيريا لا رِايلا، وبعد ذلك كان سيجعلها الملكة.

كان أبو المؤمنين رجُلًا سمحًا كما كان ضعيفَ الإرادة، وبمجرَّد سماعه اعتراف السير أورن صفحَ عنه، لكن هذا لم يمنَع اللورد هايتاور من إلقاء الأسرى في الزَّنازين بمجرَّد أن بلغَه الخبر، ثم إرساله تقريرًا كاملًا بما جرى إلى (القلعةِ الحمراء) و(دراجونستون). لم يبدُ أن دونل هايتاور، الذي استحقَّ لقب دونل المماطل لإحجامه عن مواجهة السِّپتون مون وأتباعه في ميدان المعركة، يخشى إهانة (ستورمز إند) بإلقاء شقيق اللورد روجار في الحبس، وعندما حذَّره مِايستره من ردَّةِ فِعل يد الملك السَّابِق، قال: «دعه يأتي ويُحاوِل تحريره. زوجته نفسها قطعَت يده وخصيتيه، وقريبًا

سيقطع الملك رأسه».

على الجانب الآخَر من (وستروس) أرغى روجار باراثيون وأزبدَ حين علمَ بفشل أخيه وحبسه... لكنه لم يستدعِ راياته كما تخوَّف كثيرون، وبدلًا من ذلك أصابَه اليأس، وأخبرَ مِايستره الخاص بكآبة: «انتهى أمري. في حال كانت الآلهة رحيمةً بي فسيُرسِلونني إلى (الجِدار)، وإن لم يكن فسيقطف الملك الصَّبي رأسي ويُقدِّمه هديَّةً لأمِّه». ولأنه كان عديم الذُّريَّة من زوجتيه، فقد أمرَ مِايستره بكتابة وصيَّته وتسجيل اعترافاته، حيث أعفى إخوته بوريس وجارون وورونال من لعب أيِّ دورٍ في أفعاله الخاطئة، وتوسَّل الرَّحمة لأخيه الأصغر أورن، وسمَّى أخاه بوريس وريثًا له وحاكمًا لـ(ستورمز إند)، وختمَ الوصيَّة بقوله: «كلُّ ما فعلته وحاولتُ فِعله كان من أجل صالح البلاد والعرش الحديدي».

لم ينتظر اللورد روجار طويلًا ليعلم مصيره. كانت فترة الوصاية على وشك الانتهاء، وبما أن يد الملك السَّابق والملكة الوصيَّة على العرش كانا مكلومَيْن صامتَيْن، فقد بذلَ اللورد ديمون ڤيلاريون وأعضاء مجلس الملكة المتبقِّين ما بوسعهم لتسيير أمور المملكة، «بقول القليل وفِعل الأقل» حسب وصف المِايستر الأكبر بنيفر.

وفي اليوم العشرين من القمر التَّاسع من عام 50 بعد الفتح، بلغَ جهيرس تارجاريَن سِنَّ السَّادسة عشرة، وأصبحَ بحُكم قوانين (الممالِك السَّبع) رجلًا بالغًا، لينفرد بالحُكم بنفسه دون حاجةٍ إلى أوصياء، وفي كلِّ أنحاء (وستروس) انتظرَ اللوردات والعوام على حدٍّ سواء أن يروا أيَّ نوعٍ من الملوك سيكون.

وقتُ الاختبار

تعافي البلاد

عادَ الملك جهيرس تارجاريَن الأوَّل وحده إلى (كينجز لاندنج)، محمولًا على جناحَي تنّينه ڤرميثور، وقبله بثلاثة أيامٍ عادَ خمسة من فُرسان حرسه الملكي لكي يتأكَّدوا أن كلَّ شيءٍ مهيَّأ لوصوله. لم تُرافِقه الملكة أليسين، فمع الإبهام الذي أحاطَ بزواجهما، والعلاقة المشحونة بين الملك وأمِّه الملكة أليسا ولوردات المجلس، عُدَّ من الحكمة أن تبقى أليسين في (دراجونستون) بعض الوقت مع نسوتها الحكيمات ومن تبقَّى من الحرس الملكي.

يُخبِرنا المِايستر الأكبر بنيفر بأن اليوم لم يكن مبشِّرًا، فالسَّماء كانت ملبَّدةً بالغيوم، وتساقطَت زخَّاتٌ متواصلةٌ من المطر حتى انتصفَ النَّهار. انتظرَ بنيفر وباقي أعضاءِ المجلس في باحةِ (القلعة الحمراء) الدَّاخليَّة مرتدين المعاطِف المقلنَسة لتقيهم من المطر، وفي كلِّ مكانٍ آخَر ضمن القلعة انشغلَ الفُرسان والمرافِقون وفتية الاسطبلات والغسَّالات وغيرهم من العاملين بتأدية مهامِّهم اليوميَّة، متوقِّفين من وقتٍ إلى آخَر

للتَّحديق إلى السَّماء. وأخيرًا، عندما سُمِعَ صوت الجناحيْن، ولمحَ أحد الحُرَّاس المتموضِعين فوق الأسوار الشَّرقية منظر حراشف ڤرميثور البرونزيَّة من بعيد، بدأ الهتاف وارتفعَت أصوات التَّهليل عاليةً صاخبةً متجاوزةً أسوار (القلعة الحمراء)، لتتدفَّق نازلةً (تل إجون العالي) وتَعبُر المدينة متوغِّلةً في الأرياف.

لم يهبط چهيرس فورًا، إذ دارَ بتنِّينه فوق المدينة ثلاث مرَّات، وفي كلِّ مرَّةٍ دارَ فيها انخفضَ أكثر، ليمنح كلَّ رجلٍ وصبيٍّ وامرأةٍ حافية القدمين في (كينجز لاندنج) فرصةً للتَّلويح والهتاف والاندهاش، وعندها فقط حطَّ بڤرميثور في الباحة أمام (حصن ميجور)، حيث كان اللوردات في انتظاره.

دوَّن لنا بنيفر التَّالي: «لقد تغيَّر منذ رأيته آخِر مرَّة. الغُلام الذي طارَ من قبل إلى (دراجونستون) رحلَ وحلَّ محلَّه رجلٌ ناضج، وأصبحَ أطول من ذي قبل بعدَّة بوصات، وانتفخَ صدره وذراعاه. كان شعره ينسدِل مسترسلًا على كتفيه، وتوارَت وجنتاه وذقنه خلف لحيةٍ ذهبيَّةٍ رائعة بعد أن كان حليقًا. متحاشيًا جميع الأزياء الملكيَّة، ارتدى چهيرس الجِلد المبقَّع بالملح، زيًّا ملائمًا لرحلات الصَّيد أو الرُّكوب، بلا ملبسٍ يحميه إلَّا سُترة مرصَّعة بالمعدن، لكن في الحزام الذي تمنطقَ به كان يحمل (اللَّهب الأسود)... حُسام جدِّه، سيف الملوك. حتى والسَّيف في غِمده كان مستحيلًا أن تُخطِئه العين وتحسبه سيفًا آخَر. اعترتني رعشةٌ من الخوف حين رأيتُ هذا السَّيف، وعندما استقرَّ التنِّين على الأرض والدُّخان يتصاعد من بين أسنانه، تساءَلتُ في قرارةِ نفسي: *أفي هذا تحذير؟* لقد هربتُ إلى (پنتوس) عندما ماتَ ميجور، خائفًا من المصير الذي سأُلاقيهِ مِن خُلفائه، وللحظةٍ وأنا واقفٌ في ذلك الجوِ الرَّطب تساءَلتُ إن كانت

عودتي حماقةً».

وسُرعان ما بدَّد الملك الشَّاب -الذي لم يعُد صبيًّا- روعَ مِايستره الأكبر. ابتسمَ چهيرس إذ انزلقَ برشاقةٍ من فوق ظهر ڤرميثور، ورُوِيَ عن اللورد تَلي قوله: «بدا كأن الشَّمس اخترقَت حُجب الغيم». انحنى اللوردات أمام الملك، وركعَ العديد منهم، وعبر المدينة بدأت الأجراس تُقرَع احتفالًا. خلعَ چهيرس قفَّازيه ودسَّهما في حزامه، ثم قال: «أيُّها السَّادة، لدينا عملٌ لنقوم به».

شخصٌ بارزٌ لم يكن حاضرًا في السَّاحة لكي يُرحِّب بالملك: والدته الملكة أليسا، وقد وقعَ على عاتق چهيرس السَّعي إليها في (حصن ميجور) حيث عزلَت نفسها. لا أحد يدري ما حدثَ بين الأمِّ وابنها عندما تقابَلا وجهًا لوجهٍ لأوَّل مرَّةٍ منذ المواجهة في (دراجونستون)، وإن بلغَنا أن وجه الملكة كان مُحمرًّا منتفِخًا من النَّحيب عندما ظهرَت بعد قليلٍ متأبِّطةً ذراع الملك. حضرَت الملكة الأرملة، التي لم تعُد وصيَّةً على العرش، وليمة التَّرحيب بالملك في ذلك المساء، وحضَرت أيضًا العديد من فعاليَّات البلاط في الأيَّام التي تلَت، وإن لم يعُد لها مقعد في اجتماعات المجلس. كتبَ المِايستر الأكبر بنيفر: «استمرَّت جلالتها في أداء واجبها تجاه المملكة وابنها، لكنها لم تكن سعيدةً».

بدأ الملك الشَّاب حُكمه بإعادة هيكلة المجلس، فأبقى على بعض الرِّجال واستبدلَ آخَرين لم يُثبِتوا جدارتهم بالأعمال الموكلة إليهم. وافقَ چهيرس على تعيين والدته شقيقها اللورد دمون ڤيلاريون يدًا للملك، وأبقى اللورد كوربراي قائدًا لحرس المدينة، فيما وجَّه الشُّكر للورد تَلي على خدمته ولمَّ شمله بزوجته الليدي لوسيندا وأرسله إلى دياره في (ريفررَن)، وبدلًا منه في منصب قيِّم القوانين سمَّى چهيرس اللورد آلِن

ماسي سيِّد (الحجر الرَّاقص)، الذي كان من أوائل الرِّجال الذين سعوا إليه في (دراجونستون). قبل ثلاثة أعوامٍ فقط كان اللورد ماسي يصوغ سلسلة مِايستر في (القلعة)، عندما أخذت الحُمَّى أخويْه الأكبر والسيِّد والده. أجبرَه عموده الفقري الملتوي على العرج في مشيته، ولكن كما قال في جُملته الشَّهيرة: «لا أعرجُ عندما أقرأ، ولا حين أكتبُ». وبالنِّسبة إلى منصب الأميرال وقيِّمِ السُّفن، لجأ جلالته إلى مانفرد ردواين سيِّد (الكرمة)، الذي أتى إلى البلاط مع أبنائه الصِّغار روبرت وريكارد وريام، الذين كانوا مُرافقين جميعًا، وعلَّم ذلك المرَّة الأولى التي ذهبَت فيها الأميراليَّة إلى شخصٍ لا ينتمي إلى آل ڤيلاريون.

ابتهجَت (كينجز لاندنج) كلُّها عندما أُعلِنَ أن چهيرس عزلَ إدويل سلتيجار أيضًا من منصب أمين النَّقد. قيلَ إن الملك خاطبَه بلُطف، حتى إنه أشادَ بالخدمة المخلصة التي قدَّمتها ابنتاه للملكة أليسين في (دراجونستون)، بل وغالى في مدحهما لدرجة تسميتهما بـ«الكنزيْن». ستبقى البنتان مع الملكة من ذلك الحين فصاعدًا، أمَّا اللورد سلتيجار نفسه فقد ارتحلَ من فوره إلى (جزيرة المخالب)، ورحلَت معه ضرائبه التي أُسقِطَت كلٌّ واحدةٍ منها بمرسومٍ ملكي بعد ثلاثة أيام من بدء عهد الملك الشَّاب.

تبيَّن أن إيجاد رجلٍ مناسبٍ يحلُّ محلَّ اللورد إدويل في أمانة النَّقد ليس بالمهمَّة السَّهلة، وقد حثَّ العديد من المستشارين الملك چهيرس على اختيار الرَّجل المفترض أنه أغنى رجلٍ في (وستروس)، لايمان لانستر، لكنه رفضَ قائلًا: «لا أعلمُ إن كان لدى اللورد لايمان الحلُّ المطلوب، إلا إذا استطاعَ العثور على جبلٍ من الذَّهب تحت (القلعةِ الحمراء)». تطلَّع جلالته بتمعُّن إلى أعمامٍ وأبناء عمومةٍ معيَّنين لدونل هايتاور،

لكون ثروة (البلدة القديمة) مستمدَّةً من التِّجارة لا من الأرض. لكن الولاء الملتبس لدونل المماطل في مواجهته فتنة السِّپتون مون جعلَ الملك يُعيد النَّظر، وفي النِّهاية اتَّخذ چهيرس خيارًا أجرأ كثيرًا، إذ تطلَّع عبر (البحر الضيِّق) لأجل إيجاد الرَّجل الذي أرادَه.

لم يكن ريجو دراز بلوردٍ أو فارس، ولا حتى بماچستر، بل تاجر ومُداول وصيرفي ارتقى من القاع ليُصبح أغنى رجلٍ في (پنتوس)، فقط ليجد نفسه منبوذًا من نُظرائه الپنتوشيِّين ويُحرَم مقعدًا في مجلس الماچسترات بسبب نسبه الوضيع، وإذ سئمَ استحقارهم لبَّى دراز طلب الملك بسرور، ليرحل إلى (وستروس) بعائلته وأصدقائه وثروته الطَّائلة. أطلقَ الملك الشَّاب عليه لقب لورد ليمنحه شرف مساواته بباقي أعضاء المجلس، ولأنه كان لوردًا من دون أراضٍ أو قلعةٍ أو رجال مقسمين له على الولاء، فقد دعاه أحد ظُرفاء القلعة سخريةً بسيِّد الهواء، وهو ما استطرفَه الپنتوشي قائلًا: «لو استطعتُ فرض ضريبةٍ على الهواء لأصبحتُ لوردًا فعليًّا».

صرفَ چهيرس السِّپتون ماثيوس أيضًا، ذلك الحَبر السَّمين الغاضب الذي اشتكى بأعلى صوتٍ من زنى المحارم وزواج الملك. لم يتقبَّل ماثيوس قرارَ صرفه بصدرٍ رحب، وأعلنَ: «ستَنظُر العقيدة بارتيابٍ إلى أيِّ ملكٍ يَحكُم من دون سِپتون إلى جانبه»، فكان ردُّ چهيرس جاهزًا: «لن يكون لدينا نقص في السِّپتونات. سيبقى السِّپتون أوزويك والسِّپتة يزابل معنا، وثمَّة شاب قادم إلينا من (هايجاردن) للعناية بمكتبتنا، اسمه بارث». استنكرَ ماثيوس هذا، معلنًا أن أوزويك أحمق خرِف، ويزابل مجرَّد امرأة، في حين أنه لا يعلم شيئًا بخصوص السِّپتون بارث، فردَّ عليه الملك: «ولا عِلمَ لكَ بالعديد من الأشياء الأخرى». (على الأرجح قيلَ

تعليقُ اللورد ماسي الشهير، أن على الملك أن يستبدل بالسِّپتون ماثيوس ثلاثة سِپتوناتٍ لمعادلة وزنه المفرط، بعدها بفترةٍ قصيرة، بافتراضِ أنه قِيلَ حقًّا). رحلَ ماثيوس إلى (البلدة القديمة) بعد أربعة أيام، ولأنه أسمن من أن يركب حصانًا فقد سافرَ على متن مركبةٍ مطليَّةٍ بالذَّهب، مصحوبًا بستَّة حُرَّاس ودستةٍ من الخدم. تُخبِرنا الأسطورة أن في أثناء عبوره (جسر العلقم) فوق نهر (الماندر)، مرَّ ماثيوس بالسِّپتون بارث العابر في الاتِّجاه الآخَر، وكان بارث وحده راكبًا حمارًا.

امتدَّت تغييرات الملك الشَّاب إلى خارج نطاق النُّبلاء الذين جلَسوا في مجلسه، إذ شن أيضًا حملاتٍ لتنظيف عشراتٍ من المناصب الأخرى الأدنى شأنًا، فغيَّر حافظ المفاتيح، ورئيس وكلاء (القلعة الحمراء) وجميع مُعاونيه، ومسؤول الميناء في (كينجز لاندنج) -وبعدَ حين بقيَّة مسؤولي الموانئ في كلٍّ من (البلدة القديمة) و(بِركة العذارى) و(وادي الغسق)- وأمين دار سكِّ عُملة الملك، وعدالة الملك، وقيِّم السِّلاح، وقيِّم أوجرة الكلاب، وقيِّم الخيول، وحتى صائدي الفِئران داخل القلعة. أمرَ الملك أيضًا بتنظيف الزَّنازين تحت (القلعة الحمراء) وإخلائها، وبأن يَخرُج جميع السُّجناء في الزَّنازين السَّوداء لكي يروا الشَّمس ويغتسِلوا ويُسمَح لهم بالمناشَدة للعفو عنهم، فقد خشيَ أن يكون منهم رجال أبرياء سجنَهم عمُّه (وقد ثبتَت صحَّة مخاوف چهيرس للأسف، ولو أن كثيرين من هؤلاء السُّجناء جُنُّوا بعد قضائهم سنواتٍ في الظُّلمات، ولهذا لم يُمكن إطلاق سراحهم).

فقط عندما تمَّ كلُّ هذا وحازَ رضا الملك، وشغلَ رجاله الجُدد مناصبهم، أعطى چهيرس التَّعليمات للمِايستر الأكبر بنيفر بإرسال غُدافٍ إلى (ستورمز إند)، ليستدعي اللورد روجار باراثيون للرُّجوع إلى

المدينة.

تسبَّبَ وصول رِسالة الملك في خلافٍ بين اللورد روجار وأشقّائه. اتَّضح أن السير بوريس، الذي غالبًا ما عُدَّ الأشدَّ تقلُّبًا وعدوانيَّةً بين إخوته، كان الأكثر رزانةً بينهم في هذه المسألة، إذ قال: «سيقطع الصَّبي رأسك إذا فعلت ما يأمُرك به. اذهب إلى (الجِدار). سيقبلك حرس اللَّيل». وبالمقابل حثَّه جارون ورونال، أخواه الأصغر سِنًّا، على العصيان بدلًا من الخُضوع، وقالا إن (ستورمز إند) من أقوى القلاع في البلاد، وإذا أرادَ چهيرس أن يقطع رأسه فليأتِ ويأخُذه. ردَّ عليهما اللورد روجار بالضَّحك، وقال: «قلعة قويَّة؟ (هارنهال) كانت قلعةً قويَّةً. لا، سأرى چهيرس أوَّلًا وأفسِّرُ له أفعالي، وبعدها سأرتدي الأسود إن أردتُ، فلن يأبى چهيرس عليَّ ذلك». وفي صباحِ اليوم التَّالي غادر اللورد روجار إلى (كينجز لاندنج)، يرافقه ستَّة من أقدم فُرسانه، رجال عرفوه منذ طُفولته.

استقبلَه الملك وهو جالسٌ على العرش الحديدي معتمرًا تاجَه. كان لوردات المجلس حاضرين، والسير چوفري دوجت والسير لورِنس روكستون فارسا الحرس الملكي واقفيْن عند قاعِدة العرش مرتديَيْن معطفيهما الأبيضيْن ودرعيْهما المطليَّتيْن بالمينا، ولكن عدا هؤلاء كانت قاعة العرش فارغةً. يُخبِرنا المِايستر الأكبر بنيفر أن خُطوات اللورد روجار أحدثَت صدى فيما قطعَ المسافة الطَّويلة بين الأبواب والعرش، وكتبَ: «كانت كبرياء حضرة اللورد معلومةً للملك، ولم يرغَب جلالته بالمغالاة في جرحها بإجباره على إذلال نفسه أمام البلاط بأكمله».

ومع ذلك فقد أذلَّ نفسه. جثا سيِّد (ستورمز إند) على رُكبةٍ واحدة، وحنى رأسه ووضعَ سيفه عند قاعدة العرش، وبدأ بالحديث قائلًا: «يا

جلالة الملك، لقد جئتُ كما أمرتَني، فافعل بي ما يحلو لك. أطلبُ منك فقط أن تُبقي على حياة إخوتي وآل باراثيون. كلُّ ما فعلتُه فعلتُه...».

رفعَ چهيرس يده ليُسكِت اللورد روجار قبل أن يتفوَّهَ بالمزيد، وقال: «... من أجلِ صالِح البلاد كما رأيته. أعرفُ ما فعلته، وما قُلته، وما خطَّطت لفعله، وأصدِّقك إذ تقول إنك لم تنوِ إيذائي أو إيذاء ملكتي... وأنتَ لستَ على خطأ، فكنتُ لأُصبح مِايسترًا عظيمًا حقًّا، لكني آملُ أن أكون ملكًا أعظم. يقول البعض إننا عدوَّان الآن، لكني أوثِرُ أن أعدَّنا صديقيْن اختلَفا. عندما التجَأت إليك والدتي سعيًا للمأوى آويتنا، مع أنها كانت مخاطرةً كبيرةً على نفسك. كان باستطاعتك بسهولةٍ أن تُقيِّدنا بالسَّلاسل وتُهدينا إلى عمِّي، وبدلًا من ذلك تعهَّدت لي بسيفك واستدعيت راياتك. لم أنسَ ذلك».

واصلَ چهيرس حديثه: «الكلام هواء. يا حضرة اللورد... يا صديقي العزيز... لقد تحدَّثت عن الخيانة لكنك لم ترتكِبها، ورغبت في إبطال زواجي لكنك لم تستطِع، واقترحت أن تُزيحني وتضع الأميرة إيريا على العرش الحديدي ولكن هأنذا جالسٌ عليه. صحيحٌ أنك أرسلت أخاك ليأخُذ ابنة أختي رِايلا من المعتكَف... ولكن لأيِّ غاية؟ ربما انتويت أن تجعلها ربيبتك لا أكثر، بما أنك بلا أولادٍ من صُلبك».

وأضاف چهيرس: «أفعال الخيانة تستحقُّ العقاب، أمَّا الأقوال الحمقاء فمسألةٌ أخرى. إذا كُنتَ راغبًا حقًّا في الذَّهاب إلى (الجِدار) فلن أمنعك، فحرس اللَّيل بحاجةٍ إلى رجال أقوياء مثلك، لكني أوثِرُ أن تبقى هنا في خدمتي. البلاد بأَسرها تعلم أن لولاك لما جلستُ على العرش الحديدي، وأنا ما زلتُ بحاجةٍ إليك، البلاد بحاجةٍ إليك. عندما ماتَ إجون التنِّين واعتمرَ أبي التَّاج من بعده، أحيطَ من كلِّ جانب

بالملوك المدَّعين واللوردات المتمرِّدين، وقد يقع لي الشَّيء نفسه، وللسَّبب عينه... ليختبروا عزمي وإرادتي وقوَّتي. تعتقد والدتي أن جميع المتديِّنين في أنحاء المملكة سينتفضون ضدِّي حين يُصبِح زواجي معلومًا للجميع، وقد تقوم هذه الانتفاضة حقًّا، ولكي أواجه هذه الاختبارات أحتاجُ حولي إلى رجال صالحين، مُحاربين مستعدِّين للقتال والموت من أجلي... ومن أجل ملكتي إذا لزمَ الأمر. أأنت من هؤلاء الرِّجال؟».

رفعَ اللورد روجار عينيْه مشدوهًا من كلام الملك، وقال بصوتٍ مفعم بالعاطفة: «أنا رجلك يا جلالة الملك».

قال الملك جهيرس: «إذًا أعفو عنك في ما ارتكبته من إساءات، ولكن بشروطٍ مُعيَّنة»، وازدادَت نبرته صرامةً إذ تلا تلك الشُّروط: «لن تتفوَّه بكلمةٍ أخرى ضدِّي أو ضدَّ ملكتي، ومن اليومِ فَصاعدًا ستُصبِح نصيرها الأكبر ولن تسمح لأحدٍ بالطَّعن بها في حضرتك. علاوةً على ذلك، لا ولن أرضى بأن تُعامَل والدتي بغير احترام. ستعود معك إلى (ستورمز إند)، وهناك ستعيشان زوجًا وزوجةً مجدَّدًا، وستُريها التَّوقير والكياسة قولًا وفعلًا. هل يُمكنك التِزام هذه الشُّروط؟».

قال اللورد روجار: «بكلِّ سرور. هل لي أن أسأل... ماذا عن أورن؟».

جعلَ سؤاله الملك يتردَّد، ثم قال جهيرس: «سآمرُ اللورد هايتاور بإطلاق سراح أخيك السير أورن والرِّجال الذين ذهبوا مَعه إلى (البلدة القديمة)، ولكن لا يُمكنني أن أسمحَ لهم بأن يذهبوا دون عقاب. إذا أرسلتُهم إلى (الجِدار) فسيبقونَ هناك إلى الأبد، لذا سأحكم عليهم بدلًا من ذلك بقضاء عشرة أعوام في المنفى. يُمكنهم أن يعملوا مُرتزِقةً في (أراضي النِّزاع)، أو يُبحِروا إلى (كارث) ويُكوِّنوا ثرواتهم هناك، لا يهمُّني... إذا نجوا ولم يرتكبوا أيَّ جرائم أخرى، فبعد عشرة أعوام

باستطاعتهم العودة إلى الوطن. أنحن على وفاق؟».

ردَّ اللورد روجار: «أجل، نحن على وِفاق. أنت أكثر من مُنصف يا جلالة الملك»، ثم سألَ إن كان الملك يتطلَّب منه رهائن لكي يضمن ولاءه المستقبلي، وأشارَ إلى أن لثلاثةٍ من إخوته أولادًا صغارًا يُمكن إرسالهم إلى البلاط.

وإجابةً عن سؤالِه، نزلَ الملك چهيرس من فوق العرش الحديدي وقال للورد روجار أن يتبعَه. قادَ الملك معاليه من القاعة إلى الجناحِ الدَّاخلي الذي يُطعَم فيه ڤرميثور. كان ثورٌ قد ذُبِحَ من أجلِ وجبته الصَّباحيَّة، وأُلقِيَ على الأحجار مُتفحِّمًا يتصاعدُ منه الدُّخان، فالتَّنانين تحرق اللَّحم قبل التهامه دومًا. كان ڤرميثور يفترِس الجُثَّة مُمزِّقًا قطعًا كبيرةً من اللَّحم مع كلِّ قضمة، لكن عندما اقتربَ الملك وبجانبه اللورد روجار، رفعَ التنِّين رأسه وحدَّق إليهما بعينين كبِركتيْن من البرونز المصهور، وقال چهيرس وهو يحكُّ دودة النَّار العظيمة تحت الفكِّ: «حجمه يكبر كلَّ يوم. احتفِظ بأبناء إخوتك وبناتهم يا سيِّدي. لماذا عساي أحتاجُ إلى رهائِن؟ إن لديَّ كلِمتك، وهذا كلُّ ما أطلبه». على أن المِايستر الأكبر بنيفر سمِعَ ما لم يقله الملك، ودوَّن: «قال الملك من دون كلام: *ما دمتُ أمتطيه، فكلُّ رجلٍ وامرأةٍ وطفلٍ في (أراضي العواصف) رهينة عندي*، وسمعَ اللورد روجار هذا بوضوح».

هكذا تمَّ الصُّلح بين الملك الشَّاب ويده السَّابِق، وأُبرِمَ ليلتها بوليمةٍ في القاعة الكُبرى، حيث جلسَ اللورد روجار بجانب الملكة أليسا وقد عادا زوجًا وزوجةً من جديد، ورفعَ نخبًا في صحَّة الملكة أليسين، يتعهَّد به لها بحُبِّه وولائه أمام جميع اللوردات والليديهات المجتمعين. حين غادرَ اللورد روجار عائدًا إلى (ستورمز إند) بعد أربعة أيام، ذهبَت معه الملكة أليسا،

ورافقَهما السير بايت ذو القضيب الخشبي ومئة رجلٍ مسلَّح لضمان سلامتهما في أثناء عبور (غابة الملوك).[12]

في (كينجز لاندنج) بدأ عهد چهيرس تارجاريَن الأوَّل الطَّويل بدايةً جادَّةً. واجهَ الملك الشَّاب العديد من المشكلات عندما تقلَّد حُكم (الممالِك السَّبع)، وإن برزَت اثنتان منها أكبر من البقيَّة: الخزانة الفارغة ودَين التَّاج المتزايد، وزواجه «السرِّي» الذي يقلُّ سرِّيَّةً مع مرور الأيام. كلتا المسالتين كانت كجرَّةٍ من النَّار الشَّعواء موضوعة فوق جمرٍ ساخن تنتظر الانفجار، وكان يجب التَّعامل معهما وبسُرعة.

حلَّ معضلةَ الحاجة الماسَّة إلى الذَّهب أمينُ النَّقد الجديد ريجو دراز، الذي التجأ إلى مصرف (براقوس) الحديدي ومنافسيه في (تايروش) و(مير)، ليس لترتيب قرضٍ واحد، بل ثلاثة قُروضٍ ضخمة. عن طريق التَّلاعُب بكُلِّ مصرفٍ ووضعه ضدَّ المصارف الأخرى، فاوضَ سيِّد الهواء للحصول على أفضل شروطٍ مأمولة، وكان لتأمين القروض تأثير فوري، فأصبحَ استئناف العمل على (جُب التَّنانين) ممكنًا، ومن جديدٍ احتشدَ جيشٌ صغير من البنَّائين والحجَّارين فوق (تل رينس).

على أن اللورد ريجو ومليكُه أدرَكا أن هذه القروض ليست أكثر من إجراءٍ مؤقَّت في أفضلِ الأحوال. ربما يُمكِنها إبطاء النَّزيف، لكنها لن

12 – لم يعُد السير أورن باراثيون إلى (وستروس) قَطُّ. مع الرِّجال الذين صحبوه إلى (البلدة القديمة)، أبحرَ إلى مدينة (تايروش) الحُرَّة، حيث دخلَ في خدمة الأركون الحاكِم. بعد مرور سنةٍ تزوَّج ابنة الأركون، الفتاة ذاتها التي أملَ أخوه أن يُزوِّجها الملك چهيرس على سبيل تأمين تحالفٍ بين العرش الحديدي والمدينة الحُرَّة. كانت فتاةً عامرة الصَّدر ذات شعرٍ أخضر مائلٍ للزُّرقة وطبيعةٍ فاتنةٍ جذَّابة، وسرعان ما أنجبتَ له بنتًا، ولو أن البعض شكَّك في كون الفتاة ابنته حقًّا، لأنها -كالعديد من النِّساء في المدُن الحُرَّة- كانت مُنفتِحةً مع طالبي وصالها. حين انتهت مدَّة حُكمِ والدها في منصب الأركون، خسرَ السير أورن منزِلَته أيضًا، وأُرغِمَ على مُغادرة (تايروش) إلى (مير)، حيث انضمَّ إلى رجال العذراء، وهي جماعة مرتزقة حُرَّة ذات سُمعةٍ بغيضة، ليُقتَل بعد ذلك بفترةٍ قصيرة في (أراضي النِّزاع) خلال معركةٍ ضد جماعة أُولي البأس، ولا علم لنا بمصير زوجته التايروشيَّة وابنته. (المؤلِّف).

تسدَّ الجرح تمامًا، فوحدُها الضَّرائب قادرة على ذلك. لم تكن ضرائب اللورد سلتيجار لتَصلُح، ولم يعبأ چهيرس برفع رسوم الموانئ أو استنزاف أموال أصحاب الخانات، أو يرغب في مطالبة لوردات المملكة بالذَّهب على غرار ميجور. اطلُب الكثير من الذَّهب وسينتفِض اللوردات ضدَّك، وهكذا أعلنَ الملك: «لا شيء يُكلِّف أكثر من إخمادِ التَّمرُّدات». سيدفع اللوردات، ولكن برغبتهم، وسيفرِض هو الضَّرائب على الأشياء التي يُريدونها، الأشياء الفاخرة المكلِّفة القادمة عبرَ البحر. هكذا فُرِضَت ضرائب على الحرير والسَّميت وقماش الذَّهب وقماش الفضَّة، والأحجار الكريمة والمنسوجات وشرائِط الزِّينة المايريَّة، والخمور الدورنيَّة -ولكن ليس خمور (الكرمة)- وجِيادِ (دورن) الرَّملية، والخوذات المذهَّبة والدُّروع المزخرَفة من إبداعات حِرفيِّي (تايروش) و(لِيس) و(پنتوس)، أمَّا أعلى الضَّرائب ففُرِضَ على التَّوابِل كالفُلفل والقرنفل والزَّعفران وجوز الطِّيب والقرفة، وكلِّ التَّوابل النَّادرة الأخرى الواردة من وراء (بوَّابات اليشب)، التي كانت أثمن من الذَّهب بالفعل وغدَت أعلى كُلفةً. قال اللورد ريجو مازحًا: «إننا نفرِضُ الضَّرائب على كلِّ الأشياء التي جعلتني ثريًّا».

وفسَّر چهيرس لمجلسه الصَّغير: «لا يُمكن لأيِّ رجل أن يدَّعي أنه تعرَّض للظُّلم بسبب هذه الضَّرائب. لكي يتَجنبها فما عليه إلَّا أن يتخلَّى عن الفُلفل والحرير واللُّؤلؤ، ولن يكون عليه وقتها أن يدفع ولو جروتًا[13] واحدًا. لكن مَن يُريدون هذه الأشياء يشتهونها للغاية، فكيف يتباهون بقوَّتهم ويُظهرون للعالم كم هُم أغنياء؟ قد ينعقون حنقًا، لكنهم سيدفعون».

لم تقتصِر الضرائب على التَّوابل والحرير. وضعَ الملك چهيرس أيضًا قانونًا جديدًا بشأن الشُّرَّافات، صارَ بموجبه على أيِّ لورد يرغب في

13- الجروت: عُملة كانت متداولةً قديمًا في إنجلترا وأيرلندا وسكوتلندا، ويُساوي أربعة بنسات. (المترجمون).

بناء قلعةٍ جديدة، أو يوسِّع مقرَّه الحالي ويُصلِحه، أن يدفع مبلغًا باهظًا من أجلِ ذلك الامتياز. أصابَ فرض هذه الضَّريبة الجديدة عصفورَيْن بحجرٍ واحد، كما شرحَ جلالته للمِايستر الأكبر بنيفر: «كلَّما أصبحَت القلعةُ أكبر وأقوى، سوَّلت لسيِّدها نفسه أن يتحدَّاني. كنت لتحسبهم تعلَّموا من هارن الأسود، لكن العديد منهم لا يعلمون شيئًا عن التَّاريخ. ستُثنيهم هذه الضَّريبة عن البناء، أمَّا مَن عليهم البناء بصرف النَّظر عن التَّكاليف فسيُفرِغون خزائنهم فيما يملؤون خزانتنا».

وبعدما فعلَ كلَّ ما يستطيع ليُعالِج ضوائق التَّاج الماليَّة، وجَّه جلالته اهتمامه إلى المسألة الكبيرة الأخرى التي تُواجِهه. بعد طول انتظار أرسلَ الملك يستدعي ملكته، وغادرَت أليسين تارجاريَن وتنِّينتها سيلڤروينج (دراجونستون) بعد ساعةٍ من وصول الاستدعاء، بعد بقائها بعيدةً عن الملك لما قاربَ نصف العام، وتبعها أهل بيتها على متن سفينة. في ذلك الوقت، حتى الشحَّاذون العُمي في أزقَّة (جُحر البراغيث) كانوا قد علموا أن چهيرس وأليسين تزوَّجا، ولكن مراعاةً للكياسة نامَ الملك والملكة منفصلَيْن لدورة قمرٍ كاملة، فيما جرَت التَّجهيزات من أجل زفافهما الثَّاني.

لم يكن الملك ميَّالًا إلى إنفاق المزيد من الأموال التي ليست بحوزته على زفافٍ ذهبيٍّ آخَر. كان ذلك الحدث مبهرًا وشهيرًا، شهدَ فيه أربعون ألف شخصٍ والدته تزَفُّ إلى اللورد روجار، أمَّا هذه المرَّة فقد أتى ألف شخصٍ فقط إلى (القلعة الحمراء) لكي يروا چهيرس يتَّخذ أخته أليسين زوجةً له ثانيةً، وهذه المرَّة كان السِّپتون بارث هو الذي أعلنَهما زوجًا وزوجةً عند قدم العرش الحديدي. كان اللورد روجار والملكة الأرملة أليسا ضمن الواقفينَ شهودًا على الحدث، بالإضافة إلى جارون ورونال

أخوَي اللورد روجار، بعد أن شقُّوا طريقهم عائدين من (ستورمز إند) لحضور المراسم. على أن ضيفًا آخَر أثارَ أكثر اللَّغط يومها، فقد جاءَت رِاينا تارجاريَن، الملكة في الغرب، محمولةً على جناحَي دريمفاير لتشهد زواج أختها وأخيها... ولتزور ابنتها إيريا أيضًا.

بعدَ اختتام الطُّقوس دُقَّت الأجراس في جميع أنحاءِ المدينة، وحلَّقَ سربٌ من الغِدفان إلى كلِّ ركنٍ من المملكة لإعلان «هذا القران السَّعيد». اختلفَ زفافُ الملك الثَّاني عن الأوَّل في حيثيَّةٍ أخرى بالغة الأهميَّة: أنه أُتبِعَ بالإضْجاع. ستُعلِن الملكة أليسين في لاحقِ السَّنوات أنها هي التي أصرَّت على ذلك، إذ كانت جاهزةً لفقدان عُذريَّتها، وما كانت تُريد المزيد من الأسئلة عن كونها متزوِّجةً «حقًّا». كان اللورد روجار نفسه يهدر ثمِلًا وهو يقود الرِّجال الذين خلعوا ملابس الملكة وحملوها إلى سرير الزِّفاف، فيما كانت رفيقات الملكة جنيس تمپلتون وروزاموند بول ويرودنس ويرونلا سلتيجار بين مَن احتفَين بالملك بالطَّريقة نفسها. هناك، فوق سريرٍ مُظلَّل في (حصن ميجور) داخل (القلعة الحمراء) بـ(كينجز لاندنج)، اكتملَت بعد طولِ انتظار زيجة چهيرس تارجاريَن بأخته أليسين، ليضعا الختم على زواجٍ سيستمرُّ ما عاشا على مرأى من الآلهة والبشر.

مع بلوغ التَّكتُّم نهايته أخيرًا، انتظرَ الملك والبلاط ليروا كيف سيكون جواب المملكة. كان چهيرس قد استنتجَ أن المعارضة الشَّرسة التي قابلَت زواج أخيه إجون كان لها أسبابٌ عدَّة. حطَّم اتِّخاذ عمِّهم ميجور زوجةً ثانيةً في عام 32 بعد الفتح، في تحدٍّ للسِّپتون الأعلى وأخيه الملك إينس، التَّفاهم الحسَّاس بين العرش الحديدي و(السِّپت النَّجمي)، لذا فقد نُظِرَ إلى زواج إجون ورِاينا على أنه انتهاك آخَر، وقد سعَّر الشَّجب

والاستِنكار اللذان استدعاهما هذا النَّار عبر البلاد، وحملَت جماعتا النُّجوم والسُّيوف المشاعل، ومعهما عشرات اللوردات المتديِّنين الذين خافوا الآلهة أكثر من ملكهم. لم يكن الأمير إجون والأميرة رِاينا معروفيْن بين النَّاس إلَّا قليلًا، وبدآ جولاتهما بلا تنانين (ويرجع السَّبب الأكبر لذلك إلى أن إجون لم يكن راكب تنِّينٍ بعدُ)، وهو ما جعلَهما عُرضةً لخطر الحشودِ التي انبثقَت لتُهاجِمهما في (أراضي النَّهر).

لم ينطبِق أيٌّ من هذه الظُّروف على چهيرس وأليسين. لم تَصدُر إدانات من (السِّپت النَّجمي)، ففي حين ظلَّ غضب بعض أفراد مجلس القانِتين متأجِّجًا من تقليد زواج الإخوة عند آل تارجاريَن، كان السِّپتون الأعلى الحالي، الذي سمَّاه السِّپتون مون بالمتملِّق الأعلى، مطواعًا حذِرًا، غير ميَّالٍ إلى إيقاظ التَّنانين النَّائمة. كانت جماعتا السُّيوف والنُّجوم قد حُلَّتا وحُظِرَتا، إلَّا على (الجِدار) حيث ارتدى ألفان من الصَّعاليك السَّابقين معاطِف حرس اللَّيل السَّوداء، وكانت لديهم الأعداد الكافية لإثارة المتاعب إن أرادوا. ولم يكن الملك چهيرس ليُكرِّر خطأ أخيه، إذ انتوى أن يزور هو ومِلِكته الأراضي التي يحكمانها، لمعرفة احتياجاتها من كثَب ومقابلة لورداته وتقييم كُلٍّ منهم، وليمنَحا الفُرصة للعوام لرؤيتهما ويسمعا مآسيهما بدورهما... ولكن أينما ذهبا، سيكونُ ذلك بتنِّينيْهما.

لكلِّ هذه الأسباب آمنَ چهيرس بأن المملكة ستتقبَّل زواجه... لكنه لم يكن رجلًا يثق بالصُّدف، إذ قال لمجلسه: «الكلام هواء، لكن الهواء يمكنه إذكاء النَّار. والدِي وعمِّي كافَحا الكلام بالفولاذِ واللَّهب، أمَّا نحن فسنُكافِح الكلام بالكلام ونُخمِد الحرائق قبل أن تندلع». وبذا لم يُرسِل جلالته فرسانًا أو رِجالا مُسلَّحين، بل دُعاة أوصاهم بقوله: «أخبِروا كلَّ مَن تلتقونهم عن طيبة أليسين وطبيعتها الحُلوة اللَّطيفة،

وحُبِّها لجميع النَّاس في مملكتنا، نُبلاءً كانوا أم بُسطاء».

سبعةٌ خرجوا حسبَ أمره، ثلاثة رجال ونسوة أربع، وبدلًا من الفؤوس والسُّيوف تسلَّحوا بذكائهم وشجاعتهم وألسنتهم، وسيُحكى عديدٌ من الحكايات عن رحلاتهم ومآثرهم التي ستُصبِح أسطوريَّة (وتتنامى باطِّرادٍ مع الزمن، كما هي الحال مع الأساطير). واحدةٌ فقط من الخُطباء السَّبعة كانت معروفةً لعامَّة شعب المملكة عندما شرَعوا في رحلتهم، ولم تكن غير الملكة إلينور نفسها، عروس ميجور السَّوداء التي وجَدته ميتًا على العرش الحديدي. مرتديةً ملابسها الملكيَّة التي بلَت واهترأت مع مرور الأيام، سترتحِل إلينور سليلة عائلة كوستاين عبرَ (المرعى) لتُعطي شهادةً بليغةً عن شرِّ زوجها الملك الرَّاحل وطيبة خليفته، وفي سنواتٍ لاحقة ستتنازل عن كلِّ ما يتعلَّق بطبقتها النَّبيلة وتنضمُّ إلى العقيدة، لترتقي في نهاية المطاف وتُصبِح الأُم إلينور في المعتكَف العظيم بـ(لانسپورت).

بمرور الزَّمن ستُصبح أسماء الستَّة الآخَرين الذين ذهبوا للتَّحدُّث نيابةً عن جهيرس قريبةً من اسم الملكة إلينور في الشُّهرة. ثلاثة منهم كانوا سِپتونات شُبَّانًا: السِّپتون الحاذق بالدريك، والسِّپتون العلَّامة رولو، والسِّپتون المسن الشَّرس آلفين، الذي فقدَ ساقيْه قبل سنواتٍ وحُمِلَ على نقَّالةٍ في كلِّ مكان. ولم تكن النِّساء اللاتي اختارهن الملك الشَّاب أقلَّ استثنائيَّةً، فقد كسبَت الملكة أليسين السِّپتة يزابل في أثناء خدمتها بـ(دراجونستون)، فيما اشتهرت السِّپتة ڤيولانتي صغيرة الحجم بمهاراتها في العلاج، ويُقال إنها كانت تصنع المعجزات أينما ذهبَت، ومن (الوادي) جاءَت الأُم ماريس التي علَّمت أجيالًا من الفتيات اليتيمات في معتكَفٍ على جزيرةٍ في ميناء (بلدة النَّوارس).

تكلَّم الخُطباء السَّبعة في رحلاتهم في أنحاء البلاد عن الملكة أليسين،

عن تقواها وكرمها وحُبِّها لأخيها الملك... لكن لأولئك السِّپتونات والإخوة الشحَّاذين والفُرسان واللوردات المتديِّنين الذين تحدُّوهم مستشهدين بنصوصٍ من (النَّجمة السُّباعيَّة) أو مواعظ السِّپتونات الأعلون السَّابقين، كانت لديهم إجابةٌ جاهزة، إجابةٌ صاغَها چهيرس بنفسه في (كينجز لاندنج)، وساعدَه في صياغتها ببراعةٍ السِّپتون أوزويك، (وخاصَّةً) السِّپتون بارث. في سنواتٍ لاحقة سيُطلِق عليها (السِّپتُ النَّجمي) و(القلعة) على حدٍّ سواء اسم «مذهب الاستثنائيَّة».

كان مبدأ المذهب الأساسيُّ بسيطًا. وُلِدَت ديانة (السَّبعة) في تلال (أندالوس) قديمًا، وعبرَت (البحر الضيِّق) مع الأنداليِّين، وتنصُّ قوانينها، كما هو واردٌ في النَّص المقدَّس ويُدرِّسه مطيعو أبي المؤمنين من السِّپتونات والسِّپتوات، على تحريم جِماع الأخ أخته، أو الأب ابنته، أو الأمِّ ابنها، وعلى أن ثمار قرانٍ كهذا فاحشة ورِجس في نظر الآلهة. كلُّ هذا أكَّده مذهب الاستثنائيَّة، ولكن مع هذا التَّنبيه: *آل تارجارَين حالة مختلفة*، ذلك أن جذورهم لا تعود إلى (أندالوس) بل (ڤاليريا القديمة)، حيث سادَت قوانينٌ وعاداتٌ مُختلفة. ما كان على أيِّ أحدٍ إلَّا التَّطلُّع إليهم ليعرف أنهم مختلفون؛ أعينُهم وشعرهم وسُلوكهم، كلُّها أشياء تؤكِّد اختلافهم. *كما أنهم يُحلِّقون بالتَّنانين.* هُم وحدهم دونًا عن العالمين كانت لديهم القُدرة على ترويض تلك الوحوش الرَّهيبة منذ حلَّ الهلاك على (ڤاليريا).

أعلنَ السِّپتون آلفين من فوق حمَّالته: «إلهٌ واحِد خلقَنا جميعًا، من أنداليِّين وڤاليريِّين وبشرٍ أوائل، لكنه لم يجعلنا جميعًا واحدًا. وخلقَ الأسد والثَّور أيضًا، وكلاهما وحشٌ مهيب، لكن بعض العطايا مُنِحَ لأحدهما دون الآخَر، ولا يستطيع اللَّيث أن يعيش كالثَّور، ولا الثَّور كاللَّيث.

زواجك بأختك سيكون خطيئةً جسيمةً أيها الفارس... لكنك، مثلي تمامًا، لست من دمِ التنّين. ما يفعلونه الآن هو عينُ ما فعلوه دائمًا، وليس من حقِّنا أن نحكُم عليهم».

تُخبِرنا الأسطورة أن في إحدى القُرى الصَّغيرة تواجهَ السِّپتون بالدريك سريع البديهة وفارس متجوِّل ضخم الجُثَّة كان في السَّابق من جماعة الصَّعاليك، قال له: «حسن، وإذا أردتُ أن أنكح أختي أيضًا، فهل ستمنحني إذنك؟»، فابتسمَ السِّپتون وردَّ: «اذهب إلى (دراجونستون) وخُذ لنفسك تنِّينًا. إذا استطعتَ ذلك أيها الفارس فسأزوِّجك أختك بنفسي».

لدينا هنا مأزق على كلِّ طالب تاريخٍ مواجهته. عندما نَنظُر إلى الأشياء التي حدثَت في السَّنوات الماضية يمكننا أن نقول إن هذا وذلك وذاك كانوا السَّبب في حدوث ما حدثَ. أمَّا عند النَّظر إلى الأشياء التي لم تحدُث فلا نملك غير التَّخمين. نعلم أن البلاد لم تنتفِض ضدَّ الملك چهيرس والملكة أليسين في عام 51 بعد الفتح كما انتفضَت ضدَّ إجون ورِاينا قبلها بعشر سنين، لكن السَّبب في ذلك أمرٌ أقلُّ يقينًا. كان صمت السِّپتون الأعلى صارخًا لا شكَّ، واللوردات والعامَّة على حدٍّ سواء سئموا الحرب... لكن إن كان للكلام قوَّة، هواءً كان أم لا، فمن المؤكَّد أن الخُطباء السَّبعة لعبوا دورًا أيضًا.

رغم أن الملك كان سعيدًا بملكته، والبلاد سعيدةً بزواجهما، لم يُخطئ چهيرس عندما توقَّع أنه سيُواجِه وقت اختبار. بعد إعادة تشكيل المجلس، ومصالحة اللورد روجار والملكة أليسا، وفرض ضرائب جديدة لإعادة ملء خزانة التَّاج، واجهَه ما اتَّضح أنه أصعب مشكلةٍ قابلَته حتى ذلك الحين، ألا وهي شقيقته رِاينا.

منذ تركها لايمان لانستر و(كاسترلي رُوك)، ذهبَت رِاينا تارجاريَن وأفراد بلاطها المرتحِل في نوعٍ من الجولات الملكيَّة الخاصَّة بهم، فزاروا آل ماربراند أولاد (آشمارك)، وآل راين أولاد (كاستامير)، وآل ليفورد أولاد (النَّاب الذَّهبي)، وآل ڤانس أولاد (استراحة عابري السَّبيل)، وأخيرًا آل پايپر أولاد (قلعة العذراء الورديَّة). أينما اتَّجهت ظهرَت المشكلات ذاتها، وقد أخبرَت أخاها حين التقَته بعد زفافه: «كانوا ودودين جميعًا في البداية، لكن الوُدَّ لا يدوم. كنتُ إمَّا غير مرغوبةٍ وإمَّا مرغوبةً أكثر من اللَّازم. يتذمَّرون من تكلِفة استضافتي أنا ومَن معي، لكن دريمفاير هي التي تُغريهم. بعضهم يخافُها، وأكثرهم يرغب فيها، والرَّاغبون فيها

يُقلِقونني أكثر. إنهم يشتهون أن تكون لهم تنانينهم، وذلك لن أمنحهم إيَّاه، ولكن أين أذهبُ؟».

ليقترح عليها الملك: «هنا. عودي إلى البلاط».

- «وأعيشُ في ظلِّك إلى الأبد؟ أريدُ مقرًّا خاصًّا بي، مكانًا حيث لا يُمكن لأيّ لوردٍ تهديدي أو طردي أو إزعاج الذين تحت حِمايتي. أنا بحاجةٍ إلى أراضٍ، إلى رِجال، إلى قلعة».

قال الملك: «يمكننا أن نجد لكِ الأراضي ونبني لكِ قلعةً».

ردَّت رِاينا: «كلُّ الأراضي مأخوذ وكلُّ القلاع مشغول، ولكن توجد قلعة حقُّ مُطالَبتي بها أقوى مِن حقِّك يا أخي. أنا من دمِ التنّين. أريدُ مقرَّ أبي، المكان الذي وُلِدتُ فيه. أريدُ (دراجونستون)».

لم يكُن لدى الملك جوابٌ على هذا، فاكتفى بوعدِ رِاينا بأخذِ الأمر بعينِ الاعتبار. عندما طرحَ عليهم المسألة، اتَّحد أعضاء مجلسه في معارضتهم التَّنازُل عن مقرِّ أسلاف آل تارجاريَن للملكة المترمّلة، وإن لم يكُن لدى أحدٍ منهم حلٌّ أفضل يُقدِّمه.

بعد التفكير في الأمر التقى جلالته أخته مرَّةً أخرى، وأخبرَها: «سأمنحُكِ (دراجونستون) مقرًّا لكِ، فلا مكان أليق منها بدمِ التنّين. لكنكِ ستحظينَ بالجزيرة والقلعة عطيَّةً مني لا لحقِّكِ فيهما. لقد جعلَ جدُّنا سبع ممالك مملكة واحدةً بالنَّار والدَّم، ولا يمكنني ولن أسمحَ بجعلها اثنتين باقتطاع مملكة منفصلة من أجلكِ. إنكِ مِلكة مُجاملةً فقط، لكنني الملك، وسُلطتي تمتدُّ من (البلدة القديمة) إلى (الجِدار)... و(دراجونستون) كذلك. هل تُشاطرينَني الرَّأي في هذا يا أختاه؟».

ردَّت رِاينا: «أأنتَ غيرُ واثقٍ بذلك المقعد الحديدي لدرجة أن

عليك إجبار لحمك ودِك على الرّكوع لك يا أخي؟ ليكُن. أعطني (دراجونستون) وشيئًا آخَر إضافيًّا، ولن أُزعجكَ ثانيةً».

سألَ چهيرس: «شيئًا آخَر؟».

- «إيريا. أريدُ أن تعودَ ابنتي إليَّ».

قال الملك: «لكِ هذا»... وربما قالها على عجل، إذ يجب أن نتذكَّر أن الفتاة إيريا تارجاريَن ذات الثمانية أعوام كانت خليفته المعترَف بها والوريثة المحتمَلة للعرش الحديدي. لكن عواقب هذا القرار لن تُعلَم قبل سنوات، أمَّا في الوقت الحالي، وبضربةٍ واحدة، فقد غدَت الملكةُ في الغرب الملكةَ في الشَّرق.

مضى العام دون مزيدٍ من الأزمات أو الاختبارات إذ استقرَّ الحُكم لچهيرس وأليسين. إذا كان بعض أعضاء المجلس الصَّغير قد فُوجِئوا عندما بدأت الملكة حضور اجتماعاتهم، فإنهم لم يُعبِّروا عن اعتراضاتهم إلَّا لبعضهم بعضًا... وسرعان ما كفُّوا عن ذلك حتى، لأن الملكة الشَّابَّة أثبتَت أنها حَكيمة ومطَّلعة وذكيَّة، أي إنها ذات رأيٍ مرحَّب به في أيِّ نقاش.

كانت لدى أليسين تارجاريَن ذكرياتٌ سعيدة عن طفولتها قبل أن يستحوذ عمُّها ميجور على التَّاج. خلال عهدِ والدها إينس، جعلَت والدتها الملكة أليسا البلاط مكانًا بهيجًا مليئًا بالأغاني والإبهار والجمال. تنافسَ الموسيقيُّون والممثِّلون والشُّعراء على حظوتها وحظوة الملك، وتدفَّق نبيذ (الكرمة) كالماءِ في الولائِم، وتعالَت الضَّحكات الطَّروب في قاعات (دراجونستون) وساحاتها، وتألَّقت نِساءُ البلاط باللُّؤلؤ والألماس. أمَّا بلاط ميجور فكان مكانًا قاتمًا كئيبًا، ولم تُحدِث فترة الوصاية إلَّا القليل من التَّغيير، لأن ذكريات عهد الملك إينس كانت مؤلمةً لأرملته، كما

كان اللورد روجار عسكريَّ السَّجيَّة، وقد أعلنَ مرَّةً أن الممثِّلين أقلُّ فائِدةً من القِرَدة، لأن «كلا النَّوعين يتنطَّط ويتواثَب ويتحامَق وينعَق، لكن إن كان المرء جائعًا كفايةً فيُمكنه أن يأكُل قردًا».

لكن الملكة أليسين استعادَت بولع ذكريات أمجاد بلاط والدها الذي لم يدُم طويلًا، ووضعَت لنفسها هدفًا بجعلِ (القلعة الحمراء) تتألَّقُ كما لم يَحدُث من قبل، فاشترَت المعلَّقات والبُسط من المدن الحُرَّة، وألقَت تعليماتٍ بتزيين قاعات القلعة وغُرفها بالجداريَّات والمنحوتات وألواح التَّبليط، ووفق أوامرها مشَّط حرس المدينة (جُحر البراغيث) حتى وجدوا توم العازف، الذي سلَّت أغانيه السَّاخرة الملك والعامَّة على حدٍّ سواء في أثناء الحرب لأجل المعاطِف البيضاء. جعَلته أليسين مُطربَ البلاط، وهو أوَّل كثيرين شغلوا هذا المنصِب في العقود التَّالية، وجلبَت عازف قيثارةٍ من (البلدة القديمة)، وفرقة ممثِّلين من (براڤوس)، وراقصين من (لِيس)، ومنحَت (القلعةَ الحمراء) مهرِّجها الأوَّل، رجلًا سمينًا يُدعى بالزَّوجة الصَّالحة ويرتدي ملابس النِّسوة، ولم يسبق لأحدٍ أن رآه دون «طفليْه» الخشبيَّيْن، زوجيْن من الدُّمى المنحوتة بدِقَّةٍ تكلَّما بأشياءَ بذيئةٍ صادمة.

كلُّ هذا سرَّ الملك جهيرس، لكن شيئًا لم يسرَّه بقدر الهديَّة التي منحَته إيَّاها الملكة أليسين بعد عدَّة أشهُر، عندما أخبرَته بأنها حُبلى.

الميلاد والموت والخيانة
في عهد الملك چهيرس الأوَّل

سيُثبِت الملك چهيرس تارجاريَن الأوَّل أنه من أشدِّ الملوك الذين جلسوا على العرش الحديدي دأبًا. قال إجون الفاتِح مقولته الشَّهيرة عن حاجة العامَّة إلى رؤية ملوكهم وملكاتهم من وقتٍ إلى آخَر، ليتمكَّنوا من عرض همومهم ومظالمهم عليهم، وعندما أعلنَ چهيرس قيامه بأوَّل جولةٍ ملكيَّة في أواخِر عام 51 بعد الفتح قال: «أريدهم أن يروني». ستتبعُ هذه جولات أخرى عدَّة في السَّنوات والعقود اللَّاحقة، فعلى مرِّ حُكمه المديد سيقضي چهيرس أيامًا وليالِيَ ضيفًا عند هذا اللورد أو ذاك، أو يجتمع بالعامَّة في بلدة سوقٍ أو قريةٍ ما، أكثر مما سيقضي في (دراجونستون) و(القلعة الحمراء) مجتمعتيْن، وغالبًا ما صاحبَته أليسين بتنِّينتها الفضِّيَّة محلِّقةً بجانبِ وحشه العظيم بلونه البرونزيِّ البرَّاق.

اعتادَ إجون الفاتِح أن يأخُذ معه على الطَّريق ما يُناهِز ألفًا من الفُرسان والأجناد والطبَّاخين وساسةِ الخيل وغيرهم من الخدم، ورغم مهابتها التي لا يُمكن إنكارها، فقد تسبَّبت تلك المواكِب في العديد من

الصُّعوبات للوردات الذين شُرِّفوا بالزِّيارات الملكيَّة، إذ كان من العسير إيواء وإطعام كلِّ ذلك العدد من الرِّجال، وإذا رغبَ الملك في الذَّهاب للصَّيد اكتظَّت الغابات القريبة بالنَّاس. حتى أغنى اللوردات كان يجد نفسه افتقرَ بعد رحيل الملك، وقد جفَّت أقبيته من النَّبيذ، وفرغَت مخازنه من المؤن، وحملَت نصف خادماته نغولًا في بطونهن.

عقدَ چهيرس العزم على انتهاج نهجٍ مختلِف، إذ لن يرافِقُه في أيِّ جولةٍ ما يزيد على مئةِ رجل: عشرين فارسًا، والبقيَّة من الجنود والخدم. «لستُ بحاجةٍ إلى إحاطة نفسي بالسُّيوف ما دمتُ أمتطي ڤرميثور». علاوةً على ذلك، سمحَت له الأعداد الأقلُّ بزيارةِ لورداتٍ أصغر شأنًا، أولئك الذين لم تكن قلاعهم كبيرةً بما فيه الكفاية لاستضافَة إجون. كانت نيَّته أن يَرى أماكن أكثر ويُرى فيها، ولكن يبقى في كلٍّ منها مُدَّةً أقصر، حتى لا يحدُثَ أبدًا أن يكون ضيفًا غير مرحَّبٍ به.

قرَّرَ أن تكونَ جولةُ الملك الأولى متواضِعةً، مستهِلًّا إياها بـ(أراضي التَّاج) شمال (كينجز لاندنج)، ثمَّ المضي قُدمًا حتى (وادي آرِن) فقط. أرادَ چهيرس أن تذهب أليسين معَه، ولكن بسبب حمل جلالتها همَّه ألَّا تكون رحلاتهما متعبةً للغاية. بدآ بـ(ستوكوورث) و(روزبي)، ثم توجَّها شمالًا بمحاذاة السَّاحل إلى (وادي الغسق)، وهناك، فيما عاينَ الملك أحواض سُفن اللورد داركلين ونعمَ بأصيلٍ من صيد الأسماك، عقدَت الملكة أوَّل بلاطٍ نسائيٍّ لها، وهو ما سيُصبح جُزءًا مهمًّا من كلِّ جولةٍ ملكيَّة تالية. النِّساء والفتيات وحدهن كان مرحَّبًا بهن في هذه اللِّقاءات، وسواء أكُن من النَّبيلات أم من العامَّة فقد شُجِّعن على التَّقدُّم ليُشاركن الملكة الشَّابَّة مخاوفهن وهمومهن وآمالهن.

مضَت الرِّحلة دونَ حوادِث حتى وصولَ الملك والملكة إلى (بِركة

العذارى)، حيث قرَّرَ أن ينزلا ضيفيْن على اللورد والليدي موتون لمدَّةِ أسبوعيْن قبل الإبحار عبرَ (خليج السَّراطين) إلى (ويكندن) و(بلدة النَّوارس) و(الوادي). اشتهرَت بلدة (بِركة العذارى) ببِركة المياه العذبة، حيث تقول الأساطير إن فلوريان المهرج ألقى نظرته الأولى على چونكويل وهي تستحمُّ هناك في عصر الأبطال. مثل آلافِ النِّساء قبلها، أرادَت الملكة أليسين أن تستحِمَّ في (بِركة چونكويل)، التي قيلَ إن لمياهها خواصَّ علاجيَّةً مذهِلةً. شيَّد سادة (بِركة العذارى) حمَّامًا حجريًّا حول البِركة قبل عدَّة قرون، وعهدوا بها لجماعةٍ من الأخوات النَّاسكات. لم يكن مسموحًا للرِّجال بدخول المبنى، ولذا عندما نزلَت الملكة في المياهِ المقدَّسة لم يكن معها إلَّا وصيفاتها وخادماتها وسِپتتاها (كانت إيدث ولايرا، اللَّتان خدمتا مع السِّپتة يزابل وهما مستجدَّتيْن، قد حلفَتا أيمانهما مؤخَّرًا لتُصبِحا سِپتتيْن، مكرِّستيْن نفسيْهما للعقيدة ومخلصتيْن الطَّاعة للملكة).

أدَّت طيبة الملكة الصَّغيرة وصمت (السِّپت النَّجمي) ومواعِظ الخُطباء السَّبعة إلى الفوز بتأييد جمهور المؤمنين لچهيرس وأليسين... لكن البعض لا يتزعزَع أبدًا عن رأيه، وبين الأخوات اللواتي اعتنينَ بـ(بِركة چونكويل) كانت ثلاث نساء من ذلك النَّوع، نساء قسَّت الكراهية قلوبهن وقُلن لبعضهن بعضًا إن المياه المقدَّسة ستتلوَّث إلى الأبد إذا سُمِحَ للملكة بالاستحمام فيها وهي تحمِلُ «رِجس الملك» في بطنها. كانت الملكة أليسين قد خلعَت ملابسها لتوِّها عندما انقضَضن عليها بخناجر خبَّأنها في طيَّات أرديتهن.

لحُسنِ الحظِّ لم تكن المهاجِمات مُحاربات، ولم يضعن في حُسبانهن شجاعة مُرافقات الملكة. رغم كونهن عارياتٍ مكشوفاتٍ للخطر ما تردَّدن، بل وقفنَ حائلًا بين المهاجِمات وسيِّدتهن. جُرِحَ وجه السِّپتة

إيدث، وطُعنت كتف برودنس سلتيجار، فيما تلقَّت روزاموند بول طعنة خنجرٍ في بطنها أفضَت إلى حتفها بعد ثلاثة أيام، لكن أيًّا من النِّصال القاتلة لم يمسَّ الملكة. جلبَت صيحات الصِّراع وصرخاته حاميَي أليسين راكضيْن، فالسير چوفري دوجت والسير جايلز موريجن كانا يحرسان مدخل الحمَّام، ولم يتخيَّلا قَطُّ أن الخطر كامن في الدَّاخل.

تعاملَ رجلا الحرس الملكي مع المهاجِمات سريعًا، فقتَلا اثنتين منهن فيما أبقيا على حياة الثَّالثة لاستجوابها. عندما حُثَّت على الاعتراف، كشفَت أن ستَّ نسوةٍ أُخَر من جماعتها ساعدنَ على التَّخطيط للهجوم، وإن افتقرنَ إلى الشَّجاعة لحمل النِّصال. شنقَ اللورد موتون المذنِبات، وربما كان ليشنُق البريئات كذلك لولا تدخُّل الملكة أليسين.

استشاطَ چهيرس غضبًا. أُجِّلَت زيارة (الوادي)، وبدلًا من ذلك عادوا إلى أمان (حصن ميجور). هناك ستبقى الملكة أليسين حتى ولادة طفلها، إلَّا أن التَّجربة هزَّتها وجعلَتها تُفكِّرُ مليًّا، وقد قالت لجلالته: «أحتاجُ إلى حامٍ خاص لي. سبعتُك رجال أوفياء بواسل، لكنهم رجال، وثمَّة أماكن لا يُمكن للرِّجال دخولها». لم يستطِع جلالته أن يُعارِضَ ذلك، وفي اللَّيلة نفسها طارَ غُداف إلى (وادي الغسق)، يحمِلُ أمرًا إلى اللورد داركلين الجديد بأن يبعث إلى البلاط أخته النَّغلة غير الشَّقيقة چونكويل، التي أذهلَت العامَّة في الحرب لأجل المعاطِف البيضاء متنكِّرةً بهيئة فارسٍ غامض عُرِفَ باسم الأفعى القرمزيَّة. وصلَت چونكويل إلى (كينجز لاندنج) بعد أيَّامٍ قليلة وهي لا تَزال تتَّشح بالقرمزي، وقبِلَت بسرورٍ تعيينها درع الملكة المحلَّفة. مع الوقت ستُعرَف في أنحاء المملكة بلقب الظِّل القرمزي، لحراستها مولاتها حراسةً لصيقةً.

بعد فترةٍ ليست بالطَّويلة من عودة چهيرس وأليسين من (بِركة

العذارى) وملازَمة الملكة غُرفتها، وصلَت أنباءٌ في غاية المباغَتة والإثارة للعجب من (ستورمز إند). الملكة أليسا حُبلى! في الرَّابعة والأربعين من العُمر، اعتُقِدَ أن الملكة الأرمَلة تجاوزَت بكثير سِني قُدرتها على الإنجاب، وبذلك استُقبِلَ خبرُ حملها على أنَّه معجزة. في (البلدة القديمة) أعلنَ السِّبتون الأعلى نفسه أنها بَركةٌ من الآلهة، «عطيَّةٌ من (الأُمِّ في الأعالي) لأُمٍّ عانَت الكثير بشَجاعة».

تخلَّل أجواءَ الفرح تلك قلقٌ أيضًا، إذ لم تعُد أليسا المرأةَ القويَّة التي كانتها، فالوقت الذي قضَته ملِكةً وَصيَّةً أعياها كثيرًا، ولم يجلِب لها زواجها الثَّاني السعادة التي أملَتها من قبلُ. على أن احتمال أن يُرزَق بطفلٍ أثلجَ قلب اللورد روجار، فنبذَ غضبه وتابَ عن خياناته الزَّوجيَّة ليبقى بجانِب حليلته. أمَّا أليسا نفسها فكانت خائفةً، متذكِّرةً آخِر طفلةٍ أنجَبتها للملك إينس، الصَّغيرة ڤايلا التي ماتت في المهد، وقد قالت للسيِّد زوجها: «لن أستطيعَ تحمُّل ذلك مرَّةً أخرى، سيُمزِّق قلبي»، لكن عندما وصلَ الطِّفل في بداية السَّنة التَّالية تبيَّن أنه قويٌّ صحيح البدن، صبيٌّ كبير وجهه متورِّدٍ وزغَب شعره أسود فاحِم، و«يُمكن سماع صُراخه من (دورن) حتى (الجِدار)». سمَّى اللورد روجار، الذي كان قد تخلَّى عن أيِّ آمالٍ بأن يحظى من أليسا بأطفال، ابنه بورمند.

تُصيب الآلهة بالأتراح كما تهِب الأفراح. قبل فترةٍ طويلة من مخاض أمِّها أليسا، وضعَت الملكة أليسين ابنًا أيضًا، صبيًّا سمَّته إجون تيمُّنًا بجدِّها الفاتِح وشقيقها الفقيد المأسوفِ عليه، الأمير غيرِ المتوَّج. أبدَت البلاد كلُّها الشُّكران، ولا أحدَ أكثر من الملك جهيرس. لكن الأمير الصَّغير وُلِدَ مبكِّرًا، صغيرًا هزيلًا، ليموت بعد ثلاثة أيام من ولادته. فُجِعَت الملكة أليسين لدرجة أن المِايسترات خافوا على حياتها أيضًا، ولما

تبقَّى من حياتها لامَت النِساء اللواتي هاجمنَها في (بِركة العذارى) على موت ابنها، وظلَّت تُردِّد أنها لو استطاعَت الاستحمام في مياه (بِركة چونكويل) الشَّافية لعاشَ الأمير إجون.

كان السُّخط ثقيل الوطأة على (دراجونستون) كذلك، حيث أسَّست رِاينا تارجاريَن بلاطها الصَّغير الخاص. وكما فعلوا مع شقيقها چهيرس، بدأ اللوردات المجاورِون يقصدونها، لكن الملكةَ في الشَّرق لم تكُن شقيقها، فاستُقبِلَ العديد من زوَّارها ببرود، وصُرِفَ آخَرون دون لقائها.

لم يمضِ لمٌّ شَمل الملكة رِاينا وابنتها إيريا على ما يُرام كذلك. لم تكن لدى الأميرة ذكريات عن والدتها، ولم تكُن الملكة على معرفةٍ بابنتها أو تَشعُر بأيِّ ولعٍ بأطفال الآخَرين. أحبَّت إيريا إثارة (القلعة الحمراء)، حيث كان اللوردات والليديهات وسُفراء الأراضي الأجنبيَّة العجيبة يأتون ويذهبون بلا انقطاع، والفُرسان يتمرَّنون في السَّاحاتِ كُلَّ صباح، والمغنُّون والممثِّلون والمهرِّجون يتراقَصون عند المساء، وكلَّ ما حوَته (كينجز لاندنج) من ضجَّةٍ وألوانٍ وصخبٍ خارج أسوار القلعة مباشرةً. أحبَّت إيريا أيضًا الاهتمام الذي أُغدِقَ عليها بصفتها وريثة العرش الحديدي، إذ أشادَ بها اللوردات العظام والفُرسان الشُّجعان وخادمات الفِراش والغسَّالات وصِبية الاسطبلات على حدٍّ سواء، وأحبُّوها وتنافَسوا على حظوتها، وكانت زعيمة مجموعةٍ من الفتيات الصَّغيرات من نبيلات المحتد ووضيعاته روَّعت القلعة.

كلُّ هذا سُلِبَ منها عندما أخذَتها والدتها إلى (دراجونستون) ضِدَّ رغبتها. كانت الجزيرة مكانًا رتيبًا خامِلًا هادِئًا مقارنةً بـ(كينجز لاندنج)، فلم تكن بالقلعة فتيات من سنِّها، ولم يُسمَح لإيريا بالاختلاط ببنات الصيَّادين في القرية أسفل الأسوار. كانت أمُّها غريبةً عنها، صارمةً تارةً

وخجولةً تارةً أخرى، ويتملَّكُها الشرود المتجهِّم بإفراط، ولم يبدُ أن النِّساء اللواتي أحطنَ بها اكترثنَ لإيريا كثيرًا. من بينهنَّ جميعًا، الوحيدة التي بدأت تروق الأميرة هي الليدي إليسا فارمان بنت (الجزيرة القصيَّة)، التي روَت لها حكاياتٍ عن مغامراتها ووعدَتها بتعليمها الإبحار. على أن الليدي إليسا لم تكُن أسعد في (دراجونستون) من إيريا نفسها، إذ افتقدَت بشدَّة بِحارها الغربيَّة الواسعة، وتحدَّثت في كثيرٍ من الأحيان عن العودة إليها، لتلحَّ عليها الأميرة إيريا قائلةً: «خُذيني معك»، فتكتفي إليسا فارمان بالضَّحك.

كان في (دراجونستون) شيء واحد افتقرَت إليه (كينجز لاندنج) إلى حدٍّ كبير، ألا وهو التَّنانين. في القلعة العظيمة تحت ظلِّ جبل (دراجونمونت) الدَّاخن كان المزيد من التَّنانين يُولَد مع كلِّ دورة قمر، أو هكذا بدا. كانت البيضات التي باضَتها دريمفاير على (الجزيرة القصيَّة) قد فقسَت دُفعةً واحدةً ما إن وصلَت إلى (دراجونستون)، وحرصَت رِاينا تارجاريَن على اطِّلاع ابنتها على التَّنانين الوليدة، فحثَّت الملكةُ الأميرة: «اختاري واحدًا واجعليه لكِ، وستُحلِّقين به يومًا ما». كانت في السَّاحات تنانين أكبر سنًّا أيضًا، ووراء الأسوار بعض التَّنانين البرِّيَّة التي هربَت من القلعة وصنعَت لنفسها عرائن في كهوفٍ متوارية على جانب الجبل القصي. عرفَت الأميرة إيريا ڤرميثور وسيلڤروينج خلال فترة وجودها بالبلاط، وإن لم يُسمَح لها قَطُّ بالاقتِراب منهما، أمَّا هنا فأمكنَها زيارةُ التَّنانين قدرَ ما شاءَت؛ الأفراخ والتَّنانين اليافِعة ودريمفاير تنِّينة والدتها... وأعظمها جميعًا، بالريون وڤاجهار، كلاهما هائل عتيق خامل، ولكن لم يزَل يُثير الهلع في النُّفوس عندما يستيقظ ويتمطَّى ويبسط جناحيْه.

في (القلعة الحمراء) أحبَّت إيريا حصانها وكلابها وأصدقاءها، أمَّا في (دراجونستون) فأصبحَت التَّنانين بمثابة أصدقائها... أصدقائها الوحيدين بغضِّ النَّظر عن إليسا فارمان... وبدأت تعدُّ الأيام حتى تتمكَّن من ركوب أحدها وتطير به بعيدًا، بعيدًا جدًّا.

قامَ الملك چهيرس أخيرًا بجولته عبرَ (وادي آرِن) في عام 52 بعد الفتح، فزارَ (بلدة النَّوارس) و(رونستون) و(ردفورت) و(بهو القوس الطَّويل) و(بيت القلوب) و(بوَّابات القمر)، قبل أن يطير بڤرميثور إلى (العُش) أعلى جبل (رُمح العملاق)، كما فعلَت الملكة ڤيزينيا في حِقبة الفتح. رافَقته الملكة أليسين في بعضٍ من رحلاته، ولكن ليس كلَّها، إذ لم تستردَّ بعدُ قوَّتها الكاملة بعد الولادة وما تبعَها من حُزن. ومع ذلك، عن طريق مساعيها الحميدة، رُتِّبَت خطبة الليدي پرودنس سلتيجار إلى اللورد جرافتون ابن (بلدة النَّوارس)، وعقدَت جلالتها أيضًا بلاطا نِسويًّا في (بلدة النَّوارس)، وثانيًا في (بوَّابات القمر)، وما سمِعَته علمَته سيُغيِّر قوانين (الممالِك السَّبع).مكتبة .. سُر مَن قرأ

غالبًا ما يتحدَّث النَّاس اليوم عن قوانينِ الملكة أليسين، لكن هذا الاصطلاح مائع وغير صحيح، إذ لم تتمتَّع جلالتها بسُلطةٍ لسَنِّ القوانين أو إصدارِ المراسيم أو إعلانِ البيانات أو تطبيقِ الأحكام. من الخطأ أن نتحدَّث عنها كما لو أننا نتحدَّثُ عن ملكتَي الفاتِح، رينس وڤيزينيا، ومع ذلك كان للملكة الشَّابَّة تأثير هائل على الملك چهيرس، وإذا تحدَّثت استمعَ لها... كما فعلَ عند عودتهما من (وادي آرِن).

أطلعَت البلاطات النِّسائيَّة أليسين على محنةِ الأرامل في جميعِ أنحاء (الممالِك السَّبع). في أوقات السِّلم على وجه الخصوص، لم يكن من غير المألوفِ أن يُعمِّر الرَّجل أكثر من زوجة شبابه، إذ يهلك الشُّبَّان في

أغلب الأحيان في ساحة المعركة، وتموت النِساء على سرير الولادة. سواء أكانوا من النُّبلاء أم العامَّة، غالبًا يتزوَّج الرِّجال الذين فقدوا زوجاتهم بهذه الطَّريقة مرَّةً أخرى، فتجد الزَّوجة الجديدة وجودها بين أهل بيته مكروهًا من أولاد الزَّوجة الأولى، وعند وفاة الرَّجل، وفي حالة عدم وجود روابط مودَّة، كان يمكن لورثته طرد الأرملة من البيت -وقد فعلوا- وهو ما يجعلها تُعاني الفقر والعوز. وفي حالة اللوردات، قد يُجرِّد الورثة أرملة أبيهم من امتيازاتها ودخولها وخدمها، فتنحدِر إلى منزلةٍ لا تزيد على منزلة أحد قاطني القلعة.

لتصحيح هذه العلل، أصدرَ الملك جهيرس في عام 52 بعد الفتح قانون الأرملة، ليُعيد تأكيد حقِ الابن الأكبر (أو الابنة الكُبرى إن لم يُوجَد ابن) في الميراث، ولكن مع إلزام الورثة المذكورين بالحفاظ على الأرامل الباقيات على قيد الحياة في المكانة نفسها التي تمتَّعن بها قبل وفاة أزواجهن. لم يعُد ممكنًا طرد أرملة اللورد، سواء أكانت زوجةً ثانيةً أم ثالثةً أم لاحقةً، من قلعته أو حرمانها من خدمها وملابسها ودخولها، لكن القانون نفسه حظرَ على الرِجال أيضًا حرمان أولادهم من الزَّوجة الأولى من الميراث من أجل منح أراضيهم أو مقرَّاتهم أو ممتلكاتهم لزوجةٍ لاحقة أو لأبنائها.

كان البناء شاغل الملك الآخَر في ذلك العام. استمرَّ العمل على قدمٍ وساق في (جُب التَّنانين)، وكثيرًا ما زارَ جهيرس الموقع لمعاينة تقدُّم الأشغال بنفسه، ولكن بينما كان راكبًا من (تل إجون العالي) إلى (تل رينس)، لاحظَ جلالته حالة مدينته الموغلة في البؤس، فقد نمَت (كينجز لاندنج) بسرعةٍ بالغة، وانبثقَت الإيوانات والمتاجر والأكواخ وحلبات الجرذان مثل الفطر بعد هطول أمطارٍ غزيرة. كانت الشوارع

ضيِّقةً ومظلمةً وقذرةً، والمباني متقاربةً جدًّا لدرجة أن النَّاس يستطيعون التَّسلُّق من نافذةٍ إلى أخرى، والأزقَّة تلتفُّ مثل ثعابين ثمِلة، والوحل والرَّوث والفضلات اللَّيليَّة في كلِّ مكان.

أخبرَ الملك مجلسه: «ليتني أستطيعُ أن أخلي المدينة وأهدمها ثم أبنيها من جديد»، ولكن نظرًا إلى افتقاره إلى هذه القُدرة، وكذا المبلغ النَّقدي الضَّخم الذي يتطلَّبه مثل ذلك الإجراء، بذلَ چهيرس ما بوسعه، فوُسِّعَت الشَّوارع وقوِّمَت ورُصِفَت بالحصى حيثما أمكنَ ذلك، وهُدِمَ أسوأ الزَّرائب والأكواخ، وأُنشِئ ميدان مركزي كبير وزُرِعَ بالأشجار التي انتشرَت تحتها الأسواق والأروقة. من ذلك المركز ظهرَت شوارع واسعة طويلة مستقيمة كالرِّماح: (درب الملك) و(سبيل الآلهة) و(شارع الأخوات) و(درب النَّهر الأسود)، أو (الدَّرب الموحل) كما أعادَ العامَّة تسميته سريعًا. لا شيءَ من هذا تحقَّق في ليلة، إذ سيستمرُّ العمل سنوات، بل عقودًا، لكنه بدأ في عام 52 بعد الفتح بأمر الملك.

لم تكن تكلِفة إعادة بناء المدينة بلا تبعات، ووضعَت المزيد من الضَّغط على الخزانة الملكيَّة. فاقمَ هذه الصُّعوبات تزايُد السُّخط تجاه سيِّد الهواء ريجو دراز، فخلال وقتٍ قصير أصبحَ أمين النَّقد البنتوشي مبغوضًا على نطاقٍ واسع مثل سلفه، وإن كان ذلك لأسبابٍ مختلفة. قيل إنه فاسد، يأخذ ذهبَ الملك ليُتخِم كيس نقوده، وهي تهمةٌ تعاملَ معها اللورد ريجو بسُخريةٍ قائلًا: «لماذا أسرقُ من الملك؟ إنني أغنى منه مرَّتين!». وقيلَ إنه كافر لأنه لا يَعبُد (السَّبعة). يُقدِّس العديد من الآلهة العجيبة في (پنتوس)، وإن عُرِفَ عن دراز أنه يَعبُد واحدةً فقط، صنمًا منزليًّا صغيرًا يُجسِّد امرأةً حُبلى ذات ثديَيْن منتفخيْن ورأس خُفَّاش، وكان كلُّ ما قاله بذلك الصَّدد: «إنها الإله الوحيد الذي أحتاجُ إليه».

ووُصِفَ دراز بأنه هجين، وهو افتراضٌ صحيح لم يستطِع إنكاره، لأن البنتوشيّين جميعًا عبارة عن جزءٍ أندالي وآخَر ڤاليري، ممتزجيْن بدماء العبيد وشعوبٍ أقدم طواها النِّسيان قبل زمنٍ طويل. أمَّا أشدُّ أسباب كراهيته فكان ثروته التي لم يتعطَّف بإخفائها، بل تباهى بملبسه الحرير وخواتمه الياقوت وهودجه المذهَّب.

كان اللورد ريجو دراز بارعًا في عمله أمينًا للنقد حتى إن أعداءه لم يستطيعوا إنكار ذلك، لكن حتى مواهب هذا الرَّجل أجهدَها التَّحدِّي المتمثِّل في دفع تكاليف إكمال (جُب التِّنانين) وإعادة بناء (كينجز لاندنج). لم تكفِ الضَّرائب المفروضة على الحرير والتَّوابل والشُّرَّافات وحدها، لذلك فرضَ اللورد ريجو على مضضٍ ضريبةً جديدةً: رسمًا على البوَّابة يُطلَب من أيِّ شخصٍ يدخلُ المدينةَ أو يُغادِرها، ويُحصِّله الحُرَّاس على بوَّابات المدينة. وفُرِضَت رسوم إضافيَّة على الخيول والبغال والحمير والثِّيران، وكانت الضَّريبة على العرَبات والمركَبات الأثقل. نظرًا إلى حركة المرور من (كينجز لاندنج) وإليها كلَّ يوم، أثبتَ رسم البوَّابة أنه مربح للغاية، ودرَّ أموالًا أكثر من كافيةٍ لتلبية الحاجة... ولكن بتكلفةٍ كبيرة على ريجو دراز نفسه، إذ ازدادَ التَّذمُّر منه عشرة أضعاف.

صيفٌ طويل وحصادٌ وفير وسلامٌ وازدهارٌ في داخل المملكة وخارجها، عوامل ساهمَت في تخفيف حدَّة السُّخط، ومع اقتراب السَّنة من نهايتها جلبَت الملكة أليسين أخبارًا مبهِجةً للملك. حبلَت جلالتها بطفلٍ آخَر، وهذه المرَّة أقسمَت أنها لن تترك عدوًّا يقترب منها أبدًا. كانت الخطط لأجلِ جولةٍ ملكيَّةٍ أخرى قد وضِعَت بالفِعل، وأُعلِنت قبل أن يصبِح حمل الملكة معلومًا، ومع أن چهيرس قرَّر أن يبقى بجانب زوجته إلى حين ولادة الطِّفل، لم ترضَ الملكة بذلك وأصرَّت أن يذهب.

وقد ذهبَ. شهدَت بداية السَّنة الجديدة الملك وقد عادَ إلى التَّحليق مجدَّدًا على ظهر ڤرميثور، هذه المرَّة نحو (أراضي النَّهر). بدأ جولته بإقامته ضيفًا في (هارنهال) على سيِّدها الجديد، ميجور تاورز ذي السِّنين التِّسع، ثم انتقلَ هو وحاشيته من هناك إلى (ريڤررَن) و(بهو البلُّوط) و(قلعة العذراء الورديَّة) و(أترانتا) و(السِّيپت الحجري). بناءً على طلَبِ الملكة، سافرَت الليدي چنيس تمپلتون مع الملك لعقد بلاطات النِّساء في (ريڤررَن) و(السِّيپت الحجري) بدلًا مِنها، فيما لبثَت أليسين في (القلعة الحمراء)، تترأَّس اجتماعات المجلس الصَّغير في غياب الملك، وتعقد اللِّقاءات من فوق مقعدٍ مخملي عند قاعدة العرش الحديدي.

فيما بدأت معالم الحمل تظهر على جلالتها، عبر (الخليج الأسود) مباشرةً قُرب (الحُلقوم) أنجبَت امرأةٌ أخرى طفلًا آخَر، وبينما لم يُلتفَت كثيرًا إلى ميلاده، فإنه سيصبح ذا أهميَّةٍ عُظمى مستقبلًا لأراضي (وستروس) وما ورائها من بحار. على جزيرة (دريفتمارك) أصبحَ ابن ديمون ڤيلاريون الأكبر أبًا لأوَّل مرَّة، عندما منحَته السيِّدة زوجته صبيًّا وسيمًا صحيح البدن. سُمِّيَ الولد كورلس على اسم شقيق جدِّه الذي خدمَ بكلِّ نُبلٍ في منصب أوَّل قائدٍ للحرس الملكي، ولكن في السَّنوات القادمة سيُعرَف كورلس الجديد هذا عند شعب (وستروس) بلقبٍ أشهر، هو ثُعبان البحر.

تبعَه ولد الملكة في وقته. خلال القمر السَّابع من عام 53 بعد الفتح جاءَها المخاض، وهذه المرَّة أنجبَت طفلةً قويَّةً تامَّة الصِّحة، فتاةً أسمَتها دنيرس. كان الملك في (السِّيپت الحجري) عندما بلغَه الخبر، فركبَ فرميثور وعادَ من فوره إلى (كينجز لاندنج). على الرَّغم من أن چهيرس كان يرجو ابنًا آخَر يخلفه على العرش الحديدي، كان جليًا أنه أُغرِمَ

بابنته منذ اللَّحظة التي أخذَها فيها بين ذراعيه. سُرَّت المملكة أيضًا بالأميرةِ الصَّغيرة... في كلِّ مكانٍ باستثناء (دراجونستون).

كانت إيريا تارجاريَن، ابنة إجون غير المتوَّج وأخته رِاينا، في الحادية عشرة من العمر، وفي ذاكرتها كلِّها كانت وريثة العرش الحديدي (باستثناء الأيام الثَّلاثة التي فصلَت ميلاد الأمير إجون عن وفاته). كانت إيريا فتاةً صغيرةً قويَّة الإرادة جريئة اللِّسان، تستمتع بالاهتمام الذي انصبَّ عليها لكونها ملكةً منتظَرةً، ولم يسرَّها أن تجد نفسها أزيحَت لصالح الأميرة الوليدة.

من المحتمل أن والدتها الملكة رِاينا شاركتها هذه المشاعر، لكنها أمسكَت لسانها ولم تتحدَّث عن الأمر حتى مع أقرب المقرَّبين لها. كانت تُعاني مشكلاتٍ كافيةً في صرحها الخاص في ذلك الوقت، لأن شرخًا انفتحَ بينها وبين محبوبتها إليسا فارمان، التي حرمَها شقيقها اللورد فرانكلين أيَّ جزءٍ من دخلِ (القلعة القصيَّة)، فطلبَت من الملكة الأرملة ذهبًا يكفي لبناءِ سفينةٍ جديدة في أحواض السُّفن بـ(دريفتمارك)، مركبًا كبيرًا سريعًا الغرض منه الإبحار في (بحر الغروب). رفضَت رِاينا طلبها قائلةً: «لا يُمكنني احتمال فراقكِ»، لكن الليدي إليسا لم تسمع إلَّا لا.

استرشادًا بالإدراك المتأخِّر للتَّاريخ، يمكننا أن ننظُر إلى الوراء ونرى أن النُّذر كلَّها كانت موجودةً، أماراتٍ مشؤومةً على أيامٍ عصيبة مقبلة، لكن حتى رؤساء المِايسترات بمجمع (القلعة) لم يُلاحظوا أيًّا من ذلك في أثناء مراجعتهم أحداث العام الذي شارفَ على الانتهاء. لم يُدرِك أحدٌ منهم أن العامَ المقبل سيكون من أحلك الأعوام في عهد جهيرس تارجاريَن الأوَّل المديد، عامًا طافحًا بالموت والانقسام والكوارث، حتى إن المِايسترات والعامَّة على حدٍّ سواء أصبَحوا يسمُّونه بعام (الغريب).

وقعَت أوَّل وفاةٍ في عام 54 بعد الفتح خلال أيامٍ من الاحتفالات بقدوم العامِ الجديد، إذ تُوفِّيَ السِّپتون أوزويك في نومه. كان رجلًا عجوزًا وصحَّته تتدهوَر منذ فترة، ورغم ذلك ألقَت وفاته بظلالها على البلاط. في الوقت الذي عارضَت فيه الملكة الوصيَّة ويد الملك والعقيدة زواج چهيرس وأليسين، وافقَ أوزويك على أداء الطُّقوس لهما، ولم تُنسَ شجاعته. بناءً على طلب الملك، دُفِنَ رُفاته في (دراجونستون)، حيث خدمَ زمنًا طويلًا بإخلاص.

كانت (القلعة الحمراء) لا تزال في حالة حِدادٍ عندما وقعَت الكارثة التَّالية، رغم أنها بدَت مناسبةً للبهجة في ذلك الوقت. جلبَ غُداف من (ستورمز إند) رسالةً مدهشةً: الملكة أليسا حُبلى مجدَّدًا في سنِّ السَّادِسة والأربعين. أعلنَ المِايستر الأكبر بنيفر عندما أبلغَ الملك بالنَّبأ: «معجزةٌ ثانية»، في حين كان السِّپتون بارث، الذي تولَّى مهام أوزويك بعد وفاته، أكثر ارتيابًا، فحذَّر من أن جلالتها لم تتعافَ تمامًا من ولادة ابنها بورمند، وشكَّك في تمتُّعها بالقوَّة الكافية لحمل جنينٍ حتى الوضع. على أن روجار باراثيون طارَ فرحًا باحتماليَّة إنجاب ابنٍ آخَر، ولم يتوقَّع أيَّ صعوبات. لقد أنجبَت زوجته سبعة أطفال، فلِمَ لا تُنجِب ثامنًا؟

في (دراجونستون) كانت مشكلات من نوعٍ آخَر تكاد تبلُغ أوجها. لم يعُد باستطاعة الليدي إليسا فارمان أن تتحمَّل الحياة على الجزيرة، وأخبرت الملكة رِاينا أنها سمعَت البحر يُناديها، وآنَ أوان رحيلها. تلقَّت الملكة في الشَّرق الخبر بوجهٍ من حجر، فلم يسبق لها قَطُّ أن أبدَت مشاعرها، وقالت: «لقد طلبتُ منكِ البقاء، ولن أتوسَّل إليكِ. إذا أردتِ الرَّحيل فاذهبي». أمَّا الأميرة إيريا فلم تتمتَّع بشيءٍ من ضبط النَّفس الذي مارسَته والدتها، وعندما أتَت الليدي إليسا لوداعها، بكَت

الأميرة وتشبَّثت بساقيْها وناشدَتها أن تبقى، وإن لم تقدِر على البقاء فلتَأخُذها معها إذًا. قالت إيريا: «أريدُ أن أكون معكِ، أريدُ أن أمخر عباب البحار وأخوض المغامرات». قيل لنا إن الليدي إليسا ذرفَت دمعةً أيضًا، لكنها دفعَت الأميرة عنها بلُطفٍ وقالت لها: «لا يا صغيرتي. إن مكانكِ هنا».

غادرَت إليسا فارمان إلى (دريفتمارك) في صباح اليوم التَّالي، ومن هناك استقلَّت سفينةً لتَعبُر (البحر الضيِّق) إلى (پنتوس)، وبعد ذلك شقَّت طريقها برًّا إلى (براڤوس) التي ذاعَ صيت بنائي سُفنها، وإن لم تكن لدى رِاينا تارجاريَن والأميرة إيريا فكرة عن وجهتها النِّهائيَّة. اعتقدَت الملكة أنها لم تذهَب أبعدَ من (دريفتمارك)، غير أن الليدي إليسا كان لديها سبب وجيه للرَّغبة في مسافةٍ أكبر بينها وبين الملكة. بعد أسبوعينِ من رحيلها أحضرَ السير ميريل بولوك، الذي لم يزَل قائدًا لحامية القلعة، ثلاثة ساسَةٍ مرعوبين وحارسٍ باحة التَّنانين إلى حضرة رِاينا. ثلاثٌ من بيضات التَّنانين مفقودةً، ولم تُسفِر أيامٌ من البحث عن العثور عليها. بعد استجواب كلِّ رجل لديه إمكانية الوصول إلى التَّنانين بدقَّة، صارَ السير ميريل مقتنعًا بأن الليدي إليسا سرقَتها.

إن كانت هذه الخيانة من قبل مَن أحبَّتها يومًا قد جرحَت رِاينا تارجاريَن فقد أجادَت إخفاء ذلك، لكن غضبَها لم يكن قابلًا للإخفاء. أمرَت رِاينا السير ميريل باستجواب السَّاسة وعاملي الاسطبلات بأسلوبٍ أشد حدَّةً، وعندما تبيَّن عدم جدوى الاستجواب أعفَته من إمرته وطردَته من (دراجونستون) مع ابنه السير آلِن ودستةٍ من الرِّجال الآخَرين وجَدتهم محلَّ شُبهة، بل وتمادَت لدرجة استدعاء زوجها آندرو فارمان، مطالبةً بمعرفة إن كان متواطئًا في جريمة أخته، وأجَّج إنكاره غضبتها، حتى سُمِعَ صياحهما يتردَّد عبر قاعات (دراجونستون).

أرسلَت رجالًا إلى (دريفتمارك)، فقط لتعرِفَ أن الليدي إليسا أبحرَت إلى (پنتوس)، فأرسلَت رجالًا إلى (پنتوس)، لكن الأثر اختفى هناك.

عندها فقط امتطَت رِاينا تارجاريَن دريمفاير لتطير إلى (القلعة الحمراء) وتُبلِغ شقيقها بما وقعَ. قالت للملك: «إليسا لم تُكِن حُبًّا للتَّنانين. ما أرادَته هو الذَّهب... ذهبًا لبناءٍ سفينة. ستَبيعُ البيضات. إنها تُساوي...».

- «... أسطولَ سُفن». كان جهيرس قد استقبلَ أخته في غُرفته الشَّمسيَّة، بحضورِ المايستر الأكبر بنيفر وحده ليشهد على ما قِيل. «إذا فقسَت تلك البيضات فسيكونُ في العالم سيِّد تنانينٍ آخَر، أحدٌ ليس من عائلتنا».

علَّق بنيفر: «قد لا تفقس بعيدًا عن (دراجونستون). الحرارة... معلوم أن بعضَ بيضات التنِّين يتحوَّلُ ببساطةٍ إلى حجر».

قال جهيرس: «وعندئذٍ سيَجِدُ تاجرُ توابلٍ ما في (پنتوس) نفسه يمتلِك ثلاثةَ أحجارٍ باهظةَ الثَّمن. وإلَّا... ولادة ثلاثةِ تنانين صغيرة ليست شيئًا يُمكن إخفاؤه بسهولة. من يملِكها أيًّا كان سيرغب في التَّبجُّح. يجب أن تكونَ لنا أعيُن وآذان في (پنتوس) و(تايروش) و(مير) وجميع المدن الحُرَّة، نعرض مُكافآتٍ مقابل أيِّ خبرٍ عن التَّنانين».

سألَته أخته رِاينا: «ماذا تنوي أن تفعل؟».

أجاب جهيرس: «ما يجب أن أفعلَه، ما يجب أن تفعليه أنتِ أيضًا. لا تُفكِّري في نفضِ يديكِ من هذا الأمر يا أختي الجميلة. لقد أردتِ (دراجونستون)، وقد منحتكُ إيَّاها، وأنتِ جلبتِ هذه المرأة إلى هناك، هذه اللِّصَّة».

كان عهد جهيرس تارجاريَن الأوَّل الطَّويل هادئًا في أغلبه، والحروب التي خاضَها قليلةً وقصيرةً، ومع ذلك لا ينبغي لأحدٍ أن يخلط بين جهيرس وأبيه إينِس، فلم يكن فيه أيُّ ضعفٍ أو تردُّد، وقد شهدَت أخته رِاينا والمِايستر الأكبر بنيفر حينها، عندما استرسلَ الملك في قوله: «إذا ظهرَت التَّنانين في أيِّ مكانٍ من هنا حتى (يي تي)، فسوف نُطالِب بإرجاعها. لقد سُرِقت منا، وهي حقٌّ لنا. وإذا رُفِض الطَّلب فعلينا أن نذهَب ونأخذها، نستردَّها إذا استطعنا، ونقتُلها إذا لم نستطِع. لا أملَ لأيِّ فرخ تنِّين في الصُّمود ضدَّ ڤرميثور ودريمفاير».

سألَت رِاينا: «وسيلڤروينج؟ أختنا...».

– «... لم يكُن لها دورٌ في هذا. لن أعرِّضها للخطر».

عندئذٍ ابتسمَت الملكة في الشَّرق، وقالت: «هي رينس وأنا ڤيزينيا. لم أُفكِّر بخلاف ذلك قَطُّ».

قال المِايستر الأكبر بنيفر: «تتحدَّث عن شنِّ حربٍ عبرَ (البحر الضيِّق) يا جلالة الملك، لكن التَّكاليف...»

– «... يجب تحمُّلها. لن أسمحَ بأن تنهضَ (ڤاليريا) من جديد. تخيَّل ما قد يفعله قناصل (ڤولانتيس) بالتَّنانين. دعونا نُصلِّي ألَّا يَبلُغ الأمر ذلك الحدَّ أبدًا». وبهذا أنهى جلالته المقابلة، محذِّرًا الآخرَيْن من الكلام عن البيضات المفقودة. «يجب ألَّا يعرف بهذا إلَّا ثلاثتنا».

لكن أوان مثل هذه التحذيرات كان قد فاتَ، ففي (دراجونستون) كان أمر السَّرقة معروفًا، حتى بين الصيَّادين، والصيَّادون كما هو معلوم يُبحرون إلى جُزرٍ أخرى، وهكذا انتشرَت الهمسات. أجرى بنيفر، متصرِّفًا عن طريق أمين النَّقد البنتوشي الذي كان له عُملاء في كلِّ مِيناء، اتِّصالاتٍ عبر (البحر الضيِّق) كما أمرَ الملك... «يدفع نفيس

الأموال لبخسِ الرِّجال» على حدِّ تعبير ريجو دراز، مقابل أيِّ خبرٍ عن بيضات التَّنانين أو التَّنانين ذاتها أو إليسا فارمان. أتى لفيفٌ من الهامِسين والمخبرين والحشم والمحظيَّات بمئات التَّقارير، عدد محدود منها كان ذا قيمةٍ للعرش الحديدي لأسبابٍ أخرى... وإن ثبُتَ أن كلَّ شائعةٍ عن بيضات التَّنانين كانت باطلةً عديمة الجدوى.

نعلمُ الآن أن الليدي إليسا شقَّت طريقها إلى (براڤوس) بعد (پنتوس)، ولكن ليس قبل أن تنتحِل اسمًا جديدًا. بعد أن طُرِدَت من (الجزيرة القصيَّة) وتبرأَّ منها شقيقها اللورد فرانكلين، بدأت تحمل اسم نغولةٍ من ابتكارها، داعيةً نفسها بآليس وِستهيل. تحت ذلك الاسم دبَّرت لقاءً مع أمير البحر البراڤوسي، الذي كان معرض وحوشه ذائع الصِّيت، وسرَّه أن يشتري بيضات التَّنانين. أودعَت الليدي إليسا الذَّهب الذي حصلَت عليه مقابلها في (المصرف الحديدي)، واستغلَّته في تمويلِ بناءِ (مُطارِدة الشَّمس)، السَّفينةِ التي حلمَت بها لسنواتٍ عديدة.

لم يكن أيٌّ من هذا معروفًا في (وستروس) في ذلك الحين، وسُرعان ما أصبحَ لدى الملك جهيرس همٌّ جديد، ففي (السِّپت النَّجمي) بـ(البلدة القديمة) انهارَ السِّپتون الأعلى في أثناء صعوده السَّلالم إلى غُرفة نومه، وماتَ قبل أن يصِل إلى القاع. في جميعِ أنحاءِ المملكة غنت الأجراس في كلِّ سِپتٍ أُغنيةً حزينةً. لقد رحلَ أبو المؤمنين لينضمَّ إلى (السَّبعة).

على أن الملك لم يجد وقتًا للصلاة أو الحُزن، فبمجرَّد دفنِ قداسته سيجتمِع مجلس القانِتين في (السِّپت النَّجمي) لاختيار خليفته، وكان جهيرس يعلم أن سلام البلاد يعتمد على استمرار الرَّجل الجديد في سياسات سلَفه. كان للملك مرشَّحه الخاص للتَّاج البلُّوري: السِّپتون بارث الذي جاءَ للإشراف على مكتبة (القلعة الحمراء)، ليُصبح أحد أكثر مستشاري الملك موثوقيَّةً. استغرقَ بارث نصف اللَّيل لإقناع

جلالته برعونة اختياره، إذ كان بارث صغيراً جدًّا ومجهول السيرة، وغير تقليديّ في آرائه، وليس فردًا من مجلس القانِتين حتى. لم يكن لديه أمل في أن يُختار، وسيحتاجون إلى مرشَّحٍ آخَر، رجلٍ آخَر أكثر قبولًا عند إخوته في العقيدة.

اتَّفق الملك وأعضاء المجلس على أمرٍ واحد: يجب أن يفعلوا كلَّ ما بوسعهم لضمان عدم اختيار السِّپتون ماثيوس، الذي خلَّفت فترة ولايته في (كينجز لاندنج) إرثًا من عدم الثِّقة، ولم يستطِع چهيرس أن يغفر له أو ينسى كلامه عند بوّابات (دراجونستون).

اقترحَ ريجو دراز أن بعض الرِّشى المدفوعة بعناية قد يُؤدِّي إلى النَّتيجة المرجوَّة، وقال ساخرًا: «فرِّق ما يكفي من الذَّهب على هؤلاء الأشدِّ تقوى وسيختارونني، ولو أنني لا أبغي المنصب»، فيما دعا ديمون ڤيلاريون وكارل كوربراي إلى استعراض القوَّة، ولو أن اللورد ديمون أرادَ أن يُرسِل أسطوله، في حين عرضَ اللورد كارل أن يقود جيشًا. تساءلَ آلبِن ماسي، قيِّم القوانين محنيُّ الظَّهر، إن كان المصير نفسه قد يلحق بالسِّپتون ماثيوس كالسِّپتون الأعلى الذي تسبَّب في مشكلاتٍ مماثلة لإينس وميجور؛ موت مفاجئ وغامض. أصيبَ السِّپتون بارث والمِايستر الأكبر بنيفر والملكة أليسين بالهلع من كلِّ تلك المقترحات، ورفضَها الملك رفضًا قاطِعًا، ليُقرِّر بدلًا من ذلك أن يذهب هو والملكة إلى (البلدة القديمة) في الحال. لقد كان صاحب القداسة الأعلى خادمًا مخلصًا للآلهة وصديقًا صدوقًا للعرش الحديدي، ومن الحكمة أن يكونا حاضريْن لرؤيته يُشيَّع إلى مثواه الأخير.

وكانت التَّنانين الوسيلة الوحيدة للوصول إلى (البلدة القديمة) في الوقت المناسب.

لم يرتَح كلٌّ لوردات المجلس، حتى السِّپتون بارث، لفكرة وجودِ الملك والملكة وحدهما في (البلدة القديمة). أشارَ بارث: «ما يزالُ بين إخوتي مَن لا يحبُّونَ جلالتَك»، ووافقَه اللورد ديمون وذكَّر چهيرس بما جرى للملكة في (بِركة العذارى). وعندما أصرَّ الملك على أنه سيحظى بحماية (البُرج العالي)، تُبودِلَت النَّظرات المضطربة، وقال مانفرد ردواين: «اللورد دونل دسَّاس وعَبوس. لستُ أثقُ به، ويجب ألَّا تثق به كذلك. إنه يفعل ما يراه الأفضل نفعًا لنفسه وعائلته و(البلدة القديمة)، ولا يهتمُّ مقدار ذرَّةٍ بأيِّ شخصٍ أو شيءٍ آخَر، ولا حتى ملكه».

فقال چهيرس: «يجب إذًا أن أقنعه بأن الأفضل لملكه هو الأفضل لنفسه وعائلته و(البلدة القديمة). أعتقدُ أني قادرٌ على ذلك»، وهكذا أنهى النِّقاش وأصدرَ أوامره بتجهيز التِّنِّينيْن.

حتى بالنِّسبة إلى التَّنانين، الرِّحلة من (كينجز لاندنج) إلى (البلدة القديمة) طويلة. توقَّف الملك والملكة مرَّتين في الطَّريق، مرَّةً في (جسر العلقم) ومرَّةً في (هايجاردن)، حيث استراحا طوال اللَّيل وتبادَلا المشورة والرَّأي مع سيِّدي القلعتيْن. أصرَّ اللوردات في المجلس على أن يأخُذا شيئًا من الحماية على الأقل، لذا طارَ السير چوفري دوجت مع أليسين، والظِّلُّ القرمزي چونكويل دارك مع چهيرس، من أجل موازنة الثِّقل الذي يحمله كلُّ تنِّين.

أخرجَ وصول ڤرميثور وسيلڤروينج غير المتوقَّع إلى (البلدة القديمة) آلافًا من ناسها إلى الشوارع ليُشيروا ويُحدِّقوا. لم يُرسَل خبر عن مجيئهما، وكان في المدينة كثير من المرعوبين الذين تساءَلوا عمَّا قد يُنذِر به هذا... لا أحد ربما أكثر من السِّپتون ماثيوس، الذي امتقعَ وجهه عندما أُخبِرَ. حطَّ چهيرس بڤرميثور في السَّاحة الرُّخام الواسعة خارج

(السِّپت النَّجمي)، لكن ملكته هي التي جعلَت المدينة تشهق انبهارًا عندما حطَّت بسيلڤروينج فوق قمَّة (البُرج العالي) نفسه، ليؤجِّج خفقان جناحيْها نيران المنارة الشهيرة.

رغم أن طقوس جنازة السِّپتون الأعلى كانت السَّبب المزعوم لزيارتهما، كان قداسته قد دُفِنَ بالفعل في السَّراديب أسفل (السِّپت النَّجمي) عند وصول الملك والملكة، ومع ذلك ألقى چهيرس تأبينًا، مخاطبًا حشدًا كبيرًا من السِّپتونات والمِايسترات والعامَّة في السَّاحة، وفي نهاية كلمته أعلنَ أنه والملكة سيبقيانَ في (البلدة القديمة) حتى يُختار السِّپتون الأعلى الجديد «لكي نلتمِس مباركته». كتبَ المِايستر الرَّئيس جودوين فيما بعد: «هتفَ العامَّة، وأومأ المِايسترات برصانة، ونظرَ بعض السِّپتونات إلى بعضٍ وفكَّروا في التَّنانين».

في أثناء وجودهما بـ(البلدة القديمة) نامَ چهيرس وأليسين في غُرفة اللورد دونل الخاصَّة على قمَّة (البُرج العالي)، ومعالم (البلدة القديمة) كافَّةً مُنبسطة تحتَهما. لا معلومات مؤكَّدة لدينا عمَّا قيلَ بينهما وبين مضيفهما، لأن نقاشاتهم دارَت خلف أبوابٍ مغلقة دون حضور مِايستر حتى، لكن بعد سنواتٍ أخبرَ الملك چهيرس السِّپتون بارث بكلِّ ما حدثَ، ودوَّن بارث ملخَّصًا لأجل التَّاريخ.

كان آل هايتاور سادة (البلدة القديمة) عائلةً عريقةً قويَّةً غنيَّةً أبيَّةً... وكبيرةً. جرَت العادة عندهم منذ زمنٍ طويل على التحاق الأبناء الأصغر والإخوة وأولاد العمومة والنُّغول بالعقيدة، حيث ارتقى كثيرون إلى مناصب مرموقة على مرِّ القرون. في عام 54 بعد الفتح كان للورد دونل هايتاور أخٌ أصغر واثنان من أبناء الإخوة وستَّةً من أبناء العمومة يخدِمون (السَّبعة)، وكان أخوه وابن أخيه واثنان

من أبناءِ عمومته يرتدون الثَّوب الفضِّي الذي يُميِّز أعضاءَ مجلسِ القانِتين، وقد رغبَ اللورد دونل في أن يُصبِح أحدهم السِّپتون الأعلى.

لم يهمَّ الملك جهيرس من أيِّ عائلةٍ ينحدِر صاحب القداسة الأعلى، أو إن كان من نسبٍ وضيعٍ أو رفيع. كان شاغله الوحيد أن يُؤيِّد السِّپتون الأعلى الجديد مذهب الاستثنائيَّة، إذ وجبَ ألاَّ يُشكِّك (السِّپت النَّجمي) في عاداتِ آل تارجاريَن الخاصَّة بزواج الإخوة مرَّةً أخرى. أرادَ الملك من أبي المؤمنين الجديد أن يجعلَ الاستثنائيَّة من مبادئ العقيدة الرَّسميَّة، وعلى الرَّغم من عدم اعتراض جلالته على شقيقِ اللورد دونل أو بقيَّة أقربائه، فإن أحدًا منهم لم يكن قد تحدَّث بعدُ عن المسألة، ولذا...

بعد ساعاتٍ من النِّقاش وصلوا إلى تفاهُمٍ أُبرِمَ بوليمةٍ عظيمة أقامَها اللورد دونل وأشادَ خلالها بحكمة الملك، وعرَّفه بإخوته وأعمامه وأبناء وبنات إخوته وعمومته. اجتمعَ أعضاء مجلس القانِتين في (السِّپت النَّجمي) لاختيارِ راعِيهم الجديد، وبينهم عُملاء للورد هايتاور والملك دون أن يعرف معظمهم بوجودهم. تطلَّب الأمر أربعة اقتراعات، وفازَ السِّپتون ماثيوس في الاقتراع الأوَّل كما كان متوقَّعًا، لكنه افتقرَ إلى الأصوات اللَّازمة للظَّفر بالتَّاج البلُّوري، وبعدَ ذلك تضاءلَت أصواتُه مع كلِّ جولةِ اقتراع، وتقدَّم رجال آخَرون.

في الاقتراع الرَّابع خالفَ مجلس القانِتين العادات، واختارَ رجلًا لا ينتسِب إليه. وقعَ الاختيار على السِّپتون آلفين، الذي عبرَ (المرعى) دستةً من المرَّات فوق حمَّالته نيابةً عن جهيرس وملكته. لم يكن في (الممالِك السَّبع) من مُناصرٍ لمذهب الاستثنائيَّة أشد من آلفين، لكنه كان الأكبر سنًّا بين الخُطباءِ السَّبع، وبلا ساقيْن كذلك، وبدا من

الرَّاجح أن (الغريب) سيسعى إليه عاجلًا غير آجل. عندما يحدُث ذلك، سيكون خليفته من آل هايتاور، وهو ما أكَّده الملك للورد دونل، شريطة أن ينحاز أقرباؤه بحزمٍ إلى مؤيِّدي مذهب الاستثنائيَّة في عهدِ السِّپتون آلفين.

وهكذا أُبرِمَت الصَّفقةُ، إذا كان بإمكاننا تصديق رواية السِّپتون بارث. لم يُشكِّك بارث نفسه في الأمر، رغم أنه أسفَ للفساد الذي جعلَ التَّلاعُب بمجلسِ القانِتين سهلًا، وكتبَ: «لكان أفضل أن يختار (السَّبعة) أنفسهم صوتهم على الأرض، ولكن حين تصمت الآلهة يجعل اللوردات والملوك أصواتهم تُسمَع»، وأضافَ أن آلفين وشقيق اللورد دونل الذي خلفَه كانا أجدر مرارًا بالتَّاج البلُّوري من السِّپتون ماثيوس.

لم يندهِش أحدٌ من اختيار السِّپتون آلفين أكثر من السِّپتون آلفين نفسه، الذي كان في (آشفورد) عندما بلغَه الخبر. استغرقَ منه السَّفر بالنقَّالة أكثر من أسبوعين للوصول إلى (البلدة القديمة)، وفيما ينتظِر وصوله استغلَّ چهيرس وقته في الذَّهاب إلى (باندالون) و(الأبراج الثَّلاثة) و(النُّجود) و(ربوة العسل)، بل وطارَ على متن ڤرميثور إلى (الكرمة)، حيث جرَّب عيِّناتٍ من أجود أصناف النَّبيذ على تلك الجزيرة. بقيَت الملكة أليسين في (البلدة القديمة)، واستضافَتها الأخوات الصَّامتات في معتكَفهن لقضاء يومٍ في الصَّلاة والتَّأمُّل، وأمضَت يومًا آخَر مع السِّپتواتِ اللائي يعتَنينَ بالمرضى والمحتاجين في المدينة. كانت ابنة أختها رِايلا بين المبتدئات اللاتي قابلتهن، ووصفَتها جلالتها بأنها شابَّة عارِفة وتقيَّة، «رغم أنها كثيرًا ما تتلعثَم وتتورَّد خجلًا». طيلة ثلاثةِ أيامٍ فقدَت الملكة نفسها في مكتبةِ (القلعة) العظيمة، ولم تَخرُج إلَّا لتحضر محاضراتٍ عن حروبِ التَّنانين الڤاليريَّة وفُنونِ العلاجِ بالعَلَقِ وآلهةِ (جُزر

الصَّيف).

بعد ذلك أقامَت وليمةً لرؤساء المِايسترات المجتمعين في قاعة طعامهم، بل وتجرَّأت على محاضرتهم. قالت أليسين للمجمع: «لو لم أكُن ملكةً فلربما وددتُ أن أكون مِايسترًا. إنني أقرأ وأكتبُ وأفكِّرُ، ولا أخشى الغِدفان... أو القليل من الدِّماء. تُوجَد فتيات نبيلات أخريات يُشاطِرنني الرَّأي. لماذا لا نُلحِقهن بـ(القلعة)؟ إذا لم يستطعن المواصلة فأعيدوهن إلى بيوتهن، بالطَّريقة نفسها التي تُعيدون بها الفتيان غير الماهرين كفايةً إلى ديارهم. إذا منحتم الفتيات الفرصة فقد يُفاجِئكم عدد اللَّواتي سيصُغن السَّلاسل». ابتسم رؤساء المِايسترات لكلماتها كراهيةَ أن يُعارِضوا الملكة، وهزُّوا رؤوسهم وأكَّدوا لجلالتها أنهم سينظُرون في اقتراحها.

ما إن وصلَ السِّپتون الأعلى الجديد إلى (البلدة القديمة)، وأمضى ليله في الصَّلاة بـ(السِّپت النَّجمي)، ومُرِّخ حسب الأصول وكرَّس حياته لـ(السَّبعة) متخليًّا عن اسمه وجميع صلاته الدُّنيويَّة، حتى باركَ الملك چهيرس والملكة أليسين في احتفالٍ عام مهيب. كان الحرس الملكي ومجموعة من الخدم أيضًا قد انضمُّوا إلى الملك والملكة في تلك المرحلة، لذلك قرَّر جلالته العودة من طريق (التُّخوم الدورنيَّة) و(أراضي العواصف)، ليزور كُلًّا من (هورن هيل) و(التَّغريدة) ثم (المرفأ الأسود).

وجدَت الملكة أليسين القلعةَ الأخيرة تحديدًا مُناسبةً ومُريحةً. رغم أن قلعته كانت صغيرةً ومتواضعةً مقارنةً بقلاع البلاد العُظمى، أكرمَ اللورد دونداريون ضيافتهما، وعزفَ ابنه سيمون على القيثارة السَّامية بمهارةٍ ضاهَت مهارتَه في النِّزال، وسلَّى الثُّنائي الملكي ليلًا بأغانٍ حزينة عن العُشَّاق سيِّئي الحظِّ وسقوط الملوك. صارت الملكة شغوفةً به لدرجة أن الموكب بقيَ في (المرفأ الأسود) فترةً أطول مما كان مقرَّرًا، وكان الملك

والملكة لا يزالان هناك عندما وصلَ غُداف من (ستورمز إند) بخبرٍ مفجِع: والدتهما الملكة أليسا تُحتَضر.

مرَّةً أخرى حلَّق ڤرميثور وسيلڤروينج في السَّماء ليصل الملك والملكة إلى أمِّهما في أسرع وقتٍ ممكن، فيما تبعَهما باقي الموكِب الملكي برًّا عن طريق (الدفَّة الحجريَّة) و(عُش الغُراب) و(وكر الجَرافِن)، تحت قيادة السير جايلز موريجن حضرة قائد الحرس الملكي.

لا يحتوي معقل آل باراثيون العظيم في (ستورمز إند) إلَّا على بُرج واحد، البُرج الدَّائري الهائل الذي بناه داران ويل الآلهة في عصر الأبطال للصُّمود ضد غضبة إله العواصف. على قمَّة ذلك البُرج، تحت مسكن المِايستر والمِغدفة، وجدَ جهيرس وأليسين أمَّهما نائمةً في سريرٍ تفوح منه رائحة البول، يُغرِقها العرق ومهزولةً كعجوزٍ طاعنة في السِّن، باستثناء بطنها المنتفخ. كان مِايستر وقابِلة وثلاث وصيفات يعتنون بها، كلٌّ منهم أشدُّ تجهُّمًا من الآخَر. وجدَ جهيرس اللورد روجار جالسًا خارج الباب مخمورًا يائسًا، وعندما سألَه الملك عن سبب عدم وجوده بجانب زوجته، دمدمَ سيِّد (ستورمز إند): «(الغريب) في تلك الغرفة. أستطيعُ شمَّ رائحته».

أوضحَ المِايستر كايري أن كوبًا من النَّبيذ الممزوجِ بعقَّار حُلو الكرى هو ما منحَ الملكة أليسا هذه الرَّاحة القصيرة بالكاد، إذ عانَت ألمًا مضنيًا لعدَّة ساعاتٍ قبل ذلك، وأضافت إحدى الخادِمات: «كان صُراخها شديدًا، وتتقيَّأ كلَّ لُقيمة طعامٍ نُقدِّمها لها، وتعاني ألمًا فظيعًا».

قالت الملكة باكية: «لم يحِن ميعاد مخاضها، ليس بعدُ».

أكَّدت القابِلة: «ليس قبل دورة قمر. ليس هذا ليس مخاضًا أيُّها السَّادة. شيءٌ ما تمزَّق في داخلها. الجنين يُحتضَر، أو سيموتُ قريبًا.

الأُم كبيرةٌ في السِنّ، ولا تتمتَّع بالقوَّةُ للدَّفع، والجنين ملتوٍ في داخلها... الوضع ليس جيِّدًا. كِلاهما سيموت مع بزوغِ الفجر. أستَميحُكم عُذرًا».

لم يُخالِفها المِايستر كايري، وقال إن حليب الخَشخاش سيخفِّف آلام الملكة، وكان قد أعدَّ جرعةً قويَّةً منه... لكنها قد تَقتُل جلالتها بقدر احتمال مساعدتها، ومِنَ المؤكَّد أنها ستقتُل الطِّفل في رحِمها. وعندما سألَ جهيرس عمَّا يُمكن فِعله، أجابَه المِايستر: «للملكة؟ لا شيء. حالتُها خارج نطاق قُدرتي على الإنقاذ. لديَّ فرصة، فرصة ضئيلة، لإنقاذِ الطِّفل، ولفِعل ذلك سأحتاجُ إلى فتح بطنِ الأمِّ وإخراج الطِّفل من رحِمها. قد يعيشُ الطِّفل أو لا يعيش، لكن المرأة ستموت».

أبكَت كلماته الملكة أليسين، ولم يقل الملك إلَّا: «هذه المرأة أمِّي، وملكة»، ثم خرجَ ثانيةً وسحبَ روجار باراثيون حتى وقفَ على قدميه، وجرَّه إلى غُرفة الولادة، حيث أمرَ المِايستر بأن يكرِّر ما قاله للتَّوِ. ذكَّر الملك جهيرس اللورد روجار: «إنها زوجتك، وأنت من عليه أن يُعطي الأمر».

قِيلَ لنا إن اللورد روجار لم يتحمَّل النَّظر إلى زوجته، ولم يجِد ما يقوله حتى أمسكَه الملك من ذراعه بخشونةٍ وهزَّه. قال اللورد روجار للمِايستر: «أنقِذ ابني»، ثمَّ انتزعَ ذراعه من قبضة الملك وفرَّ من الغُرفة مرَّةً أخرى، وحنى المِايستر كايري رأسه وأرسلَ في طلب شفراته.

في كثيرٍ من الرِّوايات التي وصلَت إلينا، قيل لنا إن الملكة أليسا استيقَظت من نومها قبل أن يبدأ المِايستر، ورغم الألم والتَّشنُّجات القاسية بكَت من الفرح عندما رأَت ولديْها هناك. أخبرتها أليسين بما سيَحدُث، فوافقَت أليسا وهمسَت: «أنقِذوا طفلي. سأذهبُ لرؤية ولديَّ مرَّةً أخرى. ستُضيء (العجوز) طريقي». إنه لمن دواعي سرورنا

أن نُصدِّق أن تلك كانت كلمات الملكة الأخيرة، ولكن من المحزن أن نقول إن رواياتٍ أخرى تُخبِرنا بأن جلالتها ماتت دونَ أن تستيقِظ عندما فتحَ المِايستر كايري بطنَها. يتَّفِق الجميع على نقطةٍ واحدة: أن الملكة أليسين أمسكَت يد والدتها من البداية إلى النِّهاية، حتى أفعمَت صرخة الوليد الأولى الغُرفة.

لم ينَل اللورد روجار الابن الثَّاني الذي صلَّى لأجله. كان المولود بنتًا، وُلِدَت صغيرةً ضعيفةً لدرجة أن كلا القابِلة والمِايستر لم يعتقِد أنها ستنجو، غير أنها فاجَأتهما كما ستُفاجئ كثيرين على مرِّ حياتها. بعد أيام، عندما تعافى أخيرًا وأصبحَ قادِرًا على التفكير، سمَّى اللورد روجار باراثيون ابنته چوسلين.

لكن أوَّلًا كان على معاليه أن يتعامل مع زيارةٍ مثيرة للجدل. كان الفجر يبزُغ وجُثمان الملكة أليسا لم يبرُد بعدُ حين رفعَ ڤرميثور رأسه من المكان الذي التفَّ فيه نائمًا في الباحة، وأطلقَ هديرًا أيقظَ نصف النِّيام في (ستورمز إند). لقد اشتمَّ تنِّينًا آخَر يقترب. بعد لحظاتٍ هبطَت دريمفاير وفقرات عُرفها الفضِّيَّة تلتمع، فيما يخفق جناحاها الأزرقان الشَّاحبان في سماءِ الفجرِ الحمراء. ها قد جاءَت رِاينا تارجاريَن لكي تُصالِح والدتها.

لكنها تأخَّرت جدًّا، فالملكة أليسا رحلَت. رغم أن الملك أخبرَها بأنَّها ليست بحاجةٍ إلى النَّظر إلى جُثَّةِ والدتها، أصرَّت رِاينا وانتزعَت أغطية الفِراش التي سترَتها لتتأمَّل عملَ المِايستر. بعد وقتٍ طويل التفتَت لتُقبِّل أخاها على خدِّه وتحتضن أختها الصُّغرى، ويُقال إن الملكتيْن تعانقَتا لمدَّةٍ طويلة، لكن عندما قدَّمت لها القابِلة الوليدة الجديدة لتحملها، رفضَت رِاينا وسألَت: «أين روجار؟».

وجدَته بالأسفل في قاعته الكبرى مع ابنه الصَّغير بورمند جالسًا في حجره، ويُحيط به إخوته وفُرسانه. اندفعَت رِاينا تارجاريَن مزيحةً إياهم جميعًا لتقف فوقه، وبدأت تلعنه في وجهه وقالت مستشيطةً غضبًا: «دمها على يديك، دمها على قضيبِك. أرجو أن تموت صارخًا».

أغضبَت اتِّهاماتها روجار باراثيون، وقال: «ماذا تقولين يا امرأة؟ هذه مشيئة الآلهة. (الغريب) يأتينا جميعًا. كيفَ يُمكِن أن يكونَ هذا من صُنعي؟ ما الذي فَعلتُه؟»

- «ولجتها بقضيبك. لقد أعطتك ابنًا واحدًا، وكان يجب أن تكتفي بذلك. كان يجب أن تقول: *أنقِذوا زوجتي*، لكن ماذا تعني الزَّوجات لأمثالك؟». ثم مدَّت رِاينا يدَها وأمسكَت لحيته وجذبَت وجهه إلى وجهها متابعةً: «اسمع هذا يا سيِّدي. لا تُفكرن في الزَّواج من جديد. اعتنِ بالوليديْن اللذين منحتكَ إياهما أمِّي، أخي غير الشَّقيق وأختي غير الشَّقيقة. احرص ألَّا يعوزهما شيء. افعل ذلك وسأدعك وشأنك. إذا سمعتُ ولو همسةً عن اتِّخاذك امرأةً أخرى زوجةً فسوف أجعلُ من (ستورمز إند) (هارنهال) ثانيةً، بوجودك أنت وهي فيها».

وعندما اندفعَت مغادرةً القاعة وعادَت إلى تنِّينتها في الباحة، ضحكَ اللورد روجار وإخوته معًا، وقال: «إنها مجنونة. أتحسب أنها تُخيفني؟ أنا؟ لم أخشَ غضبةَ ميجور المتوحِّش، فهل يُفترَض أن أخشاها؟»، وبعد ذلك شربَ كوبًا من النَّبيذ، واستدعى وُكلاءه لاتِّخاذ الإجراءات اللَّازِمة لدفنِ زوجته، وأرسلَ شقيقه السير جارون لدعوة الملك والملكة للبقاء لحضور وليمةٍ على شرف ميلاد ابنته.[14]

ملِكٌ أشدُّ حُزنًا عادَ إلى (كينجز لاندنج) من (ستورمز إند). لقد منحَ

14 - لم يتزوَّج روجار باراثيون ثانيةً قَطُّ. (المؤلِّف).

مجلس القانِتين منصب السِّپتون الأعلى للرَّجل الذي رغبَ فيه چهيرس، وسيغدو مذهب الاستثنائيَّة من مبادئ العقيدة، كما أنه توصَّل إلى اتفاقٍ مع آل هايتاور سادة (البلدة القديمة) الأقوياء، لكن مذاق هذه الانتصارات استحالَ إلى رمادٍ في فمه مع موت والدته. على أن چهيرس لم يكن بالرَّجل الذي يستكين للكآبة، وكما سيفعل مرارًا وتكرارًا خلال عهده الطَّويل، تجاهلَ الملك أحزانه وانغمسَ في حُكم مملكته.

كان الصَّيف قد أفسحَ المجال للخريف، وأوراق الشَّجر تتساقَط في جميع أنحاء (الممالِك السَّبع)، وظهرَ ملكٌ نسرٌ جديد في (الجبال الحمراء)، وتفشَّى داء التَّعرُّق في (الأخوات الثَّلاث)، و(تايروش) و(لِيس) على وشكِ دخول حربٍ من شِبه المؤكَّد أنَّها ستبتلع جُزر (الأعتاب) وتتعطَّلُ على إثرها التِّجارة. كلُّ هذا كان يجب التَّعامل معه، وقد تعاملَ معه چهيرس.

وجدت الملكة أليسين جوابًا مختلفًا. بعد أن فقدَت أُمًّا، وجدَت العزاءَ في ابنة. رغم أن الأميرة دنيرس لم تكن قد بلغَت من العمر أكثر من عامٍ ونصف، فقد بدأت تتكلَّم (نوعًا ما) قبل فترةٍ طويلة من يوم ميلادها الأوَّل، وتجاوزَت الزَّحف والترنُّح والمشي وبدأت تجري، حتى إن مُرضعتها قالت للملكة: «إنها في عجلةٍ من أمرها». كانت الأميرة الصَّغيرة طفلةً سعيدةً، فضوليَّةً إلى أقصى حدٍّ وفي غاية الشَّجاعة، وبهجةً لكلِّ من عرفَها، وقد سحرَت أليسين لدرجة أن جلالتها بدأت تتغيَّب عن جلسات المجلس الصَّغير، مُفضِّلةً قضاءَ أيامها في اللَّعب مع ابنتها وقراءة القصص التي قرَأتها لها والدتها من قبل. قالت أليسين للملك: «إنها ذكيَّةٌ للغاية، وقريبًا ستبدأ هي القراءة لي. ستكون ملكةً عظيمةً، أعلمُ هذا».

لم يكن (الغريب) قد فرغَ بعدُ من آل تارجاريَن في تلك السَّنة القاسية، 54 بعد الفتح. عبر (الخليج الأسود) في (دراجونستون)، وجدَت رِاينا تارجاريَن أحزانًا جديدةً تنتظرها عندما عادَت من (ستورمز إند). على النَّقيض من كونها مصدر بهجةٍ وراحةٍ لها كما كانت دنيرس لأختها أليسين، أصبحَت ابنتها إيريا رُعبًا، طفلةً عنيدةً تتحدَّى سِپتتها ووالدتها ومِايستراتها على حدٍّ سواء، وتُسيء إلى خدمها وتتغيَّب عن الصَّلوات والدُّروس والوجَبات دون إذن، وتُخاطِب رجال بلاط رِاينا ونساءه بأسماءٍ ساخرة مثل «السير غبي» و«اللورد وجه الخنزير» و«الليدي كثيرة الضُّراط».

أمَّا آندرو فارمان زوجُ جلالتها، رغم أنه كان أقلَّ من الفتاة في علوِّ الصَّوت والتَّحدِّي العلني، فلم يقلَّ عنها غضبًا. عندما وصلَت أخبار تدهورِ صحَّة الملكة أليسا إلى (دراجونستون)، أعلنَ آندرو أنه سيُرافِق زوجته إلى (ستورمز إند)، قائلًا إن بصفته زوجها فمكانه بجانبها ليمنحها الطُّمأنينة. على أن الملكة رفضَته، وليس برِفق، وقبل رحيلها نشبَ بينهما شجار صاخب، وسُمِعَت جلالتها تقول: «الفارمان الخطأ هو الذي هربَ». بحلول عام 54 بعد الفتح كان زواجُها، الذي لم يكن عاطفيًّا قَطُّ، قد أصبحَ عرضًا هزليًّا. «ولم يَعُد مسلِّيًا»، كما علَّقت الليدي إليني رويس.

لم يعُد آندرو فارمان الفتى الذي تزوجته رِاينا قبل خمسِ سنواتٍ في (الجزيرة القصيَّة) عندما كان في السَّابعة عشرة، إذ صارَ الفتى الوسيم لحيمًا منتفخ الوجه مستدير الكتفيْن. لم يحظَ فارمان باحترام غيره من الرِّجال قَطُّ، ووجدَ نفسه منسيًّا متجاهَلًا من اللوردات الذين ضيَّفوهم في أثناء تجوال رِاينا في الغرب. أمَّا (دراجونستون) فاتَّضح أنها ليست

أفضل حالًا. كانت زوجته لم تزَل ملكةً، لكن أحدًا لم يعتبِر آندرو ملكًا، ولا حتى قرينًا للملكة. رغم جلوسه إلى المائدة بجانِب الملكة رِاينا فإنه لم يشارِكها الفِراش، وذهبَ شرفُ النَّوم معها إلى صديقاتها ومفضَّلاتها. كانت غُرفة نومه في بُرجٍ مختلف تمامًا عن بُرجها، وقالت الشَّائعات في البلاط إن الملكة أخبرَته أن من الأفضل أن يناما منفصليْن، لكيلا يُزعِجه أحد إذا وجدَ خادمةً جميلةً لتدفئة سريره، ولكن ليس لدينا ما يُشير إلى أنه وجدَ واحدةً.

كانت أيامُه فارِغةً كلياليه. رغم أنه وُلِدَ على جزيرةٍ ويعيش الآن على جزيرةٍ أخرى، لم يُمارِس آندرو الإبحار أو السِّباحة أو صيد السَّمك، ولأنه مُرافق فاشل فلم يتمتَّع بمهارةٍ بالسَّيف أو الفأس أو الحربة، ولذا فيما تدرَّب رجال حامية القلعة في السَّاحة كلَّ صباح، كان يظلُّ هو راقدًا على سريره. ظن المِايستر كوليپر أنه قد يكون ميَّالًا إلى الكُتب، فحاولَ أن يُثيرَ اهتمامَه بكنوزِ مكتبة (دراجونستون)، المجلَّدات الثَّقيلة ومخطوطات (ڤاليريا القديمة) التي فتنَت الملك چهيرس، ليكتشف أن زوجَ الملكة لا يستطيع القِراءة. أجادَ آندرو الرُّكوب لدرجة معقولة، ومن وقتٍ إلى آخَر كان يركب حِصانًا ويخبُّ به حول السَّاحة، لكنه لم يخرُج قطُّ من البوَّابات لاستكشاف ممرَّات (دراجونمونت) الصَّخريَّة، أو للذَّهاب إلى الجانِب البعيد من الجزيرة، ولا حتى إلى قُرى الصَّيد أو الأرصفة أسفل القلعة.

كتبَ المِايستر كوليپر لـ(القلعة): «إنه يشربُ بكثرة، ومعروف عنه قضاء أيامٍ كامِلة في (قاعة المائدة المرسومة)، ينقلُ الجنود الخشبيِّين الملوَّنين حولَ الخريطة. اعتادَت رفيقات الملكة رِاينا ترديد أنه يُخطِّط لغزو (وستروس). لا يستهزِئنَ به في وجهه لأجل خاطِر رِاينا، لكنهن

يضحكنَ منه من وراء ظهره. الفُرسان والجُند لا يُعيرونه بالًا على الإطلاق، والخدم يُطيعونه أو لا يُطيعونه، كما يحلو لهم، دونَ خوفٍ من استيائه. أمَّا الأطفال فأقسى الجميع، كما هو ديدن الأطفال غالبًا، ولا أحدَ منهم بقسوة الأميرة إيريا، التي أفرغَت ذات مرَّةٍ وعاء فضلاتٍ على رأسه، ليس بسبب شيءٍ فعلَه، بل لأنها كانت غاضبةً من والدتها».

ازدادَ استياء آندرو فارمان في (دراجونستون) سوءًا بعد رحيل أخته. كانت الليدي إليسا أقرب أصدقائه، وربما صديقته الوحيدة، كما نوَّه كوليبر، وعلى الرَّغم من إنكاره الباكي وجدت رِاينا صعوبةً في تصديق أنه لم يلعب أيَّ دورٍ في مسألة بيض التَّنانين. حين صرفَت الملكة السير ميريل بولوك، طلبَ منها آندرو أن تُعيِّنه قائدًا لحامية القلعة بديلًا عن بولوك. كانت جلالتها تتناول الفطور مع أربعٍ من وصيفاتها، وانفجَرت الليديهات ضحكًا من طلبه، وبعد لحظةٍ ضحِكت الملكة أيضًا. عندما طارَت رِاينا إلى العاصمة لإبلاغ الملك جهيرس بالسَّرِقة، عرضَ آندرو مرافقتها، فرفضَته زوجته بازدراءٍ قائلةً: «بِمَ سيفيدنا ذلك؟ ما الذي يُمكِنك فِعله غير السُّقوط من فوق ظهر التنِّين؟».

رَفضُ الملكة رِاينا رغبته في الذَّهاب معها إلى (ستورمز إند) كان الإهانة الأخيرة من سلسلة الإهانات الطَّويلة التي وُجِّهَت إلى آندرو فارمان، ولدى عودة رِاينا من زيارة والدتها على فِراش الموت، لم تعُد لدى آندرو أيَّة رغبة في مواساتها. متجهِّمًا دومًا وعابِسًا، كان يجلس صامتًا لتناوُل الوجبات، وعدا ذلك تحاشى رفقة الملكة. إن أزعجَ وجومه رِاينا تارجاريَن فإنها لم تُبدِ إلَّا القليل من العلامات على ذلك. لقد وجدَت عزاءها في رفيقاتها بدلًا منه، في صديقاتٍ قديماتٍ مثل سامانثا ستوكوورث وإليني رويس، وصاحباتٍ جديداتٍ مثل ابنة خالها ليانا ڤيلاريون، وكاسلا ابنة

اللورد ستاونتون الجميلة، والسِّپتة الشَّابَّة ماريَم.

أيًّا كان السَّلام الذي ساعدنَا على العثور عليه، فإنه لم يَدُم طويلًا. حلَّ الخريف على (دراجونستون) كما حلَّ على بقيَّة (وستروس)، ومعه هبَّت الرِّياح البارِدة من الشَّمال وثارَت العواصف من الجنوب عبر (البحر الضيِّق). استقرَّت ظُلمة على القلعة العتيقة، وهي مكان كئيب حتى في الصَّيف، وحتى التَّنانين بدَت كأنها تشعرُ بالرُّطوبة. ومع اقترابِ نهاية العام جاءَ المرض إلى (دراجونستون).

لم يكُن داء التَّعرُّق، ولا داء الرَّجفة، ولا الدَّاء الأرمَد. هكذا أعلنَ المِايستر كوليپر. كانت العلامة الأولى عبارةً عن برازٍ دامٍ، يليه تشنُّج رهيب في الأحشاء. أخبرَ المِايستر كوليپر الملكة أن عددًا من الأمراض يُمكن أن يُسبِّب هذه الأعراض، وإن لم يُحدِّد قطُّ أيُّ تلك الأمراض يُمكن أن يكون السَّبب، لأنَّ كوليپر نفسه كان أوَّل الموتى، بعد أقلِّ من يومين من شعوره بالمرض. لامَ المِايستر آنسِلم -الذي حلَّ محلَّه- الشَّيخوخة على موته، إذ كان كوليپر أقرب إلى سنِّ التسعين من الثمانين، ولم يكن قويًّا.

على أن ثاني من غلبَهم المرض كان كاسلا ستاونتون، التي بلغَت من العُمر أربعة عشر عامًا فقط. ثم مرضَت السِّپتة ماريَم، وإليني رويس، وحتى سامانثا ستوكوورث الجعجاعة، التي طابَ لها التَّباهي بأنها لم تمرَض يومًا في حياتها. ماتَت النِّسوة الثَّلاث في اللَّيلة نفسها، وفصلَت بين موت كُلٍّ منهن ساعات فقط.

لم يمسَّ المرض رِاينا تارجاريَن، رغمَ أن صديقاتها ورفيقاتها العزيزات تساقَطن واحدةً تلو الأخرى. اقترحَ المِايستر آنسِلم أن دماءَها الڤاليريَّة هي التي حَمتها، فالأمراض التي تقتل النَّاس العاديِّين في غضون ساعاتٍ

لا تُؤثِّر في دمِ التنّين. بدا أيضًا أن الذُّكور تمتَّعوا إلى حدٍّ كبير بمناعةٍ ضد هذا الوباء الغريب، فباستثناء المِايستر كوليپر أصيبَت نساءٌ فقط بالمرض، في حين ظلَّ رجال (دراجونستون) بصحَّةٍ جيِّدة، سواء أكانوا من الفُرسان أم الخدم أم عُمَّال الاسطبلات أم المغنِّين.

أمرَت الملكة رِاينا بإغلاق بوَّابات (دراجونستون) وإزلاجها، فحتى ذلك الحين لم يتجاوَز المرض أسوار قلعتها، وأرادَت أن يبقى الوضع على ما هو عليه لحمايةِ العوام. عندما أرسلَت الأخبار إلى (كينجز لاندنج) تصرَّف چهيرس في الحال، وأمرَ اللورد ڤيلاريون بإرسالِ قوادِسه للتأكُّد من عدمِ هروب أيِّ شخصٍ لنشرِ الآفة خارج الجزيرة. نفَّذ يد الملك ما أُمِرَ به، ولو أنه لم يفعلها دون حزن، لأن ابنة أخيه الصَّغيرة كانت بين النِّساء اللائي ما زلنَ في (دراجونستون).

ماتَت ليانا ڤيلاريون فيما أبحرَت قوادسُ عمِّها من (دريفتمارك). أفرغَ المِايستر آنسِلم أمعاءها بالمسهلات، وفصدَها، ونقعَ جسدها في الثَّلج، ولكن بلا جدوى، إذ ماتَت متشنِّجةً بين ذراعَي رِاينا تارجاريَن فيما ذرفَت الملكة الدُّموع المريرة.

قال آندرو فارمان عندما رأى الدُّموع على وجه زوجته: «هأنتِذي تبكينها، لكن هل ستبكينني؟». أثارَت كلماته حفيظة الملكة، وصفعَته على خدِّه وأمرَته أن يترُكها معلنةً أنها تُريد البقاء وحدها، فقال آندرو: «ستكونين وحدكِ. لقد كانت آخِرهن».

في ذلك الحين كانت الملكة رِاينا غارقةً في أحزانها لدرجة أنها لم تُدرِك ما حدث. كان ريجو دراز، أمين نقد الملك البِنتوشي، أوَّل من أعربَ عن اشتباهه عندما عقدَ چهيرس مجلسه الصَّغير لمناقشة الوفيات في (دراجونستون). بعد قراءة تقارير المِايستر

آنسلم، قطَّب اللورد ريجو جبينه وقال: «مرض؟! ليس هذا مرضًا. تشنُّج في الأحشاء، الموتُ خلال يوم... إنه دموع (لِيس)».

قال الملك چهيرس مصدومًا: «سُم؟».

أكَّد دراز: «نعرفُ أكثر عن مثلِ هذه الأشياء في المدن الحُرَّة. إنه الدُّموع، لا شكَّ في هذا. كان المِايستر العجوز ليكتشف الأمر مبكِّرًا، لذلك وجبَ أن يموت أوَّلًا. هكذا كنتُ لأفعلها، ولو أن ذلك لا يعني أني كنتُ لأفعلها. القتل بالسُّم... خالٍ من الشَّرف».

اعترضَ اللورد ڤيلاريون قائلًا: «النِّساء فقط أُصِبن».

ردَّ ريجو دراز: «النِّساء فقط سُمِّمن إذًا».

عندما أيَّد السِّپتون بارث والمِايستر الأكبر بنيفر كلام اللورد ريجو، أرسلَ الملك غُدافًا إلى (دراجونستون)، وبمجرَّد أن قرأت رِاينا تارجاريَن كلماته لم يكُن لديها أدنى شك، فاستدعَت قائدَ حرسها وأمرَت بالعثور على زوجها وإحضاره إليها.

لم يُعثَر على آندرو فارمان في غُرفة نومه أو غرفة نوم الملكة، ولا في القاعة الكُبرى ولا الاسطبلات ولا السِّپت ولا (حديقة إجون). بحثوا في (بُرج تنِّين البحر)، وفي مسكن المِايستر تحت المِغدفة اكتشفوا المِايستر آنسِلم ميتًا بخنجرٍ مغروسٍ بين لوحَي كتفيْه. مع إغلاق البوَّابات وإيصادها، لم يكن من وسيلةٍ لمغادرة القلعة إلا بالتنِّين، غير أن الملكة أعلنَت: «زوجي الدُّودة لا يملِك الشَّجاعةَ لفعلِ ذلك».

في النِّهاية وجدوا آندرو فارمان في (قاعة المائدة المرسومة)، قابِضًا بكِلتا يديه على سيفٍ طويل. لم يحاوِل أن يُنكِر جرائم التَّسميم، وبدلَ ذلك قال متفاخرًا: «جلبتُ لهم أكوابًا من النَّبيذ، وشرِبوه. شكَروني

وشرِبوا. ولم لا؟ مجرَّد ساقٍ، مجرَّد خادم. هكذا رأوني. آندرو المعسول، آندرو الأضحوكة. وما الذي يُمكنني فِعله غير السُّقوط من فوق ظهر التنِّين؟ حسن، لقد كان باستطاعتي فِعل الكثير. كان بمقدوري أن أصبحَ حاكمًا. كان بوسعي أن أسنَّ القوانين وأكونَ حكيمًا وأمنحكِ المشورة. كنتُ لأقتل أعداءكِ بسهولةٍ كما قتلتُ أصدقاءكِ. كنتُ لأمنحكِ أطفالًا».

لم تتفضَّل رِاينا تارجاريَن بمجرَّد الرَّدِّ عليه، بل اكتفَت بمخاطبة حرسها قائلةً: «خُذوه واخصوه، ولكن اكووا الجرح. أريدكم أن تُحمِّروا ذَكره وخصيتيْه وتُطعِموه إياها. لا تدعوه يموت حتى يأكل كلَّ قضمة».

- «لا». قالها آندرو فارمان وهُم يدورون حول المائدة المرسومة ليقبضوا عليه. «زوجتي تستطيع الطَّيران، وكذلك أنا». وإذ قال هذا لوَّح بسيفه نحو أقرب رجلٍ إليه دون غَناء، وتقهقرَ نحو النَّافذة خلفه وقفزَ. كان طيرانه قصيرًا: إلى أسفل نحو حتفه. بعدها أمرَت رِاينا تارجاريَن بتقطيع جثَّته وإطعام القِطع لتنانينها.

كان موته آخِر الوفيات البارزة في عام 54 بعد الفتح، وإن أتى عام (الغريب) الفظيع ذاك بمزيدٍ من البلاء. كمثل حجرٍ أُلقيَ في بِركة ليُطلِق الموجات في كلِّ اتِّجاه، سيستشري الشَّرُّ الذي اقترفَه آندرو فارمان في البلاد، ويمسُّ ويتلاعَب بحيوات أناسٍ آخَرين بعد زمنٍ طويل من فروغ التَّنانين من التهام جثَّته الدَّاخنة المتفحِّمة.

استُشعِرَت أوَّل موجةٍ في مجلس الملك الصَّغير، حين أعلَن اللورد ديمون ڤيلاريون رغبته بالتَّنحي عن منصب يد الملك. كانت الملكة أليسا، كما ذكرنا، شقيقةَ اللورد ديمون، وليانا ابنة أخيه ضِمن النِّسوة اللاتي سُمِّمن في (دراجونستون). اقترحَ البعض أن المنافسة مع اللورد مانفرد ردواين،

الذي حلَّ محلَّه في أميراليَّة الأسطول الملكي، لعبَت دورًا في القرار الذي اتَّخذه اللورد ديمون، لكن ذلك يبدو قدْحًا تافهًا في رجلٍ خدمَ بكلِّ اقتدارٍ زمنًا طويلًا. دعونا بدلَ ذلك نثق بكلمة حضرته ونتقبَّل أن تقدُّمه في السِّن، ورغبته في قضاء ما تبقَّى من عُمره رفقة أولاده وأحفاده في (دريفتمارك)، هما السَّبب في تركه المنصب.

كانت فكرة چهيرس الأولى هي اللُّجوء إلى أفراد مجلسهِ الصَّغير ليخلف أحدهم اللورد ديمون. كان آلبن ماسي وريجو دراز والسِّپتون بارث قد برهَنوا جميعًا على كونهم رجالًا ذوي ملَكاتٍ هائِلة استحقُّوا بها ثقة الملك وامتنانه، ورغم ذلك لا أحد فيهم بدا لائقًا كليًّا. بالنِّسبة إلى السِّپتون بارث فقد كان مشكوكًا أن ولاءه لـ(السِّپت النَّجمي) أشدُّ من ولائه للعرش الحديدي، علاوةً على كونه وضيع النَّسب للغاية، ولن يسمح كبار لوردات المملكة لابن حدَّادٍ بالتَّحدُّث بصوت الملك. واللورد ريجو كان پنتوشيًّا كافرًا وتاجرًا متسلِّقًا، ونسبه أحقر على الأغلب من نسب السِّپتون بارث. واللورد آلبن، بعرجته وظهره الملتوي، سيُعطي الجهلة انطباعًا بأنه لئيم نوعًا، وقد قال ماسي نفسه للملك: «ينظرون إليَّ ويرون شرِّيرًا. يُمكنني أن أخدمك خدمةً أفضل وأنا متوارٍ في الظِّلال».

لم يكن من الوارد إعادة روجار باراثيون أو أيٍّ من أيادي الملك ميجور السَّابقين، وفترة اللورد تَلي في المجلس خلال الوِصاية لم يُميِّزها شيء، وروودريك آرن، سيِّد (العُش) وحافظ الوادي، كان صبيًّا في العاشرة وصلَ إلى الحُكم مبكِّرًا بعد موت عمِّه اللورد دارنولد وأبيه السير ريموند على أيدي المغيرين الهمج الذين طارداهم بغير حكمةٍ عبر (جبال القمر). كان چهيرس قد توصَّل مؤخَّرًا إلى اتفاقٍ مع دونل هايتاور، لكنه لم

يزَل لم يمنح الرَّجل ثقته الكاملة أكثر مما منحَ لايمان لانستر، وبرتراند تايرل سيِّد (هايجاردن) كان معروفًا بكونه سكِّيرًا، ولجلبَ أبناؤه النُّغول الجامحون الخزي على التَّاج إذا انفلتَ زِمامهم في (كينجز لاندنج). أمَّا ألارِك ستارك فالأفضل تركُه في (وينترفل)، لكونه حسب جميع التَّقارير رجلًا عنيدًا صارمًا قاسيًا لا يُسامِح، وسيكون حضوره في المجلس غير مريح. ومن غير المعقول إحضار أحدِ الرِّجال الحديديِّين إلى (كينجز لاندنج) بالطَّبع.

لما لم يجد أحدًا من كبار لوردات المملكة مناسبًا، لجأ چهيرس بعد ذلك إلى حمَلة راياتهم. كان الرَّأي أن من المرغوب فيه أن يكون اليد رجلًا كبيرًا في السِّن لتُوازِن خِبرته شباب الملك، وبما أن المجلس ضمَّ عدَّة رجال متعلِّمين يميلون إلى القراءة، كان المطلوب مُحاربًا أيضًا، رجلًا بذلَ دمه واختُبِرَ في المعارك، ومن شأن سُمعته العسكريَّة أن تثبط عزيمة أعداء التَّاج. بعد طرح دستةٍ من الأسماء ومناقشتها، وقعَ الاختيار أخيرًا على السير مايلز سمولوود، سيِّد (بهو البلُّوط) في (أراضي النَّهر)، الذي قاتلَ في سبيل الأمير إجون شقيق الملك تحت (عين الآلهة)، وحاربَ وات الحفَّار في (الجسر الحجري)، وركبَ مع اللورد ستوكوورث الرَّاحل لتقديم هارن الأحمر إلى العدالة في عهد الملك إينس.

اشتهرَ اللورد مايلز بشجاعته عن جدارة، إذ ملأَت وجهه وجسده ندوبُ معارك وحشيَّةٍ عديدة. أقسمَ السير ويلام الدَّبُّور فارس الحرس الملكي، الذي خدمَ في (بهو البلُّوط)، أن لا لورد أفضل منه أو أشرس أو أوفى في جميع (الممالِك السَّبع)، وكذلك لم يكن لدى پرنتس تَلي والليدي لوسيندا إلَّا الثَّناء على سمولوود. وهكذا اقتنعَ چهيرس وأعلنَ موافقتَه وأرسلَ غُدافًا إلى (بهو البلُّوط)، وفي غضون أسبوعين كان اللورد مايلز

في طريقه إلى (كينجز لاندنج).

لم تلعَب الملكة أليسين أيَّ دورٍ في اختيار يد الملك، ففيما تشاورَ الملك وأعضاء المجلس كانت جلالتها غائبةً عن العاصمة، إذ طارَت بسيلفروينج إلى (دراجونستون) لتكون مع أختها وتُواسيها في حُزنها.

لكن رِاينا تارجاريَن لم تكن امرأةً تُواسى بسهولة. ألقى فقدانها الكثير من صديقاتها ورفيقاتها الغوالي بها في كآبةٍ حالكة، وأثارَ مجرَّد ذِكر اسم آندرو فارمان فيها نوباتٍ من الغضب. على النقيض من التَّرحيب بأختها وأيِّ عزاءٍ قد تجلبه، حاولَت رِاينا صرْفها ثلاث مرَّات، حتى إنها وصلَت إلى حدِّ الصُّراخ في وجهها على مرأى من نصف القلعة، وعندما رفضَت الملكة الذَّهاب انسحبَت رِاينا إلى مسكنها الخاص وأوصدَت على نفسها الأبواب، ولم تظهَر إلَّا لتناوُل الطَّعام... وهو ما أضحى أقلَّ تواترًا.

تُرِكَت أليسين تارجاريَن على هواها، فبدأت في إعادة قدرٍ بسيط من النِّظام إلى (دراجونستون). استُقدِمَ مِايسترٍ جديد ووُلِّيَ المهام، وعُيِّن قائد جديد لتولِّي مسؤولية حامية القلعة، ووصلَت السِّپتة إيدث محبوبة الملكة لتتولَّى مكان السِّپتة ماريَم التي رثَتها رِاينا.

بعد أن نبذَتها أختها، التفتَت أليسين إلى ابنة أختها، لكنها قُوبِلَت بالغضب والرَّفض منها أيضًا. قالت الأميرة إيريا للملكة: «لماذا أهتمُّ ولو متنَ جميعًا؟ ستَعثُر على رفيقاتٍ جديدات. هكذا تفعلُ دائمًا»، وعندما حاولَت أليسين أن تُشارِكها قصصًا عن طفولتها، وتحكي كيف وضعَت رِاينا بيضة تنِّين في مهدها واحتضنَتها ورعَتها «كما لو أنها أمِّي»، قالت إيريا: «لم تمنحني بيضةً قَطُّ، بل هجَرتني وذهبَت إلى (الجزيرة القصيَّة)». أثارَ حبُّ أليسين لابنتها غضبَ الأميرة أيضًا. «لماذا يجب أن تكون

ملكةً؟ أنا من ينبغي أن تكون ملكةً، لا هي». حينها انهارت إيريا باكيةً أخيرًا، وناشدَت أليسين أن تأخُذها معها إلى (كينجز لاندنج). «الليدي إليسا قالت إنها ستأخُذني، لكنها رحلَت ونسِيَتني. أريد أن أعودَ إلى البلاط، مع المغنِّين والمهرِّجين وكلِّ أولئك اللوردات والفُرسان. أرجوكِ خُذيني معكِ».

متأثِّرةً بدموع الفتاة، لم يكن بوسع الملكة أليسين أكثر من أن تعِدها بمفاتحة والدتها في الأمر، لكن عندما خرَجت رِاينا من غُرفتها لتتناوَل الطَّعام في المرَّة التَّالية، رفضَت الفِكرة تمامًا قائلةً: «أنتِ لديكِ كلَّ شيء وليس لديَّ شيء. والآن تُريدين أخذَ ابنتي أيضًا. حسن، لن تناليها. إن لديكِ عَرشي، فاقنَعي به»، وفي اللَّيلة نفسها استدعَت رِاينا الأميرة إيريا إلى مسكنها لتوبيخها، ورنت أصواتُ زعيق الأُمِّ وابنتها في أنحاء بُرج (الطَّبلة الحجريَّة)، وبعد ذلك رفضَت الأميرة التحدُّث إلى الملكة أليسين. وهكذا، واجدةً العراقيل مهما فعلَت وأينما اتَّجهت، عادَت جلالتها أخيرًا إلى (كينجز لاندنج)، إلى ذراعَي الملك چهيرس وضحكة ابنتها الأميرة دنيرس البشوش.

مع اقتراب عام (الغريب) من نهايته كان العمل على (جُب التَّنانين) في حُكم المكتمِل. بعدما استقرَّت القُبَّة العظيمة في مكانها أخيرًا، وعُلِّقَت البوَّابات البرونزيَّة الضَّخمة، هيمنَ الصَّرح الهائل على المدينة متوِّجًا قمَّة (تل ريينس)، ليحتلَّ بذلك المرتبة الثَّانية في الضَّخامة بعد (القلعة الحمراء) فوق (تل إجون العالي). احتفالًا بانتهائه وقدوم يد الملك الجديد، اقترَح اللورد ردواين على الملك إقامَة دورة مبارياتٍ عظيمة، أكبر وأروع ما ستشهده المملكة منذ الزِّفاف الذَّهبي. قال ردواين: «دعونا نضع أحزاننا وراءنا ونبدأ العام الجديد بالأبَّهة والاحتفالات».

كان حصاد الخريف مثمرًا، والعُملة تتدفَّق بثباتٍ نتيجة ضرائب اللورد ريجو، والتِّجارة في ازدياد، لذا لن تكونَ تكلِفة المسابقة مصدرَ قلق، وسيجلب الحدث آلافًا من الزُّوار بأموالهم إلى (كينجز لاندنج). صوَّتت بقيَّة المجلس لصالِح القرار، وقال الملك چهيرس إن الدَّورة قد تمنح العوام شيئًا من البهجة، «وتُساعدنا على نسيان أحزاننا».

جميع الاستعدادات ضربَتها الفوضى عند وصول رِاينا تارجاريَن غير المتوقَّع من (دراجونستون). كتبَ السِّپتون بارث: «من الممكن أن التَّنانين تستشعِر بوسيلةٍ ما مزاج راكبها وتعكسه، ذلك أن دريمفاير خرجَت من بين السُّحب كعاصفة هوجاء في ذلك اليوم، ونهضَ ڤرميثور وسيلڤروينج وهدرا لقدومها، لدرجة أن كلَّ من رأوا ذلك وسمعوه خشوا أن التَّنانين كانت موشكةً على مهاجمة بعضَها بعضًا باللَّهب والمخلب، ليُمزِّق بعضها بعضًا كما فعلَ بالريون ذات مرَّة بكويكسيلڤر فوق (عين الآلهة)».

لم تتقاتل التَّنانين في النِّهاية، رغم أنها أكثرَت من الهسهسة ونهشِ الهواء حين قفزَت رِاينا من فوق ظهر دريمفاير واقتحَمت (حصن ميجور) زاعقةً تُنادي أخاها وأختها. سرعان ما عُرِفَ مصدر غضبها: الأميرة إيريا رحلَت، هربَت من (دراجونستون) مع بزوغ الفجر بعدما تسلَّلت إلى الباحات وأخذَت لنفسها أحدَ التَّنانين، وليس أيَّ تنِّين. «بالريون!»، صاحت رِاينا. «لقد أخذَت بالريون، تلك الطِّفلة المجنونة. لا فرخ لها، لا، ليس هي. كان يجب أن تأخذ الرُّعب الأسود، تنِّين ميجور الذي قتلَ أباها. لماذا هو إن لم يكن لإيلامي؟ ماذا أنجبتُ؟ أيُّ نوعٍ من الوحوش؟ أسألكم، ماذا أنجبتُ؟!».

قالت الملكة أليسين: «إنها فتاةٌ صغيرة، مجرَّد فتاةٍ صغيرة غاضِبة»،

لكن السِّپتون بارث والمِايستر الأكبر بنيفر يُخبِراننا بأنه لم يبدُ أن رينا سمعَتها، إذ كانت مستميتةً على العثور على «ابنتها المجنونة»، وأوَّل مكانٍ خطرَ لها كان (كينجز لاندنج)، لأن إيريا اشتاقَت للعودة إلى البلاط... ولكن إن لم تكُن هناك، فأين؟

قال الملك چهيرس بهدوءٍ كعادته: «أعتقدُ أننا سنكتشف ذلك في القريب العاجل. بالريون أضخم من أن يختفي أو يمرَّ دون أن يلحظه أحد، وشراهته مخيفة»، ثم التفتَ إلى المِايستر الأكبر بنيفر وأمرَه بأن يُرسِل غُدافًا إلى كلِّ قلعة في (الممالِك السَّبع). «إذا لمحَ أيُّ أحدٍ في (وستروس) بالريون وابنة أختي مجرَّد لمحة، فأريدُ أن أعرفَ في الحال».

طارَت الغِدفان، لكن خبرًا لم يصِل عن الأميرة إيريا في ذلك اليوم، أو اليوم الذي تلاه، أو الذي تلاه. بقيَت رِاينا في (القلعة الحمراء) طوال الوقت، يتملَّكها الغضب حينًا وترتجف خوفًا حينًا، وتشرب النَّبيذ الحُلو حتى تنام. كانت الأميرة دنيرس خائفةً من خالتها، حتى إنها بكَت متى وجدَت نفسها في حضورها. بعد سبعة أيام أعلنَت رِاينا أنها لم تعُد قادرةً على المكوث هنا دون فعل شيء. «يجب أن أعثر عليها. إذا لم أستطِع العثور عليها فعلى الأقل باستطاعتي البحث». وإذ قالت هذا، ركبَت دريمفاير ورحلَت.

ولم يرَ أحدٌ الأمَّ أو الابنة أو يسمَع عنهما مرَّةً أخرى طيلة القليل الذي تبقَّى من تلك السَّنة القاسية.

چهيرس وأليسين

انتصاراتهما ومآسيهما

تكاد إنجازات الملك چهيرس تارجاريَن الأوَّل تكون أكثر من أن تُحصى. أبرزُها، في رأي معظم دارسي التَّاريخ، فترات السَّلام والازدهار الطَّويلة التي ميَّزت حِقبته على العرش الحديدي. لا يمكن القول بأن چهيرس تجنب الصِّراعات تمامًا، فذلك ليس بمقدورِ أيِّ ملكٍ على الأرض، لكن الحروب التي دخلَها كانت قصيرةً وكُلِّلَت بالنَّصر، وقد دارَ معظمها في البحر أو في أراضٍ بعيدة. كتبَ بارث: «ملكٌ رديءٌ مَن يُحارب لورداته ويترك مملكته محترِقةً ملطَّخةً بالدِّماء زاخرةً بالجُثث. كان جلالته رجلًا أكثر حكمةً من ذلك».

باستطاعة رؤساء المِايسترات الاختلاف على الأرقام، وهذا حادثٌ بالفعل، لكن معظمهم يتَّفِق على تضاعُف تعداد سكَّان قارَّة (وستروس) شمال (دورن) خلال عهد المصلح، فيما زادَ تعداد سكَّان (كينجز لاندنج) أربعة أضعاف، ونمَت أيضًا (لانسپورت) و(بلدة النَّوارس) و(وادي الغسق) و(الميناء الأبيض)، وإن لم يكن بالقدر نفسه.

مع انخفاض عدد الرِّجال المتوجِّهين إلى الحرب، بقيَت منهم أعداد أكبر للكدح في الأرض، فانخفضَت أسعار الغلال بثباتٍ خلال حُكمِ جلالته مع دخول المزيد من الفدادين تحت المِحراث. أصبحَت الأسماك أرخص بشكلٍ ملحوظ، حتى بالنِّسبة إلى عامَّة النَّاس، إذ غدَت قُرى الصَّيد بطولِ السَّواحل أشدَّ ازدهارًا ووضعَت المزيد من القوارِب في البحر. زُرِعت بساتين جديدة في كلِّ مكانٍ من (المرعى) إلى (العنق)، وأصبح لحم الحملان والضَّأن أوفر والصُّوف أنعَم مع زيادة أحجام قُطعان الرُّعاة، فيما تضاعفَت التِّجارة عشر مرَّاتٍ على الرَّغم من تقلُّبات الرِّياح والطَّقس والحروب، والاضطِرابات التي سبَّبتها من وقتٍ إلى آخَر، كما ازدهَرت الحِرَف، وتمتَّع صانعو حدوات الخيول والحدَّادون والحجَّارون والنجَّارون والطحَّانون والدبَّاغون والنساجون واللبَّادون والصبَّاغون والمخمِّرون وصاغَة الذَّهب وصاغَة الفضَّة والخبَّازون والجزَّارون والجبَّانون بازدهارٍ لم يُعرَف مثله قَطُّ غرب (البحر الضيِّق).

صحيحٌ أن بعض السَّنوات كان جيِّدًا وبعضها سيِّئًا، ولكن قيلَ عن استحقاقٍ إن الخير في عهد جهيرس وملكته كان مضاعفًا في سنين الخير أكثر مما كانت سِنِي السُّوء سيِّئةً. ثارَت عواصف، ووقعَت حوادث مؤسفة، وحلَّت أشتية قارسة، ولكن حين يُلقي النَّاس نظرةً إلى الوراء على عهدِ المصلح، فما أسهل أن تحسبه خطأً صيفًا طويلًا أخضر لطيفًا.

قليلٌ من هذا كان واضحًا لجهيرس نفسه عندما دقَّت أجراس (كينجز لاندنج) مستهلَّةً عام 55 بعد فتح إجون. كانت الجراح التي خلَّفها العام السَّابق، عامُ (الغريب)، لم تلتئم بعدُ... وخشيَ الملك والملكة والمجلس ما قد ينتظرُهم مع استمرار اختفاء الأميرة إيريا وبالريون

عن أعيُن البشر، وذهاب الملكة رِاينا للبحثِ عنهما.

بعد أن غادَرت بلاط شقيقها، طارَت رِاينا تارجاريَن إلى (البلدة القديمة) أوَّلًا، على أملِ أن تكون ابنتها الضَّالَّة سعَت إلى أختها التَّوأم. استقبلَها اللورد دونل والسِّپتون الأعلى بكلِّ كياسة، لكن أحدًا منهما لم يملك مساعدةً يُقدِّمها لها. تمكَّنت الملكة من زيارة ابنتها بعض الوقت، رِايلا التي تُشبِه توأمتها للغاية ومع ذلك تختلف عنها للغاية، ولنا أن نأمل أنها وجدَت قليلًا من البلسم لجراحها هناك. عندما أعربَت رِاينا عن ندمها لأنها لم تكن أمًّا أفضل، احتضنَتها المبتدئة رِايلا وقالت: «لقد حظيتُ بأفضل أمٍّ يمكن لأيِّ ابنةٍ أن تتمناها، (الأم في الأعالي)، والشُّكر لكِ عليها».

غادَرت الملكة (البلدة القديمة) لتأخذها دريمفاير شمالًا، أوَّلًا إلى (هايجاردن)، وبعدها إلى (كراكهول) و(كاسترلي روك)، حيث رحَّب بها اللوردات في ما مضى. لم يُرَ في أيِّ مكانٍ تنِّين عدا تنِّينتها، ولم تُسمَع ولو همسة عن الأميرة إيريا، ومن ثمَّ عادَت رِاينا إلى (الجزيرة القصيَّة) لتُواجِه اللورد فرانكلين فارمان ثانيةً. لم تجعل السَّنوات حضرته أكثر إعجابًا بالملكة، ولا أكثر حكمةً في اختياره أسلوب التحدُّث إليها. قال اللورد فرانكلين: «كنتُ آملُ أن تعود أختي إلى ديارها لأداء واجبها بعدما فرَّت منكِ، لكننا لم نسمع عنها ولا عن ابنتكِ. لا أستطيعُ ادِّعاء معرفتي الأميرة، لكنِّي سأقول إن خلاصَها منكِ، مثل (الجزيرة القصيَّة)، خيرٌ لها. إذا ظهرَت هنا فسوف نصرفها كما صرفنا والدتها».

ردَّت جلالتها: «أنتَ لا تعرف إيريا، هذا صحيح. إن وجدَت طريقها إلى هذه الشواطئ يا سيِّدي، فقد لا تجدها متسامحةً كأمِّها. أوه، وأتمنى لك حظًّا طيِّبًا إذا حاولت صرف الرُّعب الأسود. بالريون استلذَّ كثيرًا

بطعم أخيك، وقد يرغب الآن في تجربة صنفٍ آخَر».

فقدَ التَّاريخ أثر رِاينا تارجاريَن بعد (الجزيرة القصيَّة)، إذ لم تعُد إلى (كينجز لاندنج) أو (دراجونستون) لبقيَّة العام، ولم تذهَب إلى مقرِّ أيِّ لورد في (الممالِك السَّبع). لدينا تقارير جُزئيَّة عن مشاهَدة دريمفاير شمالًا حتى (أراضي الرَّوابي) وضفاف (النَّهر المحموم)، وجنوبًا حتى (الجبال الحمراء) في (دورن) وأخاديد نهر (التورنتين). متجنِّبةً القلاع والمدن، شوهِدَت رِاينا وتنِّينتها فوق جُزر (الأصابِع) و(جبال القمر) وغابات (رأس الغضب) الخضراء الضَّبابيَّة، وفوق جُزر (التُّروس) و(الكرمة)... لكنها لم تسعَ في أيٍّ من تلك الأماكن لصُحبة البشر، وبدلًا من ذلك سعَت إلى الأراضي البور المقفرة، نحو السِّباخ التي تجتاحُها الرِّيح والسُّهول المعشوشبة والمستنقعات الكئيبة والمنحدرات والجروف والوديان الجبليَّة. أكانت لا تزال تُطارِد أيَّ علامةٍ تُرشِدها إلى ابنتها؟ أم إنها كانت ببساطةٍ راغبةً في العُزلة؟ لن نعرف أبدًا.

على أن غيابها الطَّويل عن (كينجز لاندنج) كان خيرًا، إذ ازدادَ الملك ومجلسه غضبًا منها. كانت روايات مواجهة الملكة واللورد فارمان قد روَّعت الملك ومجلسه على حدٍّ سواء، وقال اللورد سمولوود: «أهي مجنونة لتُخاطِب لوردًا في قاعته بهذا الأسلوب؟ لو أني في مكانه لانتزعتُ لسانَها»، فردَّ الملك: «أرجو ألَّا تكونَ بذلك الحُمق حقًّا يا سيِّدي. أيًّا كانت غير ذلك، تظلُّ رِاينا من دمِ التنِّين وأختي التي أحبُّ». جديرٌ بالملاحظة أن جلالته لم يعترِض على وجهة نظر سمولوود، بل اعترضَ فقط على فظاظة كلماته.

كان السِّبتون بارث أفضل من عبَّر عن الأمر، إذ كتبَ: «يستمدُّ آل تارجاريَن قوَّتهم من تنانينهِم، تلك الوحوش المخيفة التي أتَت على

(هارنهال) ودمَّرت ملكيْن في حقل النِّيران. يعرف الملك چهيرس هذا، تمامًا كما عرفَه جدُّه إجون: القوَّة موجودةٌ دائمًا، ومعها التَّهديد. غير أن جلالته يُدرِك أيضًا حقيقة لا تُدرِكها الملكة رِاينا: أن التَّهديد أشدُّ فاعليَّةً عندما لا يُنطَق، فلوردات المملكة جميعًا رجال معتدُّون بأنفسهم، ولا يُجنى من ازدرائهم إلَّا القليل، والملك الحكيم يدعهم يحتفِظون بكرامتهم دومًا. أرِهم تنِّينًا، أجل، سيتذكَّرون هذا، لكن تحدَّث علانيةً عن حرقِ قاعاتهم، وتفاخَر بالطَّريقة التي أطعمتَ بها أقرباءهم لتنانينِك، وستؤجِّجهم ضدَّك وتؤلِّب قلوبَهم عليك لا أكثر».

كانت الملكة أليسين تُصلِّي يوميًّا لأجل ابنة أختها وتلوم نفسها على هربها... وإن لامَت أُمَّها أكثر. صارَ چهيرس، الذي منحَ إيريا قليلًا من الانتباه حتى في السَّنوات التي كانت فيها وريثته، يُوبِّخ نفسه على ذلك الإهمال، لكن أكثر قلقه انصبَّ على بالريون، لأنه فهمَ خطورة وجود وحشٍ شديد البأس مثله بين يدَي أيِّ فتاةٍ غاضبة تبلغُ من العُمر ثلاثة عشر عامًا فقط. لم يأتِ بحث رِاينا العقيم أو عاصفة الغِدفان التي أرسلَها المِايستر بنيفر ولو بكلمة عن الأميرة أو التنِّين غير الأكاذيب والأخطاء والأوهام المعتادة، ومع مرور الأيام ودوران القمر مرَّتين بدأ الملك يخشى أن تكون ابنة أخته قد ماتَت، وأخبرَ المجلس: «بالريون وحشٌ عنيد لا يُعبَث معه. أن يقفز على ظهره شخص لم يطِر من قبل ويرتفع به، ليس للطَّيران حول القلعة، لا، بل عبرَ المياه... على الأرجح رمى الفتاة المسكينة، والآن ترقد في أعماق (البحر الضيِّق)».

لم يُشاطِره السِّپتون بارث الرَّأي، إذ أشارَ إلى أن التَّنانين ليست متسكِّعةً بالسَّليقة، وفي كثيرٍ من الأحيان تجِد بُقعةً محميَّةً؛ كهفًا أو أطلالَ قلعةٍ أو قمَّة جبل، وتُعشِّش هناك وتذهَب للصَّيد ثمَّ تعود. هكذا، بمجرد أن

يتحرَّر بالريون من راكبته سيعود إلى عرينه بالتَّأكيد. كان تقدير بارث أنه نظرًا إلى غياب أيِّ مُشاهداتٍ لبالريون في (وستروس)، فلا بُدَّ أن الأميرة إيريا طارَت به شرقًا عبر (البحر الضيِّق) نحو حقول (إسوس) الشاسعة، ووافقَته الملكة قائلةً: «لو ماتَت الفتاة لعرفتُ. إنها حيَّةٌ، أشعرُ بهذا».

كُلِّفَ جميع العُملاء والمخبرون، الذين خصَّصهم ريجو دراز لمطاردة إليسا فارمان وبيضات التَّنانين، بمهمَّةٍ جديدة: العثور على الأميرة إيريا وبالريون. سُرعان ما بدأت التَّقارير تأتي من كلِّ مكانٍ شمال (البحر الضيِّق) وجنوبه، واتَّضح أن أكثرها عديم القيمة كما كان مع بيضات التَّنانين؛ شائِعات وأكاذيب ومُشاهَدات زائِفة لُفِّقَت بُغية المكافأة. كان بعضها إخباريَّاتٍ من الدَّرجة الثَّالثة أو الرَّابعة، والبعض الآخَر نادر التَّفاصيل، خُلاصته على شاكِلة «ربما رأيتُ تنِّينًا، أو شيئًا كبيرًا بجناحيْن».

جاء التَّقرير الأهمُّ من تلال (أندالوس) شمال (پنتوس)، حيث تحدَّث الرُّعاة عن وحشٍ مُخيف يجوب الأنحاء ويلتهم قُطعانًا كاملةً ولا يترُك إلَّا العظام الدَّامية. ولم يكن الرُّعاة أنفسهم بمنجى منه إن أوقعَهم حظُّهم العاثر في مواجهة ذلك المخلوق، لأن شهيَّته لم تقتصِر على الضَّأن. غير أن أولئك الذين واجهوا الوحش لم ينجوا ليصِفوه... ولم يذكُر أيٌّ من الرِّوايات أنه ينفث النَّار، فعدَّ چهيرس أن اللَّوم في هذا ليس على بالريون. ومع ذلك، للتأكُّد، أرسلَ دستةً من الرِّجال عبر (البحر الضيِّق) إلى (پنتوس) لمحاولة تعقُّب ذلك الوحش، بقيادة السير ويلام الدبُّور فارس الحرس الملكي.

عبر (البحر الضيِّق) نفسه، ودون عِلم (كينجز لاندنج)، أكملَ

سفَّانو (براڤوس) بناء القرقور[15] (مُطارِدة الشَّمس)، الحُلم الذي اشتَرته إليسا فارمان ببيضات التَّنانين المسروقة. على عكسِ القوادس التي تخرُج يوميًّا من ترسانة (براڤوس)، لم تُزوَّد تلك السَّفينة بالمجاذيف، إذ كانت مخصَّصةً للمياه العميقة ولا تصلُح للخُلجان والأخوار والمياه الضَّحلة، وقد ضمَّت أربعة صوارٍ وأشرعةً بعدد ما تحمل سُفن (جُزر الصَّيف) البجعيَّة، ولكن بسطحٍ أعرض وبدنٍ أعمق يسمح بتخزين المؤَن الكافية للرِّحلات الطَّويلة. عندما سألَها أحد البراڤوسيِّين إن كانت تنوي الذَّهاب إلى (يي تي)، ضحكَت الليدي إليسا وأجابَت: «ربما... ولكن ليس من الطَّريق الذي تحسبه».

عشيَّة الإبحار استُدعِيت إلى قصر أمير البحر، حيث قدَّم لها الرِّنجة والبيرة والتَّحذير، فقال لها: «ارحلي متوخيَّةً الحذر يا سيِّدتي، لكن ارحلي، فثمَّة مَن يُطارِدونكِ بطول (البحر الضيِّق) وعرضه. الأسئلة تُطرَح، والمكافآت تُعرَض. لا أريدُ أن يُعثَر عليكِ في (براڤوس). لقد جِئنا إلى هنا لنتحرَّر من (ڤاليريا القديمة)، وآل تارجاريَن هؤلاء ڤاليريُّون حتى النُّخاع، لذا أبحِري بعيدًا، وسريعًا».

فيما غادرَت الليدي المعروفة الآن باسم آليس وِستهيل من عند مارد (براڤوس)، استمرَّت الحياة في (كينجز لاندنج) على ما هي عليه. عاجزًا عن العثور على ابنة أخته المفقودة، فعلَ چهيرس تارجاريَن ما فعلَه دومًا في أوقات المتاعب وسلَّم نفسه لجهوده، وفي هدوء مكتبة (القلعة الحمراء) بدأ الملك يعمل على ما سيُصبح أحد أبرز إنجازاته. بمساعدةٍ مقتدِرة من السِّپتون بارث والمِايستر الأكبر بنيفر واللورد آلين ماسي والملكة أليسين -الرُّباعي الذي سمَّاه جلالته «مجلسي الأصغر»- باشرَ چهيرس تصنيف جميع قوانين المملكة وتنظيمها وإصلاحها.

15- القرقور: سفينة ضخمة تحمل آلات الحرب والمؤن والعتاد، وتتَّسع لعددٍ كبير من البحَّارة. (المُترجمون).

تألَّفت (وستروس) التي وجدَها إجون الفاتِح من سبعِ ممالِك فعلًا وليس اسمًا فحسب، لكلٍّ منها قوانينُها وعاداتُها وتقاليدُها، وحتى داخل تلك الممالِك كان التَّبايُن كبيرًا بين المكان والآخَر. كتبَ اللورد ماسي: «قبل وجود سبعِ ممالك كانت ثمانيَ، وقبل ذلك تسعًا، وقبلها عشرًا أو اثنتي عشرة أو ثلاثين، وهكذا وهكذا. إننا نتحدَّث عن ممالك الأبطال المئة، عندما كانت بالفعل سبعًا وتسعين مملكة في آنٍ واحد، ومئةً واثنتين وثلاثين في آنٍ آخَر، وهكذا، ليتغيَّر العدد بلا نهايةٍ مع خسارة الحروب والانتصار فيها وخلافة الأبناءِ الآباء».

في أغلب الأحيان تغيَّرت القوانين أيضًا. كان هذا الملك صارمًا، وهذا رحيمًا، ولجأ هذا إلى (النَّجمة السُّباعيَّة) لإرشاده، وتمسَّك هذا بقوانين البشر الأوائل العتيقة، وحكمَت هذا نزواتُه، والآخَر كان له رأي وهو مُفيق وعكسه وهو ثمِل. بعد آلاف السنين صارَت النَّتيجة كتلةً من السَّوابق المتناقِضة، لدرجة أن كلَّ لورد ممَّن امتلكَ حقَّ تقرير الحياة والموت (وبعض من لم يمتلكوه) أعطى نفسه حريَّة الحُكم كما يحلو له في أيِّ قضيَّةٍ تُرفَع أمامه.

كرهَ جهيرس تارجاريَن الارتباك والاضطراب، وبمساعدة «مجلسه الأصغر» شرعَ -على حدِّ التَّعبير- في «تنظيف الاسطبلات»، قائلًا: «لهذه (الممالِك السَّبع) ملكٌ واحد، وحانَ وقت صدور قانونٍ واحد لها أيضًا». لم يستغرق إنجاز تلك المهمَّة بالغة الضَّخامة سنةً واحدةً أو حتى عشر سنوات، فمجرَّد جمع القوانين القائمة وتنظيمها ودراستها استغرقَ سنتين، والإصلاحات التي تلَت ذلك استمرَّت عقودًا. ولكن ها هنا في مكتبة (القلعة الحمراء) كان المكان الذي بدأ فيه الناموس العظيم الذي وضعَه السِّپتون بارث (الذي سيُساهِم في النِّهاية بثلاثة أضعاف عمل

أيِّ رجلٍ آخَر في كُتب القانون التي سُنَّت) في عام 55 الخريفي.

سيستمرُّ كدحُ الملك سنواتٍ عديدةً قادمة، والملكة تسع دوراتٍ قمريَّة. في وقتٍ مبكِّر من العام نفسه شعرَ الملك چهيرس وشعب (وستروس) بسعادةٍ غامرة حين علموا أن الملكة أليسين حُبلى مرَّةً أخرى. شارَكتهم الأميرة دنيرس فرحتهم، ولو أنها أخبرَت والدتها بعباراتٍ حازمة أنها تُريد أختًا صغيرة، فقالت لها والدتها ضاحكةً: «تتكلَّمين كملِكةٍ بالفعل إذ تفرضين القوانين».

لطالما كان الزَّواج الطَّريقة التي يرتبط بها بعض العوائل العظيمة في (وستروس) ببعض، فهو وسيلة موثوقة لعقدِ التَّحالُفات وإنهاءِ النِّزاعات. تمامًا كزوجتَي الفاتِح من قبل، سُرَّت أليسين تارجاريَن بإجراء مثل هذه الزِّيجات، وفي عام 55 بعد الفتح افتخرَت بشكلٍ خاص بالخطبة التي رتبَّتها لاثنتين من الحكيمات اللواتي خدمنَ بين أهل بيتها منذ أيام (دراجونستون)، فتزوَّجت الليدي چنيس تمپلتون اللورد مالندور سيِّد (النُّجود)، وجمعَ الزَّواج بين الليدي پرونلا سلتيجار واللورد أوثر پيك سيِّد (ستارپايك) وسيِّد (دنستنبري) وسيِّد (البُستان الأبيض)، واعتُبِرَ كلاهما خيارًا ممتازًا لليديهيْن المعنيَّتيْن ونصرًا للملكة.

أخيرًا، في منتصَف العام، أُقيمَت دورة المباريات التي اقترحَها اللورد ردواين للاحتفال باكتمال (جُب التَّنانين)، فنُصِبت المضامير في الحقول غرب سور المدينة، بين (بوَّابة الأسد) و(بوَّابة الملك)، وقد قيل إن النِّزالات هناك كانت في منتهى التَّميُّز. أظهرَ السير روبرت ابن اللورد ردواين البِكر مهارته بالرُّمح ضدَّ أفضل من أنجبَتهم المملكة، فيما فازَ أخوه ريكارد بدورة المرافِقين ونصَّبه الملك بنفسه فارسًا في الميدان، لكن إكليل الفائز بالدَّورة ذهبَ إلى الهُمام الوسيم السير سيمون دونداريون

ابن (المرفأ الأسود)، الذي فازَ بمحبَّة النَّاس والملكة على حدٍّ سواء عندما توَّج الأميرة دنيرس مِلكةً للحُبِّ والجَمال.

لم يكن أيُّ تِنّينٍ قد استقرَّ بعدُ في (جُب التَّنانين)، ولذا فقد اختيرَ ذلك الصَّرح المهيب ليُقام فيه الالتحام الجماعي، صراعٌ بالسِّلاح لم ترَ له (كينجز لاندنج) مثيلًا. شاركَ سبعة وسبعون فارسًا مقسَّمون على أحد عشر فريقًا، وبدأت المنافسة على ظهور الأحصنة، وعند السُّقوط من فوق أحصنتهم تابَعوا راجلين، يتقاتَلون بالسَّيف والهراوة والفأس ونجمة الصَّباح[16]. عندما استُبعِدَت جميع الفِرق ما عدا واحدًا، انقلبَ الناجون من ذلك الفريق الأخير على بعضهم بعضًا، إلى أن تبقَّى بطل واحد.

لئن استخدمَ المشاركون أسلحة المباريات المثلومة فقط، أبهجَ الجماهير أن المعارك كانت شاقَّةً ودمويَّةً، قُتِلَ فيها رجلان وجُرِحَ أكثر من أربعين. منعَت الملكة أليسين، وبحكمة، مفضَّلَيْها جونكيل دارك وتوم العازِف من المشاركة، لكن «برميل المزر» العجوز عاودَ المشاركة في القتال لتردَّ عليه الجماهير بهتافات الاستحسان المدوِّية، ولما سقطَ وجدَ العامَّة مفضَّلًا آخَر في المرافق المتسلِّق السير هاريس هوج، الذي أكسبَه اسم عائلته، بالإضافة إلى رأس الخنزير على خوذته، لقب هاري فخذة الخنزير. من المشاركين الآخَرين الجديرين بالذِّكر، السير آلِن بولوك المعزول مؤخَّرًا من (دراجونستون)، والسير بوريس والسير جارون والسير رونال إخوة روجار باراثيون، وفارس جوَّال سيِّئ السُّمعة يُدعى بجايل الماكِر، بالإضافة إلى السير آلاستور راين بطل (أراضي الغرب) وقيِّم السِّلاح بـ(كاسترلي روك). لكن بعد ساعاتٍ من الدِّماء والقعقَعة كان آخِر رجل بقيَ على قدميْه فارسًا شابًّا ضخمًا من (أراضي النَّهر)، ثورًا أشقر عريض المنكبين

16 – نجمة الصَّباح: سلاح انتشرَ في القُرون الوسطى، وكان عبارةً عن كُرة حديديَّة شائكة مربوطة بسلسلةٍ في طرف عصا حديديَّة، وأحيانًا كان صولجانًا رأسه كُرة حديديَّة شائكة. (المترجمون).

يُدعى بالسير لوكامور سترونج.

بعد فترةٍ قصيرة من اختتام دورة المباريات غادَرت الملكة أليسين (كينجز لاندنج) متوجِّهةً إلى (دراجونستون) لتنتظر ولادة طفلها هناك. لم يزَل تأثير فقدانها الأمير إجون بعد ثلاثة أيامٍ فقط من ولادته ثقيلًا على جلالتها، لذا وبدلًا من تعريض نفسها لمتاعب السَّفر أو متطلَّبات الحياة في البلاط، سعَت الملكة للهدوء في معقل عائلتها العتيق، حيث الواجبات أقل. بقيَت السِّپتة إيدث والسِّپتة لايرا إلى جانب أليسين، إضافةً إلى دستةٍ من الفتيات الصَّغيرات اخترنَ من بين المئات اللاتي ابتغينَ شرف خدمة الملكة ومُرافقتها. اثنتان من بنات شقيق روجار باراثيون كُن من المختارات، إلى جانب بنات وأخوات اللوردات آرن وڤانس ورِوان ورويس ودونداريون، وامرأة من الشَّمال أيضًا، مارا ماندرلي ابنة اللورد ثيومور سيِّد (الميناء الأبيض). ومن أجل تسليتهن في الأماسي، جلبَت جلالتها مهرِّجها المفضَّل الزَّوجة الصَّالحة بدُميتيه.

كان في البلاط من توجَّسوا من قرار الملكة الانتقال إلى (دراجونستون)، فالجزيرة رطبة وكئيبة في أفضل أحوالها، وفي الخريف تَكثُر الرِّياح القويَّة والعواصف، كما شوَّهت المآسي الأخيرة سُمعة القلعة أكثر، وخشيَ البعض أن أشباح صديقات رِاينا تارجاريَن المسمَّمات تَسكُن المكان. وصفَت الملكة أليسين هذه المخاوف بالحماقة، وقالت للشكَّاكين: «كنتُ والملك في غاية السَّعادة في (دراجونستون). لا أستطيع التَّفكير في مكانٍ أفضل لولادة طفلِنا».

خُطِّط لجولةٍ ملكيَّةٍ أخرى في عام 55 بعد الفتح، هذه المرَّة إلى (أراضي الغرب). تمامًا مثلما فعلَت عندما كانت حاملًا بالأميرة دنيرس، رفضَت الملكة أن تدعَ الملك يلغي الرِّحلة أو يؤجِّلها، وأرسلَته وحده.

حملَ ڤرميثور الملك فوق (وستروس) إلى (النَّاب الذَّهبي) حيث لحقَت به بقيَّة حاشيته، ومن هناك زارَ جلالته (آشمارك) و(الجُرف) و(كاستامير) و(بهو تاربك) و(لانسپورت) و(كاسترلي روك). لُوحِظَ استثناء (الجزيرة القصيَّة) من الزِّيارات، فعلى عكسِ أخته رِاينا، لم يكن چهيرس تارجاريَن رجلًا يحبُّ إلقاء التَّهديدات، وإن كانت له طريقته الخاصَّة لإبداء استيائه.

عادَ الملك من الغرب قبل قمرٍ من موعد ولادة الملكة، حتى يكون بجانبها عند وضعها المولود. وصلَ الرَّضيع في الوقت الذي تنبَّأ به المِايسترات بالضَّبط، صبيٌّ صحيح البدن متناسق الأطراف بعينين أرجوانيَّتيْن شاحبتيْن، وكان شعره باهتًا أيضًا حين نما، برَّاقًا كالذَّهب الأبيض، وهو لونٌ نادر حتى في (ڤاليريا القديمة). أطلقَ چهيرس عليه اسم إيمون، وقالت أليسين فيما ألقمَت الأمير الصَّغير ثديها: «ستغضب دنيرس مني. كانت مصرَّةً جدًّا على أن أُنجِب لها أختًا»، فضحكَ چهيرس وقال: «المرَّة التَّالية». في تلك اللَّيلة، استجابةً لاقتراح أليسين، وضعَ الملك بيضة تنِّين في مهد الأمير.

مبتهجين بخبر ميلاد الأمير إيمون، احتشدَ آلاف من العامَّة في الشَّوارع خارج (القلعة الحمراء) عندما عادَ چهيرس وأليسين إلى (كينجز لاندنج) بعد دورة قمر، على أمل أن يحظوا بنظرةٍ خاطفة على وريث العرش الحديدي الجديد، ولدى سماع ترانيمهم وهتافاتهم، صعدَ الملك أخيرًا إلى شُرفة بوَّابة القلعة الرَّئيسيَّة، ورفعَ الطِّفل فوق رأسه ليتمكَّن الجميع من رؤيته، وقيلَ إنه في تلك اللَّحظة ارتفعَ التَّهليل الهادر حتى أمكنَ سماعه عبرَ (البحر الضيِّق).

وسطَ احتفال (الممالِك السَّبع)، بلغَ الملك أن أخته رِاينا شُوهِدَت

ثانيةً، هذه المرَّة في (الحجر الأخضر)، مقرِّ آل إسترمونت العتيق على الجزيرة التي تحمل الاسم نفسه قُبالة سواحل (رأس الغضب)، حيث قرَّرت أن تبقى فترةً. يُذكَر أن ابنة خالها لاريسا ڤيلاريون، أولى رفيقات رِاينا المفضَّلات، كانت قد تزوَّجت الابن الثَّاني لنجمِ المساء سيِّد (تارث)، ورغم أن زوجها كان قد ماتَ فقد أنجبَت له الليدي لاريسا ابنةً زُوِّجَت مؤخَّرًا باللورد إسترمونت المسن. بدلًا من البقاء في (تارث) أو العودة إلى (دريفتمارك)، قرَّرت الأرملة أن تمكُث مع ابنتها في (الحجر الأخضر) بعد الزِّفاف، ولعلَّ وجود الليدي لاريسا هناك هو ما حملَ الأميرة رِاينا على الذَّهاب إلى (إسترمونت)، فالجزيرة عدا ذلك تفتقِر إلى الجمال بشكلٍ منقطع النظير، رطبةٌ فقيرةٌ ريحها عاتِية، ومع ضياع ابنتها منها وذهاب أعزِّ صديقاتها ومفضَّلاتها إلى القبر، لا ينبغي أن يُدهِشنا أن رِاينا سعَت للعزاء عند صديقةٍ من طفولتها.

كان ليفاجئ الملكة -ويُغضِبها- لو عرفَت أن صديقةً مفضَّلةً سابقةً أخرى تمرُّ قريبًا منها في ذلك الوقت نفسه، فبعد التَّوقُّف في (پنتوس) للتزوُّد بالمؤن، شقَّت آليس وِستهيل وسفينتها (مُطارِدة الشَّمس) طريقهما باتِّجاه (تايروش)، حيث أضيق بقعةٍ في (البحر الضيِّق) بينهما وبين (إسترمونت). كان الطَّريق المحفوف بالمخاطِر عبر مياه (الأعتاب) الموبوءة بالقراصِنة أمامها، والليدي آليس تُعيِّن رُماة نُشَّابيَّة ومرتزِقة ليَعبُروا بها المضيق بأمانٍ إلى المياه المفتوحة، على غرار العديد من الرَّبابنة الحُكماء. على أن الآلهة قضَت بتقلُّب أمزجتها أن تجهل كلتا الملكة رِاينا وصديقتها الخائنة وجود الأخرى على مقربة، ومرَّت (مُطارِدة الشَّمس) من بين جُزر (الأعتاب) دون حوادِث. صرفَت آليس وِستهيل من عيَّنتهم في (لِيس)، وشرعَت في تعبئة المياه العذبة وتخزين المؤَن قبل التَّوجُّه غربًا والإبحار صوب (البلدة القديمة).

حلَّ الشِّتاء على (وستروس) في عام 56 بعد الفتح، ووصلَت معه أخبارٌ مقبضة من (إسوس). الرِّجال الذين أرسلَهم الملك جهيرس لتقصِّي أمر الوحش الذي يجوب التِّلال شمال (پنتوس) هلكوا جميعًا. كان قائدهم، السير ويلام الدَّبُّور، قد استأجرَ مرشدًا في (پنتوس)، رجلًا محليًّا ادَّعى أنه يعرف أين يكمن الوحش، وبدلًا من ذلك قادَهم إلى فَخٍّ، وفي مكانٍ ما من (تلال المخمل) في (أندالوس) هاجمَ السير ويلام ورجالَه قُطَّاعُ طريق، ورغمَ استبسالهم في القتال كانت الأعداد ضدَّهم، وفي النِّهاية غُلِبوا وقُتِلوا. قيلَ إن السير ويلام كان آخِر السَّاقطين، وقد أعيدَ رأسه إلى أحدِ عُملاء اللورد ريجو في (پنتوس).

بعد سماعه القصَّة الحزينة قال السِّپتون بارث مستنتجًا: «لا وحش هناك، بل مجرَّد لصوص خرافٍ اختلَقوا قصَّةً يُخيفون بها الآخَرين ويُبعِدونهم». حثَّ حضرة اليد مايلز سمولوود الملك على عقاب (پنتوس) على الاعتداء، لكن جهيرس لم يُرِد أن يشن حربًا على مدينةٍ بأكملها من أجل جرائم عصابةٍ من الجُناة، وهكذا وُضِعَ حدٌّ للمسألة، وأُدرِجَ مصير السير ويلام الدَّبُّور في (الكتاب الأبيض) الخاص بالحرس الملكي. لشغلِ مكانه، أهدى جهيرس معطفًا أبيض إلى السير لوكامور سترونج، المنتصر في الالتحام الجماعي العظيم في (جُب التَّنانين).

أخبارٌ أخرى جديدة بلغَتهم من عُملاء اللورد ريجو عبر البحر. تحدَّث أحد التقارير عن تنِّينٍ يُعرَض في حلبات القتال بـ(أستاپور) المطلَّة على (خليج النخَّاسين)، وحشٍ ضارٍ مقصوص الجناحيْن وضعَه النخَّاسون في مواجهة الثِّيران ودببة الكهوف وزُمرات العبيد المسلَّحين بالحِراب والفؤوس، فيما يهدر آلاف ويهتفون. رفضَ السِّپتون بارث تصديق الخبر

نهائيًّا، وأعلنَ: «إنه وايفِرن[17] دون أدنى شك. غالبًا يحسب مَن لم يروا تنّينًا من قبل وايفِرنات (سوثوريوس) تنانينَ».

وكان الخبر الأشد إثارةً لاهتمام الملك ومجلسه خبر الحريق العظيم الذي اجتاحَ (أراضي النِّزاع) قبل أسبوعيْن. أجَّجته الرِّياح القويَّة وغذَّته الحشائش الجافَّة، لتشتعل النِّيران ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ ملتهمةً نصف دستةٍ من القُرى وجماعةً حُرَّة اسمها المغامرون، وجدَ رجالها أنفسهم محاصَرين بين اللَّهب المستعر وجيشٍ تايروشي تحت قيادة الأركون نفسه. اختارَ أغلبهم الموت بحِراب التايروشيّين بدلًا من الاحتراق أحياء، ولم ينجُ منهم ولو رجل واحد.

ظلَّ مصدر النِّيران لُغزًا. أعلنَ السير مايلز سمولوود: «تنِّين. ماذا يمكن أن يكون غير ذلك؟»، لكن ريجو دراز ظلَّ غير مقتنع، واقترحَ: «صاعقة برق، أو نار طهو، أو سكّير يحمل مشعلًا ويبحثُ عن عاهرة»، فوافقَه الملك قائلًا: «لو كان هذا من صُنع بالريون لشُوهِدَ بالتَّأكيد».

كانت حرائق (إسوس) آخِر همِّ المرأة التي أطلقَت على نفسها اسم آليس وِستهيل في (البلدة القديمة)، إذ ثبَّتت عينيها على طرف الأُفق الآخَر، على الزوبعة التي تضرب البحار الغربيَّة. كانت سفينتها (مُطارِدة الشَّمس) قد وصلَت إلى الميناء في الأيام الأخيرة من الخريف، لكنها ظلَّت راسيةً على الرَّصيف فيما بحثَت الليدي آليس عن طاقمٍ للإبحار بها. كانت تقترح أن تفعل ما لم يجرؤ إلَّا قِلَّة محدودة من أجرأ الملَّاحين على فعله من قبل: الإبحار إلى ما وراء مغرب الشَّمس بحثًا عن أراضٍ لم تخطُر ببالِ أحد، ولم تُرِد على متن سفينتها رجالًا قد يفقِدون شجاعتهم ويثورون ضدَّها ويُجبِرونها على العودة، وعليه تطلَّبت رجالًا يُشاركونها

---

17 – الوايفرن: مخلوق أسطوري شبيه بالتنّين، له جسد كالسِّحلية وساقان وذيل سمكة، ولا ينفث النَّار. (المترجمون).

حُلمها، ولم يكن العثور على أمثالِ هؤلاء سهلًا، حتى في (البلدة القديمة).

في ذلك الوقت، كما هي الحال الآن، تشبَّث العامَّة الجهلة والبحَّارة المؤمنون بالخُرافات بالاعتقاد بأن العالم مسطَّح وينتهي في مكانٍ ما في أقصى الغرب. تحدَّث البعض عن جُدرانٍ من النَّار وبحارٍ تغلي، والبعض عن ضبابٍ أسود يمتدُّ بلا آخِر، والبعض عن بوَّابات الجحيم نفسها. أمَّا الحُكماء فأعقل من ذلك. الشَّمس والقمر كرويَّان، كما يمكن لأيِّ ذي عينيْن أن يرى، وهكذا ارتأى العقل أن العالم كرويٌّ أيضًا بالضَّرورة، وقد أقنعَت قرون من البحوث والدِّراسات رؤساء المِايسترات في المجمَع بغياب أيِّ شكٍّ في هذا. آمنَ سادة التَّنانين في معقل (ڤاليريا) الحُر بالشَّيء ذاته، مثلهم مثل حُكماء العديد من الأراضي البعيدة، من (كارث) إلى (يي تي) إلى جزيرة (لِنج).

غير أنهم لم يتَّفقوا على حجم العالم، وحتى بين رؤساء المِايسترات في (القلعة) كانت الانقسامات بالغةً حولَ ذلك السُّؤال. اعتقدَ البعض أن (بحر الغروب) شاسعٌ لدرجة أن لا أمل لأحدٍ في عبوره، فيما جادلَ آخَرون قائلين إنه قد لا يكون أوسع من (بحر الصَّيف) حيث يمتدُّ من (الكرمة) وحتى (جزيرة موراك العظيمة)، وهي مسافةٌ هائلة بالتَّأكيد، لكنها مسافة قد يأمل ملَّاح جريء أن يقطعها بالسَّفينة المناسبة. قد يعني طريق غربي إلى الحرير والتَّوابل في (يي تي) و(لِنج) ثرواتٍ لا تُحصى لمن يَعثُر عليه... هذا إن كانت كرويَّة العالم بذلك الصِّغر كما اقترحَ أولئك الحُكماء.

لم تعتقِد آليس وِستهيل أن العالم صغير، إذ تُظهِر الكتابات الشَّحيحة التي ترَكتها وراءها أن حتى الطِّفلة إليسا فارمان كانت مقتنعةً بأن

العالَم «أكبر وأغرب بكثير مما يتخيَّل المِايسترات». لم يُناسِبها حُلم التُّجَّار بالوصول إلى (أولثوس) و(آشاي) بالإبحار غربًا، فحُلمها كان تصوُّرًا أشد جرأةً، إذ اعتقدَت أن بين (وستروس) وسواحل (إسوس) و(أولثوس) الشَّرقيَّة البعيدة أراضيَ وبحارًا أخرى تنتظر من يكتشِفها: (إسوس) أخرى، و(سوثوريوس) أخرى، و(وستروس) أخرى. امتلأَت أحلامها بأنهارٍ جارية وسهولٍ تجتاحها الرِّياح وجبال شاهقة بمناكب بين السُّحب، وبجُزرٍ خضراء وارِفة في نور الشَّمس، وبوحوشٍ غريبة لم يُروِّضها إنسان وفواكه غريبة لم يتذوَّقها بشر، وبمُدنٍ ذهبيَّة تلتمع تحت نجومٍ غريبة.

لم تكُن أوَّل من حلمَ ذلك الحُلم، فقبل الفتح بآلافِ السِّنين، عندما كان ملوك الشِّتاء ما زالوا يحكُمون في الشَّمال، بنى براندون السفَّان أسطولًا كاملًا من السُّفن لعبور (بحر الغروب)، وأخذه غربًا بنفسه ولم يعُد قَطُّ، فأحرقَ ابنه ووريثه، براندون آخَر، الأحواض التي بُنيَ فيها الأسطول، ليُعرَف إلى الأبد باسم براندون الحارِق. بعد ألفِ عامٍ انحرفَ بعض الحديديِّين المبحرين من (ويك الكُبرى) عن مسارِهم إلى مجموعةٍ من الجُزر الصَّخريَّة تبعُد ثمانية أيامٍ إلى الشَّمال الغربي عن أيِّ ساحلٍ معروف، وهناك بنى رُبَّانهم بُرجًا ومنارةً، واتَّخذ اسم فارويند، وأطلقَ على معقله اسمَ (المنارة الوحيدة). ما يزالُ نسلُه يعيش هناك، مُتشبِّثين بالصُّخور حيث يفوق عدد فقمات البحر البشر خمسين إلى واحد. حتى الحديديُّون الآخَرون اعتبروا آل فارويند مجانين، وأطلقَ عليهم البعض اسم شعب الفقمات.

خاضَ كلٌّ من براندون السفَّان والحديديُّون من بعده البِحار الشَّماليَّة،

حيث سبحَت الكَراكِن الوحشيَّة والتِّنانين البحريَّة ولَوِياثانات[18] بحجم الجُزر في تلك المياه الرَّماديَّة الباردة، وأخفى الضَّباب القارس جبالا عائمةً من الجليد. لم تكن آليس وِستهيل تنوي السَّفر في أعقابهِم، بل قرَّرت الإبحار بـ(مُطارِدة الشَّمس) في مسارٍ أقرب إلى الجنوب، بحثًا عن المياه الزَّرقاء الدَّافِئة والرِّياح الثَّابِتة الوطيدة التي اعتقدَت أنها ستحمِلها عبر (بحر الغروب). لكن أوَّلًا وجبَ أن يكون لديها طاقم.

ضحكَ بعض الرِّجال منها، ووصفَها غيرهم بالجنون أو شتَموها في وجهها. قال لها رُبَّان منافس: «وحوشٌ غريبة، نعم، وعلى الأرجح سينتهي بكِ المطاف في بطن أحدها». على أن جزءًا كبيرًا من الذَّهب الذي دفعَه أمير البحر مقابِل بيضات التِّنانين المسروقة أودِع بأمانٍ في خزائن مصرف (براڤوس) الحديدي، ومدعومةً بهذه الثَّروة تمكَّنت الليدي آليس من إغراء البحَّارة من خلال دفع ثلاثة أضعاف ما يُمكن أن يعرضه القباطنة الآخَرون، وببُطءٍ بدأت تجمع الأيادي الرَّاغبة.

حتمًا، أثارَت جهودها انتباه سيِّد (البُرج العالي)، فأُرسِلَ حفيدا اللورد دونل، إيوستس ونورمان، وكلاهما ملَّاح ذائع الصِّيت في حدِّ ذاته، لاستجوابها... وتقييدها بالأغلال إذا دعَت الحاجة. بدلًا من ذلك انضمَّ إليها الرَّجلان، وتعهَّدا بسفينتيهما وطاقميهما لمسعاها، وبعد ذلك تهافتَ البحَّارة متسلِّقين بعضهم بعضًا في عجلتهم الانضمام إلى طاقمها. إذا كان ابنا هايتاور سيُبحِران، فثمَّة ثرواتٌ يمكن الحصول عليها إذًا. غادرَت (مُطارِدة الشَّمس) ميناء (البلدة القديمة) في اليوم الثَّالث والعشرين من القمر الثَّالث من عام 56 بعد الفتح، وشقَّت طريقها في (النَّهر الهامس) إلى البحار المفتوحة، مصحوبةً بـ(قمر الخريف)

18- اللَّوِياثان: في عالم الجليد والنَّار هو حوت بالغ الضَّخامة يُعَدُّ أكبر المخلوقات حجمًا في العالم على الإطلاق. (المترجمون).

التَّابعة للسير نورمان هايتاور، و(الليدي مريدث) الخاصَّة بالسير إيوستس هايتاور.

لم يُعجّلوا برحيلهم ولو يومًا واحدًا... لأن أخبارًا عن آليس وِستهيل وبحثها اليائس عن طاقمٍ بلغَت (كينجز لاندنج) أخيرًا. استشفَّ الملك جهيرس حقيقة اسم الليدي إليسا المستعار في الحال، وأرسلَ على الفور غِدفانًا إلى اللورد دونل في (البلدة القديمة)، يأمره باعتقال هذه المرأة وتسليمها إلى (القلعة الحمراء) للاستجواب. غير أن الطُّيور وصلَت متأخِّرةً... أو ربما، كما يقترح البعض حتى يومنا هذا، ماطلَ دونل المماطل مرَّةً أخرى. مفضِّلًا تحاشي غضبة الملك، أرسلَ معاليه أسرع اثنتي عشرة سفينة لديه في مطاردة آليس وِستهيل وحفيديه، لكن السُّفن عادَت إلى المرفأ واحدةً تلو الأخرى متهاديةً مهزومةً. البحارُ واسعة والسُّفن ضئيلة، ولم يستطِع أيٌّ من سُفن اللورد دونل مضاهاة سرعة (مُطارِدة الشَّمس) وهي باسطةٌ أشرِعتها تُسابِق الرِّيح.

عندما بلغَ خبر هروبها (القلعة الحمراء)، فكَّر الملك مطوَّلًا وبشدَّة في مطاردة إليسا فارمان بنفسه، وبرَّر فكرتَه بقوله إن لا سفينة باستطاعتها الإبحار بسرعة طيران التنِّين، وقد يستطيع ڤرميثور أن ينجح في ما فشلَت فيه سُفن اللورد هايتاور. لكن مجرَّد الفكرة أرعبَ الملكة أليسين، التي أشارَت إلى أن التَّنانين نفسها لا يمكنها التَّحليق للأبد، وخرائط (بحر الغروب) الموجودة لا تظهر عليها أيُّ جُزر أو حتى صخور ليستريح عليها ڤرميثور. وافقَها كلٌّ من المِايستر الأكبر بنيفر والسِّپتون بارث الرَّأي، وبسبب مُعارضتهما نبذَ جلالته الفكرة على مضض.

بزغَ فجر اليوم الثَّالث عشر من القمر الرَّابع من عام 56 بعد الفتح باردًا غائمًا، مع رياحٍ عاصفة هبَّت من جهة الشَّرق. تُخبِرنا سجلَّات

البلاط أن چهيرس تارجاريَن الأوَّل أفطرَ يومها مع مبعوثٍ من مصرف (براڤوس) الحديدي قدمَ لتسلُّم القسط السَّنوي من قرضِ التَّاج. كان اجتماعًا مفعمًا بالجدل، ولم تزَل إليسا فارمان حاضرةً بقوَّةٍ في ذهن الملك، وكان يعرِف يقينًا أن سفينتها (مُطارِدة الشَّمس) بُنيَت في (براڤوس). طالبَ جلالته بإخباره إن كان (المصرف الحديدي) قد موَّل بناء السَّفينة، وإن كان لديهم أيُّ علمٍ عن بيضات التَّنانين المسروقة، فأنكرَ المصرفيُّ من جانبه كلَّ ذلك.

في مكانٍ آخَر من (القلعة الحمراء) قضَت الملكة أليسين الصَّباح مع طفليْها. كانت الأميرة دنيرس قد ألِفَت أخاها إيمون أخيرًا، ورغم ذلك ظلَّت تُريد أختًا صغيرةً. كان السِّپتون بارث في المكتبة، والمِايستر الأكبر بنيفر في مِغدفته، وعبر المدينة كان اللورد كوربراي يتفقَّد أحوال رجال الثُّكنات الشَّرقيَّة لحرس المدينة، فيما استضافَ ريجو دراز شابَّةً منحلَّةً في إيوانه أسفل (جُب التَّنانين).

سيتذكَّر جميعهم طويلًا ما كانوا يفعلونه حين سمِعوا صوت بوقٍ تردَّد في هواء الصَّباح. لاحقًا قالت الملكة: «سرى الصوت على ظهري كسكينٍ بارد، ولو أني لم أعرف السَّبب». في بُرج مراقبةٍ وحيد يطلُّ على مياه (الخليج الأسود)، لمحَ أحد الحُرَّاس جناحيْن أسوديْن في الأُفق فأطلقَ نفير الإنذار، ونفخَ في البوق مرَّةً ثانيةً عندما تعاظمَ حجمُ الجناحيْن، ومرَّةً ثالثةً عندما رأى التنِّين بوضوح، أدهمَ تحت السحاب.

لقد عادَ بالريون إلى (كينجز لاندنج).

مرَّت سنوات عديدة منذ آخِر مرَّةٍ شوهِدَ فيها الرُّعب الأسود في السَّماء فوق المدينة، وملأ المنظر أنفُس العديد من ساكِنة العاصمة بالفزع، متسائلين إن كان ميجور المتوحِّش قد عادَ بوسيلةٍ ما من قبره

ليمتطيه مجدَّدًا. ولكن يا للأسى، فلم يكُن الرَّاكب المتشبِّث بعُنقه ملكًا ميتًا بل صبيَّة تُحتضَر.

غطَّى ظلٌّ بالريون ساحات (القلعة الحمراء) وقاعاتها إذ انخفضَ ضاربًا بجناحيْه العظيميْن الهواء، ليحطَّ في الجناح الدَّاخلي عند (حصن ميجور). ما كادَ التنّين يلمس الأرض حتى انزلقَت الأميرة إيريا من فوق ظهره، وحتى من عرفوها حقَّ المعرفة خلال سنوات وجودها في البلاط استطاعوا تمييز الفتاة بالكاد. كانت شِبه عارية، ملابسها ما هي إلَّا خِرق بالية وأسمال ملتصقة بذراعيها وساقيها، وشعُرها متشابكًا أشعث، وأطرافُها رفيعةً كالعِصِي. نادَت الأميرة الفُرسان والمرافِقين والخدم الذين رأوها تنزل: «أرجوكم»، ثم حين هرعوا نحوها راكضين قالت: «أنا لم»، وانهارَت.

كان السير لوكامور سترونج متمركزًا على الجسر الممتد فوق الخندق الجاف المحيط بـ(حصن ميجور)، وقد دفعَ المتفرِّجين الآخَرين جانبًا ورفعَ الأميرة بين ذراعيه وحملَها عبر القلعة إلى المِايستر الأكبر بنيفر. لاحقًا أخبرَ كلَّ شخص استمعَ له أنه وجدَ جسدَ الفتاة محتقنًا لفحَته الحُمَّى، وجلدها ساخنًا لدرجة أنه شعرَ بحرارته تتخلَّل دِرعه المطليَّة بالمينا. زعمَ الفارس أنه رأى دمًا في عينيها أيضًا، «وكان شيء ما بداخلها، شيء يتحرَّك جعلَها ترتجف وتتلوَّى بين ذراعيَّ». (لكنه لم يستمرَّ في حكي تلك الحكايات طويلًا، ففي اليوم التَّالي استدعاه الملك چهيرس وأمرَه بأن يكفَّ عن حديثه عن الأميرة).

أُرسِل إلى الملك والملكة للحضور في الحال، ولكن عندما وصلا إلى مسكن المِايستر منعَهما بنيفر من الدُّخول قائلًا لهما: «لستما تُريدان رؤيتَها في تلك الحالة، وسأكون مهملًا لواجبي إن سمحتُ لكما

بالاقتراب أكثر». وُضِعَ بعض الحرس عند الباب ليمنعوا الخدم من الدُّخول كذلك، ووحده السِّپتون بارث سُمِحَ له بالدُّخول ليؤدِّي الشَّعائر للمحتضِرة. فعلَ بنيفر كلَّ ما بوسعه للأميرة المصابة، فسقاها حليب الخَشخاش، وغمرَها في حوضٍ من الثَّلج حتى تخفُّ الحُمَّى، لكن جهوده كانت عقيمةً، وبينما احتشدَ مئات في سِپت (القلعة الحمراء) للصَّلاة من أجلها، تربَّص چهيرس وأليسين أمام باب المِايستر. كانت الشَّمس قد غربَت وساعة الوطواط حلَّت عندما خرجَ بارث معلنًا موت إيريا تارجاريَن.

سُلِّمَت الأميرة إلى النِّيران في اليوم التَّالي مباشرةً عند شروق الشَّمس، وكان جُثمانها مكفَّنًا بالكتَّان الأبيض الفاخر من الرَّأس إلى القدمين. بدا المِايستر الأكبر بنيفر، الذي جهَّز محرقتها الجنائزيَّة، نصف ميتٍ عن نفسه، كما أسرَّ اللورد ردواين لأبنائه. أعلنَ الملك أن ابنة أخته ماتَت بالحُمَّى وطلبَ من المملكة الدُّعاءَ لها، وأقيمَ الحِداد عليها بـ(كينجز لاندنج) لبضعة أيامٍ قبل أن تستمرَّ الحياة كما من قبل، وكانت هذه نهاية تلك الحادثة.

على أن التَّساؤلات بقيَت، وحتى الآن، بعد قرون، ما زلنا لم نقترِب بعدُ من معرِفة الحقيقة.

خدمَ أكثر من أربعين رجلًا العرش الحديدي في منصب المِايستر الأكبر؛ ومفكِّراتهم ورسائلهم ومذكِّراتهم وتقاويم البلاط التي دوَّنوها هي أفضل ما لدينا من سجلَّات عن الأحداث التي شهدوها، وإن لم يكن جميعها متساويًا في الإتقان، إذ تركَ بعضهم لنا مجلَّداتٍ من الرَّسائل المليئة بالكلام الفارغ، التي لم تُغفِل تدوين ما تناولَه الملك على العَشاء (وإن كان قد استمتعَ به)، في حين لم يَكتُب آخَرون أكثر من نصف دستةٍ

من الرَّسائل في العام. في ذلك الصَّدد كان بنيفر أقرب إلى أفضلهم، وتمدُّنا رسائله ومذكِّراته برواياتٍ مفصَّلة عن كلِّ ما رآه وفعلَه وشهدَه في أثناء خدمته الملك چهيرس وعمِّه ميجور من قبله. ومع ذلك، حتى مُدوَّنات بنيفر جميعًا لا تذكُر ولو كلمة واحدةً عن عودة إيريا تارجاريَن وتبِّينها المسروق إلى (كينجز لاندنج)، ولا عن موت الأميرة الصَّغيرة. لكن لحُسن الحظِّ لم يكن السِّپتون بارث كتومًا مثلَه، وسجلَّاته هي ما يجب أن نرجع إليه الآن.

كتبَ بارث: «مرَّت ثلاثة أيام منذ هلاك الأميرة ولم يُواتِني النَّوم. لا أعرفُ إن كنتُ سأنامُ مجدَّدًا. (الأُم) رحيمة، لطالما آمنتُ بهذا، و(الأب في الأعالي) يحكُم على النَّاس بالعدل... لكن ما حدثَ لأميرتنا المسكينة لم تكن فيه رحمة أو عدل. كيف يمكن للآلهة أن تغضَّ بصرها عن فظائع كهذه أو تتجاهَلها؟ أم إن من الممكن أن في هذا الكون آلهةً أخرى، آلهةً شرِّيرةً متوحِّشةً كالتي يُحذِّر منها رُهبان راهلور الحُمر، يبدو ملوك البشر وآلهتهم تافهين كالذُّباب ضد كيدها وحقدها؟

لا أعرفُ ولا أريدُ أن أعرف. إن جعلَ مني هذا سِپتونًا غير مؤمِن فليكن. اتَّفقتُ والمِايستر الأكبر بنيفر على ألَّا نُخبِر أحدًا بما رأيناه ومرَرنا به في مسكنه فيما احتضرَت تلك الطِّفلة المسكينة... لا الملك ولا الملكة ولا السيِّدة أمِّها، ولا حتى رؤساء المِايسترات في (القلعة)... لكن الذِّكريات تأبى مبارحَتي، لذلك سأدوِّنها هنا، فربما عندما يأتي الوقت الذي يجدونها فيه ويقرؤونها يكون البشر قد اكتسَبوا فهمًا أفضل لتلك الشُّرور.

لقد أخبرنا العالم أن الأميرة ماتت بالحُمَّى، وهذا صحيحٌ على العموم، لكنها كانت حُمَّى لم أرَ لها مثيلًا قطُّ وأرجو ألَّا أراها مجدَّدًا. كانت الفتاة

ملتهبةً، وجلدها أحمر محتقنًا عندما وضعتُ يدي على جبهتها لأعرِف كم هي ساخنة، فكأني غمستُها في قدرِ ماءٍ مغلي. كان على عظامها أونصةٌ من اللَّحم بالكاد، إذ بدَت شديدة النُّحول والجوع، لكننا تمكّنا من ملاحظة... تورُّماتٍ بداخلها إذ انتفخَ جِلدها ثم غاصَ مرَّةً أخرى، كما لو أن... لا، ليس كما لو أن، بل كان هذا حقًّا... كانت بداخلها أشياء، أشياء حيَّة تتحرَّك وتتلوَّى، ربما تبحث عن طريقٍ للخروج، وقد آلمتها لدرجة أن حليب الخَشخاش الذي سقيناها إياه لم يمنحها راحةً. لقد أخبرنا الملك، كما يجب أن نُخبِر أُمَّها حتمًا، أن إيريا لم تنطِق مُطلقًا، لكن تلك كذبة. إنني أصلِّي لكي أنسى سريعًا بعض الأشياء التي همسَت بها عبر شفتيْها المتشقِّقتيْن الدَّاميتيْن، ولا يُمكنني أن أنسى كيف توسَّلت معظم الوقت أن تموت.

فنون المِايسترات كلُّها كانت عديمة النَّفع في مواجهة الحُمَّى، إن كان باستطاعتنا أن نسمِّي شيئًا بتلك البشاعة باسمٍ معتادٍ كهذا. أبسط وسيلةٍ يُمكننا التَّعبير بها، هي أن الطِّفلة المِسكينة كانت تُطهى من الدَّاخل. اشتدَّ جِلدها اسودادًا ثم بدأ يتشقَّق، حتى أصبحَ يُشبِه إلى حدٍّ كبير -وليحفظني (السَّبعة)- جِلد الخنزير المشوي. انبعثَت خيوطٌ رفيعةٌ من الدُّخان من فمها وأنفها، والأكثر مدعاةً للتَّقزُّز من شفتيْها السُّفليَّتين. حينها كانت قد كفَّت عن الكلام، وإن ظلَّت الأشياء التي بداخلها تتحرَّك. طُهيَت عيناها داخل جمجمتها ثم انفجرَتا كبيضتين وُضِعتا مُدَّةً طويلةً في إناء ماءٍ مغلي.

ظننتُ أن ذلك أشنع شيءٍ سأراه مطلقًا، ولكن سرعان ما طرحتُ الخاطر، لأن شيئًا أبشع كان في انتظاري. حدثَ ذلك عندما وضَعتُ وبنيفر الطِّفلة المسكينة في حوضٍ وغمرناها بالثَّلج. أقولُ لنفسي إن

صدمة تلك الغمرة أوقفَت قلبها فورًا... وإن كان الأمر كذلك فهي رحمة، لأن عندئذٍ بدأت الأشياء التي بداخلها تَخرُج...

الأشياء... فلترحمني (الأُم)، لا أدري كيف أتحدَّثُ عنها... كانت... ديدانًا ذات وجوه... ثعابين ذات أيادٍ... أشياءَ ملتويةً لزجةً لا تُوصَف، بدَت كأنها تتلوَّى وتنبض وتتقلَّب حين انبثقَت من جسدها. بعضها لم يكن أكبر من خنصري، لكن واحدةً على الأقل كانت بطول ذراعي... أوه، فليحمِني (المحارب)، تلك الأصواتُ التي أصدرَتها...

هلكَت الأشياء على كلِّ حال. يجب أن أتذكَّر هذا، أن أتشبَّث به. أيًّا كانت تلك الأشياء، كانت مخلوقاتِ حرارةٍ ونار، ولم تحبَّ الثَّلج، أوه، لا. واحدةً تلو الأخرى تقلَّبت وتلوَّت وماتَت أمام عينيَّ والشُّكر لـ(السَّبعة). لن أحاول أن أطلق عليها أسماءً... لقد كانت أهوالًا».

ينتهي الجُزء الأوَّل من رواية السِّپتون بارث هنا، لكن بعد بضعة أيامٍ عادَ بارث واستأنَف:

- «الأميرة إيريا رحلَت، لكنها لم تُنسَ، فالمؤمنون يصلُّون لروحها العذبة في كلِّ صباحٍ ومساء. خارج السِّپتات الأسئلة نفسها على كل شفة. الأميرة ظلَّت مفقودةً أكثر من عام، فأين عساها ذهبَت؟ ما الذي حدثَ لها؟ ما الذي عادَ بها إلى الوطن؟ أكان بالريون هو الوحش الذي قيل إنه بثَّ الفزع في (تلال المخمل) بـ(أندالوس)؟ أكانت نيرانه هي ما أشعلَ الحريق عبر (أراضي النِّزاع)؟ هل تمكَّن الرُّعب الأسود من الطَّيران حتى (أستاپور) ليكون ذلك «التنِّين» في الحلبة؟ لا ولا ولا. تلك مجرَّد خُرافات.

ومع ذلك، حتى إذا وضعنا هذه التَّشويشات جانبًا فسيظلُّ اللُّغز قائمًا. أين ذهبَت إيريا تارجاريَن بعد الفرار من (دراجونستون)؟ أوَّل ما فكَّرت فيه الملكة رِاينا أنها حلَّقت إلى (كينجز لاندنج)، فغالبًا ما أبدَت

الأميرة رغبتَها في العودة إلى البلاط، وحين تبيَّن بُطلان هذا وجَّهت رِاينا ناظريْها إلى (الجزيرة القصيَّة) و(البلدة القديمة). بدَت كلتاهما خيارًا محتملًا نوعًا، وإن لم يُعثَر على إيريا في أيٍّ من المكانين، ولا في (وستروس) كُلِّها. عدَّ آخَرون معنى ذلك، بمن فيهم الملكة وشخصي، أن الأميرة حلَّقت شرقًا وليس غربًا، وسيُعثَر عليها في مكانٍ ما في (إسوس). واردٌ أن الفتاة حسبَت المدن الحُرَّة بعيدةً عن متناوَل أمِّها، وبدَت الملكة أليسين على وجه الخصوص مقتنعةً أن إيريا فرَّت من أُمِّها بقدرِ فرارها من (دراجونستون) ذاتها، ورغم ذلك لم يستطِع عُملاء اللورد ريجو ومُخبروه العثور على أيِّ تلميحٍ عن وجودها عبر (البحر الضيِّق)... ولا حتى همسةٍ عن تنِّينها، فلماذا؟

رغم أني لا أستطيعُ تقديمَ دليلٍ دامغ، فإن بمقدوري اقتراحُ إجابة، إذ يبدو لي أننا جميعًا طرحنا السُّؤال الخطأ. كانت إيريا تارجاريَن لا تزال بعيدةً عن يوم ميلادها الثَّالث عشر في الصَّباح الذي تسلَّلت فيه من قلعة أُمِّها. لم تكُن التَّنانين غريبةً عن الفتاة طبعًا، لكنها لم تمتطِ واحدًا من قبل... ولأسبابٍ قد لا نفهمها أبدًا اختارت بالريون لتركبه بدلًا من أيٍّ من التَّنانين الأخرى الأصغر والأسهل انقيادًا التي كان يُمكنها أن تأخذها. مدفوعةً بخلافاتها مع أُمِّها، ربما أرادَت ببساطةٍ وحشًا أضخمَ وأشدَّ إرعابًا من دريمفاير تنِّينة الملكة رِاينا، ومن الممكن أيضًا أنها رغبَت في ترويضِ الوحش الذي قتلَ والدها وتنِّينه (رغمَ أن الأميرة إيريا لم تعرِف والدها قطُّ، ومن الصَّعب معرفة الأحاسيس التي كنتها نحوه ونحو موته). بغضِّ النَّظر عن أسبابها، فقد اختارَت.

ربما انتوَت الأميرة أن تطيرَ إلى (كينجز لاندنج)، تمامًا كما توقَّعت والدتها، وربما فكَّرت في الذَّهاب إلى أختها التَّوأم في (البلدة القديمة)، أو

السَّعي وراء الليدي إليسا فارمان التي سبقَ أن وعدَتها بأخذها في مغامرة. أيًّا كانت خططها فما عادت مهمَّة، فامتطاءُ تنِّينٍ شيء وإخضاعُه لإرادتك شيء مختلف تمامًا، خاصَّةً إن كان وحشًا بسنِّ الرُّعبِ الأسود وشراسته. منذ البدية تساءلنا: *إلى أين أخذَت إيريا بالريون؟* في حين كان علينا أن نسأل: *إلى أين أخذَ بالريون إيريا؟*

لا تُوجَد إلَّا إجابةٌ واحدةٌ معقولة. أرجو أن تتذكَّر أن بالريون كان الأكبر حجمًا وسنًّا بين ثلاثة التَّنانين التي امتطاها الملك إجون وأختاه للفتح. ڤاجهار وميراكسس فقسَت بيضتاهما على (دراجونستون)، ووحده بالريون جاءَ إلى الجزيرة مع إينار المنفي ودينيس الحالمِة، وكان أصغر التَّنانين الخمسة التي جلباها معهما. ماتَت التَّنانين الأكبر سنًّا على مراحل خلال السَّنوات التَّالية، لكن بالريون عاشَ وازدادَ حجمًا وشراسةً وعنادًا. إذا نحَّينا حكايات مشعوذين ودجَّالين بعينهم جانبًا (كما ينبغي لنا أن نفعل)، فقد يكون المخلوق الحيَّ الوحيد في العالم الذي عرفَ (ڤاليريا) قبل الهلاك.

وإلى هناك تحديدًا أخذَ الفتاة المسكينة المنكوبة متشبِّثةً بظهره. سيُدهِشني للغاية إن كانت قد ذهبَت طواعيةً، لكنها لم تملك لا المعرفة ولا قوَّة الإرادة لتوجيهه.

لا أستطيعُ تخمين ما حاقَ بها في (ڤاليريا)، فنظرًا إلى الحالة التي عادَت بها إلينا، لا يهمُّني التَّفكير في ذلك حتى. الڤاليريُّون كانوا أكثر من مجرَّد سادة تنانين، فقد مارَسوا السِّحر الدَّموي وفنونًا سوداء أخرى، موغِلين في أعماق الأرض بحثًا عن أسرارٍ يُستحسَن أن تبقى دفينةً ومشوِّهين لحوم الحيوانات والبشر ليختلِقوا مسوخًا وحشيَّةً غير طبيعيَّة، ولأجلِ هذه الخطايا أطاحَت بهم الآلهة في غضبتها. (ڤاليريا) ملعونة، يتَّفق

الجميع على هذا، وحتى أجرأ البحَّارة يتحاشون المرور قُرب عظامها الدَّاخنة... ولكن من الخطأ أن نعتقد أن شيئًا لا يعيشُ هناك الآن. الأشياء التي وجدناها داخل إيريا تارجاريَن تعيشُ هناك الآن، يُمكنني الجزم بهذا... إلى جانب أهوالٍ أخرى لا نستطيع مجرَّد البدء في تخيُّلها. لقد كتبتُ هنا بالتَّفصيل عن كيفيَّة موت الأميرة، لكن شيئًا آخَر، شيئًا أشدَّ مدعاةً للرُّعب، يجب ذِكره:

بالريون أيضًا كان جريحًا. ذلك الوحشُ الهائِل، الرُّعب الأسود، أشدُّ تنّينٍ حلَّق في سماء (وستروس) مهابةً، عادَ إلى (كينجز لاندنج) بندوبٍ نصف ملتئمة لا أحد تذكَّر أنه رآها من قبل قَطُّ، ومزقٍ محزَّز أسفل جانبه الأيسر بطولِ تسعة أقدامٍ تقريبًا، وجرحٍ أحمر مفتوح لم يزَل الدَّم يتقاطَر منه ساخنًا ويتصاعَدُ منه الدُّخان.

لوردات (وستروس) رجال معتدُّون بأنفسهم، وسِپتونات العقيدة ومِايسترات (القلعة) أشدُّ اعتدادًا على طريقتهم الخاصَّة، لكن في طبيعة العالم الكثير جدًّا مما لا نفهمه، وقد لا نفهمه أبدًا. لعلَّها رحمة. (الأب) خلقَ النَّاس فضوليّين، ليختبر إيماننا حسب كلام البعض، وإنها لخطيئتي الثَّابتة أني كلَّما صادفتُ بابًا صارَ عليَّ أن أرى ما يقبع على جانبه الآخَر، لكن بعض الأبواب يُستحسَن أن يظلَّ مغلقًا. إيريا تارجاريَن مرَّت من أحدِ هذه الأبواب». تنتهي رواية السِّپتون بارث هنا، ولن يتطرَّق مجدَّدًا إلى مصير الأميرة إيريا في أيٍّ من كتاباته، وحتى هذه الكلمات ستُحفَظ طيَّ الكتمان ضمن أوراقه الخاصَّة، وتبقى مجهولةً نحو مئة عام. على أن الأهوال التي شهدها السِّپتون كان لها عليه بالغ الأثر، مثيرةً فيه تعطُّشه للمعرفة الذي دعاه بـ«خطيئتي الثَّابتة»، وبناءً على ذلك بدأ بارث الأبحاث والتَّحرِّيات التي ستقودُه في النِّهاية إلى

كِتابة (التنّين ودودة النّار والوايفِرن: تاريخها غير الطّبيعي)، المجلّد الذي ستُندّد به (القلعة) وتُصنِّفه عملًا «استفزازيًّا معيبًا»، ويأمر بايلور المبارَك بمحوه وإتلافه.

من المرجَّح أن السِّپتون بارث ناقشَ شكوكَه مع الملك كذلك. على الرَّغم من أن الأمر لم يُطرَح قَطُّ على المجلس الصَّغير، في وقتٍ لاحق من العام نفسه أصدرَ چهيرس مرسومًا ملكيًّا يمنع أيَّ سفينةٍ يُشتَبه في زيارتها الجُزر الڤاليريَّة أو خوضها (بحر الدُّخان) من الرَّسو في أيِّ مرفأ أو ميناء بـ(الممالِك السَّبع)، ومُنِعَ رعايا الملك بدورهم من زيارة (ڤاليريا)، بحيث يُعاقَب بالموت كلُّ من يُخالِف ذلك.

لم يمضِ وقتٌ طويل بعد ذلك حتى أصبحَ بالريون أوَّل واحدٍ من تنانين آل تارجاريَن يقطن (جُب التَّنانين). كانت أنفاقُ الصَّرح الطَّويلة المعبَّدة بالقرميد، المتوغِّلة بعمقٍ في جانب التَّل، مصمَّمةً على غرار الكُهوف، وأوسع خمس مرَّاتٍ من عرائِن (دراجونستون). سرعان ما انضمَّت ثلاثة تنانين أصغر إلى الرُّعب الأسود تحت (تل ريينس)، في حين ظلَّ ڤرميثور وسيلڤروينج في (القلعة الحمراء) بالقُرب من راكبيْهما، ولضمان عدم تكرار هروب الأميرة إيريا على متن بالريون، أمرَ الملك بحراسة جميع التَّنانين ليلًا ونهارًا بغضِّ النَّظر عن مستقرِّها، فأُنشِئَ نظام حرس جديد لهذا الغرض: خفر التَّنانين، سبعٌ وسبعون من الأشدَّاء المتسربلين ببزَّاتٍ من الدُّروع السَّوداء اللَّامعة، يُتوِّج خوذاتهم صفٌّ من حراشِف التَّنانين يمتدُّ متضائلًا حتى أسفل ظهورهم.

لا داعي لقول الكثير عن عودة رِاينا تارجاريَن من (إسترمونت) بعد موت ابنتها. لدى وصول الغُداف إلى جلالتها في (الحجر الأخضر) كانت الأميرة قد ماتَت وأُحرِقَت جثَّتها، ولم يتبقَّ لأمِّها إلَّا الرَّماد والعِظام

عندما وصلَت بها دريمفاير إلى (القلعة الحمراء). قال رِاينا: «يبدو أنه مقدَّرٌ لي أن أصل متأخِّرةً دومًا». عندما عرضَ الملك أن يُدفَن الرَّماد في (دراجونستون) بجانب رماد إجون وباقي موتى آل تارجاريَن، رفضَت رِاينا وذكَّرت جلالته قائلةً: «كانت تكره (دراجونستون). لقد أرادَت أن تُحلِّق»، وإذ قالت هذا أخذَت رماد ابنتها عاليًا في السَّماء على متن دريمفاير، ونثرَته في الرِّيح.

كان وقتًا كئيبًا. أخبرَ چهيرس أخته أن (دراجونستون) لا تزال لها إن أرادَتها، لكن رِاينا رفضَت ذلك أيضًا، وقالت: «لا شيء لي هناك الآن إلَّا الأتراح والأشباح»، وعندما سألتها أليسين إن كانت ستعود إلى (الحجر الأخضر) هزَّت رِاينا رأسها نفيًا مجيبةً: «يوجد هناك شبحٌ أيضًا، شبحٌ ألطف، لكنه لا يقلُّ حُزنًا». اقترحَ الملك أن تبقى معهم في البلاط، بل وعرضَ عليها مقعدًا في مجلسه الصَّغير، وهو ما جعلَ أخته تضحك وتقول: «أوه، أخي، أيها الرَّجل العذب، أخشى ألَّا تُعجِبك أيُّ مشورةٍ قد أقدِّمها». عندها أخذَت الملكة أليسين يد أختها في يديها قائلةً: «ما زلتِ امرأةً شابَّةً. إذا أردتِ فبإمكاننا أن نَعثُر لكِ على لوردٍ لطيفٍ رفيق يُقدِّرك كما نفعلُ. يُمكنكِ أن تُنجِبي أطفالًا آخرين». لم يُؤدِّ هذا الكلام إلَّا إلى زمجرةٍ خرجَت من بين شفتَي رِاينا، وانتزعَت يدها من يدَي أختها وقالت: «لقد أطعمتُ آخِر أزواجي لتنِّينتي. إذا جعلتِني أتزوَّج واحدًا آخَر فقد آكله بنفسي هذه المرَّة».

ربما كان المكان الذي أنزلَ فيه الملك چهيرس أخته رِاينا في النِّهاية أقلَّ مقرٍّ متوقَّع على الإطلاق: (هارنهال). كان چوردن تاورز، أحد أواخِر اللوردات الذين ظلُّوا مخلصين لميجور المتوحِّش، قد ماتَ باحتقانٍ في الصَّدر، وانتقلَ خراب هارن الأسود الشَّاسع إلى آخِر أبنائه الأحياء،

الذي سُمِّيَ تيمُّنًا بالملك الرَّاحل. بموت إخوته الأكبر جميعًا في حروب الملك ميجور، باتَ ميجور تاورز آخِر سُلالته، وسقيمًا معدمًا أيضًا، وفي قلعةٍ بُنيَت لإيواء آلافٍ عاشَ تاورز وحيدًا مع طبَّاخٍ وثلاثة أجنادٍ مُسنِّين. أشارَ الملك: «في القلعة خمسة أبراجٍ هائلة، وصبيٌّ آل تاورز يشغَل جزءًا من أحدها. يُمكنكِ أخذ الأربعة الباقية»، وهو ما استطرفَته رِاينا، وقالت: «واحدٌ سيكفي، أنا متأكِّدة. إن حاشيتي أصغر من حاشيته». عندما ذكَّرتها أليسين بما يُقال عن وجود أشباحٍ في (هارنهال) أيضًا، هزَّت رِاينا كتفيها مُجيبة: «ليست أشباحي، ولن تُزعِجني».

وهكذا صارَ أن قضَت رِاينا تارجاريَن، ابنة ملِك وزوجة اثنين وأخت ثالث، آخرَ أعوام حياتها في (بُرج الأرملة) -الجدير باسمه- بـ(هارنهال)، فيما احتفظَ عبر فِناء القلعة الشَّاب الهزيل، المسمَّى تيمُّنًا بالملك الذي قتلَ والد بنتيْها، بحاشيته الخاصَّة في (بُرج الفزع). من الغريب، كما قيلَ لنا، أن صداقةً من نوعٍ ما جمعَت بين رِاينا وميجور تاورز مع الوقت، وبعد وفاته في عام 61 بعد الفتح ضمَّت رِاينا خدمه إلى أهل بيتها واستمرَّت في إيوائهم حتى وفاتها.

تُوفِّيَت رِاينا تارجاريَن في عام 73 بعد الفتح وهي في الخمسين من عُمرها. بعد موت ابنتها إيريا لم تزُر (كينجز لاندنج) أو (دراجونستون) ثانيةً، أو تلعب أيَّ دورٍ في حُكم البلاد، ولو أنها طارَت مرَّةً في السَّنة إلى (البلدة القديمة) لزيارة ابنتها المتبقِّية رِايلا، السِّبتة في (السِّبت النَّجمي). قُبيل وفاتها ابيضَّ شعرها الذَّهبي الفضِّي، وصارَت تُخيف أهالي (أراضي النَّهر) كأنها ساحِرة. خلال تلك السَّنوات، مُنِحَ المسافرون الذين قدموا إلى بوَّابات (هارنهال) طالبين الضِّيافة الخُبز والملح وشرف إيواء ليلةٍ عندها، ولكن ليس شرف صُحبة الملكة، ومن حالفَهم الحظُّ تحدَّثوا

عن لمحها في شُرفات القلعة، أو رؤيتها تذهب وتجيء على متنِ تنّينتها، إذ استمرَّت رِاينا في امتطاء دريمفاير حتى النِّهاية، تمامًا كما فعلَت في البداية.

عندما ماتت أمرَ الملك بإحراقِ جُثمانها في (هارنهال) ودفنِ رمادها هناك، وقال جلالته متحدِّثًا عند محرقتها الجنائزيَّة: «ماتَ أخي إجون على يد عمِّنا في المعركة تحت (عين الآلهة). زوجته، أختي رِاينا، لم تكُن معه في المعركة، لكنها ماتت في ذلك اليوم أيضًا». بموتِ رِاينا، منحَ جهيرس (هارنهال) وكلَّ أراضيها ودخولها للسير بايوين سترونج، الفارس الشَّهير وشقيق رجل الحرس الملكي السير لوكامور سترونج.

على أننا تقدَّمنا عقودًا على حكايتِنا، فـ(الغريب) لم يأتِ رِاينا حتى عام 73 بعد الفتح، والكثير جدًّا حدثَ في (كينجز لاندنج) وممالِك (وستروس) السَّبع قبل ذلك، سواء أكان خيرًا أم شرًّا.

في عام 57 بعد الفتح أعطت الآلهة جهيرس وملكته سببًا للابتهاج من جديد، إذ رُزِقا بابنٍ آخَر سُمِّيَ بِايلون على اسم أحد لوردات آل تارجاريَن الذين حكموا (دراجونستون) قبل الفتح، كان ابنًا ثانيًا هو الآخَر. على الرَّغم من مولده أصغر حجمًا من أخيه إيمون، كان المولود الجديد أشدَّ ضجَّةً وحيويَّةً عند الولادة، وقالت مُرضعاته شاكياتٍ إنهن لم يعرِفن طفلًا يرضع بتلك الشَّراهة قَطُّ. قبل يومين فقط من ولادته حلَّقت الغِدفان البيضاء من (القلعة) مُعلنةً حلول الرَّبيع، ليُلقَّب بِايلون على الفور بأمير الرَّبيع.

كان الأمير إيمون في الثَّانية فقط حين وُلِدَ شقيقه، والأميرة دنيرس في الرَّابعة. لم يتشابَه الاثنان كثيرًا، فالأميرة كانت طفلةً نابضةً بالحيويَّة والضَّحك، تتقافز في أنحاء (القلعة الحمراء) ليل نهار، و«تُحلِّق» في كلِّ

مكانٍ على تنّينٍ مصنوع من عصا مكنسةٍ أصبح لُعبتها المفضَّلة، وتعود ملطَّخةً بالوحل ومتَّسخةً بالعُشب، مشكِّلةً محنةً لأمِّها وخادماتها على حدٍّ سواء باختفائها المتواصل عن أنظارهن. في المقابل، كان الأمير إيمون طفلًا جادًّا للغاية، متحفِّظًا وحذِرًا ومطيعًا، ومع أنه لم يُجِد القراءة بعدُ فقد أحبَّ أن يُقرَأ له، وكثيرًا ما سُمِعَت الملكة أليسين تقول ضاحكةً إن كلمته الأولى كانت «لماذا؟».

شاهدَ المايستر الأكبر بنيفر الأطفال من كثبٍ وهم يكبرون. كانت الجراح التي خلَّفتها العداوة بين ابنَي الفاتِح، إينس وميجور، لم تلتئم بعدُ في أذهان كثيرٍ من اللوردات كبار السِّن، وقد خشيَ بنيفر أن ينقلِب هذان الطِّفلان على أحدهما الآخَر كذلك ليُحمِّما البلاد بالدِّماء. على أن قلقه كان بلا داعٍ، فباستثناء التَّوائم ربما، لم يكن ممكنًا لأخويْن أن يكونا أقرب من ابنَي جهيرس تارجاريَن. ما إن كبرَ بِايلون كفايةً ليستطيع المشي حتى بدأ يتبع شقيقه إيمون في كلِّ مكان، ويحاول جاهدًا تقليده في كلِّ شيءٍ يفعله، وعندما أُعطِيَ إيمون سيفه الخشبي الأوَّل ليبدأ تدريبه على السِّلاح، قيلَ لبِايلون إنه لا يزال أصغر من أن ينضمَّ إليه، لكن هذا لم يردعه، فصنعَ سيفه الخاص من عصا وهرعَ إلى ساحة التَّدريب ليشرع في توجيه الضَّربات إلى أخيه، جاعلًا قيِّم السِّلاح يضحك دون توقُّف.

بعد ذلك أصبحَ بِايلون يذهب بسيفه العصا إلى أيِّ مكان، حتى إلى الفِراش، وهو ما أصابَ أمَّه وخادماتها باليأس. لاحظَ بنيفر أن الأمير إيمون كان هيَّابًا من التَّنانين في البداية، ولكن ليس بِايلون، الذي وردَ أنه ضربَ بالريون على خطمه في أوَّل مرَّةٍ دخلَ (جُب التَّنانين). علَّق العجوز سام اللَّاذع: «يا لهذا الصَّبي، إمَّا أنه شجاعٌ وإمَّا مجنون»، ومنذ

ذلك اليوم فصاعدًا عُرِفَ أمير الرَّبيع ببايلون الشُّجاع أيضًا.

كان واضحًا للعيان أن الأميريْن الصَّغيريْن أحبَّا أختهما حدَّ الإلهاء، كما أن دنيرس استمتعَت للغاية بالصَّبيَّيْن، «خاصَّةً بإملاء ما يفعلانه عليهما». لكن المايستر الأكبر بنيفر لاحظَ شيئًا آخَر: لقد أحبَّ چهيرس أطفاله الثَّلاثة حُبًّا جمًّا، لكن منذ اللَّحظة التي وُلِد فيها إيمون بدأ الملك يتكلَّم عنه بصفته وريثه، وهو ما أثارَ استياء الملكة أليسين، التي ذكَّرت جلالته: «دنيرس أكبرهم. إنها الأولى في تسلسُل الوراثة. يجب أن تُصبِح ملِكةً». لم يكن الملك ليُخالِفها أبدًا، فاكتفى بقول: «ستُصبح ملكةً عندما تتزوَّج إيمون. سيحكُمان معًا، تمامًا مثلنا». لكن بنيفر استطاعَ أن يرى أن كلمات الملك لم تنجَح تمامًا في إرضاء الملكة، كما أشارَ في رسائله.

بالعودة مجدَّدًا إلى عام 57 بعد الفتح، كان ذلك أيضًا العام الذي صرفَ فيه چهيرس اللورد مايلز سمولوود من منصب يد الملك، فعلى الرَّغم من كونه دون شكٍّ رجلًا مخلصًا حَسن النيَّة، أبدى حضرته أنه لا يُناسِب المجلس الصَّغير، وكما قال بنفسه: «لقد خُلِقتُ لأجلس فوق حصان لا على وسادة». لأنه الآن ملك أكبر سنًّا وأكثر حكمةً، أخبر جلالته مجلسه هذه المرَّة أنه لا ينوي تضييع أسبوعيْن في التَّنقيب بين نصفمئةٍ من الأسماء، وهذه المرَّة سيحصل على اليد الذي يُريده: السِّپتون بارث. عندما ذكَّر اللورد كوربراي الملك بنَسب بارث الوضيع، غضَّ چهيرس الطَّرف عن اعتراضاته، وقال: «إن كان أبوه يُطرِّق السُّيوف ويُركِّب حدوات الأحصنة، فليكن. الفارس يحتاج إلى سيفه، والحصان إلى حدوة، وأنا محتاجٌ إلى بارث».

غادرَ يد الملك الجديد في غضون أيامٍ بعد تنصيبه، مستقلًّا سفينةً

إلى (براڤوس) للتَّشاوُر مع أمير البحر و(المصرف الحديدي). رافقَه السير جايلز موريجن وستَّة حُرَّاس، لكن وحده السِّپتون بارث شاركَ في النِّقاشات، فالغرض من مهمَّته كان خطيرًا بالفعل: الحرب أو السَّلام. أخبرَ بارث أمير البحر أن الملك چهيرس يكنُّ إعجابًا كبيرًا لمدينة (براڤوس)، ولهذا السَّبب لم يأتِ بنفسه، إذ تفهَّم التَّاريخ المرير بين المدينة الحُرَّة و(ڤاليريا) وسادة تنانينها، ولكن إذا لم يقدر يده على حلِّ المسألة المطروحة ودِّيًّا، فلن يكون أمام جلالته من خيارٍ إلَّا المجيء بنفسه على متن ڤرميثور لأجل ما دعاه بارث بـ«نقاشاتٍ حامية». عندما استفسرَ أمير البحر عمَّا يقصده بالمسألة المطروحة، منحَه السِّپتون ابتسامةً حزينةً، وقال: «أهكذا يجب أن نلعَب إذًا؟ إننا نتحدَّث عن ثلاث بيضات. أعليَّ أن أقول المزيد؟».

ردَّ أمير البحر: «لا أعترفُ بشيء، لكن لو كانت تلك البيضات بحوزتي فالطَّريقة الوحيدة أني اشتريتها».

- «مِن سارقة».

- «كيف يُمكن إثبات ذلك؟ هل قُبِض على تلك السَّارقة وحُوكِمَت وأدينَت؟ (براڤوس) مدينة قوانين. مَن المالك الشرعي لتلك البيضات؟ هل يُمكنه أن يُريني إثباتًا للملكيَّة؟»

- «يُمكن لجِلالته أن يُريك التَّنانين إثباتًا».

جعلَ ذلك أميرَ البحر يبتسِم ويقول: «التَّهديد المستتر. ملكك أمهر النَّاس في ذلك. أقوى من والده وأحذق من عمِّه. نعم، أعرفُ ما يستطيع چهيرس أن يفعله بنا إذا شاءَ. البراڤوسيُّون أقوياء الذَّاكرة، وما زلنا نَذكُر سادة التَّنانين القُدامى. لكننا قادرون على فِعل أشياء معيَّنة للملك أيضًا. هل أعدِّدها لك، أم إنك تُفضِّل إبقاء التهديد مستترًا؟».

- «أيًّا كان ما يُناسِب معاليك».

- «كما تشاء. لا أشكُّ في استطاعة مِلكك إحراق مدينتي حتى تستحيل إلى رماد. عشرات الآلاف من الرِّجال والأطفال والنِّساء سيموتون بنيران التنّين، وأنا لا أملِكُ القوَّة لإنزال مثل ذلك دمار بـ(وستروس). من الممكن أن أستأجِرَ بعض المرتزِقة، لكنهم سيولُّون الأدبار أمام فُرسانِكم، وبإمكان أساطيلي إزاحة أساطيلكم من البحر فترةً، لكن سُفني مصنوعةٌ من الخشب، والخشب يحترِق. ومع ذلك، في هذه المدينة... لنقل إنها جماعة معيَّنة... أعضاؤها مهَرة جدًّا في مهنتهم المختارة. لا يستطيعون تدمير (كينجز لاندنج) ولا مَلء شوارعها بالجثث، لكنهم يستطيعون قتل... بضعة أشخاص، بضعة أشخاصٍ مختارين بعناية».

- «الجلالة الملك حرس ملكي يحمونه ليلًا ونهارًا».

- «فُرسان، نعم، كالرَّجل الذي ينتظرك بالخارج، إن كان لا يزال ينتظرك حقًّا. ماذا تقول لو أخبرتك أن السير جايلز ماتَ؟»، وعندما بدأ السِّپتون بارث ينهض أشارَ له أمير البحر بالجلوس قائلًا: «لا، أرجوك، لا داعي للاندفاع. قلتُ *ماذا لو* فحسب. لقد فكَّرتُ في قتله بالفعل. إنهم مهَرة جدًّا كما قلتُ. لكن لو فعلتُ ذلك حقًّا فلربما تصرَّفتَ برعونةٍ ولماتَ المزيد من النَّاس الصالحين. ليس ذلك مبتغاي، والتهديدات تزعجني. قد تكونون قومًا محاربين يا معشر الوستروسيِّين، أمَّا نحن البراڤوسيُّون فتُجَّار. دعنا نُتاجِر».

عاودَ السِّپتون بارث، وسأل: «ماذا تعرض؟».

قال أمير البحر: «تلك البيضات ليست عندي، ولا يُمكنكم إثباتُ

العكس، لكن... إن كانت بحوزتي فهي مجرَّد أحجارٍ حتى تفقس. أمن الممكن أن يستكثِر ملككم عليَّ ثلاثة أحجارٍ جميلة؟ لكن إن كانت لديَّ... ثلاث دجاجاتٍ لتفهَّمتُ مخاوفه. إنني أحترمُ ملككم چهيرس رغم ذلك. إنه تقدُّم عظيم بالنِّسبة إلى عمِّه، و(براڤوس) لا ترغب في رؤيته غير سعيد. إذًا، بدلًا من الأحجار دعوني أعرِضُ عليكم... الذَّهب».

وبهذا بدأت المساومة الحقيقيَّة.

حتى يومنا هذا يصرُّ البعض على أن السِّپتون بارث استُغفِلَ من أمير البحر، وكُذِبَ عليه وخُدِعَ وأهينَ، مستندين إلى رجوعه إلى (كينجز لاندنج) دون بيضة تنِّينٍ واحدة، وهذا صحيح، لكن ما رجعَ به لم يكن زهيد القيمة، فبناءً على طلبِ أمير البحر عفا (المصرف الحديدي) في (براڤوس) في كلِّ ما تبقَّى من أصل دين التَّاج، وهكذا وبضربةٍ واحدة قلِّصت ديون التَّاج إلى النِّصف. أخبرَ بارث الملك: «وكلُّ هذا نظير ثلاثة أحجارٍ فقط».

قال چهيرس: «ليأمل أمير البحر أن تبقى أحجارًا. إذا سمعتُ ولو همسةً عن... الدَّجاج... فسيكون قصره أوَّل مكانٍ يحترِق».

كان للاتِّفاق مع (المصرف الحديدي) تأثيرٌ عظيم على جميع أهل البلاد خلال السَّنوات والعُقود اللَّاحقة، وإن لم يتجلَّ مبلغ ذلك التَّأثير مباشرةً. عكفَ أمين نقد الملك الدَّاهية ريجو دراز على مراجعة ديون التَّاج ودخوله بعنايةٍ بعد رجوع السِّپتون بارث، واستنتجَ أن الأموال التي كان من المفترض إرسالها سابقًا إلى (براڤوس) أصبح ممكنًا الآن استخدامها في تمويل مشروعٍ لطالما أرادَ الملك البدء فيه، وهو المزيد من الإصلاحات في (كينجز لاندنج).

كان چهيرس قد وسَّع شوارع المدينة وسوَّاها، ورصفَها بالحصى حيث كانت في السَّابق وحلًا فقط، لكن الكثير جدًّا تبقَّى. لم تكن (كينجز لاندنج) في حالتها آنذاك تُقارَن بـ(البلدة القديمة) أو (لانسپورت) حتى، ناهيك بالمدن الحُرَّة الرَّائعة شرق (البحر الضيِّق)، غير أن جلالته صمَّم على أن تبدو العاصِمة مثلهن، وبناءً على ذلك وضعَ خططًا لسلسلةٍ من المصارِف والمجاري لحمل فضلات المدينة تحت الشَّوارع إلى النَّهر.

وجَّه السِّپتون بارث انتباه الملك إلى مسألةٍ أهم وأشد إلحاحًا من سابقتها، ألا وهي أن مياه الشُّرب في (كينجز لاندنج) في رأي كثيرين صالحة فقط لسقي الخيول والخنازير. كانت مياه النَّهر موحلةً، وقريبًا ستجعل المجاري التي أمر الملك بإنشائها الوضع أسوأ، ومياه (الخليج الأسود) في أفضل الأحوال قليلة الملوحة، ومالحة في أسوأها. فيما شربَ الملك وحاشيته المزر والبِتع والنَّبيذ، كانت تلك المياه القذرة خيار الفُقراء الوحيد غالبًا، ولمعالجة المشكلة اقترحَ بارث حفر الآبار، بعضها داخل المدينة وبعضها شمالًا بعد الأسوار، وستحمل سلسلة من أنابيب الملاط المصقول والأنفاق الماء النقي إلى المدينة، حيث سيُحفَظ في أربعة صهاريج ضخمة ويُتاح للرَّعيَّة من النوافير العامَّة الواقعة في ميادين ومُلتقيات طُرقٍ معيَّنة.

كان مخطَّط بارث مكلِّفًا لا شكَّ، واعترضَ ريجو دراز والملك چهيرس على التَّكلفة... حتى قدَّمت الملكة أليسين لكلٍّ منهما دورقًا من مياه النَّهر في اجتماع المجلس التَّالي، وتحدَّتهما أن يشربا منه. لم يُشرَب الماء، وإن صُدِّقَ سريعًا على مشروع الأنابيب والآبار. استغرقَت عملية البِناء أكثر من دستةٍ من السِّنين، لكن في النِّهاية وفَّرت «نوافير الملكة» المياه النظيفة لأهل (كينجز لاندنج) لعدَّة أجيال.

مرَّت أعوام عدَّة منذ قامَ الملك بجولة، لذا وُضِعَت الخُطط في عام 58 بعد الفتح لزيارة چهيرس وأليسين الأولى إلى (وينترفل) والشَّمال. سيكون تَبّيناهما معهما بالطَّبع، لكن المسافات بعد (العنق) طويلة والطُّرق رديئة، وقد تعبَ الملك من الطَّيران وانتظار أن يلحق به مُرافقوه، فقرَّر هذه المرَّة أن يسبقه حرسه الملكي وخدمه وأتباعه للتَّجهيز لوصوله، وهكذا أبحرَت ثلاث سُفن من (كينجز لاندنج) نحو (الميناء الأبيض)، حيث ستكون أوَّل وقفةٍ له وللملكة.

لكن الآلهة والمدن الحُرَّة كانت لها خُطط أخرى، ففيما شقَّت سُفن الملك طريقها شمالًا، زارَ مبعوثون من (پنتوس) و(تايروش) جلالته في (القلعة الحمراء). كانت المدينتان في حالة حربٍ منذ ثلاث سنوات، وأصبحَتا الآن راغبتيْن في السَّلام، وإن لم تتمكَّنا من الاتِّفاق على مكان اجتماعٍ لمناقشة الشُّروط. تسبَّب الصِّراع في تعطيلٍ فعلي للتِّجارة في (البحر الضيِّق)، لدرجة أن الملك چهيرس عرضَ على كلتا المدينتيْن المساعدة في إنهاء الأعمال العدائيَّة. بعد نقاشٍ طويل وافقَ أركون (تايروش) وأمير (پنتوس) على الاجتماع في (كينجز لاندنج) لتسوية خلافاتهما، شرطَ أن يَدخُل چهيرس وسيطًا بينهما ويضمن شروط أيِّ معاهدةٍ ناتجة.

كان اقتراحًا لم يشعُر الملك أو مجلسه أنه يستطيع رفضَه، لكن معنى ذلك تأجيل جولته المخطَّط لها إلى الشَّمال، وكان يُوجَد قلق من أن يعدَّ سيِّد (وينترفل) الشَّائك ذلك إهانةً. قدَّمت الملكة أليسين الحلَّ: ستمضي قدُمًا كما هو مخططٌ، وحدها، فيما يستضيف الملك الأمير والأركون، ويُمكن لچهيرس الانضمام إليها في (وينترفل) ما إن يُبرم الصُّلح، وهكذا تمَّ الاتفاق.

بدأت رحلات الملكة أليسين في مدينة (الميناء الأبيض)، حيث خرجَ عشراتُ الآلاف من الشَّماليِّين ليهتفوا لها فاغرين أفواههم لمرأى سيلفروينج برهبةٍ وإجلال مع قدرٍ من الهلع، إذ كانت هذه المرَّة الأولى التي يرى فيها أيٌّ منهم تنِّينًا. فاجأ حجم الحشود سيِّدهم نفسه، وقد نُقِلَ عن ثيومور ماندرلي قولُه: «لم أكُن أعلم بوجود كلِّ تلك الأعداد من النَّاس في المدينة. من أين أتوا جميعًا؟».

آل ماندرلي فريدون من نوعهم بين عوائل الشَّمال العظيمة. كانت أصولهم من (المرعى) قبل قرونٍ خلَت، ووجدوا ملاذًا لهم قُرب مصبِّ نهر (السكِّين الأبيض) بعدما طردَهم خصومهم من أراضيهم الخصبة على ضفافِ (الماندر). رغم كونهم شديدي الولاء لآل ستارك أولاد (وينترفل)، فقد جلبوا آلهتهم الخاصَّة معهم من الجنوب، ولم يزالوا يُقدِّسون (السَّبعة) ويحتفظون بتقاليد الفروسيَّة. لطالما تاقَت أليسين إلى تقوية الأواصر بين (الممالِك السَّبع)، وقد رأت الفرصة مواتيةً في عائلة اللورد ثيومور المشهورة بكثرة أفرادها، فسارعَت بترتيب عدَّة زيجات، وعندما حانَ وقت رحيلها كانت اثنتان من وصيفاتها قد خُطِبَتا لابنَي حضرته الأصغر، وثالثة لابن أخيه، في حين أُلحِقَت ابنته الكُبرى وثلاثٌ من بنات إخوته بحاشية الملكة الخاصَّة، مع الاتِّفاق على ارتحالهن جنوبًا معها حيث سيُعهدنَ للزَّواج بلورداتٍ وفُرسان لائقين من بلاط الملك.

كانت استضافة اللورد ماندرلي الملكة باذخةً حقًّا، ففي مأدبة التَّرحيب قُدِّمَ ثور برِّي مشويّ كامل، وخدمَت چسامين، ابنة حضرة اللورد، ساقيَةً للملكة، وملأَت دورقها بمِزرٍ شمالي قوي جعلَ الملكة تُعلِن أنه أجود من أيِّ نبيذ تذوَّقته على الإطلاق. أقامَ ماندرلي أيضًا دورة مبارياتٍ صغيرة على شرفِ الملكة لإظهار براعة فرسانه. أحد

المتنافسين (ولم يكن فارسًا) تبيَّن أنه امرأة، فتاةٌ همجيَّة أسرَها الجوَّالة شمال (الجِدار) وأُعطِيَت لأحد فُرسان أهل بيت اللورد ماندرلي ليُربِّيها. معجبةً بشجاعة الفتاة، استدعت أليسين تُرسها المحلَّف چونكويل دارك، والتقَت الظِّل القرمزي الهمجيَّة في مبارزةٍ بالحربة ضد السَّيف فيما انفجرَ هتافُ الشَّماليّين تشجيعًا.

بعد أيامٍ قليلة عقدَت الملكة بلاطها النِّسائي في قاعة اللورد ماندرلي، وهو الشَّيء الذي لم يُسمَع به في الشَّمال قَطُّ حتى ذلك الحين، وتجمَّع أكثر من مئتين من النِّساء والفتيات لمشاركة جلالتها أفكارهن وشواغلهن وشكاواهن.

بعد مغادرة (الميناء الأبيض) أبحرَت حاشية الملكة في (السكِّين الأبيض) حتى منحدراته، ثم تابعَت مسيرتها برًّا إلى (وينترفل)، فيما سبقتهم أليسين ممتطيةً سيلڤروينج. على أن استقبالها الحار في (الميناء الأبيض) لم يتكرَّر في معقل ملوك الشَّمال العتيق، حيث خرجَ ألارِك ستارك وأبناؤه فقط لاستقبالها حين حطَّت تنِّينتها أمام بوَّابات القلعة. كان اللورد ألارِك ذا سُمعةٍ قاسية، تداولَ النَّاس أنه رجل شديد، صارم لا يرحم، يده مغلولةٌ إلى حدِّ البُخل، بارد كئيب يعوزه حسُّ الدُّعابة. حتى حامل رايته ثيومور ماندرلي لم يُخالِفهم الرَّأي حين أخبرَ جلالتها أن ستارك يحظى بالاحترام في الشَّمال لكنه ليس محبوبًا. أمَّا مهرِّج اللورد ماندرلي فقد صاغَ التَّعبير صياغةً أخرى: «يبدو لي أن اللورد ألارِك لم يُفرِغ أحشاءه منذ كان في الثَّانية عشرة».

لم يُفلِح استقبالها بـ(وينترفل) في تبديدِ مخاوف الملكة مما قد تتوقَّعه من عائلة ستارك. حتى قبل ترجُّله ليركع، نظرَ اللورد ألارِك إلى ملابسِ جلالتها قائلًا: «أرجو أن تكوني قد أحضرتِ شيئًا أثقل من هذا»، ثمَّ

شرعَ يُعلِن أنه لا يُريد تنِّينتها داخل أسواره. «لم أزُر (هارنهال) من قبل، لكنني أعلمُ ما حدثَ هناك». قال إنه سيستقبِل فرسانها وليديهاتها، «والملك أيضًا إذا وجد طريقه إلى هنا»، ولكن لا يَجدُر بهم أن يُطيلوا المكوث. «هذا هو الشَّمال، والشِّتاء قادِم. لا يمكننا إطعام ألفٍ من الأفواه وقتًا طويلًا». وعندما أكَّدت له الملكة أن عُشر هذا العدد فقط سيحضر، نخرَ اللورد ألارِك وقال: «لا بأس، لكن أُفضِّلُ أن يكونَ العدد أقَل». كما خشوا، كان امتعاضُه جليًّا لأن الملك چهيرس لم يتفضَّل بمرافقتها، وأضافَ مقرًّا بحيرته بشأن كيفيَّة التَّرفيه عن الملكة: «إذا كنتِ تتوقَّعين حفلاتٍ وتمثيليَّاتٍ ورقصًا فقد جئتِ إلى المكان الخطأ».

كان اللورد ألارِك قد فقدَ زوجته قبل ثلاث سنين، وعندما أعرَبت الملكة عن أسفها لأنها لم تتشرَّف بمقابلة الليدي ستارك، أخبرَها الرَّجل الشَّمالي: «كانت من آل مورمونت أولاد (جزيرة الدِّببة)، ومقارنةً بكِ لم تكن ليدي على الإطلاق، لكنها حملَت فأسها ضد قطيعٍ من الذِّئاب في سنِّ الثَّانية عشرة، فقتلَت اثنين منها وحاكَت لنفسها معطفًا من فروتيهما، ومنحَتني ابنيْن قويَّيْن أيضًا، وبنتًا تسرُّ الناظرين ولا تقلُّ جمالًا عن أيٍّ من ليديهاتكِ الجنوبيَّات».

عندما لمحت جلالتها إلى أنها ستسعد بترتيب زيجةٍ لابنيْه ببنتيْن من عائلاتٍ جنوبيَّة عريقة، كان رفضُه فظًّا، وأخبرَ الملكة: «إننا متمسِّكون بالآلهة القديمة هنا. عندما يختارُ ابناي زوجتيْهما سيُعقَد قرانهما أمام شجرة قلوب، لا في سِپتٍ جنوبيٍّ ما».

لكن أليسين تارجاريَن لم تستسلم بسهولة، فأخبرَت اللورد ألارِك أن لوردات الجنوب يُقدِّسون الآلهة القديمة كما يقدِّسون الجديدة، وأن أغلب القلاع التي تعرفها تحوي أيكة آلهةٍ إضافةً إلى السِّپت، كما أن

عائلاتٍ معيَّنةً، مثلها مثل الشَّماليِّين، لم تتقبَّل (السَّبعة) قَطُّ، أبرزها آل بلاكوود في (أراضي النَّهر)، وقد يصِل عددُها إلى دستةٍ أو أكثر. حتى لورد صارم متصلِّب مثل ألارِك ستارك وجدَ نفسه عاجزًا أمام سحر الملكة أليسين العنيد، وأعلنَ أنه سيفكِّر في ما قالته ويُفاتِح ابنيْه في ما عرضَته.

كلَّما طالَ بقاء الملكة زادَ ترحيب اللورد ألارِك بها، وبمرور الوقت أدركَت أليسين عدم صحَّة الكثير مما يُقال عنه. كان حريصًا على أمواله، ولكن ليس بخيلًا، ولم يَنقُصه حسُّ الدُّعابة على الإطلاق، لكن في دُعاباته نوعًا من القسوة وحدَّةً كالسكِّين، وقد بدا أن أبناءه وابنته وأهل (وينترفل) يحبُّونه بما فيه الكفاية. بمجرَّد أن زالَت البرودة الأوَّليَّة بينهما، أخذَ حضرته الملكة لاصطياد الأيائِل والخنازير البريَّة في (غابة الذِّئاب)، كما أراها عظام عِملاق، وسمحَ لها بالبحث كما تشاء في مكتبة قلعته المتواضعة، بل وتفضَّل بالاقتراب من سيلڤروينج، ولكن بحذر. نساء (وينترفل) أيضًا فُتِنَّ بالملكة بمجرد أن تعرَّفن إليها، وأصبحَت الليدي آلارا ابنة اللورد ألارِك أقربهن إلى جلالتها. بعد معاناةٍ في الثُّلوج الصَّيفية والمستنقعات وصلَت حاشية الملكة أخيرًا إلى بوَّابات القلعة، وعلى الرَّغم من غياب الملك قُدِّمَ الطَّعام والشَّراب بوفرةٍ للجميع.

في تلك الأثناء لم تكن الأمور في (كينجز لاندنج) على ما يُرام، إذ استمرَّت محادثات السَّلام وقتًا أطول بكثير من المتوقَّع، فالعداوة بين المدينتيْن الحُرَّتيْن كانت أعمق مما أدركَ چهيرس سابقًا. كلَّما سعى جلالته لتحقيق التَّوازن اتَّهمه كلا الطَّرفين بالتَّحيُّز للآخَر، وفيما تساومَ الأمير والأركون بدأت المشاحنات تنشب بين رجالهما عبر المدينة، في الحانات والمواخير والخمَّارات، فهُوجِمَ حارس پنتوشي وقُتِلَ، وبعد ثلاث

ليالٍ أُشعِلَت النَّار في قادس الأركون في مرساه، وهكذا تأجَّل رحيل الملك وتأجَّل من جديد.

في الشَّمال ملَّت الملكة أليسين الانتظار، فقرَّرت أن تُغادر (وينترفل) بعض الوقت وتزور رجال حرس اللَّيل في (القلعة السَّوداء). لم تكن المسافة قصيرةً، حتى طيرانًا، فحطَّت جلالتها في (المستوقَد الأخير) وعدَّة حصونٍ ومعاقل أصغر في طريقها، وهو ما فاجأ سادتها وأبهجَهم، فيما تبعَها جزء من حاشيتها (وظلَّت البقيَّة في (وينترفل)).

حُبِسَت أنفاس أليسين عندما وقعَ نظرها على (الجِدار) من أعلى أوَّل مرَّة، كما أخبرَت جلالتها الملك فيما بعد. كان يُوجَد قدر من القلق من كيفيَّة استقبال الملكة في (القلعة السَّوداء)، فكثيرون من الإخوة السُّود كانوا من الصَّعاليك وأبناء المحارب قبل حلِّ هاتين الجماعتين، لكن اللورد ستارك كان قد أرسلَ الغِدفان مسبقًا ليُنبِّههم إلى قدومها، وجهَّز لوثور بورلي حضرة قائد حرس اللَّيل ثمانمئة من خيرة رجاله لاستقبالها. في تلك اللَّيلة أولمَ الإخوة السُّود للملكة على لحم الماموث، مع نبيذ العسل والجعَّة لتسهيل ابتلاعه.

مع بزوغ فجر اليوم التَّالي أخذَ اللورد بورلي جلالتها إلى قمَّة (الجِدار)، وقال لها مشيرًا إلى امتداد (الغابة المسكونة) الأخضر الشَّاسع: «هنا ينتهي العالم». اعتذرَ بورلي عن رداءة الطَّعام والشَّراب المقدَّميْن للملكة، وعن بساطة الإقامة في (القلعة السوداء)، وقد وضَّح حضرة القائد: «إننا نبذل قصارى جهدنا يا صاحبة الجلالة، لكن أسِرَّتنا صُلبة وقاعاتنا باردة وطعامنا...».

أتمَّت الملكة عبارته: «...يُشبِع»، وأضافَت: «وهذا هو كل ما أطلبُه. يُرضيني أن آكل كما تأكلون».

ذُهِلَ رجال حرس اللَّيل أيضًا بتنِّينة الملكة مثل سكَّان (الميناء الأبيض) من قبلهم، ولو أن الملكة لاحظَت أن سيلفَروينج «لا تحبُّ هذا (الجِدار)». رغم أن الوقت كان صيفًا و(الجِدار) يذوب، ظلَّت برودة الجليد محسوسةً كلَّما هبَّت الرِّيح، جاعلةً التنِّينة تُهَسهِس وتنهش الهواء مع كلِّ هبَّة. كتبَت أليسين لچهيرس: «ثلاث مرَّاتٍ طرتُ بسيلفَروينج عاليًا فوق (القلعة السَّوداء)، وثلاث مرَّاتٍ حاولتُ أخذها شمالًا وراء (الجِدار)، لكنها في كلِّ مرَّةٍ دارَت راجعةً إلى الجنوب ورافضةً الذَّهاب. لم يَحدُث قطُّ أن رفضَت أخذي إلى حيث أبغي. ضحكتُ ممَّا حدثَ عندما حططتُ لكيلا يُدرِك الإخوة السُّود أن هناك خطبًا، لكن الأمر أزعجَني حينها، وما زالَ يُزعِجني إلى الآن».

في (القلعة السَّوداء) رأت الملكة الهمج لأوَّل مرَّة، مجموعةً قُبِضَ عليها قبل مدَّةٍ قصيرة في أثناء محاولتها تسلُّق (الجِدار)، ووُضِعَت دستة الناجين من القتال في أقفاصٍ ليُعرَضوا عليها. عندما استفسرَت جلالتها عمَّا سيُفعَل بهم، قيل لها إن آذانهم ستُقطَع قبل أن يُطلَق سراحهم شمال (الجِدار). «جميعهم باستثناء هؤلاء الثَّلاثة»، كما قال حارسها المرافق مشيرًا إلى ثلاثة من السُّجناء فقدوا آذانهم بالفعل. «ستُقطَع رؤوس هؤلاء الثَّلاثة، فقد قُبِض عليهم من قبل». قال الحارس للملكة إنه إذا كان الهمَج الآخَرون حُكماء فسيتعلَّمون درسًا من فقدان آذانهم ويبقون على جانبهم من (الجِدار)، وأضاف: «لكن أغلبهم لا يفعل».

ثلاثة من الإخوة كانوا مُغنِّين قبل أن يتَّشِحوا بالأسود، وقد تناوَبوا على العزف للملكة ليلًا وسلَّوها بالحكايات الشَّعبية وأغاني الحرب وألحان الثُّكنات البذيئة. أخذَ حضرة القائد بورلي الملكة بنفسه إلى (الغابة المسكونة) -مصحوبيْن بمئةٍ من الجوَّالة- وعندما أعربَت أليسين

عن رغبتها في رؤية بعض القلاع الأخرى على (الجِدار)، قادها الجوَّال الأوَّل بِنتون جلوڤر غربًا فوق قمَّة (الجدار) متجاوزًا (بوَّابة الثَّلج) إلى (قلعة اللَّيل)، حيث نزلا لقضاء اللَّيلة. أشادَت الملكة بالرِّحلة ووصفَتها بالمذهلة، وعلَّقت: «مبهجةٌ بقدر ما هي بارِدة، رغم أن الرِّيح بالأعلى تهبُّ بقوَّةٍ لدرجة جعلتني أخشى أنها على وشك كسحِنا من فوق (الجِدار)». غير أنها وجدَت (قلعة اللَّيل) نفسها جهيمةً مشؤومةً، وقالت تصفها لجهيرس: «ضخمة لدرجة تُقزِّم الرِّجال أمامَها كالفئران في قاعةٍ مُدمَّرة، وفيها ظُلمة... مذاق في الهواء... كنتُ سعيدةً جدًّا بمغادرة ذلك المكان».

يجبُ التَّنويه بأن أيام الملكة ولياليها في (القلعة السَّوداء) لم تُقضَ كلُّها في الترفيه فقط، لأنها ذهبَت إلى هناك ممثِّلةً العرش الحديدي، كما ذكَّرت اللورد بورلي، وقد قضَت أمسياتٍ عدَّةً معه ومع ضُبَّاطه في مناقشة الهَمج و(الجِدار) واحتياجات الحرس.

كثيرا ما ردَّدت أليسين: «قبل كلِّ شيء، يجب أن تعرف الملكة كيف تُنصِت»، وفي (القلعة السوداء) أثبتَت تلك الكلمات، فأنصتَت واستمعَت وظفرَت بإخلاص رجال حرس اللَّيل الأبدي من خلال أفعالها. تفهَّمت الملكة الحاجة إلى قلعةٍ بين (بوَّابة الثَّلج) و(باب الجليد)، كما أخبرَت اللورد بورلي، لكن (قلعة اللَّيل) كانت ضخمةً وتتداعى، كما أنها تفتقِر إلى الدِّفء، وعلى الحرس هجرها وبناء قلعةٍ أصغر وأبعد قليلًا إلى الشَّرق. لم يُعارض اللورد بورلي رأيها... وإن قال إن حرس اللَّيل لا يملِكون المال لتغطية تكاليف بناء قلاع جديدة. على أن أليسين كانت تتوقَّع هذا الاعتِراض، وأخبرَت حضرة القائد بأنها ستدفَع ثمن بناء القلعة بنفسها، وتعهَّدت بجواهرها لتغطية التَّكاليف

قائلةً: «إن لديَّ الكثير جدًّا من الجواهر».

سيستغرق بناء القلعة الجديدة ثمانيَ سنوات، وستحمِل اسم (البُحيرة العميقة)، وحتى يومنا هذا يقف خارج قاعتها الرَّئيسيَّة تمثال أليسين تارجاريَن. كما رغبَت الملكة، هُجِرَت (قلعة اللَّيل) من قبل اكتمال بناء (البُحيرة العميقة)، كما أعادَ حضرة القائد بورلي تسمية (بوَّابة الثَّلج) بـ(بوَّابة الملكة) تكريمًا لها.

رغبَت الملكة أليسين أيضًا في الاستماع إلى نسوة الشَّمال، وعندما أوضحَ لها اللورد بورلي أن لا وجود لنسوةٍ على (الجِدار)، أصرَّت أليسين على رأيها... وفي النِّهاية، بترددٍ كبير، أمرَ باصطحابها إلى قريةٍ جنوب (الجِدار) أطلقَ عليها الإخوة السُّود اسم (بلدة المناجذ). قال لها حضرته إنها ستجد نساءً هناك، لكن معظمهن سيكُن بغايا، وأوضحَ أن رجال حرس اللَّيل لا يتزوَّجون، لكنهم يظلُّون رجالًا على كلِّ حال، وبعضهم يَشعُر باحتياجاتٍ معيَّنة. ردَّت الملكة أليسين بأنها لا تُبالي، وهكذا عقدَت بلاطها النِّسائي بين العاهرات والمومسات في (بلدة المناجذ)... وهناك سمعَت حكاياتٍ معيَّنةً ستُغيِّر (الممالِك السَّبع) إلى الأبد.

بالعودة إلى (كينجز لاندنج)، أخيرًا وقَّع أركون (تايروش) وأمير (پنتوس) وچهيرس تارجاريَن الأوَّل ملك (وستروس) «مُعاهدة سلامٍ أبدي». مجرَّد التَّوصُّل إلى اتِّفاقٍ عُدَّ نوعًا من المعجزات، إلى حدٍّ كبير بسبب تلميح الملك المستتِر إلى احتمال دخول (وستروس) نفسها الحرب إن لم يتوصَّلوا إلى اتِّفاق. (لكن سيتَّضح أن العواقب كانت أقل نجاحًا من المفاوضات، فعند عودته إلى (تايروش) سُمِعَ الأركون يقول إن (كينجز لاندنج) ما هي إلَّا «قرحة كريهة الرَّائحة» لا تَصلُح أن تُسمَّى مدينةً، في حين استاءَ ماچسترات (پنتوس) من الشُّروط لدرجة التَّضحية

بأميرهم لآلهتهم الغريبة، كما هي العادة في تلك المدينة). أخيرًا أصبح الملك چهيرس حُرًّا للتَّحليق شمالًا على متن ڤرميثور، واجتمعَ بالملكة في (وينترفل) بعد نصف عامٍ من الافتراق.

بدأ وجود الملك في (وينترفل) بنوعٍ من الجهامة، فبمجرَّد وصوله قادَ ألارِك ستارك جلالته إلى السَّراديب تحت القلعة ليُريه قبر أخيه. «والتون راقدٌ هنا في هذا الظَّلام بسببِك إلى حدٍّ كبير. النُّجوم والسُّيوف، بقايا آلهتكم السَّبعة، ماذا يعنون لنا؟ ومع ذلك أرسلتَ منهم المئات والآلاف إلى (الجِدار)، أعدادًا غفيرةً لدرجة جعلَت حرس اللَّيل يضيقون ذرعًا بإطعامهم... وعندما تمرَّد أسوأهم، ناكِثو العهد الذين أرسلتَهم إلينا، كلَّف ردعُهم أخي حياتَه».

أيَّده الملك قائلًا: «ويا له من ثمنٍ باهظ. لكن تلك لم تكن نيَّتنا قَطُّ. لك اعتذاري يا سيِّدي، وامتناني أيضًا».

ردَّ اللورد ألارِك بحُزن: «أفضِّلُ لو كان أخي هنا».

لن يُصبِح اللورد ستارك والملك چهيرس صديقيْن صدوقيْن أبدًا، فشبح والتون ستارك سيُخيِّم بينهما إلى الأبد، وفقط بفضل الجهود التي بذلتها الملكة أليسين توافقَ الرَّجلان. زارَت الملكة (هديَّة براندون)، الأراضي الواقعة جنوب (الجِدار) التي منحَها براندون البناء لحرس اللَّيل لدعمهم ومؤازرتهم، وأخبرَت الملك: «لا تكفي. التُّربة صخريَّة قاحلة، والتِّلال غير مأهولة، والحرس يعوزهم المال، وعندما يحلُّ الشِّتاء سيفتقِرون إلى الطَّعام أيضًا». الحلُّ الذي اقترحَته كان هديّةً جديدةً توسِّع نطاق (هديَّة براندون) جنوبًا.

لكن الاقتراح لم يَسُرَّ اللورد ألارِك. رغم كونه صديقًا وفيًّا لحرس اللَّيل، إذ علمَ أن لوردات الأراضي المعنيَّة الحالِيِّين سيحتجُّون على التخلِّي

عنها قسرًا، فقالت الملكة: «ليس لديَّ شكٌّ في استطاعتك إقناعهم أيها اللورد ألارِك». وأخيرًا، مفتونًا بها كالمعتاد، وافقها ألارِك ستارك، وقال نعم، يستطيع. وهكذا، وبضربةٍ واحدة، تضاعفَت مساحة أراضي (الهديَّة).

لا داعي لذِكر تفاصيل أكثر عن الوقت الذي أمضَته الملكة أليسين والملك چهيرس في الشَّمال. بعد بقائهما في (وينترفل) أسبوعيْن آخرَيْن شقًّا طريقهما إلى قلعة (مربَّع تورين)، ومنها إلى (بلدة الرَّوابي)، حيث أراهما اللورد داستن رابيةَ الملك الأوَّل ونظَّم نوعًا من دورات المباريات على شرفهما، وإن لم تُقارَن هذه بمباريات الجنوب. من هناك حملَ ڤرميثور وسيلڤروينج چهيرس وأليسين إلى (كينجز لاندنج) مرَّةً أخرى، فيما قطعَ رجال ونساء حاشيتهما رحلةً أشدَّ مشقَّةً إلى الدِّيار، إذ سافروا برًّا من (بلدة الرَّوابي) عائدين إلى (الميناء الأبيض) للإبحارِ من هناك.

من قبل وصول الحاشية إلى (الميناء الأبيض)، كان الملك چهيرس قد استدعى مجلسه في (القلعة الحمراء) لمناقشة التماسٍ من ملكته، وعندما حضرَ السِّپتون بارث والمِايستر الأكبر بنيفر والآخَرون، أخبرَتهم أليسين عن زيارتها (الجِدار)، وعن اليوم الذي قضَته مع العاهرات والسَّاقطات في (بلدة المناجِذ).

قالت لهم الملكة: «كانت هناك فتاة، ليست أكبر مني إذ أجلسُ الآن بينكم، فتاة جميلة، ولكن ليست بالجمال الذي كانت عليه في ظنِّي. كان والدها حدَّادًا، ولما بلغَت الرابعة عشرة زوَّجها صبيَّه. كانت مُغرمةً بالفتى والفتى مُغرمًا بها، فتزوَّجا حسب الأصول... لكن بمجرد أن ردَّدا نذورهما جاءَ لورد المنطقة مع جنوده إلى الزِّفاف مُطالبًا بحقِّه في اللَّيلة الأولى، وحملَها إلى بُرجه واستمتعَ بها، وفي صباح اليوم التَّالي أعادَها

رجاله إلى زوجها. لكن بكارتها فُضَّت، ومعها راحَ كلُّ الحب الذي حملَه لها الفتى. لم يستطِع رفعَ يده على اللورد خوفًا على حياته، فرفعَها على زوجته، وعندما ظهرَ للعيان أنها تحمل طفلَ اللورد ضربَها حتى أجهضَ الجنين. من ذلك اليوم فصاعدًا لم يدعُها إلَّا بـ«العاهرة»، إلى أن قرَّرت الفتاة أخيرًا أنها ما دامَت تُلقَّب بالعاهرة فستعيش كواحدة، وشقَّت طريقها إلى (بلدة المناجذ) حيث تعيش إلى الآن طفلةً مسكينةً منكوبةً... لكن طوال الوقت في قُرى أخرى تُزوَّج الفتيات ويُطالِب اللوردات الآخَرون بليلتهم الأولى. قصَّتها هي الأسوأ، لكنها ليست الوحيدة. في (الميناء الأبيض) وفي (بلدة المناجذ) وفي (بلدة الرَّوابي) تحدَّثت نساءٌ أخريات عن لياليهن الأولى أيضًا. لم أكن أعرف أيُّها السَّادة. أوه، كنتُ على درايةٍ بالتَّقاليد، ففي (دراجونستون) نفسها قصصٌ عن رجال من سُلالتنا، من آل تارجاريَن، استباحوا زوجات الصيَّادين والخدم وأنجبوا منهن أطفالًا...».

- «يدعونهم ببذور التنِّين». قالها چهيرس بنفورٍ واضح. «ليس شيئًا نفتخر به، لكنه حدثَ، وربما أكثر مما نودُّ أن نقرَّ. لكن أولئك الأطفال يبقون موضعَ اعتزاز. أوريس باراثيون نفسه كان بذرة تنِّين، أخًا نغلًا لجدِّنا. لا أدَّعي أني أعرفُ إن كان نتاج ليلةٍ أولى، لكن اللورد إريون كان والده، والجميع علموا ذلك. لقد مُنِحَت عطايا...»

قالت الملكة بصوتٍ احتدَّ من فرط الاستهجان: «عطايا؟ لستُ أرى شرفًا في أيٍّ من هذا. كنتُ أعرفُ أن مثل تلك الأشياء حدثَ قبل مئات السنين، أعترفُ بهذا، لكنني لم أتصوَّر قَطُّ أن هذه العادة صمدَت بتلك القوَّة حتى يومنا هذا، ولربما لم أُرِد أن أعرف. لقد أغمضتُ عينيَّ، لكن تلك الفتاة المسكينة في (بلدة المناجِذ) فتحَتهما. حقُّ اللَّيلة الأولى! مولاي، أيُّها السَّادة، لقد حانَ الوقت لوضع حدٍّ لهذا، أتوسَّلُ إليكم».

يُخبِرنا المِايستر الأكبر بنيفر أن الصَّمت عمَّ المكان بعد أن أنهَت الملكة كلامها، وتململَ أعضاء المجلس الصَّغير حيث يجلسون وتبادَلوا النَّظرات، إلى أن تكلَّم الملك نفسه مبديًا التَّعاطُف ولكن متردِّدًا في الآن نفسه. قال چهيرس إن ما اقترحَته الملكة سيكون صعبًا، فاللوردات يُسبِّبون المتاعب عندما يشرع الملوك في سلبهم الأشياء التي يعتبرونها ملكهم. «أراضيهم، ذهبهم، حقوقهم...».

- «...زوجاتهم؟». هكذا أنهَت أليسين عبارته. «إنني أذكرُ زفافنا يا مولاي. لو كنتَ حدَّادًا وأنا غسَّالةً وأتى أحد اللوردات ليُطالِب بأخذي وفضِّ بِكارتي في اليوم نفسه الذي ردَّدنا فيه نذورنا، فماذا كنتَ لتفعل؟».

قالَ لها چهيرس: «كنتُ لأقتُله، لكنِّي لستُ بحدَّاد».

ردَّت الملكة بإصرار: «قلتُ لو. الحدَّاد لا يزال رجُلًا، أليس كذلك؟ ومَن إلَّا الجبان يقف بخنوعٍ فيما يقضي رجلٌ آخَر وطره من زوجته؟ لا نُريد أن يَقتُل الحدَّادون لورداتهم بالتَّأكيد»، ثم التفتَت إلى المِايستر الأكبر بنيفر، وقالت: «أعرفُ كيف ماتَ جارجون كوهريس، جارجون الضَّيف. وإني لأتساءلُ، كم عدد الحالات المشابهة؟».

أجاب بنيفر: «أكثر مما أودُّ البوح به. قليلًا ما تُذكَر تلك الحالات خشية أن يفعل رجال آخَرون الشَّيء نفسه، ولكن...».

أكملَت الملكة: «اللَّيلة الأولى إهانةٌ لسلام الملك. ليست إهانةً للفتاة فقط، بل ولزوجها أيضًا... ولزوجة اللورد نفسه، لا تنسوا. وما الذي تفعله تِلكم السيِّدات النَّبيلات حينما يَخرُج أزواجهن اللوردات لفضِّ بِكارة العذارى؟ هل ينشغلن بالحياكة؟ بالغناء؟ بالصَّلاة؟ لو أني في مكانهن فلربما صلَّيتُ لكي يَسقُط السيِّد زوجي من فوق حصانه وتنكسر رقبته وهو عائدٌ إلى المنزل».

ابتسَم الملك چهيرس لقولها، وإن بدا تزايُد انزعاجه واضحًا، ثم قال مجادِلًا ولكن دون حماسة: «حقُّ اللَّيلة الأولى تقليدٌ عتيق، جزء لا يتجزَّأ من اللورديَّة كحقِّ الحُفرة والمِشنقة. قيل لي إنه نادرًا ما يُطبَّق جنوبَ (العنق)، لكن استمرار وجوده امتيازٌ سيادي سيكره بعض رعاياي المشاكسين التَّخلِّي عنه. لستِ مخطئةً يا حبيبتي، لكن في بعض الأحيان من الأفضل ترك التنِّين النائم وشأنه».

ردَّت الملكة محتدَّةً: «نحنُ التَّنانين النائمة. هؤلاء اللوردات المولعون بلياليهم الأولى كلاب. لماذا يجب أن يُشبِعوا شهواتهم في عذارى تعهَّدن للتَّوِّ بحُبهن لرجالٍ آخَرين؟ أليس لديهم زوجاتهم؟ ألا توجدُ عاهرات في نطاق سيادتهم؟ هل صاروا عاجزين عن استخدام أيديهم؟».

تحدَّث كبير القُضاة اللورد آلبن ماسي قائلًا: «في حقِّ الليلة الأولى ما هو أكثر من الشَّهوة يا جلالة الملكة. إنها عادة عتيقة، أقدمُ من الأندالِيّين، أقدمُ من العقيدة. لا شكَّ لديَّ في رجوعها إلى عصرِ الفجر. البشر الأوائل كانوا عرقًا ضاريًا، وكحال الهَمج وراء (الجِدار) لم ينقادوا إلَّا للأقوى. كان سادتهم وملوكهم مُحاربين، رجالًا أشدَّاء وأبطالًا، وأرادوا أن يُصبِح أبناؤهم مثلهم. إذا اختارَ أحد سادة الحرب أن يهب بذرته لفتاةٍ ما في ليلة زفافها فقد كانوا يرون هذا... نوعًا من البرَكة، وإذا نتجَ عن جماعهما طفل فهذا أفضل بكثير، إذ يُمكن للزوج عندئذٍ أن يحمل شرف تربية ابن بطلٍ كأنه ابنه».

جاوبَت الملكة: «ربما كان الأمر كذلك قبل عشرة آلاف سنة، لكن اللوردات الذين يُطالِبون بليلتهم الأولى الآن ليسوا بأبطال. إنكم لم تسمعوا كيف تحدَّثت عنهم النسوة. أنا سمعتُ. رجال مسنُّون، رجال سِمان، رجال قُساة، صِبيةٌ مجدورون، مغتصبون، مُرِيّلون، رجال تُغطِّيهم الجُلَب أو النُّدوب أو الدَّمامل، سادةٌ لم يغتسِلوا منذ نصف عام، رجال

بشعرٍ ملوَّث بالشَّحم يغزوه القمل. أولئك هُم رجالك الأشدَّاء. لقد سمعتُ الفتيات. ولا واحدة منهن شعرَت بالبرَكة».

قالَ المِايستر الأكبر بنيفر: «الأنداليُّون لم يُمارِسوا اللَّيلة الأولى في (أندالوس)، وعندما جاؤوا إلى (وستروس) واكتسَحوا ممالك البشر الأوائل وجدوا التَّقليد موجودًا بالفعل واختاروا الإبقاء عليه، تمامًا كما فعلوا مع أيكات الآلهة».

حينها التفتَ السِّپتون بارث إلى الملك، وقال: «مولاي، إذا سمحت لي بالكلام صراحةً، أعتقدُ أن جلالتها على حقٍّ. ربما وجدَ البشر الأوائل غرضًا ما في ذلك الطَّقس، لكن البشر الأوائل كانوا يُحاربون بالسُّيوف البرونز ويسقون أشجارهم الويروود بالدِّماء. نحن لسنا هؤلاء القوم، وقد حانَ الوقت لوضعِ حدٍّ لهذا الشَّر. إنه مخالفٌ لكلِّ مبادئ الشَّهامة. فُرساننا يُقسِمون على حماية براءة العذارى... إلَّا عندما يرغب اللورد الذي يخدِمونه في سلبِ واحدةٍ براءتها على ما يبدو. إننا نُردِّد نذور زواجِنا أمام (الأب) و(الأُم)، ونتعهَّد بالإخلاص حتى يأتي (الغَريب) ليُفرِّقنا، وليس في (النَّجمة السُّباعيَّة) ما يُسقِط تلك الوعود عن اللوردات. لستَ مخطئًا يا جلالة الملك، فبعض اللوردات سيتذمَّر بالتأكيد من هذا، خاصَّةً في الشَّمال، لكن الفتيات جميعًا سيشكُرننا، والأزواج والآباء والأُمَّهات جميعًا أيضًا، كما قالت الملكة. أعلمُ أن هذا سيُرضي المؤمنين، وسيُشيد به صاحب القداسة الأعلى لا شكَّ».

وحين أنهى بارث حديثَه رفعَ جهيرس تارجاريَن يديه باستسلامٍ قائلًا: «أعلمُ متى أُغلَب. ليكُن إذًا. فليُنفَّذ الأمر».

وهكذا حدَث أن أُقِرَّ ثاني ما أسماه العامَّة قوانين الملكة أليسين، الذي نصَّ على إبطال حقِّ اللوردات العتيق في اللَّيلة الأولى، وأصبحَ لِزامًا من الآن فصاعدًا أن تخصَّ عُذريَّة العروس زوجها فقط، سواء أتزوَّجا أمام

سِپتون أم شجرة قلوب، وأيُّ رجلٍ، لوردًا كان أو قرويًّا، يأخذها عنوةً في ليلة زفافها أو غيرها من اللَّيالي سيُعَدُّ مذنبًا بجريمة الاغتصاب.

مع اقتراب عام 58 بعد فتح إجون من نهايته احتفلَ الملك چهيرس بالذِّكرى العاشرة لتتويجه في (السِّپت النَّجمي) بـ(البلدة القديمة). كان الصَّبيُّ الغِرُّ الذي توَّجه السِّپتون الأعلى يومها قد رحلَ وحلَّ محلَّه رجلٌ في الرَّابعة والعشرين، رجلٌ كلُّ شبرٍ منه ملِك. أصبحَ الشَّارب واللِّحية الخفيفان، اللذان ربَّاهما جلالته في باكورة عهده، لحيةً ذهبيَّةً غرَّاء موخوطةً بالفِضَّة، وعقدَ شعره غير المقصوص في جديلةٍ سميكة كادَ طولها يصلُ إلى خِصره. طويلًا ووسيمًا، تحرَّك چهيرس برشاقةٍ وعفويَّة، سواء أفي حلبة الرَّقص أم في ساحة التَّدريب، وقيلَ إن ابتسامته كفيلةٌ بإذابة قلب أيِّ عذراء في (الممالِك السَّبع)، وتجهُّمه كفيل بتجميد دماء الرِّجال في عروقهم. في أخته وجدَ چهيرس ملكةً محبوبةً أكثر منه، «الملكة الكريمة أليسين» كما سمَّاها العامَّة من (البلدة القديمة) حتى (الجِدار)، وقد أنعمَت عليهما الآلهة بثلاثة أولادٍ أصحَّاء، أميريْن صغيريْن بهيَّيْن وأميرةٍ كانت قُرَّة عين المملكة.

على مرِّ العقد الذي حكَماه عرفَ الاثنان الحُزن والرُّعب والخيانة والنِّزاع وفقدَ الأحبَّة، لكنهما تجاوَزا تلك الزوابع ونجيا من المآسي وخرَجا من كلِّ ما عانَياه أفضل وأقوى. كانت إنجازاتهما أكيدةً، و(الممالِك السَّبع) في أمنٍ وسلام، وأكثر رخاءً مما شهدَته الذَّاكرة الحيَّة.

كان وقتًا للاحتفال، وقد احتفلوا فعلًا بإقامة دورة مبارياتٍ بـ(كينجز لاندنج) في الذِّكرى السَّنويَّة لتتويج الملك. تشارَكت الأميرة دنيرس والأميران بِايلون وإيمون المقصورة الملكيَّة مع أمِّهم وأبيهم، وغمرَتهم هتافات الجماهير بالسعادة. أبرز ما شهدَته المنافسة في المضمار كان البراعة التي أبداها السير ريام ردواين، أصغر أبناء اللورد مانفرد ردواين

سيِّد (الكرمة) وأميرال چهيرس وقيِّم سُفنه. في مُثاقفاتٍ متتالية تمكَّن السير ريام من إسقاط رونال باراثيون من فوق حصانه، بالإضافة إلى آرثور أوكهارت وسيمون دونداريون وهاريس هوج (هاري فخذة الخنزير، كما لقَّبه العامَّة)، ولورنس روكستون ولوكامور سترونج فارسَي الحرس الملكي. وحين خبَّ الشَّاب الهُمام بجواده نحو المقصورة الملكيَّة ليتوّج الملكة الكريمة أليسين ملِكةً للحُبِّ والجَمال، صدحَت الجماهير مؤيِّدةً.

تبدَّلت ألوان الأوراق على الأشجار مستحيلةً إلى الخمري والبرتقالي والذَّهبي، وارتدَت سيِّدات البلاط فساتين تُلائم ألوانها. في المأدبة التي تبعَت الدَّورة حضر اللورد روجار باراثيون برفقة ذُريَّته، بورمند وچوسلين، ليستقبلهم الملك والملكة بحفاوة. وحضرَ لوردات من جميع أنحاء البلاد للمشاركة في الاحتفال: لايمان لانستر من (كاسترلي روك)، وديمون ڤيلاريون من (دريفتمارك)، وپرنتس تَلي من (ريڤررَن)، ورودريك آرن من (الوادي)، وحتى اللوردان روان وأوكهارت اللذان حاربَ جُندهما قبلًا إلى جوار السِّپتون مون. من الشَّمال جاءَ ثيومور ماندرلي، لكن ألارك ستارك لم يجئ، وإن جاءَ ابناه ومعهما ابنته آلارا المتورِّدة خجلًا لتتسلَّم واجباتها الجديدة وصيفةً للملكة. كان السِّپتون الأعلى مريضًا فلم يأتِ، وإن أرسلَ أحدث سِپتةٍ عنده، رايلا التي كانت من آل تارجاريَن، ولم تزل خجولًا لكن البسمة على وجهها. قيلَ إن الملكة بكتَ فرحًا لرؤيتها، لأن وجهَها وهيئتها كانا صورةً طبق الأصل من أختها إيريا لو كبرَت.

كان وقتًا للأحضان الدَّافئة والابتسامات ورفع الأنخاب والصُّلح، لتجديد الصَّداقات القديمة وتكوين أخرى جديدة، للضَّحك والقُبلات. كان وقتًا طيِّبًا، خريفًا ذهبيًّا، وقتًا عمَّ فيه السَّلام والرَّخاء.

لكن الشِّتاء كان قادمًا.

العهدُ المديد

چهيرس وأليسين: السِّياسة والذُّريَّة والآلام

في اليوم السَّابع من عام 59 بعد الفتح دخلَت سفينة شبه مُحطَّمة (النَّهر الهامس) متمايلةً نحو مرفأ (البلدة القديمة). كانت قلوعها مرقَّعةً باليةً مبقَّعةً بالملح، وطلاؤها باهتًا متقشِّرًا، والرَّاية الخافقة فوق صاريها بيَّضتها الشَّمس حتى أصبحَت غير قابلةٍ للتَّمييز. لم يتعرَّفها أحد في حالتها المؤسفة حتى رُبِطَت بالمرسى، ليتَّضح أنها (الليدي مريدث) التي شُوهِدَت آخِر مرَّةٍ قبل ثلاثِ سنوات عند مغادرتها (البلدة القديمة) لتجوب (بحر الغروب).

عند نزول الطَّاقم من السَّفينة تجمهرَ التُّجَّار وعُمَّال المرفأ والعاهرات والبحَّارة واللُّصوص فاغرين أفواههم من الصَّدمة، فتسعة من كلِّ عشرة من المترجِّلين كانوا سودًا أو سُمر البشرة. أخذَت موجات الحماسة تنتشر بين الجمهور في أنحاء المرسى. هل نجحَت (الليدي مريدث) حقًّا في عبور (بحر الغروب)؟ أكلُّ أهل الأراضي الأسطوريَّة في أقصى الغرب داكن البشرة كأهل (جُزر الصَّيف)؟

لم تتوقَّف الهمسات إلَّا بعد ظهور السير إيوستس هايتاور نفسه. بدا حفيد اللورد دونل مهزولًا سفعَته الشَّمس، وظهرَت في وجهه تجاعيد لم تكن موجودةً عند إبحاره. كانت برفقته مجموعة محدودة من رجال (البلدة القديمة) هُم كلٌّ من تبقَّى من طاقمه الأصلي. استقبلَه أحد موظَّفي الجمارك العاملين لدى جدِّه على الرَّصيف، وتلا ذلك حديثٌ قصير. لم يكُن رجال طاقم (الليدي مريدث) يُشبِهون أهل (جُزر الصَّيف)، بل كانوا من (جُزر الصَّيف) فعلًا، وقد استأجرَهم في (سوثوريوس) السير إيوستس («بأجورٍ باهظة»، كما قال بتذمُّر) ليحلُّوا محلَّ الرِّجال الذين فقدَهم. أخبرَه رُبَّان السَّفينة بحاجته إلى عتَّالين، فعنابره متخمة بالسِّلع الثَّمينة... ولكن ليس من أراضٍ وراء (بحر الغروب). «كان ذلك حُلمًا».

سرعان ما ظهرَ فُرسان السير دونل حاملين أوامر بمُرافقته إلى (البُرج العالي)، وهناك في قاعة جدِّه العالية، بكأسٍ من النَّبيذ في يده، روى السير إيوستس قصَّته، ودوَّنها كَتَبة اللورد دونل فيما تكلَّم، وفي غضون أيام انتشرَت القصَّة في جميع أنحاء (وستروس) بواسطة الرُّسل والشُّعراء والغِدفان.

قال السير إيوستس إن الرِّحلة بدأت بالسَّلام المأمول. ما إن تجاوَزوا (الكرمة) حتى وجَّهت الليدي وِستهيل سفينتَها (مُطارِدة الشَّمس) جنوبًا باتِّجاه الجنوب الغربي سعيًا لمياهٍ أدفأ ورياحٍ لطيفة، وتبعَتها (الليدي مريدث) و(قمر الخريف). كانت السَّفينة البراقوسيَّة الضَّخمة تمضي بأقصى سرعةٍ عندما تَنفُخ الرِّياح أشرعتها، وواجهَت سفينتا الأخوين هايتاور صعوبةً في مُجاراتها. «كان (السَّبعة) مبتسمين لنا في البداية، وتمتَّعنا بالشَّمس نهارًا والقمر ليلًا، وألطف ما يمكن أن يأمله رجلٍ أو

فتاةٍ من رياح. لم نكن وحدنا تمامًا، إذ لمحنا صيَّادين من وقتٍ إلى آخَر، ورأينا في مرَّةٍ سفينةً سوداء عظيمةً لا يُمكن إلَّا أن تكون حوَّاتةً من (إيب)، وأسماكًا، الكثير من الأسماك... بعض الدَّلافين سبحَ بجانبنا كما لو أنها لم ترَ سُفنًا قطُّ. حسبنا جميعًا أننا مُبارَكون».

بعد اثني عشر يومًا من الإبحار السَّلس بعيدًا عن (وستروس) كانت (مُطارِدة الشَّمس) ورفيقتاها، طِبقًا لأدقِّ حساباتهم، قد توغَّلن جنوبًا حتى (جُزر الصَّيف)، وتوغَّلن غربًا مسافةً أبعد مما أبحرَت أيُّ سفينةٍ من قبل... أو أيُّ سفينةٍ عادت لتحكي عن رحلتها على الأقل. فُتِحَت على متنَي (الليدي مريدث) و(قمر الخريف) براميلٌ من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي للاحتفال بإنجازهم، وشربَ البحَّارة على (مُطارِدة الشَّمس) نبيذ عسلٍ متبَّلًا من (لانسپورت)، وإن كان أيُّ رجلٍ منهم قد انتابَه القلق من عدم رؤيتهم أيِّ طائرٍ خلال الأيام الأربعة السَّابقة، فقد لزمَ الصَّمت.

تكره الآلهة غطرسة الإنسان. هكذا يُعلِّمنا السِّپتونات، وفي (النَّجمة السُّباعيَّة) مذكور أن الغرور يسبق السُّقوط. راجحٌ جدًّا أن الليدي وِستهيل والأخويْن هايتاور احتفَلوا مبكِّرًا جدًّا وبصخبٍ شديد هناك في قلب المحيط، فقد بدأت الرِّحلة العظيمة تضلُّ سعيها بعد بدايتها المبشِّرة. أخبرَ السير إيوستس بلاط جدِّه: «فقدنا الرِّياح أوَّلًا، ولمدَّة أسبوعيْن تقريبًا لم يهبَّ نسيم حتى، وتحرَّكت السُّفن بقدر ما أمكنَنا قطرها فقط. اكتُشِفَ على (قمر الخريف) أن دستةً من براميل اللَّحم تعيث فيها اليرقات. شيء صغير في حدِّ ذاته، لكنه كان نذير شؤم. في يومٍ عادَت الرِّياح أخيرًا قُرب الغروب، عندما اصطبغَت السَّماء بحُمرة الدَّم، لكن منظرها جعلَ الرِّجال يُهَمهِمون. قلتُ لهم إنها بُشرى خيرٍ

لنا، لكني كذبتُ. قبل طلوع الصُّبح كانت النُّجوم قد احتجبَت وبدأت الرِّيح تعوي، ثم هاجَ المحيط».

قال السير إيوستس إن تلك كانت العاصفة الأولى، وتبعَتها عاصفة ثانية بعد يومين، ثم ثالثة، وكانت كلٌّ منها أسوأ من سابقتها. «ثارَت الأمواج أعلى من صوارينا، ودوَّى هزيم الرَّعد في كلِّ مكانٍ حولنا، وسطعَ برق لم أرَ مثيله من قبل، صواعق عظيمة تُفَرقِع حرقَ وميضها أبصارنا. ضربَت إحداها (قمر الخريف) فالقةً صاريها من عُشِّ الغُراب نزولًا حتى السَّطح، وفي وسط هذا الجنون زعقَ أحد معاونيَّ قائلًا إنه رأى أذرُعًا تَخرُج من الماء، وهذا آخِر شيءٍ يودُّ أيُّ رُبَّانٍ سماعه. حينها كنا قد فقدنا كلَّ أثرٍ لـ(مُطارِدة الشَّمس)، ولم يتبقَّ إلَّا سفينتي (الليدي) و(القمر). كان البحر يغمر كلا السَّطحيْن كلَّما ارتفعَ الموج وانخفضَ، كاسحًا الرِّجال من فوق الجوانب وهم متشبِّثون عبثًا بالحبال. شهدتُ بأمِّ عينيَّ غرق (قمر الخريف). في لحظةٍ كانت هناك، محطَّمةً مشتعلةً لكنها هناك، ثم ارتفعَت موجة وابتلعَتها، وطرفتُ ببصري لأجدها اختفَت. لم تكن إلَّا ذلك، موجةً، موجةً عارمةً، لكن رجالي جميعًا كانوا يَصرُخون: «*كراكِن، كراكِن!*». ولا كلمة قلتها حرَّرتهم من ذلك الوهم. لن أعرف أبدًا كيف نجونا تلك اللَّيلة، لكننا نجونا. في الصَّباح التَّالي عادَ البحر هادئًا، والشَّمس مشرقةً، والمياه شديدة الزُّرقة والصَّفاء لدرجة أن أحدًا لم يكن ليُدرِك أن أخي عائم تحتها، ميتًا مع كلِّ رجاله. كانت (الليدي مريدث) في حالةٍ يُرثى لها، تمزَّقت أشرعتها وتشظَّت صواريها وفقدنا تسعة رجال. صلَّينا للمفقودين وشرعنا نُصلِح ما يُمكن إصلاحه... وفي تلك الظَّهيرة رأى مُراقبنا أشرعةً في الأُفق. كانت (مُطارِدة الشَّمس) وقد عادَت لتبحث عنا».

لم تنجُ الليدي وِستهيل وحسب، بل وجدَت يابسةً أيضًا. الرِّيح والبحار الثَّائرة التي أبعدَت سفينتَها (مُطارِدة الشَّمس) عن سفينتَي هايتاور دفعَتها غربًا، وعند مطلع الفجر لمحَ رجلها الرَّابض في عُشِّ الغُراب بالأعلى طيورًا تحوم في دوائر حول قمَّة جبلٍ ضبابيَّة في الأُفق. توجَّهت الليدي آليس نحوها، وظهرَت لها ثلاث جُزرٍ صغيرة، «جبل مصحوب بتلَّيْن» كما وصفَتها. لم تكُن (الليدي مريدث) في حالةٍ تسمح لها بالإبحار، ولكن بمساعدة ثلاثة مراكب قَطرٍ تابعة لـ(مُطارِدة الشَّمس) استطاعَت (الليدي) بلوغ أمان الجُزر.

استترَت السَّفينتان المحطَّمتان عند الجُزر ما زادَ على أسبوعيْن لعمل الإصلاحات اللَّازمة وإعادة ملء مخزونيهما. لقد انتصرَت الليدي آليس، فها هي ذي أرضٌ أبعد غربًا من أيِّ أراضٍ معروفة على الإطلاق، جُزر غير موجودةٍ على أيِّ خرائط معلومة، وبما أنها ثلاث فقد قرَّرت تسميتها (إجون) و(ڤيزينيا) و(رينس). كانت الجُزر غير مأهولة، لكنها زاخرة بالينابيع وجداول المياه، فاستطاعوا تعبئة براميلهم بكلِّ المياه العَذبة التي احتاجوا إليها. كانت هناك خنازير بريَّة كذلك، وسحالٍ رماديَّة ضخمة بطيئة الحركة كبيرة كالأيائل، وأشجار مثقَلة بالمكسَّرات والفواكه. بعد تذوُّقه عيِّناتٍ منها، أعلنَ إيوستس هايتاور أنهم لم يعودوا بحاجةٍ إلى الذهاب أبعد، وقال: «هذا استكشافٌ كافٍ. إن لدينا هنا توابل لم أذُقها من قبلُ، وتلك الفواكه الورديَّة... لدينا ثرواتنا هنا بين أيدينا».

ذُهِلَت آليس وِستهيل. ثلاث جُزرٍ صغيرة، أكبرها تُعادِل ثُلث (دراجونستون) مساحةً. لا قيمة لهذا. العجائب الحقيقيَّة تقبع بعيدًا في الغرب. قد تكون (إسوس) أخرى وراء الأُفق.

ردَّ السير إيوستس: «وقد تكون ألف فرسخٍ أخرى من المحيط الخالي»،

ورغم محاولة الليدي آليس إقناعه بتزلُّفها وتوسُّلها ونسج شباكٍ من الكلام في الهواء فقد عجزَت عن تغيير رأيه. أخبرَ إيوستس اللورد دونل في (البُرج العالي): «حتى لو أردتُ فما كان طاقمي ليسمح بذلك. لقد كانوا مقتنعين عن آخِرهم بأنَّهم رأوا كراكِنًا عملاقًا يجذبُ (قمر الخريف) إلى تحت الماء. لو أعطيتُ الأمر بمتابعة الإبحار لأطعموني للأمواج ونصَّبوا رُبَّانًا جديدًا».

وهكذا افترقَ الرحَّالة إذ تركوا الجُزر، فدارَت (الليدي مريدث) شرقًا عائدةً إلى الوطن، في حين واصلَت الليدي آليس وسفينتها (مُطارِدة الشَّمس) سعيها غربًا لمطاردة الشَّمس. اتَّضح أن رحلة عودة السير إيوستس هايتاور إلى الوطن أقرب خطورةً إلى رحلة ذهابه، إذ واجَهوا مزيدًا من العواصف وعانوا للنجاة منها، وإن لم تكن أيٌّ منها بخطورة العاصفة التي حصدَت سفينة أخيه، وكانت الرِّيح السَّائدة ضدَّهم مرغمةً إياهم على الانحراف أكثر فأكثر. كانوا قد حملوا معهم ثلاثًا من السَّحالي الرَّماديَّة على متن السَّفينة، عضَّت إحداها موجِّه الدفَّة الذي تحوَّل لون ساقه إلى الأخضر ليضطرُّوا إلى بترها، وبعد بضعة أيَّام واجهوا سربًا من اللَّوياثانات، أحدُها كثورٍ أبيض عملاق أكبر من سفينة، وقد اصطدم بـ(الليدي مريدث) بعُنفٍ عن قصد، وهو ما تسبَّب في تشقُّق بدنها. بعد ذلك غيَّر السير إيوستس مساره متوجِّهًا نحو (جُزر الصَّيف)، التي حسبَ أنها اليابسة الأقرب، لكنَّهم كانوا أبعد جنوبًا مما أدركَ، وانتهى بهم الأمر بتجاوُز الجُزر تمامًا وبلوغهم ساحل (سوثوريوس) بدلًا من ذلك.

قال لجدِّه: «أمضينا هناك عامًا كاملًا محاولين جعل (الليدي مريدث) صالحةً للإبحار مجدَّدًا، لأن الأضرار كانت أجسم مما حسبنا. وجدنا

هناك غنائم كثيرةً كذلك، ولم نغفل عن هذا. زمرُّد وذهب وتوابل، نعم، كلُّ هذا وأكثر. ومخلوقات غريبة... قرود تسير كالبشر وبشر يزقَحون كالقرود، ووايفِرنات وبازيليسقات ومئة نوعٍ مختلف من الثَّعابين... جميعها مميت. ذات ليلةٍ اختفى بعض رجالي فجأةً، والذين لم يختفوا بدأوا يموتون. قرصَت أحدهم ذبابة في رقبته، وخزة صغيرة، لا شيء نخشاه. بعدها بثلاثة أيام بدأ جِلد الرَّجل ينسلِخ وبدأ ينزف من أُذنيه وقضيبه ومؤخَّرته. شُرب ماءِ البحر يُصيب المرء بالجنون، يعرف هذا كلُّ بحّار، لكن المياه العذبة ليست آمَنَ في ذلك المكان، لأن فيها دودًا يكاد يكون أصغر من أن يُرى، وإذا ابتلعته فسيضع بيضه في داخلك. والحُمَّى... بالكاد مرَّ يومٌ قدرَ فيه نصف رجالي على العمل. أظنُّنا كنا لنهلك جميعًا لولا أن أتانا بعض أهل (جُزر الصَّيف) المارِّين بالجزيرة. إنهم يعرفون عن تلك الجحيم أكثر مما يبوحون على ما أظنُّ. بمساعدتهم استطعتُ أن أصل بـ(الليدي مريدث) إلى (بلدة الأشجار الطَّويلة)، ومن هناك إلى الوطن».

هناك انتهَت قصَّته ومغامرته العظيمة.

أمَّا الليدي آليس وِستهيل، المولودة باسم إليسا سليلة عائلة فارمان، فلا نستطيع أن نقول أين انتهَت مغامرتُها، إذ اختفَت (مُطارِدة الشَّمس) في غياهب الغرب باحثةً عن الأراضي وراء (بحر الغروب)، ولم تُرَ ثانيةً أبدًا.

باستثناء...

بعد عدَّة أعوامٍ سيأخذ كورلس ڤيلاريون، الصَّبي المولود بـ(دريفتمارك) في عام 53 بعد الفتح، سفينته (ثُعبان البحر) في تسع رحلاتٍ عظيمة، ليُبحِر أبعد مما أبحرَ أيٌّ وستروسيٍّ من قبل. في أولى تلك الرِّحلات أبحرَ

إلى ما وراء (بوّابات اليَشب) إلى (يي تي) وجزيرة (لِنج)، وعادَ بثروةٍ من التّوابل والحرير واليَشب جعلَت آل ڤيلاريون -لفترة- أغنى عائلةٍ في (الممالِك السَّبع) كلِّها. وفي الرِّحلة الثّانية توغّل السير كورلس شرقًا أكثر، ليُصبِح أوّل وستروسي يصل إلى (آشاي) عند (بلاد الظِّل)، مدينة آسِري الظِّلال السَّوداء الجرداء الواقعة عند حافة العالم. هناك فقدَ ثُلثَه ونصف طاقمه، هذا إن صدقَت الحكايات... وهناك أيضًا في ميناء (آشاي) لمحَ سفينةً قديمةً متهالكةً جدًّا ظلَّ يُقسِم طوال حياته أنها لا يُمكن أن تكون إلّا (مُطارِدة الشَّمس).

لكن في عام 59 بعد الفتح كان كورلس ڤيلاريون لا يزالُ صبيًّا في السَّادسة يحلُم بالبحر، لذلك علينا تركُه والعودة مرّةً أخرى إلى نهاية الخريف في ذلك العام المصيري، حين أظلمَت السَّماوات واشتدَّت الرِّيح وعادَ الشِّتاء إلى (وستروس) من جديد.

كان شتاءُ عامَي 59-60 بعد الفتح استثنائيًّا في قسوته، وكلُّ من نجوا منه اتَّفقوا على ذلك. تعرَّض الشَّمال للضَّربة الأولى والأشد، إذ ذبلَت المحاصيل في الحقول وتجمَّدت مجاري المياه وهبَّت الرِّيح القارسة تعوي من فوق (الجِدار). رغم أن اللورد ألارِك ستارك أمرَ بحفظ نصف كلِّ محصولٍ وتخزينه لمواجهة الشِّتاء القادم، لم يمتثِل كلُّ حمَلة رايته لأمره، وعندما نفدَت مخازنهم وصوامعهم انتشرَت المجاعة في أصقاع الشَّمال، وودَّع كبار السِّنِّ أبناءهم وخرجوا ليموتوا في الثَّلج لكي يعيش ذووهم. فشلَت المحاصيل في (أراضي النَّهر) و(أراضي الغرب) و(الوادي) كذلك، وحتى جنوبًا في (المرعى)، وكلُّ من امتلك طعامًا بدأ يُخزِّنه لنفسه، وعبر (الممالِك السَّبع) جميعًا بدأ سعر الخُبز يرتفع، وزادَ سعر اللَّحم أسرع، واختفَت الفواكه والخضراوات كلُّها تقريبًا من البلدات والمدن.

وتلَت ذلك الرَّعشة، وسارَ (الغريب) على الأرض.

عرفَ المِايسترات الرَّعشة ورأوا مثيلتها قبل قرن، ودُوِّنَت دورة العدوى في كُتبهم. يُعتقَد أنها جاءَت إلى (وستروس) بحرًا، من إحدى المدن الحُرَّة أو بلادٍ أبعد منها. كانت المدن ذات الموانئ وبلدات المرافئ دائمًا أوَّل ضحايا المرض والأشدَّ تأثُّرًا به. ظنَّ كثير من العامَّة أن الجرذان تحمله، ليس الجرذان الرَّماديَّة المعتادة في (كينجز لاندنج) و(البلدة القديمة)، المعروفة بحجمها الكبير وجرأتها وشراستها، بل أخرى سوداء أصغر، يُمكن رؤيتها تنبثِق بأعدادٍ غفيرة من عنابرِ السُّفن في المرافئ وتجري على الحبال التي تُثبِّتها بالمراسي. رغم أن الذَّنب لم يَثبُت على الجرذان بما يكفي لإقناع (القلعة)، بدأت كلُّ عائلة في (الممالِك السَّبع)، من أعظم قلعة حتى أوضع كوخ، تُربِّي القِطط، وقبل أن تجري الرَّعشة مجراها في ذلك الشِّتاء كانت الهُريرات تُباع بسعر الجياد الحربيَّة.

كانت أعراضُ المرض معروفةً حقَّ المعرفة، أوَّلها ببساطةٍ البرد. يشتكي الضَّحايا من إحساسهم بالبرد، ويُلقون مزيدًا من الحطب في النَّار ويقبعون تحت دثارٍ أو كومةٍ من الفِراء. بعضهم يطلُب حساءً ساخنًا أو نبيذًا متبَّلًا، ومنهم من يُنافي العقل بطلبِ البيرة، لكن لا الدُّثر ولا الأحسية تُفلِح في إيقافِ تقدُّم الآفة. بعدها تبدأ الرَّعشة، بسيطةً في البداية، اختلاجةً، ارتجافةً، لكنها تزداد سوءًا بعناد، فتزحف القشعريرة أعلى أطراف الضَّحية وأسفلها كالجيوش الغازية، وعندئذٍ يكون المريض يرتعش بعُنفٍ لدرجة اصطكاك أسنانه، وتبدأ يداه وقدماه في التَّشنُّج والتَّلوِّي، وحين تزرقُّ شفتا المريض ويسعل دمًا تكون نهايتُه قد اقتربَت. عند أوَّل شعورٍ بالبرد تمضي دورة المرض سريعةً، ويحلُّ الموت خلال يومٍ واحد، ولا ينجو إلَّا واحد من كلِّ خمسة مُصابين.

عرفَ المايسترات كلَّ هذا، وإن ظلُّوا يجهلون من أين أتَت الرَّعشة أو كيفية إيقافها أو علاجها. جُرِّبَت الكمادات والعقاقير، واقتُرِحَ استخدام الخردل الحار وفُلفل التنِّين والنَّبيذ المتبَّل بسُمِّ الثَّعابين الذي يُخدِّر الشِّفاه. كانوا يغمسون المصابين في أحواض الماء السَّاخن، بعضُها مسخَّن لدرجة الغليان تقريبًا، وقيلَ إن الخضراوات الخضراء علاج ناجِع، ثم السَّمك النيِّئ، ثم اللَّحم الأحمر، وكلَّما كان داميًا كان أفضل. استغنى بعض المعالجين عن اللَّحم، وأوصوا مرضاهم بشُرب الدِّماء، وجُرِّبَ مختلِف الأدخنة ومُستنشَقات أوراق النباتات المحروقة، فيما أمرَ أحد اللوردات رجاله بإشعال نيرانٍ من حوله، محيطًا نفسه بجُدرانٍ من لهب.

في شتاء عام 59 بعد الفتح دخلَت الرَّعشة من الشَّرق وانتشرت عبرَ (الخليج الأسود) ووصولًا إلى (النَّهر الأسود). من قبل أن تصل إلى (كينجز لاندنج) أحسَّت الجُزر المقابلة لـ(أراضي التَّاج) بالبرودة. إدويل سلتيجار، يد ميجور سابقًا وأمين النَّقد المكروه بشدَّة، كان أوَّل لوردٍ يموتُ بالمرض، وتبعَه ابنه ووريثه إلى القبر بعد ثلاثة أيام. ماتَ اللورد ستاونتون في (استراحة الرُّخ)، ثم زوجته، ومن شدَّة الخوف حبسَ أولادهما أنفسهم داخل غُرف نومهم وأوصَدوا الأبواب، لكن ذلك لم يقيهم. في (دراجونستون) ماتَت السِّپتة إيدث محبوبة الملكة، وفي (دريفتمارك) تعافى ديمون ڤيلاريون سيِّد المدِّ والجَزر بعد أن كان على شفا الموت، لكن الحتف أخذَ ابنه الثَّاني وثلاثًا من بناته. اللورد بار إمون، واللورد روزبي، والليدي چيرل سيِّدة (بِركة العذارى)... دُقَّت الأجراس من أجلهم جميعًا، ومن أجل كثيرٍ من الرِّجال والنِّساء الأقل شأنًا أيضًا.

عبر (الممالِك السَّبع) كلِّها كان النَّبيل والوضيع سواءً في إصابتهم

بالمرض. كان المسنُّون والأطفال الأكثر عُرضةً للإصابة، لكن رجالًا ونساءً في ريعان الشَّباب لم يأمنوا كذلك. تضمَّنت حصيلة الضَّحايا أعظمَ اللوردات وأنبلَ الليديهات وأشجعَ الفُرسان، إذ ماتَ اللورد پرنتس تَلي مرتعشًا في (ريڤررَن)، وتبعَته زوجته الليدي لوسيندا بعد يوم، وراحَ لايمان لانستر سيِّد (كاسترلي روك) الجبَّار وعدَّة لوردات آخَرين من (أراضي الغرب)، منهم اللورد ماربراند سيد (آشمارك) واللورد تاربك سيِّد (بهو تاربك) واللورد سترلينج سيِّد (الجُرف)، وفي (هايجاردن) أصيبَ اللورد تايرل لكنه نجا، فقط ليهلك سكرانَ على إثر سقوطه من فوق حصانه بعد تمام شفائه بأربعة أيام. لم تمسَّ الرَّعشةُ روجار باراثيون، لكن ابنه وابنته من الملكة أليسا أُصيبا وشُفِيا، وإن ماتَ أخوه السير رونال وزوجتا أخويْه بوريس وجارون.

تأثَّر ميناء (البلدة القديمة) العظيم خاصَّةً بالمرض، وفقدَت المدينة رُبع سُكَّانها. مرَّةً أخرى نجا إيوستس هايتاور، الذي عادَ حيًّا من رحلة آليس وِستهيل المنحوسة عبر (بحر الغروب)، وإن لم تكن زوجته أو أولاده بمثل حظِّه، ولا جدُّه سيِّد (البُرج العالي). لم يتمكَّن دونل المماطل من مماطلة الموت، وماتَ مرتعشًا مثله مثل السِّپتون الأعلى وأربعين من أعضاء مجلس القانِتين وثُلثٍ كاملٍ من رؤساء المِايسترات والمِايسترات والمعاونين والمبتدئين بـ(القلعة).

في كُلِّ أرجاء المملكة لم يَنكُب المرض مكانًا كـ(كينجز لاندنج) في عام 59. كان بين الموتى اثنان من فُرسان الحرس الملكي، العجوز السير سام ابن (التَّل اللَّاذع)، وطيِّب القلب السير ڤيكتور الشَّهم، بالإضافة إلى ثلاثة لورداتٍ من أعضاء المجلس، آلبِن ماسي وكارل كوربراي والمِايستر الأكبر بنيفر نفسه. كان بنيفر قد خدمَ خمس عشرة سنةً تخلَّلتها أوقات

الشِّدَّة وأوقات الرَّخاء، قادمًا إلى (القلعة الحمراء) بعدما ضربَ ميجور المتوحِّش رقاب المايسترات الثَّلاثة الذين سبقوه (وهو ما علَّق عليه خليفته السَّاخر بقوله: «كان ذلك إمَّا شجاعةً فريدةً من نوعها وإمَّا حماقةً منقطعة النظير. لم أكُن لأبقى حيًّا ثلاثة أيَّامٍ تحت إمرة ميجور»).

سيُرثَى الموتى جميعًا ويفتقدهم ذووهم، لكن في أعقاب رحيلهم مباشرةً كان فقدان كارل كوربراي الأشدَّ تأثيرًا، فمع خسارة حرس المدينة قائدهم وإصابة وارتعاش العديد منهم، سقطَت شوارع (كينجز لاندنج) ضحيَّةً للفوضى والفُجور، فنُهِبَت المحال واغتُصِبَت النِّساء وسُرِقَ الرِّجال وقُتِلوا بلا ذنبٍ إلَّا سيرهم في الشَّارع الخطأ في الوقت الخطأ. أرسلَ الملك چهيرس حرسه الملكي وفُرسان أهل بيته لاستعادة النِّظام، لكن عددهم كان قليلًا جدًّا، وبعد فترةٍ وجيزة لم يكُن أمامه من خيارٍ إلَّا سحْبهم.

في خضمِّ الفوضى فقدَ جلالته فردًا آخَر من لورداته، ليس بسبب الرَّعشة بل بدافع الجهل والكراهية. لم يتَّخذ ريجو دراز لنفسه مسكنًا في (القلعة الحمراء) مطلقًا رغم وجود مساحةٍ فسيحة له هناك، وقد عرضَ الملك عليه ذلك مرارًا، لكن الپنتوشي فضَّل إيوانه في (شارع الحرير)، حيث يلوح (جُب التَّنانين) مرتفعًا فوقه أعلى (تل رينس)، فهناك استطاع استضافة محظيَّاته دون أن يُكابِد استنكار البلاط. بعد خدمته العرش عشرة أعوامٍ باتَ اللورد ريجو شديد البدانة، فتوقَّف عن رُكوب الخيل، وأصبح بدلًا من ذلك يتنقَّل بين إيوانه والقلعة محمولًا في هودجٍ مزخرَف مطلي بالذَّهب، ودون حكمةٍ أخذَه طريقه من قلب (جُحر البراغيث) عفِن الرَّائحة، أقذر وأكثر منطقةٍ فوضويَّة في المدينة.

في ذلك اليوم العصيب كانت دستة من أحقر سكَّان (جُحر البراغيث) تُطارِد خنزيرًا صغيرًا في زُقاقٍ عندما صادفَت اللورد ريجو في

أثناء عبوره الشَّوارع. كان بعضهم سكرانَ وكلُّهم جائعًا -والخَنُوص هربَ منهم- وأغاظَتهم رؤية البِنتوشي، إذ لاموا عن آخِرهم أمين النَّقد على غلاء سعر الخُبز. أحدُهم كان يحمل سيفًا، وثلاثة معهم سكاكين، فيما التقطَ البقيَّة الحجارة والعِصِي وانقضُّوا على الهودج طاردين حمَّالي اللورد ريجو ومُسقطين حضرته أرضًا. قال المتفرِّجون إنه صرخَ طالبًا النجدة بكلماتٍ لم يفهمها أيٌّ منهم.

عندما رفعَ حضرة اللورد يديه محاولًا صدَّ الضَّربات التي انهالَت عليه كالمطر، تلألأَت الجواهر والتمعَ الذَّهب على كلِّ إصبعٍ من أصابعه، وهو ما فاقمَ هياجهم. زعقَت امرأة: «إنه بِنتوشي. هؤلاء الأوغاد هُم من جلبوا علينا الرَّعشة»، ثمَّ انتزعَ أحد الرِّجال حجرًا من أرضيَّة الشَّارع الذي رصفَه الملك حديثًا، وضربَ به رأس اللورد ريجو مرارًا وتكرارًا حتى لم يتبقَّ منه إلَّا هريسة من العظم والدَّم وخلايا المخِّ. هكذا ماتَ سيِّد الهواء بجمجمةٍ مهشَّمة بأحد أحجارِ الرَّصف التي ساعدَ هو نفسه الملك على وضعها. حتى بعد ذلك كلِّه لم يكن مهاجِموه قد فرغوا منه بعدُ، إذ انتزَعوا ثيابه الفاخرة وقطعوا جميع أصابعه ليحصلوا على خواتمه قبل أن يلوذوا بالفرار.

عندما وصلَ الخبر إلى (القلعة الحمراء) انطلقَ چهيرس تارجاريَن بنفسه لاستردادِ الجُثَّة مُحاطًا بحرسه الملكي. غضبَ جلالته مما رآه لدرجة أن السير چوفري دوجت قال بعدها: «عندما نظرتُ إلى وجهه، لوهلةٍ بدا كأني أنظرُ إلى سحنة عمِّه». كان الشارع مليئًا بالفضوليِّين الذين خرجوا لرؤية مِلكهم أو إلقاء نظرةٍ على جثَّة الصَّيرفي البِنتوشي الدَّامية، وقد دارَ چهيرس بحصانه وصاحَ فيهم: «أريدُ أسماء الرِّجال الذين فعَلوا هذا. انطقوا الآن وستُكافؤون. أمسِكوا ألسنتكم وستفقِدونها». انسلَّ

كثيرٌ من المتفرّجين هاربين، لكن فتاةً حافية القدمين تقدَّمت، وبصوتٍ رفيع تفوَّهت باسم.

شكرَها الملك وأمرَها بأن تُري فُرسانه أين يمكن أن يعثُروا على هذا الرَّجل، فقادَت الحرس الملكي إلى خمَّارةٍ حيث وجَدوا المجرم مع عاهرةٍ في حجره وثلاثةٍ من خواتم اللورد ريجو حول أصابعه. تحت وطأة التعذيب، سُرعان ما أعطاهم أسماء المعتدين الآخَرين، وقُبِضَ عليهم أجمعين. ادَّعى أحدهم أنه كان من جماعة الصَّعاليك، وتوسَّل راغبًا في ارتداء الأسود، فردَّ عليه چهيرس: «لا. رجال حرس اللَّيل شُرفاء، وأنت أحطُّ من الجرذان». لم يستحقَّ الرِّجال على شاكِلة هؤلاء ميتةً نظيفةً بالسَّيف أو الفأس، وقضى جلالته بدلًا من ذلك أن يُعلَّقوا على أسوار (القلعة الحمراء) ببطونٍ مبقورة، ويُترَكوا يتلوُّون إلى أن يموتوا فيما تتدلَّى أحشاؤهم حتى رُكبهم.

لقيَت الفتاة التي أرشدَت الملك إلى القتَلة مصيرًا ألطف، إذ أخذَتها الملكة أليسين بيدها ووضعَتها في حوضٍ من الماء السَّاخن ليُفرَك جسدها من الأوساخ. أُحرِقَت ثيابها وحُلِقَ رأسها وأُطعِمَت الخُبز السَّاخن واللَّحم المقدَّد، ولما شبعَت قالت لها أليسين: «إن لكِ مكانًا في القلعة إذا أردتِ، في المطابخ أو الاسطبلات، حسب رغبتكِ. ألكِ أب؟»، فأومأت الفتاة برأسها خجلًا واعترفَت بأنه كان لها واحد. «كان أحدَ تلك البطون التي بقرتُموها، المجدور ذا الدُّمَّل على جفنه». ثمَّ قالت لجلالتها إنها راغبة في العمل بالمطابِخ. «لأنهم يحتفِظون بالخُبز هناك».

انصرمَ العام وبدأ آخَر جديد، لكن قليلًا جدًّا من الاحتفالات أقيمَ في أنحاء (وستروس) بمناسبة حلول العام الستِّين بعد فتحِ إجون. قبل ذلك بعامٍ أوقِدَت النِّيران العظيمة في السَّاحات العامَّة وتراقصَ الرِّجال والنِّساء

حولها ثملين ضاحكين فيما دقَّت الأجراس احتفالًا بالعام الجديد، وبعد عامٍ واحد كانت النِّيران تلتهم الجُثث والأجراس تدقُّ لنعي الموتى. خلَت شوارع (كينجز لاندنج)، خاصَّةً في اللَّيل، وغرقَت الأزقَّة في الثُّلوج، وتدلَّت كُتل جليدٍ بطول الحِراب من الأسقُف. فوق قمَّة (تل إجون العالي) أمرَ الملك جهيرس بإغلاق بوَّابات (القلعة الحمراء) وإزلاجها، وبمضاعفة الحراسة على أسوارها. حضرَ جلالته والملكة وأولادهما شعائر الغروب في سِبت القلعة، ثمَّ ذهبوا إلى (حصن ميجور) لتناوُل وجبةٍ بسيطة، ثمَّ خلدوا إلى النَّوم.

كانت ساعة البومة حين أيقظَت الملكةَ أليسين ابنتها هازَّةً ذراعها برفق، وقالت الأميرة دنيرس: «أمِّي، إنني بردانة».

لا داعي للإسهاب في وصفِ ما تلا ذلك. كانت دنيرس تارجاريَن قُرَّة عين المملكة، وقد فعلوا لأجلها كلَّ ما أمكنَهم فِعله لأيِّ شخصٍ في حالتها، فلجأوا إلى الصَّلوات والكمادات والحساء السَّاخن والحمَّامات بالغة السُّخونة والأغطية والفِراء والأحجار السَّاخنة وشاي القُرَّاص. كانت الأميرة في السَّادسة ومرَّت سنوات على فطامها، ومع ذلك استُدعِيَت مُرضعة لأن بعضهم اعتقدَ إن لبن الأُمِّ قادرٌ على علاج الرَّعشة. جاءَ المِايسترات وذهبوا، وصلَّى السِّپتونات والسِّپتوات، وأمرَ الملك بتعيين مئة صائد جرذانٍ جديد على الفور، وعرضَ أيلًا فضيًّا مقابل كلِّ جرذٍ ميت، أسود كان أم رماديًّا. طلبَت دنيرس هُريرتها فأحضَروها لها، ولكن حين اشتدَّ ارتعاشُها تملَّصت الهُريرة من قبضتها وخدشَت يدها. قُبيل الفجر هبَّ جهيرس يزعَق أنه بحاجةٍ إلى تنِّين، أنه يجب أن يكون لابنته تنِّين، وانطلقَت الغِدفان تُحلِّق إلى (دراجونستون) حاملةً أوامر لخفر التَّنانين هناك بإحضار فرخِ تنِّين إلى (القلعة الحمراء)

فورًا.

لم يُجدِ أيٌّ من هذا نفعًا. بعد يومٍ ونصفٍ من إيقاظها والدتها شاكيةً من شعورها بالبرد، ماتَت الأميرة الصغيرة. انهارَت الملكة بين يدَي الملك مرتجفةً بعُنفٍ لدرجة أن البعض تخوَّف أن العدوى أصابَتها بدورها. أمرَ جهيرس بحملها إلى مسكنها وسقيها حليب الخَشخاش ليُساعِدها على النَّوم، ورغم أنه كادَ ينهار من شِدّة الإرهاق فقد ذهبَ بعدها إلى الفِناء وحلَّ وِثاق ڤرميثور، ثمَّ طارَ إلى (دراجونستون) ليُخبِرهم أن لا حاجةَ إلى فرخ التنِّين بعد كلِّ هذا. عند عودته إلى (كينجز لاندنج) شربَ كوبًا من نبيذ النَّوم وأرسلَ في طلب السِّپتون بارث، وسألَه: «كيف لهذا أن يحدُث؟ أيُّ خطيئةٍ اقترفَت؟ لماذا تأخُذها الآلهة؟ كيف لهذا أن يحدُث؟!»، ولكن حتى بارث، ذلك الرَّجل الحكيم، لم يجِر إليه جوابًا.

لم يكن الملك والملكة الأبويْن الوحيديْن اللذين فقدا طفلًا بسبب الرَّعشة، فألوف غيرهما من نبيلي النَّسب ووُضعائه ذاقوا الألَمَ نفسه في ذلك الشِّتاء، لكن بالنِّسبة إلى جهيرس وأليسين فمؤكَّد أن موت ابنتهما الحبيبة بدا قاسيًا بشكلٍ خاص، لأنه ضربَ بمذهب الاستثنائيَّة عرضَ الحائِط. كانت الأميرة دنيرس تنتمي إلى آل تارجاريَن من كلا الناحيتيْن، وجرَت دماء (ڤاليريا القديمة) نقيَّةً في عروقها، وأصحاب النَّسب الڤاليري لم يكونوا كسائرِ البَشر. كانت لآل تارجاريَن أعيُن أرجوانيَّة وشعور بلونَي الذَّهب والفضَّة، وحكموا السَّماء على متون التَّنانين، ولم تسرِ عليهم أحكام العقيدة وتحريماتها التي تُدين زواج المحارِم... ولم يمرضوا قَطُّ.

منذُ رسَّخ إينار المنفي أحقيَّته في (دراجونستون) كان معلومًا أن أولاد تارجاريَن لا يموتون بالجُدري أو الزُّحار، ولا يُصابون بالبُقع الحمراء أو القدم البُنِّيَّة أو داء الرَّجفة، ولا يسقطون ضحايا لدود العظم أو التَّخثُّر

الرِّئوي أو حُموضة الأمعاء، أو أيٍّ من الآفات وحالات العدوى التي لا تُحصى، التي ارتأت الآلهة لأسبابٍ تخصُّها أن تبتلي بها البَشر الفانين، فاستُنتِجَ أن في دمِ التنِّين نارًا، نارًا مطهِّرةً تحرق كلَّ تلك الأوبئة. لم يتصوَّر أحد أن أميرةً نقيَّة الدِّماء قد تموت مرتعشةً كما لو أنها طفلة من العوام.

ورغم ذلك ماتَت.

وبينما نعيا روحَها العذبة، لا بدَّ أن جهيرس وأليسين أدركا تلك الحقيقة الصَّادمة. قد لا يكون آل تارجاريَن قريبين من الألوهيَّة كما حسبوا، قد لا يكونون هُم أيضًا إلَّا بشرًا في النِّهاية.

عندما جرَت الرَّعشة مجراها أخيرًا عادَ الملك جهيرس إلى واجباته بقلبٍ أشد حُزنًا. كانت مهمَّته الأولى كئيبةً: استبدال كلِّ أصدقائه ومستشاريه الذين فقدَهم. كُلِّفَ أكبر أبناء اللورد مانفرد ردواين، السير روبرت، بقيادة حرس المدينة، وجلبَ السير جايلز موريجن فارسيْن صالحيْن ليلتحقا بالحرس الملكي، وقدَّم جلالته لكلٍّ من السير ريام ردواين والسير روبن شو معطفًا أبيض. أمَّا الكُفؤ آلبِن ماسي، كبير قُضاته ذو الظَّهر المحني، فلم يكن استبداله سهلًا، ولشغلِ مقعده تواصلَ الملك مع (وادي آرن) واستدعى رودريك آرن سيِّد (العُش) الشَّاب واسع المعرفة، الذي قابلَ جلالته والملكة أوَّل مرَّةٍ وهو صبي في العاشرة.

كانت (القلعة) قد أرسلَت إليه خليفة بنيفر بالفعل، وهو المايستر الأكبر إليسار سليط اللِّسان، الأصغر بعشرين عامًا من الرَّجل الذي وضعَ سلسلته. لم يَخطُر قَطُّ لإليسار خاطرٌ لم يَشعُر بالحاجة إلى البوح به، وقد زعمَ البعض أن المجمع أرسلَه إلى (كينجز لاندنج) للتَّخلُّص من إزعاجه.

تردَّد چهيرس أطول فترةٍ عند اختيار أمين نقده وخازِنه الجديد. رغم مقت النَّاس لريجو دراز، فقد كان رجلًا ذا موهبةٍ عظيمة. قال الملك لمجلسه: «كان بودِّي أن أقول إن المرء لا يجد رجالًا مثله في الشَّوارع، ولكن إن وجبَ قول الحقيقة فاحتمال العثور على واحدٍ هناك أرجح من احتمال وجوده في قلعةٍ ما». لم يتزوج سيِّد الهواء مطلقًا، وإن أنجبَ ثلاثة أبناءٍ نغول تعلَّموا كيف أدارَ تجارته منذ نعومة أظفارهم، ولكن بقدر ما رغبَ الملك في التَّواصل مع أحدهم فقد كان يعلم أن المملكة لن تتقبَّل پنتوشيًّا آخَر. ختمَ الملك كلامه قائلًا بعبوس: «يجب أن يكون لوردًا». مرَّةً أخرى طُرِحَت أسماء عائلاتٍ مألوفة للنِّقاش: لانستر، ڤيلاريون، هايتاور، كلُّها عائلات أوجدَها الذَّهب بقدر ما أوجدَها الفولاذ. قال لهم چهيرس: «جميعُهم شديدو الكبرياء».

كان السِّپتون بارث أوَّل من اقترحَ اسمًا آخَر، وقال مذكِّرًا جلالته: «آل تايرل أولاد (هايجاردن) منحدرون من نسبِ وُكلاء، لكن (المرعى) أوسع من (أراضي الغرب)، وغنيٌّ بثروةٍ مختلفة، وقد يكون مارتن تايرل الشَّاب إضافةً مفيدةً لهذا المجلس».

بُهِتَ اللورد ردواين، وقال: «آل تايرل هؤلاء بُله. آسفٌ يا جلالة الملك، إنهم سادتي، لكن آل تايرل... بُله، واللورد برتراند كان سكِّيرًا كذلك».

أقرَّ السِّپتون بارث: «هذا صحيح»، ثم أضافَ: «لكن اللورد برتراند في قبره الآن، وأنا أتكلَّمُ عن ابنه. مارتن شابٌّ ومُتحمِّس، لكنني لا أضمنُ ذكاءه. على أن زوجته فتاة من آل فوسواي، الليدي فلورِنس التي تُحصي التُّفاح منذ تعلَّمت المشي. إنها متكفِّلة بحسابات (هايجاردن) كلِّها منذ زواجها، ويُقال إنها زادَت دخول آل تايرل بمقدار الثُّلث. إذا

عينًا زوجها فستأتي معه إلى البلاط، لا أشكُّ في هذا».

فقال الملك: «ستحبُّ أليسين ذلك. إنها تستمتع برفقة النِّسوة النَّبيهات». لم تحضر الملكة أيًّا من اجتماعات المجلس منذ وفاة الأميرة دنيرس، وربما أملَ چهيرس أن يردَّها ذلك إليه مجدَّدًا. «سِپتوننا العزيز لم يُفتِنا خطأً قَطُّ. فلنُجرِّب الأبله زوج الذَّكيَّة، ولنأمل ألَّا يُهشِّم رعايانا الأوفياء رأسه بحجر رصف».

كما يحرم (السَّبعة) يمنحون، وربما نظرَت (الأمُّ في الأعالي) إلى أليسين في حُزنها وأخذَتها الرَّأفة بقلبها المكلوم، فبالكاد مرَّ قمران منذ وفاة الأميرة دنيرس عندما علمَت الملكة أنها حُبلى بطفلٍ آخَر، وفيما أحكمَ الشِّتاء قبضته الجَّليديَّة على المملكة، اختارَت الملكة توخِّي الحذر مرَّةً أخرى وعادَت إلى (دراجونستون) حتى يأتيها المخاض. لاحقًا في ذلك العام، 60 بعد الفتح، أنجبَت مولودها الخامس، فتاةً سمَّتها أليسا تيمُّنًا بوالدتها. علقَّ المايستر الأكبر الجديد إليسار: «شرفٌ عظيم كانت جلالتها لتُقدِّره أكثر لو أنها حيَّة»... ولكن ليس على مسمعٍ من الملك.

انقضى الشِّتاء بعد فترةٍ وجيزة من ولادة الملكة، وكانت أليسا عند مولدها بصحةٍ جيِّدة ومليئة بالحيويَّة. وهي رضيعة بدَت شديدة الشَّبه بأختها الرَّاحلة دنيرس، لدرجة أن أُمَّها عادةً ما بكَت لمرآها متذكِّرةً الابنة التي فقدَتها. غير أن الشَّبه تلاشى فيما كبرَت الأميرة. بوجهٍ طويل وبدنٍ نحيل، امتلكَت أليسا النَّزر اليسير من جمالِ أختها، وكان شعرُها شبكةً شقراء باهتةً بلا لمحةٍ من الفضِّي تستدعي إلى الذَّاكرة سادة التَّنانين القُدامى، كما وُلِدَت بعينيْن غير متماثلتيْن، إحداهما بنفسجيَّة والثَّانية خضراء يانعة، وكانت أُذناها كبيرتيْن جدًّا وابتسامتُها مائلةً، وفي

سنِ السَّادِسة، فيما تلعَب في السَّاحة، كسرَت خَبطة على وجهها بسيفٍ خشبي أنفها، وشُفِيَ الأنف معوجًّا، وإن لم يَبدُ أن أليسا ألقَت لهذا بالًا. في سنِّها تلك أدركَت أمُّها أنها لا تُشبه دنيرس، بل بايلون.

مثلما تبعَ بايلون إيمون في كلِّ مكان، اقتفَت أليسا أثر بايلون «كجروٍ صغير»، كما علَّق أمير الربيع متذمِّرًا. كان بايلون يَصغر إيمون بعامين، وأليسا أصغر منه بنحو أربعة أعوام... «وفتاة»، وهو ما زادَ الأمر سوءًا في نظره. لكن الأميرة لم تكن تتصرَّف كالفتيات، بل ارتدَت ملابس الصِّبيان متى استطاعَت، وهجرَت رِفقة الفتيات الأخريات، وفضَّلت الرُّكوب والتَّسلُّق والمبارزة بالسُّيوف الخشبيَّة على التَّطريز والقراءة والغناء، وأبَت أكل العصيدة.

عادَ صديقٌ قديم، وغريمٌ قديم، إلى (كينجز لاندنج) في عام 61 بعد الفتح، عندما ركبَ اللورد روجار باراثيون من (ستورمز إند) لإيصال ثلاث فتياتٍ صغيرات إلى البلاط. اثنتان منهن كانتا ابنتَي أخيه رونال الذي ماتَ هو زوجته وأبناؤه بالرَّعشة، والثَّالثة الليدي چوسلين ابنة جنابه من الملكة أليسا. الطِّفلة الهشَّة التي أتَت إلى العالم في عام (الغريب) الرَّهيب كبرَت لتُصبِح شابَّةً فارعةً رصينة المحيَّا، ذات عينين سوداوين واسعتين وشعرٍ أسود كالخطيئة.

كان شعرُ روجار باراثيون قد شابَ، وأضنَت السِّنون يد الملك العجوز، وبدا وجهه شاحبًا متغضِّنًا، وأضحى هزيلًا لدرجة أن ملابسه بدَت فضفاضةً عليه، كما لو أنها فُصِّلَت لشخصٍ أكبر حجمًا بكثير. عندما جثا على رُكبته أمام العرش الحديدي واجهَ صعوبةً في النُّهوض مُجدَّدًا، وتطلَّب مساعدة أحد حرس الملك حتى ينهض.

أخبرَ اللورد روجار الملك والملكة أنه أتى ليطلُب معروفًا. قريبًا ستحتفل

الليدي چوسلين بيوم ميلادها السَّابع. «لم تعرف أُمَّها قَطُّ، واعتنَت بها زوجتا أخويَّ قدر استطاعتهما، لكنهما فضَّلتا أولادهما مثل أيِّ أُم، والآن رحلَت كلتاهما. إن أذنتما لي يا موليَيَّ، أطلبُ منكما أن تقبلا چوسلين وبنات عمومتها ربائب عندكما، لينشأن هنا في البلاط بجانب أبنائكما وبناتكما».

جاوبَته الملكة أليسين: «سيكون ذلك شرفًا لنا ومدعاةً لسرورنا. چوسلين أخت لنا، لم ننسَ. إنها من دمنا».

بدا الارتياح الشَّديد على اللورد روجار، وقال: «وأطلبُ منكما الاعتناء بابني أيضًا. سيبقى بورمند في (ستورمز إند) في عُهدة أخي جارون. إنه صبي طيِّب وقوي، وسيصبحُ لوردًا عظيمًا في أوانه، لا شكَّ لديَّ في هذا، لكنه في التَّاسعة من عُمره فقط. كما تعرفان يا صاحبَي الجلالة، أخي بوريس غادرَ (أراضي العواصف) منذ بضع سنوات، إذ غدا حانقًا ومستاءً بعد مولد بورمند، وآلَت الأمور من سيِّئٍ إلى أسوأ بيننا. قضى بوريس فترةً من الزمن في (مير)، وبعد ذلك في (ڤولانتيس)، يفعل ما لا يعلمه إلَّا الآلهة... لكنه ظهرَ في (وستروس) ثانيةً، في (الجبال الحمراء). تقول الأخبار إنه تحالفَ مع الملك النَّسر، ويُغير على قومه. جارون رجلٌ مقتدر ومخلِص، لكنه لم يكن نِدًّا لبوريس قَطُّ، وبورمند ليس إلَّا صبيًّا، وأخافُ ما قد يقَع له ولـ(أراضي العواصف) عندما أرحلُ».

أدهشَ قوله الملك، الذي تساءلَ: «عندما ترحل؟ لماذا يجب أن ترحل؟ أين تنوي الذَّهاب يا سيِّدي؟».

أجابَه اللورد روجار بابتسامةٍ حملَت لمحةً من شراسته القديمة: «إلى الجبال يا صاحب الجلالة. مِايستري يقول إنني أُحتضَر، وأنا أصدِّقه.

حتى من قبل أن أصابَ بالرَّعشة كنتُ أتألَّم، واشتدَّ الألم من حينها. إنه يسقيني حليب الخَشخاش، وهو ما يُخفِّف الأوجاع، لكني لا أرتشفُ إلَّا القليل. لا أريدُ أن أقضي ما تبقَّى لي من عُمرٍ نائمًا، أو أن أموت على سريرٍ نازفًا من شرجي. إنني أنوي أن أجدَ أخي بوريس وأسوِّي الأمور معه، ومع الملك النَّسر أيضًا. مهمَّة حمقاء كما دعاها جارون، وليس مخطئًا، لكن عندما أموتُ أريد أن أموتَ حاملًا فأسي صارخًا بسبَّة. هل لي الإذن في الذَّهاب يا جلالة الملك؟».

متأثِّرًا بكلمات صديقه القديم، نهضَ الملك چهيرس ونزلَ من فوق العرش الحديدي ليقبض على كتف اللورد روجار قائلًا: «أخوك خائن، وذلك النَّسر -لن أدعوه بالملك- أزعجَ تُخومنا بما فيه الكفاية. لك إذني يا سيِّدي. وأكثر من ذلك، لك سيفي».

وبرَّ الملك بوعده. سُمِّيت المعركة التي تبعَت ذلك في التَّواريخ باسم الحرب الدورنيَّة الثَّالثة، لكن تلك تسمية خاطئة، لأن أمير (دورن) أبقى جيوشه بعيدةً تمامًا عن النِّزاع. أطلقَ عليها العامَّة وقتها حربَ اللورد روجار، وهو الاسم الأجدر كثيرًا. بينما قادَ سيِّد (ستورمز إند) خمسمئة رجلٍ عبر الجبال، حلَّق چهيرس في السَّماء على ظهر ڤرميثور. قال الملك: «يُسمِّي نفسه نسرًا، لكنه لا يطير، بل يختبئ. يجدُر به أن يُسمِّي نفسه السِّنجاب». لم يكن مخطئًا، ذلك أن الملك النَّسر الأوَّل ترأَّس جيوشًا وقادَ آلافًا في المعارك، أمَّا الثَّاني فلم يكن إلَّا مُغيرًا متسلِّقًا، ابنًا أصغر لعائلةٍ صغيرة لديه بضع مئاتٍ من الأتباع شاركوه تلذُّذه بالسَّطو والاغتصاب. على أنه معرفته بالجبال كانت جيِّدةً، وعند مطاردته كان يختفي ببساطةٍ ليظهر مجدَّدًا بإرادته، ومَن ذهبوا لتعقُّبه فعلوا ذلك مخاطرين بأنفسهم، لأنه كان ماهرًا في نصبِ الكمائن أيضًا.

لكن أيًّا من خُدعه لم يُفلِح ضد عدوٍّ يستطيع اصطياده من أعلى. زعمَت الأسطورة أنه كان للملك النَّسر حصن جبلي منيع يَستُره السَّحاب، لكن چهيرس لم يجد أيَّ وكرٍ سرِّيٍ، بل دستة من المعسكرات الوضيعة المبعثرة هنا وهناك. واحدًا تلو الآخَر أضرمَ ڤرميثور النَّار فيها جميعًا، تاركًا للملك النَّسر الرَّماد فقط ليلتجئ إليه. أمَّا رتلُ اللورد روجار الذي شقَّ طريقه عبر المرتفعات فسرعان ما اضطرَّ رجاله إلى التَّخلِّي عن أحصنتهم ومتابعة المسير على الأقدام على دروب الماعِز وفوق المنحدرات الحادَّة وعبر الكهوف فيما دحرجَ أعداءٌ مختبئون الحجارة على رؤوسهم، لكنهم تابعوا المسير ببسالة. وبينما تقدَّم رجال (أراضي العواصف) من الشرق قادَ سيمون دونداريون سيِّد (المرفأ الأسود) جيشًا صغيرًا من فُرسان (التُّخوم) إلى داخل الجبال من الغرب، ليسدَّ طريق الهروب من تلك الناحية، وفيما زحفَ الصيَّادون نحو بعضهم بعضًا شاهدَهم چهيرس من السَّماء وحرَّكهم كما حرَّك من قبل جيوش الدُّمى في (قاعة المائدة المرسومة).

في النِّهاية وجدوا أعداءهم. لم يكُن بوريس باراثيون عليمًا بمسارات الجبال الخفيَّة كالدورنيِّين، لذلك كان أوَّل من حُوصِرَ. تخلَّص رجال اللورد روجار من رجال أخيه سريعًا، لكن حين التقى الأخوان وجهًا لوجهٍ حطَّ چهيرس من السَّماء، وقال الملك ليده السَّابق: «لن أسمح بأن تُدعى بقاتلِ الأقربين يا سيِّدي. الخائنُ لي».

ضحكَ السير بوريس لسماعِ ذلك، وزعقَ منقضًّا على الملك: «أفضِّلُ دعوتي بقاتِل الملك على دعوته بقاتِل الأقربين!»، لكن چهيرس كان شاهرًا (اللَّهب الأسود) في يده، ولم ينسَ الدُّروس التي تلقَّاها في ساحة (دراجونستون). ماتَ بوريس باراثيون عند قدمَي الملك بجرحٍ غائرٍ في

عنُقه كادَ يفصل رأسه عن بدنه.

جاءَ دور الملك النَّسر مع اكتمال القمر الجديد، حين أجبَروه على التَّقهقر إلى وكرٍ محروق كان يرجو أن يجد فيه ملاذًا، حيث قاومَ حتى النِّهاية ممطرًا رجال الملك بالسِّهام والحِراب. عندما أحضَروا ملِك الجبال أمامَه مصفَّدًا قال روجار باراثيون لجلالته: «هذا لي»، وبأمره ضُرِبَت أغلال المجرم وأُعطِيَ حربةً وتُرسًا، وواجهَه اللورد روجار بفأسه قائلًا: «إذا قتلَني فأطلِقوا سراحه». أثبتَ النَّسر على نحو مثير للشَّفقة إنه ليس نِدًّا له، ورغم إنهاكه وضعفه وألمه الممض صدَّ روجار باراثيون هجمات الدورني بازدراء، ثمَّ شقَّه بفأسه من الكتف حتى السُّرَّة.

عندما انتهى الأمر بدا اللورد روجار متعبًا، وقال للملك بحُزن: «يبدو أني لن أموتَ بفأسٍ في يدي بعد كلِّ شيء». ولم يمُت كذلك فعلًا، فروجار باراثيون، سيِّد (ستورمز إند) ويد الملك وحامي البلاد سابقًا، ماتَ في قلعته (ستورمز إند) بعد مرور نصف عام، في حضرة مِايستره وسِپتونه وأخيه السير جارون وابنه ووريثه بورمند.

دامَت حرب اللورد روجار أقلَّ من نصف عام، إذ بدأها وانتصرَ فيها في عام 61 بعد الفتح. مع هلاك الملك النَّسر قلَّت الغارات كثيرًا بطول (التُّخوم الدورنيَّة) لفترةٍ من الزمن، وبانتشار أخبار تلك الحملة عبر (الممالِك السَّبع) اكتسبَ حتى أشد اللوردات براعةً عسكريَّةً احترامًا مستجدًّا تجاه ملكهم الشَّاب، وتبدَّد أيُّ شكٍ لم يزَل يُخالِج قلوبهم، فجهيرس تارجاريَن ليس كأبيه إينس. بالنِّسبة إلى الملك نفسه كانت الحرب شافيةً، وكما اعترفَ للسِپتون بارث: «كنتُ عاجزًا ضدَّ الرَّعشة، لكن في مواجهة النَّسر كنتُ ملكًا من جديد».

في عام 62 بعد الفتح احتفلَ لوردات (الممالِك السَّبع) عندما منحَ الملك أكبر أولاده لقب أمير (دراجونستون)، ليجعله الوريث الشَّرعي للعرش الحديدي.

كان الأمير إيمون في السَّابعة، صبيًّا بطولٍ ووسامةٍ مماثليْن لتواضُعه. واظبَ إيمون على تدريباته كلَّ صباحٍ في السَّاحة مع الأمير بِايلون، وقد كان الأخوان صديقيْن صدوقيْن، وفي المهارة سواءً. كان إيمون أطول وأقوى، وبِايلون أسرع وأشرس، ومبارزاتهما حاميةً لدرجة أنها كثيرًا ما اجتذبَت جموعًا من المتفرِّجين، فاحتشدَ الخدم والغسَّالات وفُرسان القلعة والمرافِقين والمِايسترات والسِّپتونات وصِبية الاسطبلات في السَّاحة ليُشجِّعوا هذا الأمير أو ذاك. ممَّن جاؤوا للفُرجة چوسلين باراثيون، ابنة

الملكة الرَّاحلة أليسا ذات الشعر الأسود، التي كانت تزداد طولًا وفتنةً بمرورِ الأيام. خلال المأدبة التي تبعَت تنصيب إيمون أميرًا لـ(دراجونستون) أجلسَت الملكة الليدي چوسلين بجواره، وشوهِدَ الصَّغيران يتحدَّثان ويضحكان معًا طوال الأمسيَّة مستبعديْن الآخَرين جميعًا.

في العام نفسه أنعمَت الآلهة على چهيرس وأليسين بمولودٍ آخَر، ابنةً سمَّياها مِايجل. كانت طفلةً رقيقةً محبَّةً للغير وحُلوة الطِّباع وشديدة الذَّكاء، وقد ألصقَت نفسها بأختها أليسا مثلما التصقَ الأمير بِايلون بالأمير إيمون تقريبًا، وإن لم تكن علاقتهما بالسَّعادة نفسها، إذ جاءَ الدَّور على أليسا للشَّكوى من تعلُّق «الطِّفلة» بتنُّورتها، وحاولَت أن تتحاشاها قدر استطاعتها، لينفجِر بِايلون ضاحكًا من غضبها.

لقد تطرَّقنا إلى العديد من إنجازات چهيرس. مع اقتراب عام 62 بعد الفتح من نهايته، تأمَّل الملك في العام المقبل والأعوام التَّالية، وبدأ وضع الخُطط لمشروعٍ سوف يُغيِّر (الممالِك السَّبع). كان قد أعطى (كينجز لاندنج) حجارة الرَّصف وخزَّانات المياه والنوافير، والآن حوَّل بصره إلى ما وراء أسوار المدينة، إلى الحقول والتِّلال والبِرك الموحلة الممتدَّة من (التُّخوم الدورنيَّة) حتى (الهديَّة).

قال مخاطبًا المجلس: «أيُّها السَّادة، عندما أذهبُ أنا والملكة في جولاتنا نركب ڤرميثور وسيلڤروينج، وعندما نَنظُر من بين السَّحاب نرى قلاعًا ومُدنًا، وتلالًا ومستنقعات، وأنهارًا وجداولَ وبُحيرات، نرى بلدات أسواقٍ وقُرى صيد، وغاباتٍ قديمةً وجبالًا وأراضيَ بورًا ومروجًا، وقُطعان أغنامٍ وحقول غلال، وميادين معارك قديمة وأبراجًا ومقابر وسِپتات متهدِّمةً. في ممالكنا السَّبع هذه الكثير جدًّا ليُرى. هل تعرفون الشيء الذي لا أراه؟»، وضربَ الملك الطَّاولة بعُنفٍ متابعًا: «الطُّرق يا سادة. لا أرى

طُرقًا، بل أرى أخاديدَ إذا طرتُ على ارتفاعٍ منخفض كفايةً، أرى دروب فرائس، وهنا وهناك ممشًى بجانب جدول، لكني لا أرى أيَّ طريقٍ لائق. أيُّها السَّادة، أريدُ طُرقًا!».

سيستمرُّ إنشاء طريقٍ يمتدُّ فراسخ عديدةً ما تبقَّى من عهد چهيرس وخلال عهد وريثه، لكنه بدأ في ذلك اليوم في قاعة المجلس بـ(القلعة الحمراء). لا يَظُنَّنَّ أحد أن (وستروس) خلَت من الطُّرق قبل عهد چهيرس، فقد تقاطعَت في البلاد مئات الطُّرق التي عادَ كثير منها آلاف السِّنين إلى أيام البشر الأوائل، وحتى أطفال الغابة كانت لديهم مسارات اتَّبعوها عند انتقالهم من مكانٍ إلى آخَر أسفل أشجارهم.

لكن الطُّرق في حالتها الرَّاهنة كانت في غاية الرَّداءة، ضيِّقةً موحلةً محفَّرةً معوجَّةً، تمضي عبر التِّلال والغابات وفوق الجداول دون تخطيطٍ أو هدف، ومجموعة صغيرة من تلك الجداول كانت مجسَّرةً، وعادةً ما خضعَت مخاضات الأنهار لحراسة رجال مسلَّحين يطلبون إتاوةً ماليَّةً أو ما يُعادِلها ليسمَحوا لعوام النَّاس بالعبور. بعض اللوردات الذين مرَّت الطُّرق من أراضيهِم صانوها بطرائقهم الخاصَّة، لكن أكثرهم لم يفعلوا. كانت العواصف المطيرة تجرفها، والفُرسان اللُّصوص والرِّجال المكسورون يتصيَّدون المسافرين عليها. قبل عهد ميجور وفَّر الصَّعاليك شيئًا من الحماية للعامَّة على الطَّريق (حين لم ينهبوهم بأنفُسهم)، وبعد دمار جماعة النُّجوم أصبحَت طُرق المملكة الفرعيَّة أخطر مما كانت يومًا، وحتى كبار اللوردات سافَروا تحت حراسةٍ مشدَّدة.

لكان علاج كلِّ تلك المشكلات في عهدٍ واحد مستحيلًا، لكن چهيرس صمَّم على البدء. ينبغي أن نتذكَّر أن (كينجز لاندنج) كانت مدينةً طفلةً مقارنةً بسائر المدن. قبل رسوِ إجون الفاتِح وأختيه على

السَّاحل قادمين من (دراجونستون)، لم يكن قائمًا فوق التِّلال الثَّلاثة حيث تتدفَّق مياه (النَّهر الأسود) في (الخليج الأسود) إلَّا قرية صيدٍ متواضعة، ولا غرو أن طُرقًا قليلة ذات أهميَّة تبدأ أو تنتهي عند قُرى الصَّيد. تنامَت المدينة باطِّرادٍ خلال الاثنتين وستِّين سنةً منذ فتح إجون، ومعها نما قليل من الطُّرق غير الممهَّدة، طُرق ضيِّقة مغبَّرة مضَت بمحاذاة السَّاحل حتى (ستوكوورث) و(روزبي) و(وادي الغسق)، أو قطعَت التِّلال حتى (بِركة العذارى)، لكن بخلاف ذلك لم يُوجَد شيء، لا طُرق تربط مُستقرَّ الملك بقلاع البلاد ومُدنها العظيمة. كانت (كينجز لاندنج) ميناءً، لذا فالوصول إليها بحرًا أسهلُ بكثيرٍ من البرِّ.

من هناك بدأ جهيرس. كانت الغابة جنوب النَّهر قديمةً وكثيفةً، ملائمةً للصَّيد ورديئةً للسَّفر، فأمرَ جلالته بشقِّ طريقٍ من خلالها ليربط (كينجز لاندنج) بـ(ستورمز إند)، على أن يمتدَّ الطَّريق نفسه إلى شمال المدينة من (النَّهر الأسود) حتى (الثَّالوث) وما بعده مستقيمًا بمحاذاة (الفرع الأخضر) ومخترِقًا (العُنق)، ثم عبر البراري عديمة السُّبل شمالًا إلى (وينترفل) وحتى (الجِدار). (طريق الملوك) هو الاسم الذي أطلقَه عليه العامَّة، وكان أطول طُرق جهيرس وأعلاها كُلفةً، أوَّل ما بدأ وأوَّل ما أكملَ.

تبعَته طُرق أخرى: (الطَّريق الوردي)، و(طريق المحيط)، و(طريق النَّهر)، و(طريق الذَّهب). كان بعضها موجودًا قبل قرونٍ في هيئةٍ أكثر بدائيَّة، لكن جهيرس أعادَ إنشاءها بصورةٍ جعلتها غير قابلةٍ للتَّمييز، فردمَ حُفرها وفرشَها بالحصباء وبنى جسورًا فوق الجداول، فيما أنشأ رجاله طُرقًا أخرى. لم تكُن تكلفة كلِّ ذلك بسيطةً بالطَّبع، لكن المملكة كانت مزدهرةً، ومارتن تايرل أمينُ نقد الملك الجديد -بمساعدة ودعم

زوجته الماهرة «عدَّادة التُّفاح»- أثبتَ تمتُّعه بكفاءةٍ دانَت سيِّد الهواء. ميلًا بعد ميلٍ وفرسخًا تلو الآخَر نمَت الطُّرق، وستستمرُّ في النُّموِّ عقودًا. «لقد ربطَ بعض البلاد ببعضٍ وجعلَ (الممالِك السَّبع) مملكةً واحدةً». هكذا ينصُّ المكتوب على قاعدة النُّصب التَّذكاري للملك العجوز القائم في (القلعة) بـ(البلدة القديمة).

ربما سُرَّ (السَّبعة) بعمله كذلك، إذ استمرُّوا في الإنعام على چهيرس وأليسين بالأطفال. في عام 63 بعد الفتح احتفلَ الملك والملكة بميلاد ڤيجون، ثالث أبنائهما وسابع أولادهما، وبعد عامٍ أتَت ابنةٌ أخرى هي دِايلا، وبعدها بثلاثة أعوامٍ أتَت الأميرة سِايرا إلى عالمِنا محمرَّة الوجه صارخةً. أميرةٌ أخرى وُلِدَت في عام 71 بعد الفتح، عندما وضعَت الملكة عاشر أولادها وسادسة بناتها، الجميلة ڤسيرا. رغم ميلادهم خلال عقدٍ واحدٍ من الزَّمان، كان من الصَّعب تصوُّر وجود أربعة إخوةٍ يختلف بعضهم عن بعضٍ كما اختلفَ أولاد چهيرس وأليسين الأصغر سنًّا.

كان الاختلاف بين الأمير ڤيجون وإخوته الكبار كاختلاف النَّهار واللَّيل. لم يكن قويًّا قَطُّ، بل صبيٌّ هادئ حذر العينيْن، ووجدَه الأطفال الآخَرون، وحتى بعض لوردات البلاط، نكِدًا. لم يكن جبانًا، لكنه لم يجد مسرَّةً في لعب المرافِقين والخدم الخشن أو بطولات فُرسان أبيه، وفضَّل المكتبة على السَّاحة، وعادةً ما وجدوه يقرأ هناك.

كانت الأميرة دِايلا، ثاني أكبرهم، رقيقةً خجولًا، تَسهُل إخافتها وسريعة البُكاء، ولم تنطق أولى كلماتها إلَّا حين قاربَت عامها الثَّاني... وحتى بعد ذلك كان لسانها معقودًا أغلب الوقت. أصبحَت أختها مِايجل نجمتَها الهادية، وعبدَت الفتاة أُمَّها الملكة، وإن بدا أن أختها أليسا تُخيفها، وكان وجهها يتورَّد خجلًا وتَستُره في حضرة الصِّبية الأكبر

سنًّا.

وكانت الأميرة سِايرا، الأصغر بثلاثة أعوام، ابتلاءً من البداية، صاخبةً لحوحًا غير مطيعة. أوَّل كلمةٍ نطقَتها كانت «لا»، وكثيرًا ما ردَّدتها وبصوتٍ عالٍ، ورفضَت الفِطام حتى تخطَّت عامها الرَّابع، وحتى وهي تجري في أنحاء القلعة متكلِّمةً أكثر من شقيقيْها ڤيجون ودِايلا مجتمعيْن أرادَت لبن أمِّها، وهاجَت وماجَت كلَّما صرفَت الملكة مُرضعةً أخرى. ذات ليلةٍ همسَت أليسين للملك: «ليحفظنا (السَّبعة)، عندما أنظرُ إليها أرى إيريا». عنيدةً شرسةً، تغذَّت سِايرا تارجارين على الاهتمام بها وعبسَت حين لم تتلقَّه.

أمَّا أصغر الأربعة، الأميرة ڤسيرا، فكانت ذات إرادةٍ فريدة أيضًا، وإن لم تصرُخ قَطُّ وبالطَّبع لم تبكِ. «لئيمة» كانت إحدى الكلمات التي وُصِفَت بها، و«مختالة» كلمة أخرى. كانت ڤسيرا حسناء، وهو ما اتَّفق عليه الكلُّ، مباركةً بعينيْن أرجوانيَّتيْن عميقتيْن، وشعرٍ ذهبي فضِّي علامة عِرق تارجاريَن النَّقي، وبشرةٍ بيضاء لا تشوبها شائبة، وملامح متناسقة، ورشاقةٍ كانت إلى حدٍّ ما مريبةً ومقلقةً في واحدةٍ صغيرة السِّن مثلها. حين قال لها مُرافق متلعثم إنها إلهة، وافقَته ڤسيرا ببساطة.

سنعود في الوقت المناسب إلى هؤلاء الأُمراء الصِّغار الأربعة، والأهوال التي جلبوها على أبيهم وأمِّهم، لكن دعونا في الوقت الرَّاهن نخطو إلى الوراء إلى عام 68 بعد الفتح، بعد فترةٍ وجيزة من مولد الأميرة سِايرا، عندما أعلنَ الملك والملكة خطبة ابنهما البِكر إيمون أمير (دراجونستون) وچوسلين باراثيون ابنة (ستورمز إند). بعد موت الأميرة دنيرس المؤسف طُرِحَت فكرة ما عن وجوب زواج إيمون بالأميرة أليسا أكبر أخواته المتبقِّيات، لكن الملكة أليسين رفضَت تلك الفكرة رفضًا قاطعًا،

وأعلنَت: «أليسا لبِايلون. إنها تتبعه منذ تعلَّمت المشي. إنهما مقرَّبان كما كنا أنا وأنت في سنِّهما».

بعدها بعامين، في عام 70 بعد الفتح، عُقِدَ قران إيمون وچوسلين في حفلٍ نافسَ الزِّفاف الذَّهبي في فخامته. كانت الليدي چوسلين في سنِّ السَّادسة عشرة من أجمل جميلات المملكة، ذات ساقين طويلتين ونهدين عامرين وشعرٍ كثيف مسترسل حتى خصرها وأسود كأجنحة الغِدفان، وكان الأمير إيمون أصغر منها بعامٍ في سنِّ الخامسة عشر، وإن اتَّفق الجميع على أنهما بدوَا زوجيْن بهيَّيْن. لولا أن طولها قلَّ عن الأقدام الستَّة ببوصةٍ واحدة لكانت چوسلين أطول قامةً من معظم لوردات (وستروس)، لكن أمير (دراجونستون) فاقها طولًا بثلاث بوصات. «أمامنا يقفُ مستقبل المملكة». قالها السير جايلز موريجن حين رأى الاثنين يقفان جنبًا إلى جنب، الليدي فاحمة الشَّعر والأمير الشَّاحب.

في عام 72 بعد الفتح أُقيمَت دورة مباريات في (وادي الغسق) على شرف زواج اللورد داركلين الشَّاب بابنةٍ لثيمور ماندرلي، حضرَها كلا الأميريْن الشَّابيَّن برفقة أختهما أليسا، وتنافَسا في التحام المرافِقين. خرجَ الأمير إيمون منتصرًا، واعتمدَ جزء من انتصاره على انهياله بالضَّربات على أخيه حتى استسلمَ، وبعدها تميَّز في مضمار النِّزال أيضًا، وكوفِئَ بتنصيبه فارسًا اعترافًا بمهارته. كان في السَّابعة عشرة من عُمره آنذاك. بعد تحقيقه الفروسيَّة لم يُضيِّع الأمير وقتًا وأصبحَ من راكِبي التَّنانين أيضًا، وعرج إلى السَّماء لأوَّل مرَّةٍ بعد عودته إلى (كينجز لاندنج) بوقتٍ قصير. كان تنِّينه كاراكسس الأحمر كالدَّم، أشرس تنانين الجُبِّ اليافعة جميعًا، الذي أطلقَ عليه خفر التَّنانين -العارفين بساكني الجُبِّ أفضل من غيرهم- لقب دودة الدَّم.

في مكانٍ آخَر من المملكة كان عام 72 بعد الفتح علامةً على نهاية حِقبةٍ في الشَّمال بموت ألارِك ستارك سيِّد (وينترفل). كان ابناه القويَّان اللذان تفاخرَ بهما فيما سبقَ قد ماتا قبله، فوقعَ الدَّور على حفيده إدريك ليخلفه.

حيثما ذهبَ الأمير إيمون وأيًّا كان ما فعله، لم يتخلَّف عنه الأمير بِايلون، كما علَّق ظُرفاء البلاط في أحيانٍ كثيرة. تبيَّنت صحَّة كلامهم في عام 73 بعد الفتح عندما فازَ إيمون بفروسيَّته في عامه السَّابع عشر، فكان على بِايلون أن يفعل المِثل في السَّادسة عشرة، إذ سافرَ عبر (المرعى) إلى (السِّنديانة القديمة)، حيث كان اللورد أوكهارت يحتفل بميلاد ابنه بسبعة أيامٍ من النِّزالات. شاركَ الأمير الصَّغير باعتباره فارسًا غامضًا، مسمِّيًا نفسه المهرّج الفضِّي، وتمكَّن من إسقاط اللورد روان والسير آلِن آشفورد وكلا التَّوأمين فوسواي ووريث اللورد أوكهارت السير دينس، قبل أن يُسقِطه السير ريكارد ردواين، وبعدما ساعدَه على النُّهوض، نزعَ السير ريكارد عنه قناعه وطلبَ منه الرُّكوع ونصَّبه فارسًا في موضعه.مكتبة .. سُر مَن قرأ

مكثَ الأمير بِايلون فقط حتى يُشارِك في المأدُبة التي أقيمَت مساءَ ذلك اليوم، ثمَّ هرولَ عائدًا إلى (كينجز لاندنج) ليختم مسعاه ويُصبِح راكب تنِّين. لم يكن بِايلون بالشَّخص الذي يبقى تحت ظلِّ أحد، وكان قد اختارَ التنِّينة التي رغبَ في امتطائها قبل ذلك بوقتٍ طويل، والآن حصلَ عليها. لم يمتطِها أحد منذ ماتَت الملكة الأرملة ڤيزينيا قبل تسعةٍ وعشرين عامًا، وقد بسطَت التنِّينة العظيمة ڤاجهار جناحيها وهدرَت وأطلقَت نفسها من جديدٍ نحو السَّماء حاملةً أمير الرَّبيع فوق (الخليج الأسود) إلى (دراجونستون) ليُفاجئ أخاه إيمون وكاراكسس.

في عام 73 بعد الفتح، عندما أُعلِنَ التحاق ابنتها مِايجل بالعقيدة متدرِّبةً، علَّقت الملكة أليسين: «كانت (الأُم في الأعالي) رفيقةً بي إذ أنعمَت عليَّ بهذا العدد من الأطفال، جميعهم آية في الذَّكاء والجمال، لذا فمن اللَّائق أن أردَّ الجميل بإحداهم». كانت الأميرة مِايجل في العاشرة من العمر، ومتشوِّقةً إلى ترديد النُّذور، وكانت بنتًا هادئة مجتهدةً في الدِّراسة، وقيلَ إنها اعتادَت القراءة من (النَّجمة السُّباعيَّة) كلَّ ليلةٍ قبل نومها.

بالكاد كانت إحدى أولاد (القلعة الحمراء) قد غادرَت حتى وصلَ آخَر، إذ بدا أن (الأُم في الأعالي) لم تكن قد كفَّت بعدُ عن الإنعام على أليسين تارجارِيَن، ففي عام 73 بعد الفتح أنجبَت طفلها الحادي عشر، ابنًا أسمَته جيمون تكريمًا لجيمون المجيد، أعظم لوردات آل تارجارِيَن الذين حكموا (دراجونستون) قبل الفتح. لكن هذه المرَّة جاءَ الطِّفل مبكِّرًا بعد مخاضٍ طويل عصيب أنهكَ الملكة وجعلَ مِايستراتها يخشون على حياتها. كان جيمون هزيلًا أيضًا، بالكاد بنصف حجم أخيه ڤيجون عند مولده قبل عشر سنوات. تعافَت الملكة في النِّهاية، لكن يُؤسِفنا أن نقول إن الطِّفل لم يفعل، إذ ماتَ بعد بضعة أيامٍ من بدء العام الجديد دون بلوغه ثلاثة أقمار.

وكما سبقَ، كان وقع فقدانها طفلًا ثقيلًا على الملكة، متسائلةً إن كانت وفاة الأمير جيمون بسبب خطأ ما ارتكبَته، لكن السِّبتة لايرا، كاتمة أسرارها منذ أيامها في (دراجونستون)، أكَّدت لها أن اللَّوم ليس عليها، وقالت: «الأمير الصَّغير برفقة (الأُم في الأعالي) الآن، وستعتني به عنايةً أفضل مما كنا سنفعل أبدًا، هنا في هذا العالم المليء بالألم والنِّزاع».

لم تكن تلك البليَّة الوحيدة الذي عاناها آل تارجارِيَن في عام 73

بعد الفتح، إذ يُذكَر أنه العام الذي ماتَت فيه الملكة رِاينا في (هارنهال).

قُرب نهاية العام خرجَت حقيقة مُخزية إلى النُّور لتصدم كلًّا من البلاط والمدينة، إذ اكتُشِفَ أن السير لوكامور سترونج فارس الحرس الملكي الودود المحبوب لدى العوام كان متزوِّجًا سرًّا على الرَّغم من العهود التي قطعَها على نفسه بصفته حارسًا ملكيًّا، والأدهى أنه لم يقترن بواحدةٍ فقط بل بثلاث زوجاتٍ جهلَت كلٌّ منهن أمرَ الأخريَيْن، وأنجبَ من ثلاثتهن ما لم يقلَّ عن ستَّة عشر طفلًا.

في (جُحر البراغيث) وبطول (شارع الحرير)، حيث يُمارِس القوَّادون وعاهراتهم تجارتهم، تلذَّذ الرِّجال والنِّساء وضيعو المولد والخُلُق تلذُّذًا آثمًا بسقوط الفارس الممرَّغ بالزُّيوت، وألقوا دُعاباتٍ بذيئةً عن «السير لوكامور الشَّهواني»، لكن ضحكًا لم يُسمَع في (القلعة الحمراء). كان چهيرس وأليسين مولعيْن بلوكامور سترونج على وجهٍ خاص، وأصابَتهما صدمة عنيفة حين علما أنه استغفلَهما.

وغضبَ إخوته في الحرس الملكي غضبًا أشدَّ. كان السير ريام ردواين مَن اكتشفَ انتهاكات السير لوكامور وأبلغَ بها حضرة قائد الحرس الملكي، الذي أبلغَ الملك بدوره. نيابةً عن إخوته المحلَّفين، أعلنَ السير جايلز موريچن أن سترونج دنَّس كلَّ ما يُمثِّلونه، وطلبَ أن يُعدَم.

عندما جرُّوه أمام العرش الحديدي خرَّ السير لوكامور على رُكبتيه وأقرَّ بذنبه وتوسَّل رحمة الملك، وربما كان چهيرس ليمنحه إياها، لكن الفارس الضَّال ارتكبَ خطأً جسيمًا بإلحاقِ عبارة «من أجل زوجاتي وأبنائي» بتوسُّله، وكما علَّق السِّپتون بارث، كان هذا مساويًا لإلقاء جرائمه في وجهِ الملك.

ردَّ چهيرس: «عندما ثرتُ ضدَّ عمِّي ميجور تخلَّى عنه اثنان من حرسه الملكي ليُقاتِلا في صفِّي. واردٌ أنهما اعتقَدا أني سأسمحُ لهما بالاحتفاظ بمعطفيْهما الأبيضيْن حالما أنتصرُ، بل وقد أكرِّمهما باللورديَّة ومرتبةٍ أعلى في البلاط، لكنني أرسلتُهما إلى (الجِدار) بدلًا من ذلك. لم أُرِد ناكثي عهدٍ بجواري، وقتها أو الآن. أيها السير لوكامور، لقد حلفتَ يمينًا مقدَّسةً أمام الآلهة والبشر أن تحميني وأهلي بحياتِك، وأن تُطيعني، وتُقاتِل في سبيلي، وتموتَ في سبيلي إن دعَت الحاجة. وحلفتَ كذلك ألَّا تتَّخذ لنفسك زوجةً أو تكون لك ذُريَّة، وأن تبقى عفيفًا. إذا كان باستطاعتك أن تحنث بنذرك الثَّاني بهذه السُّهولة، فلِمَ عليَّ أن أصدِّق أنك ستفي بالأوَّل؟».

تكلَّمت الملكة أليسين قائلةً: «لقد جعلتَ من نذورك بصفتك فارسًا في الحرس الملكي أُضحوكةً، لكن تلك ليست النُّذور الوحيدة التي حنثتَ بها. لقد دنَّست نذور زواجك أيضًا، ليس مرَّةً بل ثلاثًا. ولا واحدة من هؤلاء النِّسوة زوجات شرعيَّات، لذا فهؤلاء الأطفال الذين أراهُم وراءك نغول من أوَّلهم إلى آخِرهم. إنهم أبرياء حقًّا من هذا أيها الفارِس، وزوجاتُك كانت تجهل واحدتهن وجود الأخرى حسب ما قيلَ لي، لكن بالتَّأكيد كانت كلٌّ منهن تعرف أنك سيف أبيض، فارس في الحرس الملكي، وفي هذا يُشارِكنك ذنبك، وكذا السِّپتون السِّكير الذي وجدته ليزوِّجك. قد يُجاز لهم شيء من الرَّحمة، أمَّا أنت... لن أسمح بتركك بجانب مولاي أيُّها الفارس».

لم يتبقَّ ما يُقال، وفيما نحبَت أو شتمَت أو وقفَت بصمتٍ زوجات الفارس الكاذب وأولاده، أمرَ چهيرس بإخصاء السير لوكامور فورًا، ثم تقييده بالأغلال وإرساله إلى (الجِدار)، وحذَّره جلالته: «سيطلُب حرس

اللَّيل منك نذورًا أيضًا. احرص على الحفاظ عليها وإلَّا كان رأسك هو ما ستخسره المرَّة التَّالية».

تركَ چهيرس لملِكته التَّعامُل مع الأُسر الثَّلاث. قضَت أليسين أن لأبناء السير لوكامور أن ينضمُّوا إلى أبيهم على (الجِدار) إذا رغبوا، فاختارَ أكبر اثنين منهم ذلك، أمَّا الفتيات فسيُقبَلن متدرِّباتٍ لدى العقيدة إن كانت تلك رغبتهن، وقد اختارَت واحدة فقط ذلك السَّبيل، فيما ظلَّ بقيَّة أولاده مع أُمَّهاتهم. عُهِدَ بأولى زوجاته وأولادها إلى مسؤوليَّة بايوين شقيق لوكامور، الذي رُقِّيَ ليصبح سيِّد (هارنهال) قبل نصف عام، وذهبَت ثانية زوجاته وذُرِّيَّتها إلى (دريفتمارك) ليرعاهم ديمون ڤيلاريون سيِّد المدِّ والجزر، فيما أُرسِلَت الزَّوجة الثَّالثة، التي كان أبناؤها الأصغر سنًّا (وأحدهم لم يزَل رضيعًا)، جنوبًا إلى (ستورمز إند)، حيث تكفَّل جارون باراثيون واللورد بورمند الشَّاب بتربيتهم. قضَت الملكة أيضًا ألَّا يُطلِق أيٌّ منهم على نفسه اسم سترونج ثانيةً أبدًا، وأن يحملوا منذ ذلك اليوم فصاعدًا أسماء النُّغول ريڤرز وووترز وستورم. «يمُكنكم أن تشكُروا أباكم على تلك الهديَّة، ذلك الفارس الزَّائف».

لم يكُن العار الذي جلبَه السير لوكامور الشَّهواني على الحرس الملكي والتَّاج المعضلة الوحيدة التي واجهَها چهيرس وأليسين في عام 73 بعد الفتح. دعونا نتوقَّف برهةً ونحلِّل المسألة المحيِّرة لسابع أولادهما وثامنتهم، الأمير ڤيجون والأميرة دِايلا.

افتخرَت الملكة أليسين فخرًا عظيمًا بترتيب الزِّيجات، وقد رتَّبت مئات الزيجات المثمرة بين لورداتٍ وليديهاتٍ من أقصى المملكة إلى أقصاها، لكنها لم تُواجِه صعوبةً كالتي واجهَتها في بحثها عن شُركاءٍ لأولادها الأربعة الأصغر. سوف يُعذِّبها هذا الكفاح أعوامًا، ولن يضع نهايةً

للخلافات بينها وبين أولادها (بناتها على وجه الخصوص)، ويُسبِّب بينها وبين الملك الفُرقة، وفي النِّهاية يجلب عليها حُزنًا وألما بالغيْن لدرجة أن جلالتها تأمَّلت لفترةٍ فكرة التَّنصُّل من زواجها وقضاء باقي حياتها مع الأخوات الصَّامتات.

بدأت الإحباطات بڤيجون ودِايلا. لأن عامًا واحدًا فصلَ بين مولديْهما، بدا الأمير والأميرة متوافقيْن جدًّا في طفولتهما، وافترضَ الملك والملكة أنهما سيتزوَّجان في النِّهاية. أصبح أخواهما الأكبر بِايلون وأليسا لا ينفصلان، وخُطِّطَ بالفعل لتزويجهما، فلِمَ لا يتزوَّج ڤيجون ودِايلا أيضًا؟ عندما كان الأمير في الخامسة قال له الملك چهيرس: «كُن لطيفًا مع أختِك الصَّغيرة، فيومًا ما ستكون لك بمثابة أليسين لي».

لكن إذ كبرَ الطِّفلان صارَ جليًّا أنهما غير متوائميْن لتلك الدَّرجة المثاليَّة. لم يكن بينهما دفء، وقد رأت الملكة ذلك بوضوح. تقبَّل ڤيجون حضور أخته، لكنه لم يسع له قَطُّ، وبدَت دِايلا خائفةً من أخيها النَّكِد محبِّ الكُتب الذي آثرَ القراءة على اللَّعب، وعدَّ الأمير الأميرة غبيَّةً وعدَّته وقحًا. عندما نبَّهته أليسين إلى المشكلة قال چهيرس: «إنهما طفلان. سيروق أحدهما الآخَر مع الوقت»، لكنهما لم يفعلا قَطُّ، بل وتزايدَ نفورهما المتبادَل.

بلغَ الأمر ذروته في عام 73 بعد الفتح. كان الأمير ڤيجون في العاشرة والأميرة دِايلا في التاسعة عندما سألَتهما إحدى وصيفات الملكة -وكانت جديدةً في (القلعة الحمراء)- مازحةً عن موعد زواجهما. ردَّ ڤيجون كأنما صُفِعَ، وأمام نصف البلاط قال الصَّبي: «لن أتزوَّجها أبدًا. إنها تستطيع القراءة بالكاد. ينبغي أن تجد لوردًا ما بحاجةٍ إلى أولادٍ أغبياء، لأنه النَّوع الوحيد الذي سيُنجِبه منها».

وكما لنا أن نتوقَّع، انفجرَت الأميرة دِايلا باكيةً وفرَّت من القاعة، وهرعَت أمُّها الملكة في أعقابها. وقعَ على أختها أليسا، الأكبر من ڤيجون في عامها الثَّالث عشر، أن تسكُب إبريقًا من النَّبيذ فوق رأسه، لكن حتى ذلك لم يجعل الأمير يتأسَّف. «إنكِ تُهدرين نبيذًا من (الكرمة)». كان هذا كلَّ ما قاله قبل أن يُغادِر القاعة ليُغيِّر ملابسه.

قرَّر الملك والملكة بوضوحٍ تام بعد ما حدثَ أنه يجب العثور على عروسٍ أخرى لڤيجون، ولفترةٍ قصيرة وضعا بنتيْهما الأصغر سنًّا في الاعتبار. في عام 73 بعد الفتح كانت الأميرة سِايرا في السَّادسة، والأميرة ڤسيرا في الثَّانية فقط. أخبرَت أليسين الملك: «ڤيجون لم ينظر إلى أيٍّ منهما أكثر من مرَّة. لستُ واثقةً بأنه يعي وجودهما. ربما إذا كتبَ أحد المِايسترات عنهما في كتاب ما...».

مازحَها الملك بقوله: «سأخبرُ المِايستر الأكبر إليسار بأن يشرع في ذلك غدًا»، ثمَّ قال: «الصَّبي في العاشرة فقط. إنه لا يرى الفتيات، وهُن لا يرينه، لكن ذلك سيتغيَّر قريبًا. إنه وسيمٌ بما يكفي، وأميرٌ لـ(وستروس)، والثَّالث في تسلسُل وراثة العرش الحديدي. بعد بضع سنواتٍ ستُرفرِف الحسناوات حوله كالفراشات ويتورَّدن خجلًا إن منَّ عليهن بالنَّظر في اتِّجاههن».

لم تقتنِع الملكة بكلامه. ربما كانت «وسيم» كلمةَ مبالغةٍ في حقِّ الأمير ڤيجون، الذي تمتَّع بشعر آل تارجاريَن الذَّهبي الفضِّي وأعيُنهم الأرجوانيَّة، لكن وجهه كان طويلًا وكتفاه مستديرتيْن حتى في سنِّ العاشرة، مع التواءٍ في فمه جعلَ النَّاس يظنُّون أنه كان يمتصُّ ليمونةً. بصفتها أمِّه، ربما كانت جلالتها غافلةً عن تلك العُيوب، ولكن ليس عن طباعه. «أخشى على أيِّ فراشةٍ تُرفرِف حول ڤيجون. غالبًا

سيسحقها بكتاب ما».

قال چهيرس: «إنه يقضي أوقاتًا طويلةً جدًّا في المكتبة. دعيني أكلِّمُ بِايلون. سنُخرِجه إلى السَّاحة ونضع سيفًا في يده وتُرسًا على ذراعه. سيُقوِّمه ذلك».

يُخبِرني المِايستر الأكبر إليسار أن جلالته كلَّم الأمير بالفعل، وقامَ بِايلون بواجبِه وأخذَ أخاه تحت جناحِه وساقَه إلى السَّاحة ليضع سيفًا في يده وتُرسًا على ذراعِه، لكن ذلك لم يُقوِّمه، وكرهَه ڤيجون. كان مقاتلًا بائسًا، وموهوبًا في جعلِ مَن حوله بؤساء أيضًا، حتى بِايلون الشُّجاع.

صبرَ عليه بِايلون عامًا بإصرارٍ من الملك، وقال الأمير الشَّاب معترفًا: «كلما تدرَّب أكثر ازدادَ سوءًا». وذات يوم، ربما في محاولةٍ لحثِّ ڤيجون على بذلِ جهدٍ أكبر، جلبَ أختهما أليسا إلى السَّاحة متألِّقةً في قميص حلقاتٍ معدنيَّة كما الرِّجال. لم تنسَ الأميرة حادثة نبيذ (الكرمة)، وبضحكٍ وصياحٍ ساخر رقصَت حولَ أخيها الصَّغير وأذلَّته نصفمِئة مرَّةٍ فيما شاهدَت الأميرة دِايلا من نافذةٍ بالأعلى. بعارٍ فاقَ قُدرته على الاحتمال، ألقى ڤيجون سيفه وركضَ من السَّاحة ولم يعُد إليها قطُّ.

سنعود إلى الأمير ڤيجون وأخته دِايلا في الوقت المناسب، لكن دعنا نلتفت الآن إلى حدثٍ بهيج. في عام 74 بعد الفتح أنعمَت الآلهة على الملك چهيرس والملكة أليسين من جديدٍ عندما أنجبَت الليدي چوسلين زوجة الأمير إيمون أوَّل حفيدٍ لهما، الأميرة ريينس التي وُلِدَت في اليوم السَّابع من سابع قمرٍ من ذلك العام، الشَّيء الذي اعتبرَه السِّپتونات فأل خيرٍ عظيمًا. كبيرة الحجم وشرسةً، تمتَّعت الأميرة بشعرِ آل باراثيون الأسود الذي ورثَته عن أمِّها وعينيْن بلون البنفسج الشَّاحب ورثَتهما عن أبيها سليل آل تارجاريَن. لكونها أوَّل أولاد أمير (دراجونستون)

فقد هلَّل لها كثيرون باعتبارها التَّالية في حقِّ وراثة العرش الحديدي بعد أبيها، وحين حملَتها الملكة أليسين بين ذراعيها للمرَّة الأولى سُمِعَت تدعو الرَّضيعة بـ«ملكتنا المستقبليَّة».

في الزَّواج، مثل كل شيءٍ آخَر، لم يتأخَّر بايلون الشُّجاع عن أخيه إيمون، ففي عام 75 بعد الفتح كانت (القلعة الحمراء) مسرحًا لزفافٍ مهيبٍ آخَر، حين تزوَّج أمير الرَّبيع بأكبر شقيقاته، الأميرة أليسا. كانت العروس في الخامسة عشرة، والعريس في الثامنة عشرة. على عكس والديهما، لم ينتظرا حتى يُتِمَّا الزِّيجة، وكان الإضْجاع الذي تلا مأدبة الزِّفاف مصدرًا للعديد من الدُّعابات البذيئة في الأيام التَّالية، إذ كانت تأوُّهات العروس المنتشية مسموعةً من هناك حتى (وادي الغسق)، كما قال النَّاس. ربما كانت فتاةٌ أخرى لتخجل من هذا الكلام، ولكن لطالما كانت أليسا تارجارين فتاةً بذيئة اللِّسان كأيِّ ساقية بحانةٍ في (كينجز لاندنج)، وطابَ لها هي نفسها أن تتفاخَر، إذ أعلنَت في الصَّباح التَّالي لإضْجاعها: «ركبتُه وأخذتُه في جولة، وأنوي أن أكرِّر ذلك اللَّيلة، فأنا أحبُّ الرُّكوب».

ولم يكن أميرها الشُّجاع مطيَّة الأميرة الوحيدة في ذلك العام. كأخويْها من قبلها، أرادَت أليسا تارجارين أن تُصبِح راكبة تنِّين، وعاجلًا قبل آجلًا. كان إيمون قد حلَّق في السَّابعة عشرة، وبايلون في السَّادسة عشرة، وعزمَت أليسا على فِعل ذلك في الخامسة عشرة. طِبقًا للحكايات التي دوَّنها خفر التَّنانين، فقد فعلوا كلَّ ما بوسعهم في محاولة إقناعها بالعدول عن رغبتها في امتطاء بالريون، وأخبَروها: «إنه عجوزٌ وبطيءٌ أيتها الأميرة. مؤكَّد أنكِ ترغبين في تنِّينٍ أسرع». في النِّهاية نجَحوا في إقناعها، وعرجَت أليسا إلى السَّماء على ظهرِ ميليس، وهي تنِّينة قرمزيَّة مذهِلة

لم تُمتطَ من قبل قَطُّ، فتباهَت الأميرة ضاحكةً: «عذراويْن حمراويْن كنا نحن الاثنتان، ولكن ها قد امتُطِينا».

نادرًا ما ابتعدَت الأميرة عن (جُب التَّنانين) بعد ذلك اليوم. اعتادَت أن تقول إن التَّحليق ثاني أجمل شيءٍ في العالَم عندها، أمَّا الشَّيء الأجمل فلا تستطيع ذِكره في حضرة الليديهات. خفر التَّنانين لم يكذبوا، فميليس كانت من أسرع التَّنانين التي شهدَتها (وستروس) على الإطلاق، وبسهولةٍ سبقَت كاراكسس وڤاجهار حينما حلَّقت هي وأخواها معًا.

في تلك الأثناء ظلَّت معضلة أخيهم ڤيجون تُقلِق بال الملكة. لم يكن الملك مخطئًا تمامًا بشأنِ الفراشات، فبمرور السَّنوات ونضوج ڤيجون بدأت سيِّدات البلاط الصَّغيرات يمنحنه شيئًا من الاهتمام. كانت السِّنُّ، وبعض الحوارات غير المريحة مع والده وأخويه، قد علَّمت الأمير أُسس اللَّباقة، ولم يسحَق أيًّا من الفتيات، وهو ما أراحَ الملكة، لكنه لم يُبالِ بأيٍّ منهن كذلك، وبقيَت الكُتب شغفه الوحيد: التَّاريخ والخرائط، والرِّياضيَّات واللُّغات. لم يكُن المايستر الأكبر إليسار عبدًا للتَّهذيب قَطُّ، فاعترفَ بأنه أعطى الأمير مجلَّدًا يحوي رسومًا مثيرةً، ظانًّا ربما أن صُور الفتيات العرايا اللاتي يُطارِحن الرِّجال والحيوانات وبعضهن بعضًا الغرام قد تُثير اهتمام ڤيجون بمفاتن النِّساء. احتفظَ الأمير بالكتاب، لكن سلوكه لم يتغيَّر.

في يوم ميلاد الأمير ڤيجون الخامس عشر في عام 78 بعد الفتح، قبل عامٍ واحد من بلوغه مبلغ الرِّجال، اقترحَ چهيرس وأليسين الحلَّ الجليَّ لمشكلته على المايستر الأكبر: «أتظنُّ أن ڤيجون قد يملك المقوِّمات الكافية لجعله يَصلُح مِايسترًا؟».

أجابَهما إليسار بصراحة: «لا. هل تتصوَّرانه يُعلِّم أولاد أحد اللوردات

القراءة والكتابة وحلِّ المسائل الحسابيَّة البسيطة؟ هل يحتفظ في غُرفته بغُدافٍ أو أيِّ نوعٍ من الطُّيور؟ هل تتخيَّلانه يبتر ساق رجلٍ مسحوقةً أو يُولِّد امرأةً؟ كلُّ هذه الأشياء وظيفة المِايسترات». سكتَ المِايستر الأكبر لحظةً ثم تابعَ: «ڤيجون ليس مِايسترًا... ولكن لعلَّه يملك مقوِّماتٍ تجعله مِايسترًا رئيسًا. (القلعة) أكبر مخزونٍ من المعرفة في العالم المعروف. أرسِلاه إلى هناك، فقد يجد نفسه في المكتبة. إمَّا ذلك وإمَّا سينغمس في الكُتب تمامًا ولن تعودا بحاجةٍ إلى شغل بالكما به مرَّةً أخرى».

أصابَت كلماته كبد الصَّواب. بعد ثلاثة أيامٍ استدعى الملك چهيرس الأمير ڤيجون إلى غُرفته الشَّمسيَّة ليُعلِمه أنه سيستقلُّ سفينةً إلى (البلدة القديمة) خلال أسبوعين. قال جلالته: «ستتولَّى (القلعة) أمرك، وما ستكونُه متروكٌ لك»، وكعادته ردَّ الأمير باقتضاب: «نعم يا أبي، هذا جيِّد». بعدها أخبرَ چهيرس الملكة أنه ظنَّ أن ڤيجون كادَ يبتسِم.

أمَّا الأمير بِايلون فلم يكفَّ عن الابتسام منذ زواجه. عندما لم يكن هو وأليسا في السَّماء كانا يقضيان وقتهما كلَّه معًا، ومعظمه في غُرفتهما. كان الأمير بِايلون شابًّا شبِقًا، فصرخات النَّشوة نفسها التي تردَّدت أصداؤها عبر قاعات (القلعة الحمراء) ليلة إضْجاعهما سُمِعَت في أيامٍ أخرى عديدة على مرِّ السَّنوات التَّالية. لم يمرَّ وقتٌ طويل حتى ظهرَت النَّتيجة المرجوَّة، وانتفخَ بطن أليسا تارجاريَن بالحبل، وفي عام 77 بعد الفتح أنجَبت لأميرها الشُّجاع ابنًا سمَّياه ڤسيرس، ووصفَ السِّپتون بارث المولود بأنه «صبي ممتلئ ووسيم، يضحَك أكثر من أيِّ رضيعٍ عرفته على الإطلاق، والتقمَ ثدي مُرضعته بنهمٍ شديد حتى أصابها بالجفاف». رغم كلِّ النصائح، لفَّته أمُّه بقِماطٍ وربطَته إلى صدرها، وحلَّقت به على ظهر ميليس في سنِّ تسعة أيام، وبعدها زعمَت أن ڤسيرس ظلَّ يُقهقِه

طوال الوقت.

قد يكون حملُ طفلٍ ووضعه مصدر بهجةٍ لشابَّةٍ في السَّابعة عشرة كالأميرة أليسا، لكنهما مسألة مختلفة تمامًا لامرأةٍ في الأربعين كأمِّها الملكة أليسين، لذلك لم تكن فرحتها خالصةً فعلًا حين عرفَت جلالتها أنها حُبلى من جديد. وُلِدَ الأمير ڤاليريون في عام 77 بعد الفتح، بعد مخاضٍ آخَر مضنٍ جعلَ أليسين طريحة الفِراش لِنصف عام. وكأخيه جيمون قبل أربعِ سنوات، كان الرَّضيع صغير الحجم سقيمًا، ولم يتحسَّن قطُّ. نصف دستة من المرضعات أتى ورحلَ دون فائدة، وفي عام 78 بعد الفتح ماتَ ڤاليريون قبل أسبوعيْن من يوم ميلاده الأوَّل. تلقَّت الملكة رحيله باستسلام، إذ قالت للملك: «أبلغُ من العُمر اثنتين وأربعين سنةً. عليك أن تقنع بالأطفال الذين أنجبتُهم لك. أخشى أنه من الأنسب لي الآن أن أكون جدَّةً لا أُمًّا». لم يُشارِكها الملك چهيرس اقتناعها، وأشار للمِايستر الأكبر إليسار: «كانت والدتُنا الملكة أليسا في السَّادسة والأربعين عندما أنجَبت چوسلين. ربما لم تكتفِ الآلهة منا بعدُ».

لم يكن مخطئًا، ففي العام التَّالي مباشرةً أبلغَ المِايستر الأكبر الملكة أليسين أنها حُبلى مجدَّدًا، وهو ما فاجأها وأرهبَها. وُلِدَت الأميرة جِايل في عام 80 بعد الفتح عندما كانت الملكة في الرَّابعة والأربعين، ولُقِّبَت بـ«طفلة الشِّتاء» للفصل الذي وِلِدَت فيه (ولأن الملكة كانت في شِتاء سنوات قُدرتها على الحمل، كما قال البعض). كانت جِايل صغيرةً شاحبةً ضعيفةً، لكن المِايستر الأكبر إليسار صمَّم أنها لن تلقى مصير أخويْها جيمون وڤاليريون، وقد كان. بمساعدة السِّپتة لايرا، التي اعتنَت بالطِّفلة ليلًا ونهارًا، رعى إليسار الطِّفلة في سنتها الأولى الصَّعبة حتى

بدا أخيرًا أنها قد تنجو، وعندما بلغَت يوم ميلادها الأوَّل وهي بصحَّةٍ جيِّدة، إن لم تكن قويَّةً، شكرَت الملكة أليسين الآلهة.

كانت شاكرةً أيضًا في ذلك العام لاستطاعتها أخيرًا ترتيب زيجةٍ لثامنة أولادها، الأميرة دِايلا. مع استقرار ڤيجون وقعَ الدور عليها، لكن الأميرة البكَّاءة شكَّلت مشكلةً من نوعٍ آخَر. «زهرتي الصَّغيرة»، هكذا وصفَتها الملكة، ومثل أليسين نفسها كانت دِايلا صغيرة الحجم، يَبلُغ طولها خمسة أقدامٍ وبوصتيْن عندما تقف على أطراف أصابعها، ولها طابع طفولي جعلَ كلَّ من يُقابلها يظنُّها أصغر من سنِّها الفعليَّة. على عكس أليسين، كانت رقيقةً أيضًا، بطريقةٍ لم تكُنها أمُّها قَطُّ، إذ كانت أمُّها شُجاعةً، فيما بدَت دِايلا خائفةً دومًا. كان لديها هرٌّ أحبَّته حتى خدشَها، وبعد ذلك لم تقترِب من أيِّ قطٍّ، وأرعبَتها التَّنانين، حتى سيلڤروينج، وكان أقلُّ توبيخٍ كفيلًا بجعلها تنهار في البُكاء، وذات مرَّة، في قاعات (القلعة الحمراء)، صادفَت دِايلا أميرًا من (جُزر الصَّيف) يرتدي معطفًا من الرِّيش، وصرخَت هلعًا لمرآه لأن بشرته السَّوداء جعلَتها تحسبه شيطانًا.

على الرَّغم من قسوة كلمات أخيها ڤيجون فقد حملَت شيئًا من الصَّواب. لم تكن دِايلا ذكيَّةً، وحتى سِپتتها أقرَّت بذلك، فقد تعلَّمت القراءة على نحو ما، ولكن بصعوبةٍ ودون استيعابٍ كامِل، ولم يبدُ أنها تستطيع حفظ أبسطِ الصَّلوات، وكان صوتها عذبًا، لكنها خافَت أن تُغنِّي، ودومًا أخطأت في الكلمات، وأحبَّت الزهور، وإن أخافتها الحدائق منذ كادَت نحلة تلسعها ذات مرَّة.

يئسَ منها جهيرس أكثر من أليسين، وقال: «إنها تأبى مجرَّد الحديث إلى الصِّبيان، فكيف لها أن تتزوَّج؟ يُمكننا أن نعهد بها إلى العقيدة،

لكنها لا تعرف الصَّلوات، وسِپتتها تقول إنها تبكي عندما تُطلَب منها القراءة بصوتٍ عالٍ من (النَّجمة السُّباعيَّة)». كانت الملكة دومًا تُدافع عنها، فردَّت: «دِايلا حُلوة ورقيقة ولطيفة. إن لها قلبًا في غاية اللِّين. أمهِلني وقتًا وسأجدُ لها لوردًا يعتزُّ بها. ليس كلُّ أفراد آل تارجاريَن بحاجةٍ إلى حمل سيفٍ وركوب تنِّين».

كما كان متوقَّعًا، جذبَت دِايلا تارجاريَن أنظار العديد من اللوردات الشُّبَّان في الأعوام التي تلَت إزهارَها. كانت ابنة ملِك، وجعلَها بلوغُها أجمل، وقد عملَت أمُّها على ترتيب الأمور بكلِّ مقدرتها حتى تطرح على الأميرة اختياراتٍ مناسبةً للزَّواج.

في سنِّ الثَّالثة عشرة أُرسِلَت دِايلا إلى (دريفتمارك) للقاء كورلس ڤيلاريون حفيد سيِّد المدِّ والجزر. وقتها كان الذي سيُعرَف مُستقبلًا بثُعبان البحر أكبر منها بعشر سنوات، وبحَّارًا وقبطانًا ذائع الصِّيت. غير أن دِايلا أصيبَت بدُوار البحر عند عبورها (الخليج الأسود)، واشتكَت عند عودتها قائلةً: «إنه يحبُّ سُفنه أكثر مني». (ولم تكُن مخطئةً في هذا).

وفي الرابعة عشرة رافقَت كلًّا من دينس سوان وسيمون ستاونتون وجيرولد تمپلتون وإلارد كراين، وكانوا جميعًا مُرافِقين واعدين في سنِّها، لكن ستاونتون حاولَ جعلها تشرب النَّبيذ، وقبَّل كراين شفتيها دون إذنها ليجعلها تنهار في البُكاء، ومع نهاية العام كانت دِايلا قد قرَّرت أنها تكرههم جميعًا.

وفي الخامسة عشرة أخذَتها والدتها في رحلةٍ عبر (أراضي النَّهر) إلى (شجرة الغِدفان) -في مركبةٍ مجرورة، لأن دِايلا كانت تخاف الأحصنة- حيث استضافَ اللورد بلاكوود الملكة أليسين ببذخٍ فيما رافقَ ابنه

الأميرة. كان رويس بلاكوود طويلًا رشيقًا دمثًا بليغًا، وراميًا موهوبًا وسيَّافًا بارعًا ومغنِّيًا أيضًا، وقد أذابَ قلب دِايلا بغناء قصصٍ ألَّفها بنفسه. لوهلةٍ بدا أن خطبةً في الطَّريق، وحتى الملكة أليسين واللورد بلاكوود شرَعا في مناقشة خُطط الزِّفاف، لكن آمالها تحطَّمت عندما علمَت دِايلا أن آل بلاكوود يَعبُدون الآلهة القديمة، وسيُطلَب منها ترديد النُّذور أمام شجرة ويروود، فقالت لأمِّها بهلع: «إنهم لا يُؤمنون بالآلهة! سأذهبُ إلى الجحيم!».

كان يوم ميلادها السَّادس عشر يقترب بسرعة، ومعه بلوغُها مبلغ الآنسات، والملكة أليسين في حيرةٍ من أمرها، والملك فقدَ صبره. في أوَّل يومٍ من العام الثمانين منذ فتحِ إجون أخبرَ الملكة أنه يُريد دِايلا أن تتزوَّج قبل نهاية العام، وقال: «إذا أرادَت فبإمكاني أن أجد مئة رجلٍ وأصفَّهم أمامها عُراةً لتختار منهم من يُعجِبها. أفضِّلُ أن تتزوَّج بلورد، لكن إذا فضَّلت فارسًا متجوِّلًا أو تاجرًا أو حتى بايت فتى الخنازير، فقد تجاوزتُ مرحلة الاهتمام ما دامَت ستختارُ أحدًا».

قالت أليسين التي لم تستطرِف كلامه: «سيُرعِبها مئة رجلٍ عار».

ردَّ الملك: «ستُرعِبها مئة بطَّةٍ عارية».

فسألته الملكة: «وإذا رفضَت الزَّواج؟ مِايجل تقول إن العقيدة لن تقبل فتاةً لا تستطيع قراءة الصَّلوات».

قال جهيرس: «ما زالت عندنا الأخوات الصَّامتات. أيجب أن يَبلُغ الأمر ذلك الحدَّ؟ جِدي لها أحدًا، شخصًا رقيقًا مثلها، رجلًا عطوفًا لن يرفع عليها صوته أو يده، ويُحدِّثها بعذوبةٍ ويُخبِرها كم هي غالية ويحميها... من التَّنانين والخيول والنحل والهِرَرة والصِّبيان ذوي الدَّمامِل وأيًّا كان ما يُثير خوفها».

وعدَته الملكة أليسين قائلةً: «سأبذلُ قُصارى جهدي يا جلالة الملك».

في النِّهاية لم يتطلَّب الأمر مئة رجلٍ عارٍ أو بملابسه. أوضحَت الملكة لدِايلا أمر الملك برفقٍ ولكن بحزم، وعرضَت عليها الاختيار من ثلاثة خُطَّاب، كل منهم مُتشوّق لطلبِ يدها. لم يكن پايت فتى الخنازير منهم والحقُّ يُقال، فثلاثة الرِّجال الذين اختارَهم أليسين كانوا لورداتٍ كبارًا أو أبناء لورداتٍ كبار، وأيًّا كان الرَّجل الذي ستتزوَّجه دِايلا فستحظى بالثَّروة والمقام الرَّفيع.

كان بورمند بارائيون الأعلى مركزًا بين المرشَّحين. في سنِّ الثَّامنة والعشرين كان سيِّد (ستورمز إند) صورةً من أبيه، مفتولَ العضلات قويًّا ذا ضحكةٍ مجلجلة ولحيةٍ سوداء عظيمة ولبدةٍ من الشَّعر الأسود الكثيف. بصفته ابنًا لروجار من الملكة أليسا، كان أخًا غير شقيق لأليسين وچهيرس، وقد عرفَت دِايلا أخته چوسلين خلال سنواتها في البلاط وأحبَّتها، وهو ما عُدَّ نقطةً تصبُّ في صالحه.

وكان السير تايموند لانستر أثرى المتنافسين بصفته وريث (كاسترلي روك) وذهبها كلِّه. في عامه العشرين كان الأقرب سنًّا إلى دِايلا، واعتُبِرَ من أوسم رجال المملكة، فارعًا نحيلًا ذا شاربٍ ذهبي طويل وشعرٍ باللَّون نفسه، ودائمًا يرتدي الحرير والساتان. ستكون الأميرة آمنةً جدًّا في (كاسترلي روك)، فلا قلعة أشدُّ مناعةً منها في (وستروس) بأكملها. لكن في الكفَّة المقابلة لكفَّة ذهب آل لانستر وجمالهم وُضِعَت سُمعة السير تايموند، الذي قيلَ إنه يعشق النِّساء بإفراط، ويهوى النَّبيذ أكثر.

أمَّا آخِر الثَّلاثة، وأقلُّهم شأنًا في أعيُن كثيرين، فكان رودريك آرن سيِّد (العُش) وحافظ (الوادي). كان لوردًا منذ سنِّ العاشرة، وهو ما

صبَّ في صالحِه، وطوال العشرين سنةً السَّابقة خدمَ في المجلس الصَّغير كبيرًا للقُضاة وقيِّمًا للقوانين، وخلال تلك المدَّة أصبحَ شخصيَّةً مألوفةً في البلاط وصديقًا وفيًّا للملك والملكة. في (الوادي) كان سيِّدًا مقتدرًا، قويًّا ولكن عادلًا، ودودًا مبسوط اليدين كرمًا، ومحبوبًا من رعيَّته وحَملة رايته على حدٍّ سواء. بالإضافة إلى ذلك أبلى بلاءً حسنًا في (كينجز لاندنج)، إذ كان متعقِّلًا وواسع المعرفة وخفيف الظِّل، ولذلك عُدَّ صاحب قيمةٍ عظيمة للمجلس.

لكن اللورد آرن كان أكبر المرشَّحين سنًّا، ففي السَّادسة والثَّلاثين كان أكبر من الأميرة بعشرين سنةً، إلى جانب كونه أبًا لأربعة أولادٍ من زوجته الأولى المتوفَّاة. قصيرًا أصلع وبكرشٍ منتفخ، لم يكن آرن فتى أحلام أكثر العذراوات، وهو ما أقرَّت به الملكة أليسين، «لكنه من صنف الأزواج الذي طلبتَه، رجل رقيق عطوف، ويقول إنه أحبَّ ابنتنا الصَّغيرة لأعوام. أعلمُ أنه سيحميها».

ولدهشة كلِّ امرأةٍ في البلاط، باستثناء الملكة نفسها ربما، اختارَت الأميرة دِايلا اللورد روديك زوجًا، وقالت للملكة أليسين: «يبدو طيِّبًا وحكيمًا كأبي، وله أربعة أولاد! سأكونُ أُمَّهم الجديدة!». لم يُدوَّن رأي الملكة في تلك المفاجأة، ولا يقول سجلُّ المِايستر الأكبر إليسار عن ذلك اليوم إلَّا «فلتَحفظنا الآلهة».

لم تستمرَّ خِطبتهما طويلًا، وكما رغبَ الملك، تزوَّجت الأميرة دِايلا اللورد روديك قبل نهاية العام. أقيمَ حفل صغير في سِبت (دراجونستون)، لم يحضره إلَّا الأصدقاء المقرَّبون وأولو القُربى، فقد جعلَت كثرة الضُّيوف الأميرة في غاية الضِّيق، ولم يَحدُث إضْجاع، إذ قالت الأميرة لزوجها المستقبلي: «أوه، لن يُمكنني احتمال ذلك. سأموتُ من شِدَّة الخجل»،

وانصاعَ اللورد روديك لرغباتها. بعد ذلك أخذَ اللورد آرن أميرته إلى (العُش). «يجب أن يُقابِل أولادي أُمَّهم الجديدة، وأريدُ أن أُري دِايلا (الوادي). الحياة أبطأ هناك وأهدأ. ستحبُّ ذلك. أقسمُ لك يا جلالة الملك، ستكون آمنةً وسعيدةً».

وهكذا كانت لفترةٍ من الزَّمن. كانت كُبرى أولاد اللورد روديك الأربعة من زوجته الأولى ابنته إليس، الأكبر بثلاثة أعوامٍ من زوجة أبيها الجديدة، وقد تصادمَت الاثنتان من البداية، ورغم ذلك هامَت دِايلا حُبًّا بالأولاد الثَّلاثة الأصغر، وبدا أنهم مولعون بها بدورهم. صدقَ اللورد روديك في ما قاله، فكان زوجًا عطوفًا حنونًا لم يكلَّ قَطُّ عن تدليل وحماية عروسه التي دعاها بـ«أميرتي الغالية». تحدَّثت الرَّسائل التي أرسَلتها دِايلا إلى والدتها (معظمها كتبَته لها ابنة اللورد روديك الصُّغرى، أماندا) ببهجةٍ عن مدى سعادتها وجمال (الوادي) ومبلغ حبِّها أبناء سيِّدها اللُّطفاء وطيبة كلِّ مَن في (العُش) معها.

بلغَ الأمير إيمون يوم ميلاده السَّادس والعشرين في عام 81 بعد الفتح، وكان قد أثبتَ أنه أكثر من كُفؤ في الحرب والسِّلم. بصفته وريث العرش الحديدي المرتقَب، كان مرغوبًا أن يتولَّى دورًا أهمَّ في حُكم المملكة بانضمامه إلى مجلس الملك، وبناءً عليه عيَّن الملك جهيرس الأمير كبيرًا للقُضاة وقيِّمًا للقوانين محلَّ روديك آرن.

بينما يشرب نخب تنصيب أخيه أعلنَ الأمير بِايلون: «سأتركُ تشريع القوانين لكَ يا أخي. أفضِّلُ إنجابَ الأبناء». وهكذا فعلَ، إذ حبلَت الأميرة أليسا لاحقًا في ذلك العام بابن أمير الرَّبيع الثَّاني، الذي سُمِّيَ ديمون. حلَّقت به والدته، المتعذِّر كبح جماحها كالعادة، في السَّماء على متن ميليس بعد أسبوعيْن من مولده، كما فعلَت بأخيه ڤسيرس من

قبلُ.

لكن في (الوادي) لم تكن أختها بخيرٍ مثلها إطلاقًا، فبعد عامٍ ونصف من زواجها وصلَت إلى (القلعة الحمراء) رسالةٌ من نوعٍ آخَر يحملها غُداف. كانت مقتضبةً جدًّا، ومكتوبةً بخطِّ يد دِايلا المرتعش، وقد قالت: «أنا حُبلى. أرجوكِ تعالي يا أمَّاه. إني مذعورة».

أصابَ الذُّعر الملكة أليسين أيضًا ما إن قرأت تلك الكلِمات، وخلال أيامٍ امتطَت سيلڤروينج وحلَّقت مسرعةً إلى (الوادي)، لتهبط أوَّلًا في (بلدة النَّوارس) قبل أن تُتابع الطَّريق نحو (بوَّابات القمر)، ثمَّ إلى السَّماء صوب (العُش). كان ذلك في عام 82 بعد الفتح، ووصلَت جلالتها قبل ثلاثة أقمارٍ من موعد ولادة دِايلا المفترَض.

رغم أن الأميرة أبدَت سرورَها لقدوم أمِّها، واعتذرَت لإرسالها رسالةً «سخيفةً» كهذه، بدا خوفها جليًّا. كانت تنفجر في البكاء لأهون سبب، وأحيانًا دون سببٍ على الإطلاق، حسب اللورد رودريك. أمَّا ابنته إليس فاستنكرَت تصرُّفاتها قائلةً للملكة: «تجعلكِ تظنِّين كما لو أنها أوَّل امرأةٍ تحبل على الإطلاق»، لكن أليسين كانت قلقةً، فدِايلا رقيقة للغاية، وحملها ثقيل جدًّا، وقد كتبَت للملك: «إنها فتاة صغيرة جدًّا على هذا البطن الكبير، كنتُ لأصاب بالهلع أيضًا لو أني في مكانها».

لازمَت الملكة جانب الأميرة حتى موعد ولادتها، تجلس بجوارها وتقرأ لها ليلًا حتى تنام، وتُزيح عنها مخاوفها. قالت أليسين لابنتها نصفمئة مرَّة: «كلُّ شيءٍ سيكون على ما يُرام. ستضعين فتاةً، انتظري وسترين، بنتًا، أعرفُ هذا. كلُّ شيءٍ سيكون بخير».

كانت نصف محقَّة، فقد جاءَت إمَا آرن، ابنة اللورد رودريك والأميرة دِايلا، إلى عالمنا أبكرَ أسبوعين بعد مخاضٍ طويل مرهِق. طوال نصف اللَّيل صرخَت الأميرة: «إنه مؤلِم، إنه يُؤلِم بشدَّة»، ولكن يُقال إنها ابتسمَت حين وُضِعَت ابنتها على صدرها.

لكن كلَّ شيءٍ كان بعيدًا عمَّا يُرام، إذ أصابَت الأميرة حُمَّى الوضع بعد فترةٍ قصيرة من الولادة، ورغم أن الأميرة دِايلا أرادَت بشدَّةٍ أن تُرضِع ابنتها، فلم يكن في ثدييها لبن، وأرسلوا في طلب مُرضعة. وإذ اشتدَّت الحُمَّى قضى المِايستر ألَّا تحمل وليدتها حتى، وهو ما أبكى الأميرة، وبكَت حتى غابَت في النَّوم، لكنها انتفضَت في نومها وتلوَّت وتقلَّبت بعُنف. كانت الحُمَّى تشتدُّ عليها أكثر، وبطلوع الصَّباح كانت قد توُفِّيَت، وكانت في الثَّامنة عشرة من عُمرها.

بكى اللورد رودريك أيضًا، وتوسَّل إلى الملكة أن تسمح له بدفنِ أميرته الغالية في (الوادي)، لكن أليسين رفضَت قائلةً: «إنها من دمِ التنّين، ستُحرَق ويُودَع رمادها في (دراجونستون) بجانِب أختها دنيرس».

مزَّقت وفاة دِايلا فؤاد الملكة، لكن بنظرِنا إلى الوراء، فمن الواضح أن تلك الحادثة كانت بداية الفجوة التي ستُفتَح بينها وبين الملك. الآلهة تحملنا جميعًا في أيديها، والحياة والموت لها لتُعطيهما وتسلبهما، لكن البشر في كِبرهم يبحثون عن آخَرين يلومونهم. في حُزنها، ألقَت أليسين تارجاريَن بعض اللَّوم على نفسها وعلى اللورد آرن ومِايستر (العُش) في وفاة ابنتها.. لكنها ألقَت معظمه على چهيرس. لو لم يصرَّ على تزويج دِايلا، على اختيارها أحدًا قبل نهاية العام.. ما الضَّرر الذي كان ليقع لو بقيَت فتاةً صغيرة عامًا آخَر أو عاميْن أو حتى عشرة؟ عندما عادَت إلى (كينجز لاندنج) أخبرَت جلالته: «لم تكن كبيرةً أو قويَّةً بما يكفي

لتحمل طفلًا. لم يكن يجب مُطلقًا أن نُجبِرها على الزَّواج».

ولم يُدوَّن ردُّ الملك عليها.

يُذكَر عام 83 بعد فتح إجون بأنه عام الحرب الدورنيَّة الرَّابعة... ويُعرَف بين العوام باسميْن أكثر انتشارًا: عام جنون الأمير موريون، أو حرب الشُّموع المئة. ماتَ أمير (دورن) العجوز، وخلفَه ابنه موريون مارتل في حُكم (صنسپير)، وكان شابًّا متهوِّرًا أحمق، ضاقَ ذرعًا بجُبن أبيه في أثناء حرب اللورد روجار، عندما زحفَ فُرسان (الممالِك السَّبع) دون رقيبٍ أو حسيبٍ عبر جبال (دورن)، فيما قبعَت الجيوش الدورنيَّة في الوطن وتركَت الملك النَّسر ليُلاقي مصيره. كان الأمير عازِمًا على محو وصمة ذلك العار على الشَّرف الدورني، فخطَّط لغزو (الممالِك السَّبع).

رغم علمه أن (دورن) لا أمل لها في الانتصار على البأس الذي يستطيع العرش الحديدي حشده ضدَّه، ظنَّ الأمير موريون أنه قادر على أخذ الملك چهيرس على حين غرَّةٍ وغزو (أراضي العواصف) حتى (ستورمز إند)، أو (رأس الغضب) على أقلِّ تقدير. بدلًا من الهجوم عبر (ممر الأمير)، خطَّط أن يُغير من البحر، وسيجمع جُنده عند (تل الأشباح) و(الرَّبوة)، ويُحمِّلهم على سُفنٍ ويُبحِر بهم عبر (بحر دورن) ليفاجِئ أهل (أراضي العواصف). إذا غُلِب أو أُجبِرَ على التَّقهقُر فليكُن... وإن أقسمَ أنه قبل رحيله سيُحرِق مئة بلدةٍ ويهدم مئة قلعة، ليعلم قوم العواصف أنهم لن يستطيعوا الزَّحف عبر (الجبال الحمراء) ثانيةً دون عقاب. (يُمكن إدراك جنون هذه الخُطَّة من حقيقة أنه لا وجود لمئة بلدة أو مئة قلعة على (رأس الغضب)، ولا حتى ثُلث ذلك العدد).

لم تتمتَّع (دورن) بأيِّ قوَّةٍ بحريَّة تزهو بها منذ أحرقَت نايميريا سُفنها العشرة آلاف، لكن الأمير موريون كان يملك الذَّهب، ووجدَ حُلفاءً

مُناصرين له بين قراصنة (الأعتاب) وبحَّارة (مير) المرتزِقة ومُغيري (ساحل الفُلفل)، ورغم أن ذلك استغرقَ معظم العام بدأت السُّفن تتوافَد في النِّهاية، وركبَ الأمير وحاملو حِرابه على متونها. لقد فُطِمَ موريون على قصص مجد (دورن) الغابر، وكالعديد من سادة (دورن) الشُّبَّان رأى عظام التنِّينة ميراكسس التي رقَّطتها الشَّمس في (هضبة الجحيم)، ومن ثَمَّ زُوِّدَت كلُّ سفينةٍ في أسطوله برُماة النُّشَّابيَّة وسُلِّحَت بالعرَّادات الضَّخمة كالتي أسقطَت ميراكسس. إذا تجرَّأ آل تارجاريَن على إرسال التَّنانين ضدَّه فسيُمطِر السَّماء بالقذائف ويَقتُلها جميعًا.

حماقة خُطط الأمير موريون لا يمكن المغالاة فيها. بدايةً، كانت آماله في مباغتة العرش الحديدي مضحكةً. لم يكن لجهيرس جواسيس في بلاط موريون نفسه أو أصدقاء بين سادة (دورن) الدَّواهي فحسب، فعلاوةً على ذلك لم يُعرَف قراصنة (الأعتاب) وبحَّارة (مير) المرتزِقة ومُغيرو (ساحل الفُلفل) قَطُّ بالكتمان، فكان وضعُ بعض المال في أيديهم كلَّ ما تطلَّبه الأمر، ولدى إبحار موريون كان الملك يعلم بهجومه منذ نصف عام.

أُبلِغَ بورمند باراثيون سيِّد (ستورمز إند) أيضًا، وكان ينتظِر في (رأس الغضب) ليُرحِّب بالدورنيِّين ترحيبًا أحمر حين يرسون. على أن الفُرصة لم تسنح له قَطُّ، فجهيرس تارجارين وابناه إيمون وبايلون كانوا منتظرين كذلك، وبينما شقَّ أسطول موريون طريقَه عبر (بحر دورن) انقضَّت عليه التَّنانين ڤرميثور وكاراكسس وڤاجهار من بين السُّحب. دوَّى الصِّياح، وملأ الدورنيُّون الجوَّ بقذائف العرَّادات، لكن إطلاق القذائف على تنِّينٍ شيء وقتله شيءٌ آخَر تمامًا. ارتدَّ بعض القذائف عن حراشِف التَّنانين، واخترقَت واحدة جناح ڤاجهار، وإن لم تُصِب أيٌّ منها نقطة ضعفٍ

فيما دارَت التَّنانين ومالَت ونفثَت دفقاتٍ عظيمةً من النَّار. اشتعلَ اللَّهب في السُّفن واحدةً تلو الأخرى، وكانت لا تزال تحترق حين غربَت الشَّمس «كمئة شمعةٍ طافية على سطح البحر». طوال نصف عامٍ ظلَّت الجُثث المتفحِّمة تنجرِف إلى سواحل (رأس الغضب)، ولكن لم تطَأ قدما دورني حي واحد أديم (أراضي العواصف).

خيضَت الحرب الدورنيَّة الرَّابعة ورُبحَت في يومٍ واحد. أصبحَ قراصنة (الأعتاب) وبحَّارة (مير) المرتزِقة ومُغيرو (ساحل الفُلفل) أقلَّ إثارةً للقلاقِل وقتًا، وصارَت مارا مارتِل أميرة (دورن)، وفي (كينجز لاندنج) تلقَّى چهيرس وابناه ترحيبًا صاخبًا، فحتى إجون الفاتِح نفسه لم ينتصِر في حربٍ قطُّ دون أن يفقد رجلًا واحدًا من جيشه.

كان لدى الأمير بِايلون سببٌ آخَر للاحتفال أيضًا، فزوجته أليسا حبلَت ثانيةً، وقد أخبرَ أخاه إيمون بأنه يُصلِّي لكي يكون المولود بنتًا هذه المرَّة.

عادَت الأميرة أليسا إلى الفِراش مجدَّدًا في عام 84 بعد الفتح، وبعد مخاضٍ طويل شاق أنجبَت للأمير بِايلون ابنًا ثالثًا، صبيًّا سمَّياه إجون تيمُّنًا بالفاتِح. أخبرَ الأمير زوجته جالسًا بجوار سريرها: «يدعونني بِايلون الشُّجاع، لكنكِ أشجع مني بكثير. أفضِّلُ أن أخوض دستة معارك على فِعل ما فعلتِه لتوِّكِ»، فضحكَت منه أليسا، وقالت: «أنتَ خُلِقتَ للمعارك، وأنا خُلِقتُ لهذا. ڤسيرس وديمون وإجون، ثلاثة هكذا. حالما أتعافى دعنا نُنجِب واحدًا آخَر. أريدُ أن أمنحَك عشرين طفلًا، جيشًا من لحمك ودمك!».

لم يُقدَّر لها ذلك. كان لأليسا تارجاريَن قلب مُحارب في جسدِ امرأة، وخذلَتها قُواها فلم تتعافَ تمامًا من ولادة إجون، وماتَت في العام نفسه

في سنِّ الرَّابعة والعشرين فقط. ولم يعِش الأمير إجون بعدها طويلًا كذلك، إذ ماتَ بعد نصف عامٍ قبل يوم ميلاده الأوَّل. رغم انكساره لخسارتها وجدَ بِايلون العزاء في الابنين القويَّين اللذين خلَّفتهما له، ڤسيرس وديمون، ولم يتوانَ قَطُّ عن تخليد ذكرى سيِّدته الجميلة بأنفها المكسور وعينيها غير المتماثلتيْن.

والآن، أخشى أن علينا أن نُوجِّه اهتمامنا إلى أحد أشدِّ الفصول إزعاجًا وتنفيرًا في عهد چهيرس وأليسين الطَّويل، ألا وهو قضيَّة ثامنة أولادهما، الأميرة سِايرا.

وُلِدَت سِايرا في عام 67 بعد الفتح، بعد دِايلا بثلاث سنوات، وامتلكَت كلَّ الجرأة التي افتقرَت إليها أختها، علاوةً على شراهةٍ... للحليب، للطَّعام، للعاطفة، للمديح. في طفولتها المبكِّرة لم تبكِ بقدر ما صرخَت، وأصبحَ عويلها الثَّاقب للآذان رُعبًا لكلِّ خادمةٍ في (القلعة الحمراء). كتبَ المِايستر الأكبر إليسار عن الأميرة في عام 69 بعد الفتح، عندما كانت سنُّها عاميْن: «تُريد ما تُريده، وتُريده الآن. ليحفظنا (السَّبعة) جميعًا عندما تكبر. من الأفضل لخفر التَّنانين أن يُخبِّئوا التَّنانين»، ولم يكن لديه علم أن كلماته تلك نبوءة صادقة.

كان السِّپتون بارث أكثر تأمُّلًا فيما راقبَ الأميرة في سنِّ الثَّانية عشرة في عام 79 بعد الفتح. «إنها ابنة ملك، وتُدرِك هذا تمامًا. الخدم يلبُّون رغباتها كلَّها، ولو أن ذلك لا يَحدُث دومًا بالسُّرعة التي ترجوها، واللوردات الكبار والفُرسان الوُسماء يُعامِلونها بكلِّ كياسة، وسيِّدات البلاط مذعنات لها، والفتيات في سنِّها يتنافَسن على صداقتها. كلُّ هذا تعتبره سِايرا حقًّا لها. لو أنها ابنة الملك البِكر، أو أفضل من ذلك، ابنته الوحيدة، لكانت قد قنعَت، لكنها وجدَت نفسها بدلًا من ذلك

الولد التَّاسع، ولها ستَّة إخوة وأخوات أحياء أكبر منها في السِّنِّ وأكثر شعبيَّةً أيضًا. إيمون سيُصبِح الملك، وبايلون يده على الأرجح، وأليسا قد تكون كأمِّها وأكثر، وڤيجون أوسع منها علمًا، ومايجل أكثر تدينًا، ودِايلا... متى يمرُّ يوم لا تحتاج فيه دِايلا إلى الطَّمأنة؟ وبينما يُهدِّئونها يتجاهَلون سِايرا. يقولون يا لها من مخلوقةٍ صغيرة شرسة، ليست بحاجةٍ إلى طمأنة، وأخشى أنهم مخطئون، فكلُّ البشر بحاجةٍ إلى من يُطمئِنهم».

كان يُعتقَد ذات يومٍ أن إيريا تارجارين فتاة جامحة متمرِّدة، مجبولة على العصيان، لكن طفولة الأميرة سِايرا جعلَت إيريا تبدو آيةً في الأدب بالمقارنة. الحدود بين المقالِب البريئة والأذى الفاحش والأفعال الخبيثة لا يميِّزها دائمًا شخص في تلك السِّن الصَّغيرة، لكن لا شكَّ إن الأميرة تعدَّت تلك الحدود كما شاءَت. كانت تُسرِّب القِطط دومًا إلى غُرفة أختها دِايلا عالمةً أنها تخافها، وفي مرَّةٍ ملأَت وعاء فضلات دِايلا بالنَّحل، وحين كانت في العاشرة تسلَّلت إلى (بُرج السَّيف الأبيض) وسرقَت كلَّ المعاطف البيضاء التي وجدَتها وصبغَتها بالوردي، وفي السَّابعة تعلَّمت متى وكيف تتسلَّل إلى المطبخ حتى تهرب بالكعك والفطائر والحُلويات الأخرى، وقبل بلوغها الحادية عشرة بدأت تسرق النَّبيذ والمِزر بدلًا من ذلك، وفي الثَّانية عشرة كانت تصل ثمِلةً غالبًا حينما تُستدعى للصَّلاة في السِّبت.

وقعَ مهرِّج الملك الأبله، توم اللِّفت، ضحيَّةً للكثير من مقالِبها، واستغلَّته سِايرا لإيقاع آخرين فيها. ذات مرَّة، قُبيل مأدبةٍ عظيمة سيحضرها العديد من اللوردات والليديهات، أقنعَت توم أن من الأطرف كثيرًا أن يُقدِّم عروضَه عاريًا، لكن ذلك لم ينَل استحسانهم. بعدها، وبقسوةٍ أشد بكثير، أخبرَته أنه سيصير ملِكًا إذا ارتقى العرش الحديدي،

لكن المهرّج كان أخرق في أفضل حالاته، وعُرضةً للارتعاش، فمزّق العرش يديه وساقيه. لاحقًا قالت عنها سِپتتها: «إنها طفلة شرّيرة». كان للأميرة سِايرا نصف دستةٍ من السِّپتوات والعدد نفسه من الخادمات قبل أن تبلُغ الثَّالثة عشرة.

لا نقول إن الأميرة كانت معدومة المحاسِن، فمِايستراتها أكَّدوا أنها كانت شديدة الذَّكاء، نيِّرةً كأخيها ڤيجون ولكن على طريقتها. وكانت بالتَّأكيد جميلةً، أطول من أختها دِايلا وتتمتَّع بشيءٍ من رقَّتها، وبمثل قوَّة أختها أليسا وسرعتها وحيويَّتها. عندما أرادَت أن تكون فاتنةً استعصَت مقاومتها، ولم تفشل في تسلية أخويها الأكبر إيمون وبِايلون بمكايدها قَطُّ (رغم أنهما لم يعرفا أسوأها مطلقًا)، ومن قبل أن تغدو نصف بالغةٍ تعلَّمت سِايرا فنَّ الحصول على كلِّ ما أرادَته من أبيها: هُريرة، كلب صيد، مُهر، باز، حصان (ووضعَ چهيرس حدًّا صارمًا عند الفيل). لكن الملكة أليسين كانت أقلَّ سذاجةً بكثير، ويُخبِرنا السِّپتون بارث أن كلَّ أخوات سِايرا كرهنَها بدرجاتٍ متفاوتة.

لاءمَتها البُتولة، وبلغَت سِايرا أوج تألُّقها حقًّا بعد إزهارها. بعد كلِّ ما عانَياه مع دِايلا، لا بُد أن الملك والملكة استراحا لرؤيتهما انجذاب سِايرا الشَّديد إلى شُبَّان البلاط وانجذابهم إليها. في سنِّ الرَّابعة عشرة أخبرت الملك أنها تنوي الزَّواج بأمير (دورن)، أو ربما بملك ما وراء (الجِدار) لتُصبح ملِكةً «كامِّي». في ذلك العام جاءَ تاجر من (جُزر الصَّيف) إلى البلاط، وعلى العكس تمامًا من الصُّراخ لرؤيته مثل دِايلا، قالت إنها قد تودُّ الزَّواج به أيضًا.

عند بلوغها الخامسة عشرة كانت قد طرحَت تلك الخيالات جانبًا، فلماذا تحلم بحُكَّامٍ بعيدين في حين أن بإمكانها أن تحظى بمن ترغب

فيهم من مُرافِقين وفُرسان وربما لوردات؟ تسابقَ عشرات لنيل حظوتها، لكن سُرعان ما أصبحَ ثلاثة منهم المفضَّلين لديها: چونا موتون وريث (بركة العذارى)، وروي كوننجتون الأحمر سيِّد (وكر الجرافِن) ذو الخمسة عشر عامًا، وبراكستون بيزبوري الملقَّب باللَّاسِع، وهو فارس في التاسعة عشرة وأفضل رمَّاحٍ في (المرعى) ووريث (ربوة العسل). كانت للأميرة إناثٌ مفضَّلات كذلك: پريان مور وآليس تِرنبري، آنستان في سنِّها أصبحَتا صديقتيها الأقرب، ولقَّبتهما سِايرا بِري الجميلة وبِري الحلوة. لأكثرِ من عامٍ تلازمَت الفتيات الثَّلاث واللوردات الشُّبَّان الثلاثة في كلِّ حفلة رقصٍ ومأدبة، واصطادوا بالكلاب والأبواز معًا أيضًا، وفي مرَّةٍ أبحروا عبر (الخليج الأسود) إلى (دراجونستون)، وحين تسابقَ اللوردات الثلاثة بالخيل أو اشتبكوا بالسُّيوف في السَّاحة حضرَت الفتيات الثلاث ليُشجِّعنهم.

كان الملك چهيرس، الذي قضى أوقاته كلَّها في ضيافة اللوردات الزَّائرين أو المبعوثين من وراء (البحر الضيِّق)، أو حضور اجتماعات مجلسه، أو التَّخطيط للمزيد من الطُّرق، مسرورًا أيضًا لعدم حاجته إلى تمشيط البلاد حتى يجد لسِايرا زوجًا في وجود شُبَّان واعدين كهؤلاء في متناوَلِ اليد. لكن أليسين كانت أقلَّ اقتناعًا، وأخبرَت الملك: «سِايرا ذكيَّة، لكنها ليست حكيمةً». بناءً على ما رأته منهم، كانت الليدي پريان والليدي آليس جميلتيْن حمقاويْن ساذجتيْن فارغتَي الرَّأس، وكوننجتون وموتون صبيَّيْن غِرَّيْن. «ولا أحبُّ ذلك اللَّاسِع. سمعتُ أنه أنجبَ نغلًا في (المرعى)، وآخَر هنا في (كينجز لاندنج)».

لم يُقلِق هذا چهيرس، وقال: «ليس الأمر كأن أحدهم انفردَ بسِايرا من قبل. النَّاس حولهم دائمًا؛ خدم وخادمات، ساسة وجنود. أيُّ شرٍّ

قد يرتكبون وتلك الأعيُن الكثيرة حولهم؟».

ولم تُرضِه الإجابة حين أتَته.

كان أحد مقالب سِايرا السَّبب في فضِّ الشَّمل. ذات ليلةٍ ربيعيَّةٍ دافئة في عام 84 بعد الفتح اجتذبَ صراخ وصياح من ماخورٍ يُسمَّى (اللُّؤلؤة الزَّرقاء) انتباه اثنين من حرس المدينة. صدرَت الصَّرخات من توم اللِّفت، الذي كان يترنح ببؤسٍ في دوائر محاولًا الهرب من نصف دستةٍ من العاهرات العاريات، فيما دوَّى ضحك زبائن المكان وتشجيعهم البغايا. كان چونا موتون وروي كوننجتون الأحمر وبيزبوري اللَّاسع بين هؤلاء الزَّبائن، وكلٌّ منهم أشدَّ ثملًا من الآخَر. اعترفَ روي الأحمر بأنهم ظنُّوا أنه من الطَّريف أن يروا توم اللِّفت يفعل الفعلة، ثم ضحكَ چونا موتون وقال إن الدُّعابة بأكملها كانت فكرة سِايرا، ولكم هي طريفة تلك الفتاة.

أنقذَ الحرس المهرِّج المسكين ورافَقوه إلى (القلعة الحمراء)، أمَّا اللوردات الثَّلاثة فأُخِذوا إلى السير روبرت ردواين قائد الحرس، وأرسلَهم روبرت إلى الملك متجاهلًا تهديدات اللَّاسع ومحاولات كوننجتون الخرقاء لرشوته.

كتبَ المِايستر الأكبر إليسار عن الواقعة: «ليس من السَّار أبدًا أن تبضع دُمَّلًا، لأنك لا تدري كمَّ الصَّديد الذي سيخرُج أو كم ستكون الرَّائحة كريهةً». وكانت رائحة الصَّديد الذي انفجرَ من (اللُّؤلؤة الزَّرقاء) نفَّاذةً بالفعل.

كان اللوردات الثَّلاثة السُّكارى قد أفاقوا نوعًا عندما واجهَهم الملك من فوق عرشه الحديدي، فتظاهَروا بالشَّجاعة. اعترَفوا بهروبهم بتوم اللِّفت والذَّهاب به إلى (اللُّؤلؤة الزَّرقاء)، لكن أحدًا منهم لم ينطق بكلمةٍ

بخصوص الأميرة سِايرا، وعندما أمرَ جلالته موتون بأن يُكرّر ما قاله عن الأميرة، تورَّد خجلًا وتلعثمَ، وادَّعى أن الحرس أساؤوا السَّمع. في النِّهاية أمرَ چهيرس بإلقاء ثلاثة اللوردات الشُّبَّان في الزَّنازين. «فليناموا في زنزانةٍ سوداء اللَّيلة، فقد يحكون لنا حكايةً مختلفةً حين يطلع الصَّباح».

كانت الملكة أليسين، بحُكم معرفتها بمدى قُرب الليدي پريان والليدي آليس من اللوردات الثَّلاثة، هي من اقترحَت استجوابهما كذلك. «دعني أتحدَّث معهما يا جلالة الملك. إذا رأيَاك تنظُر إليهما شزرًا من علٍ فستخافان ولن تنطقا».

كانت السَّاعة متأخِّرةً، ووجدَ حرسها الفتاتيْن نائمتيْن متقاسمتيْن سريرًا في غُرفة الليدي پريان. أمرَت الملكة بجلبهما للمثول أمامها في غُرفتها الشَّمسيَّة، وأخبرَت الفتاتيْن أن رفاقهما اللوردات الشُّبَّان الثَّلاثة في الزَّنازين، وإذا لم ترغبا في الانضِمام إليهم فعليهما قول الحقيقة. كان هذا كلَّ ما احتاجَت إلى قوله، إذ تداخلَ كلام بِري الحلوة وبِري الجميلة من فرط تلهُّفهما على الاعتراف، وقبل أن يمرَّ وقتٌ طويل كانتا تنتحبان وتتوسَّلان المغفرة. تركتهما أليسين تتوسَّلان دون أن تنبس ببنتِ شفة، واستمعَت لهما كما فعلَت في مئة مجلس نسائيٍّ من قبل. كانت جلالتها تعرف كيف تُنصِت.

قالت بِري الجميلة إنها كانت مجرَّد لُعبةٍ في البداية. «سِايرا كانت تُعلِّم آليس التَّقبيل، فطلبتُ منها أن تُعلِّمني أيضًا. الصِّبية يتدرَّبون على القتال كلَّ صباح، فلماذا لا نتدرَّب نحن على التَّقبيل؟ هذا ما خُلِقَت من أجله الفتيات، أليس كذلك؟». وافقَتها آليس تِرنبري، وقالت: «التَّقبيل كان حلوًا، وذات ليلةٍ بدأنا نُقبِّل بعضنا بعضًا ونحن عاريات. كان هذا مخيفًا ولكن مثيرًا. تبادلنا الأدوار متظاهراتٍ بأننا صِبية. لم نقصد سوءًا.

كنا نلعب فقط. ثمَّ تحدَّتني سِايرا أن أقبِّل صبيًّا حقيقيًّا، وتحدَّيتُ أنا بِري أن تفعل المِثل، وتحدَّت كلتانا سِايرا، لكنها قالت إنها ستفعل ما هو أفضل، ستُقبِّل رجلًا بالغًا، فارسًا. هكذا بدأ الأمر مع روي وجونا واللَّاسع». ثمَّ عادَت الليدي بريان إلى الحديث لتقول إن اللَّاسع هو الذي درَّبهن جميعًا، وهمسَت: «إن له نغليْن، واحدًا في (المرعى) وواحدةً هنا في (شارع الحرير). أمُّها عاهرة في (اللُّؤلؤة الزَّرقاء)».

هذا هو الموضع الوحيد الذي ذُكِرَ فيه (اللُّؤلؤة الزَّرقاء). لاحقًا كتبَ المايستر الأكبر إليسار: «ولسخرية القدر، لم تعرف أيُّ السَّاقطتيْن أدنى شيءٍ يخصُّ توم اللِّفت المسكين، لكنهما عرفَتا الكثير عن أشياءَ معيَّنة أخرى لم يكن أيٌّ منها خطأهما».

سألت الملكة بعد أن سمعَتهما: «أين كانت سِبتواتكن في أثناء كلِّ هذا؟ وخادماتكن أين كُن؟ واللوردات، مؤكَّد أن أتباعهم صاحَبوهم. أين كان ساستهم وجنودهم ومُرافِقوهم وخدمهم؟».

حيَّر السُّؤال الليدي بريان، وقالت بنبرة واحدةٍ تشرح أن الشَّمس تُشرِق من الشَّرق: «قلنا لهم أن ينتظروا بالخارج. إنهم خدم، يفعلون ما يُؤمَرون به. والذين علموا التزَموا الصَّمت. اللَّاسع قال إنه سيقتلِع ألسنتهم إذا تحدَّثوا. وسِايرا أذكى من السِّبتوات».

عندئذٍ انهارَت بِري الحُلوة، فأجهشَت بالبُكاء وبدأت تُمزِّق معطف نومها. قالت للملكة إنها في غاية الأسف، لم تُرِد أن تُسيء السُّلوك قَطُّ، اللَّاسع أجبرَها وسِايرا قالت إنها جبانة، لذلك أرَتهما، لكنها حاملٌ الآن ولا تعرف مَن الأب، وما الذي عليها أن تفعلَه؟

أجابَتها الملكة أليسين: «كلُّ ما يمكِنك فِعله اللَّيلة هو الذَّهاب

إلى الفِراش. في الصَّباح سنُرسِل إليكِ سِپتةً، ويمكنكِ عندها الاعتراف بخطاياكِ. ستُسامِحكِ (الأُم)».

قالت آليس تِرنبري: «أمِّي أنا لن تُسامِحني»، لكنها ذهبَت كما قيلَ لها، وساعدَت الليدي پريان صديقتها الباكية على العودة إلى غُرفتها.

عندما أخبرَته الملكة بما علمَته، بالكاد استطاع الملك چهيرس تصديق كلمة. أُرسِلَ الحرس، وجُرجِرَت سلسلة من المرافقين والسَّاسة والخادمات أمام العرش الحديدي للاستجواب. انتهى المطاف بكثيرٍ منهم في الزَّنازين مع سادتهم بمجرَّد سماع أجوبتهم، ولدى اقتياد آخِرهم إلى الحبس كان الفجر قد طلعَ. حينها فقط أرسلَ الملك والملكة في طلب الأميرة سِايرا.

بالتَّأكيد عرفَت الأميرة أن في الأمر خطبًا ما حين ظهرَ قائد الحرس الملكي وقائد حرس المدينة معًا لمرافقتها إلى قاعة العرش. لم يكن من الجيِّد قَطُّ أن يستقبل الملك أحدًا وهو جالس على العرش الحديدي. كانت القاعة الكُبرى فارغةً تقريبًا عندما أدخَلاها، ولم يُستدعَ إلَّا المِايستر الأكبر إليسار والسِّپتون بارث للشَّهادة، إذ كانا يتحدَّثان نيابةً عن (القلعة) و(السِّپت النَّجمي)، وقد شعرَ الملك بالحاجة إلى توجيههما، وإن خمَّن أن أشياءَ ستُقال في ذلك اليوم لا داعي لأن يعرفها لورداته الآخَرون أبدًا.

يُقال كثيرًا إن (القلعة الحمراء) ليس لها أسرار، وإن داخل الجُدران جرذانًا تسمع كلَّ شيءٍ وتهمس في آذان النِّيام ليلًا. قد يكون ذلك صحيحًا، لأنه عندما مثلَت الأميرة سِايرا أمام والدها، بدَت كأنها تعرف كلَّ ما حدثَ في (اللُّؤلؤة الزَّرقاء)، ولم يبدُ عليها أدنى حرج، إذ قالت باستخفاف: «أخبرتُهم بأن يفعلوها، لكنِّي لم أظنَّ قطُّ أنهم سيفعلونها. لا بُدَّ أن المشهد بدا مضحكًا للغاية، اللِّفت يُراقِص العاهرات».

قال الملك چهيرس من فوق العرش الحديدي: «لم يكن مضحكًا لتوم».

ردَّت الأميرة سِايرا هازَّة كتفيها: «إنه مهرّج، ومن المفترَض الضَّحك على المهرِّجين. أين الضَّرر في ذلك؟ اللِّفت يحبُّ أن يضحك منه النَّاس».

قالت الملكة أليسين: «كانت دُعابةً قاسيةً، لكن الآن تُقلِقني أمور أخرى أكثر. كنتُ أتحدَّثُ مع... رفيقتيكِ. أتعلمين أن آليس تِرنبري حُبلى؟».

عندها فقط أدركَت الأميرة أنها ليست هناك لتحمُّل عاقبة ما جرى لتوم اللِّفت، بل المزيد من الخطايا المخزية. للحظةٍ عجزَت سِايرا عن الكلام، ولكن للحظةٍ فقط، ثمَّ إنها شهقَت وقالت: «بِري الحُلوة؟ حقًّا؟ هي... أوه، ماذا فعلَت؟ أوه، تلك الحمقاء الصَّغيرة الحُلوة». وإذا أُخِذ بشهادة السِّپتون بارث، فقد سالَت دمعةٌ على خدِّها.

لم تتأثَّر والدتها، وقالت: «تعرفين جيِّدًا ما فعلَته، ما فعلتموه جميعًا. ستُخبريننا بالحقيقة الآن أيَّتها الطِّفلة»، وعندما نظرَت الأميرة إلى والدها لم تجد عزاءً، إذ قال الملك چهيرس لابنته: «اكذبي علينا مرَّةً أخرى وسيَحدُث لكِ ما هو أسوأ مرارًا. لورداتكِ الثَّلاثة في الزَّنازين، عليكِ معرفة ذلك، وأقوالكِ التَّالية قد تُحدِّد مكان نومكِ اللَّيلة».

انهارَت سِايرا عندئذٍ، وانهمرَت منها الكلمات واحدةً تلو الأخرى، طوفان جعلَ الأميرة تلهث. لاحقًا كتبَ السپتون بارث: «انتقَلت من الإنكار إلى الاستهانة فالمجادلة فالندم فالاتِّهام فالتَّبرير فالتَّحدي في غضون ساعة، متوقِّفةً لتضحك أو تبكي بين الحين والآخَر. لم تفعل ذلك قطُّ، كانوا يكذبون، لم يحدُث، كيف أمكنَهما تصديق ذلك،

كانت مجرَّد لُعبة، كانت مجرَّد مُزحة، مَن قال ذلك، لم يَحدُث الأمر هكذا، الجميع يحبُّون التَّقبيل، إنها آسفة، بِري بدأت ذلك، كان الأمر ممتعًا، لم يُصَب أحد بأذى، لم يُخبرها أحد قطُّ أن التَّقبيل سيِّئ، بِري الحُلوة تحدَّتها، كم تشعُر بالخِزي، بايلون اعتادَ تقبيل أليسا طوال الوقت، بمجرَّد أن بدأت لم تعرف كيف تتوقَّف، كانت خائفةً من اللَّاسع، (الأمُّ في الأعالي) سامحَتها، كلُّ الفتيات يفعلنَ ذلك، أوَّل مرَّةٍ كانت ثملةً، لم ترغب في ذلك قَطُّ، كان مُراد الرِّجال، مِايجل قالت إن الآلهة تغفر الذُّنوب جميعًا، چونا قال إنه يحبُّها، الآلهة خلقَتها جميلةً، ليس ذنبها، ستكون صالحةً من الآن فصاعدًا، سيكون الأمر كما لو أنه لم يحدث قَطُّ، ستتزوَّج روي كوننجتون الأحمر، يجب أن يغفرا لها، لن تُقبِّل رجلًا ثانيةً أو تفعل أيًّا من تلك الأشياء الأخرى، ليست هي الحُبلى، إنها بنتهما، إنها فتاتهما الصَّغيرة، إنها أميرة، لو أنها مِلكة لفعلَت ما تشاء، لماذا لا يُصدِّقانها، لم يُحبَّاها قطُّ، إنها تكرههما، يمكنهما جَلدها إذا أرادا لكنها لن تكون عبدةً لهما أبدًا. أذهلَتني هذه الفتاة. لم يكن في البلاد كلِّها ممثِّل قدَّم مثل هذا الأداء قَطُّ، لكن في النِّهاية كانت منهَكةً خائفةً، وسقطَ قِناعها».

لما نفدَ كلام الأميرة أخيرًا قال الملك: «ماذا فعلتِ؟ ليحفظنا (السَّبعة)، ماذا فعلتِ؟! هل منحتِ أحد هؤلاء الصِّبية عُذريَّتكِ؟ أخبِريني بالحقيقة».

- «الحقيقة؟». في تلك اللَّحظة، مع تلك الكلمة، تجلَّى ازدراؤها. «لا. لقد منحتُها للثَّلاثة. كلٌّ منهم يظنُّ أنه كان الأوَّل، الصِّبيان حمقى سُخفاء».

صُدِمَ چهيرس لدرجة أنه عجزَ عن الكلام، لكن الملكة حافظَت على

رباطة جأشها. «أرى أنكِ فخورة بنفسكِ للغاية. امرأةٌ بالغة، في السَّابعة عشرة تقريبًا. أنا واثِقة بأنكِ ظننتِ أنكِ ذكيَّة جدًّا، لكن الذَّكاء شيء والحكمة هي شيءٌ آخَر. ما الذي تخالينه سيحدُث الآن يا سِايرا؟».

قالت الأميرة: «سأتزوَّجُ. ما الذي يمنعني؟ أنتِ كنتِ متزوِّجةً في مثل سنِّي. سأُزَفُّ وأُضاجَعُ، ولكن ممَّن؟ چونا وروي كلاهما يحبُّني. يمكنني أن أتزوَّج أحدهما، لكن كليهما في غاية الصِّبيانيَّة. اللَّاسع لا يحبُّني، لكنه يُضحِكني، وأحيانًا يجعلني أصرخُ. يمكنني أن أتزوَّج ثلاثتهم، لِمَ لا؟ لماذا يجب أن يكون لي زوج واحد فقط؟ كان للفاتِح زوجتان، ولميجور ستٌّ أو ثمان».

تمادَت الفتاة جدًّا. هبَّ چهيرس قائمًا ونزلَ من فوق العرش الحديدي ووجهه قناعٌ من الغضب. «تُقارِنين نفسكِ بميجور؟! أذاك مَن تطمحين إلى كونه؟». سمعَ جلالته ما فيه الكِفاية، فقال لحرسه: «خُذوها إلى غُرفة نومها وأبقوها هناك حتى أُرسِل في طلبها مرَّةً أخرى». عندما سمعَت الأميرة كلماته اندفعَت نحوه تُناديه: «أبي، أبي!»، لكن چهيرس أولاها ظهره، وأمسكَها جايلز موريجن من ذراعها وسحبَها. لم تكن لتذهب من تلقاء نفسها، فاضطرَّ الحرس إلى جرِّها من القاعة وهي تُولوِل وتنتحِب وتُنادي والدَها.

حتى ذلك الحين، كما يُخبِرنا السِّپتون بارث، كان ممكنًا أن يُغفَر للأميرة سِايرا وتستردَّ حظوة والديْها لو أنها فعلَت كما قيلَ لها، لو أنها بقيَت في غُرفتها خانعةً تُفكِّر في خطاياها وتدعو لأجل المغفرة. اجتمعَ چهيرس وأليسين طوال اليوم التَّالي ببارث والمِايستر الأكبر إليسار لمناقشة ما يجب فِعله مع الآثمين السِّتة، خاصَّةً الأميرة. كان الملك غاضبًا متصلِّبًا إذ شعرَ بالعار في أعمق أعماقه، ولم يستطِع أن ينسى كلام سِايرا

السَّاخر عن زوجات عمِّه، وقال أكثر من مرَّة: «لم تعُد ابنتي».

أمَّا الملكة أليسين فلم تستطِع أن تجد في قلبها القُدرة على تلك القسوة، فقالت للملك: «إنها ابنتنا. يجب أن تُعاقَب، نعم، لكنها لا تزال طفلةً، وحيث وُجِدَت الخطيئة يمكن أن تُوجَد التَّوبة. يا سيِّدي، يا حبيبي، لقد تصالحتَ مع اللوردات الذين قاتَلوا من أجلِ عمِّك، وسامحتَ الرِّجال الذين أخذوا الرِّكاب مع السِّپتون مون، ورأبتَ الصَّدع مع العقيدة، ومع اللورد روجار عندما حاولَ التَّفرقة بيننا ووضْع إيريا على عرشِك، فبالتأكيد يُمكنك أن تجد طريقةً ما للتَّصالُح مع ابنتِك». كانت كلمات جلالتها ناعمةً لطيفةً، ويُخبِرنا السِّپتون بارث أن چهيرس تأثَّر بها. كانت أليسين عنيدةً ومثابرةً وقادرةً على إقناع الملك بوجهة نظرها، بغضِّ النَّظر عن تباعُد الآراء بينهما في البداية، ولو أُمهِلَت الوقت فلربما استطاعَت أن تُخفِّف موقفه تجاه سِايرا أيضًا.

لكنها لم تُمهَل ذلك الوقت، ففي تلك اللَّيلة بالذَّات حدَّدت الأميرة سِايرا مصيرها. بدلًا من البقاء في غُرفتها كما أُمِرَت، تسلَّلت في أثناء ذهابها إلى المرحاض، واتَّشحت برداء غسَّالة، وسرقَت حصانًا من الاسطبلات، وهربَت من القلعة. قطعَت سِايرا منتصَف الطَّريق عبر المدينة إلى (تل رينس)، ولكن عندما حاولَت دخول (جُب التَّنانين) قبضَ عليها خفر التَّنانين وأخذوها وأعادوها إلى (القلعة الحمراء).

بكَت أليسين عندما سمعَت بفعلتها، لأنها علمَت أن قضيَّتها أضحَت ميؤوسًا منها، في حين كان چهيرس صُلبًا كالحجر، ولم يقل إلَّا: «سِايرا على متن تنِّين! أكانت هي أيضًا لتأخذ بالريون يا تُرى؟». هذه المرَّة لم يُسمَح للأميرة بالعودة إلى غُرفتها، بل أودِعَت زِنزانة بُرجٍ بدلًا من ذلك، حيث حرسَتها چونكيل دارك ليلًا ونهارًا، حتى في المرحاض.

رُتِّبَت زيجات عاجلة لأختيْها في الخطيئة. تزوَّجت پريان مور، التي لم تكن حاملًا، بچوناه موتون، وقد قال الملك للورد الصَّغير: «لقد لعبتَ دورًا في إفسادها. يُمكنك أن تكون جُزءًا من توبتها». أثبتَ الزَّواج نجاحه، ومع الزَّمن أصبحَ الاثنان سيِّد (بِركة العذارى) وسيِّدتها. أمَّا آليس تِرنبري، التي كانت حُبلى، فشكَّلت حالةً أصعب، إذ رفضَ روي كوننجتون الأحمر الزَّواج بها، وقال للملك متحدِّيًا: «لن أتظاهَر بأن نغل اللَّاسع ابني، ولن أجعله وريثًا لـ(وكر الجرافِن)». بدلًا من ذلك أُرسِلت بِري الحُلوة إلى (الوادي) لتلد (فتاةً ذات شعرٍ أحمر زاهٍ) في معتكَفٍ على جزيرةٍ بميناء (بلدة النَّوارس)، حيث أرسلَ العديد من اللوردات بناتهم الطَّبيعيَّات ليَنْشَأن، وبعد ذلك تزوَّجت دونستن پريور سيِّد (الحصاة)، وهي جزيرة قُبالة (الأصابع).

خُيِّرَ كوننجتون بين قضاء ما تبقَّى من حياته في حرس اللَّيل أو عشر سنواتٍ في المنفى، ولم يكن مفاجئًا أنه اختارَ المنفى وشقَّ طريقه عبر (البحر الضيِّق) إلى (پنتوس)، ومن ثمَّ إلى (مير) حيث صاحبَ المرتزِقة وغيرهم من الرِّفقة الوضيعة، وقبل نصف عامٍ فقط من عودته المفترَضة إلى (وستروس) طعنَته حتى الموت عاهرة في وكر قِمارٍ مايري.

حُفِظَت العقوبة الأقسى لبراكستون بيزبوري، الفارس الشَّاب المختال الملقَّب باللَّاسِع. قال له چهيرس: «بمكنُني أن أخصيك وأرسلك إلى (الجِدار). هكذا تعاملتُ مع السير لوكامور، وكان رجلًا خيرًا منك. يُمكنني أن آخُذ أراضي والدك وقلعته، ولكن لن تكون في ذلك عدالة، فلا دور له في ما فعلتَ، مثله مثل إخوتك. على أننا لا نستطيع أن نَترُكك تَنشُر الحكايات عن ابنتي، ولذا سنأخذ لسانك، وأنفك أيضًا على ما أظنُّ، لكيلا تجد الفتيات سهلات الإغواء. إنك فخور جدًّا

ببراعتك في السَّيف والرُّمح، وعليه سنأخُذ منك ذلك أيضًا. سنكسر ذراعيك وساقيك، وسيحرص مِايستراتي على أن تُشفى معوجَّةً. ستعيش ما تبقَّى من حياتك البائسة مُعاقًا. إلَّا إذا...».

– «إلَّا إذا؟». كان بيزبوري شاحبًا كالطَّباشير. «ألديَّ خيار؟».

ذكَّره الملك: «لأيِّ فارسٍ متَّهم بارتكاب جُرمٍ خيار. يُمكنك إثبات براءتك بالرِّهان على جسدك».

قال اللَّاسع: «أختارُ المحاكمة بالنِّزال إذًا». كان بكلِّ المقاييس شابًّا مغرورًا، وواثقًا بمهارته بالسِّلاح، وقد تطلَّع إلى سبعة الحرس الملكي الواقفين أسفل العرش الحديدي مرتدين معاطفهم البيضاء الطَّويلة ودروعهم اللَّامعة، وقال: «أيُّ هؤلاء الرِّجال المسنِّين تُريدني أن أنازل؟».

أعلنَ چهيرس تارجاريَن مشيرًا إلى نفسه: «هذا الرَّجل العجوز، الذي أغويتَ ابنته وسلبتَها براءتها».

التقيا في الصَّباح التَّالي عند الفجر. كان وريث (ربوة العسل) في التَّاسعة عشرة من عُمره، والملك في التاسعة والأربعين، وإن لم يزَل بعيدًا عن الشَّيخوخة. سلَّح بيزبوري نفسه بكُرةٍ شائكة، ظانًّا ربما أن چهيرس أقل اعتيادًا على الدِّفاع عن نفسه ضدَّ هذا السِّلاح، فيما حملَ الملك (اللَّهب الأسود)، وكان كلا الرَّجلين مدرَّعًا بالفولاذ ويحمل تُرسًا. عندما بدأ القتال انقضَّ اللَّاسع بقوَّةٍ على جلالته ساعيًا لقهره بسُرعة الشَّباب وقوَّته، وجاعلًا الكُرة المسنَّنة تدور وتَرقُص وتُغنِّي. لكن چهيرس تلقَّى كلَّ ضربةٍ على تُرسه مكتفيًا بالدِّفاع فيما أنهكَ الرَّجل الأصغر سنًّا نفسه، وسرعان ما حانَ الوقت وأصبحَ براكستون بيزبوري يستطيع رفع ذراعه بالكاد، وعندئذٍ انتقلَ الملك إلى الهجوم. حتى أفضل أنواع المعدِن

يتعرَّض لضغوطٍ شديدة من سطوة الفولاذ القاليري، وكان چهيرس يعلم أين يُمكنه العثور على كلِّ نقطة ضعف. كان اللَّاسع ينزف من نصف دستةٍ من الجروح حين سقطَ أخيرًا. ركلَ چهيرس تُرسه المحطَّم بعيدًا، وفتحَ مقدِّمة خوذته، ووضعَ حدَّ (اللَّهب الأسود) على عينه، وغرزَه بعُمق.

لم تحضر الملكة أليسين المبارزة، إذ أخبرَت الملك أنها لا تستطيع تحمُّل فكرة أنه قد يموت. أمَّا الأميرة سِايرا فشاهدَت من نافذة زنزانتها، وحرصَت چونكيل دارك، سجَّانتها، ألَّا تشيح الفتاة ببصرها.

بعد أسبوعيْن منحَ چهيرس وأليسين بنتًا أخرى من بناتهما إلى العقيدة. غادرَت الأميرة سِايرا، التي لم تكن قد بلغَت السَّابعة عشرة، (كينجز لاندنج) إلى (البلدة القديمة)، حيث قُرِّرَ أن تتولَّى شقيقتها السِّپتة مِايجل تعليمها، وقد أُعلِنَ أنها ستكون مبتدئةً مع الأخوات الصَّامتات.

لاحقًا أكَّد السِّپتون بارث، الذي عرفَ ما يُفكِّر فيه الملك أكثر من غيره، أن الغرض من الحُكم كان تلقينها درسًا. لم يكن ممكنًا أن يُخطئ أحد بين سِايرا وأختها مِايجل، ولا سيَّما والدها. لن تُصبِح سِپتةً أبدًا، ناهيك بأختٍ صامتة، لكنها تطلَّبت عقابًا، وظُنَّ أن بضع سنواتٍ من الصَّلوات الصَّامتة والانضباط القاسي والتَّأمُّل ستكون مفيدةً لها وتضعها على طريق التَّوبة.

غير أن ذلك لم يكن طريقًا اهتمَّت سِايرا تارجاريَن بالمضيِّ فيه. تحمَّلت الأميرة الصَّمت والحمَّامات الباردة والأردية الخيش الخشنة والوجبات الخالية من اللُّحوم، واستسلمَت لحلاقة رأسها ودعكها بفرشاةٍ من شعر الخيل، وعندما عصَت استسلمَت للعصا أيضًا. كلُّ هذا عانته طوال عامٍ ونِصف... ولكن حين أتَت فُرصتها في عام 85 بعد الفتح

انتهزَتها سِايرا، وهربَت من المعتكَف في جوف اللَّيل وشقَّت طريقها إلى أرصفة الميناء. حين صادفَتها أخت أكبر في أثناء هروبها، أسقطَت المرأة على درجات سُلَّم وقفزَت من فوقها نحو الباب.

عندما وصلَت أخبار هروبها إلى (كينجز لاندنج) افترِضَ أن سِايرا ستكون مختبئةً في مكان ما بـ(البلدة القديمة)، لكن رجال اللورد هايتاور مشَّطوا المدينة من بابٍ إلى باب ولم يجدوا لها أثرًا. ثم ظُنَّ أنها قد تعود إلى (القلعة الحمراء) لتتوسَّل العفو من والدها، ولما لم تظهر هناك أيضًا تساءلَ الملك عن احتمال هربها إلى صديقتيها السَّابقتيْن، فطُلِبَ من چونا موتون وزوجته بريان أن يترقَّبا ظهورها في (بِركة العذارى). لم تظهر الحقيقة إلَّا بعد عام، عندما شُوهِدَت الأميرة السَّابقة في حديقة هوى لايسينيَّة وهي لا تزال ترتدي زيَّ المبتدئة. بكَت الملكة أليسين لدى سماعها الخبر، وقالت: «لقد جعلوا ابنتنا عاهرةً»، فردَّ الملك: «لطالما كانت كذلك».

احتفلَ چهيرس تارجاريَن بيوم ميلاده الخمسين في عام 84 بعد الفتح. كانت السِّنون قد أرهقَته، وقال مَن عرفوه جيِّدًا إنه لم يعُد كما كان منذ أخزَته ابنته سِايرا ثمَّ هجرَته. أضحى نحيفًا، شبه مهزول، وصارَ في لحيته -وشعره- رماديٌّ أكثر من الذَّهبي، ولأوَّل مرَّةٍ دعاه النَّاس بـ«الملك العجوز» بدلًا من «المصلح». أمَّا أليسين، التي هزَّتها كلُّ الخسائر التي عانياها، فانسحبَت أكثر فأكثر من حُكم المملكة، ونادرًا ما عادَت تحضر اجتماعات المجلس، لكن چهيرس لم يزَل لديه سِبتونه المخلص بارث، وابناه اللذان قال لهما: «إذا قامَت حربٌ أخرى فسيكون عليكما خوضها، أمَّا أنا فعندي طُرق عليَّ إكمالها».

لاحقًا كتبَ المِايستر الأكبر إليسار بأسلوبه اللَّاذع المعتاد: «كان

أفضل في التَّعامُل مع الطُّرق من التَّعامُل مع بناته».

في عام 86 بعد الفتح أعلنَت الملكة أليسين خطبة ابنتها ڤسيرا البالغة خمسة عشر عامًا إلى ثيومور ماندرلي سيِّد (الميناء الأبيض) الشَّرس. أعلنَ الملك أن الزِّيجة ستُساهِم كثيرًا في تقريب بعض الممالك إلى بعضٍ من خلال ربطِ إحدى عائلات الشَّمال العظيمة بالعرش الحديدي. ذاعَ صيت اللورد ثيومور بكونه مُحاربًا في شبابه، وأثبتَ أنه لورد حكيم ازدهرَت (الميناء الأبيض) تحت حُكمه أيَّما ازدهار. كانت الملكة أليسين مولعةً جدًّا به أيضًا، وتذكَّرت التَّرحيب الحار الذي قدَّمه لها خلال زيارتها الأولى إلى الشَّمال.

غير أن حضرته عمَّر أكثر من زوجاته الأربع، وبينما لم يزَل مقاتلًا شُجاعًا فقد صارَ بدينًا جدًّا، الأمر الذي لم يشفع له عند الأميرة ڤسيرا، التي كان في اعتبارها رجل مختلف. حتى في وقت نعومة أظفارها كانت ڤسيرا أجمل بنات الملكة، وتراقصَ اللوردات العُظماء والفُرسان المشاهير والصِّبية الأغرَّاء حولها طوال حياتها، يُغذُّون خيلاءها حتى غدَت نارًا مستعرةً. كانت سعادتها الكُبرى في الحياة في جعلِ أحد الصِّبية يُنافِس الآخَر، دافعةً إياهم إلى مهام وسباقاتٍ حمقاء، ولكسبِ عطيَّتها في النِّزالات كانت تجعل المرافِقين المعجبين يسبحون في (النَّهر الأسود)، أو يتسلَّقون (بُرج اليد)، أو يُطلِقون جميع غِدفان المِغدفة، وفي مرَّة أخذَت ستَّة صِبيةٍ إلى (جُب التَّنانين) وأخبرَتهم أنها ستمنح مَن يضَع رأسه في فم تنّينٍ عُذريَّتها، لكن الآلهة كانت رحيمةً في ذلك اليوم، ووضعَ خفر التَّنانين حدًّا لذلك.

كانت الملكة أليسين تعلم أن لا مُرافق سيظفر بڤسيرا يومًا؛ ليس بقلبها، وبالتَّأكيد ليس بعذريَّتها، إذ كانت إلى حدٍّ بعيد طفلةً أمكر من

أن تنحدِر إلى مسلك أختها سِايرا. قالت الملكة لچهيرس: «إنها لا تعبأ بألعاب التَّقبيل أو الصِّبية. إنها تلاعِبُهم كما اعتادَت ملاعبة جرائها، لكنها لن تَزِلَّ مع أحدٍ لا يعدو كلبًا نكرةً. غاليتنا ڤسيرا تتوقُ لهدفٍ أسمى كثيرًا. لقد رأيتُ كيف تتبختَر وتحوم حول بِايلون. هذا هو الزوج الذي تريده، وليس حُبًّا فيه. إنها تريد أن تُصبِح الملكة».

كان الأمير بِايلون يكبر ڤسيرا بأربع عشرة سنة، هو في التَّاسعة والعشرين وهي في الخامسة عشرة، لكن لورداتٍ أكبر منه سنًّا تزوَّجوا فتياتٍ أصغر، كما كانت تعلم جيِّدًا. لقد مرَّت سنتان منذ وفاة الأميرة أليسا، ومع ذلك لم يُبدِ بِايلون أيَّ اهتمام بأيِّ امرأةٍ أخرى. قالت ڤسيرا لصديقتها المقرَّبة، البلهاء بياتريس بترويل: «لقد تزوَّج أختًا، فلِمَ لا يتزوَّج أخرى؟ أنا أجمل بكثيرٍ من أليسا. لقد رأيتِها. كان أنفها مكسورًا!».

إن كانت الأميرة مصمِّمةً على الزَّواج بشقيقها فالملكة كانت عازمةً بالقدر نفسه على منعِ ذلك، فكان اللورد الماندرلي و(الميناء الأبيض) ردَّها. قالت أليسين لابنتها: «ثيومور رجلٌ صالح، رجلٌ حكيم، طيِّب القلب وعاقل، وشعبه يحبُّه».

لم تقتنِع الأميرة، وقالت قبل أن تهرع إلى والدها لتشتكي: «إذا كنتِ تحبِّينه لهذه الدَّرجة يا أمِّي فيُجدر بكِ أن تتزوَّجيه». ولم يمنحها چهيرس أيَّ عزاء، إذ قال لها: «إنها زيجةٌ جيِّدة»، قبل أن يُوضِّح أهميَّة تقريب الشَّمال من العرش الحديدي، وإن أضافَ أن ترتيب الزِّيجات من اختصاص الملكة على أيِّ حال، ولن يتدخَّل في مثل تلك الأمور.

محبطةً، لجأَت ڤسيرا إلى شقيقها بِايلون على أملِ تخليصها، إن كان تصديق نميمة البلاط ممكنًا، وذات ليلةٍ تسلَّلت من وراء حُرَّاسه إلى غُرفة نومه، وتجرَّدت من ملابسها وترقَّبت قدومه سامحةً لنفسها بتجرُّع

ما تشاء من نبيذ الأمير فيما انتظرَت. عندما ظهرَ الأمير بِايلون أخيرًا وجدها ثملةً عاريةً في سريره فأرسلَها إلى غُرفتها، وكانت الأميرة تترنَّح لدرجة أنها تطلَّبت مساعدة خادمتيْن وفارسٍ من الحرس الملكي لإعادتها بأمانٍ إلى مسكنها.

لن يُعرَف أبدًا كيف كانت معركة الإرادات بين الملكة أليسين وابنتها العنيدة ذات الخمسة عشرة عامًا لتُحسَم. لم يكن وقت طويل قد مرَّ على الحادثة في غُرفة نوم بِايلون، فيما أجرَت الملكة التَّرتيبات اللَّازمة لمغادرة ڤسيرا من (كينجز لاندنج)، حين بادلَت الأميرة إحدى خادماتها ملابسها للهروب من الحُرَّاس الذين كُلِّفوا لمنعها من ارتكاب الأذى، وانسلَّت من (القلعة الحمراء) لأجل ما وصفَته بـ«ليلةٍ أخيرة من الضَّحك قبل أن أذهب وأتجمَّد بردًا».

كان كلُّ رفاقها ذكورًا، اثنان من ورثة اللوردات الصغار وأربعة فُرسان شُبَّان، كلُّهم خُضر كعُشب الرَّبيع ويتوقون إلى حظوة ڤسيرا. عرضَ أحدهم أن يُري الأميرة أجزاءً من المدينة لم ترَها من قبل: محال الأكل وحلبات الجرذان في (جُحر البراغيث)، وخانات (زُقاق الحنشان) و(شارع المجذِّفين) حيث تَرقُص السَّاقيات على الموائِد، ومواخير (شارع الحرير). كان المِزر والبِتع والنَّبيذ من معالم حفلة الأُنس في تلك الأمسيَّة، وشاركَت ڤسيرا في الشُّرب بشغف.

في وقتٍ ما قُرب منتصف اللَّيل قرَّرت الأميرة ورفاقها الباقون (وقد فقدَ عدَّة فُرسان الإدراك من فرط الشُّرب) العودة إلى القلعة سباقًا. تلَت ذلك انطلاقة جامحة بالخيول في شوارع المدينة، حيث اندفعَ سُكَّان العاصِمة بعيدًا عن الطَّريق لتجنُّب السُّقوط والدَّهس. دوَّى الضَّحك في اللَّيل وكانت الرُّوح المعنويَّة عاليةً حتى بلغَ المتسابقون سفح (تل إجون

العالي)، حيث اصطدمَ حصان ڤسيرا بأحد رفاقها. اختلَّ توازُن فَرس الفارس وسقطَت كاسرةً ساقه تحتها، وطارَت الأميرة من فوق سرجها مرتطمةً بحائط، وكُسِرَت رقبتها.

كانت السَّاعة ساعة الذِّئب، أحلك أوقات اللَّيل، عندما وقعَ على عاتق السير ريام ردواين رجل الحرس الملكي أن يُوقِظ الملك والملكة من نومهما لإخبارهما بالعثور على ابنتهما ميتةً في زُقاقٍ عند سفح (تل إجون العالي).

على الرَّغم من خلافاتهما كان فقدان الأميرة ڤسيرا مدمِّرًا للملكة. في غضون خمس سنواتٍ أخذَت الآلهة ثلاثًا من بناتها: دِايلا في عام 82 بعد الفتح، وأليسا في 84، وڤسيرا في 87. كان الأمير بِايلون في حالة ذهولٍ شديد أيضًا، متسائلًا إن كان يجب أن يتحدَّث إلى أخته بأسلوبٍ أقل فظاظةً ليلة وجدَها عاريةً في سريره. رغم أنه وإيمون كانا مواساةً للملك والملكة في ساعة حُزنهما، جنبًا إلى جنب الليدي چوسلين زوجة إيمون وابنتهما رينس، فقد لجأت أليسين إلى بنتيْها المتبقِّيتين من أجل العزاء.

أخذت مِايجل، السِّپتة البالغة من العُمر خمسةً وعشرين عامًا، إذنًا من سِپتها للبقاء مع والدتها باقي العام، وأصبحَت الأميرة جِايل، وهي طفلة عذبة خجول في السَّابعة من العُمر، ظِلَّ الملكة الدَّائم ودعامتها، حتى إنها قاسمَتها سريرَها في اللَّيل. استمدَّت الملكة القوَّة من وجودهما... ومع ذلك وجدَت أفكارها تتَّجه أكثر فأكثر نحو الابنة التي لم تكن معها. على الرَّغم من حظر چهيرس ذلك، تحدَّت أليسين قراره ووظَّفت عُملاء سِرًّا لمراقبة بنتها الضَّالة عبر (البحر الضيِّق). كانت سِايرا لا تزال في (لِيس)، كما عرفَت من تقاريرهم، ولا تزال في حديقة الهوى. كانت

قد بلغَت من العُمر عشرين عامًا، وغالبًا تستضيف معجبيها متَّشحةً بمسوح مُبتدئات العقيدة. من الواضِح أن كثيرًا من اللايسنيِّين تلذَّذوا بجماع الفتيات البريئات اللواتي قطعن على أنفسهن نذور العفَّة، حتى إذا كانت البراءة مزيَّفةً.

كان حُزنها على فقدان الأميرة ڤسيرا هو ما دفعَ الملكة أخيرًا إلى مفاتحة چهيرس في أمر سِايرا من جديد، وقد أحضرَت معها السِّپتون بارث للحديث عن فضائل التَّسامح وخصائص الزَّمن العلاجيَّة. فقط عندما فرغَ بارث ذكرَت جلالتها اسم سِايرا، وتوسَّلت إلى الملك قائلةً: «أرجوك، حان الوقت لإعادتِها إلى الدِّيار. مؤكَّد أنها عوقِبَت بما فيه الكفاية. إنها ابنتنا».

لم يُزعزِع ذلك چهيرس، الذي ردَّ: «إنها عاهرة لايسينيَّة. لقد فتحَت ساقيها لنصف بلاطي، ورمَت امرأةً عجوزًا من فوق السُّلَّم، وحاولَت سرقة تنِّين. ماذا تُريدين أكثر من ذلك؟ هل فكَّرتِ في كيفيَّة وصولها إلى (لِيس)؟ لم يكن لديها مال. كيف تحسبينها دفعَت مقابل عبورها؟».

انكمشَت الملكة من قسوة كلماته، لكنها مع ذلك لم تستسلِم. «ما دُمتَ لن تُعيد سِايرا إلى الدِّيار لأجل حُبِّك لها، فأعِدها إلى الدِّيار لأجل حُبِّك لي. أنا بحاجةٍ إليها».

قال چهيرس: «حاجتكِ إليها كحاجة الدورني إلى جُحر أفاعٍ. آسف. في (كينجز لاندنج) ما يكفي من العاهرات. لا أرغبُ في سماع اسمها مجدَّدًا». بهذه الكلمات نهض ليُغادر، لكنه توقَّف عند الباب والتفتَ ليقول: «نحن معًا منذ طفولتنا، وأعرفكِ كما تعرفينني. الآن تفكِّرين أنكِ لستِ بحاجةٍ إلى إذني لإعادتها إلى الدِّيار، أن بإمكانكِ أن تأخذي سيلڤروينج وتطيري إلى (ليس) بنفسكِ. وماذا ستفعلين حينها؟ تزورينها

في حديقة الهوى؟ أتخالين أنها سترتمي في أحضانكِ وترتجي المغفرة؟ على الأرجح ستصفعكِ على وجهكِ. وماذا سيفعل اللايسينيُّون إذا حاولتِ الهرب بإحدى عاهراتهم؟ إن لها قيمةً عندهم. كم في ظنّكِ تكلفة مضاجعة أميرةٍ من آل تارجاريَن؟ سيطلبون فديةً نظيرها في أحسن الأحوال، وفي أسوأها قد يُقرِّرون الاحتفاظ بكِ أيضًا. ماذا ستفعلين حينئذٍ؟ تصيحين في سيلفروينج أن تحرق مدينتهم؟ أتُريدينني أن أرسل إيمون وبايلون على رأس جيشٍ ليريا إن كانا يستطيعان تحريرها؟ تُريدينها، نعم، أسمعكِ، وتحتاجين إليها... لكنها لا تحتاج إليكِ أو إليَّ أو إلى (وستروس). إنها ميتة، فادفِنيها».

لم تطِر الملكة أليسين إلى (لِيس)، لكنها لم تُسامِح الملك مُطلقًا على الكلمات التي قالها في ذلك اليوم. كانت الخُطط جاريةً قبل وقتٍ لقيامهما بجولةٍ أخرى في العام التَّالي، والعودة إلى (أراضي الغرب) لأوَّل مرَّةٍ منذ عشرين عامًا. بعد وقتٍ قصير من شجارهما أبلغَت الملكة جهيرس أن عليه الذَّهاب وحده، فهي عائدة إلى (دراجونستون) بمفردها لتندب بناتهما الموتى.

وهكذا طارَ جهيرس تارجاريَن وحده إلى (كاسترلي روك) ومعاقِل الغرب العظيمة الأخرى في عام 88 بعد الفتح، وهذه المرَّة زارَ (الجزيرة القصيَّة) حتى، إذ كان اللورد فرانكلين سيِّئ الذِّكر يرقد في قبره بسلام. غابَ الملك فترةً أطول بكثيرٍ مما انتوى في البداية، إذ كانت عنده طُرق يتفقَّدها، ووجدَ نفسه يتوقَّف بمحطَّاتٍ لم يُخطِّط لها في بلداتٍ وقلاعٍ أصغر، وهو أبهجَ العديد من اللوردات الصِّغار والفُرسان مُلَّاك الأراضي. انضمَّ إليه الأمير إيمون في بعض القلاع والأمير بايلون في غيرها، وإن لم يستطِع أيُّهما إقناعه بالعودة إلى (القلعة الحمراء). قال لهما جلالته:

«لقد مرَّ وقت طويل جدًّا منذ رأيتُ مملكتي واستمعتُ لشعبي. (كينجز لاندنج) ستكون على ما يُرام بين أيديكم أنتما ووالدتكما».

عندما استنفدَ الملك كرم ضيافة الغربيِّين لم يعُد إلى (كينجز لاندنج)، بل انتقلَ مباشرةً إلى (المرعى)، محلِّقًا بڤرميثور من (كراكهول) إلى (السِّنديانة القديمة) لبدء جولةٍ ثانية تزامنَت مع انتهاء الأولى. بحلول ذلك الوقت كان غياب الملكة قد لوحِظَ، وغالبًا ما وجدَ جلالته نفسه جالسًا في الولائِم بجوار فتاةٍ رشيقة القوام أو أرملةٍ مليحة، أو راكبًا بجانبهن عند الصَّيد بالكلاب أو الأبواز، لكنه لم ينتبه لأيٍّ منهن. في (باندالون)، عندما تجرَّأت ابنة الورد بلاكبار الصُّغرى لدرجة الجلوس في حجره ومحاولة إطعامه حبَّة عنب، أزاحَ يدها جانبًا وقال: «سامحيني، لكن لي ملكةً، ولا رغبة لديَّ في الخليلات».

طوال عام 89 بعد الفتح ظلَّ الملك في حالة تنقُّل. في (هايجاردن) انضمَّت إليه بعض الوقت حفيدته الأميرة رينس، التي طارَت إلى جانبه على متن الملكة الحمراء ميليس، ومعًا زارا (جُزر التُّروس) التي لم يزُرها الملك من قبل. تعمَّد چهيرس الهبوط في أربعة التُّروس، وفي قاعة اللورد تشستر بـ(التُّرس الأخضر) أخبرَته الأميرة رينس عن نيَّتها الزَّواج وتلقَّت بَركة الملك، الذي قال: «لم يكن بإمكانكِ اختيار رجلٍ أفضل».

انتهت رحلاته أخيرًا في (البلدة القديمة)، حيث زارَ ابنته السِّپتة مِايجل، وبارَكه السِّپتون الأعلى، وأولمَ له مجمع المِايسترات، واستمتعَ بدورة مبارياتٍ أقامَها على شرفه اللورد هايتاور، وخرجَ منها السير ريام ردواين مرَّةً أخرى متوَّجًا بطلًا.

أشار مِايسترات ذلك الوقت إلى الانفصال بين الملك والملكة بالصَّدع العظيم، لكن مرور الوقت، وشجارًا لاحقًا كان أقرب إلى الأوَّل في

المرارة، منحاه اسمًا جديدًا: الخصام الأوَّل. هكذا يُعرف حتى يومنا هذا. أمَّا الخصام الثَّاني فسنذكُره في الوقت المناسب.

كانت السِّپتة مِايجل هي التي رأبَت الصَّدع، إذ قالت له: «هذه حماقة يا أبتاه. رينس ستتزوَّج العام المقبل، وينبغي أن تكون مناسبةً رائعةً. ستُريد حضورنا جميعًا، بمن في ذلك أنت وأمِّي. سمعتُ أن كبار المِايسترات يدعونك بالمصلح. حانَ الوقت لأن تُصلِح ذات البين».

كان لهذا التَّأنيب التأثير المطلوب. بعد أسبوعيْن عادَ الملك چهيرس أخيرًا إلى (كينجز لاندنج)، وعادَت الملكة أليسين من منفاها الاختياري في (دراجونستون). لا يُمكننا أبدًا معرفة الكلام الذي تبادَلاه، لكنهما لفترةٍ لا بأس بها بعد ذلك عادا قريبيْن كما كانا من قبلُ.

في العام التِّسعين بعد فتح إجون قضى الملك والملكة واحدًا من أواخِر أوقاتهما السَّعيدة معًا، إذ احتفلا بزفاف حفيدتهما الكُبرى الأميرة رينس إلى كورلس ڤيلاريون ابن (دريفتمارك)، سيِّد المدِّ والجَزر.

في سنِّ السَّابعة والثَّلاثين كان يُشاد بثُعبان البحر بأنه أعظم بحَّارٍ عرفَته (وستروس) على الإطلاق، ولكن إذ صارَت رحلاته التِّسع العظيمة خلفه عادَ إلى الدِّيار ليتزوَّج ويُكوِّن أُسرةً. قال للأميرة: «أنتِ وحدكِ التي كان يُمكنها أن تغلب البحر وتظفر بي. لقد عدتُ من أقاصي الأرض من أجلكِ».

كانت رينس، البالغة من العمر ستة عشر عامًا، شابَّةً شُجاعةً جميلةً، وأكثر من مجرَّد زوجةٍ لبحَّارها. كانت راكِبة تِنِّينٍ منذ سنِّ الثَّالثة عشرة، وقد أصرَّت على الوصول إلى حفل الزِّفاف على متن ميليس، الملكة الحمراء، أنثى التنِّين القرمزيَّة المبهرة التي حملَت عمَّتها أليسا من قبل. وعدَت رينس كورلس قائلةً: «يُمكننا العودة إلى أقاصي الأرض

معًا، لكنني سأصلُ أوّلًا، لأني سأطيرُ».

خلال الأعوام المتبقيَّة لها اعتادَت الملكة أليسين أن تقول بابتسامةٍ حزينة: «كان ذلك يومًا طيِّبًا». كانت تبلُغ من العُمر أربعًا وخمسين سنةً في ذلك العام، ولكن من المحزن أن نقول إنه لم يتبقَّ لها الكثير من الأيام الطيِّبة.

ليس في مجال قصَّتنا تأريخ الحروب والمؤامرات والمنافسات التي لا تنتهي بين المدن الحرَّة في (إسوس)، باستثناء الأوقات التي أثَّرت فيها على أقدار آل تارجاريَن و(الممالك السَّبع). أحد هذه الأوقات كان خلال العامين 91-92 بعد الفتح، خلال ما يُعرف باسم حمَّام الدَّم المايري. لن نُزعِجكم بالتَّفاصيل، ويكفي أن نقول إن في مدينة (مير) كان فصيلان يتنافَسان على السُّلطة، فوقعَت اغتيالات وأعمال شغب وتسميم واغتصاب وشنق وتعذيب ومعارك بحريَّة قبل خروج أحد الطَّرفين منتصرًا. حاولَ الفصيل الخاسر، الذي طُرِدَ من المدينة، إرساء نفسه على جُزر (الأعتاب) أوَّلًا، فقط ليُطرَد من هناك أيضًا عندما تحالفَ أركون (تايروش) مع رابطةٍ من ملوك القراصنة، وفي خضمٍ يأسهم عمدَ المايريُّون بعدها إلى جزيرة (تارث)، حيث فاجأ رسوُهم سيِّدها نجم المساء، واستولوا في مُدَّةٍ وجيزة على كامل الجانب الشَّرقي من الجزيرة.

بحلول ذلك الوقت كان المايريُّون أكثر قليلًا من قراصنةٍ عن أنفسهم، عصابةً مُمزَّقة من المارقين، ولم يشعر الملك أو مجلسه أن دفعهم مجدَّدًا إلى البحر سيتطلَّب الكثير، وقرِّرَ أن يقود الأمير إيمون الهجوم. كان لدى الرِّجال المايريِّين بعض القوَّة البحريَّة، لذلك سيحتاج ثُعبان البحر أوَّلًا إلى جلب أسطول ڤيلاريون جنوبًا، لحماية اللورد بورمند في أثناء عبوره إلى (تارث) مع رجال العواصف للانضمام إلى جنود نجم المساء.

ستكون قوّتهم المشتركة أكثر من كافيةٍ لاستعادة كلِّ (تارث) من القراصنة المايريِّين، وإن واجهَتهم صعوبات غير متوقعة فسيكون كاراكسس مع إيمون، وقد قال عنه الأمير: «إنه يحبُّ أن يحرق».

أبحرَ اللورد كورلس وأسطوله من (دريفتمارك) في اليوم التَّاسع من القمر الثَّالث من عام 92 بعد الفتح، وتبعَه الأمير إيمون بعد ساعاتٍ قليلة بعد أن ودَّع الليدي چوسلين وابنتهما رينس. كانت الأميرة قد علمَت للتَّوِّ بأنها حُبلى، وإلا لكانت رافقَت والدها على ظهر ميليس. قال لها الأمير: «إلى المعركة؟ كما لو أني كنتُ لأسمح بذلك أبدًا. إن لديكِ معركتكِ الخاصَّة لتخوضيها. اللورد كورلس سيُريد ابنًا، أنا واثق، وأنا أريدُ حفيدًا».

كانت هذه آخِر كلماتٍ تفوَّه بها لابنته. سريعًا سبقَ كاراكسس ثُعبان البحر وأسطوله، ونزلَ من السَّماء على (تارث). كان اللورد كامرون، نجم مساء (تارث)، قد انسحبَ مرَّةً أخرى نحو سلسلة الجبال الممتدَّة بطول وسط جزيرته، وأقامَ معسكرًا في وادٍ خفي يمكن النَّظر منه ورؤية تحرُّكات المايريِّين أدناه. التقاه الأمير إيمون هناك، ووضعَ الاثنان الخُطط معًا فيما التهمَ كاراكسس نصف دستةٍ من الماعِز.

لكن معسكر نجم المساء لم يكن مخفيًّا للدَّرجة التي أملَها، ولفتَ الدُّخان المنبعث من نيران التنِّين أنظار اثنين من كشَّافة المايريِّين كانا يتسلَّلان عبر المرتفعات خلسةً، وتعرَّف أحدهما نجم المساء وهو يتجوَّل في المعسكر عند الغسق ويتحدَّث مع الأمير إيمون. رجال (مير) بحارةٌ غير منضبطين وجنود ضُعفاء، أسلحتهم المفضَّلة الخناجر الطَّويلة والعاديَّة والنُّشَّابيَّات، ويفضِّل أن تكون مسمَّمةً. ألقمَ أحد الكشَّافيْن المايريَّيْن نُشَّابيَّته حيث توارى خلف الصُّخور، وإذ نهضَ صوَّب على نجم المساء

على بُعد مئة ياردة أدناه، وأطلقَ سهمه. جعلَت عتمة الغسق وبُعد المسافة تصويبه أقلَّ دقَّةً، فأخطأ اللورد كامرون... ليُصيب الأمير إيمون الواقف إلى جانبه.

اخترقَ السَّهم حلق الأمير وخرجَ من مؤخِّرة رقبته، وسقطَ أمير (دراجونستون) على رُكبتيه وقبضَ على السَّهم بيديه كأنه يُحاول سحبه من حلقه، لكن قوَّته كلَّها كانت قد خارَت. ماتَ إيمون تارجاريَن وهو يُصارِع ليتكلَّم غارقًا في دمائه، وكان في السَّابعة والثَّلاثين من العُمر.

كيف يمكن لكلماتي أن تُعبِّر عن الحُزن الذي اجتاحَ (الممالِك السَّبع) آنذاك، والأسى الذي شعرَ به الملك جهيرس والملكة أليسين، وسرير الليدي چوسلين الخالي ودموعها المريرة، وبُكاء الأميرة رينس إذ علمَت أن والدها لن يحمل أبدًا الطِّفل الذي في بطنها؟ أسهل كثيرًا الحديث عن غضبة الأمير بِايلون، وكيف نزلَ على (تارث) ممتطيًا ڤاجهار وصارخًا بالثَّأر. احترقَت سُفن المايريِّين كما احترقَت سُفن الأمير موريون قبل تسع سنين، وعندما كرَّ نجم المساء واللورد بورمند عليهم من الجبال ضاقَت عليهم الأرض بما رحبَت، فقُتِلوا بالآلاف وتُرِكوا ليتعفَّنوا بطول الشواطِئ، لذلك كانت كلُّ موجةٍ بلغَت السَّاحل لعدَّة أيامٍ مشوبةً بالوردي.

لعبَ بِايلون الشُّجاع دوره في المذبحة بـ(الأخُت المظلمة) في يده، وعندما عادَ إلى (كينجز لاندنج) ومعه جُثَّة شقيقه اصطفَّ النَّاس في الشَّوارع صارخين باسمه ومشيدين به بطلًا. لكن يُقال إنه عندما رأى والدته ثانيةً ارتمى في أحضانها وبكى قائلًا: «لقد قتلتُ ألفًا منهم، لكن ذلك لن يُعيده»، فملَّست الملكة على شعره، وقالت: «أعرفُ، أعرفُ».

حلَّت الفصول ومرَّت في السَّنوات التَّالية. أيام حارَّة وأخرى دافئة وأيام هبَّت فيها الرِّياح المالحة القويَّة من البحر، وحقول أزهارٍ في الرَّبيع ومحاصيل وفيرة وساعات ظهيرةٍ ذهبيَّة في الخريف. في جميع أنحاء المملكة كانت الطُّرق تتمدَّد إلى الأمام والجسور الجديدة تُقام فوق الجداول القديمة. حسبما قدَّر النَّاس، لم يجد الملك سرورًا في أيٍّ من ذلك، وذات ليلةٍ أفرطَ فيها في الشُّرب قال للسِّپتون بارث: «إنه شتاءٌ دائمٌ الآن». منذ وفاة إيمون كان يشرب دائمًا كأسًا أو ثلاثًا من النَّبيذ المحلَّى بالعسل ليلًا لمساعدته على النَّوم.

في عام 93 بعد الفتح دخلَ ڤسيرس، ابن الأمير بِايلون الذي يبلُغ السَّادسة عشرة، (جُب التَّنانين) وأخذَ بالريون. كان التِّنين العجوز قد توقَّف عن النُّموِّ أخيرًا، لكنه كان بطيئًا وثقيلًا ومن العسير إيقاظُه، وقد كافحَ حين حثَّه ڤسيرس على العروج إلى السَّماء. طارَ الأمير الشَّاب ثلاث مرَّاتٍ حول المدينة قبل أن يحطَّ من جديد، ولاحقًا أخبر والده أنه كان ينوي الذَّهاب إلى (دراجونستون)، لكنه لم يحسب أن الرُّعب الأسود تمتَّع بالقوَّة الكافية.

وبعد أقلِّ من عامٍ قضى بالريون نحبه. كتبَ السِّپتون بارث: «كان آخِر مخلوقٍ حي في العالم كلِّه رأى (ڤاليريا) في أبَّهتها». تُوفِّيَ بارث نفسه بعد أربع سنواتٍ في عام 98 بعد الفتح، وسبقَه المِايستر الأكبر إليسار بنصف عام، وكان اللورد ردواين قد ماتَ في عام 89 بعد الفتح، وابنه السير روبرت بعده بوقتٍ قصير. تولَّى مناصبهم رجال جُدد، لكن حينئذٍ كان چهيرس قد صارَ حقًّا الملك العجوز، وفي بعض الأحيان كان يَدخُل قاعة المجلس ويُفكِّر: «مَن هؤلاء الرِّجال؟ هل أعرفهم؟».

حزنَ جلالته على الأمير إيمون حتى نهاية أيَّامه، لكن الملك العجوز لم

يتصوَّر قَطُّ أن موت إيمون في عام 92 بعد الفتح سيكون بمثابة أبواق الجحيم في الأساطير الڤاليريَّة، التي تجلب الموت والدَّمار على كلٍّ من يسمع نفيرها.

كانت السَّنوات الأخيرة من حياة أليسين تارجارين حزينةً وحيدةً. في شبابها أحبَّت الملكة الكريمة أليسين رعاياها، البُسطاء والنُّبلاء على حدٍّ سواء، وأحبَّت مجالس النِّساء حيث استمعَت وتعلَّمت وبذلَت ما بوسعها لجعلِ البلاد مكانًا ألطف، ورأت من (الممالِك السَّبع) بقاعًا أكثر من أيِّ ملكةٍ من قبلها أو منذ حينها، ونامَت في مئة قلعة، وفتنَت مئات اللوردات، ورتَّبت مئات الزِّيجات، وأحبَّت الموسيقى والرَّقص والقراءة. وأوه، لكم كانت مغرمةً بالطَّيران. لقد حَملتها سيلڤروينج إلى (البلدة القديمة)، إلى (الجِدار)، وإلى ألف مكانٍ بينهما، وقد رأتها أليسين جميعًا كما رآها قلائل آخَرون إذ تطلَّعت إليها من فوق السَّحاب.

كلُّ هذه الأشياء المحبَّبة فقدَتها أليسين في العقد الأخير من حياتها، إذ سُمِعَت تقول: «كان عمِّي ميجور متوحِّشًا، لكن الشَّيخوخة أشدُّ وحشيَّةً». منهكَةً من أعباء الولادة والسَّفر والحُزن، أصبحَت ضعيفةً هشَّةً بعد وفاة إيمون، وأضحى صعود التِّلال بمثابة محنةٍ عسيرةٍ لها، وفي عام 95 بعد الفتح زلَّت وسقطَت على السَّلالم الملتفَّة كاسرةً وَركها، ومن بعدها سارَت بعُكَّاز. بدأت حاسَّة سمعها في الذُّبول أيضًا وسُلِبَت منها الموسيقى، وعند محاولتها حضور اجتماعات المجلس مع الملك وجدَت أنها لم تعُد تفهم نصف ما يُقال. كانت غير مُستقرَّة، وبالتأكيد غير قادرةٍ على الطَّيران، وقد حملَتها سيلڤروينج في السَّماء للمرَّة الأخيرة في عام 93 بعد الفتح. حين حطَّت ثانيةً ونزلت متألِّمةً من فوق ظهر تنِّينتها، بكَت الملكة حُزنًا.

أكثرَ من كلِّ تلك الأشياء أحبَّت أليسين أولادها. قبل أن تأخذه الرَّعشة أخبرَها المايستر الأكبر بنيفر ذات مرَّةٍ أن لا أمَّ أحبَّت طفلًا أكثر منها يومًا. في الأيَّام الأخيرة من حياتها تأمَّلت الملكة أليسين كلماته تلك، وكتبَت: «أظنُّه كان مخطئًا، لأن من المؤكَّد أن (الأُمَّ في الأعالي) أحبَّت أطفالي أكثر، فقد أخذَت كثيرين منهم بعيدًا عني».

قالت الملكة عند محرقة جنازة ابنها ڤاليرون: «لا ينبغي لأُمٍّ أن تُحرِق طفلها»، ولكن من الأولاد الثَّلاثة عشر الذين أنجبتهم للملك چهيرس لم يعِش إلَّا ثلاثة بعد رحيلها، إذ تُوفِّيَ كلٌّ من إجون وجيمون وڤاليرون وهم رُضَّع، وأخذَت الرَّعشة دنيرس في سنِّ السَّادسة، واقتنصَ القوس والنُّشَّاب الأمير إيمون، وماتَت أليسا ودِايلا على سرير النِّفاس، ولقيَت ڤسيرا حتفها سكرانة في الشَّارع، ورحلَت السِّپتة مِايجل، تلك الرُّوح العذبة، في عام 96 بعد الفتح بعد أن تحجَّرت ذراعاها وساقاها من جرَّاء الدَّاء الأرمَد، لأنها أمضَت سنواتها الأخيرة في رعاية المصابين بذلك المرض المروِّع.

كان الأشد حُزنًا فقدان الأميرة جِايل، طفلة الشِّتاء، التي وُلِدت في عام 80 بعد الفتح، عندما كانت الملكة أليسين في الرابعة والأربعين من عُمرها وظُنَّ أنها تجاوزَت سنوات قُدرتها على الإنجاب. كانت جِايل فتاةً لطيفة الطِّباع، ولكن ضعيفة وبسيطة العقل نوعًا، وقد بقيَت مع الملكة فترةً طويلةً بعدما كبرَ الآخَرون وذهبوا في حال سبيلهم، لكن في عام 99 بعد الفتح اختفَت من البلاط فجأةً، وبعد ذلك بوقتٍ قصير أُعلِنَ أنها ماتَت من جرَّاء حُمَّى صيفيَّة. لم تَخرُج القصَّة الحقيقيَّة إلَّا بعد رحيل والديها. بعد أن أغواها مُغنٍّ جوَّال ثمَّ هجرَها، وضعَت الأميرة ابنًا ميتًا، وإذ غمرَها الحُزن خاضَت في لُجَّة (النَّهر الأسود) وغرقَت.

يقول البعض إن أليسين لم تتعافَ قَطُّ من تلك الخسارة، لأن طفلتها الشَّتويَّة وحدها كانت رفيقًا حقيقيًا لها خلال سنوات تدهوُرها. كانت سِايرا لا تزال حيَّةً في مكانٍ ما في (ڤولانتيس) -إذ كانت قد غادرتَ (لِيس) قبل بضع سنوات، امرأة سيِّئة السُّمعة لكن غنيَّة- لكنها ميتة بالنِّسبة إلى چهيرس، ولم تردَّ على أيٍّ من الرَّسائل التي أرسلتها أليسين إليها سرًّا من وقتٍ إلى آخَر. كان ڤيچون مِايسترًا رئيسًا في (القلعة)، ابنًا بارد الأعصاب منعزلًا، كبرَ ليغدو رجلًا بارد الأعصاب منعزلًا. كان يكتُب لها كما يجب أن يفعل الابن، غير أن كلماته كانت من باب الطَّاعة والبرِّ ولم تحمل أيَّ دفء، وقد مرَّت أعوام طوال منذ رأت أليسين وجهه آخِر مرَّة.

وحده بِايلون الشُّجاع بقيَ بالقُرب منها حتى النِّهاية. زارَها أميرها الرَّبيعي قدر استطاعته ورسمَ الابتسامة على وجهها دائمًا، لكن بِايلون كان أمير (دراجونستون) ويدَ الملك، يأتي ويذهب على الدَّوام، ويجلس بجانب والده في المجلس ويتعامَل مع اللوردات. في آخِر مرَّة كانا فيها معًا أخبرَته أليسين: «ستغدو ملكًا عظيمًا، أعظم من والدك». لم تكُن تعلم. وأنَّى لها أن تعلم؟

بعد وفاة الأميرة جِايل أضحَت (كينجز لاندنج) و(القلعة الحمراء) لا تُطاقان عند أليسين. لم تعُد قادرةً على الخدمة كما اعتادَت من قبل بصفتها شريكةً للملك في أعماله، وقد امتلأ البلاط بالغُرباء الذين لم تستطِع أليسين تذكُّر أسمائهم. سعيًا للسَّكينة والسَّلام، عادَت الملكة مرَّةً أخرى إلى (دراجونستون)، حيث قضَت أسعد أيَّام حياتها مع چهيرس بين زواجهما الأوَّل والثَّاني، وانضمَّ إليها الملك العجوز هناك كلَّما استطاعَ. في مرَّةٍ سألها: «كيف أكونُ الملك العجوز الآن لكنكِ ما

زلتِ الملكة الكريمة؟»، فضحكَت أليسين وأجابَت: «أنا عجوز أيضًا، لكني ما زلتُ أصغر منك».

ماتَت أليسين تارجاريَن بـ(دراجونستون) في أوَّل يومٍ من سابع أقمار عام 100 بعد الفتح، بعد قرنٍ كامل من فتحِ إجون، وكانت تبلُغ من العمر أربعةً وستِّين عامًا.

ورثةُ التنّين
مسألةُ الخلافة

غالبًا ما تُزرَع بذور الحرب في أوقات السِّلم، وكذا كانت الحال في (وستروس). كانت للصِّراع الدَّموي من أجل العرش الحديدي، المعروف برقصة التَّنانين ودارَت رحاه بين عامَي 129-131 بعد الفتح، جذور مغروسة قبل نصف قرنٍ من نشوبه، خلال أطول العهود التي تمتَّع بها أيٌّ من أحفاد الفاتِح وأشملها سلامًا، عهد چهيرس تارجارين الأوَّل، الملك المصلح.

حكمَ الملك العجوز والملكة الكريمة أليسين معًا حتى وفاتها في عام 100 بعد الفتح (باستثناء فترتيْن من الانفصال معروفتيْن بالخصام الأوَّل والثَّاني)، وأنجَبا ثلاثة عشر ولدًا، كبرَ أربعة منهم -ابنان وبنتان- وبلغوا وتزوَّجوا وأنجَبوا أولادًا بدورهم. لم يسبق أن بُورِكَت (الممالِك السَّبع) من قبل أو منذ ذلك الحين -أو لُعِنَت في رأي البعض- بذلك العدد الكبير من أمراء آل تارجارين الصِّغار. من صُلب الملك العجوز وملكته الحبيبة تفرَّعت فوضى عارمة من الادِّعاءات والمدَّعين حدَت بالعديد

من المايسترات إلى الاعتقاد بأن رقصة التّنانين، أو صراعًا على شاكلتها، كانت محتومةً.

لم يكن هذا واضحًا في السَّنوات الأولى من حُكم جهيرس، لأن في الأميريْن إيمون وبايلون كان لجلالته مضربا المثل «الوريث وبديله»، ونادرًا ما نعمَت المملكة بأميريْن أكفأ. في عام 62 بعد الفتح، في السَّابعة من عمره، نُصِّبَ إيمون رسميًّا أميرًا لـ(دراجونستون) ووريثًا للعرش الحديدي، وبعد تحصُّله على الفروسيَّة في السَّابعة عشرة، وتتويجه بطلًا لدورة مبارياتٍ في العشرين، أصبحَ كبير قُضاة والده وقيِّم قوانينه في السَّادسة والعشرين. رغم أنه لم يخدم والده في يدويَّة الملك قَطُّ، فقد رجعَ ذلك فقط إلى شغلِ السِّپتون بارث المنصب، إذ كان صديق الملك العجوز الأكثر موثوقيَّةً و«رفيق جهودي». ولم يكن بِايلون تارجارين أقلَّ إنجازًا، فقد حازَ الأمير الأصغر الفروسيَّة في سنِّ السَّادسة عشرة، وتزوَّج في الثامنة عشرة، وعلى الرَّغم من تمتُّعه هو وإيمون بتنافسٍ صحِّي فإنَّ أحدًا لم يُشكِّك في المحبة التي جمعَتهما. هكذا بدَت دعائِم الخلافة صُلبةً كالحجر.

لكن الحجر بدأ يتصدَّع في عام 92 بعد الفتح، حين قُتِلَ إيمون أمير (دراجونستون) في (تارث) بسهم نُشَّابيَّة مايري كان مرصودًا للرَّجل الواقف إلى جانبه. حزنَ الملك والملكة على خسارته، ومعهما المملكة، لكن أحدًا لم يكن أشدَّ ثكلًا من الأمير بِايلون، الذي ذهبَ على الفور إلى (تارث) وانتقمَ لمقتل أخيه بدفعِ المايريِّين إلى البحر. عند عودته إلى العاصمة استقبلَت الحشود المهلِّلة بِايلون استقبال الأبطال، واحتضنَه أبوه الملك الذي سمَّاه أمير (دراجونستون) ووريث العرش الحديدي. كان مرسومًا شعبيًا، فقد أحبَّ العوام بِايلون الشُّجاع، ورآه لوردات المملكة

خليفة أخيه الواضح.

لكن الأمير إيمون كان له ولد: ابنته ريينس المولودة في عام 74 بعد الفتح، التي نمَت لتُصبح شابَّةً ذكيَّةً قديرةً جميلةً. في عام 90 بعد الفتح، في سنِّ السَّادسة عشرة، تزوَّجت ريينس أميرال الملك وقيِّم السُّفن كورلس رأس عائلة ڤيلاريون، سيِّد المدِّ والجَزر، المعروف بلقب ثُعبان البحر على اسم أشهر سُفنه العديدة. علاوةً على ذلك، كانت الأميرة ريينس حُبلى عندما تُوفِّيَ والدها، وبمنح الأمير بِايلون (دراجونستون) لم يكن الملك چهيرس يتخطَّى ريينس فحسب، بل أيضًا -ربما- ابنها الذي لم يُولَد بعدُ.

توافقَ قرار الملك مع الممارَسات الرَّاسخة. كان إجون الفاتح أوَّل ملكٍ لـ(الممالِك السَّبع)، لا أخته ڤيزينيا التي تكبره بسنتيْن، وچهيرس نفسه خلفَ عمَّه الغاصِب ميجور على العرش الحديدي، ولكن لو اتُّبِعَ ترتيب الولادة وحده لكانت لأخته رِاينا مُطالبة أحق. لم يتَّخذ چهيرس قراره باستخفاف، ومن المعروف أنه ناقشَ الأمر مع مجلسه الصَّغير. مما لا شكَّ فيه أنه استشار السِّپتون بارث كما فعلَ في جميع الأمور الهامَّة، كما فكَّر مليًّا في آراء المِايستر الأكبر إليسار. كلُّهم كان متَّفقًا: بِايلون، الفارس المخضرم البالغ من العُمر خمسةً وثلاثين عامًا، أنسب للحُكم من الأميرة ريينس ذات الثَّمانية عشر عامًا أو طفلها الذي لم يُولَد بعدُ (وقد يكون أو لا يكون صبيًّا)، في حين أن الأمير بِايلون أنجبَ بالفعل صبيَّيْن سليميْن، ڤسيرس وديمون). استُشهِدَ أيضًا بحُبِّ العوام لبِايلون الشُّجاع.

عارضَ البعض هذا. ريينس نفسها كانت أوَّل مَن اعترضَ، إذ قالت للملك: «تُريد أن تسلب ابني حقَّه بالميلاد»، وقد وضعَت يدها على بطنها المنتفخ، فيما كانت غضبة زوجها كورلس ڤيلاريون بالغةً لدرجة أنه تخلَّى عن الأميراليَّة ومكانه في المجلس الصغير وعادَ بزوجته إلى (دريفتمارك)، كما غضبَت والدة ريينس، الليدي چوسلين سليلة عائلة باراثيون، وكذلك شقيقها المهيب بورمند سيِّد (ستورمز إند).

أمَّا أبرز المعارضين فكان الملكة الكريمة أليسين، التي ساعدَت زوجها في حُكم (الممالِك السَّبع) سنواتٍ طويلةً، والآن شهدَت التَّجاوُز عن حقِّ ابنة ابنها بسبب جنسها. اشتهرَ قولها للملك: «الحاكم يحتاج إلى عقلٍ متَّزن وقلبٍ صادق. القضيب ليس ضروريًّا. إن كنت تُؤمِن حقًّا أن النِّساء يفتقرن إلى الذَّكاء ليحكُمن يا صاحب الجلالة، فمن الواضح

أنك لم تعُد بحاجةٍ إليَّ». وهكذا غادرَت الملكة أليسين العاصمة وارتحلَت إلى (دراجونستون) على متن تنِّينتها سيلفروينج، وبقيَت هي والملك چهيرس منفصليْن عاميْن، وهي فترة الانفصال المدوَّنة في التَّواريخ بعنوان الخصام الثَّاني.

تصالحَ الملك العجوز والملكة الكريمة من جديدٍ في عام 94 بعد الفتح من خلال المساعي الحميدة لابنتهما السِّپتة مِايجل، وإن لم يتوصَّلا قَطُّ إلى اتِّفاقٍ بشأن الخلافة. تُوفِّيَت الملكة بمرض الهُزال في عام 100 بعد الفتح عن عُمر الرَّابعة والستِّين وهي لا تزال مصرَّةً أن حفيدتها رينس وأطفالها غُمِطت حقوقهم. «الصَّبي في الرَّحِم»، الطِّفل الذي لم يُولَد بعدُ وكان موضوع الكثير من الجدل، تبيَّن أنه فتاة عندما وضعَتها رينس في عام 93 بعد الفتح وسمَّتها لِاينا، وفي العام التَّالي منحَتها رينس أخًا هو لِاينور. بحلول ذلك الوقت كان الأمير بِايلون راسخًا باعتباره الوريث الواضح، إلَّا أنَّ آل ڤيلاريون وآل باراثيون تشبَّثوا بالاعتقاد بأن الصَّغير لِاينور أحقُّ بالعرش الحديدي، حتى إن بعضهم حاججَ بحقوق أخته الكُبرى لِاينا وأمِّهما رينس.

كما سردنا سابقًا، وجَّهت الآلهة العديد من الضَّربات القاسية إلى الملكة أليسين في السَّنوات الأخيرة من حياتها، ومع ذلك عرفَت جلالتها بخلاف الأتراح أفراحًا خلال تلك السَّنوات نفسها، أبرزها أحفادها. وأقيمَت زفافات أيضًا، ففي عام 93 بعد الفتح حضرَت جلالتها حفل زفاف ڤسيرس، الابن الأكبر للأمير بِايلون، والليدي إمَا سليلة عائلة آرن، ابنة الأميرة الرَّاحلة دِايلا البالغة من العُمر أحد عشر عامًا (لم تتمَّ زيجتهما إلَّا بعدما أزهرَت العروس بعد عامين)، وفي عام 97 بعد الفتح شهدَت الملكة الكريمة الابن الثَّاني لبِايلون، ديمون، يتَّخذ الليدي ريا

سليلة آل رويس، وريثة قلعة (رونستون) العتيقة في (الوادي)، زوجةً.

من المؤكَّد أن دورة المباريات الكُبرى، التي أقيمَت بالعاصمة في عام 98 بعد الفتح للاحتفال بالعام الخمسين من عهد الملك جهيرس، أسعدَت قلب الملكة أيضًا، إذ عادَ معظم الأحياء من أولادها وأحفادها وأولاد أحفادها للمشاركة في الأعياد والاحتفالات. قيلَ عن استحقاقٍ إن العالم لم يرَ ذلك العدد من التَّنانين في مكانٍ واحد في وقتٍ واحد منذ هلاك (ڤاليريا)، واعتُبِرَ النِّزال النِّهائي، الذي كسرَ فيه فارسا الحرس الملكي السير ريام ردواين والسير كليمنت كراب ثلاثين رُمحًا ضد بعضهما بعضًا قبل أن يُعلنهما الملك جهيرس بطلَيْن مشترَكيْن، أفضل نزالٍ شهدَته (وستروس) على الإطلاق.

بعد أسبوعيْن من نهاية دورة المباريات ماتَ صديق الملك القديم السِّپتون بارث بسلامٍ في نومه، بعد أن خدمَ باقتدارٍ في منصب يد الملك واحدًا وأربعين عامًا. اختارَ جهيرس قائد الحرس الملكي ليحلَّ محلَّه، لكن السير ريام ردواين لم يكن السِّپتون بارث، وتبيَّن أن براعته التي لا شكَّ فيها في استخدام الرُّمح لم تُفِده في منصب اليدويَّة. «بعض الإشكال لا يمكن حلُّه بضربةٍ بعصا النِّزال». هكذا علَّق المِايستر الأكبر آلار تعليقه الشَّهير. لذا لم يكن أمام جلالته من خيارٍ سوى عزل السير ريام بعد عامٍ واحدٍ فقط من شغله المنصب، ولجأ إلى ابنه بِايلون ليحلَّ محلَّه، وفي عام 99 بعد الفتح أصبحَ أمير (دراجونستون) يد الملك أيضًا. أدَّى الأمير واجباته أداءً مثيرًا للإعجاب، ورغم أنه كان أقلَّ علمًا ومعرفةً من السِّپتون بارث فقد أثبت أنه بصير بالنَّاس، وأحاطَ نفسه بأتباعٍ ومُستشارين مخلصين. ستُحكَم البلاد خير حُكمٍ حين يعتلي بِايلون تارجاريَن العرش الحديدي. اتَّفق اللوردات والعامَّة على ذلك.

ويا سرعان ما تبدَّد الأمل، إذ حدثَ في عام 101 بعد الفتح أن اشتكى الأمير بِايلون من وخزٍ في جنبه في أثناء الصَّيد بـ(غابة الملوك). تفاقمَ الألم حين عادَ إلى المدينة، وانتفخَ بطنه وتصلَّب، واشتدَّ الألم لدرجة أنه طرحَه في الفِراش. كان المِايستر الأكبر الجديد رونسيتر قد وصلَ للتَّوِّ من (القلعة) بعدما أصيبَ آلار بسكتةٍ دماغيَّة، واستطاعَ تخفيف حُمَّى الأمير إلى حدٍّ ما ومنحه شيئًا من الرَّاحة بحليب الخَشخاش، لكن حالته استمرَّت في التَّدهور، وفي اليوم الخامس من مرضه تُوفِّيَ الأمير بِايلون في غُرفة نومه بـ(بُرج اليد)، وكان والده جالسًا بجانبه ممسكًا بيده. بعد فتح الجثَّة أرجعَ المِايستر الأكبر رونسيتر سبب الوفاة إلى انفجارٍ في المعدة.

بكَت (الممالِك السَّبع) جميعها بِايلون الشُّجاع، ولم يبكِه أحد أكثر من الملك. هذه المرَّة، عندما أشعلَ محرقة جنازة ابنه، لم يحظَ چهيرس بمواساة زوجته الحبيبة بجانبه حتى، ولم يبدُ الملك العجوز وحيدًا هكذا من قبل. والآن عادَ جلالته يُواجِه معضلةً خطيرةً، إذ أصبحَت الخلافة موضع شكٍّ مجدَّدًا، فبوفاة كلا وريثَيْه وإحراقهما لم يَعُد للعرش الحديدي وريث واضح... لكن ذلك لم يعنِ أنه كان في المطالبين أيُّ نقص.

أنجبَ بِايلون ثلاثة أبناء من أخته أليسا، لم يزَل اثنان منهم، ڤسيرس وديمون، على قيد الحياة. لو حازَ بِايلون العرش الحديدي لتبعَه ڤسيرس دون أدنى شك، لكن موت وليِّ العهد المأساوي في سنِّ الرَّابعة والأربعين عكَّر مسألة الخلافة. طُرِحَت دعوى الأميرة ريينس وابنتها لِاينا ڤيلاريون مجدَّدًا... وحتى إذا تُجُووِزَتا بسبب جنسهما، لم يكن لِاينور ابن ريينس يُواجِه ذلك العائق. كان لِاينور ڤيلاريون ذكرًا، وله أن يتذرَّع بنسبه من ابن چهيرس الأكبر، فيما انحدرَ ابنا بِايلون من الابن الأصغر.

علاوةً على ذلك، لم يزَل للملك چهيرس ابن واحد على قيد الحياة:

ڤيچون، المِايستر الرَّئيس في (القلعة)، حامِل خاتم وصولجان وقناع الذَّهب الأصفر. يذكُره التَّاريخ باسم ڤيچون عديم التنّين، وقد نسيَ معظم أهل (الممالِك السَّبع) وجوده إلى حدٍّ كبير. رغم بلوغه من العُمر أربعين عامًا فقط كان ڤيچون شاحبًا ضعيفًا، رجلًا محبًّا للكُتب مخلصًا للخيمياء والفلك والرِّياضيَّات والفنون الغامضة الأخرى. حتى في صباه لم يكن محبوبًا قَطُّ، وقلَّة فقط اعتبرته خيارًا صالحًا للجلوس على العرش الحديدي.

ومع ذلك كان المِايستر الرئيس ڤيچون مَن لجأ إليه الملك العجوز، الذي استدعى ابنه الأخير إلى (كينجز لاندنج). لا يزال ما دارَ بينهما محلَّ خلاف، إذ يقول البعض إن الملك عرضَ على ڤيچون العرش فرفضَه، فيما يُؤكِّد آخَرون أنه طلبَ مشورته فقط. كانت تقارير قد وصلَت إلى البلاط بأن كورلس ڤيلاريون يحشد السُّفن والرِّجال على (دريفتمارك) «للدِّفاع عن حقوق ابنه» لِاينور، في حين شكَّل ديمون تارجارين، وهو شابٌّ مشاكس حامي الطِّباع في العشرين من عُمره، جماعته الخاصَّة من السُّيوف المحلَّفة لدعم شقيقه ڤسيرس. كان احتمال نشوب صراعٍ عنيف على الخلافة راجحًا بغضِّ النَّظر عمَّن سيُسمِّيه الملك العجوز ليخلفه. لا شكَّ أن لهذا السَّبب تمسَّك جلالته بلهفةٍ بالحلِّ الذي قدَّمه المِايستر الرَّئيس ڤيچون.

أعلنَ الملك چهيرس عزمه على عقد مجلسٍ عظيم للمُناقشة والتَّباحُث والبتِّ نهائيًّا في مسألة الخلافة. سيُدعى جميع لوردات (وستروس) الكبار والصِّغار للحضور، جنبًا إلى جنب مِايسترات من قلعة (البلدة القديمة)، وسِپتوات وسِپتونات لتمثيل العقيدة. قضى جلالته أن يرفع المطالبون دعاواهم أمام اللوردات المجتمعين، وسيلتزم قرار المجلس أيًّا كان من

يختارونه.

قَرَّرَ عقد المجلس في (هارنهال)، أكبر قلعةٍ في البلاد. لم يعرف أحد عدد اللوردات الذين سيحضرون، إذ لم يُعقَد مثل ذلك المجلس من قبل، وإن عُدَّ من الحكمة أن تُجهَّز مساحة لما لا يقلُّ عن خمسمئة من اللوردات وأتباعهم. حضرَ أكثر من ألفٍ من اللوردات، واستغرقَ اجتماعهم نصف عام (حتى إن عددًا قليلًا منهم وصل في أثناء انحلال المجلس). حتى (هارنهال) العملاقة لم تكفِ لاحتواء تلك الجُموع، لأن كلَّ لورد كان مصحوبًا بحاشيةٍ من الفُرسان والمرافِقين وسائسي الخيل والطُّهاة والخدم. جلبَ تايموند لانستر سيِّد (الصَّخرة) معه ثلاثمئة رجل، ولكيلا يدعه يتفوَّق عليه جلبَ اللورد ماثوس تايرل سيِّد (هايجاردن) خمسمئةً.

توافدَ اللوردات من كلِّ شبرٍ من المملكة، من (التُّخوم الدورنيَّة) إلى ظلِّ (الجِدار)، ومن (الأخوات الثَّلاث) إلى (جُزر الحديد). كان نجم المساء سيِّد (تارث) حاضرًا، وسيِّد (المنارة الوحيدة)، ومن (وينترفل) قدمَ اللورد إلارد ستارك، ومن (أراضي النَّهر) اللورد جروڤر تَلي، ومن (الوادي) يوربرت رويس الوصيُّ والحافظ نيابةً عن الطِّفلة چين آرن سيِّدة (الوادي). حتى الدورنيُّون مُثِّلوا، إذ بعثَ أمير دورن بابنته وعشرين فارسًا دورنيًّا إلى (هارنهال) ليكونوا مُراقبين. حضرَ السِّپتون الأعلى من (البلدة القديمة) ليُبارِك التَّجمُّع، وتهاطلَ التُّجَّار والباعة على (هارنهال) بالمئات. جاءَ فُرسان متجوِّلون ومُحاربون غير نظاميِّين على أملِ العثور على عملٍ لسيوفهم، ونشَّالون سعيًا للمال، ونساء مسنَّات وفتيات شابَّات سعيًا لأزواج. لصوص وعاهرات، وغسَّالات وأتباع معسكرات، ومغنُّون وممثِّلون، أتوا جميعًا من الشَّرق والغرب والشَّمال والجنوب.

نشأت مدينةٌ من الخيام خارج أسوار (هارنهال) وبطول شاطئ البُحيرة ممتدَّةً فراسخ عدَّةً في كلِّ اتِّجاه، ولبعض الوقت أصبحَت (بلدة هارن) رابع مدينةٍ في المملكة، وفقط (البلدة القديمة) و(كينجز لاندنج) و(لانسپورت) كُنَّ أكبر.

فُحِص بعنايةٍ ما لم يقلَّ عن أربعة عشر مطالبةً نظرَ فيها اللوردات المجتمعون. من (إسوس) جاء ثلاثة مُتنافسين، أحفاد للملك چهيرس من خلال ابنته سِايرا التي أنجبت كلًّا منهم من أبٍ مختلف، وقد قيلَ إن أحدهم كان صورةً طبق الأصل من جدِّهِ في شبابه. وقدمَ آخَر، نغلٌ لأحد قناصل (ڤولانتيس القديمة) الثَّلاثة، بصُررٍ من الذَّهب وفيلٍ قزم. بلا شكٍّ ساعدَت الهدايا الفخمة التي وزَّعها على اللوردات الأفقر في دعم ادِّعائه، وإن تبيَّن أن الفيل أقل نفعًا. (كانت الأميرة سِايرا نفسها لا تزال على قيد الحياة وبصحةٍ جيِّدة في (ڤولانتيس)، وتَبلُغ من العُمر أربعةً وثلاثين عامًا فقط، وكان من الجليِّ أن ادِّعاءها أرجح من ادِّعاءات أيٍّ من أبنائها النُّغول، لكنها لم تختَر طرحه. «إن لي مملكتي الخاصَّة هنا». هكذا قالت حين سُئِلَت إن كانت تعتزِم العودة إلى (وستروس) يومًا). قدَّم مُطالب آخَر حُزمًا من الرَّق أظهرت انحداره من نسل جيمون المجيد، أعظم لوردات عائلة تارجاريَن في (دراجونستون) قبل الفتح، عن طريق ابنةٍ صُغرى واللورد الصَّغير الذي تزوجته، ودون انقطاعٍ لسبعة أجيالٍ أخرى. تقدَّم أيضًا رجل مسلَّح أحمر الشَّعر ادَّعى أنه ابنٌ غير شرعي لميجور المتوحِّش، وعلى سبيل الإثبات أحضرَ والدته، وهي بنت صاحب خانٍ مُسنَّة قالت إن ميجور اغتصبَها. (كان اللوردات مستعدين لتصديق حقيقة الاغتصاب، ولكن ليس أن الفعل أحبلَها).

تباحثَ المجلس العظيم لمدَّة ثلاثة عشر يومًا. نُظِرَ في الدَّعاوى الضَّعيفة

لتسعة مُطالبين أقل شأنًا وأُهمِلَت (منها دعوى فارسٍ متجوِّل قدَّم نفسه على أنه الابن الطَّبيعي للملك چهيرس نفسه، فقُبِضَ عليه وسُجِنَ حين كشفَ الملك كذبه). استُبعِدَ المِايستر الأكبر ڤيچون بسبب نذوره، والأميرة رينس وابنتها بسبب جنسهما، وهو ما تركَ المدَّعيَيْن صاحبَي أكبر قدرٍ من الدَّعم: ڤسيرس تارجاريَن، الابن الأكبر للأمير بِايلون والأميرة أليسا، ولاينور ڤيلاريون، نجل الأميرة رينس وحفيد الأمير إيمون. كان ڤسيرس حفيد الملك العجوز، ولاينور ابن حفيدته. كان مبدأ البُكورة في صالح لِاينور، ومبدأ التَّقارب يُرجِّح ڤسيرس. كان ڤسيرس أيضًا آخِر تارجاريَن امتطى بالريون... مع أنه بعد موت الرُّعب الأسود في عام 94 بعد الفتح لم يمتطِ تنِّينا آخَر قَطُّ، في حين لم يقُم الصَّبي لِاينور بعدُ برحلته الأولى على ظهر تنِّينه الصَّغير، وهو وحشٌ رماديٌّ وأبيض رائع سمَّاه سيسموك.

لكن دعوى ڤسيرس كانت مستمدَّةً من والده، ولاينور من والدته، وقد ارتأى معظم اللوردات أن الأسبقيَّة يجب أن تكون لنسل الذُّكور على نسل الإناث. علاوةً على ذلك، كان ڤسيرس رجلًا في الرابعة والعشرين، ولاينور صبيًّا في السَّابعة. لكلِّ هذه الأسباب عُدَّت مطالبة لِاينور الأضعف عمومًا، لكن والدة الصَّبي ووالده كانا من الشَّخصيات القويَّة والمؤثِّرة، فلم يكن ممكنًا نبذ دعواه بالكامل.

قد يكون هذا موضعًا جيِّدًا لإضافة القليل من الكلمات عن والده، كورلس سليل آل ڤيلاريون، سيِّد المدِّ والجَزر وعميد (دريفتمارك) المشهور في الأغاني والحكايات بلقب ثُعبان البحر، الذي كان بالتَّأكيد أحد أبرز الرُّموز الاستثنائيَّة في عصره. إن أمكنَ تصديق تاريخهم، فقد جاءَ آل ڤيلاريون، وهُم عائلة نبيلة من سلالةٍ ڤاليريَّة عريقة، إلى

(وستروس) قبل آل تارجاريَن أنفُسهم، واستقرُّوا في (الحلقوم) على جزيرة (دريفتمارك) ذات الأراضي المنخفضة الخصبة (التي سُمِّيت بهذا الاسم نسبةً إلى الأخشاب الطَّافية التي يجرفها المدُّ والجَزر يوميًّا على شواطئها)، عوضًا عن جارتها الصَّخريَّة الدَّاخنة (دراجونستون). على الرَّغم من أنهم لم يكونوا قطُّ من راكبي التَّنانين، بقيَ آل ڤيلاريون لقرونٍ أقدم حُلفاء آل تارجاريَن وأقربهم. كان البحر مجالهم لا السَّماء، وخلال حُقبة الفتح كانت سُفن ڤيلاريون هي التي حملَت جنود إجون عبر (الخليج الأسود)، وشكَّلت لاحقًا الجُزء الأكبر من الأسطول الملكي، وطوال القرن الأوَّل من حُكم آل تارجاريَن خدمَ العديد من سادة المدِّ والجَزر في المجلس الصَّغير في منصب قيِّم السُّفن، لدرجة أنه صارَ يُنظَر إلى المنصب على نطاقٍ واسع باعتباره وراثيًّا تقريبًا.

ولكن حتى مع هؤلاء الأسلاف كان كورلس ڤيلاريون رجلًا مستقلًّا، رجلًا ألمعيًّا بقدر ما كان دؤوبًا، مغامرًا بقدر ما كان طموحًا. كان التَّقليد المتَّبع أن يتذوَّق أبناء حصان البحر (رمز عائلة ڤيلاريون) طعم حياة البحَّارة منذ الصِّغر، لكن أحدًا من آل ڤيلاريون لم يهوَ الحياة على متون السُّفن من قبل أو منذ ذلك الحين بشغفٍ كذاك الصَّبي الذي أصبحَ ثُعبان البحر، إذ عبرَ (البحر الضيِّق) أوَّل مرَّةٍ في سنِّ السَّادسة حين أبحرَ إلى (پنتوس) مع عمِّه، وبعد ذلك قامَ كورلس بمثل هذه الرِّحلات كلَّ عام، ولم يُسافِر مجرَّد راكب، بل تسلَّق الصَّواري، وعقدَ الحبال، ونظَّف الأسطُح، وسحبَ المجاذيف، وسدَّ التَّسريبات، ورفعَ الأشرعة وأنزلَها، وشغلَ عُشَّ الغُراب أعلى الصَّاري، وتعلَّم توجيه الدفَّة. قال ربابنته إنهم لم يروا ملَّاحًا بالسَّليقة مثله من قبل.

في سنِّ السَّادسة عشرة أضحى هو قبطانًا، حين أخذَ قارب صيدٍ

يُسمَّى (ملكة القُد) من (دريفتمارك) إلى (دراجونستون) والعكس، وفي السَّنوات التي تلَت أصبحَت سُفنه أكبر وأسرع، ورحلاته أبعد وأخطر، فأخذَ سُفنًا حول أدنى قارَّة (وستروس) لزيارة (البلدة القديمة) و(لانسپورت) و(لوردزپورت) على جزيرة (پايك)، وأبحرَ إلى (لِيس) و(تايروش) و(پنتوس) و(مير)، وأخذَ سفينته (فتاة الصَّيف) إلى (ڤولانتيس) و(جُزر الصَّيف)، ويمَّم بـ(ذِئب الجليد) شمالًا إلى (پراڤوس) و(القلعة الشَّرقيَّة على البحر) و(هاردهوم)، قبل أن ينعطِف إلى (البحر الرَّاجِف) نحو (لوراث) و(ميناء إيبن). في رحلةٍ لاحقة اتَّجه هو و(ذِئب الجليد) شمالًا مرَّةً أخرى، بحثًا عمَّا يُشاع أنه مجاز سالك حول قمَّة (وستروس)، وإن لم يجدا إلَّا البحار المتجمِّدة وجبال جليدٍ هائلة كجبال الصَّخر.

أمَّا رحلاته الأشهر فكانت تلك التي قامَ بها على متن السَّفينة التي صمَّمها وبناها بنفسه، (ثُعبان البحر). غالبًا كان التُّجَّار من (البلدة القديمة) و(الكَرمة) يُبحِرون حتى (كارث) سعيًا للتَّوابل والحرير وكنوزٍ أخرى، لكن كورلس ڤيلاريون و(ثُعبان البحر) كانا أوَّل من تجاوزَها، مرورًا من (بوَّابات اليَشب) إلى (يي تي) وجزيرة (لِنج)، وعادا بحمولةٍ غنيَّة من الحرير والتَّوابل ضاعفَت ثروة عائلة ڤيلاريون بضربةٍ واحدة. في رحلته الثَّانية على متن (ثُعبان البحر) أبحرَ أبعد من ذلك، إلى (آشاي) عند (بلاد الظِّل)، وفي الثَّالثة جرَّب (البحر الرَّاجِف) بدلًا من ذلك، وأصبح أوَّل وستروسي يُبحِر بين (الجُزر الألف) ويزور سواحل (ناجاي) و(موسوڤي) الجرداء الباردة.

في النهاية قامَت (ثُعبان البحر) بتسع رحلاتٍ بالمجمل، وفي الرِّحلة التَّاسعة عادَ بها السير كورلس إلى (كارث) محمَّلةً بما يكفي من الذَّهب

لشراء عشرين سفينةً أخرى وتحميلها جميعًا بالزَّعفران والفلفل وجوز الطِّيب والفِيَلة ولفائف من أجود أنواع الحرير. أربع عشرة سفينةً فقط من الأسطول وصلَت بسلامٍ إلى (دريفتمارك)، وماتَت الفِيَلة جميعًا في البحر، ومع ذلك كانت أرباح تلك الرِّحلة هائلةً لدرجة أن آل ڤيلاريون أصبحوا أغنى عائلةٍ في (الممالِك السَّبع)، متفوِّقين على آل هايتاور وآل لانستر أنفُسهم، وإن كان ذلك لفترةٍ وجيزة.

أحسنَ السير كورلس استغلال هذه الثروة عندما تُوفِّيَ جدُّه المسن عن عُمر الثَّامنة والثَّمانين، وأصبحَ ثُعبان البحر سيِّد المدِّ والجَزر. كان معقل عائلة ڤيلاريون قلعة (دريفتمارك)، مكانًا مظلمًا موحشًا، رطبًا غالبًا، وغالبًا ما غمرَته المياه. شيَّد اللورد كورلس قلعةً جديدةً على الجانب البعيد من الجزيرة، وبُنِيَت (المد العالي) من الحجر الباهت نفسه مثل (العُش)، وتُوِّجت أبراجها الرَّفيعة بأسقُفٍ من الفضَّة المطرَّقة تُومِض في الشَّمس. حين يرتفع المدُّ في الصَّباح والمساء كانت القلعة تُطوَّق بالبحر، متصلةً فقط بأرض جزيرة (دريفتمارك) بواسطة معبرٍ مرتفع. إلى هذه القلعة الجديدة نقلَ اللورد كورلس عرش الخشب المجروف العتيق (الذي، وفقًا للأسطورة، كان هديَّةً من ملك شعب البحار).

بنى ثُعبان البحر السُّفن أيضًا، ليتضاعَف حجم الأسطول الملكي ثلاث مرَّاتٍ خلال السَّنوات التي خدمَ فيها الملك العجوز قيِّمًا للسُّفن. وحتى بعد تنحِّيه عن منصبه استمرَّ في البناء، فحلَّ التُّجَّار والقوادس التِّجاريَّة بدلًا من السُّفن الحربيَّة. أسفل أسوار قلعة (دريفتمارك) الدَّاكنة الملطَّخة بالملح نمَت ثلاث قُرى متواضعة لصيد الأسماك معًا لتُصبح مدينةً مزدهرةً سُمِّيَت (الأبدان) نسبةً إلى صفوف أبدان السُّفن التي يمكن رؤيتها دائمًا أسفل القلعة، وعبر الجزيرة، بالقُرب من (المد العالي)، تحوَّلت قرية أخرى

إلى (بلدة التَّوابل) إذ اكتظَّت أرصفتها ومراسيها بسُفنٍ من المدن الحُرَّة وما ورائها. (دريفتمارك)، المستقرَّة بعرض (الحُلقوم)، أقرب إلى (البحر الضيِّق) من (وادي الغسق) أو (كينجز لاندنج)، لذلك سرعان ما بدأت (بلدة التوابل) تستحوذ على كثيرٍ من البضائع التي كانت لتذهب إلى هذين الميناءيْن، وأصبحَ آل ڤيلاريون أثرى وأقوى.

كان اللورد كورلس رجلًا طموحًا. خلال رحلاته التِّسع على متن (ثُعبان البحر) كان يريد الإبحار قُدمًا دومًا، للذَّهاب إلى حيث لم يذهب أحدٌ من قبل ويرى ما يقبع وراء حدود الخرائط. رغم أنه أنجزَ الكثير جدًّا في الحياة نادرًا ما شعرَ بالرِّضا، كما قد يقول الرِّجال الذين عرفوه جيدًا. في رينس تارجاريَن، ابنة الابن الأكبر للملك العجوز ووريثه، وجدَ الشَّريكة المثاليَّة، امرأةً من أكثر نساء المملكة حيويَّةً وجمالًا وإباءً، وراكبة تِنِّينٍ أيضًا. توقَّع اللورد كورلس أن يُحلِّق أبناؤه وبناته في السَّماوات، وأن يجلس أحدهم ذات يومٍ على العرش الحديدي.

مما لا يثير الدَّهشة أن ثُعبان البحر أصيبَ بخيبة أملٍ شديدة عندما تُوفِّيَ الأمير إيمون وتجاوزَ الملك جهيرس ابنة إيمون، الأميرة رينس، لصالح شقيقه بِايلون أمير الربيع، وإن بدا الآن أن العجلة دارَت من جديد، ويُمكن تصحيح الخطأ. وهكذا وصلَ اللورد كورلس وزوجته الأميرة رينس إلى (هارنهال) في أبَّهة، مستخدميْن ثروة عائلة ڤيلاريون ونفوذها في محاولة إقناع اللوردات المجتمعين بأن ابنهما لِاينور جديرٌ بأن يُعترَف به وريثًا للعرش الحديدي. في هذه الجهود انضمَّ إليهما سيِّد (ستورمز إند) بورمند باراثيون -خال رينس الكبير وخال الصَّبي لِاينور الأكبر- واللورد ستارك سيِّد (وينترفل)، واللورد ماندرلي سيِّد (المرفأ الأبيض)، واللورد داستن سيِّد (بلدة الروابي)، واللورد بلاكوود سيِّد (شجرة الغِدفان)،

واللورد بار إمون سيِّد (الرَّأس الحاد)، واللورد سلتيجار سيِّد (جزيرة المخالب)، وآخَرون.

ومع ذلك كانوا بعيدين كلَّ البُعد عن الفوز. رغم أن اللورد والليدي ڤيلاريون كانا في غاية الكياسة وسخاء اليد في جهودهما نيابةً عن ابنهما، لم يكن قرار المجلس العظيم موضع شكٍّ حقًّا. بفارقٍ غير متوازن اختارَ اللوردات المجتمعون ڤسيرس تارجاريَن الوريث الشَّرعي للعرش الحديدي، وعلى الرَّغم من أن المِايسترات الذين أحصوا الأصوات لم يكشفوا عن الأرقام الفعليَّة، قيلَ بعد ذلك إن نتيجة التَّصويت كانت أكثر من عشرين مقابل واحد.

لم يحضر الملك جهيرس المجلس، ولكن عندما وصلَت إليه أنباء حُكمهم شكرَ جلالته اللوردات على خدمتهم ومنحَ لقب أمير (دراجونستون) بسرورٍ لحفيده ڤسيرس. تقبَّلت (ستورمز إند) و(دريفتمارك) القرار، ولكن على مضض، إذ كان التَّصويت ساحقًا لدرجة أن حتى والد لِاينور ووالدته نفسيهما رأيا أن لا أمل لهم بالفوز. في نظر كثيرين أسَّس المجلس العظيم في عام 101 بعد الفتح لسابقةٍ متينة في مسألة الخلافة: بغضِّ النَّظر عن الأسبقيَّة، لا يمكن أن يُورَّث عرش (وستروس) الحديدي إلى امرأة، ولا عبر امرأةٍ إلى ذرِّيَّتها من الذُّكور.

لا داعي لقول الكثير عن السَّنوات الأخيرة من عهد الملك جهيرس. خدمَ الأمير بِايلون والده يدًا الملك وأميرًا لـ(دراجونستون) أيضًا، ولكن بعد وفاته اختارَ جلالته تقسيم هذين المنصبيْن الرَّفيعيْن. لأجل يد الملك الجديد استدعى السير أوتو هايتاور، الأخ الأصغر للورد هايتاور سيِّد (البلدة القديمة)، وأحضرَ السير أوتو زوجته وأولاده معه إلى البلاط، وخدمَ الملك جهيرس بإخلاصٍ خلال السَّنوات المتبقِّية له. عندما بدأت

قوَّة الملك العجوز وحصافته تخوران صارَ حبيس سريره غالبًا، وأصبحَت آليسنت، ابنة السير أوتو مبكِّرة النُّضوج ذات الخمسة عشر عامًا، رفيقته الدَّائمة، تجلب لجلالته وجباته، وتقرأ له، وتُساعِده على الاستحمام وارتداء ملابسه. في بعض الأحيان ظنَّها الملك العجوز إحدى بناته، ودعاها بأسمائهن، وقُرب النِّهاية باتَ على يقينٍ بأنها ابنته سِايرا وقد عادَت إليه من وراء (البحر الضيِّق).

في عام 103 بعد الفتح تُوفِّيَ الملك چهيرس تارجاريَن الأوَّل في سريره فيما كانت الليدي آليسنت تقرأ له من كتاب (التَّاريخ غير الطَّبيعي) للسِّپتون بارث. كان جلالته في التَّاسعة والسِّتين من العُمر، وقد حكمَ (الممالِك السَّبع) منذ اعتلائه العرش الحديدي في سنِّ الرابعة عشرة.

أُحرِقَ جُثمانه في (جُب التَّنانين)، ودُفِنَ رماده مع زوجته الملكة الكريمة أليسين تارجاريَن في (دراجونستون). حزنَت عليه (وستروس) كلُّها، وحتى في (دورن) حيث لم يمتدَّ سُلطانه بكى الرِّجال وشقَّت النِّساء ثيابهن.

وفقًا لرغبته، وقرار مجلس عام 101 العظيم، خلفَه حفيده ڤسيرس، وارتقى العرش الحديدي باسم الملك ڤسيرس تارجاريَن الأوَّل. في وقت اعتلائه العرش كان الملك ڤسيرس يبلُغ من العُمر ستةً وعشرين عامًا، ومتزوِّجًا منذ عقدٍ بابنة عمومةٍ هي الليدي إمَا سليلة عائلة آرن، التي كانت عن نفسها حفيدة الملك العجوز والملكة الكريمة أليسين من جهة والدتها الأميرة الرَّاحلة دِايلا (التي تُوفِّيَت في عام 82 بعد الفتح). عانَت الليدي إمَا عدَّة حالات إجهاضٍ ووفاة ابنٍ واحد في المهد على مرِّ زواجها (وقد ارتأى بعض المِايسترات أنها زُوِّجَت وضُوجِعَت في سنٍّ صغيرة للغاية)، لكنها أنجَبت أيضًا ابنةً سليمةً هي رينيرا (المولودة في عام 97 بعد الفتح). كان الملك الجديد وملكته شغوفَيْن بالفتاة، طفلتهما الوحيدة الحيَّة.

يعتبر كثيرون أن عهد الملك ڤسيرس الأوَّل يُمثِّل قمَّة مجد آل تارجاريَن في (وستروس)، ودون أدنى شكٍّ كان المزيد من اللوردات والأمراء ينتمون إلى دم التنِّين أكثر من أيِّ فترةٍ سابقة أو لاحقة. على الرَّغم من أن آل تارجاريَن واصلوا ممارستهم التَّقليديَّة في تزويج الأخ بالأخت والعم بابنة أخيه وابن العمِّ ببنت العمِّ كلَّما أمكنَ ذلك، عُقِدَت أيضًا زيجات مهمَّة من خارج العائلة المالكة، ستلعب ثمارها أدوارًا مهمَّةً في الحرب القادمة. كانت التَّنانين أكثر من أيِّ وقتٍ مضى أيضًا، والعديد من إناثها يضعن زُمر البيض بانتظام. لم تفقس البيضات كلُّها، لكن كثيرًا

منها فقسَ، وأصبح معتادًا عند آباء الأمراء المواليد وأمَّهاتهم وضع بيضة تنّينٍ في مهد كلٍّ منهم، متَّبعين تقليدًا كانت الأميرة رِاينا قد بدأته قبل سنواتٍ عديدة، إذ دائمًا ما ارتبطَ الأطفال المبارَكون بالأفراخ ليُصبِحوا راكبي تنانين.

كان ڤسيرس تارجارين الأوَّل ذا طبيعةٍ كريمة ودودة، ومحبوبًا من اللوردات والعامَّة على حدٍّ سواء. كان عهد الملك الشَّاب، كما أُطلِقَ عليه عند اعتلائه العرش، عهد سلامٍ وازدهار، وسخاء جلالته أسطوريًّا، فأضحَت (القلعة الحمراء) مكانًا للأغاني والاحتفالات. أقامَ الملك ڤسيرس والملكة إمَا العديد من المآدب ودورات المباريات، وأغدَقا بالذَّهب والمناصب والامتيازات على الأثيرين عندهما.

في قلب الفرح كانت المدلَّلة المحبوبة من الجميع، طفلتهما الوحيدة الباقية على قيد الحياة، الأميرة رينيرا، الفتاة الصَّغيرة التي لقَّبها المغنُّون في البلاط بـ«بهجة المملكة». رغم بلوغها السَّادسة فقط عندما ارتقى والدها العرش الحديدي، كانت رينيرا تارجارين طفلةً مبكِّرة النُّضوج، ذكيَّةً وجريئةً وجميلةً كما ينبغي لواحدةٍ من دمِ التنِّين فقط أن تكون. في السَّابعة أصبحَت راكِبة تنِّين، إذ حلَّقت في السَّماء على ظهر التنِّينة الصَّغيرة الذي أسمَتها سايراكس على اسم معبودةٍ من (ڤاليريا القديمة)، وفي الثَّامنة دخلَت الخدمة ساقيةً... ولكن لأبيها الملك نفسه. على المائدة، وخلال دورات المباريات، وفي مجالس البلاط، نادرًا ما شُوهِدَ الملك ڤسيرس دون ابنته بجانبه.

في تلك الأثناء تُرِكَ ضجر الحُكم لمجلس الملك الصَّغير ويده غالبًا. استمرَّ السير أوتو هايتاور في ذلك المنصب، فخدمَ الحفيد كما خدمَ الجدَّ. كان رجلًا كُفئًا لا ريب، اتَّفق على ذلك الجميع، رغم أن كثيرين

وجدوه مغرورًا وفظًّا ومتغطرسًا. قيلَ إنه كلَّما طالَت مُدَّة خدمته غدا السير أوتو أشدَّ استبدادًا، وأصبحَ العديد من اللوردات الكبار والأمراء يستاؤون من أسلوبه ويحسدونه على حظوته لدى العرش الحديدي.

أعظم منافسيه كان شقيق الملك الأصغر الطَّموح المتهوِّر متقلِّب المزاج، ديمون تارجاريَن. بقدر كونه جذَّابًا كان حامي الطِّباع، وقد تحصَّل الأمير ديمون على الفروسيَّة في السَّادسة عشرة من عُمره، ومنحَه الملك العجوز بنفسه سيف (الأخت المظلِمة) إقرارًا ببراعته. رغم أنه تزوَّج بسيِّدة (رونستون) في عام 97 بعد الفتح، خلال عهد الملك العجوز، لم يكن الزَّواج ناجحًا، إذ وجدَ الأمير ديمون (وادي آرن) مملًّا، (وكتبَ: «في (الوادي) يُضاجِع الرِّجال الخِراف. لا يمكنك لومُهم، فأغنامهم أجمل من نسائهم»)، وسرعان ما تزايدَ مقته لزوجته التي دعاها بـ«حقيرتي البرونزيَّة»، تعريضًا منه بالدِّرع البرونزيَّة ذات الأبجديَّة الرونيَّة التي ارتداها سادة آل رويس. عند ارتقاء شقيقه العرش الحديدي التمسَ الأمير إبطال زواجه، فرفضَ ڤسيرس الطَّلب وإن سمحَ لديمون بالعودة إلى البلاط، حيث جلسَ في المجلس الصَّغير ومارس مهام أمين النَّقد من 103 حتى 104، وقيِّم القوانين لمدة نصف عام في 104 بعد الفتح.

لكن شؤون الحُكم أضجرَت هذا الأمير المحارِب، وأبلى بلاءً أحسن حين عيَّنه الملك ڤسيرس قائدًا لحرس المدينة. عندما وجدَ الحرس رديئي التَّسليح ويرتدون بواقيَ وأسمالًا، زوَّد ديمون كلًّا منهم بخنجرٍ وسيفٍ قصير وهراوة، ودرَّعهم بقمصان حلقاتٍ معدنيَّة سوداء (مع واقيات صدورٍ للضُّبَّاط)، وأعطاهم معاطف ذهبيَّةً طويلةً يرتدونها بكلِّ شمم، ومنذ ذلك الحين عُرِفَ رجال حرس المدينة بـ«المعاطِف الذَّهبيَّة».

انغمسَ الأمير ديمون في عمل المعاطِف الذَّهبيَّة بشغفٍ بالغ، وغالبًا

ما جابَ أزقَّة العاصمة مع رجاله. لا شكَّ أنه جعلَ المدينة أكثر نظامًا، لكن انضباطه كان غاشمًا، إذ سُرَّ بقطعِ أيدي النشَّالين وإخصاء المغتصِبين وسلتِ أنوف اللُّصوص، وقتلَ ثلاث رجال في مشاجرات شوارع خلال سنته الأولى قائدًا. لم يمضِ وقت طويل حتى اشتهرَ الأمير في جميع الأماكن الوضيعة بـ(كينجز لاندنج)، وأصبحَ وجهًا مألوفًا في الخمَّارات (حيث شربَ مجّانًا) وحُفر القِمار (حيث غادرَ دائمًا بمالٍ أكثر مما كان معه حين دخلَ). على الرَّغم من أنه جرَّب عددًا لا يُحصى من العاهرات في مواخير المدينة، وقيلَ إنه مولع بشكلٍ خاص بفضِّ بِكارة العذراوات، سرعان ما أصبحَت راقصة لايسينيَّة معيَّنة مفضَّلةً عنده. ميساريا هو الاسم الذي حملَته، ولو أن منافِساتها وأعداءها أطلقوا عليها لقب البَأساء، الدُّودة البيضاء.

نظرًا إلى افتقار الملك ڤسيرس إلى ابنٍ ذكر حي، اعتبرَ ديمون نفسه الوريث الشَّرعي للعرش الحديدي، وطمعَ في لقب أمير (دراجونستون) الذي رفضَ جلالته منحه له... ولكن بحلول نهاية عام 105 بعد الفتح كان قد صارَ معروفًا وسط أصدقائه بـ«أمير المدينة»، وبـ«اللورد جُحر البراغيث» عند العامَّة. رغم أن الملك لم يرغَب في أن يخلفه ديمون، فقد ظلَّ مولعًا بأخيه الأصغر، ودومًا سارعَ إلى العفو عنه في مخالفاته العديدة.

كانت الأميرة رينيرا أيضًا مفتونةً بعمِّها، لأن ديمون اعتنى بها دائمًا، وكلَّما عبرَ (البحر الضيِّق) على متن تنِّينه جلبَ لها هديَّةً نادرةً عند عودته. كان الملك قد ازداد طراوةً وامتلاءً مع تعاقُب السِّنين. لم يأخذ ڤسيرس تنِّينًا آخَر بعد موت بالريون، ولم يكن مولعًا كثيرًا بالنِّزال أو الصَّيد أو قِراع السُّيوف، فيما برعَ الأمير ديمون في هذه المجالات، وبدا

كلَّ ما لم يكُنه أخوه: رشيقًا وصُلبًا، ومُحاربًا مشهورًا، مندفعًا، جريئًا، خطِرًا للغاية.

وهنا يجب أن نستطرد لنتحدَّث عن مصادرنا، لأن كثيرًا مما حدثَ في السَّنوات التَّالية حدثَ خلف أبوابٍ مغلقة، وفي خُلوة آبار السَّلالم وقاعات المجالس وغُرف النَّوم، وعلى الأرجح لن تُعرَف حقيقته الكاملة أبدًا. لدينا بالطبع السِّجلَّات التي دوَّنها المِايستر الأكبر رونسيتر وخُلفاؤه، والعديد من وثائق البلاط أيضًا، جميع المراسيم والإعلانات الملكية، لكنها لا تروي إلَّا جزءًا صغيرًا من القصَّة. بالنِّسبة إلى الباقي، يجب أن ننظُر إلى الرِّوايات التي كتبَها بعد عقودٍ أبناء وأحفاد أولئك الذين علِقوا وسط أحداث تلك الأزمنة؛ تدوين اللوردات والفُرسان عن أحداثٍ شهدَها أسلافُهم، وذكريات غير مباشرة لخدمٍ مسنِّين يحكون فضائح شبابهم. لئن كانت لهذه الرِّوايات فوائدها بلا شك، فقد مرَّ زمن طويل بين وقوع الأحداث وتدوينها، وحتمًا تسلَّلت إليها التباسات وتناقضات عدَّة، كما أن بعض تلك الذِّكريات لا يتَّفق مع بعضها دائمًا.

لسوء الحظِّ ينطبق هذا أيضًا على الرِّوايتيْن اللتين وصلتا إلينا بواسطة راصديْن مباشريْن للأحداث. دوَّن السِّپتون إيوستس، الذي قضى معظم هذا الوقت بـ(القلعة الحمراء) في خدمة السِّپت الملكي، وترقَّى لاحقًا إلى صفوف مجلس القانتِين، التاريخ الأكثر تفصيلًا لهذه الحقبة. بصفته صاحب سرٍّ وقيِّم اعترافاتٍ عند الملك ڤسيرس وملكتيْه، كان إيوستس في وضعٍ ملائم لمعرفة الكثير مما وقعَ، كما أنه لم يكن متحفِّظًا بشأن تسجيلِ أشد الشَّائعات والاتِّهامات سفورًا وبذاءةً، ولو أن الجُزء الأكبر من كتابه (عهد الملك ڤسيرس الأوَّل، ورقصة التَّنانين التي تلَته) يبقى تاريخًا رصينًا ومضجرًا بعض الشَّيء.

لنُوازِن إيوستس، لدينا (شهادة مشروم)، المبنيَّة على الرِّواية اللَّفظيَّة لمهرِّج البلاط (ودوَّنها ناسخ أغفلَ إضافة اسمه)، الذي سلَّى في كثيرٍ من الأحيان كلًّا من الملك فسيرس والأميرة رينيرا وإجون الثَّاني وإجون الثَّالث. كان مشروم قزمًا يبلغ ثلاثة أقدامٍ طولًا ويملك رأسًا ضخمًا (ويجزم بأن قضيبه أكبر)، وقد ظُنَّ أنه أبله، ولذا لم يتحرَّج الملوك واللوردات والأُمراء قَطُّ من إطلاعه على أسرارهم. فيما يُسجِّل السِّپتون إيوستس أسرار غُرف النَّوم والمواخير بنبرة الإدانة والتَّعتيم، أوردَها مشروم بجذل، ولا تشتمل شهادته غالبًا إلَّا على الحكايات البذيئة والنَّميمة وطعنات الغدر والتَّسميم والخيانات والإغراءات والفجور وهلمَّ جرًّا. كم من هذا الكلام يُمكننا تصديقه هو تساؤل لا أمل للمؤرِّخ الأمين في الإجابة عنه، لكن من الجدير بالذِّكر أن الملك بيلور المبارَك قضى

بإحراق جميع نُسخ سجلِّ مشروم. ولكن لحُسن حظِّنا نجا عدد قليل منها من نيرانه.

لا يتَّفق السِّپتون إيوستس ومشروم على التَّفاصيل دائمًا، وأحيانًا تتبايَن رواياتهما للغاية، وتتبايَن أيضًا مع سجلَّات البلاط وكذا سجلَّات المايستر الأكبر رونسيتر وخلَفه. على أن حكاياتهما تُفسِّر الكثير مما قد يبدو من غيرها محيِّرًا، وتُؤكِّد تقارير لاحقة أن قصصه تحوي قدرًا من الحقيقة على الأقل. هكذا سيظلُّ على كلِّ دارسٍ أن يُقرِّر مسألة ما يُصدِّقه وما يُشكِّك فيه.

يتَّفق كلٌّ من مشروم والسِّپتون إيوستس والمايستر الأكبر رونسيتر وجميع مصادرنا الأخرى على مسألةٍ واحدة، أن يد الملك السير أوتو هايتاور حملَ بغضًا عظيمًا للأمير ديمون. كان السير أوتو هو مَن أقنعَ ڤسيرس بتنحية الأمير ديمون عن منصب أمين النَّقد أوَّلًا، ومن منصب قيِّم القوانين لاحقًا، وهي أفعال سرعان ما ندمَ عليها يد الملك. بصفته قائدًا لحرس المدينة، وبوجود ألفين من الرِّجال تحت إمرته، صارَ ديمون أقوى بكثيرٍ مما مضى. كتبَ حضرة اليد لأخيه سيِّد (البلدة القديمة): «لا يُمكن وتحت أيِّ اعتبار أن يُسمَح لديمون باعتلاء العرش الحديدي، وإلَّا لأصبحَ ميجور المتوحِّش الثَّاني أو أسوأ». كانت رغبة السير أوتو -آنذاك- أن تخلف الأميرة رينيرا والدها، فكتبَ: «بهجة المملكة خيرٌ من اللورد جُحر البراغيث». ولم يكن وحيدًا في رأيه هذا، ومع ذلك واجهَ حزبه عقبةً هائلةً: إذا اتُّبِعَت السَّابقة التي أقرَّها مجلس عام 101 العظيم فستكون أحقيَّة الذَّكر بالعرش أقوى من أحقيَّة الأنثى، وفي غياب ابنٍ شرعي سيسبق أخو الملك ابنة الملك في خطِّ الوراثة، كما سبقَ بِايلون ابنة أخيه رينس في عام 92 بعد الفتح.

أمَّا اعتبارات الملك الخاصَّة فقد اتَّفقت الرِّوايات كلُّها على أنه لطالما كرِهَ الشِّقاق. على الرَّغم من أنه لم يكن غافلًا عن عيوب أخيه فقد اعتزَّ بذكرياته عن الفتى المغامر المرِح الذي كانه ديمون. كانت ابنته بهجة حياته الكُبرى، كما قال كثيرًا، ولكن يبقى الأخُ أخًا. مرَّةً تلو الأخرى سعى ڤسيرس لتحقيق السَّلام بين الأمير ديمون والسير أوتو، لكن العداوة بين الرَّجلين اعتملَت إلى ما لا نهايةٍ تحت ستار الابتسامات الزَّائفة التي رسمَها الاثنان في البلاط. عندما يُفاتَح في المسألة كان الملك ڤسيرس يقول فقط إنه على يقينٍ تام بأن ملكته ستمنحه ابنًا عمَّا قريب، وفي عام 105 بعد الفتح أعلنَ للبلاط والمجلس الصَّغير أن الملكة إمَا حُبلى مرَّةً أخرى.

خلال ذلك العام المصيري نفسه عُيِّنَ السير كريستُن كول لشغل المنصب الشَّاغر الذي نتجَ عن وفاة الأسطورة السير ريام ردواين. وُلِدَ السير كريستُن ابنًا لوكيلٍ في خدمة اللورد دونداريون سيِّد (المرفأ الأسود)، وكان فارسا شابًّا وسيم الطَّلعة يَبلُغ من العمر ثلاثةً وعشرين عامًا، وقد لفتَ انتباه البلاط لأوَّل مرَّةٍ حين فازَ في الالتحام الجماعي الذي أقيمَ بـ(بِركة العذارى) تكريمًا لارتقاء الملك ڤسيرس العرش الحديدي. في اللحظات الأخيرة من القتال أطاحَ السير كريستُن بـ(الأخت المظلمة) من يد الأمير ديمون بكُرته الشَّائكة، وهو ما أبهجَ الملك وأغاظَ الأمير، وبعدها منحَ كريستُن الأميرة رينيرا ذات السَّنوات السَّبع إكليل البطل وطلبَ عطيَّتها لكي يضعها في النِّزال. في نزال الرِّماح هزمَ الأمير ديمون من جديد، وأسقطَ أيضًا كلا التَّوأميْن كارجِل المحتفى بهما، السير آريك والسير إريك فارسَي الحرس الملكي، عن حصانيهما، قبل أن يَسقُط أخيرًا أمام اللورد لايموند ماليستر.

بعينيه الخضراويْن الشَّاحبتيْن وشعره الأسود الفاحم وجاذبيَّته العفويَّة، أضحى كريستُن كول سريعًا الفارس المفضَّل لدى نساء البلاط... ولم تكن رينيرا تارجاريَن نفسها أقلَّهن. كانت متيَّمةً بسحر الرَّجل الذي دَعته بـ«فارسي الأبيض»، لدرجة أنها توسَّلت إلى أبيها أن يُسمِّيه حارسها الخاص وحاميها، وأرضاها جلالته في هذا كما في أشياءَ أخرى عديدة، ومن بعدها وضعَ السير كريستُن عطيَّتها في النِّزالات دائمًا، وأصبح بجانبها في كلِّ المآدب والحفلات.

بعد فترةٍ وجيزة من ارتداء السير كريستُن معطفه الأبيض استدعى الملك ڤسيرس سيِّد (هارنهال) لايونل سترونج للانضمام إلى المجلس الصَّغير قيِّمًا للقوانين. كان اللورد سترونج رجلًا كبير الحجم قويَّ البنية يزحف على رأسه الصَّلع، وقد تمتَّع بسمعةٍ طيِّبة بصفته مُحاربًا. كثيرًا ما عدَّه أولئك الذين لم يعرفوه شخصًا غاشمًا، وأخطأوا بظنِّهم أن صمته وبُطء حديثه ينمَّان عن غباء. كان ذلك بعيدًا عن الحقيقة، ففي شبابه درسَ اللورد لايونل في (القلعة)، وتحصَّل على ستِّ حلقاتٍ من سلسلته قبل أن يُقرِّر أن حياة المايستر لا تُلائمه. كان متعلِّمًا ومثقَّفًا، وعالما بقوانين (الممالِك السَّبع) بالتفصيل. تزوَّج سيِّد (هارنهال) ثلاث مرَّاتٍ وترمَّل ثلاثًا، وقد جلبَ معه إلى البلاط ابنيْن وابنتيْن عذراويْن. أصبحَت الفتاتان وصيفتيْن للأميرة رينيرا، في حين عُيِّنَ أخوهما الأكبر، السير هاروين سترونج الملقَّب بمحطِّم العِظام، ضابطًا في المعاطِف الذَّهبيَّة، وانضمَّ الابن الأصغر، لارِس الأحنف، إلى حُجَّاب الملك.

هكذا جرَت الأمور في (كينجز لاندنج) في أواخِر عام 105 بعد الفتح، حين أُخِذَت الملكة إمَّا إلى سرير الولادة في (حصن ميجور) وتُوفِّيَت في أثناء وضعها الابن الذي لطالما رغبَ فيه ڤسيرس تارجاريَن.

لم يبقَ الصَّبي (الذي سُمِّيَ بايلون على اسم والد الملك) على قيد الحياة إلَّا يومًا واحدًا بعدها، تاركًا الملك والبلاط مفجوعيْن... ربما باستثناء الأمير ديمون الذي شُوهِدَ في ماخورٍ بـ(شارع الحرير) يُلقي النِّكات الثَّملة ويسخر مع رفاقه النُّبلاء من «وريث اليوم الواحد». عندما وصلَت هذه الكلمات إلى أُذنَيْ الملك (تقول الأسطورة إن العاهرة التي كانت جالسةً في حجر ديمون هي التي أبلغَت عنه، لكن الأدلَّة تُشير إلى أنه من فعلَها كان في الواقع أحد نُدماء ديمون، قائدًا في المعاطِف الذَّهبيَّة يتوق إلى ترقية) اشتعلَ ڤسيرس غضبًا. أخيرًا سئمَ جلالته من أخيه الجاحد وطموحاته.

بمجرَّد أن انتهى الحِداد على زوجته وابنه، تحرَّك الملك بسرعةٍ لحلِّ مشكلة الوراثة التي تغلي تحت السَّطح منذ زمنٍ طويل. متجاهلًا السَّابقتيْن اللتين وضعَهما الملك چهيرس في عام 92 والمجلس العظيم في عام 101، أعلنَ ڤسيرس ابنته رينيرا وريثته الشَّرعيَّة مسمِّيًا إياها أميرة (دراجونستون)، وفي حفلٍ باذخٍ أقيمَ في (كينجز لاندنج) قدَّم مئات من اللوردات فروض الطَّاعة والولاء لبهجة المملكة إذ جلسَت عند قدمَي والدها عند قاعدة العرش الحديدي، وأقسَموا أن يحترموا حقَّها في الخلافة ويُدافِعوا عنه.

غير أن الأمير ديمون لم يكن بينهم. غاضبًا من قرار الملك، غادرَ الأمير (كينجز لاندنج) بعد استقالته من حرس المدينة، وذهبَ أوَّلًا إلى (دراجونستون) آخذًا معه خليلته ميساريا على ظهر تنِّينه كاراكسس، الوحش الأحمر الرَّشيق الذي لقَّبه العامَّة بدودة الدَّم. مكثَ ديمون هناك نصف عام، وخلال تلك الفترة حبلَت منه ميساريا.

حينما علمَ أن عشيقته حامل، أهدى إليها الأمير ديمون بيضة تنِّين،

لكنه بهذا الفِعل تمادى وأيقظَ غضبة أخيه مجدَّدًا. أمرَه الملك ڤسيرس بإعادة البيضة وصرفِ عاهرته والعودة إلى زوجته الشَّرعيَّة وإلَّا أُدينَ بالخيانة، وأطاعَ الأمير الأوامر بكبرياءٍ مجروحة، فأعادَ ميساريا -بلا بيضةٍ- إلى (لِيس)، فيما طارَ هو نفسه إلى (الوادي) وصُحبة «حقيرته البرونزيَّة» غير المرغوبة في (رونستون). لكن ميساريا فقدَت جنينها خلال عاصفة هبَّت على (البحر الضيِّق)، وعندما وصلَ النَّبأ إلى الأمير ديمون لم ينطق بأيِّ لفظٍ يدلُّ على الحُزن، لكن قلبه قسا تجاه الملك، أخيه، ومن بعدها لم يَعُد يتكلَّم عن الملك ڤسيرس إلَّا بازدراء، وبدأ يُطيل التَّفكير الواجم في الخلافة ليلًا ونهارًا.

رغم إعلان الأميرة رينيرا خليفةً لوالدها كان كثيرون في البلاد، داخل البلاط وخارجه، ما زالوا يأملون أن يُنجِب ڤسيرس وريثًا ذَكرًا، فالملك الشَّاب لم يكن قد بلغَ الثَّلاثين بعدُ. كان المِايستر الأكبر رونسيتر أوَّل مَن حضَّ جلالته على الزَّواج مجدَّدًا، حتى إنه اقترحَ خيارًا مناسبًا: الليدي لِاينا ڤيلاريون التي بلغت لتوِّها الثَّانية عشرة. ورثَت الليدي لِاينا، العذراء الصَّغيرة الجميلة المزهِرة حديثًا، جمال آل تارجاريَن الأصيل من والدتها رينِس، ومن والدها ثُعبان البحر ورثَت الجرأة وروح المغامرة. مثلما أحبَّ اللورد كورلس الإبحار أحبَّت لِاينا الطيران، ولم ترضَ لنفسها بمطيَّةٍ أقل من العظيمة ڤاجهار، أكبر تنانين آل تارجاريَن وأضخمها منذ موت الرُّعب الأسود في عام 94 بعد الفتح. أشارَ رونسيتر أنه عن طريق الزَّواج بها يُمكن للملك أن يرأب الصَّدع الذي اتَّسع بين (كينجز لاندنج) و(دريفتمارك)، وستكون لِاينا ملكةً رائعةً بالتَّأكيد.

يجب أن يُقال عن ڤسيرس تارجاريَن الأوَّل إنه لم يكُن من أقوى الملوك إرادةً. دائمًا كان كيِّسًا متشوقًا لإرضاء النَّاس، واعتمدَ بشدَّةٍ على

مشورة الرِّجال المحيطين به، وفعلَ ما أملوه عليه في أكثر الأحيان، لكن في هذه الحالة كان لجلالته منظوره الخاص، ولم يُفلِح أيُّ قدرٍ من الجدل في إزاحته من مساره. نعم، سيتزوج مرَّةً أخرى... ولكن ليس بفتاةٍ تبلُغ من العُمر اثني عشر عامًا، وليس لأسبابٍ تخصُّ الحُكم، بل لأن امرأةً أخرى لفتَت نظره. أعلنَ الملك نيَّته الزَّواج بالليدي آليسنت سليلة آل هايتاور، ابنة يد الملك الذَّكيَّة الحسناء ذات الثَّمانية عشر عامًا، الفتاة التي قرأت للملك چهيرس وهو يُحتضَر.

آل هايتاور أولاد (البلدة القديمة) عائلة نبيلة وعريقة، منحدرون من نسلٍ لا غُبار عليه، ولذا لم يكن من الممكن أن يعترض أحد على العروس التي اختارَها الملك. على الرَّغم من هذا تمتمَ البعض قائلين إن اليد تجاوزَ حدوده، إنه جلبَ ابنته إلى البلاط لهذه الغاية، بل وشكَّك قلائل في عفَّة الليدي آليسنت، موحين بأنها رحَّبت بالملك ڤسيرس في سريرها حتى قبل وفاة الملكة إمَا. (لم تُثبَت هذه الافتراءات قَطُّ، ولو أن مشروم يُكرِّرها في شهادته، ويذهب إلى حدِّ ادِّعاء أن القراءة لم تكن الخدمة الوحيدة التي قدَّمتها الليدي آليسنت للملك العجوز في غُرفة نومه). في (الوادي) وردَ أن الأمير ديمون جلدَ الرَّجل الذي جلبَ له الأخبار حتى أصبحَ على حافة الموت. ولا سُرَّ ثُعبان البحر عندما وصلَ الخبر إلى (دريفتمارك)، إذ تُجُووِزَ آل ڤيلاريون مرَّةً أخرى، وأهينَت ابنته لاينا كما أهينَ ابنه لاينور من المجلس العظيم، وزوجته من الملك العجوز في عام 92 بعد الفتح. وحدها الليدي لاينا لم تُبدِ استياءً، وقد كتبَ مِايستر (المد العالي) إلى (القلعة) التَّالي: «حضرة الليدي تُبدي اهتمامًا بالطَّيران أكثر بكثيرٍ من الصِّبيان».

في عام 106 بعد الفتح، عندما اتَّخذ الملك ڤسيرس آليسنت هايتاور

زوجةً، كان غياب آل ڤيلاريون ملحوظًا. خلال المأدبة صبَّت الأميرة رينيرا النَّبيذ لزوجة أبيها، وقبَّلتها الملكة آليسنت ودعتها بـ«ابنتي». كانت الأميرة بين النِّساء اللواتي جرَّدن الملك من ثيابه وحملنَه إلى غُرفة نوم عروسه. سيطرَ الضَّحك والحُبُّ على (القلعة الحمراء) في تلك اللَّيلة...
في حين، عبر (الخليج الأسود)، رحَّب اللورد كورلس ثُعبان البحر بالأمير ديمون شقيق الملك في مجلس حرب. كان الأمير قد تحمَّل كلَّ ما يُمكنه تحمُّله من (وادي آرن) و(رونستون) والسيِّدة زوجته، ويقال إنه قال لسيِّد المدِّ والجَزر: «لقد صُنِعَت (الأخت المظلِمة) لمهامٍّ أنبل من ذبح الخِراف. إنها ظمآنة للدِّماء». على أن التَّمرُّد لم يكن مُراد الأمير، بل رأى طريقًا آخَر يَسلُكه إلى السُّلطة.

(الأعتاب) سلسلة من الجُزر الصَّخريَّة بين (دورن) و(أراضي النِّزاع) في (إسوس)، وقد كانت لزمنٍ طويل موبوءةً بالخارجين عن القانون والمنفيِّين ومُغرِقي السُّفن والقراصنة. الجُزر في حدِّ ذاتها ضئيلة القيمة، ولكن بموقعها هذا تحكَّمت في الطُّرق من (البحر الضيِّق) وإليه، وعادةً ما وقعَت السُّفن التِّجاريَّة المارَّة من هذه المياه ضحيَّةً لقاطني الجُزر، ومع ذلك لقرونٍ عدَّة لم يكُن السَّلب والنَّهب الذي ارتكَبوه أكثر من مصدر إزعاجٍ طفيف لأهل (وستروس).

قبل ذلك بعشر سنوات نحَّت مُدن (لِيس) و(مير) و(تايروش) الحُرَّة عداواتها القديمة جانبًا لتضمَّ جهودها في حربٍ ضد (ڤولانتيس)، وبعد هزيمة الڤولانتينيِّين في معركة أرض الحَدِّ دخلَت المدن الثَّلاث المنتصرة في «تحالُفٍ أبدي» وشكَّلت قوَّةً جديدةً عظيمةً: الحِلف الثُّلاثي، المعروف في معمورة (وستروس) باسم «مملكة البنات الثَّلاث» -لأنَّ كلًّا من المدن الحُرَّة تعتبر نفسها بنتًا لـ(ڤاليريا) من قديم- أو باسمٍ أوقح هو

«مملكة العاهرات الثَّلاث» (علمًا أن هذه «المملكة» كانت بلا ملك، وحكمَها مجلس مكوَّن من ثلاثةٍ وثلاثين ماجسترًا). ما إن التمسَت (ڤولانتيس) السَّلام وانسحَبت من (أراضي النِّزاع) حتى وجَّهت (البنات الثَّلاث) أنظارهن نحو الغرب، مكتسحاتٍ (الأعتاب) بجيوشهن وأساطيلهن المشتركة تحت قيادة أمير أميرال مايري يُدعى بكراجاس دراهار، تحصَّل على لقب كراجاس مُطعِم السَّراطين حين خوزقَ مئاتٍ من القراصنة المأسورين على الرِّمال الرَّطبة ليغرقوا عند ارتفاع المدِّ.

لاقى غزو (الأعتاب) وضمِّها إلى (مملكة البنات الثَّلاث) ترحيبًا من لوردات (وستروس) في البداية إذ حلَّ النِّظام محلَّ الفوضى، وإذا طالبَت (البنات الثَّلاث) بفرض رسومٍ على أيِّ سفينة تعبُر مياههن فقد بدا لهم هذا ثمنًا بخسًا للتَّخلُّص من القراصنة.

ولكن سرعان ما ألَّب جشع كراجاس مُطعِم السَّراطين وشركائه في الغزو النُّفوس ضدَّهم، إذ رُفِعَت الرُّسوم مرَّةً أخرى، ورُفِعَت أكثر فأكثر، وأصبحَت باهظةً لدرجة أن التُّجَّار الذين دفعوها بسرورٍ سابقًا سعوا الآن للتَّسلُّل بعيدًا عن قوادِس الحِلف الثُّلاثي كما فعلوا من قبل مع القراصنة. بدا أن دراهار وشُركاءه من الأميرالات اللايسنيِّين والتايروشيِّين يتنافسون لمعرفة من الأشدُّ جشعًا بينهم. أصبحَ اللايسينيُّون مكروهين بشكلٍ خاص، لأنهم أخذوا ما هو أكثر من المال من السُّفن العابرة، فقد أخذوا أيضًا نساءً وفتياتٍ وصبيةً جميلي الطَّلَّة للخدمة في حدائق الهوى وبيوت البغاء. (من هؤلاء المستعبَدين كانت الليدي چوانا سوان، ابنة شقيق سيِّد (الدفَّة الحجرية) ذات الخمسة عشر عامًا. عندما رفض عمُّها البخيل دفع الفدية بيعَت لأحد بيوت البغاء، حيث ارتقَت لتُصبِح محظيَّةً مشهورةً عُرِفَت بلقب البجعة السَّوداء، وحاكمة (لِيس)

الفعليَّة خلا الاسم فقط. للأسف، رغم روعة قصَّتها، ليس لها أيُّ تأثيرٍ على تاريخنا الحالي).

من بين جميع لوردات (وستروس) لم يُعانِ من هذه الممارسات أكثر من اللورد كورلس ڤيلاريون، سيِّد المدِّ والجَزر الذي جعلَته أساطيله من أثرى رجال (وستروس) وأقواهم. كان ثُعبان البحر مصمِّمًا على وضع حدٍّ لسطوة الحِلف الثُّلاثي على (الأعتاب)، ووجدَ في ديمون تارجاريَن شريكًا راغبًا وتوَّاقًا للذَّهب والمجد اللذين سيجلبهما النَّصر في الحرب. متجنِّبيْن حفل زفاف الملك، وضعَ الاثنان خُططهما في (المد العالي) على جزيرة (دريفتمارك). سيقود اللورد ڤيلاريون الأسطول، وعلى رأس الجيش الأمير ديمون. سيكونُ جيش (البنات الثَّلاث) أكبر بكثيرٍ من جيشهما... لكن الأمير ديمون سيجلب للمعركة نيران تنِّينه كاراكسس، دودة الدَّم.

ليس غرضنا هنا سرد تفاصيل الحرب الخاصَّة التي شنَّها ديمون تارجاريَن وكورلس ڤيلاريون على (الأعتاب)، ويكفينا القول إن القتال بدأ في عام 106 بعد الفتح. لم يُواجِه الأمير ديمون صعوبةً كبيرةً في حشد جيشٍ من المغامرين من غير مالكي الأراضي وأبناء اللوردات الثَّانين، وخلال أوَّل عامين من الصِّراع حقَّق العديد من الانتصارات، وفي عام 108 بعد الفتح، عندما قابلَ كراجاس مُطعِم السَّراطين وجهًا لوجهٍ أخيرًا، قتلَه دون عونٍ من أحدٍ وبترَ رأسه بـ(الأخت المظلِمة).

لا شكَّ أن الملك ڤسيرس سُرَّ للتَّخلُّص من أخيه المزعج، داعمًا جهوده بمنحه دُفعاتٍ منتظمةً من الذَّهب، وبحلول عام 109 بعد الفتح كان ديمون وجيشه المكوَّن من المرتزِقة والسفَّاحين يُسيطِرون على جميع الجُزر باستثناء اثنتين، وأساطيل ثُعبان البحر تتحكَّم بحزمٍ في المياه

بينها. خلال لحظة الانتصار القصيرة هذه نصَّب الأمير ديمون نفسه ملكًا على (الأعتاب) و(البحر الضيِّق)، ووضعَ اللورد كورلس تاجًا على رأسه... إلَّا أن «مملكتهما» لم تكُن آمنةً إطلاقًا. في العام التَّالي أرسلَت (مملكة البنات الثَّلاث) قوَّة غزوٍ جديدةً تحت قيادة قُبطان تايروشي مخادع يُدعى براكاليو ريندون، كان بالتَّأكيد أحد أكثر المارقين بهرجةً في سجلَّات التَّاريخ، وانضمَّت (دورن) إلى الحرب في صفوف الحِلف الثُّلاثي، واستؤنِفَ القتال.

على الرَّغم من غرق (الأعتاب) في الدَّم والنَّار لم يبدُ الملك ڤسيرس وبلاطه مُنزعجين إطلاقًا، وقد وردَ أن جلالته قال: «دعوا ديمون يلهو في الحرب، فإنها تُبقيه بعيدًا عن المتاعب». كان ڤسيرس رجلًا مسالمًا، وخلال تلك السَّنوات كانت (كينجز لاندنج) عبارةً عن تناوبٍ لا ينتهي من الولائم والحفلات ودورات المباريات، حيث بشَّر الممثِّلون

والمطربون بميلاد كلِّ أميرٍ جديد من آل تارجاريَن. سُرعان ما أثبتَت الملكة آليسنت أنها خصبة بقدر ما هي جميلة، ففي عام 107 بعد الفتح أنجبَت للملك ابنًا سليمًا مُعافى سمَّياه إجون تيمُّنًا بالفاتِح، وبعد عاميْن أنجبَت للملك ابنةً اسمها هيلينا، وفي عام 110 بعد الفتح أنجبَت له ابنًا ثانيًا اسمه إيموند، قيلَ إنه بلغَ نصف حجم أخيه الأكبر، لكنه أشرس منه مرَّتيْن.

ومع ذلك استمرَّت الأميرة رينيرا في الجلوس عند قاعدة العرش الحديدي حينما عقدَ والدها البلاط، وبدأ جلالته يُحضِرها إلى اجتماعات المجلس الصغير أيضًا. رغم أن العديد من اللوردات والفُرسان سعوا لنيل حظوتها، كانت نظرات الأميرة منصبَّةً فقط على السير كريستُن كول، بطل الحرس الملكي الشَّاب ورفيقها الدَّائم. «السير كريستُن يحمي الأميرة من أعدائها، ولكن من يحمي الأميرة من السير كريستُن؟». سألَت الملكة آليسنت هذا السُّؤال ذات يومٍ في البلاط. اتَّضح أن العلاقة الودود بين جلالتها وابنة زوجها كانت قصيرة الأمد، لأن رينيرا وآليسنت كلتيهما تطلَّعتا إلى أن تكونا سيِّدة المملكة الأولى... وعلى الرَّغم من أن الملكة لم تُعطِ الملك وريثًا واحدًا بل وريثيْن، فإن ڤسيرس لم يفعل شيئًا لتغيير تسلسُل الوراثة. ظلَّت أميرة (دراجونستون) وريثته المعترَف بها وقد أقسمَ نصف لوردات (وستروس) على الدِّفاع عن حقوقها، وأولئك الذين سألوا: «وماذا عن حُكم المجلس العظيم في عام 101؟» وقعَت كلماتهم على آذانٍ صمَّاء. في رأي الملك ڤسيرس كانت المسألة محسومةً، ولم تكن بقضيَّةٍ يهتمُّ جلالته بإعادة النَّظر فيها.

على أن التَّساؤلات تواصلَت، وليس من أحدٍ أقل من الملكة آليسنت نفسها، التي كان والدها السير أوتو هايتاور، يد الملك، أعلى مؤيِّديها

صوتًا. عند الضَّغط عليه أكثر من اللَّازم في المسألة، في عام 109 بعد الفتح، جرَّد ڤسيرس السير أوتو من سلسلة منصبه وعيَّن في مكانه سيِّد (هارنهال) قليل الكلام لايونل سترونج، وصرَّح جلالته بالقول: «لن يتغطرس عليَّ هذا اليد».

حتى بعد عودة السير أوتو إلى (البلدة القديمة) ظلَّ في البلاط «حزب الملكة»، وهو لفيفٌ من اللوردات الأقوياء وأصدقاء للملكة آليسنت من الدَّاعمين لحقوق ابنيها، وكان «حزب الأميرة» يُحرِّض ضدَّهم. لقد أحبَّ الملك ڤسيرس زوجته وابنته، وكرهَ الصِّراع والخلاف، وجاهدَ طوال عهده للحفاظ على السَّلام بين امرأتيه وإرضاء كلتيهما بالهدايا والذَّهب والتَّكريمات. ما دامَ حيًّا ويَحكُم ويُحافِظ على التَّوازن استمرَّت المآدب ودورات المباريات كما كانت من قبل، وسادَ السَّلام في جميع أنحاء المملكة... ومع ذلك لاحظَ بعض ذوي الأنظار الثَّاقبة أن تنانين كلا الحزبيْن كانت تنهش الهواء وتبصُق اللَّهب على تنانين الحزب الآخَر متى مرَّ بعضها على مقربةٍ من بعض.

في عام 111 بعد الفتح أقيمَت دورة مبارياتٍ عظيمة بـ(كينجز لاندنج) على شرف الذِّكرى الخامسة لزواج الملك بالملكة آليسنت. في مأدبة الافتتاح ارتدَت الملكة فُستانًا أخضر، فيما ارتدَت الأميرة على نحو استعراضي أحمر وأسود آل تارجاريَن. لُوحِظَ هذا، ومن ثمَّ أصبحَ من المعتاد الإشارة إلى «الخُضر» عند الحديث عن حِزب الملكة، و«السُّود» عند الحديث عن حِزب الأميرة. في دورة المباريات نفسها تفوَّق السُّود كثيرًا على الخُضر، حين أسقطَ السير كريستُن كول، واضعًا عطيَّة الأميرة رينيرا، جميع نُصراء الملكة عن خيولهم، بمَن فيهم اثنان من أبناء عمومتها وأخوها الأصغر، السير جواين هايتاور.

لكن شخصًا واحدًا هناك لم يرتدِ الأخضر ولا الأسود، بل ارتدى الذَّهبي والفضِّي. ها قد عادَ الأمير ديمون إلى البلاط أخيرًا. معتمرًا تاجًا وملقِّبًا نفسه بملك (البحر الضيّق)، ظهرَ دون سابق إنذارٍ في السَّماء فوق (كينجز لاندنج) على ظهر تنِّينه، ودارَ به ثلاث مرَّاتٍ فوق مضمار المباريات... لكن عندما حطَّ به أخيرًا ركعَ الأمير أمام أخيه وقدَّم له تاجه رمزًا لحُبِّه وولائه. ردَّ ڤسيرس التَّاج وقبَّل ديمون على وجنتيه مرحِّبًا به في دياره، وهلَّل كلٌّ من اللوردات والعامَّة تهليلًا كهزيم الرَّعد حين تصالحَ نجلا أمير الربيع. من أعلى المهلِّلين صوتًا كانت الأميرة رينيرا، إذ شعرَت بسعادةٍ غامرَّة لعودة عمِّها الأثير، وتوسَّلت إليه أن يبقى بعض الوقت.
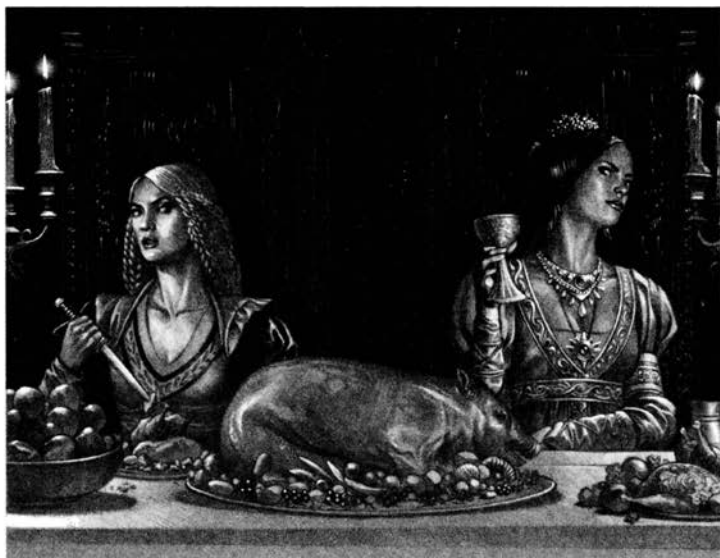
هذا القدر من الأحداث معلوم، أمَّا فيما يتعلَّق بما حدثَ بعد ذلك فعلينا هنا أن نلجأ إلى مؤرِّخينا المشكوك فيهم. بقيَ الأمير ديمون في (كينجز لاندنج) نصف عام، لا جدال في هذا، بل واستأنفَ أعماله وأخذَ مقعده في المجلس الصَّغير وفقًا للمِايستر الأكبر رونسيتر، ولكن لا السِّن ولا المنفى غيَّرا من سجيَّته، إذ سُرعان ما عادَ ديمون مرَّةً أخرى إلى رفاقه القدامى من المعاطِف الذَّهبيَّة، وعادَ أيضًا إلى مُنشآت (شارع الحرير) التي كان فيها زبونًا محلَّ إجلالٍ وتقدير. على الرَّغم من أنه عاملَ الملكة آليسنت بكلِّ ما استحقَّته من كياسةٍ لمكانتها، لم يكن بينهما دفء، وقال النَّاس إن الأمير كان يتصرَّف ببرودةٍ ملحوظة تجاه أولادها، خاصةً ابنَي أخيه إجون وإيموند اللذين أبعدَه مولدهما أكثر عن خطِّ الوراثة.

أمَّا الأميرة رينيرا فكانت مسألةً مختلفةً، إذ قضى ديمون ساعاتٍ طويلةً برفقتها يحكي لها الحكايا عن رحلاته ومعاركه، وأهدى إليها اللُّؤلؤ والحرير والكُتب وتاجًا من اليشم قيلَ إنه كان ينتمي إلى إمبراطورة (لِنج) يومًا، وقرأ لها القصائد، وتناولَ معها العَشاء، واصطادَ معها بالأبواز، وأبحرَ معها، وسلَّاها بالسُّخرية من الخُضر في البلاط، «المتملِّقين» الذين يتزلَّفون إلى الملكة آليسنت وأولادها، وكذا امتدحَ جمالها معلنًا أنها أجمل عذراء في (الممالِك السَّبع) كلِّها. بدأ العمُّ وابنة أخيه التَّحليق معًا يوميًّا تقريبًا، متسابقيْن بسايراكس ضدَّ كاراكسس إلى (دراجونستون) ومنها.

هنا تتبايَن مصادِرنا. يقول المِايستر الأكبر رونسيتر فقط إن الأخويْن تشاجَرا مجدَّدًا، وغادرَ الأمير ديمون (كينجز لاندنج) عائدًا إلى (الأعتاب) وحروبه، وأمَّا سبب الشِّجار فلم يُدوِّن عنه كلمةً واحدةً. يُؤكِّد آخَرون أنه بناءً على إلحاح الملكة آليسنت صرفَ ڤسيرس ديمون.

لكن السِّبتون إيوستس ومشروم يرويان حكايةً أخرى... أو بالأحرى حكايتيْن تختلف كلتاهما عن الأخرى. يكتُب إيوستس، الأقلُّ بذاءةً بينهما، أن الأمير ديمون أغرى الأميرة ابنة أخيه وفضَّ بِكارتها، وعندما اكتشفَ السير آريك كارجِل فارس الحرس الملكي العشيقيْن معًا في السَّرير وجلبَهما ليَمثُلا أمام الملك، أصرَّت رينيرا أنها واقعة في حُبِّ عمِّها وطلبَت من والدها الإذن في الزَّواج منه، ومع ذلك لم يستمِع لها الملك ڤسيرس، وذكَّر ابنته بأن الأمير ديمون له زوجة بالفعل، وفي غمرة سُخطه قرَّر حبس ابنته في غُرفتها وأمرَ أخاه بالرَّحيل، وأمرَهما أيضًا بألَّا يتحدَّثا عمَّا حدثَ.

الحكاية التي يرويها مشروم أشدُّ بذاءةً بكثير، كما هي الحال مع شهادته في معظم الأحيان. وفقًا للقزم، كان السير كريستُن كول هو من رغبَت فيه الأميرة، لا الأمير ديمون، لكن السير كريستُن كان فارسا حقيقيًّا ونبيلًا وعفيفًا ومراعيًا لعهوده، ورغم وجوده في صُحبتها ليلًا ونهارًا لم يسبق له أن قبَّلها حتى، أو أعلنَ عن أيِّ شيءٍ يوحي بحُبِّه للأميرة. يَزعُم مشروم أن الأمير ديمون قال لابنة أخيه: «عندما ينظُر إليكِ يرى الفتاة الصَّغيرة التي كنتِها، لا المرأة التي أصبحتِها، ولكن يمكنُني أن أعلِّمكِ كيف تجعلينه يراكِ امرأةً».

شرعَ أوَّلًا في تلقينها دروس التَّقبيل، والعُهدة على مشروم، وبعدها انتقلَ الأمير ليُري ابنة أخيه أفضل طريقةٍ للمس الرَّجل لإيصاله إلى الذُّروة، وهو تمرينٌ شملَ أحيانًا مشروم نفسه وعضوه الهائل المزعوم. علَّم ديمون الفتاة أيضًا أن تخلع ملابسها بإغراء، ولعقَ حلمتيها لكي يجعلهما أكبر وأشدَّ حساسيةً، وطارَ معها على ظهر تنِّين إلى صخور (الخليج الأسود) المنعزلة، حيث يُمكنهما اللَّهو عاريَيْن طوال اليوم دون

أن يُلاحِظهما أحد، ولتتدرَّب الأميرة على فنِّ إمتاع الرَّجل بفمها. في اللَّيل كان يُهرِّبها من مسكنها مرتديةً ثياب خادمٍ ويأخذها سرًّا إلى مواخير (شارع الحرير)، حيث تستطيع الأميرة أن تُراقِب الرِّجال والنِّساء وهُم يتطارَحون الغرام وتتعلَّم المزيد من هذه «الفنون الأنثويَّة» من بغايا (كينجز لاندنج).

المدَّة التي استغرقَتها هذه الدروس لا يَذكُرها مشروم، لكنه على عكس السِّپتون إيوستس يصرُّ أن الأميرة رينيرا احتفظَت بعذريَّتها، لأنَّها رغبَت في الحفاظ على براءتها هديَّةً لمحبوبها، لكن عندما فاتحَت فارسها الأبيض أخيرًا مستخدِمةً كلَّ ما تعلَّمته، ذُعِرَ السير كريستُن ورفضَها. سُرعان ما افتضحَت الحكاية بأكملها بفضل مشروم نفسه غالبًا. رفضَ الملك ڤسيرس في البداية تصديق كلمةٍ واحدة، حتى أكَّد الأمير ديمون صحَّة الحكاية، ويُزعَم أنه قال لأخيه: «أعطِني الفتاة لأتزوَّجها. من سيقبلها غيري الآن؟»، وبدلًا من هذا أرسلَه الملك ڤسيرس إلى المنفى، وأمرَه بعدم العودة إلى (الممالِك السَّبع) أبدًا وإلَّا عُوقِبَ بالموت. (اقترحَ اللورد سترونج، يد الملك، أنه يجب الحُكم على الأمير بالموت على الفور بصفته خائنًا، لكن السِّپتون إيوستس ذكَّر جلالته بأن الآلهة ما لعنت أحدًا كقاتِل الأقربين).

في إثر الحادثة نعرف هذه الأشياء يقينًا: عادَ ديمون تارجاريَن إلى (الأعتاب) واستأنفَ نضاله من أجل تلك الصُّخور القاحلة التي تجتاحها العواصف، ومات كلا المِايستر الأكبر رونسيتر والسير هارولد وسترلينج في عام 112 بعد الفتح، وحلَّ السير كريستُن كول محلَّ السير هارولد قائدًا للحرس الملكي، وأرسلَ رؤساء المِايسترات بـ(القلعة) المِايستر مِلوس إلى (القلعة الحمراء) ليأخذ سلسلة المِايستر الأكبر ويتولَّى واجباته. بعيدًا

عن ذلك، عادَت (كينجز لاندنج) إلى هدوئها المعتاد قُرابة العامَيْن... حتى عام 113 بعد الفتح، حين بلغَت الأميرة رينيرا السَّادسة عشرة من عُمرها، واستحوذَت على (دراجونستون) مقرًّا لها، وتزوَّجت.

قبل وقتٍ طويل من وجود سببٍ لدى أيِّ أحدٍ للشَّكِّ في عذريَّتها، كانت مسألة اختيار الزَّوج المناسب لرينيرا محلَّ اهتمام الملك ڤسيرس ومجلسه. رفرفَ اللوردات العُظماء والفُرسان الوُسماء حولها كما يُرفرِف العثُّ حول اللَّهب متنافسين على حظوتها، فعندما زارَت رينيرا (الثَّالوث) في عام 112 تبارزَ أبناء اللورد براكن وأبناء اللورد بلاكوود لأجلها، وتجرَّأ ابن أصغر لآل فراي لدرجة طلب يدها علانيةً (ولُقِّبَ بفراي المغفَّل بعد ذلك)، وفي الغرب تنافَس السير چيسون لانستر وتوأمه السير تايلاند عليها خلال مأدبةٍ في (الصَّخرة)، وزارَها في البلاط أبناء كلٍّ من اللورد تَلي سيِّد (ريڤررَن) واللورد تايرل سيِّد (هايجاردن) واللورد أوكهارت سيِّد (السِّنديانة القديمة) واللورد تارلي سيِّد (هورن هيل)، علاوةً على الابن الأكبر ليد الملك، السير هاروين سترونج الملقَّب بمُحطِّم العظام، الذي كان وريث (هارنهال) وقيلَ بأنه أقوى رجلٍ في (الممالِك السَّبع). بل وتحدَّث ڤسيرس عن تزويج رينيرا بأمير (دورن) على سبيل ضمِّ الدورنيِّين إلى المملكة.

كان للملكة آليسنت مرشَّحها الخاص: ابنها الأكبر الأمير إجون، أخو رينيرا غير الشَّقيق. على أن إجون كان صبيًّا، والأميرة تكبره بعشر سنوات، وعلاوةً على ذلك لم يتوافَق الأخ والأخت غير الشقيقَيْن قَطُّ. جادلَت الملكة: «هذا سببٌ أدعى لربطهما معًا بالزَّواج»، فلم يُوافِقها ڤسيرس الرَّأي، وأخبرَ اللورد سترونج: «الصَّبي من دم آليسنت. إنها تُريده على العرش».

الخيار الأفضل، الذي اتَّفق عليه الملك والمجلس الصَّغير أخيرًا، سيكون ابن عمومة رينيرا، لِاينور ڤيلاريون. على الرَّغم من أن مجلس عام 101 العظيم رفضَ مطالبته بالعرش، لم يزَل صبيُّ آل ڤيلاريون حفيد الأمير إيمون تارجاريَن صاحب الذِّكرى العطرة، وابن حفيد الملك العجوز نفسه. من شأن زواجٍ كهذا أن يُوحِّد السُّلالة الملكيَّة ويعزِّزها، ويستعيد للعرش الحديدي صداقته بثُعبان البحر وأسطوله القوي.

قُدِّمَ اعتراض واحد: لِاينور ڤيلاريون كان في التَّاسعة عشرة من عمره، وحتى الآن لم يُبدِ أيَّ اهتمامٍ بالنِّساء، وبدلًا من ذلك أحاطَ نفسه بمُرافقين وُسماء في سنِّه، وقيلَ إنه يفضِّل صُحبتهم. على أن المِايستر الأكبر مِلوس نبذَ داعي القلق هذا مباشرةً بقوله: «وماذا في ذلك؟ أنا لا أحبُّ طعم السَّمك، لكن حينما يُقدَّم لي سمك آكله». وهكذا اتُّخِذَ القرار بخصوص الزَّواج.

غير أن الملك والمجلس أهمَلا مشاورة الأميرة، وأثبتَت رينيرا أنها ابنة أبيها، باعتباراتها الخاصَّة بمن ترغب في الزَّواج به. علمَت الأميرة الكثير عن لِاينور ڤيلاريون، ولم تكن لديها رغبةٌ في أن تكون عروسه، وقد قالت للملك: «سيكون أخواي غير الشَّقيقيْن مناسبيْن لذوقه أكثر مني». (حرصَت الأميرة دائمًا على الإشارة إلى ابنَي الملكة آليسنت بأخويْها غير الشَّقيقيْن لا بالأخويْن قَطُّ). ورغم أن جلالته حاولَ إقناعَها، وناشدَها، وزعقَ فيها، ونعتَها بالابنة الجاحدة، لم تتمكن كلماته من زحزحتها... حتى ذكرَ الملك مسألة الخلافة. أشارَ ڤسيرس إلى أن ما أقرَّه الملك يُمكنه أن يتراجع فيه. ستتزوَّج كما أمرَها، وإلَّا فسيجعل أخاها غير الشَّقيق إجون الوريث مكانها. عندئذٍ تضعضعَت إرادة الأميرة. يقول السِّپتون إيوستس إنها خرَّت عند رُكبتَي أبيها وتوسَّلت مغفرته، أمَّا مشروم فيقول

إنها بصقَت في وجه والدها، لكن في النهاية يتَّفق كلاهما على أنها وافقَت على الزَّواج.

وهنا تتبايَن مصادرنا من جديد. يُبلِغنا إيوستس أن في اللَّيلة ذاتها تسلَّل السير كريستُن كول إلى غُرفة نوم الأميرة ليعترف بحُبِّه لها. قال لرينيرا إن سفينةً تنتظره في الخليج، وتوسَّل إليها أن تهرب معه عبر (البحر الضيِّق). سيتزوَّجان في (تايروش) أو (ڤولانتيس القديمة)، حيث لا يسري أمر والدها ولن يهتمَّ أحد بأن السير كريستُن خانَ عهود الحرس الملكي التي قطعَها على نفسه. كانت براعته بالسَّيف والكُرة الشَّائكة بالغةً لدرجة أنه لم يشكَّ إطلاقًا أن تاجرًا أو أميرًا سيضمُّه إلى خدمته. لكن رينيرا رفضَته. ذكَّرته بأنها من دمِ التنِّين، وتنوي ما هو أكثر من عيش حياتها زوجةً لمرتزِقٍ تقليدي، وإذا كان بإمكانه أن ينبذ عهود الحرس الملكي، فلماذا قد تعني له عهود الزَّواج أكثر؟

يحكي مشروم قصَّةً مُختلفةً تمامًا، ففي روايته ذهبَت الأميرة إلى السير كريستُن كول لا هو إليها. وجَدته وحده في (بُرج السَّيف الأبيض)، وأوصدَت الباب وخلعَت معطفها لتكشف عُريها تحته، وصارحَته قائلةً: «لقد احتفظتُ بعُذريَّتي من أجلك. فلتأخُذها الآن دليلًا على حُبِّي لك. ستعني القليل لخطيبي، وربما يرفُضني حين يعلم أني لستُ عفيفةً».

ومع ذلك، رغم جمالها الفتَّان، لم تلقَ توسُّلاتها آذانًا صاغيةً، لأن السير كريستُن كول كان رجلًا شريفًا ووفيًّا لعهوده. حتى عندما استخدمَت رينيرا الفنون التي تعلَّمتها من عمِّها ديمون لم يتأثَّر كول. مُهانةً ومردودةً وغاضبةً، ارتدَت الأميرة معطفها مرَّةً أخرى واندفعَت خارجةً إلى اللَّيل... لتُصادِف السير هاروين سترونج العائد من ليلة عربدةٍ في مواخير المدينة. لطالما رغبَ مُحطِّم العِظام في الأميرة، وإن افتقرَ

إلى تورُّع السير كريستُن، وكان هو مَن اقتطفَ عُذريَّة رينيرا مُريقًا دماء بِكارتها على سيف ذكورته... حسب مشروم الذي ادَّعى أنه ضبطَهما في السَّرير عند طلوع النَّهار.

مهما حدثَ، سواءَ أرفضَت الأميرة الفارس أم رفضَها هو، منذ ذلك اليوم تحوَّل الحُبُّ الذي كنَّه السير كريستُن كول لرينيرا تارجاريَن سابقًا إلى كراهيةٍ وازدراء، وأضحى الرَّجل الذي كان رفيق الأميرة الدَّائم ونصيرها ألدَّ أعدائها.

لم يمضِ وقتٌ طويل بعد ذلك حتى أبحرَت رينيرا نحو (دريفتمارك) على متن (ثُعبان البحر) برفقة وصيفاتها (اثنتان منهن ابنتا حضرة اليد وشقيقتا السير هاروين)، ومشروم المهرِّج، ونصيرها الجديد الذي لم يكن غير مُحطِّم العِظام نفسه. في عام 114 بعد الفتح تزوَّجت رينيرا تارجاريَن أميرة (دراجونستون) بالسير لِاينور ڤيلاريون (الذي نُصِّبَ فارسًا قبل أسبوعيْن من الزِّفاف، إذ لزمَ أن يكون قرين الأميرة فارسًا). كانت العروس في السَّابعة عشرة من عُمرها، والعريس في العشرين، واتَّفق الجميع على أنهما شكَّلا زوجيْن جميليْن. احتُفِلَ بالزِّفاف لمدَّة سبعة أيامٍ من المآدب والنِّزالات، أعظم دورة مبارياتٍ منذ سنواتٍ عدَّة. بين المتنافسين كان إخوة الملكة آليسنت، وخمسة إخوةٍ مُحلَّفين من الحرس الملكي، ومُحطِّم العِظام، والفارس المفضَّل لدى العريس، السير چوفري لونماوث المعروف باسم فارس القُبلات. حين منحَت رينيرا رِباطها عطيَّةً للسير هاروين ضحكَ زوجها الجديد وأعطى واحدًا يخصُّه للسير چوفري.

مجرَّدًا من عطيَّة رينيرا، التفتَ كريستُن كول إلى الملكة آليسنت بدلًا منها، وواضعًا عطيَّتها الرَّمزيَّة هزمَ قائد الحرس الملكي الشَّاب جميع المتحدِّين مقاتلًا بثورةٍ عارمة، فتركَ مُحطِّم العِظام بكسرٍ في عظمة التَّرقوة

ومرفقٍ مهشَّم (وهو ما حثَّ مشروم على تسميته «محطِّم العِظام» منذ ذلك الحين)، لكن فارس القُبلات هو مَن شعرَ بالحدِّ الأقصى لغضبته. كان سلاح كول المفضَّل الكُرة الشَّائكة، وقد شقَّقت الضَّربات التي هوى بها على نصير السير لِاينور خوذته وتركَته فاقد الحسِّ في الوحل، وحُمِلَ من المضمار مغشيًّا عليه مُدمًى. ماتَ السير چوفري بعد ستَّة أيامٍ دون أن يستعيد وعيه، ويُخبرنا مشروم أن السير لِاينور قضى كلَّ ساعةٍ من تلك الأيام بجانب سريره، وبكى بمرارةٍ حين أخذَه (الغريب).

تميَّز الملك ڤسيرس غضبًا عن الجميع، إذ استحالَ احتفال بهيج كهذا إلى مناسبة حُزنٍ واتِّهام، فيما قيلَ إن الملكة آليسنت لم تُشارِكه استياءه، وبعد فترةٍ قصيرة طلبَت أن يُصبِح السير كريستُن كول حاميها الخاص. كان البرود بين زوجة الملك وابنته جليًّا للجميع، حتى إن مبعوثي المدن الحُرَّة ذكروه في رسائل إلى (پنتوس) و(براڤوس) و(ڤولانتيس القديمة).

عادَ السير لِاينور إلى (دريفتمارك) بعدها تارِكًا كثيرين يتساءلون إن كانت الزِّيجة قد أُتِمَّت، وبقيَت الأميرة في البلاط محاطةً بأصدقائها ومُعجبيها، ولم يكن السير كريستُن كول بينهم، إذ انتقلَ كُليًّا إلى حِزب الملكة، الخُضر، وإن حلَّ محلَّه الضَّخم المهيب مُحطِّم العظام (أو محطِّم العِظام كما دعاه مشروم) ليُصبِحَ رجل السُّود الأوَّل، دائمًا بجانب رينيرا في المآدب والحفلات والصَّيد. لم يُبدِ زوجها أيَّ اعتراضات، فقد فضَّل السير لِاينور وسائل الرَّاحة في (المد العالي)، حيث سُرعان ما وجدَ رفيقًا مفضَّلًا جديدًا في أحد حرس أهل بيته، اسمه السير كارل كوري.

منذ ذلك الحين، رغم أنه انضمَّ إلى زوجته في أحداث البلاط الهامَّة حيث كان حضوره متوقَّعًا، أمضى السير لِاينور معظم أيامه بمعزلٍ عن الأميرة. يقول السِّپتون إيوستس إنهما تشارَكا الفِراش دستةً من المرَّات

على الأكثر، ويُوافِقه مشروم، لكنه يُضيف أن كارل كوري شارَكَهما ذلك الفِراش عادةً أيضًا، إذ يُخبِرنا أن مشاهدة رجلَيْن يُمتِّعان بعضهما بعضًا أثارَت الأميرة، ومن حين إلى آخَر أشركَها الاثنان في ملذّاتهما. لكن مشروم يُناقِض نفسه، لأنه يدَّعي في موضعٍ آخَر من شهادته أن الأميرة كانت تترُك زوجها مع عشيقه في ليالٍ كتلك لتبحث عن العزاء في أحضان هاروين سترونج.

مهما كانت حقيقة تلك الحكايات، سُرعان ما أُعلِنَ أن الأميرة حُبلى. وُلِدَ الطِّفل في الأيام الأخيرة من عام 114 بعد الفتح، وكان طويلًا كبير الحجم، ذا شعرٍ بُنِّي وعينين بنِّيَّتين وأنفٍ أفطس. (كان للسير لِاينور أنف معقوف وشعر أبيض فضِّي وعينان أرجوانيَّتان، وهو ما دلَّ على دمه الڤاليري). رفضَ اللورد كورلس والد لِاينور رغبة ابنه في

تسمية الطِّفل چوفري، وبدلًا من ذلك سُمِّيَ الطِّفل اسمًا تقليديًّا خاصًّا بآل ڤيلاريون، ألا وهو چسيرس (وناداه الأصدقاء والإخوة بچايس).

كان البلاط لا يزال مبتهجًا بولادة ابن الأميرة حين جاءَ المخاض زوجة والدها الملكة آليسنت، لتلد لڤسيرس ابنه الثَّالث، دايرون... الذي كان لونا شعره وعينيه، على عكس چايس، شاهديْن على كونه من دمِ التنّين. بأمرٍ ملكي تشاركَ الرَّضيعان چسيرس ڤيلاريون ودايرون تارجاريَن مُرضعةً واحدةً حتى الفِطام، وقيلَ إن الملك أملَ منع أيِّ عداوةٍ بين الصَّبيَّيْن بتربيتهما أخويْن في الرِّضاعة. إذا صحَّ ذلك فقد تبيَّن أن آماله كانت بائسةً للأسف.

بعد مرور عام، في 115 بعد الفتح، وقعَت حادثة مأساويَّة من النَّوع الذي يُشكِّل مصير الممالك: سقطَت «الحقيرة البرونزيَّة» في (رونستون)، الليدي ريا رويس، من فوق ظهر حصانها فيما تصطاد بالأبواز، وكُسِرَت جمجمتها عند ارتطامها بحجر. بقيَت تُعاني آثار الإصابة تسعة أيامٍ قبل أن تشعُر أخيرًا بتحسُّنٍ كافٍ للقيام من الفِراش... فقط لتنهار وتموت في غضون ساعة من نهوضها. حسب الأصول أُرسِلَ غُداف إلى (ستورمز إند)، وبعثَ اللورد باراثيون برسولٍ على متن سفينةٍ إلى (حجر الدَّم)، حيث لم يزَل الأمير ديمون يُكافِح للدِّفاع عن مملكته الضَّئيلة ضدَّ رجال (مملكة البنات الثَّلاث) وحلفائهم الدورنيِّين. طارَ ديمون في الحال إلى (الوادي) «لدفن زوجتي» على حدِّ تعبيره، وإن كان الأرجح أنه أملَ الاستحواذ على أراضيها وقلاعها ودخولها، وهو ما فشلَ فيه، إذ انتقلَ حُكم (رونستون) بدلًا منه إلى ابن شقيق الليدي ريا، وعندما ناشدَ ديمون (العُش) لم تُرفَض مطالبته فحسب، بل حذَّرته الليدي چين أيضًا من أن وجوده في (الوادي) غير مرحَّب به.

عائدًا بتبِّنيه إلى (الأعتاب) بعد ذلك، حطَّ الأمير ديمون في (دريفتمارك) في زيارة مجاملةٍ لثُعبان البحر شريكه السَّابق في الغزو، وزوجته الأميرة رينس. كانت (المد العالي) واحدةً من الأماكن القليلة في (الممالِك السَّبع) التي أمكنَ لشقيق الملك أن يثق بأنه لن يُخذَل فيها. هناك وقعَت عينه على لِاينا ابنة اللورد كورلس، عذراء في الثَّانية والعشرين طويلة ونحيفة ورائعة الجمال (حتى مشروم أُخِذَ بجمالها، وكتب أنها «حسناء كأخيها تقريبًا»)، شعرها حُليقات ذهبيَّة فضِّيَّة منسدلة لتتجاوَز خصرها. كانت لِاينا مخطوبةً منذ سنِّ الثَّانية عشرة لابنٍ لأمير بحر (براڤوس)... لكن الأب ماتَ قبل أن يتزوَّجا، وسُرعان ما أثبتَ الابن أنه مبذِّر ومغفَّل، مهدرًا ثروة عائلته وسُلطتها قبل اتِّجاهه إلى (دريفتمارك). كان اللورد كورلس يفتقر إلى الكلمات الكيِّسة ليُخلِّص نفسه من الحرج، وإن لم يرغب في المضيِّ قُدمًا في تلك الزِّيجة، فأجَّل الزِّفاف مرارًا وتكرارًا.

يُريدنا المغنُّون أن نُصدِّق أن الأمير ديمون وقعَ في حُبِّ لِاينا، فيما يعتقد الرِّجال الأكثر سخريةً أن الأمير رآها وسيلةً لضمان استمرار نسله. كان ديمون قد تقهقرَ كثيرًا في خطِّ الوراثة بعدما عدَّه الناس وريث أخيه، ولم يكن له مكان عند الخُضر أو مع السُّود... لكن آل ڤيلاريون كانوا أقوياء بما يكفي لتحدِّي كلا الحزبيْن من غير تبعات. مرهقًا من (الأعتاب)، ومتحرِّرًا أخيرًا من «الحقيرة البرونزيَّة»، طلبَ ديمون تارجاريَن من اللورد كورلس يد ابنته للزَّواج.

ظلَّ الخاطِب البراڤوسي المنفي عائقًا، ولكن ليس طويلًا، إذ سخرَ منه ديمون في وجهه بوحشيَّةٍ حتى إنه لم يكن لدى الصَّبي خيار سوى تحدِّيه للدِّفاع عن كلماته بالفولاذ. متسلِّحًا بـ(الأخت المظلِمة)، استغرقَ

الأمير وقتًا قصيرًا للخلاص من خصمه، وبعد أسبوعيْن تزوَّج الليدي لِاينا ڤيلاريون متخلِّيًا بذلك عن مملكته القاحلة في (الأعتاب). (خمسة رجال آخَرون خلفوه ملوكًا لـ(البحر الضيِّق)، حتى انتهى التَّاريخ القصير الدَّامي لـ«مملكة» المرتزِقة الوحشيَّة بلا رجعة).

عرفَ ديمون أن أخاه لن يُسَرَّ عندما يسمع بزواجه، لذا، في خطوةٍ حكيمة، أخذَ الأمير وعروسه الجديدة نفسيهما بعيدًا عن (وستروس) بعد وقتٍ قصيرٍ من الزِّفاف، عابريْن (البحر الضيِّق) بتنِّينيهما. قال البعض إنهما حلَّقا نحو (ڤاليريا) متحدِّيَيْن اللَّعنة العالقة فوق تلك الأرض الخراب الدَّاخنة، لكي يبحثا عن أسرار سادة تنانين (المعقل الحُر)، ويُشير مشروم نفسه في شهادته إلى أن هذه حقيقة، لكن لدينا أدلَّةً وافرةً على أن الحقيقة كانت أقلَّ رومانسيَّةً. طارَ الأمير ديمون والليدي لِاينا إلى (پنتوس) أوَّلًا، حيث كرَّمهما أمير المدينة. كان الپنتوشيُّون يخشون قوَّة الحِلف الثُّلاثي في الجنوب، ورأوا في ديمون حليفًا قيِّمًا ضد (البنات الثَّلاث). من هناك عبرَ الأمير وزوجته (أراضي النِّزاع) وصولًا إلى (ڤولانتيس القديمة)، حيث تمتَّعا بترحيبٍ حار مماثل، ثمَّ طارا إلى نهر (الروين) لزيارة (كوهور) و(نورڤوس). في هاتين المدينتيْن، البعيدتيْن كلَّ البُعد عن ويلات (وستروس) وسطوة الحِلف الثُّلاثي، كان التَّرحيب بهما أقلَّ حماسةً، ومع ذلك أينما ذهبا خرجَت حشود ضخمة من أجل لمحةٍ من ڤاجهار وكاراكسس.

كان راكبَا التَّنانين قد عادا إلى (پنتوس) حين علمَت الليدي لِاينا أنها حُبلى. تجنَّب الأمير ديمون وزوجته المزيد من الطَّيران، ليستقرَّا بإيوانٍ خارج أسوار المدينة نزلا فيه ضيفيْن عند ماچسترٍ پنتوشي إلى أن يُولَد الطِّفل.

في تلك الأثناء في (وستروس) أنجبَت الأميرة رينيرا ابنًا ثانيًا في أواخِر عام 115 بعد الفتح، وسُمِّيَ الطِّفل لوسيرس (لوك اختصارًا). يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن كلا السير لِاينور والسير هاروين كان بجانب سرير رينيرا عند ولادتها. مثل أخيه چايس، كانت للوك عينان بُنِّيَّتان وشعر بنِّي غزير بدلًا من شعر أمراء آل تارجاريَن المذهَّب الفضِّي، لكنه كان ولدًا كبيرًا مفعمًا بالحيويَّة، وسعدَ به الملك ڤسيرس عندما قُدِّمَ في البلاط.

لم تُشاركه مليكته هذه المشاعر. وفقًا لمشروم أسمعَت الملكة آليسنت السير لِاينور هذا الكلام: «تابِع المحاولة، فعاجلًا أو آجلًا قد تحصل على طفلٍ يُشبِهك»، واشتدَّت المنافسة بين الخُضر والسُّود، حتى وصلوا أخيرًا إلى نقطةٍ أصبحَت فيها كلٌّ من الملكة أو الأميرة بالكاد تطيق حضور الأخرى. بعد ذلك بقيَت الملكة آليسنت في (القلعة الحمراء)، في حين قضَت الأميرة أيامها في (دراجونستون) في صُحبة وصيفاتها ومشروم ونصيرها السير هاروين سترونج. أمَّا زوجها السير لِاينور فقيلَ إنه زارَها «غير مرَّة».

في عام 116 بعد الفتح، في مدينة (پنتوس) الحُرَّة، أنجبَت الليدي لِاينا توأمتيْن، أوَّل أطفال الأمير ديمون الشَّرعيِّين، وأطلقَ الأمير ديمون على الفتاتين اسمَي بايلا (على اسم والدته) ورِاينا (على اسم والدة زوجته). كانت الطِّفلتان للأسف صغيرتَي الحجم سقيمتيْن، وإن تمتَّعت كلتاهما بملامح متناسقة وشعرٍ أبيض فضِّي وعينين أرجوانيَّتين. حين كانت سنُّهما نصف عام، وأصبحَتا أقوى، أبحرَت الفتاتان مع والدتهما إلى (دريفتمارك)، فيما سبقهن ديمون بكلا التنِّينيْن. من (المد العالي) أرسل ديمون غُدافًا إلى (كينجز لاندنج) لإبلاغ جلالته بولادة بنتَي أخيه وطلب الإذن في تقديم الفتاتيْن إلى البلاط لتتلقَّيا مُباركته الملكيَّة.

رغم أن يده ومجلسه الصَّغير جادَلا ضد ذلك بحرارة، وافقَ ڤسيرس، لأن الملك لم يزَل يحبُّ الأخَ الذي كان رفيق شبابه، وقد قال للمِايستر الأكبر مِلوس: «ديمون الآن أب. سيكون قد تغيَّر». وهكذا تصالحَ ابنا بِايلون تارجارين للمرَّة الثَّانية.

في عام 117 بعد الفتح أنجبَت الأميرة رينيرا ابنًا آخر في (دراجونستون). أخيرًا سُمح للسير لِاينور بتسمية طفلٍ على اسم صديقه الميت، السير چوفري لونماوث. كان چوفري ڤيلاريون كبير الحجم أحمر الوجه صحيح البدن مثل أخويْه، ولكن مثلهما كانت له عينان بنِّيَّتان وشعر بنِّي وملامح وصفَها البعض في البلاط بـ«الشَّائعة»، وبدأت الهمسات مجدَّدًا. بين الخُضر كان اليقين تامًّا بأن والد أبناء رينيرا ليس زوجها لِاينور، بل نصيرها هاروين سترونج. يقول مشروم الشَّيء نفسه في شهادته، ويُلمِّح إليه المِايستر الأكبر مِلوس، فيما يَذكُر السِّپتون إيوستس الشَّائعات لينفيها فقط.

أيًّا كانت حقيقة هذه المزاعم، لم يكن عند أحدٍ أيُّ شكٍّ في أن الملك لا يزال ينوي أن تخلفه ابنته في الجلوس على العرش الحديدي، ويخلفها أبناؤها بدورهم. بموجب مرسومٍ ملكي، أُهدِيَت إلى كلِّ صبيٍّ من أبناء ڤيلاريون بيضة تِنِّينٍ في مهده، ومَن شكَّكوا في أصل أبناء رينيرا همسوا أن البيضات لن تفقس أبدًا، ولكن بالمقابل كذَّبت ولادة ثلاثة تنانين صغيرة كلماتهم. سُمِّيَت الأفراخ ڤِرماكس وآراكس وتايراكسس. يُخبِرنا السِّپتون إيوستس أن جلالته أجلسَ چايس على رُكبته فوق العرش الحديدي فيما عقدَ البلاط، وسُمِعَ يقول للصَّبي: «ذات يومٍ سيكون هذا مقعدك يا فتى».

كانت الولادة ثقيلة الوطأة على الأميرة، فلم تفقد رينيرا الوزن الذي

اكتسَبته خلال فترات حملها بالكامل، ولدى مولد ابنها الأصغر كانت قد أصبحَت سمينةً سميكة الخصر، وغدا جمال طفولتها ذكرى متلاشيةً رغم أنها كانت في العشرين من عُمرها فقط. وفقًا لمشروم، لم يؤدِّ هذا إلَّا إلى زيادة استيائها من زوجة أبيها، الملكة آليسنت، التي ظلَّت نحيلةً رشيقةً رغم أنها تكبرها بنحو عشر سنوات.

قال الحُكماء إنه غالبًا ما تنعكِس خطايا الآباء على الأبناء، وينطبِق هذا على خطايا الأمَّهات أيضًا. وُرِّثَت العداوة بين الملكة آليسنت والأميرة رينيرا إلى أبنائهما، وأصبحَ صِبية الملكة الثَّلاثة، الأُمراء إجون وإيموند ودايرون، ألدَّ أعداء أبناء أختهم سليلي عائلة ڤيلاريون، ساخطين عليهم لسرقتهم ما اعتبروه حقَّهم بالميلاد: العرش الحديدي نفسه. رغم أن الصِّبية الستَّة حضروا المآدب والحفلات والمهرجانات نفسها، وأحيانًا تدربوا معًا في السَّاحة على يد قيِّم السِّلاح نفسه، ودرسوا على يد المِايسترات أنفُسهم، لم يُزِد هذا التقارب المفروض إلَّا من النُّفور المتبادل بينهم بدلًا من ربطهم معًا كالإخوة.

لئن لم تكن الأميرة رينيرا من محبِّي زوجة أبيها الملكة آليسنت، فقد أصبحَت مغرمةً أكثر فأكثر بأخت زوجها الليدي لِاينا. بما أن (دريفتمارك) و(دراجونستون) قريبتان للغاية، فعادةً ما كان ديمون ولِاينا يزوران الأميرة، وعادةً ما ردَّت الزِّيارة. في كثيرٍ من الأحيان حلَّقوا معًا بتنانينهم، وأنتجَت سايراكس تنِّينة الأميرة زُمرًا عدَّةً من البيض. في عام 118 بعد الفتح، بمباركة الملك ڤسيرس، أعلنَت رينيرا خطبة ابنيها الأكبر وابنتَي الأمير ديمون والليدي لِاينا. كان جسيرس في الرَّابعة ولوسيرس في الثَّالثة، والبنتان في الثَّانية. وفي عام 119 بعد الفتح، عندما وجدَت لِاينا نفسها حُبلى من جديد، طارَت رينيرا إلى (دريفتمارك) لتكون

معها في أثناء الولادة.

وهكذا كانت الأميرة إلى جانب أخت زوجها في اليوم الثَّالث من ذلك العام الملعون، 120 بعد الفتح، عام الرَّبيع الأحمر. تركَ يوم وليلة من المخاض لِاينا ڤيلاريون ممتقعةً ضعيفةً، وإن أنجبَت أخيرًا الابن الذي لطالما رغبَ به الأمير ديمون... لكن الطِّفل كان مشوَّهًا، وماتَ في غضون ساعة. ولا عاشَت أمُّه طويلًا بعده. استنزفَ مخاض الليدي لِاينا المرهق قُواها كلَّها، والحُزن أضعفَها علاوةً على ذلك، وهو ما جعلَها عاجزةً قبل بداية حُمَّى النِّفاس. حين ساءَت حالتها باطِّرادٍ على الرَّغم من الجهود الجبَّارة التي بذلَها مِايستر (دريفتمارك) الشَّاب، طارَ الأمير ديمون إلى (دراجونستون) وعادَ بمِايستر الأميرة رينيرا، وهو رجل أكبر سنًّا وأكثر خبرةً اشتهرَ بمهاراته العلاجيَّة. ويا للأسى، وصلَ المِايستر جيراردس متأخِّرًا جدًّا، فبعد ثلاثة أيَّامٍ من الهذيان ماتَت الليدي لِاينا من جرَّاء هذا الاضطراب المميت، ولم تكُن تجاوزَت السَّابعة والعشرين. يُقال إن خلال ساعتها الأخيرة نهضَت الليدي لِاينا من سريرها، ودفعَت السِّپتوات اللّاتي يُصلِّين فوقها، وشقَّت طريقها من غُرفتها عازمةً على الوصول إلى ڤاجهار حتى تطير مرَّةً أخيرةً قبل أن تموت، غير أن قُواها خارَت وهي ترتقي سلالم البُرج، وانهارَت هناك وماتَت. حملَها زوجها الأمير ديمون إلى سريرها، وبعد ذلك يُخبِرنا مشروم أن الأميرة رينيرا سهرتَ معه على جُثَّة الليدي لِاينا وواسَته في حُزنه.

كانت وفاة الليدي لِاينا أوَّل مأساةٍ في عام 120 بعد الفتح، وإن لم تكن الأخيرة، لأنه العام الذي بلغَ فيه العديد من التَّوتُّرات والغيرة المتبادلة التي ابتُلِيَت بها (الممالِك السَّبع) قبل فترةٍ طويلة حدَّ الغليان أخيرًا، عامٌ سيكون فيه لدى كثيرين أسباب للبُكاء والحُزن وتمزيق

الثِّياب... لا سيَّما ثُعبان البحر اللورد كورلس ڤيلاريون، وزوجته النَّبيلة الأميرة رينس التي كان يُمكن أن تُصبِح ملكةً.

كان سيِّد المدِّ والجَزر وحرمه في حدادٍ على ابنتهما الحبيبة عندما جاءَ (الغريب) من جديدٍ ليأخذ ابنهما. قُتِلَ السير لِاينور ڤيلاريون، زوج الأميرة رينيرا ووالد أطفالها المفترَض، في أثناء حضوره معرضًا بـ(بلدة التَّوابل)، طعنَه حتى الموت صديقه ورفيقه السير كارل كوري. كان الرَّجلان يتشاجران بصوتٍ عالٍ قبل أن يستلَّا سلاحيْهما. بهذا أخبرَ تُجَّار المعرض اللورد ڤيلاريون عندما جاءَ لأخذ جُثَّة ابنه. كان كوري قد فرَّ عندئذٍ بعدما جرحَ عدَّة رجال حاوَلوا إعاقته. ادَّعى البعض أن سفينةً كانت تنتظره قُبالة السَّاحل، ولم يُرَ السير كارل مجدَّدًا.

تظلُّ ظروف القتل لُغزًا حتى يومنا هذا. لا يُدوِّن المايستر الأكبر مِلوس أكثر من أن السير لِاينور قُتِلَ على يد أحد فُرسان أهل بيته بعد مشاجرة، فيما يُقدِّم لنا السِّپتون إيوستس اسم القاتِل ويُعلِن أن الغيرة كانت دافع القتل، إذ سئمَ لِاينور ڤيلاريون رِفقة السير كارل وأصبحَ مفتونًا بشخصٍ مفضَّل جديد، مُرافق شاب وسيم في السَّادسة عشرة، أمَّا مشروم، وكما هي الحال معه دائمًا، فيُرجِّح أشدَّ النَّظريَّات خُبثًا، تلك التي تقترح أن الأمير ديمون نقدَ كارل كوري مالًا للتَّخلُّص من زوج الأميرة رينيرا، ورتَّب لسفينةٍ تنقله بعيدًا، ثمَّ شقَّ حلقه وأطعمَ به البحر. كان كوري فارس أهل بيتٍ من نسبٍ وضيع نسبيًّا، ومعروفًا بأن لديه ذائقة لورد وكيس نقود فلَّاح، واعتادَ الرِّهان بمبالغ باهظة بجانب ذلك، وهو ما يُضفي شيئًا من المصداقيَّة على نُسخة المهرِّج من الأحداث. ومع ذلك لم يظهر أيُّ دليلٍ وقتها أو الآن، على الرَّغم من أن ثُعبان البحر عرضَ مكافأةً قدرها عشرة آلاف تنِّينٍ ذهبي لأيِّ رجلٍ

يستطيع أن يدلَّه على السير كارل كوري، أو يُسلِّم القاتل لكي ينال الأب انتقامه.

حتى هذه لم تكن نهاية المآسي التي جلبَتها تلك السَّنة الرَّهيبة. وقعَت المأساة التَّالية في (المد العالي) بعد جنازة السير لاينور، عندما ذهبَ الملك والبلاط إلى (دريفتمارك) ليشهدا محرقته الجنائزيَّة، كثير منهم على متون تنانينهم. (تنانين عديدة كانت حاضرةً، حتى إن السِّپتون إيوستس كتبَ أن (دريفتمارك) باتَت (ڤاليريا) الجديدة).

قسوة الأطفال معروفةٌ للجميع. كان الأمير إجون تارجاريَن في الثَّالثة عشرة من عُمره، والأميرة هيلينا في الحادية عشرة، والأمير إيموند في العاشرة، والأمير دايرون في السَّادسة. كان إجون وهيلينا كلاهما راكب تنِّين، تطير هيلينا بدريمفاير، التنِّينة التي حملَت راينا عروس ميجور المتوحِّش السَّوداء، فيما قيلَ إن صنفاير تنِّين أخيها إجون كان أجمل تنِّين رُئيَ على وجه البسيطة على الإطلاق. حتى الأمير دايرون كان له تنِّين، تنِّينةٍ زرقاء جميلة تُسمَّى تِساريون، مع العلم أنه لم يمتطِها بعدُ. فقط الابن الأوسط، الأمير إيموند، بقيَ بلا تنِّين، لكن الملك كان يأمُل تصحيح ذلك، وطرحَ فكرة عقد البلاط في (دراجونستون) بعد الجنازة. كانت تحت (دراجونمونت) ثروة من بيضات التَّنانين والعديد من الأفراخ الصَّغيرة أيضًا، ويُمكن للأمير إيموند أن يختار منها «إذا كان الفتى جريئًا بما فيه الكفاية».

حتى في سنِّ العاشرة لم يفتقر إيموند تارجاريَن إلى الجرأة. سُخرية الملك لسعَت كبرياء الفتى، وقرَّر ألَّا ينتظر فُرصة (دراجونستون). ما الذي يُريده من بعض الأفراخ التَّافهة أو بعض البيضات السَّخيفة؟ هنا في (المد العالي) تنِّينة جديرة به: ڤاجهار، أكبر تنانين العالم وأضخمها وأفظعها.

حتى بالنِّسبة إلى سليلٍ لعائلة تارجاريَن، في الاقتراب من تنّينٍ مخاطر دائمًا، لا سيَّما تنّينة عجوز معتلَّة المزاج خسرَت راكبتها مؤخَّرًا. عرفَ إيموند أن والده ووالدته لن يسمحا له بالاقتراب من ڤاجهار أبدًا، ناهيك بمحاولة ركوبها، لذلك حرصَ ألَّا يعلما، فانسلَّ من فِراشه فجرًا وهما نائمان، وتسلَّل إلى الفِناء الخارجي حيث تُطعَم ڤاجهار والتَّنانين الأخرى وتَسكُن. كان الأمير يأمل أن يمتطي ڤاجهار سرًّا، ولكن بينما تسلَّل نحو مربض التنّينة رنَّ صوت صبيٍّ قائلًا: «ابتعِد عنها!».

كان الصَّوت ينتمي إلى أصغر أبناء أخته غير الشَّقيقة، چوفري ڤيلاريون. اعتادَ چوف، وهو صبي في الثَّالثة، الاستيقاظ مبكِّرًا دومًا، وقد تسلَّل من سريره ليُلقي نظرةً على تنّينه الصَّغير تايراكسس. خائفًا أن يُوقِظ الولد الجَميع، زعقَ الأمير إيموند في وجهه ليَصمُت، ثمَّ دفعَه إلى الوراء في كومةٍ من بُراز التنّين، وإذ بدأ چوف يصيح ركضَ إيموند إلى ڤاجهار وصعدَ فوق ظهرها. في وقتٍ لاحق قال إنه كان يخشى أن يُضبَط لدرجة أنه نسيَ أن يخاف أن يُحرَق حتى الموت ويُؤكَل.

سمِّها جرأةً، أو جنونًا، أو حظًّا، أو إرادة الآلهة، أو تقلُّب التَّنانين. مَن ذا الذي يمكنُه أن يعرف ما في خاطر وحشٍ كهذا؟ أمَّا هذا فنعرفه: هدرَت ڤاجهار، وهبَّت متمايلةً، وارتجفَت بعُنف... ثمَّ كسرَت سلاسلها وطارَت، وأصبحَ الأمير الصَّبي إيموند تارجاريَن راكب تنّين، دائرًا مرَّتين حول أبراج (المد العالي) قبل أن يهبط مجدَّدًا.

لكن عندما هبطَ كان أبناء رينيرا في انتظاره.

كان چوفري قد هرعَ لإحضار أخويْه عندما عرجَ إيموند إلى السَّماء، وأجابَ چايس ولوك كلاهما نداءه. كان الأمراء ڤيلاريون أصغر من إيموند -چايس في السَّادسة، ولوك في الخامسة، وچوف في الثَّالثة فقط-

لكنهم كانوا ثلاثةً، وقد سلَّحوا أنفُسهم بسيوفٍ خشبيَّة من ساحة التَّدريب، والآن انقضُّوا عليه غاضبين. قاومَهم إيموند كاسرًا أنف لوك بلكمة، ثمَّ منتزعًا السَّيف من يدَي چوف ليكسره على مؤخِّرة رأس چايس مُسقطًا إياه على رُكبتيه. فيما بدأ الصِّبية الأصغر يبتعدون عنه دامين مكدومين، شرعَ الأمير يسخر منهم ضاحكًا وناعتًا إيَّاهم بـ«أبناء سترونج». كان چايس على الأقل كبيرًا بما يكفي ليُدرِك الإهانة، فهجمَ على إيموند من جديد، لكن الصَّبي الأكبر بدأ يضربه بوحشيَّة... حتى استلَّ لوك القادم لإنقاذ أخيه خنجره وجرحَ وجه إيموند فاقئًا عينه اليُمنى. لدى وصول عُمَّال الاسطبلات أخيرًا للفصل بين المتقاتلين كان الأمير يتلوَّى على الأرض ويعوي من الألم، وكانت ڤاجهار أيضًا تهدر.

بعدها حاولَ الملك ڤسيرس إحلال السَّلام، طالبًا من كلٍّ من الصِّبية تقديم اعتذارٍ لغريمه على الجانب الآخَر، لكن هذه المجاملات لم تُرضِ والدتيْهم الرَّاغبتيْن في الانتقام. طالبَت الملكة آليسنت باقتلاع إحدى عينَي لوسيرس ڤيلاريون ثمنًا لعين إيموند، وهو ما رفضَته الأميرة رينيرا تمامًا، وإن أصرَّت على وجوب استجواب الأمير إيموند «بحدَّة» حتى يكشف أين سمعَ أبناءها يُنعَتون بـ«أبناء سترونج». تسميتهم بهذا الاسم كانت بمثابة القول بأنهم نغول لا حقَّ لهم في الخلافة... وبأنها هي نفسها مذنبة بالخيانة العُظمى. حين ضغطَ عليه الملك قال الأمير إيموند إن أخاه إجون هو مَن أخبرَه بأنهم أبناء لآل سترونج، واكتفى الأمير إجون بقول: «الجميع يعرفون. انظُر إليهم فقط».

أخيرًا وضعَ الملك ڤسيرس نهايةً للاستجواب معلنًا أنه لن يسمع المزيد، إلَّا أنه أمرَ بعدم اقتلاع أيِّ أعيُن... لكن إن حدثَ أن سخرَ أيُّ شخصٍ «سواء أكان رجلًا أم امرأةً أم طفلًا، من النُّبلاء أم العامَّة أم

العائلة الملكيَّة» من أحفاده بنعتهم بـ«أبناء سترونج» مرَّةً أخرى، فسيُنتزَع لسانه بالكمَّاشة السَّاخنة. كذلك أمرَ جلالته زوجته وابنته بتقبيل إحداهما الأخرى وتبادُل عهود الحُبِّ والعاطفة. على أن ابتساماتهما الزَّائفة وكلماتهما الفارغة لم تخدع أحدًا إلَّا الملك، وبالنِّسبة إلى الصِّبية فقد قال الأمير إيموند لاحقًا إنه خسرَ عينًا وكسبَ تنِّينًا في ذلك اليوم، واعتبرَها مبادلةً عادلةً.

لمنعِ المزيد من النِّزاعات ووضعِ حدٍّ لهذه «الشائعات الحقيرة والافتراءات الخسيسة»، قضى الملك ڤسيرس أن تعود الملكة آليسنت وأبناؤها معه إلى البلاط، فيما قصرَت الأميرة رينيرا نفسها على (دراجونستون) مع أبنائها. من ذلك الحين خدمَها إريك كارجِل فارس الحرس الملكي تُرسًا محلَّفًا، فيما عادَ مُحطِّم العِظام إلى (هارنهال).

يَكتُب السِّپتون إيوستس أن هذه الأحكام لم تُرضِ أحدًا، لكن مشروم اعترضَ: رجلٌ واحد على الأقل سعدَ بالقرارات، لأن (دراجونستون) و(دريفتمارك) متقاربتان جدًّا، وسيمنَح هذا القُرب ديمون تارجاريَن فُرصًا وافرةً لمواساة ابنة أخيه الأميرة رينيرا دون علم الملك.

على الرَّغم من أن ڤسيرس الأوَّل سيحكُم تسع سنواتٍ أخرى، كانت بذور رقصة التَّنانين الدَّامية قد زُرِعَت بالفعل، وكان عام 120 بعد الفتح هو العام الذي بدأت فيه البذور تنبت. الموت التَّالي كان من نصيب الثُّنائي الأكبر من آل سترونج. رافقَ لايونل سترونج سيِّد (هارنهال) ويد الملك ابنه ووريثه السير هاروين في عودته إلى القلعة العظيمة نصف المدمَّرة القابعة على شاطئ البُحيرة، وبعد وصولهما بقليلٍ اندلعَ حريق في البُرج حيث كانا نائميْن، وقُتل الأب والابن كلاهما، إلى جانب ثلاثةٍ من مُرافِقيهما ودستةٍ من الخدم.

لم يُحدَّد سبب الحريق قَطُّ. فسَّره البعض ببساطةٍ بسوء الحظِّ، فيما تمتمَ آخَرون بأن معقل هارن الأسود ملعون ولا يجلب إلَّا الهلاك على أيِّ رجلٍ يَحكُمه. اشتبهَ كثيرون في أن الحريق اندلعَ عمدًا، إذ يقترح مشروم أن ثُعبان البحر كان وراءه، انتقامًا من الرَّجل الذي ديَّث ابنه، فيما يشتبِه السِّپتون إيوستس، على نحو أكثر عقلانيَّةً، في الأمير ديمون الذي أرادَ إزاحة مُنافسٍ له على حُبِّ الأميرة رينيرا. طرحَ آخرون فكرة أن لارِس الأحنف ربما كان المسؤول، فبموت والده وأخيه الأكبر أصبحَ لارِس سترونج سيِّد (هارنهال). الاحتمال الأشد إزعاجًا لم يقدمه أحدٌ غير المِايستر الأكبر مِلوس، الذي يُفكِّر أن الملك نفسه ربما أعطى الأمر. إن كان ڤسيرس قد صارَ يُصدِّق أن الشَّائعات حول نسب أطفال رينيرا حقيقيَّة، فواردٌ أنه رغبَ في الخلاص من الرَّجل الذي لوَّث

شرف ابنته لئلَّا يكشف بطريقةٍ أو بأخرى عن حقيقة نُغولة أبنائها. إذا صحَّ ذلك، فإن موت لايونل سترونج كان حادثًا مؤسفًا، إذ كان قرار حضرته بالعودة مع ابنه إلى (هارنهال) غير متوقَّعٍ بالمرَّة.

كان اللورد سترونج يد الملك، وأضحى ڤسيرس يعتمد على قوَّته ونصائحه. كان جلالته قد بلغَ الثَّالثة والأربعين وأصبحَ سمينًا جدًّا، ولم يَعُد يتمتَّع بنشاط الشَّباب، وابتُلِيَ بالنِّقرس وآلام المفاصل والظَّهر، وبضيقٍ في الصَّدر كان يأتي ويذهب وكثيرًا ما تركَه محتقن الوجه متقطِّع الأنفاس. كان حُكم البلاد مهمَّةً شاقَّة، والملك بحاجةٍ إلى يد قوي قادر على تحمُّل بعض أعبائه. لفترةٍ وجيزة فكَّر في طلب الأميرة رينيرا، فمن أفضل للحُكم معه من الابنة التي انتوى أن تخلفه على العرش الحديدي؟ على أن ذلك كان ليعني إعادة الأميرة وأبنائها إلى (كينجز لاندنج)، حيث لا مفرَّ من وقوع المزيد من الصِّراعات مع الملكة وأبنائها. وضعَ الملك أخاه بعين الاعتبار أيضًا، حتى تذكَّر مهام ديمون السَّابقة في المجلس الصغير. اقترحَ المِايستر الأكبر مِلوس جلب رجلٍ أصغر، وطرحَ عدَّة أسماء، لكن جلالته اختارَ الأُلفة واستدعى إلى البلاط السير أوتو هايتاور، والد الملكة الذي شغلَ المنصب من قبل لكلٍ من ڤسيرس والملك العجوز.

ولكن ما كادَ السير أوتو يصل إلى (القلعة الحمراء) لتولِّي اليدويَّة حتى وصلَ خبر إلى البلاط بزواج الأميرة رينيرا مرَّةً أخرى، متَّخذةً عمَّها ديمون تارجاريَن زوجًا. كانت الأميرة تبلغ من العُمر ثلاثةً وعشرين عامًا، والأمير ديمون تسعةً وثلاثين.

أحنقَ الخبر كلًّا من الملك والبلاط والعامَّة. لم يمضِ نصف عامٍ حتى على وفاة زوجة ديمون وزوج رينيرا، وقد أعلنَ جلالته بغضبٍ أن الزَّواج

مجدَّدًا بعد موتهما بهذه الفترة القصيرة إهانة لذِكراهما. تمَّ الزَّواج في (دراجونستون) فجأةً وبسرِّيَّة. يدَّعي السِّپتون إيوستس أن رينيرا علمَت أن والدها لن يوافِق على الزِّيجة، لذا تزوَّجت في عجلةٍ من أمرها لتضمن ألَّا يستطيع منعها. أمَّا مشروم فيُقدِّم سببًا مختلفًا: كانت الأميرة حاملًا مرَّةً أخرى، ولم ترغب في ولادة نغل.

وهكذا انتهى عام 120 بعد الفتح المليء بالأهوال كما بدأ، بامرأةٍ تكدح في فِراش الولادة. كان لحمل الأميرة رينيرا نتيجة أسعد من نتيجة الليدي لِاينا، فمع دنوِّ العام من نهايته أنجبَت ابنًا صغير الحجم لكن قويًّا، أميرًا شاحبًا ذا عينين أرجوانيَّتين داكنتين وشعرٍ فضِّي باهت سمَّته إجون. أخيرًا أصبحَ للأمير ديمون ابنٌ حيٌّ من دمه... وهذا الأمير الجديد، على عكس ثلاثةِ إخوته غير الأشقَّاء، كان من الواضح تمامًا أنه من آل تارجاريَن.

أمَّا في (كينجز لاندنج) فقد ثارَت ثائرة الملكة آليسنت حين علمَت أن الطِّفل سُمِّيَ إجون، إذ عدَّت ذلك إهانةً لابنها إجون... وهو ما كان، وفقًا لشهادة مشروم، كذلك بكلِّ تأكيد.[19]

طبقًا لكلِّ النَّواميس، كان المفترض أن يكون عام 120 بعد الفتح عامًا سعيدًا على آل تارجاريَن. أُخِذَت الأميرة رينيرا إلى سرير الولادة مرَّةً أخرى، ومنحَت عمَّها ديمون ابنًا ثانيًا سُمِّيَ ڤسيرس تيمُّنًا بجدِّه. كان الطِّفل أصغر وأقل قوَّةً من شقيقه إجون وإخوته غير الأشقَّاء سليلي عائلة ڤيلاريون، وإن اتَّضح أنه صبيٌّ سريع النُّضوج للغاية... ولو أن -على نحوٍ يُنذِر بشيءٍ من السُّوء- بيضة التنِّين الموضوعة في مهده لم تفقس قَطُّ. عدَّ الخُضر ذلك نذير نحس، ولم يخجلوا على الإطلاق من

19- فيما يلي، لنتلافى الخلط بين الأميرَين، سنُشير إلى ابن الملكة آليسنت بإجون الأكبر وابن الأميرة رينيرا بإجون الأصغر. (المؤلِّف).

قول ذلك.

في وقتٍ لاحق من العام نفسه احتفلَت (كينجز لاندنج) بزفافٍ أيضًا. متَّبعًا تقليد عائلة تارجاريَن العتيق، زوَّج الملك ڤسيرس ابنه إجون الأكبر بابنته هيلينا. كان العريس في الخامسة عشرة من عُمره، ويُخبرنا السِّپتون إيوستس أنه كان صبيًّا كسولًا وإلى حدٍّ ما عابسًا، ولو أنه صاحب شهيَّةٍ مفرطة، شرهًا على المائدة وميَّالًا إلى تجرُّع المِزر والنَّبيذ القوي وقرصِ ومعابثة أيِّ خادمةٍ تطالها يده. أمَّا العروس، أخته، فكانت في الثَّالثة عشرة فقط، ومع أنها أسمن وأقل حُسنًا من معظم آل تارجارين، كانت هيلينا فتاةً لطيفةً وسعيدةً، واتَّفق الجميع على أنها ستكون أمًّا صالحةً.

وهذا ما فعلتَه، وبسرعة. بعد سنةٍ بالكاد، في عام 123 بعد الفتح، أنجبَت الأميرة ذات الأربعة عشر عامًا توأميْن، صبيًّا أسمَته چهيرس وصبيَّةً أسمَتها چهيرا، وأعلنَ الخُضر في البلاط بسعادةٍ أن الأمير إجون أضحى له وريثان الآن. وُضِعَت بيضة تنِّينٍ في مهدِ كلا الطِّفلين، وسُرعان ما فقسَت كلتا البيضتيْن. ومع ذلك لم يكن كلُّ شيءٍ على ما يُرام مع هذين التَّوأميْن الجديديْن. كانت چهيرا ضئيلة الحجم وبطيئة النُّمو، ولم تبكِ، ولم تبتسِم، ولم تفعل أيًّا من الأشياء التي يُفترَض أن تفعلها رضيعة. أمَّا أخوها، رغم أنه أكبر حجمًا وأقوى، فكان أيضًا أقلَّ كمالًا من المتوقَّع من أميرٍ سليل لآل تارجاريَن، إذ احتوَت يده اليُسرى على ستِّ أصابع، مع ستِّ أصابع في كلِّ قدم.

لم تفعل الزَّوجة والذُّرِّيَّة الكثير لكبح شهيَّة الأمير إجون الأكبر الجسديَّة. إذا صُدِّقَ مشروم، فقد أنجبَ الأمير طفليْن غير شرعيَّيْن في العام نفسه الذي وُلِدَ فيه التَّوأمان: صبيًّا من فتاةٍ فازَ بعُذريَّتها في مزادٍ

بـ(شارع الحرير)، وصبيَّةً من إحدى خادمات والدته. وفي عام 127 بعد الفتح أنجبَت الأميرة هيلينا ابنه الثَّاني، الذي أُعطِيَ بيضة تِنّينٍ واسم مِايلور.

كان أبناء الملكة آليسنت الآخَرون يكبرون أيضًا. غدا الأمير إيموند، رغم أنه خسرَ عينه، سيَّافًا ماهرًا وخطيرًا تحت إرشاد السير كريستُن كول، وإن بقيَ صبيًّا جامحًا وعنيدًا، عصبيَّ المزاج لا يرحم. كان أخوه الأصغر الأمير دايرون الأكثر شعبيَّةً بين أبناء الملكة، ذكيًّا بقدر ما كان مهذَّبًا، وأوسمهم أيضًا. عندما بلغ الثَّانية عشرة من عُمره في عام 126 بعد الفتح أُرسِلَ دايرون إلى (البلدة القديمة) ليكون ساقيًا ومُرافقًا للورد هايتاور.

في العام نفسه، عبر (الخليج الأسود)، أصيبَ ثُعبان البحر بحُمَّى مفاجئة، وحين لازمَ سرير المرض محاطًا بالمِايسترات طُرِحَت مسألة مَن يجب أن يخلفه سيِّدًا للمدِّ والجَزر وعميدًا لـ(دريفتمارك) إذا ما أهلكَه المرض. مع وفاة كلٍّ من ابنيه الشرعيَّيْن وجبَ قانونًا انتقال ألقابه وأرضه إلى حفيده الأكبر چسيرس... ولكن بما أنه كان مُفترضًا أن يعتلي چايس العرش الحديدي بعد والدته، فقد حثَّت الأميرة رينيرا حماها على تسمية ابنها الثَّاني لوسيرِس وريثًا بدلًا من چسيرس. على أن اللورد كورلس كان له نصف دستة من أبناء الإخوة، أكبرهم السير ڤيموند ڤيلاريون، الذي احتجَّ قائلًا إن الميراث يجب أن ينتقل إليه شرعًا... على أساس أن أبناء رينيرا نغول أنجبَهم هاروين سترونج. لم تتباطأ الأميرة في الرَّدِّ على هذه التُّهمة، فأرسلَت الأمير ديمون للقبض على السير ڤيموند، وأمرَت بقطع رأسه، وأطعمَت جثَّته لتنِّينتها سايراكس.

حتى هذا لم يضع حدًّا للأمر، إذ فرَّ أبناء عمومة السير ڤيموند الأصغر

سنًّا إلى (كينجز لاندنج) مع زوجته وأبنائه، ليُطالِبوا بالعدالة ويرفعوا مسألة حقِّهم أمام الملك والملكة. كان الملك ڤسيرس قد أضحى سمينًا جدًّا ومحمرَّ الوجه، وبالكاد تمتَّع بالقُدرة على ارتقاء درجات العرش الحديدي. سمِعَهم جلالته بصمتٍ حجري، ثمَّ أمرَ بقطع ألسنتهم جميعًا، وأعلنَ الملك وهُم يُجَرُّون من القاعة: «لقد حُذِّرتم. لن أسمع المزيد من هذه الأكاذيب».

ولكن، بينما هو نازل من علياء عرشه، تعثَّر جلالته ومدَّ يده كي يُوازن نفسه، فقط ليشقَّ يده اليُسرى حتى العظم على نصلٍ محزَّز بارز من العرش. على الرَّغم من تنظيف المِايستر الأكبر مِلوس الجرح بالنَّبيذ المغلي وربطه اليد المصابة بشرائط كتَّانٍ منقوعة في المراهم الشَّافية، سُرعان ما أصابَت الملك الحُمَّى، وخشيَ كثيرون وفاته. فقط وصول الأميرة رينيرا من (دراجونستون) غيَّر مجرى الأمور، فقد جاءَ معها مُعالجها الخاص، المِايستر جيراردس، الذي تصرَّف سريعًا ببتر إصبعيْن من يد جلالته لإنقاذ حياته.

رغم ضعفه الشَّديد بسبب محنته استأنفَ الملك ڤسيرس الحُكم بعد قليل، وللاحتفال بشفائه أقيمَت مأدبة في اليوم الأوَّل من عام 127 بعد الفتح. أُمِرَت الأميرة والملكة كلتاهما بالحضور مع جميع أولادهما، وفي استعراضٍ للودِّ ارتدَت كلتا المرأتيْن لون الأخرى، وتُبودِلَت تصريحات محبَّةٍ عديدة أبهجَت الملك للغاية. رفعَ الأمير ديمون نخبًا للسير أوتو هايتاور وشكرَه على خدمته الرَّائعة يدًا للملك، وتحدَّث السير أوتو بدوره عن شجاعة الأمير، فيما استقبلَ أبناء آليسنت ورينيرا بعضهم بعضًا بالقُبلات وأكلوا العيش والملح معًا على المائدة. أو أن هذا ما دوَّنته سجلَّات البلاط.

ومع ذلك، في وقتٍ متأخِّر من تلك الأُمسية بعد مغادرة الملك ڤسيرس (لأن جلالته لم يزَل يتعب بسهولة)، يُخبرنا مشروم أن إيموند الأعور نهضَ ليرفع نخبًا لأبناء أخته سليلي آل ڤيلاريون، أعربَ فيه ساخرًا عن إعجابه بشعرهم البُنّي وأعيُنهم البُنّيّة... وقوَّتهم، إذ أنهى نخبه قائلًا: «لم أعرف قَطُّ أحدًا قويًّا كأبناء أختي الأحبَّة (قاصدًا أنهم نغول لهاروين سترونج)، لذا دعونا نشرب في صحَّة هؤلاء الأولاد الأقوياء الثَّلاثة». يُبلِغنا المهرّج أن في وقتٍ لاحق تلقَّى إجون الأكبر إهانةً عندما طلبَ چسيرس رقصةً من زوجته هيلينا. تُبودِلَت الكلمات الغاضبة، وكان الأميران ليتضارَبا لولا تدخُّل الحرس الملكي. إن كان الملك ڤسيرس قد أُعلِمَ بما حصلَ فلا ندري، لكن الأميرة رينيرا وأبناءها عادوا إلى مقرِّهم بـ(دراجونستون) في صباح اليوم التَّالي.

بعد فقد إصبعيه لم يجلس ڤسيرس على العرش الحديدي ثانيةً، ومنذ ذلك الحين تجنَّب قاعة العرش مفضِّلًا أن يعقد البلاط في غُرفته الشَّمسيَّة، وفيما بعد في غُرفة نومه محاطًا بالمِايسترات والسِّپتونات ومهرِّجه المخلص مشروم، الشَّخص الوحيد الذي لم يزَل بإمكانه إضحاكه (كما يدَّعي مشروم).

زارَ الموت البلاط مجدَّدًا بعد وقتٍ قصير، عندما انهارَ المِايستر الأكبر مِلوس ذات ليلةٍ وهو يصعد السَّلالم الملتفَّة. لطالما كان للرَّجل صوت معتدل في المجلس، يحثُّ دائمًا على التَّهدئة والتَّسوية كلَّما ظهرَت مشكلات بين السُّود والخُضر، ومما أثقلَ على الملك أن وفاة الرَّجل الذي دعاه بـ«صديقي الموثوق» لم تُساهِم إلَّا في إثارة خلافٍ جديد بين الحِزبيْن.

أرادَت الأميرة رينيرا المِايستر جيراردس، الذي خدمَها لفترةٍ طويلة في

(دراجونستون)، أن يُرقَّى ليحلَّ محلَّ مِلوس، زاعمةً أن مهاراته العلاجيَّة وحدها هي ما أنقذَ حياة الملك عندما جرحَ ڤسيرس يده على العرش. أمَّا الملكة آليسنت فقد أصرَّت أن الأميرة ومِايسترها شوَّها جلالته بلا داعٍ، وادَّعت أنه لولا «تدخُّلهما» فمن المؤكَّد أن المِايستر الأكبر مِلوس كان ليُنقِذ إصبعَي الملك وحياته كذلك، وهكذا حثَّت على تعيين المِايستر ألفادور الذي كان يخدم آنذاك في (البُرج العالي). لم يختَر ڤسيرس المحاصَر من كلا الجانبين أيًّا منهما، مذكِّرًا كلًّا من الأميرة والملكة أن الخيار ليس له، ذلك أن المعنيَّ باختيار المِايستر الأكبر هو (القلعة) بـ(البلدة القديمة) لا التَّاج. في الوقت المناسب منحَ أعضاء المجمع سلسلة المنصب لواحدٍ منهم، وهو المِايستر الرَّئيس أورْوايل.

بدا أن الملك ڤسيرس استعادَ شيئًا من نشاطه القديم ما إن وصلَ المِايستر الأكبر الجديد إلى البلاط. يُخبِرنا السِّپتون إيوستس أن ذلك كان نتيجة الصَّلاة، لكن معظم النَّاس اعتقَدوا أن عقاقير أورْوايل وأصباغه كانت أكثر فعاليَّةً من تعليق العَلَقِ الذي كان مِلوس يُفضِّله. ولكن تبيَّن أن تلك العقاقير قصيرة الأجل، إذ استمرَّ النِّقرس وآلام الصَّدر وضيق التَّنفُّس في إزعاج الملك. في السَّنوات الأخيرة من عهده، فيما ساءَت صحَّته، تركَ ڤسيرس المزيد والمزيد من أعباء حُكم المملكة ليده والمجلس الصَّغير. بحُكم الضَّرورة علينا أن نُوجِّه أنظارنا نحو أعضاء ذلك المجلس الصَّغير في عشيَّة الأحداث العظيمة لعام 129 بعد الفتح، لأنهم سيلعبون دورًا كبيرًا في كلِّ ما سيتبع.

منصب يد الملك بقيَ للسير أوتو هايتاور، والد الملكة وعمِّ سيِّد (البلدة القديمة). كان المِايستر الأكبر أورْوايل أحدث أعضاء المجلس، وعُدَّ أنه يُفضِّل لا السُّود ولا الخُضر. ظلَّ السير كريستُن كول في

منصب حضرة قائد الحرس الملكي، وفيه كان لرينيرا عدوٌّ لدود. كان اللورد لايمان بيزبوري المسن أمين النَّقد، وقد خدمَ في هذا المنصب دون انقطاعٍ تقريبًا منذ أيام الملك العجوز. أصغر عُضويْن في المجلس كانا اللورد الأميرال وقيِّم السُّفن السير تايلاند لانستر شقيق سيِّد (كاسترلي روك)، وقيِّم الاعترافات وولي الهامِسين لارِس سترونج سيِّد (هارنهال). وأكملَ اللورد چاسپر وايلد، قيِّم القوانين المعروف بين العامَّة بـ«القضيب الحديدي»، المجلس. (يقول السِّپتون إيوستس إن مواقف اللورد وايلد الثَّابتة بشأن المسائل القانونية أكسبَته هذا اللقب، لكن مشروم يُعلن أنه سُمِّيَ بالقضيب الحديدي نسبةً إلى صلابة عُضوه، إذ أنجبَ تسعةً وعشرين ولدًا من أربع زوجاتٍ قبل وفاة الأخيرة من الإعياء).

فيما رحَّبت (الممالِك السَّبع) بحلول عام 129 بعد فتحِ إجون بالمشاعل والمآدب وحفلات العربدة، كان الملك ڤسيرس تارجاريَن الأوَّل يزداد ضعفًا. اشتدَّت آلام صدره لدرجة أنه لم يعد قادرًا على صعود السَّلالم، ووجبَ نقله حول (القلعة الحمراء) فوق كرسيٍّ محمول. بحلول القمر الثَّاني من السَّنة كان جلالته قد فقدَ شهيَّته كلَّها ويحكُم المملكة من سريره... وهذا عندما شعرَ بالقوَّة الكافية ليحكُم. في معظم الأيام فضَّل ترك شؤون البلاد ليده السير أوتو هايتاور، وفي تلك الأثناء على جزيرة (دراجونستون) كانت الأميرة رينيرا حُبلى مرَّةً أخرى، ولازمَت هي أيضًا سريرها.

في اليوم الثَّالث من القمر الثَّالث من عام 129 بعد الفتح أحضرَت الأميرة هيلينا أولادها الثَّلاثة لزيارة الملك في مسكنه. التوأمان چهيرس وچهيرا كانا يبلغان من العُمر ستَّ سنوات، وشقيقهما مِايلور سنتيْن فقط. أعطى جلالته الصَّغير خاتمًا من اللُّؤلؤ من إصبعه ليلهو به، وحكى للتَّوأميْن عن جدِّ جدِّهم صاحب الاسم نفسه -چهيرس- الذي طارَ بتنِّينه شمالًا إلى (الجِدار) ليهزم جيشًا جرَّارًا من الهمج والعمالقة والأوْراج، ورغم أن الأطفال سمعوا الحكاية عشرات المرَّات من قبل فقد أصغوا إليها بانتباه. بعد ذلك صرفَهم الملك متذرِّعًا بالإرهاق وضيقٍ في صدره، ثم أغلقَ ڤسيرس الأوَّل سليل آل تارجاريَن، ملك الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل، سيِّد (الممالِك السَّبع) وحامي البلاد، عينيه وخلدَ إلى النَّوم.

ولم يستيقِظ قطُّ. كان يبلُغ من العُمر اثنين وخمسين عامًا، وحكمَ معظم (وستروس) ستًّا وعشرين سنةً.

ثمَّ هبَّت العاصفة، ورقصَت التَّنانين.

الجزء

الثاني

من

الكتاب

چورچ ر. ر.مارتن

النَّار والدَّم

مارتن، چورچ
النار والدَّم II: رواية / چورچ ر. ر. مارتن.
التَّرجمة: **فريق ضرغام**
مراجعة وتحرير: **هشام فهمي**
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2022.
440 صفحة، 20 سم.
تدمك : 978-977-820-132-1
ا- القصص الأمريكية
أ- ضرغام، فريق (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 21485 / 2022
الطبعة الأولى : نوفمبر 2022.

كيان للنشر والتوزيع

إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 - 01001872290
بريد إلكتروني: info@kayanpublishing.com - kayanpub@gmail.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

چورج ر. ر.مارتن

النَّار والدَّم

رسوم: **دوج ويتلي**

التَّرجمة: **فريق ضرغام**

مراجعة وتحرير: **هشام فهمي**

مسؤول فريق التَّرجمة

ضرغام حمود

المتُرجمون

إبراهيم ملهم – أحمد محمد

طيبة القطان – عمر زمان

محمد الككلي – مروان حاجي

موتُ التَّنانين

السُّود والخُضر

رقصة التَّنانين هو الاسم المنمَّق الذي أُطلِقَ على الصِّراع الوحشي الضَّروس على عرش (وستروس) الحديدي، الذي دارَ بين فرعيْن من عائلة تارجاريَن بين عامَي 129 و131 بعد الفتح. وصفُ الأفعال الظَّلاميَّة المضطربة الدَّمويَّة في هذه الفترة بـ«الرَّقصة» لا يبدو لنا لائقًا على الإطلاق، ولا شكَّ أن أصلَ العبارة يرجع إلى مطربٍ ما. لكان «موت التَّنانين» اسمًا أنسب جدًّا، وإن وسمَ الأثر والزَّمن والمِايستر الأكبر مونكن الاصطلاح الأكثر شاعريَّةً في صفحات التَّاريخ، لذلك يجب أن نَرقُص مع البقيَّة.

كان للعرش الحديدي مُطالبان رئيسيَّان بعد وفاة الملك ڤسيرس تارجاريَن الأوَّل: رينيرا، ابنته الوحيدة الباقية على قيد الحياة من زواجه الأوَّل، وإجون، ابنه الأكبر من زوجته الثَّانية. في خضمِّ الفوضى والمعمعة النَّاجمة عن التَّنافُس بينهما سيُطالِب آخَرون من الرَّاغبين في أن يكونوا ملوكًا بالعرش أيضًا، متبخترِين كالممثِّلين على خشبة المسرح أسبوعيْن أو دورة قمر، فقط ليَسقُطوا سريعًا كما نهضوا.

شطرَت الرَّقصة (الممالِك السَّبع) نصفيْن إذ أعلنَ اللوردات والفُرسان والعامَّة ولاءهم لهذا الجانب أو ذاك، ورفعوا السِّلاح ضدَّ بعضهم بعضًا. حتى آل تارجاريَن أنفُسهم انقسَموا عندما تورَّط أهل كلا المطالبيْن وأصدقاؤهم وأطفالهم في القتال. على مرِّ عامين أدَّى النِّزاع إلى خسائر فادحة للوردات (وستروس) العظام، جنبًا إلى جنبِ حمَلة راياتهم وفُرسانهم ورعاياهم. في حين نجت السُّلالة، شهدَت نهاية القتال تضاؤلًا عظيمًا لسُلطة آل تارجاريَن، وانخفضَت أعداد تنانين العالم الأخيرة بشدَّة.

كانت الرَّقصة حربًا لا مثيل لها في تاريخ (الممالِك السَّبع) الطَّويل. على الرَّغم من أن الجيوش زحفَت وتلاقَت في معارك طاحنة، دارَ أكثر المقَاتِل في الماء، وعلى وجه الخصوص... في الهواء، إذ قاتلَ التنِّينُ التنِّينَ بالأنياب والمخالب واللَّهب. كانت حربًا معروفةً بالتَّخفِّي والاغتيال والخيانة أيضًا، حربًا خيضَت غِمارُها في الظِّلال وآبار السَّلالم، وفي غُرف الاجتماعات وساحات القلاع، بالخناجر والأكاذيب والسُّم.

بعدما كان يغلي على نارٍ هادئة، اندلعَ الصِّراع علانيةً في اليوم الثَّالث من القمر الثَّالث من عام 129 بعد الفتح، حين أغلقَ الملك المريض طريح الفراش ڤسيرس تارجاريَن الأوَّل عينيه ليأخذ قيلولةً في قلعة (كينجز لاندنج) الحمراء دون أن يستيقظ ثانيةً. عثرَ على جُثَّته خادم في ساعة الوطواط، عندما كان من عادة الملك أن يشرب كوبًا من الهيپوكراس، وركضَ الخادم لإبلاغ الملكة آليسنت، التي كان مسكنها يقع أسفل مسكن الملك.

يُشير السِّپتون إيوستس، في كتابته عن هذه الأحداث بعد سنوات، إلى أن الخادم أوصلَ خبره الأليم إلى الملكة مباشرةً، وإليها وحدها، دون دقِّ إنذارٍ عمومي. لا يعتقد إيوستس أن هذا كان محض مصادفةٍ بالكامل، ويدفع بأن موت الملك كان متوقَّعًا قبل حين من الوقت، وأن

الملكة آليسنت وأعضاء حِزبها المسمَّى بالخُضر حرصوا أن يُملوا على جميع حرس ڤسيرس وخدمه ما عليهم فِعله عندما يأتي هذا اليوم.

(يقترح القزم مشروم مسار أحداثٍ أشد شرًّا، وفيه عجَّلت الملكة آليسنت بوفاة الملك ڤسيرس بقليلٍ من السُّم في كوب الهيپوكراس. تَجدُر الإشارة إلى أن مشروم لم يكن في (كينجز لاندنج) ليلة وفاة الملك، ولكن على (دراجونستون) في خدمة الأميرة رينيرا).

ذهبَت الملكة آليسنت على الفور إلى غُرفة نوم الملك، رِفقة السير كريستُن كول حضرة قائد الحرس الملكي. بمجرَّد أن تأكَّدا من وفاة الملك، أمرَت جلالتها بإغلاق غُرفته ووضعها تحت الحراسة، اعتُقِلَ الخادم الذي عثرَ على جُثَّة الملك للتَّأكُّد من عدم نشره الخبر، وعادَ السير كريستُن إلى (بُرج السَّيف الأبيض) وأرسلَ إخوته من حرس الملك لاستدعاء أعضاء المجلس الصَّغير. كان الوقت حينها ساعة البومة.

وقتها كما الآن، كانت أخويَّة الحرس الملكي تتألَّف من سبعة فُرسان، سبعة رجال من ذوي الولاء المثبَت والبراعة التي لا يرقى إليها شك، حلفوا أيمانًا مغلَّظةً على تكريس حياتهم للدِّفاع عن شخص الملك وأهله. خمسة فقط من المعاطِف البيضاء كانوا في (كينجز لاندنج) عند وفاة ڤسيرس: السير كريستُن نفسه، والسير إريك كارجِل، والسير ريكارد ثورن، والسير ستفون داركلين، والسير ويليس فِل. أمَّا السير آريك كارجِل (توأم السير إريك) والسير لورنت ماربراند، اللذان كانا مع الأميرة رينيرا في (دراجونستون)، فظلَّا غافليْن لا دخل لهما حين ذهبَ إخوانهم في السِّلاح ليلًا لإيقاظ أعضاء المجلس الصَّغير.

انعقدَ المجلس في مسكن الملكة داخل (حصن ميجور). وردَت إلينا روايات كثيرة عمَّا قيلَ وحدثَ في تلك اللَّيلة، أكثرها تفصيلًا وموثوقيَّةً إلى حدٍّ بعيد كتاب المِايستر الأكبر مونكن (رقصة التَّنانين:

قصَّة حقيقيَّة). رغم أن تاريخ مونكن الشامل لم يُدوَّن إلا بعد جيل، واعتمدَ على أنواع مختلفة من المصادر، بما في ذلك سجلَّات المِايسترات والمذكِّرات وتدوينات الوُكلاء ومقابلاتٍ مع مئةٍ وسبعةٍ وأربعين شاهدًا على الأحداث الكُبرى في تلك الأوقات، تعتمِد روايته أعمال البلاط الدَّاخليَّة على اعترافات المِايستر الأكبر أورْوايل التي سطرَها قبل إعدامه. على عكس مشروم والسِّپتون إيوستس، اللذين يستمدَّان روايتيْهما من الشَّائعات والنَّميمة وأساطير العائلات، حضرَ المِايستر الأكبر الاجتماع وشاركَ في مداولات المجلس وقراراته... وإن وجبَ العلم بأن في الوقت الذي كتبَ فيه ما كتبَه، كان أورْوايل حريصًا جدًّا على إظهار نفسه في ضوءٍ إيجابي ليعفي نفسه من أيِّ لومٍ على ما سيتبع، ومن ثَمَّ يَذكُر مونكن في (قصَّة حقيقيَّة) سلفه بطريقةٍ قد يُبالِغ بها في المحاباة.

في مسكن الملكة، فيما بدأ جُثمان زوجها يبرُد بالطَّابق الأعلى، اجتمعَت الملكة آليسنت نفسها، ووالدها السير أوتو هايتاور يد الملك، والسير كريستُن كول اللورد قائد الحرس الملكي، والمِايستر الأكبر أورْوايل، واللورد لايمان بيزبوري أمين النَّقد الذي كان في الثَّمانين من عُمره، والسير تايلاند لانستر قيِّم السفن وشقيق سيِّد (كاسترلي روك)، ولارِس سترونج سيِّد (هارنهال) وولي الهامسين المعروف بلارِس الأحنف، واللورد چاسپر وايلد قيِّم القوانين المدعو بالقضيب الحديدي. يصِف المِايستر الأكبر مونكن هذا الاجتماع بـ«المجلس الأصغر» في (قصَّة حقيقيَّة).

افتتحَ المِايستر الأكبر أورْوايل الاجتماع بمراجعة المهام المعتادة والإجراءات المطلوبة عند وفاة الملك، فقال: «يجب استدعاء السِّپتون إيوستس لأداء الشَّعائر الأخيرة والصَّلاة لروح الملك. لا بُدَّ من إرسال غُدافٍ إلى (دراجونستون) على الفور لإبلاغ الأميرة رينيرا بوفاة والدها. لعلَّ جلالة الملكة تودُّ كتابة الرِّسالة لتلطيف هذه الأنباء الحزينة ببعض كلمات المواساة؟ الأجراس تُقرع دائمًا لإعلان وفاة الملك، على أحدهم

أن يتولَّى ذلك، وبالطَّبع يجب أن نبدأ التَّحضير لتتويج الملكة رينيرا...».

قاطعَه السير أوتو هايتاور مصرِّحًا: «يجب أن يُؤجَّل كلُّ هذا حتى تُسوَّى مسألة الخلافة». بصفته يد الملك، كان من صلاحيَّاته التَّحدُّث باسمه، وحتى الجلوس على العرش الحديدي في غيابه، فقد أعطاه ڤسيرس سُلطة حُكم (الممالِك السَّبع)، «وحتى الوقت الذي يُتوَّج فيه ملكنا الجديد» ستستمرُّ هذه الصَّلاحيَّة.

- «حتى تُتوَّج ملكتنا الجديدة». قالها أحدهم. في رواية المِايستر الأكبر مونكن هذه الكلمات لأورْوايل، منطوقة بهدوء وليست أكثر من اعتراض، لكن مشروم والسِّپتون إيوستس يصرَّان أن اللورد بيزبوري كان القائل، وبنبرةٍ لادغة.

قالت الملكة آليسنت بتصميم: «الملك! العرش الحديدي يجب أن

ينتقل بالحقِّ إلى ابن جلالته الشَّرعي الأكبر».

استمرَّت المناقشة التي أعقبَت ذلك حتى الفجر تقريبًا، كما يُخبرنا المِايستر الأكبر مونكن. يتَّفق معه مشروم والسِّبتون إيوستس، وفي روايتيْهما تحدَّث اللورد بيزبوري وحده نيابةً عن الأميرة رينيرا. ذكَّر أمين النَّقد الهرِم، الذي خدمَ الملك ڤسيرس معظم فترة حُكمه، وكذا جدَّه چهيرس الملك العجوز من قبله، المجلس بأن رينيرا أكبر من إخوتها سنًّا ودماء آل تارجاريَن في عروقها أنقى، وأن الملك الرَّاحل اختارَها خلفًا له، ورفضَ مرارًا تغيير الخلافة على الرَّغم من مناشدات الملكة آليسنت وأتباعها الخُضر، وأن مئاتٍ من اللوردات والفُرسان مُلَّاك الأراضي سلَّموا للأميرة بذلك في عام 105 بعد الفتح، وحلفوا أيمانًا مغلَّظةً للدِّفاع عن حقوقها. (تختلف رواية المِايستر الأكبر أورْوايل فقط في أنه ينسب العديد من هذه الحجج إلى نفسه بدلًا من بيزبوري، لكن الأحداث اللَّاحقة تُشير إلى أن ذلك ليس صحيحًا، كما سنرى).

لكن كلماته هذه وقعَت على آذانٍ من حجر. أشارَ السير تايلاند إلى أن كثيرين من اللوردات الذين أقسَموا على الدفاع عن خلافة الأميرة رينيرا ماتوا منذ فترةٍ طويلة، وقال: «لقد مرَّت أربعة وعشرون عامًا. أنا نفسي لم أقسم ذلك القسم. كنتُ طفلًا آنذاك». استشهدَ القضيب الحديدي قيِّم القوانين بمجلس عام 101 العظيم، واختيار الملك العجوز بِايلون بدلًا من رينس في عام 92 بعد الفتح، ثم تحدَّث بإسهابٍ عن إجون الفاتِح وأختيْه، وتقليد الأندالِيِّين المقدَّس حيث تسبق حقوق الابن الشَّرعي حقوق مجرَّد ابنةٍ دومًا. ذكَّرهم السير أوتو بأن زوج رينيرا ليس إلَّا الأمير ديمون، «ونعلم جميعًا طبيعة هذا الرَّجل. تأكَّدوا أنه إذا جلسَت رينيرا على العرش الحديدي فسيكون اللورد جُحر البراغيث حاكمنا، ملكًا قرينًا متوحِّشًا لا يرحم كميجور نفسه. رأسي سيكون أوَّل رأسٍ يُقطَع، لا أشكُّ في هذا، لكن ملكتكم، ابنتي، ستتبعني بعدها

بقليل».

تجاوبَت معه الملكة آليسنت مصرِّحةً: «ولن يرحموا أطفالي. إجون وأخواه أبناء الملك الشَّرعيُّون، ومُطالبتهم بالعرش أحقُّ من أبنائها النُّغول. سيجد ديمون ذريعةً ما لقتلهم جميعًا، حتى هيلينا وصغارها. واحد من أبناء سترونج هؤلاء خزقَ عين إيموند، لا تنسوا ذلك. كان صبيًّا، نعم، لكن روح الصَّبي تظلُّ تُلازِم الرَّجل طوال حياته، والنُّغول وحوش بالسَّليقة».

تحدَّث السير كريستُن كول ليُذكِّرهم أنه إذا حكمَت الأميرة فسيَحُكم چسيرس ڤيلاريون من بعدها. «فليُنقِذ (السَّبعة) هذه البلاد إذا أجلسْنا نغلًا على العرش الحديدي». ثمَّ تحدَّث عن طباع رينيرا المخلَّة وعار زوجها. «سيُحوِّلون (القلعة الحمراء) إلى ماخور. لن تأمن ابنة أيِّ رجل، ولا زوجته. حتى الصِّبيان... إننا نعرف ما كانه لِاينور».

ليس مسجَّلًا أن اللورد لارِس سترونج تحدَّث بكلمةٍ واحدة خلال هذا النِّقاش، وإن لم يكن ذلك عجبًا. رغم لباقة لسانه عند الحاجة، ادَّخر وليُّ الهامسين كلماته مثل بخيلٍ يكتنِز المال، مفضِّلًا الإنصات بدلًا من الكلام.

وفق (قصَّة حقيقيَّة)، قال المايستر الأكبر أورْوايل محذِّرًا المجلس: «إذا فعلنا هذا فمؤكَّد أنه سيُؤدِّي إلى الحرب. الأميرة لن تنصاع، وعندها تنانين».

أعلنَ اللورد بيزبوري: «وأصدقاء، رجال شرفٍ لن ينسوا الأيمان التي حلفوها لها ولأبيها. أنا رجلٌ عجوز، لكنني لستُ عجوزًا لدرجة جلوسي هنا بخنوعٍ فيما يُخطِّط أمثالكم لسرقة تاجها»، ثمَّ نهضَ ليُغادِر.

أمَّا ما حدثَ بعد ذلك فتختلف عليه مصادرنا.

يُخبرنا المِايستر الأكبر أورْوايل أن اللورد بيزبوري أُلقيَ القبض عليه عند الباب بأمرٍ من السير أوتو هايتاور وأُخذ إلى الزَّنازين. محصورًا في زنزانةٍ سوداء، سيموت بعد وقتٍ من البرد في أثناء انتظاره المحاكمة.

ويروي لنا السِّپتون إيوستس الحدث بطريقةٍ مختلِفة. في روايته أجبَر السير كريستُن كول اللورد بيزبوري على العودة إلى مقعده وشقَّ حلقه بخنجر. ويتَّهم مشروم السير كريستُن بقتل حضرة اللورد أيضًا، لكنه أوردَ في روايته أن كول أمسكَ العجوز من مؤخِّرة ياقته وألقاه من النَّافذة، ليموت مخوزقًا على الحديد المدبَّب في الخندق الجاف أدناه.

تتَّفق السِّجلَّات الثَّلاثة على شيءٍ واحدٍ محدَّد: أوَّل دمٍ سُفِكَ في رقصة التَّنانين كان دم لايمان بيزبوري، اللورد الخازِن وأمين نقد (الممالِك السَّبع).

لم تُسمَع معارضة أخرى بعد موت اللورد بيزبوري. انقضى ما تبقَّى من اللَّيل في التَّخطيط لتتويج الملك الجديد (اتَّفق الجميع على وجوب الإسراع به)، ووضعِ لوائح بالحُلفاء والأعداء المحتملين في حال رفضَت الأميرة رينيرا قبول تتويج الملك إجون. مع وجود الأميرة في (دراجونستون) على وشك الولادة اغتنمَ خُضر الملكة آليسنت الأفضليَّة، فكلَّما طالَ بقاء رينيرا جاهلةً بموت الملك كانت أبطأ في التَّحرُّك. «قد تموت العاهرة في أثناء الولادة». وردَ أن الملكة آليسنت قالت ذلك (وفقًا لمشروم).

لم تُحلِّق الغِدفان في تلك اللَّيلة، ولا الأجراس دُقَّت، وبُعِثَ بالخدم الذين عرفوا بوفاة الملك إلى الزَّنازين. كُلِّفَ السير كريستُن كول بمهمَّة احتجاز السُّود الباقين في البلاط الملكي، اللوردات والفُرسان الذين قد يميلون إلى تفضيل الأميرة رينيرا، وأمرَه السير أوتو هايتاور: «لا تُؤذوهم إلَّا إذا قاوَموا. مَن يركعون ويُقسِمون على الولاء للملك إجون لن ينالهم أذى على أيدينا».

سألَ المِايستر الأكبر أورْوايل: «ومَن يَرفُضون؟».

قال القضيب الحديدي: «هُم الخونة، ويجب أن يموتوا ميتة الخونة».

ثمَّ تحدَّث اللورد لارِس سترونج وليُّ الهامسين للمرَّة الأولى والوحيدة، فقال: «لنكن أوَّل من يُقسِم، خشية أن يكون بيننا هنا خونة»، ثمَّ سحبَ الأحنف خنجره وجرَّه على راحة يده، وحثَّهم قائلًا: «قسمٌ بالدَّم ليربطنا جميعًا معًا، إخوةً حتى الموت». وهكذا جرحَ المتآمرون كلُّهم كفوفهم وشبَّكوا أيديهم مقسمين قسم الأخويَّة. وحدها الملكة آليسنت أُعفِيَت من القسم لكونها أنثى.

كان الفجر يبزُغ فوق المدينة قبل أن تُرسِل الملكة آليسنت الحرس الملكي لإحضار ابنيها إجون وإيموند إلى المجلس. (كان الأمير دايرون، أصغر أولادها وأدمثهم، في (البلدة القديمة) حيث خدمَ مُرافقًا للورد هايتاور).

عُثِرَ على إيموند الأعور ذي التسعة عشر عامًا في مستودع السِّلاح وهو يرتدي درعًا من صفائح المعدن وقميص حلقاتٍ معدنيَّة من أجل تدريباته الصَّباحيَّة في ساحة القلعة. حينها سألَ الأمير السير ويليس فِل: «هل إجون الملك الآن؟ أم علينا أن نركع ونُقبِّل فرج العاهرة العجوز؟». كانت الأميرة هيلينا تتناول الفطور مع أطفالها عندما جاءَها حرس الملك... ولكن عندما سُئِلَت عن مكان زوجها وشقيقها الأمير إجون اكتفَت بقول: «ليس في سريري، لكم أن تتقوا بهذا. لكم الحريَّة لتبحثوا تحت الأغطية».

يَذكُر مونكن بإبهامٍ في كتابه (قصَّة حقيقيَّة) أن الأمير إجون كان «في عربدته»، فيما تزعُم (شهادة مشروم) أن السير كريستُن وجدَ الملك الذي سيُتوَّج عاريًا ثملًا في حلبة جرذان بـ(جُحر البراغيث)، حيث كان متشرِّدان بأسنانٍ محزَّزة يعضَّان ويمزِّقان بعضهما بعضًا لتسليته، فيما

متَّعت فتاة لا يُمكن أنها تجاوزَت الثَّانية عشرة عُضوه بفمها. دعونا نُؤوِّل تلك الصُّورة القبيحة إلى كونِ مشروم مشروم، ونضع في اعتبارنا بدلًا منها كلام السِّپتون إيوستس.

على الرَّغم من أن السِّپتون الكريم يعترف بأن الأمير إجون كان مع عشيقةٍ حين عُثِرَ عليه، فإنه يُشدِّد على أن الفتاة كانت ابنة تاجرٍ ثري، وتتلقَّى رعايةً لائقةً أيضًا. علاوةً على ذلك، رفضَ الأمير في البداية أن يكون جُزءًا من خُطط والدته، وحسب رواية إيوستس قال: «أختي هي الوريثة لا أنا. أيُّ نوعٍ من الإخوة ذاك الذي يسرق حقَّ أخته؟». فقط حين أقنعَه السير كريستُن بأن الأميرة ستُعدِمه هو وإخوته لا محالة إن اعتمرَت التَّاج، أذعنَ إجون. قال له كول: «ما دام أيُّ تارجارين شرعي المولد يتنفَّس فلا أمل لأيِّ سترونج في الجُلوس على العرش الحديدي. ليس لدى رينيرا خيار إلَّا قطع رؤوسكم إذا أرادَت أن يحكُم نغولها من بعدها». وقد كان هذا، وهذا فقط، ما أقنعَ إجون بقبول التَّاج الذي عرضَه عليه المجلس الصَّغير، كما يصرُّ سِپتوننا الدَّمث.

بينما كان فُرسان الحرس الملكي يبحثون عن ابنَي الملكة آليسنت، استدعى رُسل آخَرون قائد حرس المدينة وضُبَّاطه (كانوا سبعةً، يتولَّى كلٌّ واحدٍ منهم قيادة إحدى بوَّابات المدينة) إلى (القلعة الحمراء). عُدَّ خمسة منهم متعاطفين مع قضيَّة الأمير إجون عند استجوابهم، أمَّا الاثنان الآخَران وقائدهما فاعتُبِروا غير جديرين بالثِّقة، ووجدوا أنفُسهم مقيَّدين بالأغلال. عُيِّن السير لوثر لارجنت، الأشد مهابةً بين «الأوفياء الخمسة»، القائد الجديد للمعاطِف الذَّهبيَّة. كان لارجنت رجلًا كالثَّور يُقارِب طوله الأقدام السَّبعة، وقد تردَّدت شائعات عن قتله جوادًا حربيًّا بلكمةٍ واحدة. على أن السير أوتو كان رجلًا حكيمًا، فحرصَ على تسمية ابنه السير جواين هايتاور -شقيق الملكة- معاونًا للارجنت، وأمرَه بمراقبة السير لوثر في حال أبدى أيَّ بادرةٍ على عدم الولاء.

عُيِّن السير تايلاند لانستر أمينًا للنَّقد بدلًا من اللورد الرَّاحل بيزبوري، وعملَ فورًا على الاستيلاء على الخزانة الملكيَّة. قُسِّم ذهب التَّاج إلى أربعة أقسام، فعُهِد إلى مصرف (براڤوس) الحديدي بالحفاظ على القسم الأوَّل، وأُرسِلَ قسم ثانٍ تحت حراسةٍ مشدَّدة إلى (كاسترلي روك)، والثَّالث إلى (البلدة القديمة)، أما الثَّروة المتبقيَّة فستُستَخدم في الرِّشى والهدايا، ولاستئجار المرتزِقة إذا لزمَ الأمر. لشغلِ مكان السير تايلاند قيِّمًا للسُّفن، لجأ السير أوتو إلى (جُزر الحديد)، فأرسلَ غُدافًا إلى دالتون جرايچوي، الكراكِن الأحمر، سيِّد حصاد (پايك)، الفتى الجريء المتعطِّش للدِّماء ذي الستة عشر عامًا، عارضًا عليه الأميراليَّة ومقعدًا في المجلس مقابل ولائه.

مرَّ يوم، ثمَّ آخر، ولم يُستدعَ أيٌّ من السِّپتونات أو الأخوات الصَّامتات إلى غُرفة النَّوم حيث يَرقُد الملك ڤسيرس منتفخًا يتعفَّن. لم تُدقَّ الأجراس، لكن الغِدفان طارَت، وإن لم يكن إلى (دراجونستون)، بل ذهبَت بدلًا من ذلك إلى (البلدة القديمة)، وإلى (الصَّخرة)، وإلى (ريڤررَن)، وإلى (هايجاردن)، وإلى العديد من اللوردات والفُرسان الآخَرين الذين ارتأت الملكة آليسنت أسبابًا كافيةً لتظنَّ أنهم قد يتعاطفون مع قضيَّة ابنها.

أُحضِرَت سجلَّات مجلس عام 101 العظيم وفُحِصَت، ولُوحِظ أيُّ اللوردات تحدَّث لصالح ڤسيرس، وأيُّهم لريينس أو لِاينا أو لِاينور. كان اللوردات المجتمعون قد فضَّلوا دعوى الذَّكر على الأنثى بنسبة عشرين إلى واحد، لكن بعضهم خالفَ ذلك، وغالبًا ستُقدِّم تلك العوائل نفسها الدَّعم للأميرة رينيرا في حال اندلاع الحرب. قدَّر السير أوتو أن الأميرة ستحظى بسطوة ثُعبان البحر وأساطيله، وبسادة السَّواحل الشَّرقيَّة الآخَرين أيضًا: اللوردات بار إمون وماسي وسلتيجار وكراب على الأرجح، وربما حتى نجم المساء سيِّد (تارث). كانوا جميعًا قُوى أقل شأنًا، باستثناء آل ڤيلاريون. أمَّا الشَّماليُّون فكانوا مصدر قلقٍ أكبر، إذ

صوَّتت (وينترفل) لصالح رينس في (هارنهال)، وكذا حاملا راية اللورد ستارك، داستن سيِّد (بلدة الروابي) وماندرلي سيِّد (الميناء الأبيض). ولم يُمكن الاعتماد على آل آرن ممكنًا كذلك، لأن (العُش) كانت تَحكُمها آنذاك امرأة، الليدي چين عذراء (الوادي)، التي قد تُصبِح حقوقها موضع شكٍّ إن نُحِّيَت الأميرة رينيرا.

عُدَّ الخطر الأكبر (ستورمز إند)، فلطالما كان آل باراثيون داعمين وبقوَّةٍ لحقِ الأميرة رينس وأبنائها. على الرَّغم من موت اللورد بورمند العجوز، كان نجله بوروس مُحاربًا أشدَّ بأسًا من والده، واللوردات الأدنى شأنًا في (أراضي العواصف) سيتبعونه بالتَّأكيد أينما قادَهم. صرَّحت الملكة آليسنت: «لذا يجب أن نتيقَّن أنه سيقودهم إلى مناصرة ملكنا»، وعندئذٍ أرسلَت في طلب ابنها الثَّاني.

لذلك لم يكن ما طارَ إلى (ستورمز إند) في ذلك اليوم غُدافًا، بل ڤاجهار، أكبر تنانين (وستروس) سنًّا وحجمًا، وعلى ظهرها ركبَ الأمير إيموند تارجاريَن بياقوتةٍ زرقاء محلَّ عينه المفقودة. قبل أن يُحلِّق أخبرَه جدُّه السير أوتو: «هدفُك الفوز بيد واحدةٍ من بنات اللورد باراثيون. أيٌّ من الأربع ستفي بالغرض. تودَّد إليها وتزوَّجها، وسيُسلِّم اللورد بوروس (أراضي العواصف) إلى أخيك. افشل وسـ...».

قاطعَه الأمير إيموند بحدَّة: «لن أفشل. سيحظى إجون بـ(ستورمز إند)، وسأحظى بتلك الفتاة».

بحلول الوقت الذي بدأ فيه الأمير إيموند رحلته كانت الرَّائحة الكريهة المنبعثة من غُرفة نوم الملك الميت تفوح في جميع أنحاء (حصن ميجور)، وحكايات مبالغ فيها وشائعات عديدة تنتشر عبر أروقة البلاط الملكي والقلعة. اكتظَّت الزَّنازين تحت (القلعة الحمراء) برجالٍ مشتبَه في ولائهم حتى إن السِّپتون الأعلى بدأ يتساءَل بشأن حالات الاختفاء هذه،

وبعثَ برسالةٍ من (السِّپت النَّجمي) بـ(البلدة القديمة) يسأل فيها عن بعض المفقودين. أرادَ السير أوتو هايتاور، الذي كان من أكثر من خدموا في منصب يد الملك منهجيَّةً، المزيد من الوقت للاستعداد، لكن الملكة آليسنت علمَت أنه لم يَعُد بإمكانهم التَّأخير. سئمَ الأمير إجون من كلِّ تلك السِّرِّيَّة، فطالبَ أمَّه بإجابة: «أأنا الملك أم لا؟ إن كنتُ الملك فتوِّجوني».

بدأت الأجراس تُقرَع في اليوم العاشر من القمر الثَّالث من عام 129 بعد الفتح معلنةً نهاية عهد. أخيرًا سُمح للمِايستر الأكبر أورْوايل بإرسال غِدفانه، وحلَّقت الطُّيور السَّوداء في الهواء بالمئات ناشرةً خبر ارتقاء إجون العرش في كلِّ رُكنٍ من أركان المملكة. استُدعيَت الأخوات الصَّامتات لتجهيز الجُثَّة للحرق، وانطلقَ خيَّالة على خيلٍ شاحبة لنشر الخبر بين أهالي (كينجز لاندنج) هاتفين: «ماتَ الملك ڤسيرس، عاشَ الملك إجون». كتبَ مونكن أن البعض بكى حين سمع الهتاف فيما هلَّل آخَرون، لكن أكثر العامَّة حدَّقوا بصمتٍ حائرين حذرين، وبين الحين والآخَر هتفَ صوت: «عاشَت ملكتنا».

في غضون ذلك، جرَت استعدادات التَّتويج على عجل. اختيرَ (جُب التَّنانين) موقعًا، فتحت قبَّته العظيمة كانت دِكك حجريَّة تتَّسع لاحتضان ثمانين ألفًا، كما جعلَت جُدران الجُبِّ السَّميكة وسقفه القوي وأبوابه البرونزيَّة الشَّاهقة منه مكانًا يُمكن الدِّفاع عنه في حال حاولَ الخونة تعطيل المراسم.

وفي اليوم المحدَّد وضعَ السير كريستُن كول تاج إجون الفاتِح المصنوع من الحديد والمشغول بالياقوت على جبهة الابن البِكر للملك ڤسيرس والملكة آليسنت، معلنًا إياه إجون الثَّاني سليل آل تارجاريَن، ملك الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل، سيِّد (الممالِك السَّبع) وحامي

البلاد، ووضعَت والدته، الملكة آليسنت محبوبة العامَّة، تاجها على رأس ابنتها هيلينا، زوجة إجون وشقيقته، وبعد تقبيل خدَّيها ركعَت الأمُّ أمام الابنة وحنَت رأسها قائلةً: «مليكتي».

لا تزال مسألة كم شخصًا جاءَ لحضور التَّتويج محلَّ خلاف. المِايستر الأكبر مونكن، المعتمِد على شهادة أورْوايل، يُخبِرنا أن أكثر من مئة ألفٍ من العوام تزاحَموا في (جُب التِّنانين)، وتعالَت هتافاتهم الهادرة لدرجة أنها زلزلَت الجُدران، في حين يقول مشروم إن الدِكك الحجريَّة كانت نصف ممتلئة. بوجود السِّپتون الأعلى في (البلدة القديمة)، عجوزًا وأضعف من السَّفر إلى (كينجز لاندنج)، وقعَت على عاتق السِّپتون إيوستس أن يُمرِّخ جبهة الملك إجون بالزُّيوت المقدَّسة ويُباركه بأسماء الإله السَّبعة.

ربما لاحظَ عددٌ قليل من الحضور ذوي الأبصار الأحدِّ من معظم الآخَرين أن أربعةً فقط من ذوي المعاطِف البيضاء حضروا مع الملك

الجديد، لا خمسة كما كانوا من قبل. في اللَّيلة السَّابقة مُنِيَ إجون الثَّاني بأول الانشقاقات، عندما فرَّ السير ستفون داركلين فارس الحرس الملكي من المدينة مع مُرافِقه واثنين من الوُكلاء وأربعة حُرَّاس. شقُّوا طريقهم تحت جنح الظَّلام من بوَّابةٍ خلفيَّة إلى حيث انتظرَهم زورق صيَّادٍ ليأخُذهم إلى (دراجونستون)، ومعهم جلبوا تاجًا مسروقًا: حلقةً من الذَّهب الأصفر مزيَّنةً بسبع جواهر مختلفة الألوان. كان هذا التَّاج الذي اعتمرَه الملك ڤسيرس، والملك العجوز چهيرس قبله. عندما قرَّر الأمير إجون اعتمار تاج الحديد والياقوت العائد لسميِّه الفاتِح، أمرَت الملكة آليسنت بحفظ تاج ڤسيرس في مكانٍ آمن، لكن الوكيل المؤتمَن على المهمَّة هربَ به بدلًا من ذلك.

بعد التَّتويج اصطحبَ حرس الملك المتبقُّون إجون إلى مطيَّته، مخلوقٍ مهيب ذي حراشف ذهبيَّة برَّاقة وأغشية جناحيْن ورديَّةٍ شاحبة. صنفاير هو الاسم الذي أُطلِقَ على تنِّين الفجر الذَّهبي هذا. يُخبرنا مونكن بأن الملك طارَ دائرًا ثلاث مرَّاتٍ حول المدينة قبل أن يحطَّ وراء أسوار (القلعة الحمراء)، ثم قادَ السير آريك كارجِل جلالته إلى قاعة العرش الموقدة مشاعلها، حيث ارتقى إجون الثَّاني درجات العرش الحديدي أمام ألفٍ من اللوردات والفُرسان، وصدحَت الهتافات عبر القاعة.

أمَّا في (دراجونستون) فلم تُسمَع أيُّ هتافات، وبدلًا من ذلك تردَّدت الصَّرخات عبر قاعات وآبار سلالم (بُرج تنِّين البحر) صادرةً من غُرفة الملكة، حيث تلوَّت رينيرا تارجاريَن وارتجفَت في يومها الثَّالث من المخاض. لم يكن الطِّفل سيُولَد قبل دورة قمرٍ أخرى، لكن الأخبار من (كينجز لاندنج) ألقَت بالأميرة في ثورةٍ سوداء، وبدا أن غضبها استعجلَ الولادة، كأن الجنين بداخلها كان غاضبًا أيضًا ويُقاتِل من أجل الخروج. صبَّت الأميرة اللَّعنات الصَّارخة طوال ساعات ولادتها، مستنزلةً غضبة الآلهة على إخوتها غير الأشقَّاء وأمِّهم الملكة، ومفصِّلةً

العذاب الذي ستُلحِقه بهم قبل أن تسمح لهم بالموت. ويُخبرنا مشروم أنها لعنَت الطِّفل بداخلها أيضًا، وأخذَت تخمش بطنها المنتفخ فيما حاولَ المِايستر جيراردس والقابِلة كبح جماحها وهي تَصرُخ: «اخرُج أيها الوحش، أيها الوحش، اخرُج، اخرُج، اخرُج!».

عندما خرجَت الطفلة أخيرًا تبيَّن أنها وحش حقًّا: فتاة ميتة ملتوية ومشوَّهة، بفجوةٍ في صدرها حيث كان يُفترَض أن يقع قلبها، وذيلٍ حرشفي قصير... أو هكذا يصفها مشروم. يُخبرنا القزم أنه هو الذي حملَ ذلك الشَّيء الصَّغير إلى الفِناء ليُحرَق. أعلنَت الأميرة رينيرا في اليوم التَّالي، حين خفَّف حليب الخَشخاش حدَّة ألمها، أن الفتاة الميتة سُمِّيَت ڤيزينيا. «كانت ابنتي الوحيدة، وقتَلوها. لقد سرقوا تاجي وقتَلوا ابنتي، ولسوف يندمون على هذا».

وهكذا بدأت الرَّقصة إذ دعَت الأميرة إلى عقد مجلسها الخاص. «المجلس الأسود» هو الاسم الذي يُطلِقه (قصَّة حقيقيَّة) على ذلك الاجتماع بـ(دراجونستون)، واضعًا إياه ضدَّ «المجلس الأخضر» بـ(كينجز لاندنج). ترأَّست رينيرا نفسها الاجتماع جالسةً بين عمِّها وزوجها الأمير ديمون، ومستشارها الموثوق المِايستر جيراردس. كان أبناؤها الثَّلاثة حاضرين معهم، ولو أن أحدًا منهم لم يَبلُغ بعدُ مبلغ الرِّجال (كان چايس في الرَّابعة عشرة، ولوك في الثَّالثة عشرة، وچوفري في الحادية عشرة)، ووقفَ معهم اثنان من أفراد الحرس الملكي: السير إريك كارجِل توأم السير آريك، والرَّجل الغربي السير لورنت ماربراند.

ثلاثون فارسًا ومئة من رُماة النُّشَّابيَّة وثلاثمئة رجلٍ مسلَّح شكَّلوا بقيَّة حامية (دراجونستون)، وكان ذلك يُعَدُّ كافيًا عادةً لحصنٍ بهذه القوَّة، لكن الأمير ديمون علَّق بمزاجٍ متعكِّر: «أمَّا أداةً للغزو فجيشنا ليس كبيرًا كفايةً».

شاركَت في المجلس الأسود أيضًا دستة من اللوردات الأدنى شأنًا من حمَلة راية (دراجونستون) وتابعيها، كان منهم سلتيجار سيِّد (جزيرة المخالب)، وستاونتون سيِّد (استراحة الرُّخ)، وماسي سيِّد (الحجر الرَّاقص)، وبار إمون سيِّد (الرَّأس الحاد)، ودارِكلين سيِّد (وادي الغسق). لكن أعظم لورد تعهَّد بقوَّته للأميرة كان كورلس ڤيلاريون سيِّد (دريفتمارك). على الرَّغم من تقدُّم ثُعبان البحر في السِّن، كان يهوى القول إنه يتشبَّث بالحياة «مثل ملَّاحٍ يغرق يتشبَّث بحُطام سفينةٍ غارقة. لعلَّ (السَّبعة) حفظوني من أجل هذه المعركة الأخيرة». حضرَت مع اللورد كورلس زوجته الأميرة رينس التي بلغَت الخامسة والخمسين، وكان وجهها نحيلًا متغضِّنًا وشعرها الأسود موخوطًا بالأبيض، وإن ظلَّت شرسةً جريئةً كما كانت في الثَّانية والعشرين. يدعوها مشروم بـ«الملكة التي لم تكن». («ما الذي كان يملكه ڤسيرس ولم تملكه هي؟ قطعة سجقٍ صغيرة؟ أهذا كلُّ ما يتطلَّبه الأمر ليكون المرء ملكًا؟ دعوا مشروم يَحكُم إذًا. إنَّ سجقَّتي أكبر من سجقَّته ثلاث مرَّات»).

مَن جلسوا في المجلس الأسود اعتبروا أنفُسهم موالين، وإن عرفوا تمام المعرفة أن الملك إجون الثَّاني سينعتهم بالخونة، وقد تلقَّى كلٌّ منهم بالفعل استدعاءً من (كينجز لاندنج) يُطالبه بتقديمِ نفسه في (القلعة الحمراء) لحَلف أيمان الولاء للملك الجديد. جيوشهم كلُّها مجتمعةً لم تكن تستطيع مجابهة القوَّة التي كان بإمكان آل هايتاور وحدهم حشدها. تمتَّع خُضر إجون بمزايا أخرى كذلك، إذ كانت (البلدة القديمة) و(كينجز لاندنج) و(لانسپورت) أكبر مُدن المملكة وأغناها، والثلاث كنَّ تحت سيطرة الخُضر. كلُّ رمزٍ مرئي للشَّرعيَّة كان ينتمي إلى إجون، فقد كان يجلس على العرش الحديدي، ويقطن بـ(القلعة الحمراء)، ويعتمر تاج الفاتِح ويحوز سيفه، ومرَّخه سپتون من العقيدة أمام أعيُن عشرات الآلاف، وجلسَ المِايستر الأكبر أورْوايل في مجالسه، ووضعَ حضرة قائد

الحرس الملكي التَّاج على رأسه الأميري. وكان ذكرًا، وهو ما جعلَه في نظر كثيرين الملك الشَّرعي، وصيَّر أخته غير الشَّقيقة غاصِبةً للعرش.

مقابل كلِّ ذلك كانت مزايا رينيرا قليلةً. قد يتذكَّر بعض اللوردات الطَّاعنين في السِّن الأيمان التي حلفوها حين نُصِّبَت أميرةً لـ(دراجونستون) وسُمِّيَت وريثة والدها. في وقتٍ سابق كانت محبوبةً جدًّا من أصحاب الدِّماء النَّبيلة والعامَّة على حدٍّ سواء، عندما حيَّوها بوصفها بهجة المملكة. سعى كثير من اللوردات الشُّبَّان والفُرسان النُّبلاء لنيل حظوتها حينذاك... ولكن كم منهم سيُقاتِل في سبيلها الآن وهي امرأة متزوِّجة شاخَ جسدها واكتنزَ من جرَّاء ستِّ ولادات؟ كان هذا سؤالًا لا يملك جوابه أحد. رغم أن أخاها غير الشَّقيق نهبَ خزانة والدها، كانت ثروة عائلة ڤيلاريون تحت تصرُّف الأميرة، ومنحَتها أساطيل ثُعبان البحر التَّفوُّق في البحر، كما تمتَّع زوجها الأمير ديمون، الذي عرَّكته معارك (الأعتاب) وزادَته تجربةً، بخبرةٍ في فنون الحرب أكبر من كلِّ أعدائهم مجتمعين. وأخيرًا ولكن ليس آخِرًا على الإطلاق، كانت عند رينيرا تنانينها.

أشار المِايستر جيراردس: «وعند إجون أيضًا».

- «عندنا أكثر». قالتها الأميرة ريينس، الملكة التي لم تكن، التي كانت راكِبة تنِّينٍ وقتًا أطول منهم جميعًا. سردَت الأميرة للمجلس: «وتنانيننا أكبر وأقوى، باستثناء ڤاجهار. التَّنانين تزدهر أفضل ازدهارٍ هنا على (دراجونستون)». كان للملك إجون صنفاير، وحش رائع رغم صِغر سنِّه، فيما امتطى إيموند الأعور ڤاجهار، ولم يُمكن إنكار الخطر الذي شكَّلته مطيَّة الملكة ڤيزينيا، وكانت دريمفاير مطيَّة الملكة هيلينا، التنِّينة التي حملَت من قبل أخت الملك العجوز رِاينا وسط السَّحاب، وتنِّينة الأمير دايرون تِساريون، بجناحيْها الدَّاكنيْن كالكوبالت ومخالبها وعُرفها وحراشف بطنها البارقة كالنُّحاس المطرَّق. قالت ريينس: «يجعلها

هذا أربعة تنانين ذات أحجامٍ صالحة للقتال». كان لطفلَي الملكة هيلينا التَّوأم تنِّيناهما أيضًا، وإن لم يكونا أكبر من فرخيْن، فيما امتلكَ ابن الغاصِب الأصغر، مِايلور، بيضةً فقط.

ضد ذلك كان لدى الأمير ديمون كاراكسس وللأميرة رينيرا سايراكس، كلاهما وحش ضخم رهيب. كاراكسس تحديدًا كان مخيفًا، ولم يكن الدَّم والنَّار غريبيْن عنه بعد (الأعتاب). كان ثلاثة أبناء رينيرا من زوجها لِاينور ڤيلاريون راكبي تنانين، وقد نما ڤرماكس وآراكس وتايراكسس وكبرَ حجمهما كلَّ عام. إجون الأصغر، أكبر أبناء رينيرا من زوجها الأمير ديمون، امتلكَ التنِّين الصَّغير ستورمكلاود، وإن لم يمتطِه بعدُ، فيما راحَ أخوه الصَّغير ڤسيرس وجاءَ في كلِّ مكانٍ ببيضته. أمَّا تنِّينة الأميرة رينس، ميليس الملكة الحمراء، فقد أصبحَت كسولًا، لكنها ظلَّت مخيفةً حينما تنهض. وقد تُصبح توأمتا الأمير ديمون من زوجته الرَّاحلة لِاينا ڤيلاريون من راكبات التَّنانين أيضًا، فتنِّينة بِايلا، الخضراء الشَّاحبة النَّحيلة موندانسر، ستُصبح قريبًا كبيرةً بما يكفي لحمل الفتاة على ظهرها... ورغم أن بيضة أختها رِاينا فقسَت عن كائنٍ مكسور نفقَ في غضون ساعاتٍ من خروجه من البيضة، كانت سايراكس قد أنتجَت زُمرةً أخرى حديثًا، فمُنِحَت واحدة من بيضاتها لرِاينا، وقيلَ إن الفتاة كانت تنام بها كلَّ ليلة، وصلَّت من أجلِ تنِّينٍ يُضاهي تنِّينة أختها.

علاوةً على ذلك، أقامَت ستَّة تنانين أخرى عرائنها في كهوف جبل (دراجونمونت) الدَّاخنة فوق القلعة. كانت منها سيلڤروينج تنِّينة الملكة الكريمة أليسين، وسيسموك، الوحش الرَّمادي الشَّاحب الذي كان فخر السير لِاينور ڤيلاريون وشغفه، والعجوز ڤرميثور الذي لم يُمتطَ منذ وفاة الملك جهيرس. ووراء الجبل سكنَت ثلاثة تنانين برِّيَّة لم يظفر بها أو يركبها إنسان، حيًّا كان أو ميتًا، وسمَّاها النَّاس شيبستيلر (سارِق الخراف)، وجراي جوست (الشَّبح الرَّمادي)، والكانيبال (آكِل التَّنانين). نوَّهت

الأميرة رينس: «جِدوا راكبين ليُخضِعوا سيلڤروينج وڤرميثور وسيسموك، وسيكون عندما تسعة تنانين مقابل أربعة لإجون. اركبوا نظيراتها البريَّة، وسنعدُّها اثني عشر تنِّينًا، حتى من غير ستورمكلاود. هكذا سننتصر في هذه الحرب».

وافقَها اللوردان سلتيجار وستاونتون. كان إجون الفاتِح وأختاه قد أثبتوا عجز الفُرسان والجيوش عن الوقوف في وجه النَّار والدَّم. حثَّ سلتيجار الأميرة على التَّحليق نحو (كينجز لاندنج) في الحال وتحويل المدينة إلى رمادٍ وعظام، فردَّ عليه ثُعبان البحر: «وبِمَ ينفعنا ذلك يا سيِّدي؟ إننا نريد أن نحكُم المدينة لا أن نُحرِقها عن بكرة أبيها».

أصرَّ سلتيجار: «لن يصل الأمر إلى ذلك الحدِّ أبدًا. لن يجد الغاصِب خيارًا سوى مواجهتنا بتنانينه، وحتمًا سيطغى تسعتنا على أربعته».

تساءلَت الأميرة رينيرا: «بأيِّ ثمَن؟»، وأردفَت: «أذكِّرك بأن أبنائي سيركبون ثلاثةً من تلك التَّنانين، ولن يكون قتال تسعةٍ ضد أربعة. أنا لن أعود قويَّةً بما يكفي للطَّيران لبعض الوقت. ومَن سيركب سيلڤروينج وڤرميثور وسيسموك؟ أنت يا سيِّدي؟ لا أظنُّ. سيكون قتال خمسةٍ ضد أربعة، وواحدة من أربعتهم ستكون ڤاجهار. ليس ذلك تفوُّقًا».

من المثير للدَّهشة أن الأمير ديمون اتَّفق مع زوجته، وقال: «في (الأعتاب) تعلَّم أعدائي الفرار والاختباء حين يرون جناحَي كاراكسس أو يسمعون هديره... إلَّا أن أحدًا منهم لم يكن لديه تنِّين. ليس سهلًا أن يكون الرَّجل قاتِل تنِّين، لكن التَّنانين تستطيع قتل التَّنانين، وهو ما حدثَ بالفعل. أيُّ مِايستر درسَ تاريخ (ڤاليريا) يمكنه أن يُخبرك بذلك. لن أرمي بتنانيننا ضد تنانين الغاصِب ما لم يكن لديَّ خيار آخَر. لاستخدامها طرائق أخرى، طرائق أفضل». ثمَّ شرحَ الأمير استراتيجيَّاته للمجلس الأسود. يجب أن يُقام لرينيرا تتويج خاص بها للرَّدِّ على تتويجِ إجون، وبعد ذلك يشرعون في إرسال الغِدفان داعين لوردات (الممالِك

السَّبع) لإعلان ولائهم لملكتهم الحقيقيَّة. أعلنَ الأمير ديمون: «يجب أن نخوض هذه الحرب بالكلمات قبل أن ندخُل المعركة»، وأصرَّ أن لوردات العائلات الكُبرى يحملون مفتاح النَّصر، وسيتبعهم حمَلة راياتهم حيث يقودونهم. إجون الغاصِب فازَ بولاء آل لانستر سادة (الصَّخرة)، واللورد تايرل سيِّد (هايجاردن) كان صبيًّا ملفوفًا بالقِماط، تتصرَّف والدته بصفتها وصيَّةً عليه، وعلى الأغلب ستنحاز ب(المرعى) إلى حمَلة رايتها شديدي القوَّة، آل هايتاور... لكن بقيَّة لوردات المملكة الكبار لم يُعلنوا انحيازهم لهذا الطَّرف أو ذاك بعدُ.

قالت الأميرة رينيس: «ستقف (ستورمز إند) معنا». كانت هي نفسها تنتسِب إلى ذلك الدَّم من جانب والدتها، واللورد بورمند الرَّاحل كان أخلص الأصدقاء دائمًا.

كان لدى الأمير ديمون سبب وجيه ليأمل أن تجلب عذراء الوادي (العُش) إلى صفِّهم أيضًا، فيما قدَّر أن إجون سيطلب دعم (پايك) بالتَّأكيد، ففقط بدعمٍ من (جُزر الحديد) يُمكن لإجون أن يأمل التَّفوُّق على قوَّة آل ڤيلاريون في البحر. على أن الرِّجال الحديديِّين كانوا معروفين بالتَّقلُّب، وأحبَّ دالتون جرايجوي الدِّماء والمعارك، وقد يُمكن إقناعه بسهولةٍ بدعم الأميرة.

قدَّر المجلس أن الشَّمال أبعد من أن تكون له أهميَّة كبيرة في القتال، وبحلول الوقت الذي يحشد فيه آل ستارك راياتهم ويزحفون جنوبًا قد تكون الحرب قد انتهت. هكذا لم يتبقَّ إلَّا لوردات النَّهر، وهُم ثلَّة متشاحنة سيِّئة السُّمعة يتسيَّدها -اسميًّا على الأقل- آل تَلي سادة (ريڤررَن). قال الأمير: «إن لنا أصدقاءً في (أراضي النَّهر)، ولو أنهم لا يجرؤون جميعًا على إظهار ألوانهم بعدُ. نحن بحاجة إلى مكانٍ يُمكنهم التَّجمُّع فيه، موطئ قدمٍ في البرِّ الرَّئيسي واسع بما يكفي لإيواء جيشٍ كبير، وقوي بما يكفي لصدِّ أيِّ قُواتٍ يُمكن للغاصِب أن يُرسِلها ضدَّنا»،

وأظهرَ للوردات موقعًا على الخريطة مضيفًا: «هنا. (هارنهال)».

وهكذا حُسِمَ الأمر. سيقود الأمير ديمون الهجوم على (هارنهال) ممتطيًا كاراكسس، فيما ستبقى الأميرة رينيرا في (دراجونستون) حتى تستعيد قوَّتها، ويُغلِق أسطول ڤيلاريون (الحُلقوم) منطلقًا من (دراجونستون) و(دريفتمارك) لمنع الملاحة من (النَّهر الأسود) وإليه. قال الأمير ديمون: «لا نملك القوَّة لأخذ (كينجز لاندنج) اقتحامًا، ليس أكثر من أمل أعدائنا في الاستيلاء على (دراجونستون). لكن إجون صبي أخضر، ومن السَّهل استفزاز الصِّبية الخُضر. قد نستطيع دفعه إلى هجومٍ متهوِّر». سيقود ثُعبان البحر الأسطول، فيما تُحلِّق الأميرة ريينس في سماء المنطقة لمنع خصومهم من مهاجمة سُفنهم بالتَّنانين، وفي تلك الأثناء ستطير الغِدفان إلى (ريڤررَن) و(العُش) و(پايك) و(ستورمز إند) لكسب ولاء سادة تلك القلاع.

ثمَّ تحدَّث چسيرس ابن الملكة البِكر قائلًا: «يجب أن نحمل نحن هذه الرَّسائل. ستفوز لنا التَّنانين باللوردات أسرع من الغِدفان»، ووافقَه أخوه لوسيرس مُصرًّا أنه وچايس رجلان، أو قريبان من الرُّجولة بدرجةٍ كافية. «ينعتنا خالنا بأبناء سترونج، لكن عندما يرانا اللوردات على ظهرَي تنِّينيْنا سيعرفون أنها كذبة. وحدهم آل تارجاريَن يركبون التَّنانين». يُخبِرنا مشروم أن ثُعبان البحر تذمَّر من هذا، وأصرَّ أن الصِّبية الثَّلاثة من آل ڤيلاريون، ومع ذلك قالها مبتسمًا وفي صوته نبرة فخر. حتى الصَّغير چوفري تدخَّل في النِّقاش، وعرضَ أن يركب تنِّينه تايراكسس للانضمام إلى أخويْه.

حرَّجت عليه الأميرة رينيرا ذلك. كان چوف في الحادية عشرة فقط، لكن چسيرس في الرَّابعة عشرة، ولوسيرس في الثَّالثة عشرة، فتيَيْن جريئيْن ووسيميْن وماهريْن في السِّلاح، وقد خدما مُرافِقين لفترةٍ طويلة. قالت لهم: «إذا ذهبتما فأنتما ذاهبان بصفتكما رسوليْن لا فارسيْن. يجب ألَّا

تُشاركا في أيّ قتال». حتى حلفَ كلا الصَّبيَّين يمينًا مغلَّظةً على نُسخةٍ من (النجمة السُباعيَّة) لم تُوافِق جلالتها على استخدامهما مبعوثين لها. قُرِّرَ أن يتولَّى چايس، أكبر الاثنين سنًّا، المهمة الأطول والأكثر خطورة، ويطير أوَّلًا إلى (العُش) للتَّعامُل مع سيِّدة (الوادي)، ثمَّ إلى (الميناء الأبيض) للفوز باللورد ماندرلي، وأخيرًا إلى (وينترفل) للقاء اللورد ستارك. ستكون مهمَّة لوك أقصر مسافةً وآمَن، وقُرِّرَ أن يطير إلى (ستورمز إند)، حيث كان متوقَّعًا أن يُرحِّب به بوروس باراثيون ترحيبًا حارًّا.

أقيمَ حفل تتويج على عجلٍ في اليوم التَّالي. كان وصول السير ستفون داركلين، عضو الحرس إجون الملكي السَّابق، مناسبةً سعيدةً للغاية على (دراجونستون)، خاصَّةً عندما عُرِفَ أنه وزُملاءه الموالين («الخونة» كما سمَّاهم السير أوتو حين عرضَ مكافأةً مقابل القبض عليهم) أحضروا تاج الملك چهيرس المصلح المسروق. على مرأى من ثلاثمئة شخصٍ وضعَ الأمير ديمون تارجاريَن تاج الملك العجوز على رأس زوجته، معلنًا إياها رينيرا الأولى سليلة آل تارجاريَن، ملكة الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل. خلعَ الأمير على نفسه لقب حامي البلاد، وسمَّت رينيرا ابنها الأكبر چسيرس أميرًا على (دراجونستون) ووريثًا للعرش الحديدي.

كان أوَّل عملٍ لها ملكةً هو إعلان السير أوتو هايتاور والملكة آليسنت خائنيْن متمرِّديْن، «وأمَّا إخوتي غير الأشقَّاء وأختي الجميلة هيلينا فقد ضلَّلتهم مشورة الأشرار. فليأتوا إلى (دراجونستون) ويركعوا لي ويطلبوا مني المغفرة، وسأعفو عن حياتهم بكلِّ سرورٍ وأعيدهم إلى سُويداء قلبي، لأنهم من دمي، وما لعنَت الآلهة رجلًا أو امرأةً كقاتِل الأقربين».

وصلَت أخبار تتويج رينيرا إلى (القلعة الحمراء) في اليوم التَّالي، وأدَّت إلى استياءٍ عظيم من إجون الثَّاني. أعلنَ الملك الشاب: «أختي غير الشَّقيقة وعمِّي مذنبان بالخيانة العظمى. أريدُ تجريدهما من أملاكهما وألقابهما، أريدُ اعتقالهما، وأريدهما ميتيْن».

رغبَ أعضاء المجلس الأخضر الأقل تهوُّرًا في التَّفاوُض، وقال المِايستر الأكبر أورْوايل: «يجب أن ترى الأميرة أن قضيَّتها خاسرة. لا ينبغي للأخ أن يُحارِب أخته. أرسلِني إليها لنتحدَّث ونصل إلى اتِّفاقٍ ودِّي».

رفضَ إجون ذلك. يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن جلالته اتَّهم المِايستر الأكبر بعدم الولاء وتحدَّث عن إلقائه في زنزانةٍ سوداء «مع أصدقائك السُّود»، ولكن عندما تحدَّثت الملكتان، والدته الملكة آليسنت وزوجته الملكة هيلينا، لصالح اقتراح أورْوايل، أذعنَ الملك المشاكِس على مضض، وهكذا أُرسِل المِايستر الأكبر أورْوايل عبر (الخليج الأسود) تحت راية سلام، يقود حاشيةً تضمَّنت السير آريك كارجِل عضو الحرس الملكي والسير جواين هايتاور قائد المعاطِف الذَّهبيَّة، مع عشرين من الكتَبة والسِّپتونات، منهم إيوستس نفسه.

كانت الشُّروط التي قدَّمها الملك سخيَّةً، كما صرَّح مونكن في (قصَّة حقيقيَّة). إذا اعترفَت به الأميرة ملكًا وأعلنَت ولاءها أمام العرش الحديدي فسيُصدِّق إجون الثَّاني على بقاء (دراجونستون) في حوزتها، ويسمح بانتقال الجزيرة والقلعة إلى ابنها چسيرس عند موتها، وسيُعَدُّ ابنها الثَّاني لوسيرس الوريث الشَّرعي لـ(دريفتمارك) وأراضي وأملاك عائلة ڤيلاريون، أمَّا ابناها من الأمير ديمون، إجون الأصغر وڤسيرس، فسيُمنحان موضعَي شرفٍ في البلاط، الأوَّل مُرافقًا للملك والثَّاني ساقيه الخاص، وستُمنح إعفاءات للوردات والفُرسان الذين تآمَروا معها على الخيانة ضدَّ ملكهم الحقيقي.

سمعَت رينيرا هذه الشُّروط بصمتٍ حجري، ثم سألَت أورْوايل إن كان يَذكُر والدها الملك ڤسيرس، فأجابَ المِايستر: «بالتَّأكيد يا صاحبة الجلالة». قالت الملكة والتَّاج على رأسها: «قد يُمكنك إخبارنا بمن سمَّاه وريثه وخليفته»، فأجابَ أورْوايل: «أنتِ يا صاحبة الجلالة»، لتُومئ رينيرا برأسها وتقول: «هأنتذا بلسانك تعترف بأني ملكتك الشَّرعيَّة،

فلماذا إذًا تخدم أخي غير الشَّقيق، ذلك المدَّعي؟».

يُخبرنا مونكن أن أورْوايل قدَّم إجابةً مطوَّلةً متبحِّرةً، مستشهدًا بقانون الأنداليِّين ومجلس عام 101 العظيم، ويدَّعي مشروم أنه تلعثمَ وبلَّل سراويله، ولكن إن صحَّ هذا أو ذاك فإجابته لم تُرضِ الأميرة رينيرا.

أخبرَت أورْوايل: «المفترَض أن يعرف المِايستر الأكبر القانون ويخدمه. أنت لست مِايسترًا أكبر، ولا تجلب إلَّا العار والخزي على تلك السِّلسلة التي تضعها»، وإذ احتجَّ أورْوايل بوهنٍ جرَّد فُرسان رينيرا رقبته من سلسلة منصبه وأجبَروه على الرُّكوع، فيما أعطَت الأميرة السِّلسلة إلى رجلها المِايستر جيراردس، «خادم حقيقي وفي للمملكة وقوانينها». فيما صرفَت أورْوايل والمبعوثين الآخَرين، قالت لهم رينيرا: «أبلِغوا أخي غير الشَّقيق أنني سأظفرُ بعرشي أو سأظفرُ برأسه».

بعد زمنٍ طويل من انتهاء الرَّقصة ألَّف المغنِّي لوسيان التارثي أغنيةً حزينةً بعنوان «الوداع يا أخي» ما زالت تُغنَّى إلى اليوم. تَزعُم الأغنية أنها تحكي قصَّة اللِّقاء الأخير بين السير آريك كارجِل وتوأمه السير إريك فيما استقلَّ فريق أورْوايل السَّفينة التي ستُعيده إلى (كينجز لاندنج). كان السير آريك قد أقسمَ بسيفه لإجون، والسير إريك لرينيرا. في الأغنية، يُحاول كلُّ شقيقٍ إقناع الآخَر بتغيير جانبه، ولما يفشلان في ذلك يتبادَلان تصريحات الحُبِّ ويفترقان عالميْن أنه عندما يلتقيان المرَّة التَّالية سيكونان عدوَّيْن. من الممكن أن وداعًا كهذا حدثَ بالفعل في ذلك اليوم على (دراجونستون)، ولو أن أيًّا من مصادرنا لا يَذكُره.

كان إجون الثَّاني في الثَّانية والعشرين من عُمره، سريع الغضب وبطيء التَّسامح، وقد أغضبَه رفض رينيرا قبول حُكمه، وهكذا أعلنَ: «عرضتُ عليها سلامًا مُشرِّفًا، والعاهرة بصقَت في وجهي. ما سيَحدُث بعد ذلك نِتاج أفعالها».

ما حدثَ بعد ذلك كان الحرب.

موتُ التَّنانين

ابنٌ مقابل ابنٍ

أُعلِنَ إجون ملكًا في (جُب التَّنانين)، ورينيرا ملكةً في (دراجونستون)، وبفشل جميع جهود المصالحة بدأت رقصة التَّنانين جدِّيًّا.

على (دريفتمارك) أبحرَت سُفن ثُعبان البحر من (الأبدان) و(بلدة التَّوابل) لتسدَّ (الحُلقوم)، مغلقةً بذلك أبواب التِّجارة من (كينجز لاندنج) وإليها، وبعد فترةٍ وجيزة كان چسيرس ڤيلاريون طائرًا شمالًا على متن تنِّينه ڤرماكس، وشقيقه لوسيرس جنوبًا على ظهر آراكس، فيما حلَّق الأمير ديمون بكاراكسس نحو (الثَّالوث).

دعونا نلتفِت أوَّلًا إلى (هارنهال).

على الرَّغم من أن أجزاء كبيرةً من «حماقة هارن» العظيمة كانت خرابًا، جعلَت الأسوار الشَّاهقة القلعة من أقوى معاقل (أراضي النَّهر)... لكن إجون التنِّين أثبتَ أنها ضعيفة الدِّفاع جهة السَّماء. مع غياب سيِّدها لارِس سترونج في (كينجز لاندنج) تُرِكَت القلعة خفيفة التَّحصين، ولأنه لم يرغب في ملاقاة مصير هارن الأسود، سارعَ أمينها

المسنُّ السير سيمون سترونج (عمُّ الرَّاحل اللورد لايونل، وعمُّ اللورد لارِس الكبير) إلى تنكيس راياته عندما ظهرَ كاراكسس فوق (بُرج محرقة الملك). بالإضافة إلى القلعة، استحوذَ الأمير ديمون بضربةٍ واحدة على ثروةٍ لا بأس بها من آل سترونج، ودستةٍ من الرَّهائن ذوي القيمة، منهم السير سيمون وأحفاده. أصبح سُكَّان القلعة أسراه أيضًا، ومنهم مُرضعة تُدعى بآليس ريفرز.

من كانت هذه المرأة؟ خادمةً تشتغِل في العقاقير والتَّعاويذ، كما يقول مونكن. عرَّافة غابات، كما يدَّعي السِّپتون إيوستس. ساحرةً خبيثةً استحمَّت بدماء العذارى لأجل ديمومة شبابها، والعُهدة على مشروم. اسمها يشي بمولدٍ غير شرعي... لكننا نعرف القليل عن والدها، وأقلَّ عن والدتها. يُخبرنا مونكن وإيوستس أن اللورد لايونل سترونج أنجبَها في شبابه الغِر، وهو ما جعلَها أختًا غير شقيقة لابنيْه، هاروين (مُحطِّم العظام) ولارِس (الأحنف). على أن مشروم يُشدِّد على أنها كانت أكبر سنًّا بكثير، وأنها أرضعَت كلا الصَّبيَّيْن، بل وربما والدهما أيضًا قبل جيل.

رغم أن أطفالها وُلِدوا موتى، غذَّى اللَّبن الذي تدفَّق بوفرةٍ من ثديَي آليس ريفرز عددًا لا يُحصى من رُضَّع نساءٍ أخريات في (هارنهال). هل كانت في الحقيقة ساحرةً تنام مع الشَّياطين وتلد الأطفال الموتى مُقابل المعرفة التي قدَّمتها لها؟ هل كانت بغيًّا بسيطة العقل كما يعتقِد إيوستس؟ فاسقةً تستخدم السُّموم والعقاقير لربط الرِّجال بها جسدًا وروحًا؟ كانت آليس ريفرز تبلُغ من العُمر أربعين عامًا على الأقل في أثناء رقصة التَّنانين، هذا القدر معروف، ومشروم يجعلها أكبر سنًّا. يتَّفق الجميع على أنها بدَت أصغر من سنِّها، ولكن سواء أكان ذلك مجرَّد مصادفةٍ أم تحقَّق من خلال ممارستها الفنون المظلمة، فهذا ما لا

يزال النَّاس يختلفون عليه. مهما كانت قُواها، يبدو أن ديمون تارجاريَن كان محصَّنًا ضدَّها، لأن قليلًا سُمِعَ عن هذه السَّاحرة المفترَضة فيما حازَ الأمير (هارنهال).

عُدَّ سقوط مقرِّ هارن الأسود فجأةً دون إراقة دماءٍ نصرًا عظيمًا للملكة رينيرا وسُودِها، إذ كان بمثابة تذكيرٍ حاد ببراعة الأمير ديمون الحربيَّة وقوَّة كاراكسس، دودة الدَّم، ومدَّ الملكة بمعقلٍ في قلب (وستروس) يستطيع أنصارها التَّجمُّع فيه... وكان لرينيرا كُثر منهم في الأراضي التي يرويها (الثَّالوث). عندما أرسلَ الأمير ديمون دعوته لحمل السِّلاح هبُّوا بطول ضفاف الأنهار، فُرسان ومسلَّحون وفلَّاحون متواضعون لم يزالوا يتذكَّرون بهجة المملكة محبوبة أبيها، والطَّريقة التي ابتسمَت بها وفتنَتهم إذ قامَت بجولتها بـ(أراضي النَّهر) في شبابها. تمنطقَ مئات وآلاف بأحزمة سيوفهم وارتدوا قمصان حلقات المعدن، أو التقَطوا مذراةً أو معزقةً وتُرسًا خشبيًّا بسيطًا، وبدأوا يشقُّون طريقهم إلى (هارنهال) ليُقاتِلوا في سبيل بنت ڤسيرس الصَّغيرة.

لم يتحرَّك لوردات (الثَّالوث)، الذين امتلَكوا أشياء أكثر عُرضةً للخسارة، بسرعتهم نفسها، ولكن سُرعان ما بدأوا هُم أيضًا يُراهِنون بمصايرهم على الملكة. من (التوأمتيْن) ركبَ السير فورست فراي، «فراي المغفَّل» ذاته الذي توسَّل يد رينيرا ذات مرَّة، وكبرَ ليغدو فارسًا جبَّارًا. ورفعَ اللورد ساموِيل بلاكوود، الذي خسرَ مبارزةً لأجلها من قبل، راياتها فوق (شجرة الغِدفان). (أمَّا السير إموس براكن، الذي فازَ بتلك المبارزة، فقد تبعَ والده عندما أعلنَ آل براكن ولاءهم لإجون). وأعلنَ آل موتون سادة (بِركة العذارى) وآل پايپر سادة (قلعة العذراء الورديَّة) وآل روت سادة (هارووای) وآل داري سادة (داري) وآل ماليستر سادة

(سيجارد) وآل ڤانس سادة (استراحة عابري السَّبيل) جميعًا دعمهم رينيرا. (سلكَ آل ڤانس سادة (أترانتا) السَّبيل الآخَر، وأعلنوا ولاءهم للملك الشَّاب). تحدَّث بيتر پايپر سيِّد (العذراء الورديَّة) الأشيب بألسنة كثيرين عندما قال: «لقد أقسمتُ لها بسيفي. أنا أكبر سنًّا الآن، ولكن ليس لدرجة أني نسيتُ الكلمات التي قلتُها، ويتصادَف أنني ما زلتُ أملكُ السَّيف».

كان جروڤر تَلي حاكم (الثَّالوث) الأعلى رجلًا عجوزًا، حتى في وقت المجلس العظيم في عام 101، حيث تحدَّث لصالح الأمير ڤسيرس، وعلى الرَّغم من تردِّي صحَّته لم يُصبِح أقلَّ عنادًا، فقد فضَّل حقوق الذَّكر في عام 101، ولم تُغيِّر السَّنوات رأيه. أصرَّ اللورد جروڤر أن تُقاتِل (ريڤررَن) من أجل الملك الشَّاب إجون، ومع ذلك لم يُملَ أمره على أتباعه قَطُّ. أعلنَ مِايستر (ريڤررَن) أن اللورد العجوز طريح الفراش ولن يعيش طويلًا، وأعلنَ حفيده السير إلمو تَلي: «أوثرُ ألَّا تموت بقيَّتنا معه»، وأشارَ لابنيه أن (ريڤررَن) لا تتمتَّع بأيِّ دفاعاتٍ ضد نيران التَّنانين، وكلا الجانبيْن في هذا النِّزاع يركب التَّنانين. وهكذا بينما توعَّد اللورد جروڤر وشجبَ من فِراش الموت، أوصدَت (ريڤررَن) بوَّاباتها، ووضعَت رجالها على أسوارها، والتزمَت الصَّمت.

في تلك الأثناء كانت قصَّة مختلفة تمامًا تدور في الشَّرق، حيث نزلَ چسيرس ڤيلاريون على (العُش) بتنِّينه الصَّغير ڤرماكس، ليفوز لأمِّه بـ(وادي آرن). كانت عذراء (الوادي)، الليدي چين آرن، في الخامسة والثَّلاثين، أي أكبر منه بعشرين سنةً، ولم تتزوَّج قَطُّ، وقد حكمَت الليدي چين (الوادي) منذ موت والدها وإخوتها الأكبر على أيدي قبيلة الغِربان الحجريَّة من همج التِّلال حين كانت في الثَّالثة من عُمرها.

يُخبرنا مشروم أن هذه العذراء الشَّهيرة كانت في الحقيقة عاهرةً ذات نسبٍ عريق وشهيَّةٍ شرهة للرِّجال، ويحكي لنا حكايةً بذيئةً عن عرضها على الأمير چسيرس ولاء (الوادي) بشرط أن يُوصِلها إلى النَّشوة بلسانه. أمَّا السِّپتون إيوستس فيُكرِّر الشَّائعة واسعة الانتشار التي تقول بأن چين آرن فضَّلت رِفقة النِّساء الأخريات الحميميَّة، ثمَّ يعود لينفي صحَّتها. في هذه الحالة، علينا أن نمتنَّ لكتاب المِايستر الأكبر مونكن (قصَّة حقيقيَّة)، لأنه وحده قصرَ روايته على قاعة (العُش) العالية، بدلًا من غُرف النَّوم فيها.

قالت الليدي چين للأمير چسيرس: «لقد سعى أقاربي ثلاث مرَّاتٍ ليحلُّوا محلِّي. السير أرنولد ابن عمِّي يقول إن النِّساء أضعف من أن يحكُمن. إنه عندي في واحدةٍ من زنازين السَّماء إذا كنت ترغب في سؤاله. أميركم ديمون عاملَ زوجته الأولى بقسوةٍ شديدة، هذا صحيح... لكن بغضِّ النَّظر عن ذوق أُمِّك الرَّديء في اختيار العشير، فإنها تظلُّ ملكتنا الشَّرعيَّة، ومن دمي علاوةً على ذلك، فهي آرن من جانب والدتها. في عالم الرِّجال هذا علينا نحن النِّساء أن نتَّحد. سيقف (الوادي) وفُرسانه معها... إن لبَّت لي جلالتها طلبًا واحدًا». عندما سألَ الأمير عن ماهيته أجابَته: «تنانين. ليس في نفسي خوف من الجيوش. لقد انكسرَ كثير منها على بوَّابتي الدَّامية، ومن المعروف أن (العُش) منيعة، لكنك نزلت علينا من السَّماء كما فعلَت الملكة ڤيزينيا ذات يومٍ في زمن الفتح، وكنتُ عاجزةً عن ردعك. لا أحبُّ الشُّعور بالعجز. أرسِل إليَّ راكبي تنانين».

وهكذا وافقَ الأمير، وركعَت الليدي چين أمامه وأمرَت مُحاربيها بالرُّكوع، وأقسَموا جميعًا بسيوفهم للملكة.

ثمَّ طارَ چسيرس شمالًا من فوق (الأصابع) ومياه (الخليج النَّاهش). مكثَ هُنيهةً في (بلدة الأخوات)، حيث أقسمَ له اللورد بورِل واللورد سندرلاند على الطَّاعة وتعهَّدا بنُصرة (الأخوات الثَّلاث) الملكة، ثم طارَ إلى (الميناء الأبيض) حيث التقاه اللورد دزموند ماندرلي في (بلاط عريس البحر).

هنا واجهَ الأمير مساوِمًا أشدَّ دهاءً، إذ صرَّح له ماندرلي: «ليست (الميناء الأبيض) غير متعاطفةٍ مع محنة والدتِك. لقد سُلِبَ أسلافي حقوقهم بالميلاد حين طردَنا أعداؤنا إلى المنفى على هذه الشَّواطئ الشَّماليَّة الباردة. عندما زارَنا الملك العجوز قبل زمنٍ طويل تحدَّث عن الجور الذي حلَّ بنا ووعدَ بجبرِ الضَّرر. في تعهُّدٍ بذلك عرضَ جلالته يد ابنته الأميرة ڤسيرا على جدِّي الكبير، حتى تُصبح عائلتانا واحدةً، لكن الفتاة ماتَت ونُسِيَ الوعد».

فهمَ الأمير چسيرس ما يُطلَب منه، وقبل مغادرته (الميناء الأبيض) صيغَت اتِّفاقيَّة ووُقِّعَت، وأوجبَت شروطها زواج ابنة اللورد ماندرلي الصُّغرى بچوفري شقيق الأمير عندما تنتهي الحرب.

وأخيرًا حملَ ڤرماكس چسيرس ڤيلاريون إلى (وينترفل)، للتَّفاوُض مع سيِّدها الشَّاب المهيب، كريجان ستارك.

مع مرور الزمن سيُعرَف كريجان ستارك بلقب رجل الشَّمال العجوز، لكن سيِّد (وينترفل) كان في الحادية والعشرين من عُمره عندما جاءَه الأمير چسيرس في عام 129 بعد الفتح. تولَّى كريجان السِّيادة في سنِّ الثَّالثة عشرة عند وفاة والده اللورد ريكون في عام 121 بعد الفتح، وخلال فترة قصوره حكمَ عمُّه بينارد الشَّمال وصيًّا، ولكن في عام 124 بعد الفتح بلغَ كريجان السَّادسة عشرة، فقط ليجد عمَّه بطيئًا في

التَّنازُل عن سُلطته. تنامى التَّوتُّر في العلاقة بين الاثنين إذ غضبَ اللورد الشَّاب من القيود المفروضة عليه من شقيق والده، وأخيرًا، في عام 126 بعد الفتح، انتفضَ كريجان ستارك وسجنَ بينارد وأبناءه الثَّلاثة وانفردَ بحُكم الشَّمال. بعد فترةٍ وجيزة تزوَّج الليدي آرا نوري، رفيقته الحبيبة منذ الطُّفولة، فقط لتموت في عام 128 بعد الفتح في أثناء وضعها ابن كريجان ووريثه، الذي أسماه ريكون على اسم والده.

كان الخريف قد توغَّل عندما قدمَ أمير (دراجونستون) إلى (وينترفل)، فارتفعَت أكوام الثُّلوج بكثافةٍ على الأرض، وعوَت رياح باردة من الشَّمال، وكان اللورد ستارك في وسط استعداداته لمجيء الشِّتاء، ومع ذلك رحَّب بچسيرس ترحيبًا حارًّا. يُقال إن الثَّلج والجليد والبرد عكَّروا مزاج ڤرماكس، لذلك لم يبقَ الأمير طويلًا بين أهل الشَّمال، وإن نجمَت حكايات غريبة كثيرة عن تلك الإقامة القصيرة.

يَذكُر كتاب مونكن (قصَّة حقيقيَّة) أن كلًّا من چسيرس وكريجان أُعجِبَ بالآخَر، لأن الأمير الصَّبي ذكَّر سيِّد (وينترفل) بأخيه الأصغر الذي تُوفِّيَ قبل عشر سنوات، فشربا معًا، واصطادا معًا، وتدرَّبا معًا، وأقسَما قسم أخوَّةٍ مختومًا بالدَّم. يبدو هذا أكثر مصداقيَّةً من نُسخة السِّپتون إيوستس، حيث يقضي الأمير معظم زيارته في محاولة إقناع اللورد كريجان بالتَّخلِّي عن آلهته الزَّائفة والقبول بعبادة (السَّبعة).

لكننا نلجأ إلى مشروم لنجد الحكايات التي يُغفِلها الآخَران، وفي هذا لا يخذلنا الآن. تُقدِّم روايته عذراء شابَّةً، أو «ذئبةً» كما يدعوها، باسم سارا سنو. فُتِنَ الأمير چسيرس بتلك المخلوقة، الابنة غير الشَّرعيَّة للورد الرَّاحل ريكون ستارك، حتى إنه نامَ معها ذات ليلة. غضبَ اللورد كريجان غضبًا بالغًا عندما علمَ أن ضيفه هتكَ عُذريَّة أخته النَّغلة، ولم

تلِن غضبته إلا حين أخبرَته سارا سنو أن الأمير اتَّخذها زوجةً، وقد ردَّدا نذورهما في أيكة (وينترفل) ذاتها أمام شجرة قلوب، وعندها فقط منحَته نفسها مكسوَّةً بالفراء وسط الثَّلج فيما شاهدَت الآلهة القديمة.

من المؤكَّد أن هذا المشهد يصنع قصَّةً آسرةً، ولكن كما هي الحال مع العديد من خُرافات مشروم، يبدو أنها تندرج تحت تخيُّلات المهرّج المحمومة أكثر من كونها حقيقةً تاريخيَّةً. كان چسيرس ڤيلاريون وبايلا ابنة خالته مخطوبيْن منذ كان هو في الرَّابعة وهي في الثَّانية، ومن كلِّ ما نعرفه عن شخصيَّته يبدو لنا مستبعَدًا تمامًا أن يكسر مثل هذا الاتِّفاق الرَّسمي لحماية العفَّة المشكوك فيها لنغلةٍ شماليّة نصف همجيَّة وسِخة. إن كانت سارا سنو قد وُجِدَت بالفعل، وإن تصادفَ أن أمير (دراجونستون) عبثَ معها بالفعل، فليس هذا أكثر مما فعلَه أمراء آخَرون في الماضي وسيفعلونه في المستقبل، لكن الحديث عن الزَّواج غير معقول.

(يدَّعي مشروم أيضًا أن ڤرماكس تركَ مجموعةً من بيض التَّنانين في (وينترفل)، وهو ادِّعاء سخيف بالقدر نفسه. لئن كان صحيحًا أن تحديد جنس التنِّين الحي لهو أمر شِبه مستحيل، لا يذكُر أيُّ مصدر آخَر أن ڤرماكس أنتجَ ولو بيضةً واحدةً، لذلك يجب افتراض أنه كان ذَكرًا. وإن من السُّخف الشَّديد أخذ تكهُّن السِّپتون بارث، الذي يذكُر فيه أنَّ التَّنانين تُبدِّل جنسها عند الحاجة لأنها «متقلِّبة كاللَّهب»، بعين الاعتبار).

أمَّا هذا فنعرفه: توصَّل كريجان ستارك وچسيرس ڤيلاريون إلى تفاهُم، ووقَّعا وختما الاتِّفاق الذي يُسمِّيه المِايستر الأكبر مونكن «ميثاق الجَليد والنَّار» في (قصَّة حقيقيَّة)، ومثل العديد من المواثيق المشابهة قرَّرَ أن

يُبرَم بزواج. كان ريكون ابن اللورد كريجان يبلغ من العمر عامًا واحدًا، والأمير چسيرس لم يتزوَّج بعدُ وبلا ذُرِّيَّة، وإن افتُرِضَ أنه سيُنجِب أولادًا من صُلبه عند جلوس والدته على العرش الحديدي. بموجب شروط الميثاق، ستُرسَل ابنة الأمير الأولى شمالًا في سنِّ السَّابعة، لتُربَّى في (وينترفل) إلى أن تبلُغ السِّنَّ المناسبة للزَّواج بوريث اللورد كريجان.

عندما عادَ أمير (دراجونستون) بتِنِّينه إلى السَّماء الخريفيَّة الباردة فعلَ ذلك عالمًا أنه ظفرَ لوالدته بدعم ثلاثة لوردات أقوياء وحمَلة راياتهم. على الرَّغم من أن يوم ميلاده الخامس عشر كان لا يزال يَبعُد نصف سنة، فقد أثبتَ الأمير چسيرس نفسه رجلًا ووريثًا جديرًا بالعرش الحديدي.

لو أن رحلة أخيه «الأقصر والآمَن» مضَت على النَّحو نفسه، فلربما أمكنَ تجنُّب الكثير من سفك الدماء والأحزان.

المأساة التي حلَّت بلوسيرس ڤيلاريون في (ستورمز إند) كانت بلا تخطيطٍ على الإطلاق، وهو ما تتَّفق عليه مصادرنا كلُّها. المعارك الأولى في رقصة التَّنانين خِيضَت بالرِّيش والغِدفان، بالتَّهديدات والوعود، بالمراسيم والمداهنة. لم يكن مقتل اللورد بيزبوري في المجلس الأخضر معروفًا بعدُ على نطاقٍ واسع، إذ اعتقدَت الأغلبيَّة أن سيادته محجوز في زنزانةٍ ما. في حين أن وجوهًا مألوفةً متنوِّعةً لم تعُد تُرى في البلاط، لم تظهر رؤوس فوق بوَّابات القلعة، وظلَّ كثيرون يأملون أن تُحَلَّ مسألة الخلافة سلميًّا.

كانت لـ(الغريب) خُطط أخرى، لأن يده المخيفة كانت حتمًا وراء الصُّدفة السَّيِّئة التي جمعَت الأميرَيْن في (ستورمز إند)، عندما سابقَ التِّنين آراكس عاصفة محتشدةً لإيصال لوسيرس ڤيلاريون إلى أمان باحة القلعة، فقط ليجد إيموند تارجارِيَن هناك قبله.

كان بوروس باراثيون رجلًا صاحب شخصيَّةٍ تختلف كثيرًا عن والده، إذ يُخبرنا السِّپتون إيوستس: «كان اللورد بورمند حجرًا، صُلبًا وقويًّا وثابتًا، أمَّا اللورد بوروس فكان الرِّيح التي تثور وتعوي وتهبُّ في هذا الاتِّجاه وذاك». لم يكن الأمير إيموند واثقًا بنوع التَّرحيب الذي سيلقاه حين انطلقَ، لكن (ستورمز إند) رحَّبت به بالاحتفالات والصَّيد والنِّزال.

أثبتَ اللورد بوروس أنه أكثر من راغبٍ في الترفيه عن طالِب ودِّه، إذ قال للأمير: «إن لي أربع بنات. اختر أيَّ واحدةٍ تُعجِبك. كاس أكبرهن، وستكون أوَّل من تبلُغ، لكن فلوريس أجمل. وإذا كنت تريد زوجةً ذكيَّةً، فماريس موجودة».

قال سيادته لإيموند إن رينيرا اعتبرَت ولاء عائلة باراثيون أمرًا مفروغًا منه لفترةٍ طويلة جدًّا. «نعم، الأميرة ريينس قريبة لي ولأهلي. عمَّة كُبرى لم أعرفها قَطُّ كانت متزوِّجةً بوالدها، لكن كليهما ماتَ، ورينيرا... إنها ليست ريينس، أليس كذلك؟». تابعَ اللورد بوروس قائلًا إن لا اعتراضَ لديه على النِّساء، فهو يحبُّ بناته، والابنة شيء ثمين... لكن الابن، آآآه... إن منحَته الآلهة ابنًا من دمه فستنتقل سيادة (ستورمز إند) إليه لا إلى أخواته. «لماذا يجب أن تختلف الحال مع العرش الحديدي؟». ومع اقتراب زِفافٍ ملكي... قضيَّة رينيرا خاسرة، وسترى ذلك حين تعلم أنها فقدَت (ستورمز إند)، وسيُخبرها بهذا بنفسه... انحني لأخيكِ، نعم، إن ذلك لصالِح الجميع. فتياته يتشاجرن أحيانًا كما تفعل الفتيات، لكنه يحرص دائمًا أن يتصالحن بعدها...

ليس لدينا تقرير عن الابنة التي اختارَها الأمير إيموند أخيرًا (رغم أن مشروم يُخبِرنا أنه قبل أربعتهن جميعًا «لتذوُّق رحيق شفاهِهن») باستثناء أنها لم تكن ماريس. يُدوِّن مونكن أن الأمير واللورد بوروس

كانا يتساوَمان حول التواريخ والمهور في الصَّباح الذي ظهرَ فيه لوسيرس ڤيلاريون. استشعرَت ڤاجهار مجيئه أوَّلًا. قبضَ رجال الحراسة، الذين كانوا يذرعون المتاريس فوق أسوار القلعة العظيمة الواقية، على حِرابهم بهلعٍ مفاجئ حين استيقظَت التنِّينة بهديرٍ هزَّ أُسس «تحدِّي داران». قيلَ لنا إن آراكس نفسه انكمشَ من هول ذلك الصَّوت، وجاهدَ لوك بجَلده بسوطه لإجباره على النُّزول.

يُريدنا مشروم أن نعتقد أن البرق كان يُومِض في الشَّرق وأمطارًا غزيرةً تهطل فيما وثبَ لوسيرس من فوق ظهر تنِّينه قابضًا على رسالة والدته. لا بُدَّ أنه أدركَ ما يعنيه وجود ڤاجهار، لذا لم يكن مفاجئًا أن يُواجهه إيموند تارجاريَن في (القاعة المستديرة) أمام أعيُن اللورد بوروس وبناته الأربع وسپتون ومِايستر وأربعين من الفُرسان والحرس والخدم. (ممَّن شهدوا اللِّقاء السير بايرون سوان، الابن الثَّاني لسيِّد (الدفَّة الحجريَّة) في (التُّخوم الدورنيَّة)، الذي سيلعب دورًا صغيرًا في الرَّقصة لاحقًا). لذلك ليس علينا هذه المرَّة الاعتماد كليًّا على المِايستر الأكبر مونكن ومشروم والسِّپتون إيوستس، إذ لم يكن أيٌّ منهم حاضرًا يومها في (ستورمز إند)، لكن آخَرين عدَّةً حضروا، وعليه ليس لدينا نقص في الرِّوايات المباشرة.

رفعَ الأمير إيموند عقيرته بالقول: «انظُر إلى هذا المخلوق البائس يا سيِّدي. لوك سترونج الصَّغير، النَّغل»، وللوك قال: «أنت مبتلٌّ أيها النَّغل. أمِنَ المطر أم إنك تبوَّلت على نفسك من الخوف؟».

خاطبَ لوسيرس ڤيلاريون اللورد باراثيون وحده: «لورد بوروس، جلبتُ لك رسالةً من والدتي، الملكة».

- «يقصد عاهرة (دراجونستون)». تقدَّم الأمير إيموند وانتزعَ الرِّسالة من كفِّ لوسيرس، لكن اللورد بوروس جأرَ بأمرٍ ليتدخَّل فرسانه ويفصلوا

بين الأميرَيْن. أخذَ أحدهم رسالة رينيرا إلى المنصَّة، حيث جلسَ معاليه على عرش ملوك العواصف القُدامى.

لا أحد يستطيع أن يعرف حقًّا ما كان بوروس باراثيون يشعُر به في تلك اللَّحظة. تختلف روايات مَن كانوا هناك عن بعضها بعضًا اختلافًا ملحوظًا. البعض يقول إن سيادته كان مُحمرَّ الوجه محرجًا كرجلٍ ضبطَته زوجته الشَّرعيَّة مع امرأةٍ أخرى في الفِراش، ويُعلِن آخَرون أن بوروس بدا مستمتعًا باللَّحظة إذ أرضى خُيلاءه أن يطمح الملك والملكة كلاهما إلى دعمه، فيما يذكُر مشروم (الذي لم يكن هناك) أنه كان ثملًا، ويقول السِّپتون إيوستس (الذي لم يكن هناك كذلك) إنه كان خائفًا.

ومع ذلك يتَّفق جميع الشُّهود على ما قاله اللورد بوروس وفعلَه. لكونه رجلًا أُمِّيًّا فقد ناولَ رسالة الملكة إلى مِايستره، الذي كسرَ الختم وهمسَ فحوى الرِّسالة في أُذن معاليه. اعتلَت تكشيرة وجه اللورد بوروس، وملَّس على لحيته، وعبسَ في وجه لوسيرس ڤيلاريون، وقال: «وإذا فعلتُ ما تطلبه والدتك، فأيُّ واحدةٍ من بناتي ستتزوَّج أنت أيها الولد؟»، وأشارَ إلى الفتيات الأربع مضيفًا: «اخترَ واحدةً».

احمرَّ وجه الأمير لوسيرس خجلًا، وردَّ: «لستُ حرًّا لأتزوَّج يا سيِّدي، فأنا موعودٌ للزَّواج براِينا ابنة خالتي».

قال اللورد بوروس: «كما ظننتُ. ارجع إلى وِجارك أيها الجرو وأخبِر الحقيرة أُمَّك أن سيِّد (ستورمز إند) ليس كلبًا يُمكنها أن تصفِر له عند الحاجة لتُطلقه على أعدائها». ودارَ الأمير لوسيرس لمغادرة (القاعة المستديرة).

لكن الأمير إيموند شهرَ سيفه قائلًا: «توقَّف يا سترونج. سدِّد دينك لي أوَّلًا»، ثم نزعَ رُقعة عينه ورماها على الأرض لإظهار الياقوتة الزَّرقاء

تحتها. «إن معك خنجرًا، تمامًا كما كان معك حينذاك. افقأ عينك وسأدعك تُغادِر. واحدة ستفي بالغرض. لن أُعميك».

تذكَّر الأمير لوسيرس وعده لوالدته، وقال: «لن أقاتلك. لقد جئتُ إلى هنا مبعوثًا لا فارسًا».

ردَّ الأمير إيموند: «لقد جئتَ إلى هنا جبانًا وخائنًا. سأظفرُ بعينك أو بحياتك يا سترونج».

عند هذا شعرَ اللورد بوروس بالقلق، ودمدمَ: «ليس هنا. لقد جاءَ مبعوثًا. لا أريدُ إراقة دماءٍ تحت سقفي»، وهكذا وضعَ حرسه أنفُسهم بين الأميريْن ورافَقوا لوسيرس ڤيلاريون من (القاعة المستديرة) عائدين به إلى باحة القلعة، حيث كان تنِّينه آراكس، منحنيًا تحت المطر، في انتظار عودته.

وكان الأمر لينتهي عند هذا الحدِّ لولا الفتاة ماريس، ابنة اللورد بوروس الثَّانية الأقل جمالًا من أخواتها، التي نقمَت على إيموند لتفضيلهن عليها. سألت ماريس الأمير بنبرةٍ حُلوة كالعسل: «أكانت إحدى عينيك ما سلبَك الصَّبي أم إحدى خصيتيك؟ إنني سعيدة جدًّا لاختيارك أختي، فأنا أريدُ زوجًا كامل الأعضاء».

التوى فم إيموند تارجاريَن بغضب، وعادَ يلتفت إلى اللورد بوروس طالبًا إذنه في الرَّحيل. هزَّ سيِّد (ستورمز إند) كتفيه وأجابَ: «ليس لي أن أخبرك بما عليك أن تفعله حين لا تكون تحت سقفي»، وانزاحَ فُرسانه جانبًا فيما هرعَ الأمير إيموند نحو الأبواب.

كانت العاصفة مستعرةً بالخارج. دوَّى هزيم الرَّعد عبر القلعة، وتهاطلَ المطر المعمي، ومن وقتٍ إلى آخر ومضَت صاعقة هائلة من البرق

الأبيض المزرق لتُضيء العالم مثل النَّهار. كان طقسًا سيِّئًا للتَّحليق، حتى بالنِّسبة إلى تنّين، وآراكس يُكافِح من أجل البقاء عاليًا عندما امتطى الأمير إيموند تنِّينته ڤاجهار وانطلقَ وراءه. لو كانت السَّماء صافيةً فلربما استطاعَ الأمير لوسيرس أن يسبق مُطارده، لأن آراكس كان أصغر وأسرع... لكن النَّهار كان «أسود كقلب الأمير إيموند» على حدِّ تعبير مشروم، وهكذا حدثَ أن التقى التنِّينان فوق (خليج السُّفن الغارِقة). رأى المراقبون فوق أسوار القلعة انفجارات لهبٍ بعيدةً، وسمعوا صرخةً تشقُّ الرَّعد، ثمَّ اشتبكَ الوحشان والبرق يُطَقطِق من حولهما. كان حجم ڤاجهار خمسة أضعاف حجم خصمها، وهي النَّاجية من مئة معركة. إذا كان قتال قد وقعَ فلا يمكن أنه استمرَّ طويلًا.

سقطَ آراكس مكسورًا لتبتلعه مياه الخليج التي أثارَتها العاصفة، وجرفَ الموج رأسه ورقبته إلى المنحدرات أسفل (ستورمز إند) بعد ثلاثة أيَّامٍ ليكونا وليمةً للسَّراطين والنَّوارس. يدَّعي مشروم أن جُثَّة الأمير لوسيرس جرفَها الموج أيضًا، ويُخبرنا أن الأمير إيموند اقتلعَ عينيه وقدَّمهما لليدي ماريس على كومةٍ من الطَّحالب البحريَّة، وإن يبدو لنا هذا مبالغًا فيه للغاية. يقول البعض إن ڤاجهار انتزعَت لوسيرس من فوق ظهر تنِّينه وابتلعَته بالكامل، بل وزعِمَ أن الأمير نجا من سقوطه وسبحَ إلى برِّ الأمان، لكنه فقدَ ذاكرته ونسيَ من كان، وقضى بقيَّة أيَّامه صيَّادًا بسيط العقل.

يمنح (قصَّة حقيقية) هذه الحكايات كلَّها الاحترام الذي تستحقُّه... أي لا احترام على الإطلاق. يصرُّ مونكن أن لوسيرس ڤيلاريون ماتَ مع تنِّينه، وهذا صحيحٌ بلا شك. كان الأمير يبلُغ من العُمر ثلاثة عشر عامًا، ولم يُعثَر على جُثَّته قَطُّ، وبموته انتهَت حرب الغِدفان والمبعوثين

واتِّفاقات الزَّواج، وبدأت حرب النَّار والدَّم صراحةً.

عادَ إيموند تارجارين... الذي سيُعرَف من الآن فصاعدًا عند أعدائه بإيموند قاتِل الأقربين... إلى (كينجز لاندنج) بعد فوزه بدعم (ستورمز إند) قضيَّة أخيه إجون وعداء الملكة رينيرا الأبدي. إذا ظنَّ أنه سيُستقبَل استقبال بطلٍ فقد خابَ ظنُّه. امتقعَ وجه الملكة آليسنت حين سمعَت بفعلته، وقالت باكيةً: «لترحمنا (الأمُّ) جميعًا». ولا سُرَّ السير أوتو، وورد أنه قال: «فقدتَ عينًا واحدةً فقط. كيف كنت أعمى إلى هذا الحدِّ؟». أمَّا الملك نفسه فلم يُشاركهما تلك المخاوف، واستقبل إجون الثَّاني الأمير إيموند بمأدبةٍ عظيمة، مشيدًا به بوصفه «دم التنِّين الحق»، وأعلنَ أنه بدأ «بدايةً جيِّدةً».

في (دراجونستون) انهارَت الملكة رينيرا عندما علمَت بموت لوك، وأقسمَ شقيق لوك الصَّغير چوفري (كان چايس لا يزال غائبًا في مهمَّته شمالًا) قسمًا مغلَّظًا بالانتقام من الأمير إيموند واللورد بوروس. فقط تدخُّل ثُعبان البحر والأميرة ريينس منعَ الصَّبي من اعتلاء تنِّينه في التَّوِّ واللَّحظة (يُريدنا مشروم أن نعتقِد أنه لعبَ دورًا كذلك). فيما اجتمعَ المجلس الأسود للنَّظر في كيفيَّة توجيه ضربةٍ مضادَّة، وصلَ غُداف من (هارنهال). كتبَ الأمير ديمون: «العينُ بالعين، ابنٌ مقابل ابنٍ. سيُنتقَم للوسيرس».

لا ينبغي أن ننسى: كان ديمون تارجارين في شبابه «أمير المدينة»، ووجهه وضحكته مألوفيْن لكلِّ نشَّالٍ وعاهرةٍ ومقامرٍ في (جُحر البراغيث). لم يزَل للأمير أصدقاء في الأماكن الوضيعة من (كينجز لاندنج)، وأتباع بين المعاطِف الذَّهبيَّة، ودون علم الملك إجون أو حضرة اليد أو الملكة الأرملة كان له حُلفاء في البلاط الملكي أيضًا، حتى في

المجلس الأخضر... ووسيط آخَر، صديق خاص وثقَ به تمام الثِّقة، وكان يعرف الخمَّارات وحلبات الجرذان التي نمَت بفسادها في ظلِّ (القلعة الحمراء) كما عرفَها ديمون نفسه من قبل، ويتحرَّك بسهولةٍ عبر ظلال المدينة. هذا الغريب الشَّاحب هو مَن تواصلَ معه الأمير بوسائل سرِّيَّة ليضع الانتقام الرَّهيب موضع التَّنفيذ.

وسط مواخير (جُحر البراغيث) وجدَ وسيط الأمير ديمون الأداتَيْن المناسبتَيْن. كان أحدهما رقيبًا في حرس المدينة، ضخمًا وحشيًّا، وقد فقد معطفه الذَّهبي لضربه عاهرةً حتى الموت فيما كان في حالة ثورةٍ سكرانة، والآخَر كان صائد جرذان في (القلعة الحمراء). اسماهما الحقيقيَّان ضاعا من ذاكرة التاريخ، ولا يُذكَران (وليتهما لم يُذكَرا!) إلَّا بـ«دَم» و«جُبنة».

يُخبرنا مشروم: «عرفَ جُبنة دهاليز (القلعة الحمراء) أفضل من معرفته شكل قضيبه». كانت الأبواب الخفيَّة والأنفاق السرِّيَّة التي بناها ميجور المتوحِّش مألوفةً لصائد الجرذان مثل الجرذان التي اصطادَها، وباستخدام ممرٍّ منسي قادَ جُبنة دَمًا إلى قلب القلعة دون أن يراهما أيُّ حارس. يقول البعض إن هدفهما كان الملك نفسه، لكن إجون كان مصحوبًا بحرسه الملكي أينما حلَّ وذهبَ، وحتى جُبنة لم يكن يعرف أيَّ طريقةٍ لدخول (حصن ميجور) أو الخروج منه عدا الجسر المتحرِّك الممتد فوق الخندق الجاف وخوازيقه الحديديَّة المخيفة.

أمَّا (بُرج اليد) فكان أقلَّ تأمينًا. تسلَّل الرَّجلان من خلال الجُدران متجاوزَيْن حاملي الحِراب الواقفين على أبواب البُرج. لم تعنِهما غُرفة السير أوتو، وبدلًا من ذلك تسلَّلا إلى مسكن ابنته الذي وقع تحت مسكنه بطابق. أقامَت الملكة آليسنت هناك بعد وفاة الملك ڤسيرس، عندما انتقلَ ابنها إجون إلى (حصن ميجور) مع ملكته. بمجرَّد دخولهما

قيَّد جُبنة الملكة الأرملة وكمَّمها فيما خنقَ دَم وصيفتها، ثمَّ لبثا منتظرَيْن، إذ عرفا أن من عادة الملكة هيلينا أن تجلب أطفالها لرؤية جدَّتهم كلَّ مساءٍ قبل النوم.

غافلةً عن الخطر المحدق، ظهرَت الملكة برفقة أطفالها الثَّلاثة فيما استقرَّ الغسق فوق القلعة. چهيرس وچهيرا كانا في السَّادسة، ومِايلور في الثَّانية. كانت هيلينا تُمسك يده الصَّغيرة إذ دخَلوا الغُرفة، وتنادي والدتها. أوصدَ دَم الباب وقتلَ حارس الملكة، فيما ظهرَ جُبنة لينتزِع مايلور قائلًا لجلالتها: «اصرُخوا وستموتون جميعًا». يُقال إن الملكة هيلينا حافظَت على هدوئها، وسألَت الاثنين: «مَن أنتما؟»، فقال جُبنة: «جُباة الديون، العين بالعين، وابنٌ مقابل ابنٍ. نُريد واحدًا فقط لموازنة الكفَّتين. لن نؤذي بقيَّتكم أيها القوم الطَّيِّبون، ولا حتى شعرةً واحدةً. أيُّهم تُريدين أن تخسري يا صاحبة الجلالة؟».

وبمجرَّد أن أدركَت ما يعنيه ناشدَت الملكة هيلينا الرَّجلين قتلها بدلًا من ذلك. قال دَم: «الزَّوجة ليست ابنًا. يجب أن يكون صبيًّا»، وحذَّر جُبنة الملكة لكي تختار بسرعةٍ قبل أن يملَّ دَم ويغتصب فتاتها الصَّغيرة. «هيَّا اختاري، أو نقتلُهم جميعًا». باكيةً على رُكبتيها، نطقَت هيلينا باسم أصغرهم، مِايلور. ربما ظنَّت أن الصَّبي أصغر من أن يفهم، أو ربما لأن الصَّبي الأكبر، چهيرس، كان ابن الملك إجون البِكر ووريثه، التَّالي في وراثة العرش الحديدي. همسَ جُبنة لمِايلور: «هل سمعت أيها الصَّغير؟ أمُّك تريدك ميتًا»، ثمَّ منحَ دَمًا ابتسامةً عريضةً، فقتَل المبارز الضَّخم الأمير چهيرس باترًا رأس الصَّبي بضربةٍ واحدة، وبدأت الملكة تَصرُخ.

من الغريب أن نقول إن صائد الجرذان وصاحبه الجزَّار صدقا في كلامهما، فلم يُقدِما على المزيد من الأذى للملكة هيلينا أو طفليها

الباقيَيْن، بل هربا برأس الأمير في حوزتهما. ارتفعَ اللَّغط والجلبة، لكن جُبنةً كان يعرف الممرَّات السرِّيَّة كما لم يعرفها الحرس، وبذلك فرَّ القاتلان. بعد يومين قُبِضَ على دَمٍ عند (بوَّابة الآلهة) وهو يُحاوِل مغادرة (كينجز لاندنج) برأس الأمير چهيرس المخبَّأ في جراب سرجه، وتحت التعذيب اعترفَ بأنه كان سيأخذه إلى (هارنهال) ليقبض مكافأته من الأمير ديمون، وأدلى أيضًا بوصفٍ للعاهرة التي زعَم أنها استأجرَتهما: امرأة أكبر سنًّا، تشي لُكنتها بأنها أجنبيَّة، متخفِّية ومقلنَسة، وشاحبة جدًّا، تُطلِق عليها العاهرات الأخريات لقب البَأساء.

بعد ثلاثة عشر يومًا من التعذيب سُمِحَ لدَمٍ أخيرًا بالموت. كانت الملكة آليسنت قد أمرَت لارِس الأحنف بمعرفة اسمه الحقيقي لكي تستحمَّ بدماء زوجته وأولاده، لكن مصادرنا لا تقول إن كان ذلك قد حدثَ فعلًا. فتَّش السير لوثر لارجنت ومعاطفه الذَّهبيَّة (شارع الحرير) من أقصاه إلى أقصاه، وأخرجوا كلَّ عاهرةٍ في (كينجز لاندنج) وجرَّدوها من ثيابها، ولكن لم يُعثَر على أيِّ أثرٍ لجُبنة أو الدُّودة البيضاء. في غمرة حُزنه وغضبه أمرَ الملك إجون الثَّاني بجمعِ جميع صائدي الجرذان في المدينة وشنقهم، وهو ما كان. (أحضرَ السير أوتو هايتاور مئة قِطَّةٍ إلى (القلعة الحمراء) لتحلَّ محلَّهم).مكتبة سُر مَن قرأ

على الرَّغم من أن دَمًا وجُبنةً أبقيا على حياتها، لا يمكن القول بأن الملكة هيلينا نجَت من ذلك الغسق المشؤوم، إذ لم تأكل بعدها، أو تستحمَّ، أو تُغادِر مسكنها، ولم تعُد قادرةً على النَّظر إلى وجه ابنها مِايلور، عالمةً أنها اختارَته ليموت. لم يجد الملك من ملجأ إلَّا أخذ الصَّبي منها وتسليمه إلى أمِّهما الملكة الأرملة آليسنت لتُربِّيه كأنه ابنها. نامَ إجون وزوجته منفصلَيْن منذ ذلك الحين، وغرقَت الملكة هيلينا أعمق وأعمق في الجنون، فيما غضبَ الملك وشربَ، وازدادَ غضبًا على غضب.

موتُ التَّنانين

التنّين الأحمر والتنّين الذَّهبي

دخلَت رقصة التَّنانين مرحلةً جديدةً بعد موت لوسيرس ڤيلاريون في (أراضي العواصف) ومقتل الأمير چهيرس أمام عينَي أمِّه في (القلعة الحمراء). عند كُلٍّ من السُّود والخُضر دعَت إراقةُ الدَّم إلى إراقةِ الدَّم انتقامًا، وفي جميع أنحاء المملكة استدعى اللوردات راياتهم، واحتشدَت الجيوش وبدأت تزحف.

في (أراضي النَّهر) عبرَ مغيرون من (شجرة الغِدفان) يرفعون رايات رينيرا[20] أراضيَ آل براكن، مُحرقين المحاصيل وطاردين الأغنام والماشية وناهبين القُرى وكلَّ سِپتٍ في طريقهم (كان آل بلاكوود من أواخِر العوائل جنوب (العُنق) التي لم تزَل تتبع الآلهة القديمة).

20- في البدء رفعَ كلا المطالبيْن بالعرش الحديدي راية عائلة تارجارين ذات التنّين ثلاثي الرُّؤوس، أحمر على أسود، ولكن بنهاية عام ١٢٩ بعد الفتح كان إجون ورينيرا قد قدَّما تنويعيْن عليها لتمييز أنصارهما من خصومهما، فغيَّر الملك لون التنّين على راياته من الأحمر إلى الذَّهبي احتفاءً بحراشف تنّينه صنفاير الذَّهبيَّة البرّاقة، في حين قسمَت الملكة رمز تارجارين أربعة أقسام، في اثنين منها تنّين وفي الآخريْن رمزَي عائلة آرن وعائلة ڤيلاريون، تكريمًا للسيّدة والدتها وزوجها الأوَّل على التَّوالي. (المؤلِّف).

عندما حشدَ آل براكن قوَّةً شديدةً للرَّدِّ باغتَهم اللورد ساموِيل بلاكوود في أثناء زحفهم، وأخذَهم على حين غرَّةٍ وهُم مخيِّمون أسفل طاحونةٍ على ضفاف النَّهر. خلال القتال الذي تبعَ ذلك أُضرِمَت النِّيران في الطَّاحونة، وقاتلَ الرِّجال لساعاتٍ وماتوا مغمورين بضوء اللَّهب الأحمر. تمكَّن السير آموس براكن، الذي قادَ جيشًا من (السِّياج الحجري)، من صرعِ اللورد بلاكوود وقتلَه في مبارزةٍ فرديَّة، ليهلك بدوره عندما نفذَ سهم من خشب الويرورود من فتحة الرُّؤية بخوذته وانغرزَ عميقًا في جمجمته. يُفترَض أن ذلك السَّهم أطلقَته أخت اللورد ساموِيل البالغة من العُمر ستة عشر عامًا، أليسين التي عُرِفَت فيما بعد بلقب آلي السَّوداء، ولكن سواء أكانت هذه حقيقةً أم مجرَّد أسطورةٍ عائليَّة فلا يُمكننا أن نعرف.

مُنِيَ كلا الجانبيْن بالعديد من الخسائر الفادحة الأخرى في ما عُرِفَ بمعركة الطَّاحونة المحترقة... وعندما انكسرَ آل براكن أخيرًا وهربوا عائدين إلى أراضيهم تحت قيادة الأخ النَّغل غير الشَّقيق للسير آموس، السير رايلون ريفرز، وجدوا (السِّياج الحجري) سقطَت في غيابهم. بقيادة الأمير ديمون تارجاريَن فوق كاراكسس استولى جيش قوي مكوَّن من آل داري وآل روت وآل پايپر وآل فراي على القلعة في غياب جزءٍ عظيم من قوَّة آل براكن، فأُسِرَ اللورد همفري براكن وأولاده المتبقُّون، ومعهم زوجته الثَّالثة وخليلته النَّغلة. بدلًا من رؤيتهم يُؤذَون استسلمَ السير رايلون، ومع سحقِ آل براكن وهزيمتهم فقدَ آخِر مؤيِّدي الملك إجون في (أراضي النَّهر) شجاعتهم وألقوا سيوفهم أرضًا.

ولكن يجب ألَّا يُظَنَّ أن المجلس الأخضر توانى، فالسير أوتو هايتاور أيضًا كان مشغولًا بكسب ولاء اللوردات واستئجار المرتزِقة وتعزيز دفاعات (كينجز لاندنج) والسَّعي بكدٍّ لتحالُفاتٍ أخرى. بعد رفض

عروض سلام المايستر الأكبر أورْوايل ضاعفَ يد الملك جهوده، فأرسلَ غِدفانًا إلى (وينترفل) و(العُش) و(الميناء الأبيض) و(ريڤررن) و(جسر العلقم) و(بلدة النَّوارس) و(الجزيرة القصيَّة) ونصفمئة قلعةٍ وحصنٍ غيرها، فيما انطلقَ خيَّالة خلال اللَّيل إلى المعاقل الأقرب لاستدعاء ساداتها إلى البلاط لتقديم فروض الولاء للملك إجون. تواصلَ السير أوتو أيضًا مع (دورن) التي قاتلَ أميرها الحاكم كورين مارتل ذات مرَّةٍ ضد الأمير ديمون في (الأعتاب)، لكن الأمير كورين رفضَ عرضه، وقال: «لقد رقصَت (دورن) مع التَّنانين من قبل، وأوثرُ النَّوم مع العقارِب».

ومع ذلك كان السير أوتو يفقد ثقة مليكه، الذي عدَّ جهوده تقاعُسًا وحذره جُبنًا. يُخبِرنا السِّپتون إيوستس عن مناسبةٍ عندما دخلَ الملك إجون (بُرج اليد) ووجدَ أوتو يكتُب رسالةً أخرى، وعندئذٍ أطاحَ بدواة الحِبر في حجر جدِّه قائلًا: «العروش تُربَح بالسُّيوف لا بالرِّيش، وبإراقة الدِّماء لا الحِبر».

يُخبرنا مونكن أن سقوط (هارنهال) في يد الأمير ديمون كان صدمةً عظيمةً لجلالته، فحتى تلك اللحظة اعتقدَ إجون الثَّاني أن قضيَّة أخته غير الشَّقيقة ميؤوس منها. أشعرَ ما حدثَ في (هارنهال) جلالته بالضَّعف للمرَّة الأولى، وجاءَت الهزيمتان اللاحقتان في (الطَّاحونة المحترقة) و(السِّياج الحجري) بمثابة ضربتيْن أخريَيْن، وجعلتا الملك يُدرِك أن وضعه أخطر مما بدا سابقًا. ازدادَت هذه المخاوف مع عودة الغِدفان من (المرعى)، حيث اعتقدَ الخُضر أنهم الأقوى. كان آل هايتاور و(البلدة القديمة) يدعمون الملك إجون بقوَّة، وحظيَ جلالته بـ(الكرمة) أيضًا... ولكن في أماكن أخرى بالجنوب كان لوردات آخَرون يُعلِنون تأييدهم رينيرا، منهم اللورد كوستاين سيِّد (الأبراج الثَّلاثة) واللورد مالندور سيِّد

(النُّجود) واللورد تارلي سيِّد (هورن هيل) واللورد روان سيِّد (البُستان الذَّهبي) واللورد جريم سيِّد (التُّرس الرَّمادي).

كان أعلى هؤلاء الخونة صوتًا السير آلان بيزبوري، وريث اللورد لايمان، الذي طالبَ بالإفراج عن جدِّه من الزِّنزانة التي اعتقدَت الأكثريَّة أن أمين النَّقد السَّابق محبوس فيها. في مواجهة جعجعة حمَلة رايتهم، أعادَ كلٌّ من أمين القلعة ووكيلها وأمُّ اللورد تايرل الصَّغير الوصيَّة عليه النَّظر فجأةً في دعمهم الملك إجون، وقرَّروا أن يبقى آل تايرل على الحياد في هذا الصِّراع. يُخبرنا السِّبتون إيوستس أن إجون بدأ يُغرِق مخاوفه بالنَّبيذ القوي. أرسلَ السير أوتو رسالةً إلى ابن أخيه، اللورد أورموند هايتاور، ملتمسًا منه استخدام قوَّة (البلدة القديمة) لإخماد هذه التَّمرُّدات التي طفحَت في (المرعى).

ضربات أخرى تلَت ذلك في (الوادي) و(الميناء الأبيض) و(وينترفل). توافدَ آل بلاكوود ولوردات النَّهر على (هارنهال) منضمِّين إلى رايات الأمير ديمون، وأغلقَت أساطيل ثُعبان البحر فمَ (الخليج الأسود)، وفي كلِّ صباحٍ اشتكى التُّجَّار إلى الملك إجون، ولم يجد جلالته ردًّا على شكاواهم إلَّا كأسًا أخرى من النَّبيذ القوي، ومطالبة السير أوتو بردٍّ قائلًا: «افعل شيئًا».

أكَّد له اليد أن شيئًا يُفعَل، إذ وضعَ خطَّةً لكسر حصار ڤيلاريون. أحد الأعمدة الرَّئيسيَّة لدعم دعوى رينيرا كان قرينها، غير أن الأمير ديمون مثَّل إحدى كُبرى نقاط ضعفها أيضًا. اكتسبَ الأمير خصومًا أكثر من الأصدقاء خلال مغامراته، وقد تواصلَ السير أوتو هايتاور، الذي كان من أوائل هؤلاء الخصوم، عبر (البحر الضيِّق) مع عدوٍّ آخَر للأمير، (مملكة البنات الثَّلاث).

كان الأسطول الملكي وحده يفتقر إلى القوّة لكسر حصار ثُعبان البحر الخانق على (الحُلقوم)، وكانت مفاوضات الملك إجون مع دالتون جرايچوي سيِّد (پايك) قد فشلَت حتى الآن في ضمِّ (جُزر الحديد) إليه. على أن أساطيل (تايروش) و(مير) و(لِيس) مجتمعةً ستكون أكثر من ندٍّ لآل ڤيلاريون. أرسلَ السير أوتو إلى الماچسترات يعدهم بحقوقٍ تجاريَّة حصريَّة في (كينجز لاندنج) إذا صفَّوا (الحُلقوم) من سُفن ثُعبان البحر وفتحوا الخطوط الملاحيَّة من جديد، ولإضافة نكهةٍ إلى الطَّبخة وعدَ بمنح (الأعتاب) إلى (البنات الثَّلاث)، رغم أن العرش الحديدي لم يَحُز تلك الجُزر حقيقةً قطُّ.

غير أن الحِلف الثُّلاثي لم يكن سريع التَّحرُّك قَطُّ. نظرًا إلى عدم وجود ملكٍ حقيقي، تولَّى اتِّخاذ جميع القرارات المهمَّة في هذه «المملكة» ذات الرؤوس الثَّلاثة مجلسها الأعلى، الذي تكوَّن من أحد عشر ماچسترًا من كلِّ مدينة، وكان كلُّ رجلٍ منهم عازمًا على إظهار حكمته ودهائه وأهميَّته وكسب كلِّ أفضليَّةٍ متاحة لمدينته. وصفَ المِايستر الأكبر جرايدون، الذي كتبَ التَّاريخ الباتَّ لـ(مملكة البنات الثَّلاث) بعد خمسين عامًا، المجلس بـ«ثلاثة وثلاثين حصانًا، كلٌّ منها يسحَب في اتِّجاهه الخاص». حتى القضايا الآنيَّة مثل الحرب والسَّلام والأحلاف خضعَت لنقاشٍ لا نهاية له... ولم يكن المجلس الأعلى في حالة انعقادٍ حتى عندما وصلَ مبعوثو السير أوتو.

لم يُرضِ التأخير الملك الشاب، ونفدَ صبر إجون الثَّاني من مراوغات جدِّه. رغم أن والدته الملكة الأرملة آليسنت تحدَّثت دفاعًا عن السير أوتو، صمَّ جلالته أُذنيه عن توسُّلاتها، واستدعى السير أوتو إلى قاعة العرش وانتزعَ سلسلة المنصب من رقبته وألقى بها إلى السير كريستُن كول

قائلًا بزهو: «يدي الجديد قبضة فولاذ. فرغنا من كتابة الرَّسائل».

لم يُهدِر السير كريستُن كول وقتًا في إثبات جدارته، وقال لإجون: «ليس لك أن تتوسَّل الدَّعم من لورداتك كمتسوِّلٍ يطلب الصَّدقة، أنت ملك (وستروس) الشَّرعي، ومَن يُنكِرون ذلك خونة. آنَ الأوان ليعرفوا ثمن الخيانة».

وكان أوَّل من دفعَ الثَّمن اللوردات الأسرى في الزَّنازين تحت (القلعة الحمراء)، رجال أقسَموا ذات مرَّةٍ على الدِّفاع عن حقوق الأميرة رينيرا ولم يزالوا يرفضون بعنادٍ الخضوع لإجون. واحدًا تلو الآخَر جُرُّوا إلى ساحة القلعة حيث انتظرَهم عدالة الملك بفأسه، وأُعطيَ كلُّ رجلٍ فرصةً أخيرة ليُقسِم على الولاء لجلالته. فقط اللوردات بترويل وستوكوورث وروزبي اختاروا ذلك، أمَّا اللوردات هايفورد وميريويذر وهارت وبكلر وكازويل والليدي فِل فعدُّوا قسمهم أثمن من حياتهم، وقُطِعَت رؤوسهم تباعًا مع ثمانية فُرسان مُلَّاك أراضٍ وأربعين من الخدم والأتباع، وعُلِّقَت على خوازيق فوق بوَّابات المدينة.

أرادَ الملك إجون أيضًا الانتقام لمقتل وريثه على يد دَمٍ وجُبنة عن طريق الهجوم على (دراجونستون)، منقضًّا على الجزيرة القلعة على ظهر تنِّينه لأسرِ أخته غير الشَّقيقة «وأبنائها النُّغول» أو قتلهم. تطلَّب الأمر تدخُّل أعضاء المجلس الأخضر جميعًا ليُثنوه عن ذلك، فيما حثَّه السير كريستُن كول على اتِّباع مسارٍ مختلف، إذ قال له إن الأميرة الزَّائفة استخدمَت التَّخفِّي والخيانة لقتل الأمير چهيرس، فدعنا نفعل المِثل. «سنردُّ الصَّاع للأميرة بعُملتها الدَّامية ذاتها». الأداةُ التي اختارها قائد الحرس الملكي لأجل انتقام الملك كانت أخاه المحلَّف السير آريك كارجِل.

كان السير آريك على درايةٍ وثيقة بمقرِّ آل تارجاريَن العتيق، الذي زارَه

كثيرًا في عهد الملك ڤسيرس، والعديد من الصيَّادين ما زالوا يجوبون مياه (الخليج الأسود)، لأن (دراجونستون) اعتمدَت على البحر في غذائها، وسيكون من السَّهل على كارجِل الوصول إلى قرية الصَّيد أسفل القلعة، ومن هناك يُمكنه أن يشقَّ طريقه نحو الملكة. كان السير آريك والسير إريك توأميْن متطابقيْن في كلِّ شيءٍ كما يؤكِّد كلٌّ من مشروم والسِّپتون إيوستس، حتى إن إخوتهما في الحرس الملكي لم يستطيعوا التَّمييز بينهما. اقترحَ السير كريستُن كول أنه بمجَّرد أن يرتدي السير آريك المعطف الأبيض سيتمكَّن من التَّجوُّل بحريَّةٍ في أنحاء (دراجونستون)، وأيُّ حارسٍ قد يُصادِفه سيظنُّه أخاه بالتَّأكيد.

لم يكن السير آريك سعيدًا بقيامه بالمهمَّة، حتى إن السِّپتون إيوستس يُخبِرنا أن الفارس المضطرب زارَ سِپت (القلعة الحمراء) في ليلة إبحاره ليُصلِّي طالبًا المغفرة من (الأمِّ في الأعالي)، ومع ذلك، بصفته فارسًا في الحرس الملكي أقسمَ على طاعة الملك والقائد، لم يكن لديه حسب أصول الشَّرف خيار إلَّا أن يشقَّ طريقه إلى (دراجونستون) مرتديًا ملبس صيَّادٍ بسيطٍ ملطَّخًا بالملح.

يبقى الهدف الحقيقي من مهمَّة السير آريك مسألة خلاف. يقول المِايستر الأكبر مونكن إن كارجِل أُمِرَ بقتل رينيرا لوضع حدٍّ لتمرُّدها بضربةٍ واحدة، في حين يصرُّ مشروم أن اثنين من أبنائها كانا فريسة كارجِل، وأن إجون الثَّاني انتوى غسل دم ابنه المقتول بدم ابنَي أخته النَّغليْن، چسيرس وچوفري سترونج.

وصلَ السير آريك إلى الشَّاطئ دون عوائق، وارتدى دِرعه ومعطفه الأبيضيْن، ولم يجد صعوبةً في دخول القلعة متظاهرًا بأنه شقيقه التَّوأم، تمامًا كما خطَّط السير كريستُن كول، ولكن عميقًا في قلب (دراجونستون)،

بينما شقَّ طريقه إلى المسكن الملكي، وضعَته الأقدار وجهًا لوجهٍ مع السير إريك نفسه، الذي أدركَ على الفور ما يعنيه وجود شقيقه هناك. يُخبِرنا المغنُّون أن السير إريك قال مجرِّدًا سيفه: «أحبُّك يا أخي»، وأجابَه أخوه وهو يستلُّ حُسامه: «وأنا كذلك يا أخي».

يقول المِايستر الأكبر مونكن إن التوأميْن تنازَلا قُرابة السَّاعة. أيقظَ اصطدام الفولاذ بالفولاذ نصف بلاط الملكة، وإن لم يكن بوسع المتفرِّجين أن يفعلوا سوى الوقوف عاجزين والمشاهدة، لأن أحدًا لم يستطِع أن يُميِّز أخًا من الآخَر. في النِّهاية أصابَ كلا السير آريك والسير إريك الآخَر بجراحٍ قاتلة، وماتَ كلٌّ منهما بين ذراعَي الآخر والدُّموع تنهمر على وجناتهما.

أمَّا رواية مشروم فأقصر وأمرُّ وأعنف بالمجمل. يقول مهرِّجنا إن القتال دامَ لحظاتٍ فقط، ولم يكن هنالك أيُّ إعلانٍ عن الحُبِّ الأخوي، إذ ندَّد كلا الأخويْن كارجِل بالآخَر ونعتَه بالخائن حين اشتبَكا. وجَّه السير إريك واقفًا فوق توأمه على السَّلالم الملتفَّة أوَّل ضربةٍ مميتة، ضربةً وحشيَّة كادَت تَبتُر ذراع أخيه من الكتف، ولكن إذ انهارَ السير آريك تشبَّث بمعطف قاتِله الأبيض، وشدَّه قريبًا بما يكفي ليغرس خنجره عميقًا في بطنه. ماتَ السير آريك قبل وصول أوَّل الحرس، أمَّا السير إريك فاستغرقَ أربعة أيام ليموت متأثِّرًا بالجرح في أحشائه، صارخًا من الألم الرَّهيب ولاعنًا شقيقه الخائن طوال الوقت.

لأسبابٍ واضحة أظهرَ المغنُّون ورُواة القصص تفضيلًا واضحًا لرواية مونكن، وبذا على المِايسترات والدَّارسين الآخَرين أن يُقرِّروا بأنفُسهم أيُّ روايةٍ هي الأرجح. كلُّ ما يقوله السِّپتون إيوستس عن المسألة إن التوأميْن كارجِل قتَلا أحدهما الآخَر، وهناك يجب أن نترك الأمر.

في (كينجز لاندنج) أعدَّ وليُّ هامسي الملك إجون، لارِس سترونج الأحنف، قائمةً بجميع اللوردات الذين اجتمَعوا في (دراجونستون) لحضور تتويج الملكة رينيرا والمشاركة في مجلسها الأسود. كان مقرَّا اللورديْن سلتيجار وڤيلاريون على جزيرتيْن، ونظرًا إلى أن إجون الثَّاني لم يمتلك قوَّةً في البحر فقد كانا بعيديْن عن متناول غضبته، أمَّا اللوردات السُّود الذين وقعَت أراضيهم على البرِّ الرَّئيسي فلم يتمتَّعوا بحمايةٍ مماثلة.

بمئة فارسٍ وخمسمئة جُندي من الحامية الملكيَّة، مدعومين بثلاثة أضعافهم من المرتزِقة الأشدَّاء، زحفَ السير كريستُن على (روزبي) و(ستوكوورث) اللتين ثابَ سيِّداهما مؤخَّرًا عن إخلاصهما للملكة، وأمرَهما بإثبات ولائهما بإضافة قوَّاتهما إلى قوَّاته، وإذ عُزِّزَت أعداده زحفَ جيش كول نحو المدينة الميناء المسوَّرة (وادي الغسق)، حيث أخذَ المدافعين على حين غرَّة. نُهِبَت المدينة، وأُضرِمَت النِّيران في السُّفن بالميناء، وقُطِعَ رأس اللورد داركلين، فيما أُعطِيَ فُرسان أهل بيته ورجال حاميته الخيار بين التَّعهُّد بسيوفهم للملك إجون أو ملاقاة مصير سيِّدهم. معظمهم اختارَ الخيار الأوَّل.

كانت (استراحة الرُّخ) هدف السير كريستُن التَّالي. بعد أن حُذِّرَ مسبقًا، أغلقَ اللورد ستاونتون بوَّاباته وتحدَّى المهاجمين. من خلف أسواره لم يكن باستطاعة سيادته إلَّا مشاهدة حقوله وغاباته وقُراه تُحرَق، وأغنامه وماشيته تُذبَح، ورعيَّته يُقتَلون، وعندما بدأت المؤن تنفد داخل قلعته أرسلَ غُدافًا إلى (دراجونستون) متوسِّلًا النجدة.

وصلَ الطَّائر فيما كانت رينيرا والسُّود في حدادٍ على السير إريك ويُناقشون الرَّدَّ المناسب على هجوم «إجون الغاصِب» الأخير. رغم أن محاولة اغتيالها (أو اغتيال أبنائها) هزَّتها، ظلَّت الملكة متردِّدةً في الهجوم

على (كينجز لاندنج). يقول مونكن (الذي يجب أن يُذكَر أنه كتبَ هذا بعد عدَّة سنوات) إن هذا كان بسبب رُعبها من «قتلِ الأقربين». ميجور المتوحِّش قتلَ إجون ابن أخيه ولُعِنَ منذ ذلك الحين حتى لقِيَ حتفه على عرشه المسروق. يدَّعي السِّپتون إيوستس أن رينيرا كان لها «قلب أُمٍّ» جعلَها تتردَّد في المخاطرة بحياة أبنائها المتبقِّين. على أن مشروم وحده كان حاضرًا في هذه المجالس، ويصرُّ المهرج أن رينيرا كانت لا تزال سقيمةً من الحُزن على موت ابنها لوسيرس حتى إنها تغيَّبت عن مجلس الحرب، وأعطَت القيادة لثُعبان البحر وزوجته الأميرة رينس.

هنا تبدو رواية مشروم الأرجح، لأننا نعرف أن بعد تسعة أيامٍ من إرسال اللورد ستاونتون التماس المساعدة، سُمِعَ صوت جناحيْن جلديَّيْن عبر البحر، وظهرَت التنِّينة ميليس فوق (استراحة الرُّخ). الملكة الحمراء كان اسمها، نسبةً إلى الحراشف القرمزيَّة التي غطَّتها. كانت أغشية جناحيْها ورديَّةً، والتمعَ عُرفها وقرناها ومخالبها كالنُّحاس. وعلى ظهرها، مرتديةً درعًا من الفولاذ والنُّحاس تُومِض في الشَّمس، ركبَت رينس، الملكة التي لم تكن.

لم يتفاجأ السير كريستُن كول، فقد توقَّع يد إجون هذا، بل واعتمدَ عليه. دُقَّت الطُّبول معلنةً أمرًا، واندفعَ الرُّماة إلى الأمام، رُماة أقواسٍ طويلة ورُماة نُشَّابيَّةٍ على حدٍّ سواء، ليملأوا الهواء بالسِّهام والنِّبال، ووُجِّهَت العرَّادات إلى أعلى لتُطلق قذائف حديديَّةً من النوع الذي أسقطَ ميراكسس في (دورن) قديمًا. عانَت ميليس عدَّة إصابات، لكن السِّهام لم تُفلِح إلَّا في إغضابها. انقضَّت عليهم بالأسفل وأخذَت تنفث النِّيران يمينًا ويسارًا، واحترقَ الرِّجال فوق سروجهم إذ اشتعلَ اللَّهب في شعر خيولهم وجلدها وألجمتها، وألقى الجُند حِرابهم وتفرَّقوا. حاولَ

البعض الاحتماء خلف تروسهم، لكن لا البلُّوط ولا الحديد يُمكنهما مقاومة أنفاس تنِّين. جلسَ السير كريستُن على حصانه الأبيض يجأر عبر الدُّخان واللَّهب: «صوِّبوا نحو الرَّاكبة». زأرَت ميليس فيما تصاعدَ الدُّخان من منخريْها وركلَ فحلٌ بين فكَّيها وألسنة من النَّار تغمره.

ثم دوَّى هدير الرَّدِّ، وظهرَ جسمان مجنَّحان آخَران: الملك معتليًا صنفاير الذَّهبي، وشقيقه الأمير إيموند على متن ڤاجهار. كان كريستُن كول قد نصبَ فخَّه، وجاءَت الأميرة رينس لتبتلع الطُّعم، والآن أطبقَت عليها الأسنان. لم تُحاوِل الأميرة رينس الهرب، وبصرخة جذلٍ وفرقعةٍ من سوطها حوَّلت اتِّجاه ميليس نحو العدوِّ. لربما كانت لديها فُرصة في مواجهة ڤاجهار وحدها، لكن ضد ڤاجهار وصنفاير معًا كان الهلاك مؤكَّدًا. التقَت التَّنانين بعنفٍ على ارتفاع ألف قدمٍ فوق ميدان المعركة، وتفجَّرت كُرات من النَّار وتوهَّجت ساطعةً للغاية، حتى إن الرِّجال أقسَموا لاحقًا أن السماء امتلأت بالشُّموس. انغلقَ فكَّا ميليس القرمزيَّان حول عُنق صنفاير الذَّهبي لوهلة، حتى انقضَّت عليهما ڤاجهار من أعلى. دارَت الوحوش الثَّلاثة هاويةً نحو الأرض، واصطدمَت بها بعنفٍ لدرجة أن حجارةً تساقطَت من متاريس (استراحة الرُّخ) على بُعد نصف فرسخ.

مَن كانوا أقرب إلى التَّنانين لم يعيشوا ليحكوا ما جرى، والذين كانوا أبعد لم يستطيعوا الرُّؤية من اللَّهب والدُّخان. مضَت ساعات قبل أن تهمد النِّيران، لكن من وسط الرَّماد وحدها ڤاجهار نهضَت سليمةً، فيما هلكَت ميليس إذ حطَّمتها السَّقطة وتجندلَت ممزَّعة الأوصال على الأرض، أمَّا صنفاير، ذلك الوحش الذَّهبي البهي، فقد تمزَّق نصف جناحه، في حين أصيبَ راكبه الملكي بكسورٍ في الضُّلوع وكسرٍ في الورك

وحروقٍ غطَّت نصف جسده. ذراعه اليُسرى كانت الأسوأ حالًا، إذ اشتعلَ فيها لهب التنِّين بلظًى صهرَ درع الملك في لحمه.

في وقتٍ لاحق عُثِرَ على جُثمان اعتُقِدَ أنه لريينس تارجاريَن بجانب جُثَّة تنِّينتها، لكنه كان متفحِّمًا لدرجة أن أحدًا لم يستطِع الجزم بأنها هي فعلًا. بلا خوفٍ عاشَت الابنة الحبيبة لليدي چوسلين باراثيون والأمير إيمون تارجاريَن، الزَّوجة المخلصة للورد كورلس ڤيلاريون، الأمُّ والجدَّة، الملكة التي لم تكن، وماتَت وسط الدَّم والنَّار عن عُمر الخامسة والخمسين.

فقدَ ثمانمئة من الفُرسان والمرافقين والعامَّة حيواتهم في ذلك اليوم أيضًا، ولقيَ مئة آخَرون حتفهم بعد فترةٍ قصيرة عندما استولى السير كريستُن كول والأمير إيموند على (استراحة الرُّخ) وقتَلا حاميتها. نُقِلَ رأس اللورد ستاونتون إلى (كينجز لاندنج) وعُلِّقَ فوق (البوَّابة القديمة)... لكن رأس التنِّينة ميليس الذي سُحِبَ عبر المدينة على عربةٍ هو ما أفزعَ حشود العامَّة وأخرسَها. يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن آلافًا غادَروا (كينجز لاندنج) بعدها، حتى أمرَت الملكة الأرملة آليسنت بإغلاق بوَّابات المدينة وإزلاجها.

لم يمُت الملك إجون رغم أن حروقه سبَّبت له ألمًا ممضًّا لدرجة أن البعض يقول إنه صلَّى طالبًا الموت. عادَ جلالته إلى (كينجز لاندنج) محمولًا في هودجٍ مغلق لإخفاء إصاباته، ولم ينهض ما تبقَّى من السَّنة. صلَّى السِّپتونات لأجلِ تعافيه، وسقاه المِايسترات العقاقير وحليب الخَشخاش، وهو ما جعلَ إجون ينام تسع ساعاتٍ من كلِّ عشر، ولم يستيقظ إلَّا ليأخذ قدرًا ضئيلًا من الغذاء قبل أن ينام مرَّةً أخرى. لم يُسمَح لأحدٍ بإقلاق راحته ما عدا والدته الملكة الأرملة ويده السير كريستُن كول. أمَّا

زوجته فلم تُحاوِل زيارته حتى، إذ كانت هيلينا غارقةً في حُزنها وجنونها.

كان صنفاير تنّين الملك أضخم وأثقل من أن يُنقَل، وغير قادرٍ على الطيران بجناحه المصاب، وهكذا بقيَ في الحقول وراء (استراحة الرُّخ) زاحفًا عبر الرَّماد كما لو أنه دودة ذهبيَّة كبيرة. في الأيام الأولى أطعمَ نفسه بجُثث القتلى المحترقة، ولما نفدَت جلبَ إليه الرِّجال الذين تركَهم السير كريستُن كول لحراسته العجول والخِرفان.

أخبرَ يد الملك الأمير إيموند: «يجب أن تحكُم أنت المملكة الآن، حتى يُصبِح أخوك قويًّا كفايةً لاعتمار التَّاج مجدَّدًا». ولم يحتَج السير كريستُن إلى تكرار قوله كما كتبَ إيوستس، وهكذا اعتمرَ إيموند الأعور قاتِل الأقربين تاجَ إجون الفاتِح الحديدي المرصَّع بالياقوت، وأعلنَ الأمير: «يبدو أفضل عليَّ أكثر ممَّا بدا عليه». رغم ذلك لم يتزيَّن إيموند بلقب الملك، بل سمَّى نفسه حامي البلاد والأمير الوصيَّ فقط، وبقيَ السير كريستُن كول يد الملك.

في تلك الأثناء كانت البذور التي زرعَها چسيرس ڤيلاريون في أثناء رحلته شمالًا قد بدأت تُثمِر، والرِّجال يحتشدون في كلٍّ من (الميناء الأبيض) و(وينترفل) و(بلدة الرَّوابي) و(بلدة الأخوات) و(بلدة النَّوارس) و(بوَّابات القمر). حذَّر السير كريستُن الأمير الوصيَّ الجديد قائلًا إنه إذا ضمُّوا قوَّتهم إلى قوَّة لوردات النَّهر المحتشدين في (هارنهال) مع الأمير ديمون، فقد لا تَصمُد أسوار (كينجز لاندنج) القويَّة نفسها أمامهم.

كانت الأنباء التي وصلَت من الجنوب مشؤومةً أيضًا. ممتثلًا لمناشدة عمِّه، زحفَ اللورد أورموند هايتاور من (البلدة القديمة) بجيشٍ مكوَّنٍ من ألف فارس وألف رامٍ وثلاثة آلاف جندي وألوفٍ لا تُحصى من أتباع المعسكرات والمرتزِقة والمحاربين غير النِّظاميِّين والرِّعاع، فقط لينقضَّ

عليه السير آلان بيزبوري واللورد آلان تارلي بغتةً. رغم أنهما كانا يقودان رجالًا أقلَّ بكثير فقد أزعَجاه ليلًا ونهارًا، مغيريْن على معسكراته وقاتليْن كشّافته ومشعليْن النّار في خطِّ زحف جيشه، وفي منطقةٍ أبعد جنوبًا زحفَ اللورد كوستاين من (الأبراج الثلاثة) ليهجُم على قافلة أمتعة هايتاور. الأدهى أن تقريرًا بلغَ معاليه عن جيشٍ بحجم جيشه قادم عبر (الماندر) بقيادة ثاديوس روان سيِّد (البُستان الذَّهبي)، ومن ثمَّ قرَّر اللورد أورموند أنه لا يستطيع المواصلة دون دعم (كينجز لاندنج)، وكتبَ يقول: «نحن بحاجةٍ إلى تنانينكم».

واثقًا تمامًا بمهارته الحربيَّة وبجبروت تنِّينته ڤاجهار، تشوَّق إيموند إلى الاشتباك مع العدوِّ، إذ قال: «العاهرة في (دراجونستون) ليست الخطر، ولا حتى روان وأولئك الخونة في (المرعى). الخطر هو عمِّي. بمجرَّد أن يموت ديمون سيفرُّ كلُّ هؤلاء الحمقى الذين يرفعون راية أختنا عائدين إلى قلاعهم ولن يُزعجونا بعدها».

شرق (الخليج الأسود) كانت أوضاع رينيرا سيِّئةً أيضًا. موت ابنها لوسيرس كان ضربةً محطِّمةً لامرأةٍ حطَّمها بالفعل الحمل والمخاض والإجهاض. عندما وصل إلى (دراجونستون) خبر سقوط الأميرة رينس، تناثرَت الكلمات الغاضبة بين الملكة واللورد ڤيلاريون، الذي لامَها على موت زوجته. زعقَ ثُعبان البحر في وجه جلالتها: «كان ينبغي أن تكون أنتِ. ستاونتون أرسلَ إليكِ أنتِ، ومع ذلك تركتِ لزوجتي أن تُلبِّي النِّداء ومنعتِ ابنيكِ من الانضمام إليها». كلٌّ من في القلعة كان يعرف أن الأميريْن چايس وچوف كانا يتوقان إلى التَّحليق مع الأميرة رينس إلى (استراحة الرُّخ) بتنِّينيْهما.

يدَّعي مشروم في شهادته: «أنا فقط من أمكنَه أن يُدخِل السُّرور

في قلب جلالتها. في تلك الظُّروف الحالكة أصبحتُ مستشار الملكة، منحنِيًا صولجان المهرّجين وقبّعتهم المدبَّبة لأقدِّم لها حكمتي وتعاطُفي. ما كان يخفى على الجميع أن البهلوان هو مَن صارَ يحكمُهم، ملكًا غير مرئي في زيٍّ مهرّج».

ادِّعاءات فضفاضة هذه بالنِّسبة إلى رجلٍ ضئيل، لا يُؤكِّدها أيٌّ من مؤرِّخينا الآخَرين أو الحقائق. كانت جلالتها بعيدةً كلَّ البُعد عن الوحدة، إذ تبقى لها أبناء أربعة دعَتهم الملكة بـ«قوَّتي وعزائي». كان إجون الأصغر وڤسيرس، ابنا الأمير ديمون، في التَّاسعة والسَّابعة على التَّوالي، والأمير چوفري في الحادية عشرة فقط... لكن چسيرس، أمير (دراجونستون)، كان على أعتاب يوم ميلاده الخامس عشر.

كان چايس هو من تصدَّر الواجهة في أواخر عام 129 بعد الفتح. متذكِّرًا الوعد الذي قطعَه لعذراء (الوادي)، أمرَ چايس شقيقه الأمير چوفري بالتَّحليق إلى (بلدة النَّوارس) بتايراكسس. يقترح مونكن أن رغبة چايس في إبقاء أخيه بعيدًا عن القتال كانت لها الأولويَّة في هذا القرار، وإن لم يُرضِ هذا چوفري الذي كان عازمًا على إثبات نفسه في المعركة. فقط عندما قيلَ له إنه مرسَل من أجل الدِّفاع عن (الوادي) ضدَّ تنانين الملك إجون قبلَ أخوه بالذَّهاب على مضض. اختيرَت رِاينا، ابنة ديمون تارجاريَن ولاينا ڤيلاريون ذات الثَّلاثة عشر عامًا، لمرافقته. كانت معروفةً براِينا البنتوشيَّة نسبةً إلى المدينة التي وُلِدَت فيها، ولم تكُن راكبة تنِّين بسبب موت فرخها قبل بضع سنوات، لكنها جلبَت ثلاث بيضات تنانين معها إلى (الوادي)، حيث صلَّت كلَّ ليلةٍ من أجل أن تفقس.

أمَّا بِايلا توأمة الليدي راِينا فبقيَت في (دراجونستون). لأنها مخطوبة منذ وقتٍ طويل إلى الأمير چسيرس، رفضَت بيلا تركَه مصرَّةً أنها ستُقاتِل

بجانبه على ظهر تنّينتها... مع أن موندانسر كانت أصغر من أن تتحمَّل وزنها. رغم أن بايلا أعلنَت أيضًا نيَّتها الزَّواج بچايس فورًا، لم يُقَم حفل زفاف. يقول مونكن إن الأمير لم يرغب في الزَّواج حتى تنتهي الحرب، فيما يدَّعي مشروم أن چسيرس كان متزوِّجًا بالفعل بسارا سنو، فتاة (وينترفل) النَّغلة الغامضة.

اهتمَّ أمير (دراجونستون) أيضًا بسلامة أخويه غير الشَّقيقيْن، إجون الأصغر الذي يبلُغ التَّاسعة، وڤسيرس الذي يبلُغ السَّابعة. كان والدهما الأمير ديمون قد اكتسبَ صداقاتٍ عدَّةً في مدينة (پنتوس) الحُرَّة في أثناء زياراته العديدة إليها، لذا تواصلَ چسيرس عبر (البحر الضيِّق) مع أمير تلك المدينة، الذي وافقَ على تنشئة الولديْن حتى تُؤمِّن رينيرا العرش الحديدي. في الأيام الأخيرة من عام 129 بعد الفتح استقلَّ الأميران الصَّغيران الكوج العظيم المسمَّى (البهجة المهجورة) -إجون مع تنّينه ستورمكلاود، وأخوه ڤسيرس متشبِّثًا ببيضته- للإبحار إلى (إسوس). أرسلَ ثُعبان البحر سبعةً من سُفنه الحربيَّة معهما للحماية، للتَّأكُّد من وصولهما إلى (پنتوس) سالميْن.

سرعان ما أعادَ الأمير چسيرس سيِّد المدِّ والجَزر إلى الواجهة بتسميته يد الملكة، وبدأ هو واللورد كورلس التَّخطيط لهجومٍ على (كينجز لاندنج).

لكون صنفاير مصابًا بالقُرب من (استراحة الرُّخ) وغير قادرٍ على الطَّيران، وتساريون مع الأمير دايرون في (البلدة القديمة)، لم يتبقَّ إلَّا تنّينان بالغان للدِّفاع عن (كينجز لاندنج)... وراكبة دريمفاير، الملكة هيلينا، كانت تقضي أيامها في العتمة باكيةً، وبالتَّأكيد لن تُحسَب تهديدًا. لم يَترُك هذا إلَّا ڤاجهار فقط. لم يُوجد تنِّين حي قادر على

مكافأة ڤاجهار في الحجم أو الضَّراوة، لكن چايس ارتأى أنه إذا هجمَ ڤرماكس وسايراكس وكاراكسس على (كينجز لاندنج) فحتى «تلك الحقيرة العجوز البالية» لن تستطيع الصُّمود أمامهم.

كان مشروم أقلَّ يقينًا، ويدَّعي القزم أنه أخبرَ أمير (دراجونستون): «الثَّلاثة أكثر من الواحد، لكن الأربعة أكثر من الثلاَّثة، والستَّة أكثر من الأربعة. حتى المهرّج يعرف هذا». عندما أشار چايس إلى أن ستورمكلاود لم يُمتَط قطُّ، وموندانسر ليست إلَّا تنِّينةً صغيرةً، وتايراكسس بعيد في (الوادي) مع الأمير چوفري، وطالبَ مشروم بأن يُخبِره أين يقترح العثور على المزيد من التَّنانين، يُخبرنا القزم أنه ضحكَ وقال: «تحت الأغطية وبين أكوام الحطب، أينما نثرتم بذرتكم الفضِّيَّة يا آل تارجاريَن».

كانت سلالة تارجاريَن قد حكمَت (دراجونستون) أكثر من مئتي عام، منذ وصول اللورد إينار تارجاريَن من (ڤاليريا) بتنانينه. رغم أن تزويج الأخ بأخته وأولاد العمومة والخؤولة ببعضهم بعضًا كان عادتهم دومًا، فإن دم الشَّباب يجري حارًّا، ولقد عُرِفَ عن رجال تلك العائلة السَّعي للذَّاتهم عند بنات (وحتى زوجات) رعاياهم من العامَّة الذين عاشوا في القُرى أسفل (دراجونمونت)، حارثي الأرض وصيَّادي البحر. وبالفعل، حتى عهد الملك چهيرس اعتُمِدَ حقُّ اللَّيلة الأولى في (دراجونستون) أكثر من أيِّ مكانٍ آخَر في (الممالِك السَّبع) ربما، ولو أن من المؤكَّد أن الملكة الكريمة أليسين صُدِمَت عندما سمعَت به.

مع أن اللَّيلة الأولى كانت مستهجنةً إلى حدٍّ كبير في الأماكن الأخرى، كما علمَت الملكة أليسين في مجالسها النِّسائيَّة، كُتِمَت المشاعر المماثلة في (دراجونستون)، حيث كان آل تارجاريَن يُعتبَرون بحقٍّ أقرب إلى الآلهة

من البشر العاديِّين. هناك كانت العرائس اللواتي حظين ببَرَكةٍ كهذه في ليالي زفافهن محسودات، وقُدِّرَ الأطفال المولودون من علاقاتٍ كهذه فوق كلِّ الأطفال الآخَرين، فغالبًا ما احتفلَ سادة (دراجونستون) بمولد أطفالٍ كهؤلاء بمنحِ الأمِّ هدايا سخيَّةً من الذَّهب والحرير والأراضي. قيلَ إن النُّغول سُعداء الحظِّ هؤلاء «وُلِدوا من بذرة التنّين»، ومع الوقت أصبحوا يُعرفون ببساطةٍ بـ«البُذور». حتى بعد إلغاء حقِّ اللَّيلة الأولى استمرَّ أفراد معيَّنون من آل تارجاريَن في العبث مع بنات أصحاب الخانات وزوجات الصيَّادين، لذلك كان البُذور وأبناء البُذور كثرةً كاثرةً في (دراجونستون).

وإلى هؤلاء لجأ الأمير چسيرس بعد إلحاحٍ من مهرِّجه، واعدًا بأن يُمنَح أيُّ رجلٍ يُروِّض تنِّينًا أراضيَ وثرواتٍ ويُنصَّب فارسًا، وأن يُرقَّى أبناؤه في الرُّتب وتتزوَّج بناته بلوردات، أمَّا هو نفسه فسيحظى بشرف القتال إلى جانب أمير (دراجونستون) ضدَّ المدَّعي إجون تارجاريَن الثَّاني وأنصاره الخونة.

لم يكن كلُّ الذين تقدَّموا لتلبية نداء الأمير من البُذور، ولا حتى أبناء بُذورٍ أو أحفادهم. قدَّم عشرون من فُرسان أهل بيت الملكة أنفُسهم باعتبارهم راكبي تنانين، منهم حضرة قائد حرس الملكة، السير ستفون داركلين، ومعه مُرافقون وعُمَّال مطابخ وبحَّارة وجنود وممثِّلون وخادمتان. «زرع البُذور» هو الاسم الذي يُطلِقه مونكن على الانتصارات والمآسي التي تلَت (ناسبًا الفكرة إلى چسيرس نفسه لا مشروم)، ويُفضِّل آخَرون تسمية «البِذار الأحمر».

كان أكثر شخصٍ مستبعَد بين هؤلاء الرَّاغبين في ركوب تنانين هو مشروم نفسه، الذي تتحدَّث شهادته بإسهابٍ عن محاولته امتطاء

سيلڤروينج العجوز التي قدَّر أنها أكثر التَّنانين عديمة السَّادة انصياعًا. انتهَت واحدة من أكثر حكايات مشروم طرافةً بمشروم ذاته راكضًا عبر فِناء (دراجونستون) ومؤخِّرة سرواليه مشتعلة، ثمَّ موشكًا على الغرق حين قفز في بئرٍ لكي يُخمِد النَّار. ليس هذا مرجَّحًا بالطَّبع... لكنه يُزوِّدنا بلحظةٍ فُكاهيَّة فيما كان بخلاف ذلك عملًا مروِّعًا.

التَّنانين ليست كالخيول، فلا تتقبَّل امتطاء الناس لها بسهولة، وحين تُغضَب أو تُهدَّد فإنها تُهاجِم. يُخبرنا كتاب مونكن (قصَّة حقيقيَّة) أن ستَّة عشر رجلًا فقدوا حياتهم خلال البِذار، وثلاثة أضعاف هذا العدد أُحرِقوا أو شُوِّهوا. ستفون داركلين احترقَ حتى الموت فيما حاولَ امتطاء التنِّين سيسموك، واللورد جورمون ماسي لاقى المصير نفسه حين اقتربَ من ڤرميثور، ورجل يُدعى بدينس الفضِّي، أضفى لونا شعره وعينيه مصداقيَّةً على ادِّعائه أنه ينحدِر من نسل ابنٍ نغل لميجور المتوحِّش، انتزعَ منه شيپستيلر ذراعًا، وبينما كان أبناؤه يُجاهِدون لوقف النَّزيف انقضَّ عليهم الكانيبال طاردًا شيپستيلر، ليلتهم الأب والأبناء دون تفرقة.

على أن سيسموك وڤرميثور وسيلڤروينج كانوا معتادين البشر ومتسامحين مع وجودهم، ولأنهم رُكِبوا من قبل فقد كانوا أكثر تقبُّلًا لراكبين جُدد. حتى ڤرميثور، تنِّين الملك العجوز، عُنقه لنغلٍ حدَّاد، رجلٍ ضخم يُدعى بهيو المِطرقة أو هيو الصُّلب، فيما استطاعَ جُندي باهت الشَّعر يُدعى بأولف الأبيض (نسبةً إلى شعره) أو أولف السكِّير (نسبةً إلى شُربه النَّبيذ) امتطاء سيلڤروينج، محبوبة الملكة الكريمة أليسين. أمَّا سيسموك، الذي حملَ لِاينور ڤيلاريون سابقًا، فأخذَ على ظهره صبيًّا في سنِّ الخامسة عشر معروفًا بأدام ابن (الأبدان)، لا تزال أصوله موضع خلافٍ بين المؤرِّخين إلى يومنا هذا.

وُلِدَ أدام هذا وأخوه آلِن (الأصغر منه بعامٍ واحد) لامرأةٍ تُدعى ماريلدا، ابنة سفَّانٍ حسناء شابَّة. كان منظرها مألوفًا في أحواض بناء السُّفن التي امتلكَها أبوها، وقد عُرِفَت الفتاة أكثر بلقب الفأرة، لأنها كانت «صغيرةً وسريعةً ودائمًا بين الأقدام». كانت لا تزال في السَّادسة عشرة عندما ولدَت أدام في عام 114 بعد الفتح، وبالكاد في الثَّامنة عشرة عندما تبعَه آلِن في عام 115. كان نغلا (الأبدان) هذان صغيريْن سريعيْن كوالدتهما، وتمتَّعا بشعرٍ فضِّي وأعيُنٍ أرجوانيَّة، وسرعان ما أثبتا أن «في دمهما ملح البحر» إذ ترعرعا في حوض سُفن جدِّهما وأبحرا عامليْن على سفينةٍ قبل أن يبلغا الثَّامنة. حين كان أدام في العاشرة وآلِن في التَّاسعة ورثَت والدتهما أحواض والدها بعد موته، فباعَتها واستخدمَت النُّقود لتُبحِر هي نفسها بصفتها سيِّدةً لكوجٍ تجاري أسمَته (الفأرة). كانت ماريلدا بنت (الأبدان) تاجرةً بارعةً ورُبَّانةً جريئةً، وبحلول عام 130 بعد الفتح امتلكَت سبع سُفن، وكان ابناها النَّغلان يخدمان دائمًا على واحدةٍ أو أخرى.

لم يستطِع أيُّ أحدٍ رآهما أن يُشكِّك في أن أدام وآلِن بذرتا تنِّين، ولو أن والدتهما رفضَت بحزمٍ أن تذكُر اسم أبيهما. فقط عندما نشرَ الأمير چسيرس الدَّعوة إلى راكبي تنانين جُدد كسرَت ماريلدا صمتها مدَّعيةً أن كلا الصَّبيَّيْن ابن طبيعي للرَّاحل لِاينور ڤيلاريون.

كانا يُشبِهانه، هذا صحيح، وقد عُرِفَ السير لِاينور بارتياده أحواض بناء السُّفن من وقتٍ إلى آخَر. على الرَّغم من هذا شكَّك كثيرون على (دراجونستون) و(دريفتمارك) في صحَّة ادِّعاء ماريلدا، إذ لم يغِب عدم اهتمام لِاينور ڤيلاريون بالنِّساء عن ذاكرة النَّاس. على أن أحدًا لم يجرؤ على نعتها بالكاذبة... لأن والد لِاينور، اللورد كورلس نفسه، أحضرَ

الصَّبيَّيْن إلى الأمير چسيرس من أجل البِذار. لأنه عاشَ بعد موت أبنائه جميعًا وعانى الخيانة من أبناء إخوته وعمومته، بدا ثُعبان البحر أكثر من توَّاقٍ إلى قبول هذين الحفيدَيْن الجديديْن، وعندما امتطى أدام ابن (الأبدان) سيسموك تنّين السير لِاينور، بدا هذا إثباتًا لادّعاءات والدته.

من ثمَّ لا ينبغي أن يُفاجئنا أن المِايستر الأكبر مونكن والسِّپتون إيوستس يُؤكِّدان بحياديَّةٍ أن الصَّبيَّيْن كانا من ذُرِّيَّة السير لِاينور... لكن مشروم، كعادته، يُعارِض ذلك. يطرح المهرّج في شهادته فكرة أن والد «الفأريْن الصَّغيريْن» لم يكن ابن ثُعبان البحر، بل ثُعبان البحر نفسه. يُشير مشروم إلى أن اللورد كورلس لم يُشارِك السير لِاينور ميوله الجنسيَّة، وأن أحواض بناء السُّفن في (الأبدان) كانت بمثابة بيتٍ ثانٍ له، في حين زارَها ابنه زياراتٍ أقلَّ تكرارًا. يقول مشروم إن زوجته الأميرة رِينس اتَّسمت بالطَّبع الحامي المميّز لكثيرين من آل تارجاريَن، وإنها لم تكن لتتقبَّل بارتياحٍ إنجاب السيِّد زوجها نغليْن من فتاةٍ في نصف سنِّها، بجانب كونها ابنة سفَّان، لذا وضعَ سيادته بحذرٍ حدًّا لـ«مواعيده الغراميَّة في أحواض بناء السُّفن» مع الفأرة بعد مولد آلِن، آمرًا إياها بإبقاء الصَّبيَّيْن بعيدًا عن بلاط (دريفتمارك). فقط بعد موت الأميرة رِينس شعرَ اللورد كورلس أنه قادر أخيرًا على تقديم نغليْه بأمان.

يجب أن يُقال في هذه الحالة إن الحكاية التي يرويها مشروم تبدو أرجح من حكايتَي السِّپتون والمِايستر، ولا بُدَّ أن عديدين في بلاط الملكة رينيرا قد اشتبَهوا في الشَّيء نفسه. إن صحَّ هذا فقد أمسكوا ألسنتهم. بعد فترةٍ وجيزة من إثبات أدام ابن (الأبدان) جدارته بالتَّحليق بسيسموك، تمادى اللورد كورلس لدرجة ترجّي الملكة رينيرا أن تُزيل وصمة النُّغولة عن الصَّبي وأخيه، واستجابَت الملكة عندما ضمَّ الأمير چسيرس صوته

إلى هذا المطلب، فأصبحَ أدام ابن (الأبدان)، بذرة التنِّين والنَّغل، أدام ڤيلاريون وريث (دريفتمارك).

على أن ذلك لم يكتُب نهايةً للبِذار الأحمر. كان في الطَّريق ما هو أكثر وأسوأ، وكانت له عواقب وخيمة على (الممالك السَّبع).

كان امتطاء ثُلاثي تنانين (دراجونستون) البرِّيَّة الجامحة أصعب من التَّنانين التي عرفَت ركَّابًا سابقين، ومع ذلك جرَت محاولات لترويضها جميعًا. شيپستيلر كان تنِّينًا جليَّ القُبح ذا لونٍ «بنِّي كالطَّمي»، فقسَت بيضته عندما كان الملك العجوز لا يزال شابًّا، وقد أحبَّ أكل لحم الضَّأن، منقضًّا على قُطعان رُعاة الأغنام من (دريفتمارك) حتى (النَّهر الدَّافق). نادرًا ما آذى شيپستيلر الرُّعاة، إلَّا إذا حاولوا التَّعرُّض له، وإن عُرِفَ بالتهام كلاب حراسة الغنم من حين إلى آخر. وجراي جوست قطنَ عاليًا في فوَّهةٍ داخنةٍ على جانب (دراجونمونت) الشَّرقي مفضِّلًا أكل السَّمك، وعادةً ما لُمِحَ طائرًا على ارتفاع منخفض فوق (البحر الضيِّق)، يختطف الفرائس من المياه. كان وحشًا شاحبًا ذا لونٍ أبيض ورمادي كضَّباب الصُبح، وتنِّينًا خجولًا بشكلٍ ملحوظ، يتحاشى البشر وأعمالهم لسنواتٍ في المرَّة.

أمَّا الكانيبال فكان أضخم التَّنانين البرِّيَّة وأكبرها سنًّا، وقد سُمِّيَ بهذا لاشتهاره باقتياته على جُثث التَّنانين الميتة، وانقضاضه على مفاقِس (دراجونستون) لالتهام التَّنانين المولودة حديثًا والبيض. كان الكانيبال أسود كالفحم وذا عينين خضراوين مشؤومتين، وقد ادَّعى بعض العامَّة أنه أنشأ عرينه على (دراجونستون) قبل وصول آل تارجاريَن حتى (وجدَ المِايستر الأكبر مونكن والسِّپتون إيوستس هذه القصَّة مستبعدةً تمامًا، تمامًا كما أجدُها). حاولَ بعض الرَّاغبين في أن يكونوا مروِّضي تنانين

امتطاءه مرارًا، وقد ملأت عظامهم عرينه.

لم يكُن أيٌّ من بُذور التنّين أحمق كفايةً ليُزعِج الكانيبال (وكلٌّ من كانوا كذلك لم يعودوا ليحكوا حكاياتهم). بحثَ بعضهم عن جراي جوست لكنهم لم يجدوه، إذ كان مخلوقًا مراوغًا دومًا، فيما أثبتَ شيپستيلر أنه أسهل استدراجًا، وإن ظلَّ مع ذلك وحشًا شرسًا معتلَّ المزاج، وقد قتلَ بُذورًا أكثر ممَّا فعلَت تنانين القلعة الثَّلاثة مجتمعةً. أحد من أملوا ترويضه (بعدما خابَ مسعاه للعثور على جراي جوست) كان آلِن ابن (الأبدان)، ولم يقبله شيپستيلر. حين خرجَ آلِن مترنِّحًا من عرين التنّين ومعطفه مشتعل، لم يُنقِذه إلَّا سرعة حركة أخيه أدام، إذ طردَ سيسموك التنّين البرّي بعيدًا فيما استخدمَ أدام معطفه لإخماد النِّيران. سيحمل آلِن ڤيلاريون ندوب تلك المواجهة على ظهره وساقيه ما تبقَّى من حياته الطَّويلة، لكنه عدَّ نفسه محظوظًا إذ خرجَ حيًّا. انتهى المطاف بالعديد من البُذور والطَّامحين إلى الرُّكوب فوق ظهر شيپستيلر داخل بطنه بدلًا من ذلك.

في النِّهاية أخضعَت التنِّين البنِّي بالمكر والمثابرة «فتاةٌ سمراء صغيرة الحجم» بلغَت من العُمر ستَّة عشر عامًا، إذ جلبَت له شاةً مذبوحةً طازجةً كلَّ صباح، حتى تعلَّم شيپستيلر أن يتقبَّل وجودها ويترقَّب قدومها. يُطلِق مونكن على راكبة التنِّين المستبعَدة هذه اسم نِتِلز، ويدَّعي مشروم أن الفتاة كانت نغلةً غير معلومة النَّسب تُدعى بنِتي، أنجبَتها إحدى عاهرات الأرصفة. بأيِّ اسمٍ كانت الفتاة سوداء الشَّعر بنِّيَّة العينين سمراء البشرة نحيفةً سليطة اللِّسان، ولا تعرف الخوف... وأوَّل وآخِر من امتطى التنِّين شيپستيلر.

وهكذا حقَّق الأمير چسيرس مُبتغاه. رغم كلِّ الموت والألم اللذين سبَّبهما، والأرامل اللاتي خلَّفهن، والرِّجال المحروقين الذين حملوا ندوبهم حتى مماتهم، عُثِرَ على أربعة راكبي تنانين جُدد، ومع نهاية عام 129 بعد الفتح استعدَّ الأمير للإغارةِ على (كينجز لاندنج)، واختارَ أوَّل قمرٍ مكتمل من العام الجديد موعدًا للهجوم.

غير أن خُطط البشر ما هي إلَّا تسالي للآلهة، فبينما وضعَ چايس خُططه كان تهديد جديد يقترب من الشَّرق. دسائس أوتو هايتاور أثمرَت، إذ اجتمعَ المجلس الأعلى للحِلف الثُّلاثي في (تايروش) ووافقَ على عرضه التَّحالُف. أقلعَت تسعون سفينةً حربيَّةً من (الأعتاب) تحت رايات (البنات الثَّلاث) موجِّهةً مجاذيفها نحو (الحُلقوم)... وكما شاءَت الصُّدفة والأقدار، أبحرَ الكوج البِنتوشي (البهجة المهجورة) حاملًا أميري تارجاريَن نحو الكمَّاشة مباشرةً.

كلُّ السُّفن المرافقة التي أُرسِلَت لحماية الكوج انتهى بها المطاف غارقةً أو مستولى عليها، وأُسِرَت (البهجة المهجورة). لم يبلُغ الخبر (دراجونستون) إلَّا حين وصلَ الأمير إجون متشبِّثًا باستماتةٍ برقبة تِنِّينه

ستورمكلاود. يُخبرنا مشروم أن الصَّبي كان ممتقع الوجه من الخوف، ويرتجف كورقة شجرٍ وتفوح منه رائحة البول الكريهة. كان في التَّاسعة فقط، ولم يسبق له أن حلَّق بتنّين... ولن يفعلها ثانيةً، إذ أصيبَ ستورمكلاود بجروحٍ بليغة عندما فرَّ من (البهجة المهجورة)، عائدًا بعددٍ لا يحصى من أرُوماتِ السِّهام المغروزة في بطنه، وقذيفة عرَّادةٍ في رقبته. نفقَ التنّين في غضون ساعةٍ وهو يُهسهِس والدَّم السَّاخن يتدفَّق مسودًّا داخنًا من جراحه.

لم تكن لدى شقيق إجون الأصغر، الأمير ڤسيرس، وسيلة للفرار من الكوج. كان صبيًّا ذكيًّا، فأخفى بيضة تنّينه وارتدى ثيابًا رثَّةً ملطَّخةً بالملح، متظاهرًا بأنه ليس إلَّا صبيَّ سفينةٍ من العوام، لكن أحد صِبيان السَّفينة الفعليّين وشى به، ووقعَ في الأسر. يُدوِّن مونكن أن قبطانًا تايروشيًّا كان أوَّل من أدركَ هويَّته، لكن سُرعان ما جرَّده أميرال الأسطول شاراكو لوهار اللايسيني من غنيمته.

قسمَ الأميرال اللايسيني أسطوله لتنفيذ الهجوم، وعليه قرَّرَ أن يدخُل أحد طرفَي الكمَّاشة (الحلقوم) جنوب (دراجونستون)، والآخَر شمالها. في ساعات الصَّباح الباكر من خامس أيام عام 130 بعد فتحِ إجون نشَبت المعركة، إذ اندفعَت سُفن شاراكو الحربيَّة والشَّمس تُشرِق من خلفها. مستترةً بالوهج أخذَت العديد من قوادِس اللورد ڤيلاريون على حين غرَّة، فصدمَت بعضها واعتلى رجالها متون البعض الآخَر بالحبال والخطاطيف. تاركًا (دراجونستون) دون إزعاج، انقضَّ الأسطول الجنوبي على شواطئ (دريفتمارك) مُنزلًا الرِّجال عند (بلدة التَّوابل) ومُرسلًا سُفنًا مشتعلةً إلى المرفأ لتُضرِم النِّيران في السُّفن القادمة لمواجهته. بحلول منتصف النَّهار كانت (بلدة التَّوابل) تحترق، فيما عصفَت القوَّات المايريَّة

والتَّايروشيَّة ببوَّابات (المد العالي) ذاتها.

عندما اندفعَ الأمير جِسيرس فوق صفٍّ من القوادِس اللايسينيَّة ممتطيًا ڤرماكس، ارتفعَ وابل من الحِراب والسِّهام لملاقاته. واجهَ بحَّارة (مملكة البنات الثَّلاث) التَّنانين من قبل في أثناء حربهم ضدَّ الأمير ديمون في (الأعتاب)، ولا أحد بإمكانه أن يعيب على شجاعتهم، فقد كانوا على استعدادٍ لمواجهة لهب التنّين بما لديهم من أسلحة. أخبرَهم ربابنتهم وقادتهم: «اقتُلوا الرَّاكب وسيفرُّ التنّين». اشتعلَت النَّار في سفينة، ثمَّ تبعَتها أخرى، ولم يزَل رجال المدن الحرَّة يُقاتلون... حتى لعلعَت صيحة، ورفعوا أعيُنهم ليروا المزيد من الأجسام المجنَّحة تدور حول (دراجونمونت) وتتَّجه نحوهم.

أن تُواجِه تنّينًا واحدًا شيء، أمَّا مواجهة خمسةٍ دُفعةً واحدةً فشيء آخَر. عندما انقضَّت سيلڤروينج وشيپستيلر وسيسموك وڤرميثور عليهم أحسَّ رجال الحِلف الثُّلاثي بشجاعتهم تهجُرهم. تحطَّم صفُّ السُّفن الحربيَّة إذ شرعَت القوادِس في الابتعاد واحدًا تلو الآخَر. كرَّت التَّنانين عليهم كالصَّواعق، نافثةً كُراتٍ من النَّار، زرقاء وبرتقاليَّةً، وحمراء وذهبيَّةً، كلَّ واحدةٍ أسطع من الأخرى. سفينة تلو الأخرى تفجَّرت أو التهمَها اللَّهب، ووثبَ الرِّجال الصَّارخون في البحر مغلَّفين بالنَّار، وارتفعَت أعمدة طويلة من الدُّخان الأسود من الماء. بدا كلُّ شيءٍ ضائعًا... بل ضاعَ بالفعل...

سُرِدَ العديد من الحكايات المختلفة بعد ذلك عن كيف سقطَ التنّين ولماذا. ادَّعى البعض أن نشَّابًا غرزَ صاعقةً حديديَّةً في عينه، لكن هذه الحكاية تبدو مشابهةً بصورةٍ مريبة للطَّريقة التي لاقَت بها ميراكسس حتفها قبل زمنٍ بعيد في (دورن). وتُخبرنا حكاية أخرى أن بحَّارًا في عشٍّ

الغُراب أعلى الصّاري بقادسٍ مايري ألقى بخُطّاف فيما كان ڤرماكس ينقضُّ على الأسطول، ووجدَ أحد رؤوسه المدبَّبة حيِّزًا بين اثنتين من حراشفه، فانغرَز عميقًا بفعل سرعة التنّين الفائقة. كان البحّار قد لفَّ طرف السّلسلة حول الصَّاري، وتسبَّب ثقل السَّفينة وقوَّة جناحَي ڤرماكس في جرحٍ طويل محزَّز في بطنه، وسُمِعَت صرخة هيجان التنّين بعيدًا حتى (بلدة التَّوابل) على الرغم من صخب المعركة. وصلَ طيرانه إلى نهايةٍ عنيفة، وسقطَ ڤرماكس داخنًا صارخًا منشبًا مخالبه في المياه. قال النَّاجون إنه كافحَ لكي يرتفع، فقط ليصطدم مباشرة بقادسٍ محترق ليتشظَّى الخشب وينهار الصَّاري، وصارَ التنّين يتخبَّط مشتبكًا وسط حبال الأشرعة والصَّاري، وحين انقلبَت السَّفينة وغرقَت، غرقَ معها ڤرماكس.

يُحكى أن چسيرس ڤيلاريون قفزَ متحرِّرًا من فوق تنّينه وتشبَّث بقطعة حُطامٍ داخنة بضع لحظات، حتى بدأ بعض رُماة النُّشَّابيَّة على أقرب سفينةٍ مايريَّة يُطلِقون عليه السِّهام. تلقَّى الأمير رشقةً، ثمَّ أخرى، وجلبَ المايريُّون المزيد والمزيد من النُّشَّابيّات، وأخيرًا اخترقَ سهم رقبته، وابتلعَ البحر چايس.

احتدمَت المعركة في (الحلقوم) حتى المساء شمال (دراجونستون) وجنوبها، وما زالت تُعتبَر من أشدِّ المعارك البحريَّة دمويَّةً في التَّاريخ. كان شاركاو لوهار قد أخذَ أسطولًا مكوَّنًا من تسعين سفينةً حربيَّة مايريَّة ولايسينيَّة وتايروشيَّة من (الأعتاب)، ونجَت منها ثماني وعشرون فقط لتعود مترنِّحةً إلى الدِّيار، جميعها بأطقمٍ لايسينيَّة ما عدا ثلاث. عقب ذلك اتَّهمت أرامل (مير) و(تايروش) الأميرال بإرسال أسطولَيْهن إلى التَّهلُكة فيما امتنعَ عن إرسال أسطوله، وهو ما ساهمَ في بدء النِّزاع

الذي سيؤدِّي إلى كتابة نهاية الحِلف الثُّلاثي بعد عامين، عندما انقلبَت المدن الثَّلاث على بعضها بعضًا في حرب البنات. على أن ذلك يُعتبر خارجًا عن نِطاق هذه الحكاية.

على الرَّغم من تخطِّي المهاجِمين (دراجونستون)، بلا شكٍّ لثقتهم بأن معقل آل تارجاريَن العتيق أقوى من أن يُقتحَم، فقد تسبَّبوا في خسائر جسيمة على (دريفتمارك)، حيث نُهِبَت (بلدة التوابل) بوحشيَّة، وذُبح الرِّجال والنِّساء والأطفال في الشَّوارع وتُرِكَت جُثثهم طُعمةً للنَّوارس والجرذان والغِربان آكلة الجيف، وأُحرِقَت مبانيها. لن يُعاد بناء البلدة مجدَّدًا. حتى (المد العالي) أُحرِقَت أيضًا، والتهمَت النِّيران كلَّ الكنوز التي جاءَ بها ثُعبان البحر من الشَّرق، ولقيَ خدمه حتفهم في أثناء محاولتهم الهروب من اللَّهب. فقدَ أسطول ڤيلاريون قرابة ثُلث قوَّته وماتَ آلاف، ومع ذلك لم يكن الشُّعور بتلك الخسائر أعمق من خسارة چسيرس ڤيلاريون أمير (دراجونستون) ووريث العرش الحديدي.

بدا أن ابن رينيرا الأصغر ضاعَ أيضًا، فوسطَ ربكة المعركة لم يكن أيٌّ من النَّاجين متأكِّدًا تمامًا من السفِّينة التي كان على متنها الأمير ڤسيرس. اعتبرَه كلا الطَّرفيْن ماتَ أو غرقَ أو احترقَ أو ذُبِحَ، ورغم أن شقيقه إجون الأصغر فرَّ وعاش فقد هجرَ الصَّبيَّ كلُّ ما في نفسه من مسرَّة، إذ لم يغفر لنفسه قَطُّ وثوبه على ظهر ستورمكلاود والتَّخلِّي عن شقيقه للعدوِّ. مكتوبٌ أنه عند تهنئة ثُعبان البحر على نصره قال الرَّجل العجوز: «إذا كان هذا نصرًا فإنني أُصلِّي لكيلا أنتصر ثانيةً».

يُخبرنا مشروم عن رجليْن على جزيرة (دراجونستون) ليلتها، شربا نخب المذبحة في حانةٍ داخنة أسفل القلعة: راكبَي التَّنانين هيو المطرقة وأولف الأبيض، اللذين امتطيا ڤرميثور وسيلڤروينج في المعركة وعاشا للتَّباهي

بذلك. صرَّح هيو الصُّلب: «إننا فارسان الآن حقًّا»، فضحكَ أولف وقال: «تُفٌّ على ذلك. ينبغي أن نكون لوردَيْن».

لم تُشارِكهما الفتاة نِتلز احتفالاتهما. لقد حلَّقت مع الآخَرين، ومثلهم قاتلَت بشجاعة، وأحرقَت وقتلَت كما فعلوا، إلَّا أن وجهها كان مسودًّا من الدُّخان ومخطَّطًا بالدُّموع عند عودتها إلى (دراجونستون). أمَّا أدام ڤيلاريون، الذي كان أدام ابن (الأبدان) سابقًا، فسعى إلى ثُعبان البحر بعد المعركة، لكن ما قالاه لا يعرفه مشروم حتى.

بعد أسبوعيْن في (المرعى) وجدَ أورموند هايتاور نفسه محاصرًا بين جيشيْن. كان ثاديوس روان سيِّد (البُستان الذَّهبي) وتوم فلاورز نغل (جسر العلقم) يضغطانه من الشَّمال الشَّرقي بحشدٍ عظيم من الفُرسان، فيما ضمَّ السير آلان بيزبوري واللورد آلان تارلي واللورد أوين كوستاين قوَّاتهم لقطعِ طريق انسحابه إلى (البلدة القديمة). عندما طوَّقته جيوشهم على ضفاف (نهر البِتع) مهاجمةً المقدَّمة والمؤخِّرة في آنٍ واحد، رأى اللورد هايتاور خطوطه تنهار، وبدَت الهزيمة وشيكةً... حتى اجتاحَ ظلٌّ ميدان المعركة ودوَّى فوقهم هدير مفزع مخترقًا صوت الفولاذ على الفولاذ. ها قد أتى تنِّين.

كانت التنِّينة تساريون، الملكة الزَّرقاء ذات لونَيِ النُّحاس والكوبالت، وعلى ظهرها ركبَ أصغر أبناء الملكة آليسنت الثَّلاثة، دايرون تارجارَين ذو الخمسة عشر عامًا، مُرافق اللورد أورموند، ذلك الغُلام اللَّطيف معسول اللِّسان الذي كان أخًا في الرِّضاعة للأمير چسيرس.

عكسَ وصول الأمير دايرون وتنِّينته مسار المعركة، والآن صارَ رجال اللورد أورموند هُم مَن يُهاجمون ويَصرُخون بالشَّتائم في خصومهم فيما هربَ رجال الملكة. مع نهاية اليوم كان اللورد روان ينسحب شمالًا ببقايا

جيشه، وتوم فلاورز ميتًا ومحترقًا وسط البوص، والثُّنائي آلان أسيرًا، واللورد كوستاين يُحتضَر بجرحٍ تلقَّاه من السَّيف الأسود الذي حملَه الجَسور چون روكستون وسُمِّيَ بـ(الميتِمة). وبينما تغذَّت الذِّئاب والغِربان على جُثث الموتى، أولمَ أورموند هايتاور للأمير دايرون على لحم ثورٍ برِّي والنَّبيذ القوي، ونصَّبه فارسًا بالسَّيف الطَّويل الأسطوري (يقظة) المطرَّق من الفولاذ الڤاليري، داعيًا إياه بـ«السير دايرون الجريء»، ليردَّ الأمير بتواضُع: «إنه لمن لُطف سيِّدي أن يقول ذلك، لكن النَّصر نصرُ تساريون».

في (دراجونستون) سادَ جوٌّ من اليأس والخذلان على البلاط الأسود عندما علموا بالنَّكبة على (نهر البتع). تمادى اللورد بار إمون إلى حدِّ الاقتراح عليهم أن الوقت ربما حانَ ليركعوا لإجون الثَّاني، لكن الملكة لم تقبل ذلك إطلاقًا. وحدها الآلهة تعلم حقًّا ما في قلوب الرِّجال، وليست النِّساء أقل غرابةً. مكسورةً لفقدانها ابنًا، بدا أن رينيرا تارجاريَن وجدَت قوَّةً جديدةً بعد فقدانها الثَّاني، إذ قسَّاها موت چايس حارقًا مخاوفها وتاركًا المجال لغضبها ومقتها فقط. لم تزَل جلالتها تملك تنانين أكثر من أخيها غير الشَّقيق، وقد عزمَت على استخدامها مهما كان الثَّمن. أخبرَت المجلس الأسود أنها ستنهال على إجون وكلٍّ من يدعمه بالنَّار والموت، فإمَّا أن تقتلعه من فوق العرش الحديدي وإمَّا أن تموت وهي تُحاوِل.

عزم مماثل ترسَّخ عبر الخليج في صدر إيموند تارجاريَن، الذي يحكُم باسم أخيه إجون طريح الفِراش. مفعمًا بالازدراء نحو أخته غير الشَّقيقة، رأى إيموند الأعور تهديدًا أكبر في عمِّه الأمير ديمون والجيش العظيم الذي حشدَه في (هارنهال). استدعى الأمير حمَلة رايته ومجلسه، وأبدى لهم

نيَّته دخول المعركة ضدَّ عمِّه وتأديب لوردات (أراضي النَّهر) المتمرِّدين.

اقترحَ مهاجمة (أراضي النَّهر) من الشَّرق والغرب، وبالتَّالي سيُجبَر لوردات (الثَّالوث) على القتال على الجبهتيْن في آنٍ واحد. كان چيسون لانستر قد حشدَ جيشًا هائلًا في التِّلال الغربيَّة: ألف فارسٍ مدرَّع، وسبعة أضعافهم من الرُّماة والأجناد. فلينزل من الأراضي المرتفعة ليعبُر (الفرع الأحمر) بالنَّار والسَّيف، فيما يزحف السير كريستُن كول من (كينجز لاندنج) مصحوبًا بالأمير إيموند نفسه على متن ڤاجهار. سيلتقي الجيشان في (هارنهال) لسحقِ «خونة (الثَّالوث)» بينهما، وإذا ظهرَ عمُّه من خلف أسوار القلعة لمواجهتهم، كما يتوجَّب عليه بكلِّ تأكيد، فستتغلَّب ڤاجهار على كاراكسس ويعود الأمير إيموند إلى المدينة برأس الأمير ديمون.

لم يُؤيِّد كلُّ أعضاء المجلس الأخضر ضربة الأمير الجريئة. نالَ إيموند دعم السير كريستُن كول يد الملك والسير تايلاند لانستر، لكن المِايستر الأكبر أورْوايل حضَّه على البعث بخبرٍ إلى (ستورمز إند) لإضافة قوَّة آل باراثيون إلى قوَّته قبل المباشرة، في حين أعلنَ القضيب الحديدي، اللورد چاسپر وايلد، وجوب استدعائه اللورد هايتاور والأمير دايرون من الجنوب، بحُجَّة أن «تنِّينيْن أفضل من واحد». فضَّلت الملكة الأرملة الحذر أيضًا، حاثَّةً ابنها على الانتظار حتى يُشفى شقيقه الملك وتنِّينه صنفاير الذَّهبي لينضمَّا إلى الهجوم.

على أن مثل تلك التَّأخيرات لم يُعجِب الأمير، وقد صرَّح عن عدم حاجته إلى أخويه أو تنِّينيهما، فإجون كان مُصابًا إصاباتٍ بليغةً، ودايرون صغيرًا للغاية. أجل، كاراكسس كان وحشًا مخيفًا، ضاريًا وماكرًا ومتمرِّسًا... لكن ڤاجهار أكبر سنًّا وأشرس وتبلُغ ضعفَي حجمه. يُخبرنا

السِّپتون إيوستس أن قاتِل الأقربين كان مُصمِّمًا على أن يكون هذا النَّصر نصره، ولم تكن لديه أيُّ رغبة في مشاركة المجد مع أخويْه، أو مع أيِّ رجلٍ آخَر.

وما كان لأحدٍ أن يعترض على قراره، فإلى أن ينهض إجون الثَّاني من سريره ليحمل سيفه مرَّةً أخرى، تبقى الوصاية والحُكم لإيموند. صادقًا في عزمه، ركبَ الأمير منطلقًا من (بوَّابة الآلهة) خلال أسبوعين، على رأس جيشٍ قوامه أربعة آلاف، وأعلنَ: «مسيرة ستَّة عشر يومًا حتى (هارنهال)، وفي اليوم السَّابع عشر سنُولِم داخل قاعة هارن الأسود فيما يُحدِّق رأس عمِّي إلينا من فوق حربتي». وفي الجانب الآخَر من المملكة، امتثالًا لأمره، انصبَّ جيش چيسون لانستر سيِّد (كاسترلي روك) من التِّلال الغربيَّة، نازلًا بكلِّ قوَّته على (الفرع الأحمر) وقلب (أراضي النَّهر)، وحارمًا لوردات (الثَّالوث) أيَّ خيارٍ غير الالتفاف ومواجهته.

كان ديمون تارجاريَن محاربًا أكبر سنًّا وأكثر تمرُّسًا من الجلوس مكتوف اليدين وتركهم يُحاصِرونه وراء الأسوار، حتى إن كانت ضخمةً كأسوار (هارنهال). لم يزَل للأمير أصدقاء في (كينجز لاندنج)، وقد وصلَت إليه أخبار خُطط ابن أخيه من قبل أن ينطلق إيموند، وعندما علمَ بمغادرة الأمير إيموند والسير كريستُن كول (كينجز لاندنج)، قيلَ إن الأمير ديمون ضحكَ وقال: «أخيرًا!»، إذ توقَّع هذه اللحظة طويلًا. وهكذا حلَّق سربٌ من الغِدفان من أبراج (هارنهال) الملتوية.

على (الفرع الأحمر) وجدَ اللورد چيسون لانستر نفسه في مواجهة پيتر پاپر سيِّد (العذراء الوردية) العجوز، وتريستان ڤانس سيِّد (استراحة عابري السَّبيل). على الرَّغم من أن الغربيِّين فاقوا أعداءهم عددًا، كان لوردات النَّهر يعرفون الأرض. ثلاث مرَّاتٍ حاول رجال لانستر العبور

قسرًا، وثلاث مرَّاتٍ رُدِعوا، وفي المحاولة الأخيرة أصيبَ اللورد چيسون بجرحٍ مميت على يد المرافق الأشيب پايت ابن (الورقة الطَّويلة). (نصَّب اللورد پايبر نفسه الرَّجل فارسًا، مطلقًا عليه لقب الورقة الطَّويلة قاتِل الأسد). غير أن هجوم لانستر الرَّابع استطاعَ عبور المخاضات، وهذه المرَّة سقطَ اللورد ڤانس، قُتِلَ بيد السير إدريان تاربك الذي تولَّى قيادة الجيش الغربي. خلعَ تاربك ومئة من الفُرسان المختارين دروعهم وسبحوا عابرين النَّهر في عكس اتِّجاه التيَّار من المعركة، ثمَّ داروا وانقضُّوا على مؤخِّرة جيش اللورد ڤانس. تحطَّمت صفوف لوردات النَّهر، وانثالَ الغربيُّون عبر (الفرع الأحمر) بالآلاف.

في تلك الأثناء، دون علم اللورد چيسون المحتضر وحمَلة رايته، انقضَّت أساطيل من السُّفن الطَّويلة على سواحل أراضي لانستر بقيادة دالتون جرايچوي سيِّد (پايك). راودَه كلا الحزبيْن المطالبَيْن بالعرش ليُقاتِل في صفِّه، واتَّخذ الكراكن الأحمر قراره. لم يكن للحديديِّين أمل في اقتحام (كاسترلي روك) بمجرَّد أن أغلقَت الليدي چوهانا بوَّاباتها، لكنهم استولوا على ثلاثة أرباع السُّفن الموجودة في الميناء وأغرقوا الباقي، ثمَّ اجتاحوا أسوار (لانسپورت) لينهبوا المدينة، سالبين ثرواتٍ لا حصر لها وأكثر من ستمئة امرأةٍ وفتاة، بمن فيهن عشيقة اللورد چيسون المفضَّلة وبناته غير الشرعيَّات.

وفي مكانٍ آخَر من المملكة قادَ اللورد واليس موتون مئة فارسٍ من (بِركة العذارى) لينضمَّ إلى آل كراب شبه المجانين وآل برون من (الرَّأس المتصدِّع) وآل سلتيجار من (جزيرة المخالب)، ومعًا جدُّوا السعي عبر غابات الصَّنوبر والتِّلال التي يكتنفها الضَّباب إلى (استراحة الرُّخ)، حيث باغتَ ظهورهم المفاجئ الحامية هناك. بعد استعادة القلعة قادَ

اللورد موتون أشجع رجاله إلى حقل الرَّماد غرب القلعة، ليضع نهايةً للتنّين صنفاير.

تمكَّن قاتلو التنِّين المزعومون بسهولةٍ من إجبار الحرَّاس، الذين تُرِكوا لإطعام التنّين وخدمته وحمايته، على الفرار، لكن صنفاير نفسه أثبتَ أنه أشد مهابةً من المتوقَّع. التَّنانين كائنات خرقاء على الأرض، وقد أعجزَ جناحه الممزَّق التنِّين الذَّهبي عن الطَّيران. توقَّع المهاجمون العثور على الوحش على عتبة الموت، وبدلًا من ذلك وجدوه نائمًا، ولكن سُرعان ما أيقظَه قراعُ السُّيوف وصهيل الخيل، وأهاجَت الحربة الأولى التي أصابَته غضبه. ملطَّخًا بالوحل اللَّزج، وسط عظامِ أغنامٍ لا حصر لها، تلوَّى صنفاير والتفَّ كالثُّعبان، يجلد بذيله وينفث لهبًا ذهبيًّا تجاه مهاجميه وهو يُكافِح لكي يطير. ثلاث مرَّاتٍ ارتفعَ، وثلاث مرَّاتٍ تهاوى على الأرض. انقضَّ عليه رجال موتون بالسُّيوف والحِراب والفؤوس مسبِّبين له العديد من الجروح الفاجعة... ومع ذلك بدا أن كلَّ ضربةٍ أجَّجت غضبته أكثر، ووصلَ عدد القتلى إلى الستِّين قبل فرار النَّاجين.

كان واليس موتون سيِّد (بِركة العذارى) بين القتلى. عندما عثرَ أخوه مانفرد على جثَّته بعد أسبوعيْن، لم يكن قد تبقَّى منه إلَّا لحم متفحِّم داخل درعٍ مصهورة يعجُّ باليرقات. ومع ذلك لم يجد اللورد مانفرد في حقل الرَّماد ذاك، الممتلئ بجثامين الرِّجال الشُّجعان وجُثث المئات من الخيول المحترقة المنتفخة، أيَّ أثرٍ لتنِّين الملك إجون. اختفى صنفاير، ولا آثار من المؤكَّد أنهم كانوا ليجدوها لو أن التنِّين جرجرَ نفسه بعيدًا. على ما يبدو طارَ صنفاير الذَّهبي مجدَّدًا... أمَّا وجهته فليس بوسع أيِّ رجلٍ حيٍّ القول بها.

في تلك الأثناء أسرعَ الأمير ديمون تارجاريَن نفسه إلى الجنوب ممتطيًا

تنّينه كاراكسس. محلّقًا فوق شاطئ (عين الآلهة) الغربي، بعيدًا عن خطِّ زحف السير كريستُن، تفادى أن يُبصره جيش العدو، وعبرَ (النَّهر الأسود) ثمَّ انعطفَ شرقًا متَّبعًا مجرى النَّهر نحو (كينجز لاندنج). وفي (دراجونستون) ارتدَت رينيرا تارجارين بِزَّةً مدرَّعةً من الحراشف السَّوداء اللَّامعة، ثم امتطَت سايراكس وطارَت فيما جلدَت عاصفة ممطرة مياه (الخليج الأسود). عاليًا فوق المدينة التقَت الملكة زوجها الأمير حائمَيْن فوق (تل إجون العالي).

أثارَ مرآهما الرُّعب في شوارع المدينة أدناه، إذ لم يتأخَّر العامَّة في إدراك أن الهجوم الذي خشوه أصبح وشيكًا. كان الأمير إيموند والسير كريستُن قد جرَّدا المدينة من المدافِعين حين خرجا لاستعادة (هارنهال)... كما أخذَ قاتِل الأقربين الوحش المفزع ڤاجهار، تاركًا دريمفاير فقط وحفنةً من الأفراخ نصف البالغة للتَّصدِّي لتنانين الملكة. لم تُركَب التَّنانين الصَّغيرة قطُّ، والملكة هيلينا راكبة دريمفاير كانت امرأةً مكسورةً، وهكذا فكأن
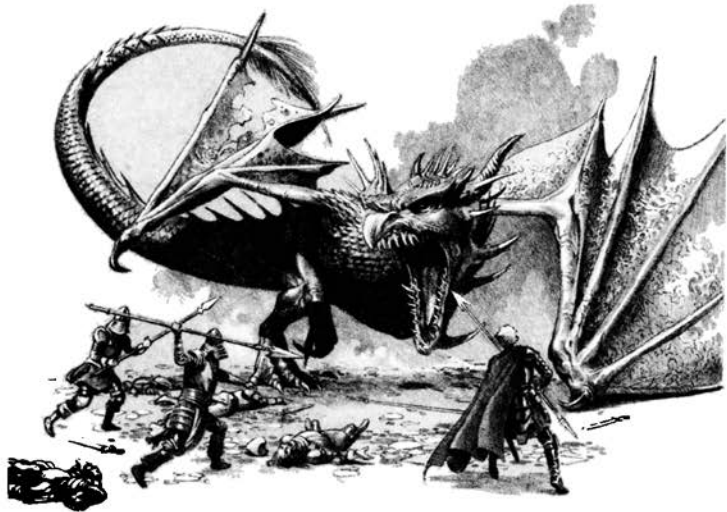
المدينة كانت بلا تنانين.

تدفَّق ألوف من السُّكَّان من بوَّابات المدينة حاملين أطفالهم وممتلكاتهم الدُّنيويَّة على ظهورهم سعيًا للأمان في الرِّيف، وحفرَ آخَرون حُفرًا وأنفاقًا تحت سقائفهم، حُفرًا مظلمةً رطبةً أملوا الاختباء فيها فيما تحترق المدينة (يُخبرنا المِايستر الأكبر مونكن أن العديد من الأروقة الخفيَّة والأقبية السرِّيَّة تحت (كينجز لاندنج) تعود إلى هذا الزَّمن). اندلعَ الشَّغب في (جُحر البراغيث)، وعندما شُوهِدَت أشرعة سُفن ثُعبان البحر شرق (الخليج الأسود) متَّجهةً نحو النَّهر، بدأت أجراس كل سِپتٍ في المدينة تُقرَع، وماجَت الشَّوارع بالغوغاء النَّاهبين أينما حلُّوا، وماتَ عشرات قبل أن يتمكَّن ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة من استعادة السَّلام.

مع غياب كُلٍّ من اللورد الحامي ويد الملك، وكون الملك إجون نفسه محترقًا طريح الفراش غارقًا في أحلام الخَشخاش، وقعَ على عاتق والدته الملكة الأرملة تولِّي دفاعات المدينة. ارتقَت الملكة آليسنت إلى التَّحدِّي، فأغلقَت بوَّابات القلعة والمدينة، وبعثَت بالمعاطِف الذَّهبيَّة إلى الأسوار، وأرسلَت خيَّالةً على أحصنةٍ سريعة للعثور على الأمير إيموند والعودة به.

علاوةً على ذلك، أمرَت المِايستر الأكبر أورْوايل بإرسال غِدفان إلى «كلِّ لورداتنا الأوفياء»، لاستدعائهم للدِّفاع عن ملكهم الحقيقي، لكن عندما أسرعَ أورْوايل إلى مسكنه وجدَ أربعةً من المعاطِف الذَّهبيَّة في انتظاره. كتمَ أحدهم صرخاته فيما ضرَبه الآخرون وقيَّدوه، ثم غُطِّيَ رأس المِايستر الأكبر بجوالٍ وأُنزِلَ مخفورًا إلى الزَّنازين السَّوداء.

لم يتجاوَز خيَّالة الملكة آليسنت البوَّابات، حيث وضعَهم المزيد من ذوي المعاطِف الذَّهبيَّة رهن الاعتقال. دون عِلم جلالتها سُجِنَ سبعة القادة المشرفون على البوَّابات وقُتِلوا، أولئك الذين اختيروا لولائهم

للملك إجون. حدثَ ذلك فور ظهور كاراكسس في السَّماء فوق (القلعة الحمراء)... إذ لم يزَل بين صفوف حرس المدينة ورُتبهم مَن أحبُّوا ديمون تارجاريَن، أمير المدينة الذي كان قائدهم قديمًا.

هرعَ السير جواين هايتاور، شقيق الملكة آليسنت ونائب قائد المعاطِف الذَّهبيَّة، إلى الاسطبلات معتزمًا إطلاق الإنذار، فقُبِضَ عليه وجُرِّدَ من سلاحه وجُرَّ إلى قائده لوثر لارجنت. حين دعاه هايتاور بالمارِق ضحكَ السير لوثر وقال: «ديمون أعطانا هذه المعاطف، وهي ذهبيَّة كيفما قلبتَها»، ثمَّ غرزَ سيفه في بطن السير جواين وأمرَ بفتح بوَّابات المدينة للرِّجال المتدفِّقين من سُفن ثُعبان البحر.

على الرَّغم من قوَّة أسوارها الشَّامخة سقطَت (كينجز لاندنج) في أقلِّ من يومٍ واحد. عند (بوَّابة النَّهر) نشبَ قتال دموي قصير عندما أجلى ثلاثة عشر فارسًا ومئة من الجنود المعاطِف الذَّهبيَّة وصمدوا ثمانيَ ساعات تقريبًا ضدَّ هجماتٍ من داخل المدينة وخارجها، لكن أعمالهم البطوليَّة تلك ذهبت هباءً إذ تدفَّق جنود رينيرا عبر البوَّابات السِّت الأخرى دون أيِّ مقاومة. خارَت عزيمة ثلَّة المقاومين لمرأى تنانين رينيرا تسود السَّماء، واختبأ بقيَّة الموالين للملك إجون أو هربوا أو ركعوا.

هبطَ سرب التَّنانين واحدًا تلو الآخَر. نزلَ شيپستيلر فوق قمَّة (تل ڤيزينيا)، وحطَّ ڤرميثور وسيلڤروينج فوق (تل رينس) خارج (جُب التَّنانين)، ودارَ الأمير ديمون حول أبراج (القلعة الحمراء) قبل أن ينزل بكاراكسس في الفِناء الخارجي، وفقط حين تيقَّن أن المدافعين لن يُصيبوه بأيِّ ضررٍ أعطى الإشارة لزوجته الملكة بالهبوط بسايراكس. استمرَّ أدام ڤيلاريون في الطَّيران ممتطيًا سيسموك حول أسوار المدينة، خفقان جناحَي تنِّينه الجلديَّيْن العريضيْن بمثابة إنذارٍ لمن بالأسفل بأن أيَّ تحدٍّ منهم سيُواجَه باللَّهب.

عندما رأت المقاومة ميؤوسًا منها، خرجَت الملكة الأرملة آليسنت من (حصن ميجور) مع والدها السير أوتو هايتاور والسير تايلاند لانستر والقضيب الحديدي اللورد چاسپر وايلد (لم يكن اللورد لارِس سترونج معهم، إذ ابتدعَ وليُّ الهامسين وسيلةً ما ليختفي). يُخبرنا السِّپتون إيوستس، الذي شهدَ ما تبعَ ذلك، أن الملكة آليسنت حاولَت التَّفاوُض مع ابنة زوجها قائلةً: «فلندعُ معًا إلى مجلسٍ عظيم كما فعلَ الملك العجوز في الأيَّام الخوالي، ونطرح أمر الخلافة على لوردات البلاد»، لكن الملكة رينيرا رفضَت الاقتراح بازدراء، وسألَتها: «أتحسبينني مشروم؟»، ثم أردفَت: «كلتانا تعلم كيف سيَحكُم هذا المجلس»، ثمَّ طلبَت من زوجة أبيها الاختيار: إمَّا الخضوع وإمَّا الاحتراق.

حانيةً رأسها مهزومةً، سلَّمت الملكة آليسنت مفاتيح القلعة وأمرَت فُرسانها وجنودها بإلقاء سيوفهم، ويُفاد بأنها قالت: «المدينة لكِ أيتها الأميرة، لكنكِ لن تحتفظي بها طويلًا. الجرذان تلهو في غياب القِطِّ، لكن ابني إيموند سيعود بالنَّار والدَّم».

وجدَ رجال رينيرا زوجة منافسها، الملكة المجنونة هيلينا، محبوسةً داخل غُرفة نومها... لكن عندما حطَّموا أبواب مسكن الملك عثروا فقط على «سريره الفارغ ووعاء فضلاته الممتلئ». اتَّضح أن إجون الثَّاني هربَ، وكذلك طفلاه، الأميرة چهيرا ذات السِّت سنوات والأمير مِايلور ذو السَّنتين، برفقة فارسَي الحرس الملكي ويليس فِل وريكارد ثورن. ولا حتى الملكة الأرملة بدا أنها تعرف أين اختفوا، وأقسمَ لوثر لارجنت أن أحدًا لم يمرَّ من بوَّابات المدينة.

على أن تهريب العرش الحديدي كان مستحيلًا، وأبَت الملكة رينيرا النَّوم حتى تعتلي مقعد أبيها. وهكذا أوقِدَت المشاعل في قاعة العرش، وتسلَّقت الملكة الدَّرجات الحديد وجلسَت حيث جلسَ الملك ڤسيرس

من قبلها، والملك العجوز من قبله، وميجور وإينس وإجون التنِّين من قديم. صارمة الوجه ولم تزَل مرتدية درعها، جلسَت عاليًا فيما أُحضِرَ كلُّ رجلٍ وامرأةٍ بـ(القلعة الحمراء) وأُجبِروا على الرُّكوع لها ليطلبوا العفو ويتعهَّدوا بحياتهم وسيوفهم وشرفهم لها ملكةً عليهم.

يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن المراسم استمرَّت تلك الليلة بطولها، وكان وقت طويل قد مرَّ على طلوع الفجر عندما نهضَت رينيرا تارجاريَن ونزلَت. كتبَ إيوستس: «وحين رافقَها السيِّد زوجها الأمير ديمون إلى خارج القاعة، لُوحِظَت جروح في ساقَي جلالتها وكفِّ يدها اليُسرى، وتساقطَت قطرات الدَّم على الأرض وهي تمرُّ. تبادلَ الحُكماء النَّظرات، ولو أن أحدًامنهم لم يجرؤ البتَّة على المجاهرةبالحقيقة. لقد رفضَها العرش الحديدي، وأيَّامها عليه معدودة».

موتُ التَّنانين

رينيرا منتصرةً

فيما خضعَت (كينجز لاندنج) لرينيرا تارجاريَن وتنانينها، كان الأمير إيموند والسير كريستُن كول يتقدَّمان من (هارنهال)، في حين انطلقَ جيش لانستر تحت قيادة إدريان تاربك شرقًا.

عند (بهو البلُّوط) أعيق الغربيُّون لفترةٍ وجيزة حين انطلقَ اللورد جوزث سمولوود لينضمَّ إلى اللورد پايپر وفلول جيشه المكسور، لكن پايپر ماتَ في المعركة التي تلَت (يقول مشروم إن الرَّجل انهارَ إذ انفطرَ قلبه لمرأى رأس حفيده الأثير على حربة)، وانسحبَ سمولوود إلى قلعته. بعد ثلاثة أيَّام قامَت معركة ثانية، حين عادَ رجال النَّهر يحتشدون تحت قيادة فارسٍ جوَّال يُدعى بالسير هاري پني، وسُرعان ما ماتَ هذا البطل المستبعَد فيما صرعَ إدريان تاربك. مرَّةً أخرى انتصَر آل لانستر حاصدين رجال النَّهر في أثناء هروبهم، وعندما استأنفَ الجيش الغربي زحفه نحو (هارنهال) كان تحت قيادة اللورد همفري ليفورد المسن، الذي عانى جراحًا عديدةً أقعدَته ليقود جيشه من فوق محفَّة.

لم يتصوَّر اللورد ليفورد أنه سيُواجِه اختبارًا أقسى قريبًا، ذلك أن جيشًا من أعداءٍ جُدد كان يتقدَّم من الشَّمال؛ ألفَي رجلٍ شمالي ضارٍ يرفعون رايات رينيرا المقسَّمة أربعًا. على رأسهم ركبَ سيِّد (بلدة الرَّوابي)، روديك داستن، وهو مُحارب مبيضُّ الشَّعر هرِم لدرجة أن الرِّجال لقَّبوه برودي الخراب. تألَّف جيشه من شيبٍ مُسنِّين يرتدون الدُّروع القديمة والجلود الرثَّة، كل فردٍ منهم مُحارب محنَّك، وكل منهم على ظهر حصان، وقد أطلقوا على أنفسهم اسم ذئاب الشِّتاء. عندما خرجَت الليدي سابيثا فراي لتُحيِّيهم عند (التَّوأمتين)، أعلنَ اللورد روديك: «قدمنا لنموت في سبيل ملكة التَّنانين».

في تلك الأثناء أبطأت الطُّرق الموحِلة والعواصف المطيرة تقدُّم مسيرة إيموند، إذ تكوَّن أكثر جيشه من المشاة وتبعَته قافلة أمتعةٍ طويلة، فيما خاضَت طليعة السير كريستُن معركةً قصيرةً ضاريةً على شاطئ البُحيرة، انتصرَت فيها على السير أوزوالد وُود واللورديْن داري وروت، لكنها لم تُواجِه أيَّ معارضةٍ أخرى. بعد زحفٍ دامَ تسعة عشر يومًا بلغوا أطلال (هارنهال)... ووجدوا بوَّابات القلعة مفتوحةً، ولا أثر للأمير ديمون وحشوده.

أبقى الأمير إيموند ڤاجهار مع الرَّتل الرَّئيسي طوال الزَّحف، لظنِّه أن عمَّه قد يُحاوِل مهاجمتهم ممتطيًا كاراكسس. وصلَ الأمير إلى (هارنهال) بعد يومٍ من كول، واحتفلَ في تلك اللَّيلة بانتصارهم العظيم. أعلنَ إيموند أن ديمون و«حُثالته النَّهريِّين» فرُّوا بدلًا من مواجهة حنقه، فلا غرو إذًا أن الأمير شعرَ أنه مغفَّل كبير عندما بلغَه خبر سقوط (كينجز لاندنج)، ولكم كانت غضبته مثيرةً للذُّعر.

كان السير سيمون سترونج أوَّل من كابدَ العواقب. لم يكنَّ الأمير

أيَّ وُدٍّ لأمثالِه، وأقنعَته العجلة التي سلَّم بها أمين القلعة (هارنهال) إلى الأمير ديمون بأن العجوز خائن. احتجَّ السير سيمون مبرِّئًا نفسه ومصرًّا أنه خادم وفيٌّ ومخلص للتَّاج، وذكَّر الأمير الوصيَّ بأن ابن أخيه العظيم، لارِس سترونج، هو سيِّد (هارنهال) ووليُّ هامسي الملك إجون. ألهبَت تلك الإنكارات شكوك إيموند لا أكثر، وقرَّر أن الأحنف خائن أيضًا، وإلَّا فكيف علمَ ديمون ورينيرا أن (كينجز لاندنج) في أضعف حالاتها؟ شخصٌ ما في المجلس الصَّغير أعلمَهما... ثمَّ إن لارِس الأحنف شقيق مُحطِّم العظام، وعليه فهو عمٌّ لنُغول رينيرا.

أمرَ إيموند بإعطاء السير سيمون سيفًا، وقال: «دَع الآلهة تُحدِّد صِدق كلامك، فإذا كنت بريئًا حقًّا فسيمنحك (المحارب) القوَّة للإطاحة بي». تتَّفق الرِّوايات جميعًا على أن المبارزة التي تلَت ذلك كانت أحاديَّة الطَّرف تمامًا، إذ مزَّق الأميرُ العجوزَ إلى أشلاء وأطعمَ جثَّته لڤاجهار. حتى أحفاد السير سيمون لم يعيشوا بعده طويلًا، فواحدًا تلو الآخَر جُرَّ كلُّ رجلٍ وصبيٍّ جرَت دماء آل سترونج في عروقه وقُتِلَ، حتى بلغَ ارتفاع كومة رؤوسهم ثلاثة أقدام.

وهكذا وصلَت زهرةُ عائلة سترونج، سُلالة عريقة من المحاربين النُّبلاء تفاخرَت بتحدُّرها من نسل البشر الأوائل، إلى نهايةٍ وخيمة في باحة (هارنهال). لم يُرحَم أيُّ فردٍ أصيل النَّسب من آل سترونج، ولا حتى النُّغول، خلا... للغرابة... آليس ريڤرز. رغم أن المرضعة بلغَت ضِعفَي سنِّ الأمير إيموند (ثلاثة أضعافها إذا وثقنا بكلام مشروم)، فقد أخذَها إلى فِراشه كغنيمة حربٍ بُعَيد الاستيلاء على (هارنهال)، مفضِّلًا إياها على ما يبدو على جميع نسوة القلعة الأخريات، بمَن في ذلك العديد من الصَّبايا الحِسان اللاتي ناهزنَه في السِّن.

تواصلَ القتال في (أراضي النَّهر) غرب (هارنهال) إذ كافحَ جيش لانستر ليتقدَّم. أحالَت شيخوخة قائده اللورد ليفورد وإصاباته زحْف الجيش إلى دبيب، لكن عندما اقتربَ من شواطئ (عين الآلهة) الغربيَّة وجدَ جيشًا جديدًا ضخمًا يعترِض سبيله.

انضمَّ رودي الخراب وذِئابه الشَّتويُّون إلى اللورد فورست فراي سيِّد (المعبر) وروب ريفرز الأحمر المعروف بلقب نشَّاب (شجرة الغِدفان). بلغَ عدد الشَّماليِّين ألفَي رجل، فيما قادَ فراي مئتَي فارسٍ وثلاثة أضعافهم من المشاة، وجلبَ ريفرز ثلاثمئةً من الرُّماة إلى المعمعة. وما كادَ اللورد ليفورد يتوقَّف لمواجهة العدوِّ أمامه حتى ظهرَ المزيد من الأعداء من الجنوب، حيث انضمَّ إلى الورقةِ الطَّويلة قاتِل الأسد وفرقةٍ من كُناسة النَّاجين من المعارك السَّابقة اللورداتُ بيجلستون وتشِمبرز ويرين.

محاصرًا بين هذين الخصميْن، تردَّد ليفورد في التَّحرُّك ضد أيِّهما خشية أن يكرَّ الآخَر على مؤخِّرة جيشه، وبدلًا من ذلك أولى بُحيرة (عين الآلهة) ظهره وحفرَ خنادق وأرسلَ غِدفانًا إلى الأمير إيموند في (هارنهال) متوسِّلًا عونه. رغم أن دستةً من الطُّيور طارَت، لم يَبلُغ ولو واحد منها الأمير، ذلك أن روب ريفرز الأحمر، الذي قيلَ إنه أبرع نشَّابٍ في (وستروس) كلِّها، أسقطَها في الجوِّ.

ظهرَ المزيد من رجال النَّهر في اليوم التَّالي، يقودهم السير جاريبالد جراي واللورد چون تشارلتون وسيِّد (شجرة الغِدفان) الجديد، بنچيكوت بلاكوود البالغ من العُمر أحد عشر عامًا. بازديادِ أعدادهم بهؤلاء الجنود الجُدد، اتَّفق رجال الملكة أن وقت الهجوم قد حانَ، وقال رودي الخراب: «الأفضل أن نُجهِز على هذه الأُسود قبل أن تأتي التَّنانين».

مع شروق شمس اليوم التَّالي اندلَعت أشدُّ المعارك البرِّيَّة دمويَّةً في

حرب رقصة التِّنانين. في سجلَّات (القلعة) عُرِفَت بـ«معركة شاطئ البُحيرة»، لكن عند أولئك الذين عاشوا ليحكوا عنها حمَلَت دومًا اسم «طُعمة الأسماك».

هُوجِمَ رجال الغرب من ثلاثة جوانب، ودُفِعوا خطوةً خطوةً نحو مياه (عين الآلهة). ماتَ مئات هناك، لقوا حتفهم وهُم يُقاتِلون وسط أحراج البوص، وغرقَ مئات آخَرون وهُم يُحاوِلون الهرب. بحلول الظَّلام كان عدد القتلى ألفَي رجل، منهم عدَّة أعيان تضمَّنوا اللورد فراي واللورد ليفورد واللورد بيجلستون واللورد تشارلتون واللورد سويفت واللورد راين، وكذا السير كلارنت كراكهول والسير إموري هِل نغل (لانسپورت). حُطِّمَ جيش لانستر وذُبِحَ، ولكن بتكلفةٍ باهظة انتحبَ لها بِن بلاكوود الصَّغير، سيِّد (شجرة الغِدفان) الصَّبي، عندما رأى أكوام جُثث القتلى. أفدح الخسائر تكبَّدها الشَّماليُّون، فقد توسَّل ذِئاب الشِّتاء شرف قيادة الهجوم، وانقضُّوا خمس مرَّاتٍ على صفوف حِراب جيش لانستر. أكثرُ من ثُلثَي الرِّجال الذين ركبوا جنوبًا مع اللورد داستن انتهى بهم المطاف موتى أو جرحى.

تواصلَ القتال في بقاعٍ أخرى من البلاد أيضًا، وإن كانت تلك الصِّدامات أصغر من المعركة العظيمة عند (عين الآلهة). في (المرعى) تابعَ اللورد هايتاور وربيبه الأمير دايرون الجريء الانتصارات بإجبارهما آل روان سادة (البُستان الذَّهبي) وآل أوكهارت سادة (السِّنديانة القديمة) ولوردات (جُزر التُّروس) على الاستسلام، إذ لم يجرؤ أحدهم على مواجهة الملكة الزَّرقاء تساريون. استدعى اللورد بوروس باراثيون راياته وحشدَ ما قاربَ السِّتَّة آلاف رجلٍ عند (ستورمز إند) بنيَّةٍ معلنة للزَّحف على (كينجز لاندنج)... فقط ليقودهم إلى الجبال جنوبًا بدلًا من

ذلك. اتَّخذ سيادته التَّوغُّلات الدورنيَّة في (أراضي العواصف) ذريعةً ليُبرِّر ذلك، لكن كُثرًا سُمِعوا يتهامَسون بأن التَّنانين من أمامه لا الدورنيِّين من ورائه هي ما دفعَته إلى تغيير موقفه. وفي (بحر الغروب) انقضَّت سُفن الكراكن الأحمر الطَّويلة على (الجزيرة القصيَّة)، تجتاحُها من جميع أطرافها فيما احتمى اللورد فارمان خلف أسوار قلعته باعثًا بتوسُّلات نجدةٍ لم تأتِ قَطُّ.

في (هارنهال) تشاورَ إيموند تارجاريَن وكريستُن كول حول أفضل ردٍّ ممكن على هجمات الملكة. على الرَّغم من أن معقل هارن الأسود أقوى من أن يُقتحَم، وأن أيًّا من لوردات النَّهر لم يتجاسَر على حصار القلعة خوفًا من ڤاجهار، كان طعام رجال الملك وعلفهم يتضاءَل، وخسروا الرِّجال والخيل إذ تناهشَهم الجوع والمرض. لم يتبقَّ إلَّا الحقول المسودَّة والقُرى المحروقة على مرمى البصر من أسوار القلعة الهائلة، ومَن جازَفوا بالتوغُّل بعيدًا بحثًا عن الطَّعام لم يرجعوا. حثَّ السير كريستُن على الانسحاب جنوبًا حيث أقوى الموالين لإجون، إلَّا أن الأمير رفضَ قائلًا: «الجبان فقط يفرُّ من الخونة». كان سقوط (كينجز لاندنج) والعرش الحديدي قد ميَّزه غيظًا، وحين بلغَ خبر طُعمة الأسماك (هارنهال) كادَ اللورد الحامي يخنق المرافق الذي أبلغَه، ووحدها شفاعة شريكة فِراشه آليس ريڤرز أنقذَت حياة الصَّبي. فضَّل الأمير إيموند الهجوم فورًا على (كينجز لاندنج)، مصرًّا أنه ليس بين تنانين الملكة نِدٌّ لڤاجهار.

وصفَ السير كريستُن كول ذلك بالحماقة، وأعلنَ: «واحد ضدَّ ستَّة قتالٌ للأغبياء يا أميري»، وحثَّه مجدَّدًا على الزَّحف جنوبًا وضمِّ قوَّاتهما إلى قوَّات اللورد هايتاور، حيث يُمكن أن يلتمَّ شمل الأمير إيموند وشقيقه دايرون وتنِّينته. كانا يعلمان أن الملك إجون فرَّ من قبضة رينيرا،

وبالتَّأكيد سيمتطي صنفاير وينضمَّ إلى أخويْه، وقد يستطيع أصدقاؤهما في المدينة العثور على طريقةٍ لتهريب الملكة هيلينا كذلك، لتأخذ دريمفاير إلى المعركة. قد تنجح أربعة تنانين في التَّغلُّب على ستَّةٍ إذا كانت ڤاجهار واحدةً من الأربعة.

رفضَ الأمير إيموند أخذ هذا «السُّلوك الجبان» بعين الاعتبار. بصفته وصيًّا على شقيقه، لربما أمرَ اليد بطاعتِه، لكنه لم يفعل. يعزو مونكن هذا إلى احترامه الرَّجل الأكبر سِنًّا، فيما يُشير مشروم إلى أن الرَّجلين غدوَا مُتنافسيْن على محبَّة المرضعة آليس ريڤرز، التي استخدمَت عقاقير وأشربة الحُبِّ لتأجيج عواطفهما. يتَّفق السِّپتون إيوستس مع جزءٍ من كلام القزم، لكنه يقول إن إيموند وحده كان مسحورًا بتلك المرأة ريڤرز لدرجة أنه لم يتحمَّل فكرة فراقها.

مهما كان السَّبب، قرَّر السير كريستُن والأمير إيموند الانفصال. سيتولَّى كول قيادة جيشهما ويزحف به جنوبًا لينضمَّ إلى قوَّات أورموند هايتاور والأمير دايرون، لكن الأمير الوصيَّ لن يُرافِقه، فبدلًا عن ذلك انتوى أن يخوض حربه الخاصَّة ممطرًا النِّيران على الخونة من السَّماء. عاجلًا أم آجلًا ستُرسِل «الملكة الحقيرة» تنِّينًا أو اثنين لردعه، وستُدمِّرهما ڤاجهار. أصرَّ إيموند قائلًا: «لن تجرؤ على إرسال تنانينها كلِّها. سيَترُك ذلك (كينجز لاندنج) مكشوفةً ضعيفةً. لن تُخاطِر بسايراكس أو ابنها العذب الأخير. قد تدعو رينيرا نفسها بالملكة، لكن لها أعضاء امرأةٍ وقلب النِّساء الرَّقيق ومخاوف أمٍّ».

وهكذا افترقَ صانِع الملك وقاتِل الأقربين، كلٌّ منهما إلى مصيره، فيما بدأت الملكة رينيرا تارجاريَن في (القلعة الحمراء) تُكافئ أصدقاءها وتُنزِل عقوباتٍ عنيفةً بمَن خدموا أخاها غير الشَّقيق. كُرِّمَ السير لوثر لارجنت

قائد المعاطِف الذَّهبيَّة، ونُصِّبَ السير لورنت ماربراند قائدًا لحرس الملكة وكُلِّفَ بالعثور على ستَّة فُرسان مؤهَّلين ليخدموا بجانبه. سُجِنَ المِايستر الأكبر أورْوايل في الزّنازين، وكتبَت جلالتها إلى (القلعة) أن «خادمها المخلص» جيراردس أصبحَ من الآن فصاعدًا «المِايستر الأكبر الحقيقي الوحيد». محرَّرين من الزّنازين ذاتها التي ابتلعَت أورْوايل، كوفئَ النَّاجون من لوردات وفُرسان الحِزب الأسود بالأراضي والمناصب والأوسمة.

رُصِدَت مكافآت ضخمة لمن يُدلي بمعلوماتٍ تؤدّي إلى القبض على «الغاصِب الذي يُسمّي نفسه إجون الثَّاني»، وابنته چهيرا وابنه مِايلور، و«الفارسيْن الزّائفيْن» ويليس فِل وريكارد ثورن، والأحنف لارِس سترونج. عندما فشلَ ذلك في تحقيق النَّتيجة المرجوَّة، أرسلَت جلالتها فِرق صيدٍ من «فُرسان التَّحقيق» ليبحثوا عن «الخونة والأشرار» الذين أفلتوا من قبضتها، ومعاقبة أيِّ أحدٍ يتبيَّن أنه ساعدَهم.

قيَّدَت الملكة آليسنت من المعصميْن والكاحليْن بسلاسل ذهبيَّة، وإن عفَت ابنة زوجها عن حياتها «من أجل والدنا الذي أحبَّكِ سابقًا». أمَّا والد آليسنت فكان أسوأ حظًّا، وكان السير أوتو هايتاور، الذي خدمَ ثلاثة ملوكٍ يدًا، أوَّل من قُطِعَ رأسه. تبعَه إلى قُرمة الإعدام القضيب الحديدي الذي ظلَّ مصرًّا أن ابن الملك يجب أن يسبق ابنته قانونًا، وسُلِّمَ السير تايلاند لانستر إلى المعذِّبين بدلَ إعدامه، على أمل استرداد بعضٍ من أموال خزانة التَّاج.

حاولَ اللوردان روزبي وستوكوورث، اللذان بدَّلا ولاءهما من الأسود إلى الأخضر تجنُّبًا للزّنازين، العودة إلى الحِزب الأسود مرَّةً أخرى، لكن الملكة أعلنَت أن الأصدقاء غير الأوفياء أسوأ من الأعداء، وأمرَت بقطع «لسانيهما الكاذبيْن» قبل إعدامهما. على أن موتهما تركَ لها مشكلةً

مزعجةً تخصُّ الوراثة، إذ تصادفَ أن كلا «الصَّديقيْن غير الوفيَّيْن» تركَ وراءه ابنةً: بنت روزبي كانت تبلُغ الثَّانية عشرة، وبنت ستوكوورث طفلة في السَّادسة. اقترحَ الأمير ديمون أن تتزوَّج الأولى بهيو الصُّلب ابن الحدَّاد (الذي بدأ يسمِّي نفسه هيو هامر)، والثَّانية بأولف السكِّير (الآن اسمه أولف وايت فقط)، للحفاظ على أراضيهما تابعةً للحِزب الأسود، وفي الآن نفسه منحِ مكافأةٍ مناسبة للبذرتيْن على بسالتهما في المعركة.

لكن يد الملكة جادلَ ضدَّ هذا، لأن لكلتا الفتاتيْن أخًا أصغر. أصرَّ ثُعبان البحر أن مطالبة رينيرا بالعرش الحديدي حالةٌ خاصَّة، لأن والدها سمَّاها وريثته، أمَّا اللوردان روزبي وستوكوورث فلم يفعلا شيئًا كهذا. سيُؤدِّي حرمان ابنيْهما الميراث لصالح بنتيْهما إلى إسقاط قرونٍ من القوانين والسَّوابق، والتَّشكيك بحقوق عشراتٍ من اللوردات الآخَرين في جميع أنحاء (وستروس)، الذين قد تُرى مُطالباتهم أضعف من مُطالبات أخواتهم الأكبر.

كان الخوف من فقدان دعم هؤلاء اللوردات، كما يجزم مونكن في (قصَّة حقيقيَّة)، هو ما دفعَ الملكة إلى اتِّخاذ قرارٍ متحيِّز إلى رأي اللورد كورلس بدلًا من الأمير ديمون، فمُنِحَت أراضي عائلتَي روزبي وستوكوورث وقلعتيهما وأموالهما لأبناء اللورديْن اللذين أُعدِما، فيما نُصِّبَ هيو هامر وأولف وايت فارسيْن ووُهِبا بعض الأملاك الصَّغيرة على جزيرة (دريفتمارك).

يقول مشروم بأن هامر احتفلَ بضرب واحدٍ من فُرسان الملكة حتى الموت في ماخورٍ بـ(شارع الحرير)، عندما تشاجرَ الرَّجلان على بِكارة عذراء صغيرة، فيما ركبَ وايت ثملًا عبر أزقَّة (جُحر البراغيث)، عاريًا إلَّا من مِهمازيْه الذَّهبيَّيْن. هذا هو نوع الحكايات التي يحبُّ مشروم

سردَها، وإن لا يُمكن التَّأكُّد من صحَّتها... لكن دون أدنى شكٍّ سُرعان ما صارَ شعب (كينجز لاندنج) يحتقِر فارسَي الملكة الجديدَيْن.

وأقل محبوبيَّةً منهما، إن كان ذلك ممكنًا، كان الرَّجل الذي اختارَته جلالتها ليكون خازِنها وأمين نقدها: مُناصرها القديم بارتموس سلتيجار سيِّد (جزيرة المخالب). بدا اللورد سلتيجار ملائمًا للمنصب، باتِّفاق الجميع وفيًّا وراسخًا في دعمه الملكة، وصارمًا وعفيفًا وحاذقًا، وفاحش الثَّراء فضلًا عن ذلك. كانت رينيرا في حاجةٍ ماسَّة إلى رجلٍ مثله، لأنها وجدَت نفسها في احتياجٍ شديد إلى الأموال، فمع أن خزانة التَّاج كانت طافحةً بالذَّهب عند وفاة الملك ڤسيرس، استولى إجون الثَّاني على الخزانة مع التَّاج، ورحَّل أمين نقده تايلاند لانستر ثلاثة أرباع ثروة الملك الرَّاحل «من أجل الحفاظ عليها». أنفقَ الملك إجون كلَّ بنسٍ من الحصَّة الباقية في (كينجز لاندنج)، تاركًا لأخته غير الشَّقيقة خزائن فارغةً فقط حين استولَت على المدينة، أمَّا بقية أموال ڤسيرس فظلَّت في عُهدة آل هايتاور سادة (البلدة القديمة) وآل لانستر سادة (كاسترلي روك) و(المصرف الحديدي) في (براڤوس)، بعيدًا عن متناول الملكة.

لذا شرعَ اللورد سلتيجار في حلِّ تلك المعضِلة على الفور، ولحِلِّها أعادَ الضَّرائب نفسها التي فرضَها سلفه اللورد إدويل في فترة وصاية الملك جهيرس الأوَّل، وراكمَ عليها العديد من الضَّرائب الجديدة كذلك. ضوعِفَت الضَّرائب على النَّبيذ والمِزر مرَّتين، ورسوم دخول الموانئ ثلاثًا، وفُرِضَت رسوم على كلِّ صاحب متجرٍ داخل المدينة ليملك الحقَّ في إبقاءِ أبواب متجره مفتوحةً، وأصبحَ على أصحاب الخانات دفع أيلٍ فضِّي على كلِّ سريرٍ في خاناتهم، وأعيدَت رسوم الدُّخول والخروج التي كان سيِّد الهواء قد فرضَها وضُوعِفَت ثلاث مرَّات، وأُصدِرَت ضرائب

على الأملاك، فصارَ على الجميع أن يدفعوا سواء أكانوا تُجَّارًا أثرياء في إيواناتهم أم مُتسوِّلين في زرائبهم، اعتمادًا على مساحة الأراضي التي يملكونها. قال بعض العوام لبعض: «ولا حتى العاهرات بمنأى. الضَّريبة التَّالية ستُفرَض على الفروج، والتَّالية على الذُّيول، فعلى الجرذان أيضًا أن تدفع حصَّتها».

في الحقيقة، وقعَ عبء ابتزازات اللورد سلتيجار أثقل وطأةً على التُّجَّار والباعة. عندما أغلقَ أسطول ڤيلاريون (الحُلقوم) وجدَت سُفن كثيرة جدًّا أنفُسها عالقةً في (كينجز لاندنج)، وقد فرضَ أمين نقد الملكة الجديد رسومًا باهظةً عليها قبل أن يسمح لها بالإبحار. احتجَّ بعض الرَّبابنة قائلين إنهم دفعوا الرُّسوم والضَّرائب والتَّعاريف المطلوبة مسبقًا، حتى إنهم قدَّموا أوراقًا تُثبِت ذلك، لكن اللورد سلتيجار رفضَ تظلُّماتهم قائلًا: «نقدُ الغاصِب مالًا لا يدلُّ إلَّا على الخيانة، ولا يخصم من الرُّسوم التي تدينون بها لملكتنا الرَّؤوف»، ومَن رفضوا الدفع أو افتقروا إلى الأموال ليدفعوا صُودِرَت سُفنهم وحُمولاتهم وبيعَت.

حتى الإعدامات أصبحَت مصدرًا لجَني العُملة، إذ قضى سلتيجار أن من الآن فصاعدًا ستُقطَع رؤوس الخونة والمتمرِّدين والقتَلة داخل (جُب التَّنانين) وتُطعَم جُثثهم لتنانين الملكة. مرحبًا بالجميع ليشهدوا المصير الذي ينتظِر الأشرار، ولكن على كلٍّ منهم دفع ثلاثة بنسات عند البوَّابات ليَدخُل.

وهكذا أعادَت الملكة رينيرا ملء خزائنها بتكلفةٍ فادحة. لم يكن إجون أو أخوه إيموند محبوبيْن كثيرًا عند سُكَّان المدينة، وقد رحَّب العديد من أهل العاصمة بعودة الملكة... لكن الحُبَّ والكراهية وجهان لعُملةٍ واحدة، وإذ بدأت رؤوس جديدة تظهر يوميًّا على الخوازيق فوق

بوَّابات المدينة، مصحوبةً بضرائب أبهظ، انقلبَت العُملة. قال النَّاس إن الفتاة التي احتفوا بها سابقًا بوصفها بهجة المملكة كبرَت لتُصبِح امرأةً جشعةً حقودًا، ملكةً قاسيةً كأيِّ ملكٍ قبلها، ولقَّب أحد الظُّرفاء رينيرا بـ«الملك ميجور بثدييْن»، ولمئة عامٍ بعد ذلك كانت «ثديا ميجور» شتيمةً شائعةً بين سُكَّان (كينجز لاندنج).

باستحواذِها على المدينة بقلعتها والعرش، فيما يُدافِع عنهما ما لم يقلَّ عن ستَّة تنانين، شعرَت رينيرا بالأمان الكافي لاستدعاء ابنيها، وبذا أبحرَت دستة من السُّفن من (دراجونستون) حاملةً وصيفات الملكة و«مهرِّجها المحبوب» مشروم وابنها إجون الأصغر. جعلَت رينيرا الصَّبي ساقيها لكيلا يبتعِد عن جانبها أبدًا. انطلقَ أسطول آخَر من (بلدة النَّوارس) بالأمير چوفري، آخِر أبناء الملكة الثَّلاثة من لِاينور ڤيلاريون، وتنِّينه تايراكسس. (بقيَت رِاينا ابنة الأمير ديمون في (الوادي) ربيبةً لدى الليدي آرن، فيما قضَت توأمتها، راكبة التنِّين بِايلا، أيَّامها بين (دريفتمارك) و(دراجونستون)). وهكذا بدأت جلالتها تضع الخُطط لاحتفالٍ فخم بتنصيب الأمير چوفري الرَّسمي أميرًا لـ(دراجونستون) ووريثًا للعرش الحديدي.

حتى الدُّودة البيضاء جاءَت إلى البلاط، إذ خرجَت العاهرة اللَّايسينيَّة ميساريا من الظِّل لتُقيم في (القلعة الحمراء). على الرَّغم من عدم جلوسها رسميًّا في مجلس الملكة الصَّغير، أصبحَت المرأة المعروفة الآن بلقب الليدي البَأساء وليَّة الهامسين في كلِّ شيءٍ عدا الاسم، ولها أعيُن وآذان في كلِّ ماخورٍ وحانةٍ ومحلٍّ لأوعية البُنِّي في العاصمة، وفي قاعات ذوي النفوذ وغُرفهم أيضًا. رغم أن السِّنين أثخنَت جسدها الذي كان رشيقًا لدنًا، ظلَّ الأمير ديمون مفتونًا بها واستدعاها كلَّ مساء... بمباركةٍ من الملكة

رينيرا على ما يبدو، إذ يُذكَر أنها قالت: «لندَع ديمون يُشبع نهمه حيث يشاء، وسنفعل نحن الشَّيء نفسه». (يُشير السِّپتون إيوستس بنوعٍ من اللُّذوعة إلى أن نهم جلالتها أشبعَته غالبًا الحُلويات والكعك وفطائر سمك الشِّلق، إذ امتلأ قوام رينيرا أكثر فأكثر خلال أيامها في (كينجز لاندنج) من أيِّ وقتٍ مضى).

في ذروة انتصارها لم تتوقَّع رينيرا تارجاريَن قِلَّة الأيام المتبقِّية لها، ومع ذلك في كل مرَّةٍ جلَست فيها على العرش الحديدي أراقَت نِصاله الحادَّة دماءً جديدةً من يديها وذراعيها وساقيها، وهي علامة أمكنَ للجميع قراءتها. يدَّعي السِّپتون إيوستس أن نهاية الملكة بدأت في خانٍ يُسمَّى (رأس الخنازير) ببلدة (جسر العلقم) على ضفَّة نهر (الماندر) الشَّماليَّة، بالقُرب من قدم الجسر الحجري القديم الذي منحَ البلدة اسمها.

مع محاصرة أورموند هايتاور (الطَّاولة الطَّويلة)، التي تبعُد نحو ثلاثين فرسخًا إلى الجنوب الغربي، ازدحمَت (جسر العلقم) بالرِّجال والنِّساء الفارِّين أمام جيشه المتقدِّم. كانت الليدي كازويل، الأرملة التي قطعَ إجون الثَّاني رأس السيِّد زوجها في (كينجز لاندنج) عندما رفضَ التَّراجُع عن ولائه للملكة، قد أغلقَت بوَّابات قلعتها رادَّةً الجميع، حتى الفُرسان واللوردات الذين جاؤوها بحثًا عن ملجأ. جنوب النَّهر كان يُمكن رؤية بؤر نار الرِّجال المكسورين بين الأشجار ليلًا، فيما آوى سِپت البلدة مئات الجرحى. كانت الخانات كلُّها ممتلئةً، حتى (رأس الخنازير)، وهو نُزل كئيب أشبه بالحظيرة. لذلك عندما ظهرَ رجل قادم من الشَّمال بعُكَّازٍ في يده وصبيٍّ صغير على ظهره، لم يكن عند صاحِب الخان غُرفة شاغرة له... حتى سحبَ المسافر أيلًا فضِّيًّا من كيس نقوده، وعندها سمحَ له صاحب الخان بأن ينام هو وابنه في اسطبلاته، بشرط أن ينظِّفها

أوَّلًا. وافقَ المسافر، ووضعَ كيس نقوده ومعطفه جانبًا فيما ذهبَ ليعمل بالمِجراف بين الخيول.

إنَّ جشع أصحاب الخانات ومُلَّاك الأراضي وأمثالهم مشهورٌ معلوم. تساءلَ صاحب (رأس الخنازير)، ذلك الوغد الذي عُرِفَ باسم بِن كعك الزُّبدة، إن كان في المكان الذي أتى منه أيلٌ واحد المزيد من الأيائل الفضِّيَّة، وبينما عملَ المسافر حتى تعرَّق عرضَ عليه كعك الزُّبدة أن يروي عطشه بإبريقٍ من المِزر. وافقَ الرَّجل ورافقَ صاحِب الخان إلى قاعة (رأس الخنازير) العامَّة، لا يُنازعه شكٌّ أن مضيفه أمرَ صبي الاسطبل، المعروف لنا فقط باسم سلاي، بالبحث عن الفضَّة في جعبته. لم يَعثُر سلاي على أيِّ عُملاتٍ داخل الجعبة، لكن ما وجدَه كان أثمن بكثير... معطفًا ثقيلًا من الصُّوف الأبيض النَّاعم محدَّد الحواشي بالساتان الثَّلجي، ملفوفًا حول بيضة تِنِّين خضراء شاحبة بدوَّاماتٍ فضِّيَّة. ذلك أن «ابن» المسافر كان مِايلور تارجاريَن، الابن الأصغر للملك إجون الثَّاني، والمسافر نفسه السير ريكارد ثورن فارس الحرس الملكي، تُرسه وحاميه المحلَّف.

على أن كعك الزُّبدة لم ينَل بهجةً من خدعته، فعندما اقتحمَ سلاي القاعة العامَّة بالمعطف وبيضة التنِّين في يده، يصيح معلنًا ما اكتشفَه، ألقى المسافر ثُمالة شرابه في وجه السَّاقي، واستلَّ سيفه الطَّويل من غِمده، وشقَّ كعك الزُّبدة من الرَّقبة إلى أصل الفخذ. استلَّ قلائل من الشَّاربين الآخرين سيوفهم وخناجرهم أيضًا، لكن أيًّا منهم لم يكن فارسًا، فشقَّ السير ريكارد طريقه عبرهم تقتيلًا. متخلِّيًا عن الكنزيْن المسروقيْن، حملَ «ابنه» وهرعَ إلى الاسطبلات وسرقَ حصانًا، واندفعَ من الخان عاقدًا العزم بعنادٍ على بلوغ الجسر الحجري القديم على ضفَّة

(الماندر) الجنوبيَّة. كان قد اقتربَ من هدفه للغاية، وعلمَ بالتَّأكيد أن الأمان قابع على بُعد ثلاثين فرسخًا فقط، حيث أقامَ اللورد هايتاور معسكره أسفل أسوار (الطَّاولة الطَّويلة).

ويا للأسف، إذ بدَت الثَّلاثون فرسخًا كأنها ثلاثون ألفًا، لأن الطَّريق عبر نهر (الماندر) كان مغلقًا، وخضعَت (جسر العلقم) للملكة رينيرا. ارتفعَ الصِّياح الصَّاخب، وامتطى رجال آخَرون الخيول لمطاردة ريكارد ثورن زاعقين: «قاتِل، خائِن، قاتِل!».

عند سماع الصِّياح أمرَ الحُرَّاس عند قدم الجسر السير ريكارد بالتَّوقُّف، فحاولَ بدلًا من ذلك دعسهم بحصانه، وعندما أمسكَ أحدهم لجام الحصان اجتثَّ ثورن ذراع الرَّجل من كتفه وواصلَ التَّقدُّم. لكن الضِّفَّة الجنوبيَّة أيضًا كان عليها حُرَّاس، وقد شكَّلوا جِدارًا ضدَّه. حاصرَه الرِّجال من كلا الجانبيْن زاعقين بوجوهٍ محمرَّة وملوِّحين بالسُّيوف والفؤوس وطاعنين الهواء بحِراب طويلة، فيما تحوَّل ثورن في هذا الاتِّجاه وذاك دائرًا بحصانه المسروق في دوائر وباحثًا عن طريقٍ ما بين صفوفهم، والأمير مِايلور يتشبَّث به صارخًا.

كانت النُّشَّابيَّات ما أسقطَه أخيرًا. أصابَه سهمٌ في ذراعه، والثَّاني اخترقَ حلقه، وسقطَ السير ريكارد من فوق سرجه وماتَ على الجسر والدَّم يُبَقبِق من بين شفتيه ويُغرِق كلماته الأخيرة. حتى النِّهاية تشبَّث بالصَّبي الذي أقسمَ على الدِّفاع عنه، إلى أن انتزعَت غسَّالة تُدعى بويلو حجر الغسيل الأمير الباكي من بين ذراعيْه.

ولكن بعد أن قتلوا الفارس وأسَروا الصَّبي لم يعرف العوام ماذا يفعلون بغنيمتهم. تذكَّر البعض أن الملكة رينيرا عرضَت مكافأةً سخيَّةً مقابل إعادته، لكن (كينجز لاندنج) كانت تبعُد فراسخٍ عدَّةً، وجيش اللورد

هايتاور أقرب كثيرًا، وقد يدفع الرَّجل أكثر. عندما سألَ أحدهم إن كانت المكافأة واحدةً إن سُلِّمَ الفتى حيًّا أو ميتًا، ضمَّت ويلو حجر الغسيل مِايلور إليها بقوَّةٍ أشد وقالت إن أحدًا لن يُؤذي ابنها الجديد. (يقول مشروم إن المرأة كانت غولةً يَبلُغ وزنها أكثر من أربعمئة رطل، بسيطة العقل ونصف مجنونة، وقد اكتسبَت اسمها من غسلِ الملابس بحكِّها بالحجارة في النَّهر). ثم تقدَّم سلاي شاقًّا طريقه بين الحشود وهو ملطَّخ بدماء سيِّده ليُعلن أن الأمير له، لأنه هو من وجدَ البيضة. طالبَ رامي النُّشَّابيَّة الذي جندلَ سهمه السير ريكارد ثرون بالأمير أيضًا، وهكذا تجادَلوا وتصايَحوا وتدافَعوا فوق جُثَّة الفارس.

بوجود كثيرٍ من النَّاس فوق الجسر، ليس من المستغرَب أن يكون لدينا العديد من الرِّوايات المختلِفة عمَّا حلَّ بمِايلور تارجاريَن. يقول مشروم إن ويلو حجر الغسيل أطبقَت على الصَّبي بشدَّةٍ كسرَت ظهره وسحقَته حتى الموت. على أن السِّپتون إيوستس لا يَذكُر ويلو من الأصل، وفي روايته قسَّم جزَّار البلدة الأمير إلى ستِّ قطعٍ بساطوره، حتى يأخذ كلُّ مَن يتشاجَرون عليه قطعةً منه. أمَّا كتاب (قصَّة حقيقيَّة) للمِايستر الأكبر مونكن فيقول إن الغوغاء مزَّقوا الصَّبي إربًا إربًا، لكنه لا يَذكُر أيَّ أسامٍ.

كلُّ ما نعرفه على وجه اليقين أن بحلول الوقت الذي وصلَت فيه الليدي كازويل وفُرسانها لطرد الغوغاء، كان الأمير ميتًا. يُخبرنا مشروم أن وجه سيادتها شحبَ عند رؤيته، وغمغمَت: «ستلعننا الآلهة جميعًا على هذا». بأمرٍ منها شُنِقَ سلاي صبيُّ الاسطبلات وويلو حجر الغسيل من منتصَف الجسر القديم، إلى جانب صاحِب الحصان الذي سرقَه السير ريكارد من الخان، الذي ظُنَّ -بالخطأ- أنه ساعدَ ثورن

على الهروب. أرسلَت الليدي كازويل جُثَّة السير ريكارد ملفوفةً بمعطفه الأبيض إلى (كينجز لاندنج) ومعها رأس الأمير مِايلور، أمَّا بيضة التنّين فأرسلَتها إلى اللورد هايتاور عند (الطَّاولة الطَّويلة)، على أمل أن تُهدِّئ غضبه.

يُخبرنا مشروم (الذي أحبَّ الملكة كثيرًا) أن رينيرا بكَت حين وُضِعَ رأس مِايلور الصَّغير أمامها وهي جالسة على العرش الحديدي، ويقول السِّپتون إيوستس (الذي أحبَّها قليلًا) إنها ابتسمَت وأمرَت بإحراق الرَّأس، «لأنه كان من دمِ التنّين». على الرَّغم من عدم الإعلان عن موت الصَّبي انتشرَ الخبر في جميع أنحاء المدينة، وسُرعان ما بدأت حكاية أخرى تُحكى أيضًا، زاعمةً أن الملكة رينيرا سلَّمت رأس الأمير إلى والدته الملكة هيلينا في وعاء فضلات. رغم خلوِّ القصَّة من الصحَّة سُرعان ما صارَت على كلِّ شفةٍ في (كينجز لاندنج). وينسب مشروم ذلك إلى صُنع الأحنف، «فالرَّجل الذي يجمع الهمسات قادر على نشرِها أيضًا».

خارج أسوار المدينة استمرَّ القتال عبر (الممالِك السَّبع). سقطَت (القلعة القصيَّة) في يد دالتون جرايچوي، ومعها آخِر مقاومةٍ لغزو الحديديّين على (الجزيرة القصيَّة). اتَّخذ الكراكن الأحمر أربعًا من بنات اللورد فارمان زوجاتٍ ملحيَّات، وأعطى الخامسة «الدَّميمة» لأخيه ڤيرون، وسُلِّمَ فارمان وأبناؤه إلى (كاسترلي روك) لقاء فديةٍ عادلَت أوزانهم فضَّةً. في (المرعى) سلَّمت الليدي ميريويذر (الطَّاولة الطَّويلة) إلى اللورد أورموند هايتاور، وبرًّا بكلمته لم يُقدِم سيادته على أيِّ أذيَّةٍ لها أو لذويها، وإن جرَّد قلعتها من ثرواتها وكلِّ فتاةٍ من طعامها، مطعمًا رجاله الآلاف من حبوبها فيما حلَّ معسكره وزحفَ إلى (جسر العلقم).

حين ظهرَت الليدي كازويل فوق أسوار قلعتها لتلقِّي الشُّروط نفسها

التي تلقَّتها الليدي ميريويذر، سمحَ هايتاور للأمير دايرون بأن يردَّ عليها، فقال: «ستتلقِّين الشُّروط ذاتها التي أعطيتِها لمِايلور ابن أخي». لم يكن بوسعِ سيادتها إلَّا أن تُشاهِد فيما نُهِبَت (جسر العلقم)، وكان (رأس الخنازير) أوَّل مبنى يُحرَق. الخانات ومقرَّات الرَّوابط والمخازن ومنازل العامَّة والنُّبلاء... التهمَتها نيران التنِّين جميعًا. حتى السِّپت احترقَ ومئات الجرحى لم يزالوا بداخله. بقيَ الجسر فقط كما هو، إذ كان مطلوبًا لعبور (الماندر). قُتِلَ أهل البلدة إذا حاوَلوا القتال أو الفرار، أو دُفِعوا إلى النَّهر ليغرقوا.

راقبَت الليدي كازويل من فوق أسوار قلعتها، ثمَّ أمرَت بفتح بوَّاباتها قائلةً للحامية: «لا يمكن لأيِّ قلعةٍ أن تَصمُد أمام تنِّين». عندما تقدَّم اللورد هايتاور راكبًا وجدَها واقفةً فوق مبنى البوَّابة بأنشوطةٍ حول رقبتها، وتوسَّلت: «ارحم أولادي يا سيِّدي»، قبل أن تقفز شانقةً نفسها. ربما أثَّر هذا في اللورد أورموند، لأنه عفا عن حياة أبنائها وبنتها الصِّغار وأرسلَهم مسلسَلين إلى (البلدة القديمة)، فيما لم يتلقَّ رجال حامية القلعة من رحمةٍ إلَّا السَّيف.

في (أراضي النَّهر) رحلَ السير كريستُن كول من (هارنهال)، وانطلقَ جنوبًا بطول شاطئ بُحيرة (عين الآلهة) الغربي وخلفه ثلاثة آلاف وستُّمئة رجل (كان الموت والمرض والتَّهرُّب قد أضعفوا الصُّفوف التي انطلقَت من العاصمة). كان الأمير إيموند قد غادرَ بالفعل محلِّقًا على ظهر ڤاجهار.

بقيَت القلعة فارغةً ما لم يزِد على ثلاثة أيامٍ قبل أن تنقضَّ الليدي سابيثا فراي للاستيلاء عليها. في الدَّاخل لم تجد إلَّا آليس ريڤرز، المرضعة والسَّاحرة المزعومة التي شاركَت الأمير إيموند سريره خلال أيامه في (هارنهال)، وادَّعت الآن أنها تحمل طفله. «في داخلي نغلُ التنِّين».

قالتها المرأة وهي تقف عاريةً في أيكة الآلهة واضعةً يدها على بطنها المنتفخ. «أشعرُ بنيرانه تلعق رحِمي».

ولم يكن جنينُها النَّار الوحيدة التي أضرمَها إيموند تارجاريَن. بما أنه لم يعُد مرتبطًا بالقلعة أو الجيش، صارَت للأمير الأعور حرِّيَّة التَّحليق حيث يُريد. كانت حربًا كالتي شنَّها الفاتِح إجون وأختاه قديمًا، خيضَت بلهب التنِّين إذ كرَّت ڤاجهار من سماء الخريف مرارًا وتكرارًا لتُدمِّر أراضيَ سادة النَّهر وقُراهم وقلاعهم. كان آل داري أوَّل من ذاقوا غضبة الأمير، فاحترق مَن يجلبون الحصاد أو فرُّوا عندما اشتعلت النِّيران في المحاصيل، والتهمَت (قلعة داري) عاصفة من نار. نجَت الليدي داري وأطفالها الأصغر باحتمائهم في أقبيةٍ تحت الحصن، لكن السيِّد زوجها ووريثه ماتا في أرض المعركة مع أربعين من سيوفه المحلَّفة ورُماته. بعد ثلاثة أيام تُركَت (بلدة اللورد هاروواي) داخنةً، وكذا (طاحونة اللورد) و(الحزام الأسود) و(الحزام) و(بِركة الصَّلصال) و(مخاضة سوين) و(غابة العناكِب)... حلَّ غضب ڤاجهار على كلٍّ منها بدورها حتى بدا نصف (أراضي النَّهر) مشتعلًا.

واجهَ السير كريستُن كول حرائق أيضًا. بينما قادَ رجاله جنوبًا عبر (أراضي النَّهر) تصاعدَ الدُّخان من أمامه وخلفه. كلُّ قريةٍ جاءَ إليها وجدَها محترقةً ومهجورةً، وتحرَّك رتله عبر غاباتٍ ماتَت أشجارها حيث كانت حيَّةً قبل أيامٍ معدودة، إذ أشعلَ لوردات النَّهر النِّيران بطول خطِّ زحفه. في كلِّ جدولٍ وبركةٍ وبئر قريةٍ وجدَ الموت: خيولًا نافقةً، أبقارًا نافقةً، رجالًا موتى، جثثًا منتفخةً نتنةً تُلوِّث المياه. في مكان آخَر عثرَ كشَّافته على مشهدٍ مروِّع حيث جلسَت جُثث مدرَّعة تحت الأشجار بثيابٍ متعفِّنة، في محاكاةٍ ساخرة بشعة لوليمة. كان المولِمَ لهم رجالًا

سقطوا في طُعمة الأسماك، تبتسم جماجمهم تحت خوذٍ صدئة فيما انسلخَ لحمُهم المخضرُّ المتعفِّن عن عظامِهم.

بعد أربعة أيامٍ من مغادرة (هارنهال) بدأت الهجمات. اختبأ رُماة بين الأشجار متصيِّدين الكشَّافة والمتخلِّفين بأقواسهم الطَّويلة. ماتَ رجال، وتخلَّف رجال وراء حرس المؤخَّرة ولم يرَهم أحدٌ من جديد، وهربَ رجال تاركين تروسهم وحِرابهم ليتلاشوا في الغابة، وبدَّل رجال ولاءهم وانحازوا إلى العدوِّ. في الحديقة العامَّة بقرية (الدَّردار المتقاطع) عُثِرَ على واحدةٍ أخرى من الولائم المروِّعة. أضحَت هذه المناظر مألوفةً لهم، وهكذا اجتازَها كشَّافة السير كريستُن بجهامةٍ دون التفاتٍ إلى الموتى المتعفِّنين... حتى هبَّت الجُثث وانقضَّت عليهم. ماتَ عشرات قبل أن يُدرِكوا أنها كانت خُدعةً دبَّرها (كما علموا لاحقًا) مُرتزِق مايري في خدمة اللورد ڤانس، ممثِّل سابق اسمه ترومبو الأسود.

كلُّ هذا كان مجرَّد مقدِّمة، لأن لوردات (الثَّالوث) كانوا يحشدون قوَّاتهم. عندما تركَ السير كريستُن كول البُحيرة خلفه متَّجهًا إلى (النَّهر الأسود) برًّا، وجدَهم منتظرين فوق قمَّة مرتفعٍ صخري، ثلاثمئة فارسٍ مدرَّع على خيولهم، والعدد نفسه من حاملي الأقواس الطويلة، وثلاثة آلاف من الرُّماة، وثلاثة آلاف من حاملي الحِراب غير المنظَّمين من (أراضي النَّهر)، ومئات من الشَّماليِّين الملوِّحين بالفؤوس والمطارق والهراوات المسنَّنة والسُّيوف الحديد العتيقة. فوق رؤوسهم رفرفَت رايات الملكة رينيرا، وحين ظهرَ العدوُّ سألَ أحد المرافقين: «مَن هؤلاء؟»، لأنهم لم يُظهروا أيَّ رموزٍ عدا رمز الملكة.

أجابَ السير كريستُن كول: «حتفُنا»، لأن هذه القوَّات كانت جديدةً وأحسن تغذيةً وخيولًا وتسليحًا، وتُسيطِر على أرضٍ مرتفعة، في

حين كان رجاله مضطربين ومرضى وخائري العزيمة.

طالبًا راية سلام، تقدَّم يد الملك إجون ليتعامَل معهم. نزلَ ثلاثة رجالٍ من فوق المرتفَع للقائه، أبرزهم السير جاريبالد جراي بدرعه وحلقاته المعدنيَّة المنبعجة، ومعه پايت ابن (الورقة الطَّويلة)، قاتِل الأسد الذي فتكَ بچيسون لانستر، ورودي الخراب حاملًا ندوب جراحه من طُعمة الأسماك. سألَ السير كريستُن ثلاثتهم: «إذا نكَّستُ راياتي فهل تعِدون بالعفو عن حيواتنا؟».

ردَّ السير جاريبالد: «لقد قطعتُ وعدًا للموتى، أخبرتُهم أني سأبني لأجلهم سِپتًا من عظام الخونة. ليس لديَّ عظام كافية بعدُ، لذلك...».

جاوبَ السير كريستُن: «إذا دارَت معركة الآن فسيموت العديد من رجالكم أيضًا»، فضحكَ الشَّمالي رودريك داستن من كلماته قائلًا: «لأجل هذا قدمنا. الشِّتاء حلَّ، وقد حانَ وقت موتنا. لا طريقة أفضل للموت من السَّيف في اليد».

استلَّ السير كريستُن سيفه الطَّويل من غِمده، وقال: «كما تشاء. لنبدأ من هنا، نحن الأربعة. وحدي ضد ثلاثتكم. أيكفي هذا لقيام معركة؟».

لكن قاتِل الأسد قال: «أريدُ ثلاثةً آخَرين»، وأعلى المرتفَع رفعَ روب ريفرز الأحمر واثنان من رُماته أقواسهم الطَّويلة، طارَت ثلاثة أسهُم عبر الحقل وأصابَت كول في بطنه وعُنقه وصدره. أعلنَ پايت: «لن أسمح بغناء أغانٍ عن شجاعتك حين صُرِعت يا صانِع الملك. عشرات الألوف ماتوا بسببك»، وكان يُخاطِب جُثَّةً.

المعركة التي تبعَت ذلك كانت من أكثر المعارك غير المتكافئة في الرَّقصة. رفعَ اللورد رودريك بوقَ حربٍ إلى شفتيه وأطلقَ نفير الهجوم،

ونزلَ رجال الملكة صارخين من أعلى المرتفَع، يقودهم ذِئاب الشِّتاء على خيولهم الشَّمالية الشَّعثاء والفُرسان على جيادهم الحربيَّة المدرَّعة. بسقوط السير كريستُن ميتًا على الأرض فقدَ الرِّجال الذين تبعوه من (هارنهال) شجاعتهم، فتفكَّكت صفوفهم ولاذوا بالفِرار ملقين تروسهم وهُم يركُضون طلبًا للنجاة، ولاحقَهم أعداؤهم فاتكين بالمئات منهم. بعد ذلك سُمِعَ السير جاريبالد يقول: «كان اليوم مجزرةً لا معركة»، وحين بلغَت كلماته تلك مشروم أطلقَ على القتال اسم «حفلة الجزَّار»، وبهذا الاسم عُرِفَ منذ ذلك الحين.

في الوقت ذاته تقريبًا وقعَت إحدى أغرب حوادث رقصة التَّنانين. تقول الأسطورة إن خلال عصر الأبطال تمكَّن سروين ذو التُّرس المرآة من قتلِ التنّين أوراكس بالجثوم خلف تُرسٍ مصقول لدرجة أن الوحش لم يرَ فيه إلا انعكاسه، وبهذه الحيلة تسلَّل البطل قريبًا بما يكفي ليُنشِب حربةً في عين التنّين، مكتسبًا اللَّقب الذي لا نزال نعرفه به للآن. كون السير بايرون سوان، الابن الثَّاني لسيِّد (الدفَّة الحجريَّة)، سمعَ بهذه القصَّة لا يُمكننا الشَّك فيه، إذ انطلقَ مسلَّحًا بحربةٍ وتُرسٍ من الفولاذ المفضَّض يصحبه مُرافقه فقط، وقد عزمَ على قتل تنِّينٍ كما فعلَ سروين.

ولكن هنا ينشأ الارتباك، لأن مونكن يقول إنه سوان استهدفَ ڤاجهار ليضع حدًّا لغارات الأمير إيموند... ولكن يجب أن نتذكَّر أن مونكن يعتمِد اعتمادًا كبيرًا على المِايستر الأكبر أورْوايل في روايته للأحداث، وأورْوايل كان حبيس الزَّنازين في ذلك الحين. أمَّا مشروم، الذي كان بجانب الملكة في (القلعة الحمراء)، فيقول بالأحرى إن سايراكس تنّينة رينيرا هي التي قصدَها السير بايرون. لا يذكُر السِّبتون إيوستس الحادثة في سجلَّاته على الإطلاق، لكنه يقول في رسالةٍ كُتِبَت بعد سنواتٍ إن قاتِل التَّنانين هذا كان يأمل قتل صنفاير... ولو أن هذا خطأ بالتَّأكيد، لأن مكان صنفاير لم يكن معروفًا في تلك الفترة. تتَّفق الرِّوايات الثلاث

على أن الحيلة التي فازَت للسير سروين ذي التُّرس المرآة بشهرةٍ أبديَّة لم تجلب إلا الموت للسير بايرون سوان. أيًّا كان التنِّين فقد شعرَ باقتراب الفارس وأطلقَ نيرانه صاهرًا التُّرس المرآة وشاويًا الرَّجل الجاثم خلفه، وماتَ السير بايرون سوان صارخًا.

يوم عيد (العذراء) في عام 130 بعد الفتح أرسلَت قلعة (البلدة القديمة) ثلاثمئة غُدافٍ أبيض لإعلان حلول الشِّتاء، وإن اتَّفق مشروم والسِّپتون إيوستس على أن تلك الفترة كانت كأوجِ الصَّيف عند الملكة رينيرا تارجاريَن. على الرَّغم من سُخط سُكَّان (كينجز لاندنج) كانت المدينة والتَّاج لها، وعبر (البحر الضيِّق) بدأ الحِلف الثُّلاثي يُمزِّق نفسه أشلاءً، وخضعَت الأمواج لآل ڤيلاريون. مع أنَّ الثلوج أغلقَت الطُّرق عبر (جبال القمر)، أثبتَت عذراء (الوادي) صِدق كلامها مرسلةً رجالًا عبر البحر للانضمام إلى حشود الملكة، وجلبَت أساطيل أخرى مُحاربين من (الميناء الأبيض) بقيادة ابنَي اللورد ماندرلي، مدريك وتورين. من كلِّ ناحيةٍ تعاظمَت قوَّة الملكة رينيرا فيما تضاءلَت قوَّة الملك إجون.

ومع ذلك لا يمكن احتساب أيِّ حربٍ منتهيةً بالنَّصر إذا لم يُقهَر جميع الأعداء. صانِع الملك، السير كريستُن كول، أطيحَ به، لكن في مكانٍ ما من المملكة بقيَ إجون الثَّاني، الملك الذي صنعَه كول، على قيد الحياة طليقًا، وچهيرا ابنة إجون كذلك، واختفى لارِس سترونج الأحنف، أشد أعضاء المجلس الأخضر غموضًا ودهاءً، فيما ظلَّ بوروس باراثيون مسيطرًا على (ستورمز إند)، ولم يكن صديقًا للملكة. كان لا بُدَّ من عدِّ آل لانستر أيضًا ضمن أعداء الملكة رينيرا، ولو أن بموت اللورد چيسون، ومقتل السَّواد الأعظم من فُرسان الغرب أو تشتُّتهم في طُعمة الأسماك، ومهاجمة الكراكن الأحمر (الجزيرة القصيَّة) والسَّاحل الغربي، باتَت (كاسترلي روك) في فوضى عارمة.

أضحى الأمير إيموند رُعب (الثَّالوث)، ينقضُّ على (أراضي النَّهر) من السَّماء ليُمطِرها بالنَّار والموت ثمَّ يختفي، فقط ليُهاجم ثانيةً في اليوم التَّالي على بُعد خمسين فرسخًا. حوَّل لهبُ ڤاجهار (الصَّفصافة القديمة) و(الصَّفصاف الأبيض) إلى رماد، وصيَّر (بهو هوج) حجارةً سوداء، واحترقَ ثلاثون شخصًا وثلاثمئة من رؤوس الماشية بنيران التِّنِّينة في (وادي المرح). ثم عادَ قاتِل الأقربين فجأةً إلى (هارنهال)، حيث أحرقَ كلَّ بناءٍ خشبي في القلعة. هلكَ ستَّة فُرسان وأربعون رجلًا مسلَّحًا وهُم يحاوِلون قتل تنِّينته، فيما لم يُنقِذ الليدي سابيثا نفسها من اللَّهب إلَّا الاختباء في مرحاض. بعد ذلك فرَّت إلى (التوأمتيْن)... وإن تمكَّنت أسيرتها القيِّمة، السَّاحرة آليس ريڤرز، من الهرب مع الأمير إيموند. مع انتشار أخبار هذه الهجمات حدَّق اللوردات الآخَرون إلى السَّماء بخوفٍ متسائلين مَن قد يكون التَّالي. بعثَ اللورد موتون سيِّد (بركة العذارى) والليدي داركلين سيِّدة (وادي الغسق) واللورد بلاكوود سيِّد (شجرة الغِدفان) برسائل عاجلةً إلى الملكة متوسِّلين أن تُرسل إليهم تنانينَ للدِّفاع عن أملاكهم.

ومع ذلك لم يكن إيموند الأعور أكبر تهديدٍ لحُكم رينيرا، بل شقيقه الأمير دايرون الجريء والجيش الجنوبي العظيم بقيادة اللورد أورموند هايتاور.

عبرَ جيش هايتاور نهر (الماندر) وتقدَّم ببطءٍ من (كينجز لاندنج) محطِّمًا الموالين للملكة أينما ومتى صادفَهم، ومجبرًا أيَّ لورد ركعَ على ضمِّ قوَّاته إليه. على ظهر تساريون سابقًا الرَّتل الرئيسي، أثبتَ الأمير دايرون أنه كشَّاف لا يُقدَّر بثمنٍ بتحذيره اللورد أورموند من تحرُّكات العدوِّ. في أغلب الأحيان تلاشى رجال الملكة بمجرَّد رؤيتهم لمحةً من جناحَي الملكة الزَّرقاء. يقول المِايستر الأكبر مونكن إن تعداد الجيش الجنوبي بلغَ أكثر من عشرين ألفًا إذ زحفَ نحو مصبِّ النَّهر، وقُرابة عُشرهم كانوا

فُرسانًا على خيولهم.

مدركًا كلَّ هذه التَّهديدات، اقترحَ يد الملكة رينيرا، اللورد كورلس ڤيلاريون، على جلالتها أن الوقت قد حانَ للحوار، وحثَّ الملكة على عرضِ إعفاءاتٍ عن كلٍّ من اللوردات باراثيون وهايتاور ولانستر، بشرط أن يركعوا ويُقسموا على ولائهم لها ويُقدِّموا رهائن للعرش الحديدي. اقترحَ ثُعبان البحر أن تتولَّى العقيدة شأن الملكة الأرملة آليسنت والملكة هيلينا، لتقضيا بقيَّة حياتيْهما في الصَّلاة والتَّأمُّل. يُمكن لچهيرا ابنة هيلينا أن تكون ربيبته الخاصَّة، وفي الوقت المناسب ستتزوَّج الأمير إجون الأصغر وتربط النِّصفيْن المتنازعيْن من عائلة تارجاريَن معًا مرَّةً أخرى. عندما عرضَ عليها ثُعبان البحر خطَّته سألَته رينيرا: «وماذا عن إخوتي غير الأشقَّاء؟ ماذا عن هذا الملك المزيف إجون وإيموند قاتِل الأقربين؟ أتُريدني أن أعفو عنهم أيضًا، هؤلاء الذين سرقوا عرشي وقتلوا أبنائي؟».

أجابَ اللورد كورلس: «اعفي عنهم وأرسِليهم إلى (الجِدار). فليرتدوا الأسود ويقضوا بقيَّة حياتهم رجالًا في حرس اللَّيل، ملزَمين بعهودٍ مقدَّسة».

قالت رينيرا: «وماذا تعني العهود لناكِثي العهد؟ عهودهم لم تُزعِجهم حين سرقوا عرشي».

شاركَ الأمير ديمون الملكة هواجسها، وأصرَّ أن العفو عن الخونة والمتمرِّدين لن يُفضي إلَّا إلى زرعِ بذور تمرُّداتٍ جديدة. «لن تنتهي الحرب إلَّا عندما تُعلَّق رؤوس الخونة على خوازيق فوق (بوَّابة الملك)، لا قبل ذلك». مع الوقت سيُعثَر على إجون الثَّاني «مختبئًا تحت صخرةٍ ما»، لكنهم يستطيعون -وعليهم- أن يشنُّوا الحرب على إيموند ودايرون. ويجب تدمير عائلتَي لانستر وباراثيون كذلك، وأن تُمنحَ قلاعهما وأراضيهما لمن أثبَتوا أنهم أشدَّ ولاءً. اقترحَ الأمير أن تُمنَح (ستورمز إند)

لأولف وايت و(كاسترلي روك) لهيو هامر... وهو ما روَّع ثُعبان البحر، إذ قال اللورد كورلس: «سينقلِب ضدَّنا نصف لوردات (وستروس) إذا كنا قُساةً لدرجة إبادة اثنتين من العوائل النَّبيلة العريقة».

وقعَ على عاتق الملكة نفسها الاختيار بين اقتراحَي قرينها ويدها، وقرَّرت رينيرا سلوك سبيلٍ وسط. ستُرسِل مبعوثين إلى (ستورمز إند) و(كاسترلي روك) عارضةً شروطًا وإعفاءاتٍ عادلةً... بعد أن تضع حدًّا لأخوَي الغاصِب اللذين يُحارِبان ضدَّها. «بمجرَّد أن يموتا سيركع الآخَرون. اقتُلوا تنّينيْهما لأعلِّق رأسيهما على جُدران قاعة عرشي. فليَنظُر النَّاس إليهما في السَّنوات القادمة ليعرفوا ثمن الخيانة».

لم يكن ممكنًا تركُ (كينجز لاندنج) دون دفاعٍ بالتَّأكيد، وعليه ستبقى الملكة في المدينة مع سايراكس وابنيها إجون وچوفري اللذين لا يُمكن تعريضهما للخطر. كان چوفري، الذي لم يبلُغ الثَّالثة عشرة بعدُ، توَّاقًا إلى إثبات أنه مُحارِب، ولكن عندما قيلَ له إن والدته بحاجةٍ إلى تايراكسس لمساعدتها في تحصين (القلعة الحمراء) إذا تعرَّضوا لهجوم، أقسمَ الصَّبي بجدِّيَّة أنه يفعل ذلك. وسيبقى أدام ڤيلاريون، وريث ثُعبان البحر، في المدينة أيضًا بسيسموك. المفترَض أن تكفي ثلاثة تنانين للدِّفاع عن (كينجز لاندنج)، فيما تخوض بقيَّتها غِمار المعارك.

أمَّا الأمير ديمون نفسه فسيذهب بكاراكسس إلى (الثَّالوث) مع الفتاة نِتلز وشيپستيلر، للعثور على الأمير إيموند وڤاجهار ووضعِ نهايةٍ لهما. أولف وايت وهيو هامر سيطيران إلى (تمبلتون)، التي تبعُد نحو خمسين فرسخًا جنوب غرب (كينجز لاندنج)، وتُعَدُّ آخِر معقلٍ مخلص بين اللورد هايتاور والمدينة، للمساعدة في الدِّفاع عن البلدة والقلعة، والقضاء على الأمير دايرون وتساريون. اقترحَ اللورد كورلس أنه قد يُمكن أخذ الأمير حيًّا كي يُحتجَز رهينةً، لكن الملكة رينيرا أصرَّت على رأيها. «لن

يبقى صبيًّا للأبد. دعه يكبر ليُصبِح رجلًا، وعاجلًا أو آجلًا سيسعى للانتقام لنفسه من أبنائي».

سُرعان ما بلغَت تلك الخُطط أُذنَي الملكة الأرملة غامرةً نفسها بالهلع، وخوفًا على أبنائها ركعَت الملكة آليسنت على رُكبتيها أمام العرش الحديدي لتترجَّى السَّلام. هذه المرَّة طرحَت الملكة المكبَّلة فكرة تقسيم المملكة، فتحتفظ رينيرا بـ(أراضي التَّاج) و(وادي آرن) والشَّمال وجميع الأراضي التي تُروى بمياه (الثَّالوث) و(جُزر الحديد)، ويأخُذ إجون الثَّاني (أراضي الغرب) و(أراضي العواصف) و(المرعى) ليحكُمها من (البلدة القديمة).

رفضَت رينيرا اقتراح زوجة والدها بازدراء، وأعلنَت جلالتها: «كان يُمكن أن يحظى أبناؤكِ بمناصب رفيعة في بلاطي لو حافظوا على ولائهم لي، لكنهم سعوا لسرقة حقِّي بالميراث، ودماءُ ابنيَّ الحبيبيْن على أيديهم».

فردَّت آليسنت: «كانت مجرَّد دماء نغليْن أريقَت في الحرب. حفيداي كانا طفليْن بريئيْن وقُتِلا بفظاعة. كم من النَّاس عليهم تجرُّع الموت حتى تروي عطشكِ للانتقام؟».

لم تُؤدِّ كلمات الملكة الأرملة إلَّا إلى إلهاب نيران غضب رينيرا، التي حذَّرتها قائلةً: «لن أستمع للمزيد من الأكاذيب. تحدَّثي ثانيةً عن النُّغولة وسآمرُ بقطع لسانكِ». أو هكذا يروي السِّپتون إيوستس، ويقول مونكن الشَّيء ذاته في (قصَّة حقيقيَّة).

وهنا تختلف أقوال مشروم مرَّةً أخرى، إذ يريدنا القزم أن نُصدِّق أن رينيرا أمرَت بقطع لسان زوجة والدها في الحال بدلًا من تهديدها بهذا فقط. يصرُّ المهرّج أن كلمةً فقط من الليدي البَأساء منعَتها، إذ اقترحَت الدُّودة البيضاء عقوبةً أخرى أشدَّ قسوةً. أُخِذَت زوجة الملك إجون ووالدته مُقيَّدتيْن بالسَّلاسل إلى ماخورٍ معيَّن، وهناك بيعَتا لأيِّ رجلٍ رغبَ في التَّمتُّع بهما. وكان الثَّمن باهظًا: تنِّينًا ذهبيًّا للملكة آليسنت، وثلاثة تنانين مقابل الملكة هيلينا، التي كانت أصغر سِنًّا وأجمل. ومع ذلك يقول مشروم إن كثيرين في المدينة رأوا هذا ثمنًا زهيدًا لقاء هتكِ عرض ملكة. يُزعَم أن الليدي البَأساء قالت: «دعيهما تبقيان هناك حتى تحبل كلتاهما. إنهما تتحدَّثان بصفاقةٍ عن النُّغول. فلتُنجِب كلٌّ منهما واحدًا لها».

ومع أن شهوات الرِّجال وقسوة النِّساء لا يُمكن إنكارها، لا توجد أيُّ مصداقيةٍ في كلام مشروم هنا. لا شكَّ أن حكايةً كتلك رُدِّدَت في الخمَّارات ومحال الأكل بـ(كينجز لاندنج)، ولكن من الوارد أنها نشأت في وقتٍ لاحق، عندما كان الملك إجون الثَّاني يبحث عن مبرِّراتٍ لأفعاله الوحشيَّة. يجب تذكُّر أن القزم روى حكاياته بعد سنواتٍ طوال

من وقوع الأحداث التي رواها، وربما أخطأ في تذكُّرِها. فلنترُك الكلام عن ملكتَيِ الماخور إذًا، ولنعُد مرَّةً أخرى إلى التَّنانين المحلِّقة إلى المعارك. انطلقَ كاراكسس وشيپستيلر شمالًا، وسيلڤروينج وڤرميثور إلى الجنوب الغربي.

على منابع نهر (الماندر) العظيم قامَت (تمبلتون)، وهي بلدة سوقٍ مزدهرة ومقرُّ عائلة فوتلي. كانت القلعة المطلَّة على البلدة قويَّةً لكن صغيرة، لا يحرسها أكثر من أربعين رجلًا، لكن ألفًا آخَرين قدِموا من (جسر العلقم) و(الطَّاولة الطَّويلة)، ومن أماكن أبعد جنوبًا، وزادَ وصول قوَّة قويَّة من لوردات النَّهر أعدادهم أكثر وعزَّز عزيمتهم. جاءَ السير جاريبالد جراي والورقة الطَّويلة قاتِل الأسد بعد نصرهما في حفلة الجزَّار برأس السير كريستُن كول معلَّقًا على حربة، وكذا روب ريڤرز الأحمر ورُماته، وآخِر ذِئاب الشِّتاء، وعشرون من الفُرسان مُلَّاك الأراضي واللوردات الصِّغار الذين وقعَت أراضيهم على ضفاف (النَّهر الأسود)، بينهم رجال معروفون مِثل موسلاندر ابن (يور)، والسير جاريك هول ابن (البلدة الوسطى)، والسير مريل الباسِل، واللورد أواين بورني.

إجمالًا، بلغَ عدد القوَّات التي تجمَّعت في (تمبلتون) تحت راية الملكة رينيرا قُرابة التِّسعة آلاف حسب (قصَّة حقيقيَّة)، ويُضخِّم بعض السِّجلَّات الأخرى العدد إلى اثني عشر ألفًا أو يُقلِّله إلى ستَّة آلاف، لكن في جميع هذه الحالات يبدو واضحًا أن أعداد الملكة كانت أقلَّ كثيرًا من أعداد اللورد هايتاور. لا شكَّ أن وصول التِّنينَيْن ڤرميثور وسيلڤروينج براكبيْهما لاقى ترحيبًا عظيمًا من حُماة (تمبلتون)، ولو أنهم لم يعلموا شيئًا عن الأهوال التي تنتظرهم.

تظلُّ كيفيَّة وتوقيت وأسباب ما أصبحَ يُعرَف بخيانات (تمبلتون) محلَّ

خلافٍ كبير، وعلى الأرجح لن تُعلَم حقيقة ما حصلَ أبدًا. يبدو بالفعل أن عددًا ممَّن تدفَّقوا إلى البلدة هاربين قبل وصول جيش اللورد هايتاور كانوا في الحقيقة جزءًا من ذلك الجيش، وقد أُرسِلوا ليتسلَّلوا إلى صفوف المدافِعين. لا شكَّ إطلاقًا أن اثنين من رجال (النَّهر الأسود) الذين انضمُّوا إلى لوردات النَّهر في زحفهم جنوبًا -اللورد أواين بوروني والسير روچر كورن- كانا مؤيِّديْن سرِّيَّيْن للملك إجون، ومع ذلك لم تكن خيانتهما لتصنع فرقًا كبيرًا لو أن هيو هامر وأولف وايت أيضًا لم يُقرِّرا تبديل ولائهما في تلك اللَّحظة.

معظم ما نعرفه عن هذين الرَّجلين يأتي من مشروم. لا يتحفَّظ القزم في تقييمه طبيعتَي هذين الرَّجلين الخسيسة، مصوِّرًا راكب التنِّين الأوَّل سكِّيرًا والثَّاني متوحِّشًا، ويُخبرنا أن كليهما كان جبانًا، وفقط حين لمحا جيش اللورد أورموند ورؤوس حِرابه تتلألأ في الشَّمس وصفوف زحفه تمتدُّ فراسخ عدَّةً وراءه، قرَّرا الانضمام إليه بدلًا من مقاومته. على أن أيَّ الرَّجليْن لم يتردَّد في مواجهة عاصفة من الحِراب والسِّهام عند (دريفتمارك). ربما كانت فكرة مواجهة تساريون هي ما جعلَهما يتردَّدان، ففي معركة (الحُلقوم) كانت جميع التَّنانين في صفِّهما. قد يكون هذا أيضًا ممكنًا... مع أن كلا ڤرميثور وسيلڤروينج كان أكبر سِنًّا وحجمًا من تنِّينة الأمير دايرون، وبالتَّالي انتصارهما في أيِّ معركةٍ أرجح.

يقترح آخَرون أن الجشع لا الجُبن هو ما دفعَ وايت وهامر إلى الخيانة، إذ لم يعنِ الشَّرف لهما إلَّا أقلَّ القليل، وكانت الثَّروة والسُّلطة ما اشتهَياه. بعد معركة (الحُلقوم) وسقوط (كينجز لاندنج) مُنِحا الفروسيَّة... لكنهما طمحا إلى اللورديَّة واستخفَّا بالأملاك البسيطة التي منحَتهما لهما الملكة رينيرا. عندما أُعدِمَ اللوردان روزبي وستوكوورث اقتُرِحَ أن يُمنح

وايت وهامر أراضيهما وقلاعهما من خلال تزويجهما ابنتيهما، لكن جلالتها سمحَت لابنَي الخائنيْن بأن يرِثاهما بدلًا من ذلك، وبعدها مُنِّيا بـ(ستورمز إند) و(كاسترلي روك)، لكن هاتين المكافأتيْن أيضًا حرمَتهما الملكة الجاحدة منهما. لا شكَّ أنهما أملا أن يُكافئهما الملك إجون مكافأةً أكبر إن ساعَدا على إعادة العرش الحديدي إليه، ووارِدٌ حتى أنهما تلقَّيا وعودًا معيَّنةً بهذا الصَّدد من اللورد لارِس الأحنف أو أحد عُملائه، غير أن ذلك يبقى غير مثبَت ولا يُمكن إثباته. بما أن كلا الرَّجلين لم يعرف القراءة والكتابة، فلن نعرف أبدًا ما الذي دفعَ الخائنيْن (كما سمَّاهما التاريخ) إلى فعلِ ما فعلاه.

على أننا نعرف الكثير عن معركة (تمبلتون). اصطفَّ ستة آلاف من رجال الملكة تحت قيادة السير جاريبالد جراي لمواجهة اللورد هايتاور في ميدان المعركة، وقاتَلوا بشجاعةٍ لفترة، لكن أمطار سهامٍ مهلِكة من رُماة اللورد هايتاور أضعفَت صفوفهم، وهجمةً مزلزِلةً بأحصنته الثَّقيلة سحقَتهم وأعادَت النَّاجين راكضين نحو أسوار البلدة، حيث وقفَ روب ريفرز الأحمر لحماية المنسحبين بأقواسهم الطَّويلة.

عندما أصبحَ معظم النَّاجين آمنين خلف البوَّابات، انطلقَ رودي الخراب وذِئاب الشِّتاء من بوَّابةٍ خلفيَّة صارخين بهتافات الحرب الشَّماليَّة المرعبة إذ اجتاحوا ميسرة المهاجِمين. في الفوضى التي أعقبَت هذا شقَّ الشَّماليُّون طريقهم قتالًا عبر عشرة أضعافِ عددهم، إلى حيث اعتلى اللورد هايتاور صهوة جواده تحت راية تنِّين الملك إجون الذَّهبي ورايات (البلدة القديمة) و(البُرج العالي).

كما يروي المغنُّون، كان اللورد رودريك مدمًّى من رأسه إلى قدميه حين أتى بتُرسٍ مشقَّق وخوذةٍ مهشَّمة، ومع ذلك كان ثملًا بالمعركة

لدرجة أنه بدا غير عابئٍ بجراحه. وضعَ ابن عمِّ اللورد أورموند، السير بريندون هايتاور، نفسه بين الرَّجل الشَّمالي ومولاه، باترًا ذراع تُرس رودي من الكتف بضربةٍ واحدةٍ فظيعة بفأسه الطَّويلة... ومع ذلك استمرَّ سيِّد (بلدة الرَّوابي) الشَّرس في القتال فاتكًا بكلٍّ من السير بريندون واللورد أورموند قبل أن يموت. سقطَت رايات اللورد هايتاور، وارتفعَت عقائر أهل البلدة بهتافٍ عظيم ظنًّا منهم أن تيَّار المعركة انقلبَ في صالحهم. حتى ظهور تساريون عبر الميدان لم يُفزعِهم، لأنهم علموا أن عندهم تنِّينيْن في صفِّهم... ولكن عندما عرجَ ڤرميثور وسيلڤروينج إلى السَّماء وشرعا يُطلقان نيرانهما على (تمبلتون) تحوَّل الهتاف إلى صريخ.

كان حقل نيران مصغَّرًا، على حدِّ تعبير المِايستر مونكن في كتابه.

اشتعلَت (تمبلتون)؛ المتاجر والبيوت والسِّپتات والنَّاس وكلُّ شيء. سقطَ الرِّجال محترقين من المتاريس ومبنى البوَّابة، أو تعثَّروا صارخين في الشَّوارع كالعديد من المشاعل الحيَّة. خارج الأسوار انقضَّ الأمير دايرون بتساريون، فأُسقِطَ پايت ابن (الورقة الطَّويلة) من فوق حصانه ودُعِسَ، واخترقَ سهم نُشَّابيَّة جسد السير جاريبالد جراي ثمَّ غمرَه لهب التنِّين، وجلدَ الثُّنائي الخائن البلدة بسياطٍ من اللَّهب من أقصاها إلى أقصاها.

اختارَ السير روجر كورن ورجاله هذه اللَّحظة لإظهار ولائهم الحقيقي، قاتلين المدافِعين عن بوَّابات البلدة قبل أن يفتحوها للمهاجِمين، وفعلَ اللورد أواين بورني الشَّيء ذاته داخل القلعة، غارزًا حربةً في ظهر السير مريل الباسِل.

كان النَّهب الذي تبعَ ذلك من الأشدِّ وحشيَّةً في تاريخ (وستروس). حُوِّلَت (تمبلتون)، بلدة السُّوق المزدهرة، إلى رمادٍ وجمر، واحترقَ آلاف

وماتَ مثلهم غرقًا وهُم يُحاولون عبور النَّهر. سيقول بعض الناس لاحقًا إن هؤلاء كانوا المحظوظين، فلا رحمة نالَها النَّاجون. ألقى رجال اللورد فوتلي سيوفهم واستسلموا ليُقيَّدوا ويُعدَموا لا غير، واغتُصِبت النِّساء النَّاجيات من الحرائق مرارًا وتكرارًا، وحتى الفتيات الصَّغيرات في سنِّ الثَّامنة والعاشرة لم يسلَمن، وقُتِلَ الفتيان والرِّجال العجائز فيما التهمَت التَّنانين جُثث ضحاياها الدَّاخنة المشوَّهة. لم تتعافَ (تمبلتون) قَطُّ، وعلى الرَّغم من أن آل فوتلي حاوَلوا إعادة بنائها فوق الأنقاض لاحقًا، لم تَبلُغ مساحة «بلدتهم الجديدة» عُشر مساحة القديمة، إذ قال العوام إن الأرض ذاتها مسكونة بالأشباح.

على بُعد مئةٍ وستين فرسخًا إلى الشَّمال حلَّقت تنانين أخرى فوق (الثَّالوث)، حيث كان الأمير ديمون تارجاريَن والفتاة السَّمراء الصَّغيرة نِتِلز يُطاردان الأمير إيموند الأعور دون طائل. استقرَّا في (بِركة العذارى) بدعوةٍ من اللورد مانفرد موتون، الذي كان مرعوبًا من احتماليَّة هجوم ڤاجهار على بلدته، ولكن بدلًا من ذلك أغارَ الأمير إيموند على (الرَّأس الحجري) في تلال (جبال القمر) السَّفحيَّة، وعلى (الصَّفصافة العذبة) على (الفرع الأخضر) و(ساليدانس) على (الفرع الأحمر)، وحوَّل (جسر القوس) إلى جمار، وأحرقَ (العبَّارة القديمة) و(طاحونة العجوز)، ودمَّر المعتكَف في (بشستر)، مختفيًا دائمًا في السَّماء قبل وصول مطارديْه. لم تبقَ ڤاجهار في المكان نفسه قَطُّ، ولم يتَّفق النَّاجون على الاتِّجاه الذي حلَّقت فيه التنِّينة.

عند كلِّ فجرٍ طارَ كاراكسس وشيبستيلر من (بِركة العذارى) محلِّقيْن عاليًا فوق (أراضي النَّهر) في دوائر دائمة الاتِّساع آمليْن لمحةً من ڤاجهار بالأسفل... فقط ليعودا محبطيْن عند الغسق. يقول كتاب (سجلَّات بِركة العذارى) إن اللورد موتون تجرَّأ على اقتراح أن ينقسِم راكبا التنِّينيْن في جولات التَّقصِّي حتى يُغطِّيا ضِعف مساحة الأرض، لكن الأمير ديمون رفضَ وذكَّر حضرة اللورد بأن ڤاجهار آخِر التَّنانين التي قدمَت إلى (وستروس) مع إجون الفاتِح وأختيْه. رغم أنها أبطأ مما كانت قبل قرنٍ فقد قاربَت بالريون الرعب الأسود حجمًا، ونيرانها حامية لدرجة أنها تُذيب الحجر، وليس كاراكسس ولا شيبستيلر بنظيرٍ لضراوتها. معًا فقط يُمكنهما الأمل في الصُّمود أمامها، ولذلك أبقى الأمير الفتاة نِتِلز بجانبه ليلًا ونهارًا، في عنان السَّماء وفي رحاب القلعة.

ولكن هل كان الخوف من ڤاجهار السَّبب الوحيد لإبقاء الأمير ديمون

نِتِلز قريبةً منه؟ يُريدنا مشروم أن نعتقد أنه لم يكن كذلك، فحسب زعمِ القزم وقعَ الأمير ديمون في حُبِّ تلك الفتاة النَّغلة السَّمراء الصَّغيرة، وأخذَها إلى فراشه.

ما مقدار المصداقيَّة التي يُمكن أن نضمنها في شهادة المهرِّج؟ لم تتعدَّ نِتِلز السَّابعة عشرة من عُمرها، والأمير ديمون كان يبلُغ التَّاسعة والأربعين، ومع ذلك فالقوَّة التي تستحوذ بها الفتيات الشَّابات على قلوب الرِّجال الأكبر منهنَّ معروفة. ولم يكن ديمون تارجاريَن قرينًا مخلصًا لملكته، ونحن نعلم هذا. حتى سِپتوننا المتحفِّظ عادةً يكتُب عن زياراته اللَّيليَّة إلى الليدي ميساريا، التي اعتادَ مشاركتها فِراشها في البلاط... بمباركة الملكة على ما يبدو. ولا ينبغي أن يُنسى أن في شباب الأمير علمَ كلُّ صاحِب ماخور في (كينجز لاندنج) أن اللورد جُحر البراغيث تمتَّع بشهوةٍ خاصَّة تجاه العذارى، فأبقى أصغرهنَّ وأجملهنَّ وأكثرهنَّ براءةً له ليقتطِف زهورهنَّ.

لا شكَّ أن الفتاة نِتِلز كانت صغيرة السِّن (ولكن ربما لم تكن صغيرةً كاللواتي جامعهنَّ الأمير ديمون في شبابه)، وإن يبدو لنا أن عُذريَّتها مشكوك فيها. ناشئةً بلا مأوى ويتيمةً ومفلسةً في شوارع (بلدة التَّوابل) و(الأبدان)، من المرجَّح للغاية أنها سلَّمت عُذريَّتها بعد فترةٍ لم تَطُل من أوَّل إزهارٍ لها (إن لم يكن قبله) مقابل نصف جروت أو كسرةٍ من الخُبز. وتلك الشِّياه التي أطعمَتها لشيپستيلر... من أين لها بها إن لم يكن برفع تنُّورتها لأحد الرُّعاة؟ ولا يُمكن أن تُوصَف نِتي بالجمال. كتبَ مونكن عنها في (قصَّة حقيقيَّة) أنها «فتاة بُنِّيَّة نحيلة فوق تنِّينٍ بُنِّي نحيل»، (مع أنه لم يرَها قَطُّ). يقول السِّپتون إيوستس إن أسنانها كانت معوجَّةً، وأنفها نديبًا حيث شُقَّ عقابًا على ارتكابها السَّرقة. بصعوبةٍ قد يعدُّها

المرء عشيقةً ملائمة لأمير.

في مقابل ذلك لدينا (شهادة مشروم)... وفي هذه الحالة (سجلَّات بِركة العذارى) أيضًا، كما دوَّنها مِايستر اللورد موتون. يَكتُب المِايستر نورِن أن «الأمير وفتاته النَّغلة» تناوَلا العشاء معًا كلَّ ليلةٍ وأفطَرا معًا كلَّ صباحٍ وناما في غُرفتيْن متجاورتيْن، وأن الأمير «أغرمَ بالفتاة السَّمراء كما يُغرم المرء بابنته»، معلِّمًا إيَّاها «المجاملات الشَّائعة» وارتداء الثِّياب اللَّائقة والجلوس وتمشيط شعرها، وأنه قدَّم لها هدايا من قبيل «فُرشة شعرٍ بمقبضٍ من العاج، ومرآةٍ فضِّيَّة، ومعطفٍ من المخمل البُنِّي بحواشٍ من الحرير، وحذاء ركوبٍ من جلدٍ بطراوة الزُّبدة». يقول نورِن إن الأمير علَّم الفتاة الاغتسال، وقالت الخادمات اللاتي جلبن مياه حمَّامهما إن الأمير غالبًا ما شاركَها حوض الاستحمام، «منظِّفًا ظهرها بالصَّابون أو غاسلًا نتن التنِّين من شعرها، وكلاهما عارٍ كيوم مولدهما».

لا شيء من هذا يُشكِّل دليلًا على أن ديمون تارجارين كان في علاقةٍ جسديَّة مع الفتاة النَّغلة، ولكن في ضوء ما تبعَ ذلك علينا أن نحكُم بأرجحيَّة هذه الحكاية على أكثر حكايات مشروم. ومع ذلك، كيفما قضى راكبا التنِّينيْن هذان لياليهما، فمن المؤكَّد أنهما قضيا أنهُرهما يجوبان السَّماء في مطاردة الأمير إيموند وڤاجهار دون طائل. لنتركهما حاليًّا إذًا ونُحوِّل أنظارنا فترةً وجيزةً عبر (الخليج الأسود).

في هذا الوقت تقريبًا دخلَ كوج تجاري محطَّم اسمه (نيساريا) الميناء أسفل (دراجونستون) متهاديًا لإجراء الإصلاحات والتَّزوُّد بالمؤن. قال طاقمه إنه كان عائدًا من (پنتوس) إلى (ڤولانتيس القديمة) عندما عصفَت به زوبعة غيَّرت مساره... على أن الڤولانتيِّين أضافوا نغمةً غريبةً إلى أغنيَّة خطر البحر الشَّائعة هذه، إذ بينما اتَّجه الكوج (نيساريا)

غربًا لاحَ في الأفق أمامهم جبل (دراجونمونت) ضخمًا قُبالة الشَّمس الغاربة... ولمحَ البحَّارة تِنِّينيْن يتقاتَلان فيما تتردَّد أصداء هديرهما على المنحدرات السَّوداء على الجانب الغربي من الجبل الدَّاخن. في كلِّ حانةٍ وخانٍ وبيت دعارة بطول الواجهة البحريَّة سُرِدَت الحكاية وأعيدَ سردها وحُرِّفَت، حتى سمعَها كلُّ شخصٍ في (دراجونستون).

كانت التَّنانين عجيبةً من العجائب عند رجال (ڤولانتيس القديمة)، ولم ينسَ أيٌّ من رجال (نيساريا) مشهد التِنِّينيْن المتقاتليْن. أمَّا مَن وُلِدوا وترعرَعوا على (دراجونستون) فقد نشأوا مع هذه الوحوش... ومع ذلك أثارَت قصَّة البحَّارة اهتمامهم. في الصَّباح التَّالي أخذَ بعض الصيَّادين المحلِّيِّين قواربهم حول (دراجونمونت)، وعادوا ليُبلغوا عن رؤيتهم بقايا محروقةً محطمةً لتنِّينٍ ميت عند سفح الجبل، وشى لون جناحيْه وحراشفه بأن الجُثَّة لجراي جوست. كان التنِّين مشطورًا نصفيْن وممزقًا وملتهَمًا جزئيًّا.

عند سماعِ هذا الخبر حدَّد السير روبرت كوينس، الفارس الظَّريف المشهور ببدانته الذي عيَّنته الملكة أمينًا لـ(دراجونستون) عند رحيلها، من فوره أن الكانيبال هو القاتِل. وافقَه معظم النَّاس، ذلك أن الكانيبال كان معروفًا بمهاجمته التَّنانين الأصغر في السَّابق، ولو أنه نادرًا ما هاجمَ أحدها بتلك الوحشيَّة. خشية انقلاب القاتِل عليهم المرَّة التَّالية، حثَّ بعض الصيَّادين السير كوينس على إرسال فُرسان إلى عرين الوحش لوضعِ نهايةٍ له، لكن الأمين رفضَ وأعلنَ: «إن لم نُزعِج الكانيبال فلن يُزعِجنا»، ولضمان ذلك نهى عن الصَّيد في المياه أسفل وجه (دراجونمونت) الشَّرقي، حيث رقدَت جُثَّة التنِّين المهزوم تتعفَّن.

قراره هذا لم يُرضِ عُهدته الضَّجرة، الأميرة بِايلا تارجاريَن ابنة الأمير

ديمون من زوجته الثَّانية لِاينا ڤيلاريون. في الرَّابعة عشرة من عُمرها كانت بايلا فتاةً جامحةً عنيدةً، أقرب إلى الصِّبيانيَّة من تصرُّفات ليدي مهذَّبة، ابنة أبيها بحقٍ. على الرَّغم من نحولها وقِصر قامتها لم تعرف ذرَّة خوف، وعاشَت للرَّقص والصَّيد وركوب الخيل. في صِغرها تعرَّضت كثيرًا للتَّوبيخ لمصارعتها المرافِقين في السَّاحة، لكن مؤخَّرًا انجذبَت إلى ألعاب التَّقبيل معهم بدلًا من ذلك. بعد فترةٍ قصيرة من انتقال بلاط الملكة إلى (كينجز لاندنج) -فيما بقيَت الليدي بايلا في (دراجونستون)- ضُبِطَت بايلا وقد سمحَت لعاملٍ من المطابخ بوضع يده داخل سترتها. مفعمًا بالغضب، أرسلَ السير روبرت الفتى إلى القُرمة لتُقطَع يده المنتهِكة. ولم يُنقِذه إلَّا شفاعة الفتاة الدَّامعة.

كتبَ أمين القلعة إلى والد بايلا الأمير ديمون بعد هذه الحادثة: «إنها مولعة بالصِّبيان، ويجب أن تُزوَّج عاجلًا خشية أن تُسلِّم بِكارتها إلى شخصٍ لا يليق بها». وأكثر من الصِّبيان أحبَّت بايلا الطَّيران. منذ أوَّل تحليقٍ لها بتنِّينتها موندانسر في السَّماء قبل أقلِّ من سنة، طارَت كُل يومٍ متنقِّلةً بحُرِّيَّة في جميع أرجاء (دراجونستون)، وحتى عبر البحر إلى (دريفتمارك).

مشتاقةً دائمًا إلى المغامرات، اقترحَت الفتاة اكتشاف حقيقة ما جرى على جانب الجبل الآخَر بنفسها، وقالت للسير روبرت إنها لا تخشى الكانيبال. موندانسر أصغر وأسرع، ويُمكنها أن تسبق التنِّين الآخَر بسهولة. لكن أمين القلعة منعها من الإقدام على أيِّ مخاطرةٍ كتلك، وأملى على الحامية تعليماتٍ صارمةً: يجب ألَّا تُغادِر الليدي بايلا القلعة. حين قُبِضَ عليها وهي تُحاوِل عصيان أوامره في اللَّيلة ذاتها، حُجِزَت الفتاة الغاضبة في غُرفتها.

مع أنه قرارٌ مفهوم فقد اتَّضح بعد فوات الأوان أنه مؤسف، لأنه لو سُمِحَ لليدي بِايلا بالطَّيران في تلك اللَّيلة فلربما لمَحَت قارب الصَّيد الذي كان في ذلك الحين يشقُّ طريقه حول الجزيرة. على متنه كان صيَّاد مُسن يُدعى بتوم ذي اللِّحية المعقودة وابنه توم المتهتِه و«ابنا عمومةٍ» من (دريفتمارك) غدوَا بلا مأوى عندما دُمِّرَت (بلدة التَّوابل). توم الأصغر كان بارعًا في الشُّرب من الأباريق بقدر خرَقه في إلقاء شباك الصَّيد، وقد قضى وقتًا طويلًا في شراء الشَّراب للبحَّارة الڤولانتينيِّين سامعًا حكاياتهم عن التِّنينيْن اللذين رأوهما يتقاتَلان. قال رجل: «رماديًّا وذهبيًّا كانا، يتألَّقان في عين الشَّمس»... وفي تحدٍّ لحظر السير روبرت كان الثُّنائي توم عازمًا على توصيل «ابنَي عمومتهما» إلى السَّاحل الصَّخري حيث رقدَ التنِّين الميت محروقًا محطَّمًا، ليسعيا وراء قاتِله.

في تلك الأثناء، على ساحل (الخليج الأسود) الغربي، وصلَت أخبار المعركة والخيانة في (تمبلتون) إلى (كينجز لاندنج). يُقال إن الملكة الأرملة آليسنت ضحكَت حين سمعَتها، وتوعَّدت قائلةً إن «كلَّ ما زرعوه سيحصدونه الآن». على العرش الحديدي شحبَ وجه رينيرا وأصابَها الدُّوار، وأمرَت بإغلاق بوَّابات المدينة وإزلاجها. من الآن فصاعدًا غير مسموحٍ بدخول (كينجز لاندنج) أو مغادرتها. أعلنَت الملكة: «لن أسمح بتسلُّل المارقين إلى مدينتي ليفتحوا بوَّاباتي للمتمرِّدين». قد يكون جيش اللورد أورموند خارج أسوارهم غدًا أو بعد غد، والخائنان قد يصلان محمولَيْن على تِنِّينيْهما قبل ذلك.

حمَّس هذا الاحتمال الأمير چوفري، وصرَّح الصَّبي مغمورًا بغرور الشَّباب وتوَّاقًا إلى الانتقام لأخويه الهالكيْن: «فليأتوا. سأواجِههم بتايراكسس». أقلقَ هذا الكلام والدته، فأعلنَت: «لن تفعل ذلك. أنت صغير جدًّا على المعارك». ومع ذلك سمحَت للفتى بالبقاء فيما ناقشَ المجلس الأسود السُّبل الأفضل للتَّعامُل مع العدوِّ المقترب.

بقيَت ستَّة تنانين في (كينجز لاندنج)، لكن واحدةً فقط منها جثمَت داخل أسوار (القلعة الحمراء): سايراكس تنِّينة الملكة رينيرا. أُفرِغَ اسطبل كامل في الجناح الخارجي من خيوله وخُصِّصَ لها وحدها، وقيَّدتها سلاسل ثقيلة إلى الأرض. رغم أن طولها سمحَ لها بالانتقال من الاسطبل إلى السَّاحة، منعَتها السَّلاسل من الطَّيران وحدها دون راكبتها. اعتادَت سايراكس السَّلاسل قبل فترةٍ طويلة، ولحُسن تغذيتها المبالغ فيه لم تصطَد منذ سنوات.

أُبقِيَت التَّنانين الأخرى في (جُب التَّنانين). تحت قبَّته العظيمة حُفِرَ أربعون غارًا ضخمًا في عظم (تل ريينس) ذاته في حلقةٍ عظيمة، وأغلقَت أبواب حديديَّة سميكة هذه الكهوف بشريَّة الصُّنع طرفَي كلِّ غار، بحيث تُواجِه الأبواب الدَّاخليَّة رمال الجُبِّ وتُفتَح الخارجيَّة على جانب التَّل. أقامَت سيلفروينج وفرميثور وشيپستيلر هناك قبل انطلاقهم إلى المعارك، وهكذا بقيَت خمسة تنانين: تايراكسس تنِّين الأمير چوفري، وسيسموك تنِّين أدام فيلاريون الرَّمادي الشَّاحب، والتنِّينان الصَّغيران مورجول وشرايكوس المربوطان بالأميرة چهيرا (الهاربة) وتوأمها الأمير چهيرس (الميت)... ودريمفاير محبوبة الملكة هيلينا. قبل فترةٍ طويلة جرَت العادة على سكون راكب تنِّينٍ واحد على الأقل (جُب التَّنانين) ليكون مستعدًّا للدِّفاع عن المدينة في ساعة الحاجة، ولأن رينيرا فضَّلت إبقاء ابنيها إلى جانبها فقد وقعَ ذلك الواجب على كاهل أدام فيلاريون.

لكن أصواتًا بدأت تتعالى في المجلس الأسود متسائلةً عن ولاء السير أدام. بذرتا التنِّين أولف وايت وهيو هامر انقلبا إلى العدو... ولكن أهما الخائنان الوحيدان بين ظهرانيهم؟ ماذا عن أدام ابن (الأبدان) والفتاة نِتلز؟ لقد وُلِدا من أصولٍ غير شرعيَّة أيضًا، فهل يُمكن ائتمانهما؟

لم يحسب اللورد بارثموس سلتيجار ذلك، وقال: «النُّغول خونة

بالسَّليقة. إنها في دمائهم، الخيانة عند النَّغل سهلةٌ كالولاء عند المولود الشَّرعي»، وحثَّ جلالتها على القبض على راكبَي التَّنانين وضيعَي الميلاد فورًا، قبل أن يستطيعا هما أيضًا أن ينضمَّا إلى العدوِّ بتنِّينيْهما. ردَّد آخَرون وجهة نظره، من ضمنهم السير لوثر لارجنت قائد حرس المدينة، والسير لورنت ماربراند قائد حرس جلالتها الملكي. حتى رجلا (الميناء الأبيض)، الفارس المهيب السير مدريك ماندرلي وشقيقه النَّبيه البدين السير تورين، حثَّا الملكة على عدم الثِّقة بهما، وقال السير تورين: «من الأفضل عدم المجازفة. إذا اكتسبَ العدوُّ تنِّينيْن آخَريْن فنحن هالكون».

فقط اللورد كورلس والمِايستر الأكبر جيراردس دافَعا عن بذرتَي التنِّين. قال المِايستر إن لا إثبات لديهم لعدم إخلاص نِتلز وأدام، ومن الحكمة البحث عن دليلٍ قبل إصدار أيَّة أحكام، فيما تجرَّأ اللورد كورلس أكثر من هذا بكثير، قائلًا إن السير أدام وشقيقه آلِن «ابنا ڤيلاريون نقيَّان» ووريثان جديران بـ(دريفتمارك). أمَّا الفتاة فقد تكون قذرةً وغير مستحبَّة، غير أنها قاتلَت بشجاعةٍ في معركة (الحُلقوم). ردَّ اللورد سلتيجار: «كما فعلَ الخائنان».

أثبتَت احتجاجات اليد المشوبة بالعاطفة وحذر المِايستر الأكبر البارد أنها مساعٍ عقيمة، فقد ثارَت شكوك الملكة بالفعل. يَكتُب السِّپتون إيوستس: «لقد خِينَت جلالتها عديد المرَّات من كثير النَّاس لدرجة أنها أصبحَت سريعًا ما تُصدِّق أيَّ شيءٍ من أيِّ أحد. لم تعُد للخيانة القُدرة على مفاجأتها، وصارَت تتوقَّعها، حتى من أكثر مَن أحبَّتهم».

قد يكون الأمر كذلك، على أن الملكة رينيرا لم تتصرَّف مباشرةً، بل أرسلَت تستدعي الليدي ميساريا، البغيَّ الرَّاقصة التي كانت وليَّة الهامسين في كلِّ شيءٍ عدا الاسم. ببشرتها الشَّاحبة كالحليب ظهرَت

الليدي البَأساء أمام المجلس برداءٍ مقلنَس من المخمل الأسود المبطَّن بالحرير الأحمر الدَّموي، ووقفَت برأسٍ محني بتواضُع فيما سألَتها جلالتها إن كانت تظنُّ أنَّ السير أدام ونِتلز يُخطِّطان لخيانتهم. رفعَت الدُّودة البيضاء عينيها وقالت بصوتٍ خافت: «لقد خانتكِ الفتاة بالفعل يا مليكتي. إنها تُشارِك زوجكِ فِراشه، وسُرعان ما ستحمل نغله في بطنِها».

يَكتُب السِّپتون إيوستس أن الملكة رينيرا اشتاطَت غضبًا، وبصوتٍ باردٍ كالجليد أمرَت السير لوثر لارجنت بأخذ عشرين رجلًا من المعاطِف الذَّهبيَّة إلى (جُب التَّنانين) واعتقال أدام ڤيلاريون. «استجوِبوه بحِدَّة، وسنعلم دون أدنى شكٍّ إن كان صادقًا أم كاذبًا». وبالنِّسبة إلى الفتاة نِتلز فقد أعلنَت الملكة: «هي كسائر عامَّة الناس، بنتانة الشَّعوذة عليها. أميري لن يُجامِع مخلوقةً بهذه الوضاعة أبدًا. ما عليكم إلَّا النَّظر إليها لتعلموا أنَّها لا تملك قطرةً واحدةً من دمِ التنِّين في عروقها. لقد ربطَت التنِّين بها بالتَّعاويذ، كما فعلَت مع السيِّد زوجي». وتابعَت جلالتها قائلةً إنه لن يُمكن الاعتماد على الأمير ديمون ما دامَ مولعًا بالفتاة، ولذا فليُرسَل أمر إلى (بِركة العذارى) في الحال، ولكن لتقرأه عينا اللورد موتون فقط. «فليأخذها وهي جالسة إلى المائدة أو من فِراشها ويضرب عُنقها. حينها فقط سيتحرَّر أميري من شعوذتها».

وهكذا ولَّدت الخيانة المزيد من الخيانة مؤدِّيةً إلى دمار الملكة. بينما ركبَ السير لوثر لارجنت ومعاطفه الذَّهبيَّة صاعدين (تل ريينس) بتفويضٍ من الملكة، فُتِحَت أبواب (جُب التَّنانين) من فوقهم، وبسطَ سيسموك جناحيْه الرَّماديَّيْن الشَّاحبيْن وحلَّق والدُّخان يتصاعَد من مِنخريْه. لقد حُذِّر السير أدام ڤيلاريون في الوقت المناسب لكي يهرب. غاضبًا وعاجزًا، عادَ السير لوثر من فوره إلى (القلعة الحمراء)، حيث اقتحمَ (بُرج اليد) وأطبقَ بيديه الغليظتيْن على اللورد المسن كورلس

متَّهمًا إيَّاه بالخيانة. لم يحاول الرَّجل العجوز الإنكار، ومقيَّدًا ومضروبًا، وإن لم يزَل صامتًا، أُخِذَ إلى المحابس وزُجَّ به في زنزانةٍ سوداء لينتظر ساعة محاكمته وإعدامه.

وقعَت شكوك الملكة على المِايستر جيراردس أيضًا، لأنه، مثل ثُعبان البحر، دافَع عن بذرتَي التنّين، لكن جيراردس نفى أيَّ دورٍ له في خيانة اللورد كورلس. مدركةً خدمته الطَّويلة المخلصة لها، أعفَت رينيرا المِايستر الأكبر من الزَّنازين، وإن اختارَت عزله من المجلس الأسود وإعادته إلى (دراجونستون) في الحال. «لا أظنُّ أنك قد تكذب في وجهي، لكنني لا أستطيع أن أبقي حولي رجالًا لا أثقُ بهم ثقةً مطلقةً، وعندما أنظرُ إليك الآن فكلُّ ما أتذكَّره هو ثرثرتك عن الفتاة نِتلز».

طيلة الوقت كانت حكايات المذبحة في (تمبلتون) تنتشِر عبر المدينة... ومعها الهلع. قال بعض النَّاس لبعضٍ إن (كينجز لاندنج) التَّالية. سيُقاتِل التنّينُ التنّينَ، وهذه المرَّة ستحترق المدينة لا ريب. حاولَ مئات الهرب خوفًا من العدوِّ القادم، فقط ليردُّهم ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة عند البوَّابات. محاصَرين داخل أسوار المدينة، بحثَ بعضهم عن ملجأ في أعماق الأقبية من عاصفة النَّار التي خشوا هبوبها، فيما التجأ آخَرون إلى الصَّلاة، وإلى الشُّرب، وإلى الملذَّات التي يُمكن العثور عليها بين فخذَي امرأة. بحلول الظَّلام كانت حانات المدينة ومواخيرها وسِپتاتها قد اكتظَّت بالرِّجال والنِّساء الباحثين عن السُّلوان أو عن مهربٍ متبادلين حكايات الرُّعب.

في هذه السَّاعة المظلمة انتفضَ في (ميدان الأساكِفة) أخٌ متجوِّل معيَّن، فزَّاعة بهيئة رجلٍ حافي القدمين يرتدي قميصًا من الشَّعر وسراويل من الخيش، قذر وغير مغتسِل ورائحته كالزَّريبة، ويُعلِّق وعاء تسوُّلٍ من وِكاءٍ جلدي حول رقبته. كان الرَّجل لصًّا، ففي الموضع الذي احتلَّته

يده اليُمنى كانت جَذَعة مغطَّاة بالجِلد البالي. يقترح المايستر الأكبر مونكن أنه ربما كان من الصَّعاليك، فعلى الرَّغم من حظرِ الجماعة قبل زمنٍ طويل، ظلَّ النُّجوم الهائمون يُلازِمون أزقَّة (الممالِك السَّبع). لا يُمكننا معرفة من أين جاءَ، وحتى اسمه نسيَه التَّاريخ. مَن سمعوه يعِظ، مثلهم مثل مَن سيُسجِّلون أفعاله الشَّائنة لاحقًا، يعرفونه باسم الرَّاعي فقط، ويدعوه مشروم بـ«الرَّاعي الميت»، لأنه يدَّعي أن الرَّجل كان شاحبًا وفظيع الرَّائحة كجُثَّةٍ قامَت من قبرِها حديثًا.

كائنًا مَن كان أو ما كان، انتفضَ هذا الرَّاعي ذو اليد الواحدة كروحٍ خبيثة، داعيًا بالهلاك والدَّمار على الملكة رينيرا لكلِّ مَن أتوا لسماعه.

بدأبٍ لم يقلَّ عن رباطة جأشه، خطبَ طوال اللَّيل بلا انقطاعٍ وحتى النَّهار التَّالي أيضًا، يرنُّ صوته الغاضب عبر (ميدان الأساكِفة).

أعلنَ الرَّاعي أن التَّنانين مخلوقات غير طبيعيَّة، شياطين استدعَتها من حُفر الجحائم السَّبع الشَّعوذة الڤاليريَّة المميتة، «تلك البالوعة الفاسدة حيث عاشرَ الأخ الأخت والأمُّ الابن، وامتطى الرِّجال الشَّياطين إلى المعركة فيما فرجَت نساؤهم سيقانهنَّ للكلاب». لقد نجا آل تارجاريَن من الهلاك فارِّين عبر البحار إلى (دراجونستون)، لكن «الآلهة لا تُخدَع»، والآن هلاكٌ ثانٍ على الأبواب. جأرَ الرَّاعي: «سيُزاح الملك الزَّائف والملكة العاهرة مع كلِّ صنائِعهما، وتُباد شياطينهما المتوحِّشة من الأرض». كلُّ مَن يقفون معهما سيهلكون كذلك، وفقط عن طريق تطهير (كينجز لاندنج) من التَّنانين وسادتها يُمكن لـ(وستروس) أن تأمل تجنُّب مصير (ڤاليريا).

ازدادَت أعداد مستمعيه كلَّ ساعة. دستة منهم أصبحَت عشرين، ثمَّ مئة، ومع مطلع الفجر كان آلاف قد احتشَدوا في الميدان، يتزاحَمون ويتدافَعون إذ أرهَفوا آذانهم لسماعه. حملَ العديد منهم مشاعل، ومع حلول اللَّيل وقفَ الرَّاعي وسط حلقةٍ من النَّار. مَن حاوَلوا الزَّعيق فيه لينزل افترسَتهم الحشود، وحتى ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة رُدِعوا عندما حاولَ أربعون منهم إخلاء السَّاحة بحدِّ الحربة.

سادَ نوع مختلف من الفوضى في (تمبلتون) الواقعة على بُعد ستِّين فرسخًا إلى الجنوب الغربي. في حين ارتجفَ أهل (كينجز لاندنج) برُعب، لم يتقدَّم الخصوم الذين يخشونهم من المدينة على أقدامهم بعدُ، لأن مواليي الملك إجون وجدوا أنفسهم بلا قائد، مطوَّقين بالانقسام والصِّراع والشَّكِّ. أورموند هايتاور سقطَ ميتًا مع ابن عمومته السير

بريندون فارس (البلدة القديمة) البارز، وبقيَ أبناؤه في (البُرج العالي) على بُعد ألف فرسخ، وبجانب ذلك كانوا صبيةً خُضرًا. وبينما لقَّب اللورد أورموند دايرون تارجاريَن بـ«دايرون الجريء» وأشادَ بشجاعته في المعركة، لم يزَل الأميرُ صبيًّا. كان أصغر أبناء الملكة آليسنت، ونشأ في ظلِّ أخويْه الأكبر، واعتادَ اتِّباع الأوامر أكثر من إعطائها. الفرد الأرشد من آل هايتاور الذي بقيَ مع الجيش هو السير هوبرت، ابن عمومةٍ آخَر للورد أورموند، وكان حتى الآن مكلَّفًا بحماية قافلة الأمتعة فقط. كان رجُلًا «بدينًا بقدر ما كان بطيء البديهة»، عاشَ ستِّين سنةً دون أن يُميِّز نفسه، ومع ذلك تجرَّأ على تولِّي قيادة الجيش بحقِّ قرابته من الملكة آليسنت.

تقدَّم اللورد أنوين بيك والسير چون روكستون الجَسور واللورد أواين بوربي أيضًا. تباهى اللورد بيك بانحداره من خطٍّ طويل من المحاربين المشاهير، وصحبَه مئة فارسٍ وتسعمئة من الرِّجال المسلَّحين تحت قيادته، وكان چون روكستون مخيفًا لمزاجه الأسود كما كان لنصله الأسود، السَّيف الفولاذي الڤاليري المسمَّى (الميتِّمة)، أمَّا اللورد أواين الخائن فأصرَّ أن دهاءه هو ما أربحَهم (تمبلتون)، وأنه الوحيد الذي يستطيع أخذ (كينجز لاندنج). لا أحد من هؤلاء المدَّعين كان قويًّا ومحترمًا بما فيه الكفاية لكي يَحُدَّ من إراقة الدِّماء وجشع الجنود العوام، وبينما يتشاجَرون على الأولويَّة والغنائم انضمَّ رجالهم بحريَّةٍ وانغماسٍ إلى عربدة السَّلب والاغتصاب والتَّخريب.

أهوال تلك الأيام لا يُمكن أن تُنكَر. نادرًا ما خضعَت بلدة أو مدينة في تاريخ (الممالِك السَّبع) لفترةٍ بذلك الطُّول أو القسوة أو الوحشيَّة من النَّهب مثل (تمبلتون) بعد الخيانات. من دون سيِّدٍ قوي يردعهم، حتى

الرِّجال الصَّالحون يُمكن أن يتحوَّلوا إلى وحوش، وهكذا كانت الحال هنا. تجوَّل الجنود السَّكارى في فِرَقٍ عبر الشَّوارع سارقين كلَّ منزلٍ ومتجرٍ وقاتلين أيَّ رجلٍ حاولَ صدَّهم، ووقعَت كلُّ امرأةٍ فريسةً لشهواتهم، حتى العجائز الشَّمطاوات والفتيات الصَّغيرات، وعُذِّبَ الأثرياء حتى الموت لإجبارهم على كشف مكان تخبئة ذهبهم وجواهرهم، وانتُزِعَ الأطفال من أيدي أمَّهاتهم وخُوزِقوا على الحِراب، وطورِدَت السِّپتوات الورِعات عارياتٍ في الشَّوارع واغتُصِبنَ، ليس من رجلٍ واحد بل مئة، وكذا الأخوات الصَّامتات انتُهِكَت حُرمتهنَّ. حتى الموتى لم يسلموا، فبدلًا من إعطائهم دفنًا مشرِّفًا تُرِكَت جُثثهم تتعفَّن، طُعمةً لغِربان الجيف والكلاب البرِّيَّة.

يجزم كلا السِّپتون إيوستس والمِايستر الأكبر مونكن بأن الأمير دايرون أصابَه الغثيان من كلِّ ما رآه، وأمرَ السير هوبرت بوضع حدٍّ له، لكن محاولات هايتاور أثبتَت أنها غير فعَّالة مثل الرَّجل نفسه. إنَّ من طبيعة العامَّة اتِّباع سادتهم أينما قادوهم، وقد سقطَ الرَّاغبون في خلافة اللورد أورموند أنفُسهم ضحايا للطَّمع وشهوة الدَّم والتَّكبُّر. فُتِنَ چون روكستون الجَسور بالليدي الجميلة شاريس فوتلي، زوجة سيِّد (تمبلتون)، وطالبَ بها «غنيمة حرب»، وعندما اعترضَ السيِّد زوجها شقَّه السير چون نصفين تقريبًا بـ(الميتِّمة) قائلًا: «يُمكنها أن تُرمِّل أيضًا»، ومزَّق فُستان الليدي شاريس الباكية عن جسدها. بعد يومين فقط تجادلَ اللورد پيك واللورد بورني بشدَّةٍ في مجلس الحرب، إلى أن سحبَ پيك خنجره وطعنَ بورني في العين معلنًا: «المارِق مرَّةً مارِقٌ للأبد»، فيما حدَّق الأمير دايرون والسير هوبرت بهلع.

ومع ذلك فأسوأ الجرائم كانت تلك التي ارتكبَها الخائنان، راكبا التنِّين

وضيعا المولد هيو هامر وأولف وايت. سلَّم السير أولف نفسه بالكامل إلى السُّكر، «مغرقًا نفسه في النَّبيذ ولحم النِّساء». يقول مشروم إنه اغتصبَ ثلاث عذراواتٍ كُلَّ ليلة، وأولائي اللواتي فشلن في إرضائه أُطعِمن لتنِّينته. الفروسيَّة التي أسبغَتها عليه الملكة رينيرا لم تكفِه، ولا اكتفى حين سمَّاه الأمير دايرون سيِّدًا لـ(جسر العلقم). كانت في بال وايت جائزة أعظم، إذ لم يرغب في مقعدٍ أدنى من (هايجاردن)، مصرِّحًا بأن آل تايرل لم يلعبوا أيَّ دورٍ في الرَّقصة، وبالتَّالي يجب أن يُجرَّدوا من أملاكهم بوصفهم خونةً.

لا بُدَّ من عدِّ طموحات السير أولف متواضعةً مقارنةً بطموحات صاحبه المارِق هيو هامر. كان هامر ابن حدَّادٍ من العامَّة، رجلًا ضخمًا قويَّ اليدين لدرجة القول بأنه استطاعَ ليَّ قُضبان الفولاذ إلى أطواق. رغم أنه لم يتلقَّ إلَّا تدريبًا بسيطًا على فنون الحرب، جعلَه حجمه وقوَّته خصمًا مخيفًا. سلاحه المختار كان المطرقة الحربيَّة، التي سدَّد بها ضرباتٍ محطِّمةً وقاتلةً. في المعركة ركبَ ڤرميثور الذي كان سابقًا تنِّين الملك العجوز نفسه، ومن بين جميع التَّنانين في (وستروس) كانت ڤاجهار وحدها أكبر منه سِنًّا وحجمًا.

لكلِّ هذه الأسباب بدأ اللورد هامر (كما أصبحَ يُلقِّب نفسه) يَحلُم بالتِّيجان، وأخبرَ الرِّجال الذين بدأوا يتحلَّقون حوله: «لماذا تكون لوردًا إذا كنت تستطيع أن تكون ملكًا؟». وسُمِعَ كلام في المخَّيم عن نبوءةٍ من الزمن الغابر قالت: «حين تَسقُط المطرقة على التنِّين سينهض ملك جديد، ولن يقف في وجهه أحد». ما يزال غامضًا من أين أتَت هذه الكلمات (ليس من هامر نفسه، الذي لم يكن يقرأ أو يَكتُب)، ولكن في غضون بضعة أيام كان كلُّ رجلٍ في (تمبلتون) قد سمعَها.

لم يبدُ أيُّ الخائنيْن حريصًا على مساعدة الأمير دايرون في الهجوم على (كينجز لاندنج). كان جيشهم عظيمًا، إلى جانب ثلاثة تنانين، ومع ذلك فالملكة كان عندها ثلاثة تنانين أيضًا (على حدِّ علمهم)، وستُصبِح خمسةً بمجرَّد عودة الأمير ديمون ونِتِلز. فضَّل اللورد بيك تأجيل أيِّ تقدُّمٍ إلى أن يتمكَّن اللورد باراثيون من إحضار قوَّاته من (ستورمز إند) للانضمام إليهم، فيما رغِبَ السير هوبرت في الانسحاب إلى (المرعى) لإعادة تزويد إمداداتهم المتناقصة حثيثًا. لا أحد بدا مهتمًّا بأن جيشهم يتقلَّص كلَّ يوم، يتبخَّر رجاله مثل ندى الصَّباح إذ تهرَّب المزيد والمزيد منهم متسلِّلين عودةً إلى ديارهم وحصادهم بكلِّ ما استطاعوا حمله من منهوبات.

على بُعد فراسخ طويلة شمالًا، في قلعةٍ تطلُّ على (خليج السَّراطين)، وجدَ لوردٌ آخَر نفسه ينزلق على حدِّ سيفٍ أيضًا. من (كينجز لاندنج) وصلَ غُداف يحمل رسالة الملكة إلى مانفرد موتون سيِّد (بِركة العذارى): عليه أن يُسلِّم إليها رأس الفتاة النَّغلة نِتِلز المدانة بالخيانة العُظمى. وأمرَته جلالتها: «لا يلحقنَّ أذى بالسيِّد زوجي، الأمير ديمون سليل آل تارجاريَن. أرسِله إليَّ حين يتمُّ العمل، لأننا في حاجةٍ عاجلة إليه».

يقول المايستر نورِن، حافِظ (سجلَّات بِركة العذارى)، إن قراءة سيادته رسالة الملكة هزَّته لدرجة أنه فقدَ صوته، ولم يرجِع إليه حتى شربَ ثلاثة أكوابٍ من النَّبيذ. بعدئذٍ استدعى اللورد موتون كلًّا من قائد حرسه وأخاه ونصيره السير فلوريان الصُّلب الأشيب، وأمرَ مِايستره بالبقاء. حين اجتمَع الجميع قرأ لهم الرِّسالة وطلبَ مشورتهم.

قال قائد حرسه: «يَسهُل أن نفعل هذا. الأمير ينام بجانبها، لكنه تقدَّم في السِّن. ثلاثة رجالٍ يكفون لإخضاعه إذا حاولَ التَّدخُّل، لكنني

سآخذُ ستَّةً لأتأكَّد. هل يرغب سيِّدي أن يتمَّ الأمر اللَّيلة؟».

اعترضَ شقيق اللورد موتون: «ستَّة رجالٍ أو ستُّون، إنه لا يزال ديمون تارجاريَن. عقَّار منوِّم في نبيذه المسائي سبيل أكثر حكمةً. فليستيقِظ ليجدها ميتةً».

قال السير فلوريان، ذلك الفارس العجوز الأشيب الصَّارم: «الفتاة مجرَّد طفلة، مهما كانت خيانتها بغيضةً. لم يكن الملك العجوز ليطلُب هذا أبدًا من أيِّ رجلٍ ذي شرف».

قال اللورد موتون: «هذه أوقات بغيضة، وما أعطَتنيه الملكة خيار بغيض. الفتاة ضيفة تحت سقفي. إذا أطعتُ الأمر فستُلعَن (بِركة العذارى) للأبد، وإذا رفضتُ فسنُجرَّد من أملاكنا ونُدمَّر».

وعلى هذا ردَّ أخوه: «قد نُدمَّر مهما كان اختيارنا. الأمير أكثر من مغرم بهذه البنت السَّمراء، وتنِّينه قريب في متناوَل اليد. اللورد الحكيم سيقتُل الاثنين لئلَّا يُحرِق الأمير (بِركة العذارى) في خضمِّ غضبته».

ذكَّرهم اللورد موتون: «لقد حرَّجت الملكة أن يُصيبه أيُّ أذى، وقتلُ ضيفيْن في فِراشيْهما أبغض مرَّتيْن من قتلِ واحد. ستكون لعنتي مضاعفةً»، ثم تنهَّد وقال: «ليتني لم أقرأ هذه الرِّسالة قَطُّ».

وعندها نطقَ المِايستر نورِن قائلًا: «ربما لم تفعل».

لا تُخبرنا (سجلَّات بِركة العذارى) بما قيلَ بعد ذلك. كلُّ ما نعرفه أن المِايستر، وكان شابًّا في الثَّانية والعشرين، وجدَ الأمير ديمون والفتاة نِتلز وهما يتناوَلان عشاءهما ليلتها وأراهما رسالة الملكة. «مرهقيْن بعد يومٍ طويل من التَّحليق غير المثمر، كانا يتشاركان وجبةً بسيطة من اللَّحم البقري المسلوق والشَّمندر عندما دخلتُ، يتجاذَبان أطراف الحديث

بلُطف، وإن لا أدري عمَّ. حيَّاني الأمير بدماثة، ولكن بينما قرأ رأيتُ البهجة تُغادِر عينيه، وهبطَ عليه حُزن كعبءٍ أثقل من أن يُحمَل. حين سألَت الفتاة عن محتوى الرِّسالة قال: كلمات ملكة وأفعال عاهرة. ثم سحبَ سيفه وسألَ إن كان رجال اللورد موتون منتظرين بالخارج ليأخذوهما أسيريْن. أخبرته: لقد أتيتُ وحدي، ثم حنثتُ بنذوري، وصرَّحتُ كذبًا بأن لا حضرة اللورد ولا أيَّ رجلٍ من (بِركة العذارى) بالمكتوب على الرَّق، وقلتُ: سامِحني، يا أميري، لقد كسرتُ عهود المِايستر. أغمدَ الأمير ديمون سيفه قائلًا: أنت مِايستر طالح لكنك رجل صالح، ثم طلبَ مني تركهما وأمرَني بعدم نُطق كلمةٍ حول هذا للورد أو أيٍّ من الأحباء حتى الغد».

غير مدوَّن كيف قضى الأمير وفتاته النَّغلة ليلتهما الأخيرة تحت سقف اللورد موتون، ولكن مع انبلاج الفجر ظهرا معًا في السَّاحة، وساعدَ الأمير ديمون نِتلز على إسراج شيپستيلر للمرَّة الأخيرة. كان من عادتها أن تُطعِمه كلَّ يومٍ قبل أن تُحلِّق، فخضوع التَّنانين لراكبيها أسهل وهي متخمة البطن، وقد أطعمَته في ذلك الصَّباح كبشًا أسود كان الأكبر في (بِركة العذارى) كلِّها، بعد أن نحرَت الكبش بنفسها. يُسجِّل المِايستر نورِن أن ثياب ركوبها الجِلديَّة كانت ملطَّخةً بالدَّم عندما امتطَت تِنّينها، و«خدَّاها ملطَّخيْن بالدُّموع». لم تُنطَق كلمة وداعٍ بين الرَّجل والفتاة، ولكن إذ خفقَ شيپستيلر بجناحيْه الجِلديَّيْن البنِّيَّيْن وارتفعَ نحو سماء الفجر، رفعَ كاراكسس رأسه وأطلقَ صرخةً حطَّمت جميع النَّوافذ في (بُرج چونكويل). عاليًا فوق البلدة وجَّهت نِتلز تِنّينها ناحية (خليج السَّراطين) وتلاشَت في غيوم الصَّباح، ولم تُرَ مجدَّدًا في أيِّ بلاطٍ أو قلعة.

عادَ ديمون تارجاريَن إلى القلعة لفترةٍ تكفي فقط لتناوُل الفطور مع

اللورد موتون، وقال لحضرة اللورد: «هذه آخِر مرَّةٍ ستراني. أشكرك على حُسن ضيافتك. فليكن معلومًا في أراضيك جميعًا أنني طائرٌ إلى (هارنهال). إذا جرؤَ إيموند ابن أخي على مواجهتي فسيجدني هناك، وحدي».

وهكذا غادرَ الأمير ديمون (بِركة العذارى) للمرَّة الأخيرة. عندما رحلَ، ذهبَ المِايستر نورِن إلى سيِّده ليقول: «خُذ السِّلسلة من حول عُنقي وقيِّد بها يديَّ. يجب أن تُسلِّمني إلى الملكة. حين حذَّرتُ خائنةً وسمحتُ لها بالهروب أصبحتُ خائنًا كذلك»، فرفضَ اللورد موتون وقال: «احتفِظ بسلسلتك، فجميعنا هنا خونة». وفي تلك اللَّيلة نُكِّسَت رايات الملكة رينيرا المقسَّمة أربعًا التي رفرفَت سابقًا أعلى بوَّابات (بِركة العذارى)، ورُفِعَت في محلِّها رايات الملك إجون ذات التنِّين الذَّهبي.

لم ترُفرِف أيُّ راياتٍ فوق أبراج (هارنهال) المسودَّة وحصونها المدمَّرة عندما هبطَ الأمير ديمون من السَّماء لأخذِ القلعة لنفسه. كان قلائل من واضعي اليد قد أووا إلى سراديب القلعة وأقبيتها العميقة، لكن صوت جناحَي كاراكسس جعلَهم يُولُّون الأدبار. لما رحل آخِرهم تجوَّل ديمون تارجاريَن في قاعات مقرِّ هارن الفسيحة وحيدًا، لا رفيق له إلَّا تنِّينه. في كلِّ ليلةٍ عند الغسق صنعَ شقًّا في شجرة القلوب بأيكة الآلهة ليُعلِّم مرور يومٍ آخَر، ولا تزال بالإمكان رؤية ثلاث عشرة علامةً على شجرة الويروود تلك، جراح قديمة، عميقة وقاتمة، ومع ذلك يقول اللوردات الذين حكموا (هارنهال) منذ أيام ديمون إن العلامات تنزف من جديدٍ كلَّ ربيع.

في اليوم الرَّابع عشر من انتظار الأمير اجتاحَ القلعة ظلٌّ أحلك سوادًا من أيِّ سحابةٍ عابِرة. طارَت جميع الطُّيور في أيكة الآلهة في الهواء رُعبًا،

وكسحَت رياح ساخنة أوراق الشَّجر المتساقطة عبر السَّاحة. ها قد أتَت ڤاجهار أخيرًا، وعلى ظهرها ركبَ الأمير إيموند تارجاريَن الأعور مرتديًا درعًا سوداء كاللَّيل مشغولةً بالذَّهب.

لم يأتِ وحيدًا، إذ طارَت آليس ريڤرز معه، شعرها الأسود الطَّويل مسترسل من خلفها، وبطنها منتفخ بالحمل. دارَ الأمير إيموند حول أبراج (هارنهال) مرَّتين، ثم حطَّ بڤاجهار في السَّاحة الخارجيَّة حيث استقرَّ كاراكسس على بُعد مئة ياردة. تبادلَ التنِّينان نظرات المقت، وبسطَ كاراكسس جناحيْه وهسهسَ وتراقصَ اللَّهب بين أنيابه.

ساعدَ الأمير امرأته على النُّزول من فوق ظهر ڤاجهار، ثم التفتَ يُواجِه عمَّه قائلًا: «عمَّاه، سمعتُ أنك تبحث عنا».

ردَّ ديمون: «عنك فقط. مَن أخبرَك أين تجدني؟».

أجابَ إيموند: «سيِّدتي. لقد رأتك في سحابةِ عاصفة، في بِركةٍ جبليَّة عند الغسق، في النَّار التي أوقدناها لطهو عشائنا. إنها ترى الكثير وأكثر، غاليتي آليس. كنتَ أحمق بمجيئك وحدك».

قال ديمون: «لو لم أكن وحدي لما أتيتَ».

- «ومع ذلك أنت وحدك، وهأنذا. لقد عشتَ أطول من اللَّازم يا عمَّاه».

فردَّ ديمون: «على هذا القدرِ نتَّفق»، ثم أمرَ الأمير العجوز كاراكسس بحنيِ رقبته، وتسلَّق ظهره بصعوبة، في حين قبَّل الأمير الشَّاب خليلته ووثبَ بخفَّةٍ فوق ظهر ڤاجهار حارصًا على ربط السَّلاسل الأربع القصيرة بين حزامه والسَّرج. أمَّا ديمون فتركَ سلاسله تتدلَّى. هسهَس كاراكسس مجدَّدًا وملأ الهواء باللَّهب، وردَّت ڤاجهار بهديرٍ مدوٍّ، ووثبَ

التنِّينان إلى السَّماء في آنٍ واحد.

ارتفعَ الأمير ديمون بكاراكسس بسرعةٍ جالدًا إياه بسوطٍ فولاذي الطَّرف، إلى أن اختفيا معًا في كُتلةٍ من السُّحب. كانت ڤاجهار أكبر سِنًّا وأضخم حجمًا بكثير، وعليه أبطأ أيضًا إذ أثقلَها حجمها الهائل ذاته، فارتفعَت بمزيدٍ من التَّدريج في حلقاتٍ ازدادَت اتِّساعًا أخذَتها هي وراكبها عاليًا فوق مياه (عين الآلهة). كانت السَّاعة متأخِّرةً، والشَّمس دانيةً من الغروب، والبُحيرة هادئةً يَبرُق سطحها كلوحٍ من النُّحاس المطرَّق. إلى أعلى وأعلى ارتفعَت ڤاجهار باحثةً عن كاراكسس فيما شاهدَت آليس ريڤرز من فوق قمَّة (بُرج محرقة الملك) في (هارنهال) بالأسفل.

وقعَ الهجوم مباغتًا كالصَّاعقة، إذ انقضَّ كاراكسس على ڤاجهار بصرخةٍ تَثقُب الآذان سُمِعَت من بُعد دستة أميال، وقد توارى في ضوء شمس الغروب على جانب الأمير إيموند الأعمى. اصطدمَ دودة الدَّم بالتنِّينة الأكبر سِنًّا بقوَّةٍ رهيبة، وتردَّدت أصداء هديرهما عبر (عين الآلهة) فيما تصارعَا وتناهَشا قاتمَيْن تحت سماءٍ قانية كالدَّم. استعرَت ألسنة لهبهما لدرجة أن الصيَّادين بالأسفل خشوا أن السُّحب نفسها اشتعلَت فيها النِّيران. ملتحميْن، سقطَ التنِّينان معًا نحو البُحيرة وقد أطبقَ كاراكسس فكَّيه حول رقبة ڤاجهار وغاصَت أنيابه السَّوداء في لحم التنِّينة الأكبر. على الرَّغم من أن مخالب ڤاجهار شقَّت بطنه وانتزعَت أنيابها أحد جناحيْه، غرسَ كاراكسس أسنانه فيها أكثر ناهشًا الجرح فيما هويَا نحو البُحيرة تحتهما بسرعةٍ رهيبة.

ولحظتها، كما تُخبرنا الحكايات، رفعَ الأمير ديمون تارجاريَن إحدى ساقيْه فوق سرجه ووثبَ من تنِّينٍ إلى الآخَر وفي يده (الأخت المظلِمة)،

سيف الملكة ڤيزينيا، وإذ رفعَ إيموند الأعور ناظره بهلعٍ محاولًا حلَّ السَّلاسل التي ربطَته إلى سرجه، انتزعَ ديمون خوذة ابنِ أخيه وغرزَ السَّيف في عينه العمياء بقوَّةٍ لدرجة أن طرف السَّيف خرجَ من مؤخِّرة حلق الأمير الشَّاب. بعد أقلِّ من لحظةٍ اصطدمَ التنِّينان بالبُحيرة ليرتفع عمود ماءٍ شاهق قيلَ إنه ناهزَ (بُرج محرقة الملك) طولًا.

قال الصيَّادون الذين شاهدوا السَّقطة إنه لا يُمكن لرجلٍ أو تنِّين النَّجاة من مثل هذا الاصطدام، ولم ينجوا بالفعل. عاشَ كاراكسس بما يكفي للزَّحف إلى اليابسة مرَّةً أخرى. ممزَّق الأحشاء وقد اقتُلِعَ جناحه من جسمه وتبخَّرت مياه البُحيرة من حوله، وجدَ دودة الدَّم القوَّة لجرِّ نفسه إلى شاطئ البُحيرة ليَنفُق أسفل أسوار (هارنهال). غاصَت جُثَّة ڤاجهار بسرعةٍ إلى قاع البُحيرة وقد جعلَ الدَّم الحار من الجرح البليغ في رقبتها الماء يغلي فوق مثواها الأخير، وعندما عُثِرَ عليها بعد بضع سنوات، بعد نهاية رقصة التَّنانين، كانت عظام الأمير إيموند المدرَّعة ما تزال مقيَّدةً بالسَّلاسل إلى سرجها، وقد غاصَ نصل (الأخت المظلِمة) حتى المقبض في محجر عينه.

لا مجال للشَّكِّ في أن الأمير ديمون ماتَ أيضًا. لم يُعثَر على رُفاته قَطُّ، لكن في تلك البُحيرة تياراتٍ غريبةً، وأسماكًا جائعةً أيضًا. يُخبرنا المغنُّون أن الأمير العجوز نجا من السَّقطة، وبعد ذلك عادَ إلى الفتاة نِتلز ليقضي ما تبقى من أيَّامه بجانبها. تلك القصص تنفع أغانيَ شاعريَّةً، لكنها تأريخ ركيك. حتى مشروم لا يعطي الحكاية أيَّ مصداقيَّة، وسنحذو حذوه.

في اليوم الثَّاني والعشرين من القمر الخامس من عام 130 بعد الفتح رقصَ التنِّينان وماتا فوق (عين الآلهة). كان ديمون تارجاريَن في التَّاسعة

والأربعين من عُمره عند موته، والأمير إيموند بلغَ العشرين لتوّهِ. أكملَت ڤاجهار، أعظم تنانين آل تارجاريَن منذ موت بالريون الرُّعب الأسود، مئةً وواحدًا وثمانين عامًا على الأرض، وهكذا ماتَ آخِر كائنٍ حي من أيام فتحِ إجون فيما ابتلعَ الغسق والظَّلام مقرَّ هارن الأسود الملعون. على أنَ قلَّةً قليلةً من شهود العيان كانت حاضرةً، ولهذا مرَّ بعض الوقت قبل انتشار خبر معركة الأمير ديمون الأخيرة على نطاقٍ واسع.

موتُ التَّنانين

رينيرا مقهورةً

عودةً إلى (كينجز لاندنج)، حيث وجدَت الملكة رينيرا نفسها تزداد عُزلةً مع كلِّ خيانةٍ جديدة. هربَ المشتبَه بمروقِه أدام ڤيلاريون قبل أن يخضع للاستجواب، وقد غمغمَت الدُّودة البيضاء أن هروبه أثبتَ ذنبه. وافقَ اللورد سلتيجار، واقترحَ فرض ضريبةٍ جديدة على أيِّ طفلٍ يُولَد خارج إطار الزَّواج، فمثل هذه الضريبة لن يُعيد مَلء خزائن التَّاج فحسب، بل وقد يُخلِّص المملكة من آلاف النُّغول أيضًا.

على أن صاحبة الجلالة كانت عندها هموم أشد إلحاحًا من خزانتها. عندما أمرَت بالقبضِ على أدام ڤيلاريون لم تخسر تنِّينًا وراكب تنِّينٍ فقط، بل خسرَت يد الملكة أيضًا... وكان أكثر من نصف الجيش الذي أبحرَ من (دراجونستون) للاستيلاء على العرش الحديدي مكوَّنًا من رجالٍ أقسَموا على الولاء لآل ڤيلاريون، ولما عُرِفَ خبر حبس اللورد كورلس في زنزانةٍ تحت (القلعة الحمراء)، بدأ مئات منهم يَهجُرون قضيَّتها، فشقَّ بعضهم طريقه إلى (ميدان الأساكِفة) للانضمام إلى

الحشود المتحلِّقة حول الرَّاعي، فيما تسلَّل آخَرون من البوَّابات الجانبيَّة أو من فوق الأسوار عازمين على العودة إلى (دريفتمارك). ولا أمكنَ الوثوق بمَن تبقَّى منهم، وقد تبيَّن ذلك حين شقَّ اثنان من سيوف ثُعبان البحر المحلَّفة، السير دينس وودرايت والسير ثورون ترو، طريقهما تقتيلًا إلى الزَّنازين لتحرير سيِّدهما، غير أن عاهرةً كان السير ثورون يُضاجِعها كشفَت خُططهما لليدي البَأساء، واعتُقِلَ المخطِّطان للإنقاذ وشُنِقا.

ماتَ الفارسان عند الفجر وهما يركُلان الهواء ويتلوَّيان على أسوار (القلعة الحمراء) فيما ضاقَت الأنشوطتان حول عُنقيْهما. في ذلك اليوم بالذَّات، بعد وقتٍ قصير من غروب الشمس، زارَ بلاط الملكة هولٌ آخَر. هيلينا تارجاريَن، أخت الملك إجون الثَّاني وزوجته وملكته وأمُّ أطفاله، ألقَت بنفسها من نافذتها في (حصن ميجور)، لتموت مُخوزقةً على الأوتاد الحديد المصطفَّة في الخندق الجاف بالأسفل، وكانت تبلغ من العُمر واحدًا وعشرين عامًا فقط.

لماذا اختارَت ملكة إجون هذه اللَّيلة تحديدًا لإنهاء حياتها بعد أن ظلَّت رهينةً نصف عام؟ يُؤكِّد مشروم أن هيلينا كانت حاملًا بطفلٍ بعد أيامٍ وليالٍ من بيعها كعاهرة مواخير، لكن موثوقيَّة هذا التَّفسير تُعادِل موثوقيَّة حكايته عن «ملكتَي الماخور»، أي إن لا موثوقيَّة فيه على الإطلاق. يعتقِد المِايستر الأكبر مونكن أن فزعها لرؤية موت السير ثورون والسير دينس هو ما دفعَها إلى ما فعلَته، ولكن إذا كانت الملكة الشَّابَّة عرفَت الرَّجلين فقد عرفَتهما بصفتهما سجَّانيْن لا أكثر، ولا يُوجَد دليل على أنها شهدَت شنقهما. يقترح السِّبتون إيوستس أن الليدي البَأساء، الدُّودة البيضاء، اختارَت هذه اللَّيلة لإخبار هيلينا بمقتل ابنها مِايلور وطريقة موته الشَّنيعة، ولكن أيًّا كان دافعها إلى ذلك،

بخلاف الكُره المجرَّد، فمن الصَّعب إدراكه.

للمِايسترات أن يتجادَلوا حول صحَّة هذه التَّأكيدات... ولكن في تلك اللَّيلة المصيريَّة كانت حكاية أشد سوداويَّةً تُروى في شوارع وأزقَّة (كينجز لاندنج)، في الخانات والمواخير ومحال الأكل، وحتى في السِّپتات المقدَّسة. قالت الهمسات إن الملكة هيلينا قُتِلَت مثل ابنيْها من قبلها. سيكون الأمير دايرون وتنانينه على البوَّابات قريبًا، ومعهم نهاية عهد رينيرا. كانت الملكة الكبيرة مصمِّمةً ألَّا تعيش أختها الصَّغيرة غير الشَّقيقة لتشمت في سقوطها، لذلك أرسلَت السير لوثر لارجنت للقبض على هيلينا بيديه الخشنتيْن وإلقائها من النَّافذة على الخوازيق بالأسفل.

قد يسأل المرء: من أين جاءَ هذا الافتراء السَّام (لأنه افتراءٌ بكلِّ تأكيد)؟ المِايستر الأكبر مونكن يضعه عند باب الرَّاعي، لأن آلافًا سمعوه ينتقد الجريمة والملكة بقسوة، ولكن أهو مَن ابتدعَ الكذبة، أم إنه كان يُردِّد كلماتٍ سُمِعَت من شفاهٍ أخرى فحسب؟ يُريدنا مشروم أن نصدق الرَّأي الأخير، ويُؤكِّد القزم أن الافتراء دنِيء للغاية ولا يُمكن أن يكون إلَّا من عمل لارِس سترونج... لأن الأحنف لم يُغادِر العاصمة قَطُّ (كما سيُكشَف قريبًا)، بل انسلَّ في ظلالها، ومن هناك استمرَّ في التَّآمُر والهمس.

أيُمكن أن موت هيلينا كان اغتيالًا؟ محتمَل... وإن بدا من غير المرجَّح أن الملكة رينيرا كانت وراءه. هيلينا تارجارَين كانت مخلوقةً محطَّمةً لم تُشكِّل أيَّ تهديدٍ لسُلطان جلالتها، ومصادرنا لا تتحدَّث عن أيِّ عداوةٍ معيَّنة بينهما. لو عزمَت رينيرا على القتل فمن المؤكَّد أن الملكة الأرملة آليسنت هي التي كانت لتُلقى على الخوازيق. علاوةً على ذلك،

لدينا أدلَّة فائضة على أن القاتِل المزعوم، السير لوثر لارجنت، كان يأكل مع ثلاثمئةٍ من معاطِفه الذَّهبيَّة في الثُّكنات بالقُرب من (بوَّابة الآلهة) وقت موت هيلينا.

ومع ذلك سُرعان ما انتشرَت شائعة «اغتيال» الملكة هيلينا على ألسنة نصف أهالي (كينجز لاندنج). أظهرَت سرعة تصديقهم كيف انقلبَت المدينة تمامًا ضد ملكتهم التي أحبُّوها ذات يوم. رينيرا كانت مكروهةً، وهيلينا محبوبةً. ثم إن عامَّة النَّاس في المدينة لم ينسوا مقتل الأمير جهيرس الوحشي على أيدي دَمٍ وجُبنة، وميتة الأمير مِايلور الشَّنيعة عند (جسر العلقم). من الرَّحمة أن نهاية هيلينا كانت سريعةً، إذ نفذَ أحد الخوازيق من حلقها وماتَت دون إصدار صوت. في لحظة موتها، عبر المدينة فوق قمَّة (تل رينس)، نهضَت تنِّينتها دريمفاير فجأةً بهديرٍ هزَّ أركان (جُب التَّنانين)، محطِّمةً اثنتين من السَّلاسل التي تربطها. عندما أُبلِغَت الملكة الأرملة آليسنت بخبر موت ابنتها، شقَّت ثيابها وصبَّت أغلظ اللَّعنات على أعدائها.

وفي تلك اللَّيلة ثارَت (كينجز لاندنج) في أعمال شغبٍ دمويَّة.

بدأ الشَّغب وسط أزقَّة (جُحر البراغيث) وسِككه، حيث تدفَّق الرِّجال والنِّساء من الخمَّارات وحلبات الجرذان ومحال أوعية البُنِّي بالمئات، غاضبين وسُكارى وخائفين. من هناك انتشرَ مثيرو الشَّغب إلى جميع أنحاء المدينة، صارخين من أجل العدالة للأميرَيْن الميتيْن وأمِّهما القتيلة، وقُلِبَت العربات والمركبات وسُرِقَت المتاجر ونُهِبَت المنازل وأُشعِلَت فيها النِّيران. أمَّا ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة الذين حاوَلوا قمع الاضطرابات فهُوجِموا بعُنفٍ وضُرِبوا حتى سالَت دماؤهم. لم ينجُ أحد رفيع المولد أو وضيعه. رُشِقَ اللوردات بالقُمامة، وسُحِبَ الفُرسان من فوق سروجهم،

ورأت الليدي دارلا ددينجز شقيقها داڤوس يُطعَن في عينه عندما حاول الدِّفاع عنها ضد ثلاثة سائسين سُكارى حاوَلوا اغتصابها. هاجمَ البحَّارة العاجزون عن العودة إلى سُفنهم (بوَّابة النَّهر)، وخاضوا معركةً ضاريةً ضد حرس المدينة، وتطلَّب تفريقهم السير لوثر لارجنت وأربعمئة حامل حربة، وبحلول ذلك الوقت كانت البوَّابة نصف محطَّمةٍ إلى شظايا ومئة رجلٍ ماتوا أو يموتون، رُبعهم من المعاطِف الذَّهبيَّة.

لم ينجد منقِذون مثلهم اللورد بارتموس سلتيجار، الذي لم يُدافِع عن إيوانه المسوَّر أكثر من ستَّة حُرَّاس وعدد قليل من الخدم المسلَّحين على عجل. حين تسلَّق مثيرو الشَّغب الأسوار ألقى هؤلاء المدافعون المشكوك في ولائهم أسلحتهم وفرُّوا أو انضمُّوا إلى المهاجمين. وقفَ آرثور سلتيجار، وهو صبيٌّ في الخامسة عشرة، بسيفٍ في يده عند المدخل صامدًا بشجاعةٍ وصدَّ الغوغاء بضع لحظات... حتى أدخلَتهم خادمة خائنة من طريقٍ خلفي، فقُتِلَ الفتى الشُّجاع بطعنة حربةٍ في ظهره. شقَّ اللورد بارتموس طريقه قتالًا إلى الاسطبلات، فقط ليجد خيوله جميعًا ميتةً أو مسروقةً. بعد القبض عليه رُبطَ أمين نقد الملكة المحتقَر بعمودٍ وعُذِّبَ حتى كشفَ أين خبَّأ ثروته كلَّها. ثم أعلنَ دبَّاغ يُسمَّى وات أن سيادته فشلَ في دفعِ «ضريبة القضيب»، ويجب أن يتنازَل عن ذَكره للتَّاج غرامةً.

في (ميدان الأساكِفة) كانت أصوات الشَّغب مسموعةً من كلِّ مكان. تجرَّع الرَّاعي الغضب حتى الثُّمالة معلنًا أن يومَ الهلاك قريب وشيك، تمامًا كما تنبَّأ، واستنزلَ غضبة الآلهة على «هذه الملكة غير الطَّبيعيَّة التي تجلس نازفةً على العرش الحديدي، وشفتيها شفتَي العاهرة الملتمعتيْن بحُمرة دمِ أختها العذبة». عندما صاحَت سِپتة بين الحشد مناشدةً إيَّاه

بإنقاذ المدينة قال الرَّاعي: «وحدها رحمة (الأمِّ) قادرة على إنقاذكم، لكنكم طردتم أمَّكم من هذه المدينة بتكبُّركم وشهوتكم وجشعكم. الآن (الغريب) قادم، قادم على جوادٍ أدهم بعينين متَّقدتين وسوطٍ من نارٍ في يده لتطهير جُبِّ الخطايا هذا من الشَّياطين وكلِّ من ينحني أمامها. أنصِتوا! هل تسمعون صوت الحوافِر المشتعلة؟ إنه قادم! إنه قادم!!».

وردَّد الحشد هتافه مولولًا: «إنه قادم! إنه قادم!!»، فيما ملأت آلاف المشاعل الميدان ببِركٍ من الضَّوء الأصفر الدُّخاني. سُرعان ما سكنَ الصِّياح، وعبر اللَّيل ارتفعَ صوت الحوافر الحديديَّة على حجارة الرَّصف وارتفعَ. يقول مشروم في شهادته: «لم يكن غريبًا واحدًا، بل خمسمئة».

وصلَ حرس المدينة بقوَّة، خمسمئة رجلٍ يرتدون أقمصة حلقاتٍ معدنيَّةٍ سوداء ومعاطف ذهبيَّةً طويلةً ويعتمرون خوذاتٍ فولاذيَّةً، مسلَّحين بسيوفٍ قصيرة وحرابٍ وهراواتٍ شائكة. اتَّخذوا تشكيلهم على الجانب الجنوبي من الميدان خلف جدارٍ من التروس والحراب، وعلى رأسهم ركبَ السير لوثر لارجنت جوادًا حربيًّا مدرَّعًا وفي يده سيف طويل. كان مجرَّد رؤيته كفيلًا بفرار مئاتٍ إلى العطفات والأزقَّة والشَّوارع الجانبيَّة، وهربَ مئات آخَرون حين أمرَ السير لوثر المعاطِف الذَّهبيَّة بالتَّقدُّم.

ومع ذلك بقيَ عشرة آلاف. كان الحشد كثيفًا لدرجة أن كثيرًا ممَّن كانوا ليفرُّوا بسرورٍ وجدوا أنفُسهم غير قادرين على الحركة، محشورين ومدفوعين ومُداسين. ضمَّ آخَرون أذرُعهم واندفعوا إلى الأمام وبدأوا يزعقون ويشتمون مع تقدُّم الحِراب على إيقاع طبلةٍ بطيء. زأرَ السير لوثر في حملان الرَّاعي: «أفسِحوا الطَّريق أيها الحمقى الملاعين. اذهبوا إلى منازلكم. لن يُصيبكم ضرر. اذهبوا إلى منازلكم فحسب. نريد هذا الرَّاعي فقط».

يقول البعض إن أوَّل رجلٍ مات كان خبَّازًا أطلقَ نخيرًا مندهشًا عندما اخترقَ رأس حربةٍ لحمه ورأى مِئزره يصطبغ بالأحمر، ويدَّعي آخَرون أنها كانت فتاةً صغيرة دُعِسَت تحت حوافر جواد السير لوثر الحربي. طارَت صخرة مقذوفة من الحشد وأصابَت حامِل حربةٍ في جبهته، وتعالَت الصَّيحات والشَّتائم، وانهمرَت العِصِي والحجارة وأوعية الفضلات من فوق أسطُح المنازل، وبدأ رامٍ عبر الميدان يُطلِق سهامه، وأُلقِيَ مشعل على حارسٍ وسُرعان ما اشتعلَ معطفه الذَّهبي.

على الجانب البعيد من (ميدان الأساكِفة) أسرعَ أتباع الرَّاعي يبتعدون به. صرخَ السير لوثر: «أوقِفوه! أمسِكوه! أوقِفوه!»، وهمزَ جواده شاقًا طريقه وسط الحشد وتبعَه معاطفه الذَّهبيَّة مُلقين حرابهم ليسحبوا السُّيوف والهراوات. كان أتباع الرَّاعي يَصرُخون ويَسقُطون ويركُضون، وشهرَ آخَرون أسلحتهم الخاصَّة؛ خناجر وسكاكين، ومطارق وهراوات، وحرابًا مكسورةً وسيوفًا صدئةً.

كان رجال المعاطِف الذَّهبيَّة ضخام الحجم، شُبَّانًا، أقوياء، منضبطين، مسلَّحين ومدرَّعين جيِّدًا. صمدَ حائط تروسهم مسافة عشرين ياردةً أو أكثر، وشقُّوا طريقًا دمويًّا بين الحشود تاركين الموتى والمحتضرين في كلِّ جهةٍ حولهم، لكن عددهم كان خمسمئةً فقط، ومَن اجتمعوا لكي يسمعوا الرَّاعي قارَبوا العشرة آلاف. سقطَ أحد الحرس، وتبعَه آخَر، وفجأةً كان العامَّة ينسلُّون عبر الفجوات في الصَّف. بلعناتٍ صارخة هاجمَ قطيع الرَّاعي بالسَّكاكين والحجارة وحتى الأسنان، ينصبُّون من فوق حرس المدينة وعن جانبيْهم، ويُهاجِمونهم من الخلف، ويرمونهم بالقرميد من الأسطُح والشُّرفات.

تحوَّلت المعركة إلى شغبٍ ثمَّ إلى مذبحة. وجدَ رجال المعاطِف الذَّهبيَّة

المطوَّقين من كلِّ جانبٍ أنفسهم محاصَرين مكتسَحين، بلا مجالٍ لرفع أسلحتهم. ماتَ كثيرون على رؤوس السُّيوف التي حملوها، ومُزِّقَ آخَرون أشلاءً، أو رُكِلوا حتى الموت، أو دُعِسوا تحت الأقدام، أو قُطِّعوا بفؤوس الفلَّاحين وسواطير الجزَّارين. حتى السير لوثر لارجنت المهيب لم يستطِع الهرب من المجزرة، إذ انتُزِعَ سيفه من قبضته وسُحِبَ من فوق سرجه وطُعِنَ في بطنه وضُرِبَ حتى الموت بحجر رصف. سُحِقَت خوذته ورأسه لدرجة أن أحدًا لم يتعرَّف جثَّته إلا بسبب حجمه عندما جاءَت عربات الجُثث في اليوم التَّالي.

يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن خلال تلك اللَّيلة الطويلة سيطرَ الرَّاعي على نصف المدينة، فيما تشاجرَ آخَرون من اللوردات الأغراب وملوك الفوضى على البقيَّة. تجمَّع مئات حول وات الدبَّاغ، الذي قطعَ الشوارع على متن حصانٍ أبيض ملوِّحًا برأس اللورد سلتيجار المقطوع وأعضائه التَّناسليَّة الدَّامية ومعلنًا انتهاء جميع الضَّرائب. في ماخورٍ بـ(شارع الحرير) أعلنَت العاهرات ملكهن الخاص، صبيًّا باهت الشَّعر في الرَّابعة من العُمر يُدعى بجيمون، يُفترَض أنه نغل للملك المفقود إجون الثَّاني. حتى يتفوَّق عليه، توَّج فارس متجوِّل يُدعى بالسير پركين البرغوث مُرافقه تريستان، غُلامًا سنُّه ستة عشر عامًا، معلنًا أنه ابن طبيعي للملك الرَّاحل ڤسيرس. يُمكن لأيِّ فارسٍ أن يُنصِّب غيره فارسًا، ولما بدأ السير پركين تنصيب كلِّ مرتزِقٍ ولصٍّ وصبيِّ جزَّارٍ توافدَ إلى راية تريستن المهترئة، ظهرَ الرِّجال والصِّبية بالمئات ليتعهَّدوا بأنفُسهم لقضيَّته.

بحلول الفجر استشرَت الحرائق في جميع أنحاء المدينة، وامتلأ (ميدان الأساكِفة) بالجُثث، وجابَت مجموعات من الخارجين عن القانون (جُحر البراغيث)، مقتحمين المتاجر والمنازل ومُنزلين الأذى بكلِّ شخصٍ نزيه

صادَفوه. كان رجال المعاطِف الذَّهبيَّة النَّاجون قد انسحَبوا إلى ثُكناتهم، فيما حكمَ فُرسان الحواري والملوك الزَّائفون والأنبياء المجانين الشَّوارع. مثل الصَّراصير التي مثَّلوها، هربَ أسوؤهم قبل طلوع الفجر متراجعين إلى مخابئهم وأقبيتهم لكي يناموا ويُذهِبوا سكرتهم ويُقسِّموا غنائمهم ويغسلوا الدِّماء عن أيديهم. اندفعَ رجال المعاطِف الذَّهبيَّة من ثُكنات (البوَّابة القديمة) و(بوَّابة التنِّين) تحت قيادة قائديْهم، السير بالون بيرش والسير جارث الأشرم، وبحلول منتصَف النهار تمكَّنوا من استعادة شيءٍ من مظاهر النِّظام في الشَّوارع شمال وشرق (تل رينس)، وقادَ السير مدريك ماندرلي مئةً من رجال (الميناء الأبيض) ليفعل الشَّيء نفسه في المنطقة الواقعة شمال شرق (تل إجون العالي)، وصولًا إلى (بوَّابة الحديد).

ظلَّت بقيَّة (كينجز لاندنج) في حالةٍ من الفوضى. عندما قادَ السير تورين ماندرلي رجاله الشَّماليِّين إلى (الخُطَّاف)، وجدوا (سوق السَّماكين) و(شارع المجذِّفين) يعجَّان بفُرسان الحواري التَّابعين للسير پركين. عند (بوَّابة النَّهر) رفرفَت راية «الملك» تريستان المهترئة فوق الأسوار، فيما تدلَّت جُثث القائد وثلاثة من رُقبائه من مبنى البوَّابة، وقد انضمَّ ما تبقَّى من حامية «مُشاة الطَّمي» إلى السير پركين. خسرَ السير تورين رُبع رجاله وهُم يُقاتلون عودةً إلى (القلعة الحمراء)... ومع ذلك نجوا دون خسائر فادحة مقارنةً بالسير لورنت ماربراند، الذي قادَ مئةً من الفُرسان والجنود إلى (جُحر البراغيث)، عادَ منهم ستَّة عشر رجلًا فقط، ولم يكن السير لورنت، اللورد قائد الحرس الملكي، بينهم.

بحلول المساء وجدَت رينيرا تارجارين نفسها محاطةً بالمخاطر من كلِّ جانبٍ وحُكمها خرابًا. يشهد مشروم: «بكَت الملكة عندما أخبروها كيف ماتَ السير لورنت، لكنها ثارَت عندما علمَت أن (بِركة العذارى)

انقلبَت إلى العدوِّ، وأن الفتاة نِتِلز هربَت، وأن قرينها المحبوب خانَها، وارتجفَت لما حذَّرتها الليدي البَأساء من الظَّلام المقبل، أن هذه اللَّيلة ستكون أسوأ من سابقتها. عند الفجر رافقَها مئة رجلٍ في قاعة العرش، لكنهم هربوا أو صُرِفوا واحدًا تلو الآخَر، حتى لم يتبقَّ إلَّا ابناها وأنا معها. دعَتني جلالتها بـ«مُخلِصي مشروم»، وقالت: يا ليت كلُّ الرِّجال أوفياء مثلك. يَجدُر بي أن أجعلكَ يدي. وحين أجبتها بأنني أفضِّلُ أن أصبح قرينها ضحكَت. لم أسمعَ صوتًا أعذب قَطُّ. كان جميلًا سماعها تضحَك».

لا يُورِد (قصَّة حقيقيَّة) شيئًا عن ضحك الملكة، بل يَذكُر فقط أن جلالتها تأرجحَت من الغضب إلى القنوط إلى الغضب مجدَّدًا، متمسِّكةً بيأسٍ بالعرش الحديدي لدرجة أن يديها كانتا داميتيْن عندما غربَت الشَّمس. ولَّت الملكة السير بالون بيرش، قائد (بوَّابة الحديد)، قيادة المعاطِف الذَّهبيَّة، وأرسلَت غِدفانًا إلى (وينترفل) و(العُش) ملتمسةً المزيد من العون، وأمرَت بإصدار مرسومٍ بتجريد آل موتون سادة (بِركة العذارى) من أملاكهم، ونصَّبت الفارس الشَّاب السير جلندون جود قائدًا لحرسها الملكي (رغم أنه كان في العشرين فقط، وعضوًا في السُّيوف البيضاء لأقلِّ من دورة قمر، ميَّز جود نفسه خلال القتال بـ(جُحر البراغيث) في وقتٍ سابق من ذلك اليوم، وهو الذي أعادَ جثَّة السير لورنت لمنع مثيري الشَّغب من التَّمثيل بها).

على الرَّغم من أن المهرِّج مشروم لا يظهر في رواية السِّبتون إيوستس عن اليوم الأخير، ولا في كتاب مونكن (قصَّة حقيقيَّة)، فكلاهما يتحدَّث عن ابنَي الملكة. كان إجون الأصغر إلى جانب والدته دائمًا، ومع ذلك نادرًا ما تحدَّث بكلمة، أمَّا الأمير جوفري، البالغ من العمر ثلاث عشرة

سنةً، فارتدى درع مُرافقٍ وتوسَّل إلى الملكة للسَّماح له بالركوب إلى (جُب التَّنانين) وامتطاء تايراكسس. «أريدُ أن أقاتِل من أجلكِ يا أمِّي، كما فعلَ أخواي. دعيني أثبتُ أنني شُجاع مثلهما». لكن كلماته لم تُسفِر إلَّا عن تقوية تصميم رينيرا، التي ردَّت: «كانا شُجاعيْن، والآن ميتان، كلاهما. ولداي الجميلان»، ومرَّةً أخرى نهَت جلالتها الأمير عن مغادرة القلعة.

مع غروب الشَّمس ظهرَ حُثالة (كينجز لاندنج) مرَّةً أخرى من حلبات الجرذان والمخابئ والأقبية، بأعدادٍ أغفر من اللَّيلة السابقة.

فوق (تل ڤيزينيا) قدَّم جيش من العاهرات خدماته مجَّانًا لأيِّ رجلٍ على استعدادٍ لأن يُقسِم بسيفه لجيمون ذي الشَّعر الباهت (أو «ملك الفرج» بلُغة أهل المدينة البذيئة). عند (بوَّابة النَّهر) أولَم السير پركين لفُرسان الحواري على طعامٍ مسروق وسارَ بهم على ضفَّة النَّهر لنهبِ الأرصفة والمخازن وأيِّ سفينةٍ لم تُبحِر، فيما قادَ وات الدبَّاغ عُصبته من الرِّعاع الصَّارخين ضد (بوَّابة الآلهة). رغم أن (كينجز لاندنج) تباهَت بأسوارها الضَّخمة وأبراجها القويَّة، فقد صُمِّمَت هذه الأسوار لصدِّ الهجمات من خارج المدينة لا من داخلها. كانت الحامية عند (بوَّابة الآلهة) ضعيفةً بشكلٍ خاص، إذ ماتَ قائدها وثُلث عددها مع السير لوثر لارجنت في (ميدان الأساكِفة)، فقُهِرَ الذين بقوا -وكان أغلبهم مصابًا- بسهولة. تدفَّق أتباع وات إلى الرِّيف منطلقين على (طريق الملوك) خلف رأس اللورد سلتيجار المتعفِّن... إلى أين؟ حتى وات لم يبدُ متأكِّدًا.

قبل مرور ساعةٍ فُتِحَت (بوَّابة الملك) و(بوَّابة الأسد) أيضًا. هربَ ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة عند الأولى، في حين انضمَّ «الأُسود» عند الثَّانية إلى

الغوغاء. ثلاث من بوَّابات (كينجز لاندنج) السَّبع أضحَت مفتوحةً لأعداء رينيرا.

على أن التَّهديد الأخطر ضد حُكم الملكة تبيَّن أنه كان داخل المدينة. عند حلول الظَّلام ظهرَ الرَّاعي مرَّةً أخرى لاستئناف الوعظ في (ميدان الأساكِفة). يُقال لنا إن الجُثث المتخلِّفة من قتال اللَّيلة السَّابقة رُفِعَت خلال النَّهار، ولكن ليس قبل أن تُنهَب ملابسها ونقودها وغيرها من النَّفائس، وفي بعض الحالات رؤوسها أيضًا. بينما صرخَ النَّبي ذو اليد الواحدة وهو يصبُّ لعناته على «الملكة الدَّنيئة» في (القلعة الحمراء)، نظرَ إليه مئة رأسٍ مقطوعٍ متمايل فوق الحِراب الطَّويلة والعِصِي المشحوذة. يقول السِّپتون إيوستس إن الحشد كان أكبر مرَّتين وأشد تخويفًا ثلاث مرَّاتٍ من اللَّيلة السَّابقة. مثل الملكة التي يحتقرونها بشدَّة، كان «حملان» الرَّاعي ينظرون إلى السَّماء بوجلٍ خوفًا من وصول تنانين الملك إجون قبل انتهاء اللَّيل ومن ورائها جيش. لم يعودوا يُؤمنون بأن الملكة تستطيع حمايتهم، فتطلَّعوا إلى راعيهم من أجل الخلاص.

لكن ذلك النَّبي أجابَ: «عندما تأتي التَّنانين سيحترق لحمكم ويتقرَّح ويصير رمادًا. سترقُص زوجاتكم بفساتين من نار، يصرُخن وهُن يحترقن فاسقاتٍ عارياتٍ تحت اللَّهب. وسترون أطفالكم الصِّغار يبكون، يبكون حتى تذوب أعيُنهم وتسيل مثل الهُلام على وجوههم، حتى يسودُّ لحمهم الوردي ويُطَقطِق منسلخًا عن عظامهم. (الغريب) قادم، إنه قادم، قادم ليُعاقِبنا على خطايانا. لا يُمكن للصَّلاة أن تمنع غضبه، كالدموع التي لا تستطيع إخماد لهب التَّنانين. وحده الدَّم يُمكنه ذلك. دمكم، دمي، دمها»، ثم رفعَ ذراعه اليُمنى وأشارَ إلى (تل رينس) من خلفه بجدعة يده المقطوعة، إلى (جُب التَّنانين) الأسود تحت النُّجوم.

«هناك تسكُن الشَّياطين، بالأعلى. النَّار والدَّم، الدَّم والنَّار. هذه مدينتها. إذا أردتم جعلها لكم فعليكم بتدميرها أوَّلًا. إذا أردتم تطهير أنفُسكم من الخطيئة فعليكم بالاغتسال بدماء التَّنانين أوَّلًا، فالدَّم وحده يُطفئ لظى الجحيم».

من عشرة آلاف حنجرةٍ ارتفعَ الهتاف: «اقتلوها! اقتلوها!»، وكوحشٍ ضخمٍ بعشرة آلاف ساقٍ بدأ الحملان يتحرَّكون متدافعين، يُلوِّحون بمشاعلهم وسيوفهم وسكاكينهم وغيرها من الأسلحة البدائيَّة، يمشون ويركُضون في الشَّوارع والأزقَّة باتِّجاه (جُب التَّنانين). تعقَّل بعضهم وانسلُّوا راحلين إلى منازلهم، لكن مقابل كلِّ رجلٍ غادرَ بدا أن ثلاثةً آخَرين انضمُّوا إلى قاتلي التَّنانين هؤلاء، ولدى وصولهم إلى (تل ريينس) كان عددهم قد تضاعفَ.

على قمة (تل إجون العالي) عبر المدينة شاهدَ مشروم الهجوم من فوق سطح (حصن ميجور)، مع الملكة وابنيْها وأعضاء بلاطها. كان اللَّيل أسود وملبَّدًا بالغيم، والمشاعل كثيرةً جدًّا لدرجة أن «المشهد كان كما لو أن النُّجوم كلَّها هوَت من السَّماء لتقتحم (جُب التَّنانين)»، على حدِّ قول المهرِّج.

بمجرَّد أن بلغَتها أخبار زحف قطيع الرَّاعي المتوحِّش أرسلَت رينيرا خيَّالةً إلى السير بالون عند (البوَّابة القديمة) والسير جارث عند (بوَّابة التنِّين)، تأمرهما بتفريق الحملان والقبض على الرَّاعي والدِّفاع عن التَّنانين الملكيَّة... لكن مع الاضطرابات التي اجتاحَت المدينة لم يكن مؤكَّدًا إطلاقًا أن الرِّجال بلغوا وجهتهم. وحتى لو بلغوها، فما تبقَّى من رجال المعاطِف الذَّهبيَّة المخلصين كان أقل كثيرًا من أن يأملوا النَّجاح. يقول مشروم: «كأن جلالتها أمرَتهم بسدِّ (النَّهر الأسود) في مجراه». عندما

ناشَد الأمير چوفري والدته بالسَّماح له بالرُّكوب مع فُرسانهم وفُرسان (الميناء الأبيض)، رفضَت الملكة قائلةً: «إذا أخذوا ذلك التَّل فسيكون هذا التَّالي. سنحتاج إلى كلِّ سيفٍ هنا للدِّفاع عن القلعة».

قال الأمير چوفري مغتمًّا: «سيقتُلون التَّنانين!».

ردَّت والدته غير متأثِّرة: «أو ستقتلُهم التَّنانين. فليحترقوا. لن تفتقدهم المملكة طويلًا».

قال الأمير الصَّغير: «أمَّاه، ماذا لو قتلوا تايراكسس؟».

لم تُصدِّق الملكة ذلك الاحتمال، وقالت: «إنَّهم حشرات، مجرَّد سُكارى وحمقى وجرذان حوارٍ. نفحةٌ واحدة من لهب التنِّين ستجعلهم يهربون».

في تلك اللَّحظة تكلَّم المهرِّج مشروم قائلًا: «قد يكونون سُكارى، لكن السَّكران لا يعرف الخوف. إنهم حمقى، نعم، لكن الأحمق يُمكنه أن يقتُل ملكًا. وهُم جرذان كذلك، ولكن يستطيع ألف جرذٍ أن يُسقِطوا دُبًّا. رأيتُ ذلك يحدث مرَّةً، هناك بالأسفل في (جُحر البراغيث)». هذه المرَّة لم تضحك الملكة رينيرا، ومخيِّرةً مهرِّجها بين حفظِ لسانه وفقدِه، عادَت جلالتها تلتفت إلى الشُّرُّافات، ووحده مشروم رأى الأمير چوفري يُغادِر متسلِّلًا (إذا صُدِّقَت شهادته)... وقد قيلَ لمشروم أن يحفظ لسانه.

لم يُلاحَظ غياب الأمير إلَّا عندما سمعَ المراقبون على السَّطح هدير سايراكس، لكن الأوان كان قد فاتَ. سُمِعَت الملكة تقول: «لا. أمنعُ ذلك، أمنعه!»، ولكن بينما تحدَّثت طارَت تنِّينتها من السَّاحة وحطَّت لأقلِّ من لحظةٍ فوق أسوار القلعة، ثم أطلقَت نفسها إلى سماء اللَّيل

بابن الملكة المتشبِّث بظهرها بسيفٍ في يده. صرخَت رينيرا: «الحقوا به! كلُّكم، كلُّ رجل، كلُّ صبي، إلى الخيول، إلى الخيول، اتبعوه. أعيدوه، أعيدوه، إنه لا يعرف. ابني، ابني العزيز، ابني...».

ركبَ سبعة رجال من (القلعة الحمراء) في تلك اللَّيلة وخرجوا إلى جنون المدينة. يُخبرنا مونكن أنهم كانوا رجالًا شُرفاء عليهم واجب طاعة أوامر ملكتهم، ويُريدنا السِّپتون إيوستس أن نُصدِّق أن قلوبهم تأثَّرت بحُبِّ الأم لابنها، ويصفهم مشروم بالمغفَّلين والأوغاد المتلهِّفين على بعض المكافآت الثَّمينة، وبأنهم «أشد حماقةً من أن يعتقدوا أنهم قد يلقون حتفهم». لمرَّةٍ واحدة قد يكون لدى ثلاثة مؤرِّخينا معًا الخبر اليقين، جُزئيًّا على الأقل.

يتَّفق سِپتوننا ومِايسترنا ومهرِّجنا على أسماء الخيَّالة السَّبعة: السير مدريك ماندرلي وريث (الميناء الأبيض)، والسير لوريث لانسديل والسير هارولد دارك فارسا الحرس الملكي، والسير هارمون ابن (الأحراج) الملقَّب بالسُّجق الحديدي، والسير جايلز يرونوود الفارس المنفي من (دورن)، والسير ويلام رويس المسلَّح بالحُسام الڤاليري الشَّهير (رثاء)، والسير جلندون جود حضرة قائد الحرس الملكي. ركبَ ستَّة مُرافقين وثمانية من المعاطِف الذَّهبيَّة وعشرون رجلًا مسلَّحًا مع الأبطال السَّبعة أيضًا، لكن أسماءهم، ويا للأسف، لم تَبلُغنا.

ألَّف العديد من المطربين العديد من الأغاني عن مغامرة السَّبعة، وحُكِيَ العديد من الحكايا عن المخاطر التي واجَهوها وهم يشقُّون طريقهم قتالًا عبر المدينة، فيما احترقَت (كينجز لاندنج) من حولهم وجرَت الدِّماء الحمراء في أزقَّة (جُحر البراغيث). أغانٍ معيَّنة من تلك تحتوي على شيءٍ من الحقيقة، لكن نقلها هنا يتخطَّى إطار سردِنا.

تُغنِّي أغانٍ عن رحلة الأمير چوفري الأخيرة أيضًا. يُخبرنا مشروم أن بعض المغنِّين يُمكنه أن يجد المجد ولو في قاع مرحاض، لكن المهرِّج فقط يقول الحقيقة. على الرَّغم من أننا لا نُشكِّك في شجاعة الأمير، كان تصرُّفه حماقةً محضةً.

لن ندَّعي أيَّ فهمٍ للصِّلة بين التنِّين وراكبه، فقد تأمَّل مَن هُم أكثر حكمةً في هذا اللُّغز لعدَّة قرون. على أننا نعلم أن التَّنانين ليست خيولًا يعتليها أيُّ رجلٍ يُلقي سرجًا على ظهرها. كانت سايراكس تنِّينة الملكة، ولم تعرف ممتطيًا غيرها قَطُّ، ورغم أنها عرفَت الأمير چوفري بالبصر والرَّائحة، وكان حضوره مألوفًا ولم يُثِر عبثه بسلاسلها أيَّ قلق، أبَت التنِّينة الصَّفراء العظيمة أن يركبها. قفزَ الأمير على ظهر سايراكس دون الاستعانة بسرجٍ أو سوطٍ وهو في عجلةٍ من أمره للابتعاد قبل أن يُوقِفه أحد. يجب أن نفترض أن نيَّته كانت إمَّا الطَّيران بسايراكس إلى المعركة، وإمَّا -على الأرجح- عبور المدينة إلى (جُب التَّنانين) حيث تنِّينه تايراكسس، وربما انتوى إطلاق تنانين الجُب الأخرى أيضًا.

لم يبلُغ چوفري (تل رينس) قَطُّ، فبمجرَّد ارتفاعه في الهواء تلوَّت سايراكس من تحته، تُقاتل لأجل التَّحرُّر من راكبها غير المألوف، ومن أسفل تطايرَت نحوها الحجارة والحِراب والسِّهام المقذوفة من أيادي حملان الرَّاعي الغارقة بالدِّماء، وهو ما فاقمَ هياج التنِّينة، ومن علوِّ مئتَي قدمٍ فوق (جُحر البراغيث) انزلَق الأمير چوفري من فوق ظهرها وهوى إلى الأرض.

بالقُرب من مفترق طُرقٍ حيث اجتمعَت خمسة أزقَّة، وصلَت سقطة الأمير إلى نهايتها الدَّامية. اصطدمَ أوَّلًا بسقفٍ شديد الانحدار قبل أن يتدحرَج ليَسقُط أربعين قدمًا أخرى وسط وابلٍ من الطُّوب المكسور.

قيلَ لنا إن السَّقطة كسرَت ظهره، وإن شظايا الأُردواز انهمرَت عليه مثل السَّكاكين، وإن سيفه فلتَ من يده ليخترق بطنه. في (جُحر البراغيث) لا يزال النَّاس يتحدَّثون عن ابنة شمَّاعٍ تُدعى روبن، احتضنَت الأمير المكسور بين ذراعيها وهدهدَته وهو يُحتضَر، لكن تلك الحكاية تحوي من الأسطورة أكثر من التَّاريخ. يُفترَض أن چوفري قال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: «سامِحيني يا أمَّاه»... ولو أن النَّاس ما زالوا يتجادَلون إن كان الصَّبي يقصد والدته الملكة أم يُصلِّي لـ(الأمِّ في الأعالي).

وهكذا ماتَ چوفري ڤيلاريون، أمير (دراجونستون) ووريث العرش الحديدي، وآخِر أبناء الملكة رينيرا من لِاينور ڤيلاريون... أو آخِر نغولها من هاروين سترونج، حسب الحقيقة التي يختار المرء تصديقها.

لم يمضِ وقت طويل حتى أتى الرِّعاع يتدافعون على جُثَّته. إن كان لروبن ابنة الشَّماع وجود أصلًا فقد طُرِدَت. انتزعَ اللُّصوص الحذاء من قدمَي الأمير والسَّيف من بطنه، ثم جرَّدوه من ملابسه الفاخرة الملطَّخة بالدِّماء، وبدأ آخَرون أكثر وحشيَّةً يُمزِّقون جسده، فقُطِعَت كلتا يديه لكي يتمكَّن حُثالة الشَّوارع من أخذ الخواتم من حول أصابعه. قُطِعَت قدم الأمير اليُمنى عند الكاحل، وكان صبيٌّ جزَّارٍ يجزُّ رقبته لكي يحظى برأسه عندما وصلَ الخيَّالة السَّبعة وحوافر خيولهم تُدوِّي كالرَّعد. هناك وسط روائح (جُحر البراغيث) النَّتنة اندلعَت معركة في الوحل والدَّم من أجل حيازة جُثَّة الأمير چوفري.

أخيرًا استعاد فُرسان الملكة بقايا الصَّبي باستثناء قدمه المفقودة، على الرَّغم من سقوط ثلاثةٍ من السَّبعة في القتال. سُحِبَ السير جايلز يرونوود الدوريني من فوق حصانه وضُرِبَ بالهراوات حتى الموت، فيما أسقطَ السير ويلام رويس رجلٌ قفزَ من فوق سطح منزلٍ مجاور ليحطَّ

على ظهره (وانتُزِعَ سيفه الشَّهير (رثاء) من يده وأُخِذَ ولم يُعثَر عليه ثانيةً). كان مصير السير جلندون جود أفدح، إذ هاجمَه من الخلف رجل ما بشُعلة لهبٍ وأضرمَ النَّار في معطفه الأبيض الطَّويل، وإذ لعقَ اللَّهب ظهره شبَّ جواده بذُعرٍ وألقاه عن ظهره، وانقضَّ عليه الغوغاء ومزَّقوه إلى أشلاء. في العشرين من عُمره فقط، عملَ السير جلندون قائدًا للحرس الملكي لأقلِّ من يومٍ واحد.

وبينما تدفَّقت الدِّماء في أزقَّة (جُحر البراغيث) اندلعَت معركة أخرى حول (جُب التَّنانين) بالأعلى، على قمَّة (تل رينس).

لم يكن مشروم مخطئًا، فقطعان الجرذان الجائعة تستطيع بالفعل إسقاط الثِّيران والدِّببة والأُسود إن كان عددها يكفي. بغضِّ النَّظر عن العدد

الذي قد يَقتُله الثَّور أو الدُّب، يأتي المزيد دائمًا، وتعضُّ الجرذان سيقان الوحش العظيم وتتشبَّث ببطنه وتجري على ظهره. هكذا كان الأمر في تلك اللَّيلة. كانت جرذان الرَّاعي مدجَّجةً بالحِراب والفؤوس الطَّويلة والهراوات الشَّائكة ونصفمئة نوعٍ آخَر من الأسلحة، بما فيها الأقواس الطَّويلة والنُّشَّابيَّات.

خرجَ رجال المعاطِف الذَّهبيَّة عند (بوَّابة التنِّين) من ثُكناتهم للدِّفاع عن التَّل مُمتثلين لأوامر الملكة، لكنهم وجدوا أنفُسهم عاجزين عن شقِّ طريقهم بين الغوغاء وتقهقَروا، فيما لم يصِل المبعوث الآخَر إلى (البوَّابة القديمة) قَطُّ. كانت لـ(جُب التَّنانين) فرقته الخاصَّة من الحرس، خفر التَّنانين، لكن عدد هؤلاء المحاربين الفخورين كان سبعةً وسبعين فقط، وأقلُّ من خمسين وقفوا مناوبةً في تلك اللَّيلة. رغم أن سيوفهم نهلَت من دماء المهاجِمين فقد خذلَتهم أعدادهم. عندما حطَّم حملان الرَّاعي الأبواب (كانت البوَّابات الرَّئيسيَّة الشَّاهقة المدعَّمة بالبرونز والحديد أقوى من أن تُهاجَم، لكن المبنى ضمَّ عشرين مدخلًا أصغر)، ودخلوا متسلِّقين من النَّوافذ، دُحِرَ خفر التَّنانين وسُرعان ما ذُبِحوا.

ربما أملَ المهاجِمون قتل التَّنانين في أثناء نومها، لكن ضجَّة الهجوم جعلَت ذلك مستحيلًا. تحدَّث مَن عاشوا ليرووا الحكايات فيما بعد عن صُراخٍ وصياحٍ ورائحة الدِّماء في الهواء، وتشظِّي الأبواب المصنوعة من خشب البلُّوط والحديد تحت مدكَّاتٍ بدائيَّة وضربات فؤوسٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصى. كتبَ المايستر الأكبر مونكن: «نادرًا ما هرعَت أعداد غفيرة من النَّاس بمثل ذلك الشَّوق إلى محارقها الجنائزيَّة، لكن الجنون كان قد استولى عليهم». أربعة تنانين كانت مقيمةً داخل الجُبِّ، ولدى وصول أوَّل المهاجِمين مندفعًا على الرِّمال كانت التَّنانين الأربعة مستيقظةً

ومتحفِّزةً وغاضبةً.

لا يُوجَد سجلَّان تاريخيَّان يتَّفقان على عدد الرِّجال والنِّساء الذين هلكوا في تلك اللَّيلة تحت قبَّة (جُب التَّنانين) العظيمة. مئتيْن كانوا أو ألفيْن، لا يهمُّ، فمقابل كلِّ واحدٍ ماتَ نجا عشرة رغم إصاباتهم بحروق. محاصرةً داخل الجُبِّ، ومحاطةً بالجُدران والقُبَّة ومقيَّدةً بسلاسل ثقيلة، لم تستطِع التَّنانين الطَّيران مبتعدةً أو استخدام أجنحتها للتَّصدِّي للهجمات والانقضاض على أعدائها، وبدلًا من ذلك قاتلَت بالقرون والمخالب والأنياب، مستديرةً هنا وهناك مثل الثِّيران في حلبة جرذان بـ(جُحر البراغيث)... لكن تلك الثِّيران كانت تنفث النَّار. يَكتُب السِّپتون إيوستس: «تحوَّل (جُب التَّنانين) إلى أتونٍ مستعر حيث ترنَّح المحترقون صارخين عبر أستار الدُّخان ولحمهم ينسلخ عن عظامهم المتفحِّمة، ولكن مقابل كلِّ ميتٍ ظهرَ عشرة غيره زاعقين أن التَّنانين يجب أن تموت، وواحدًا تلو الآخَر ماتَت بالفعل».

كانت شرايكوس أوَّل تنِّينٍ يموت، قتلَها حطَّاب عُرِفَ باسم هوب الخشَّاب وثبَ فوق ظهرها غارزًا فأسه في جمجمة الوحش فيما زأرَت شرايكوس وتلوَّت محاولةً طرحه عنها. سبع ضرباتٍ هوى بها هوب وقد شبكَ ساقيه حول رقبة التنِّينة، وفي كل مرَّةٍ هوَت فأسه نادى باسم أحد الأرباب السَّبعة. الضَّربة السَّابعة، ضربة (الغريب)، هي التي قتلَت التنِّينة مخترقةً الحراشف والعظام إلى مُخِّ الوحش... والعُهدة على إيوستس.

وكما هو مدوَّن، قُتِلَ مورجول بيد المدعو الفارس المحترق، وكان رجلًا ضخمًا غاشمًا يرتدي درعًا ثقيلةً، اندفعَ بتهوُّرٍ نحو لهب التنِّين بحربةٍ في يده، وأنشبَ رأسها في عين الوحش مرارًا وتكرارًا فيما صهرَ لهب التنِّين الدِّرع الفولاذيَّة وغمرَه والتهمَ اللَّحم في داخلها.

يُقال لنا إن تايراكسس تنّين الأمير چوفري تراجعَ إلى عرينه حارقًا الكثير من قاتلي التّنانين الرّاغبين إذ اندفعوا وراءه، لدرجة أن جُثثهم المتراكمة سُرعان ما سدَّت المدخل. لكن يجب أن نتذكَّر أن لكلِّ كهفٍ من هذه الكهوف بشريَّة الصُّنع مدخليْن، أحدهما يُواجِه رمال الجُبِّ والثَّاني يُفتَح على جانب التَّل. كان الرَّاعي نفسه هو مَن وجَّه أتباعه إلى اقتحام «الباب الخلفي»، وأطاعَه مئات يعوون وسط الدُّخان بالسُّيوف والحِراب والفؤوس. حين استدارَ تايراكسس تشابكَت سلاسله وجعلَته يعلق في شبكةٍ من الفولاذ حدَّت من حركته على نحو مهلِك. نصف دستةٍ من الرِّجال (وامرأة واحدة) ادَّعوا فيما بعد أنهم مَن وجَّهوا للتنِّين الضَّربة القاتلة (ومثل راكِبه، مُنِيَ تايراكسس بمزيدٍ من الإهانة حتى بعد الموت، إذ قطَّع أتباع الرَّاعي أغشية جناحيْه ومزَّقوها إلى شرائط مهترئة لصُنع معاطف من جلد التنِّين).

لم تمُت آخِر تنانين الجُبِّ الأربعة بتلك السُّهولة. تقول الأسطورة إن دريمفاير تحرَّرت من اثنتين من سلاسلها عند موت الملكة هيلينا، والآن كسرَت الأغلال المتبقِّية منتزعةً الدِّعامات من الجُدران فيما هرعَ الغوغاء نحوها، ثمَّ انقضَّت عليهم بأنيابها والمخالب، تُمزِّق أطرافهم حتى وهي تُطلِق عليهم نيرانها الفظيعة. عندما ضيَّق آخَرون عليها بسطَت جناحيْها وطارَت دائرةً في جوف (جُب التَّنانين) الفسيح ومنقضَّة لتُهاجِم النَّاس الأسفل. قتلَ تايراكسس وشرايكوس ومورجول عشرات، ولا يُمكن أن يكون في هذا شكٌّ، لكن دريمفاير قتلَت أكثر من ثلاثتهم مجتمعين.

فرَّ مئات بهلعٍ من ألسنة اللَّهب... لكن مئاتٍ غيرهم، سواء أكانوا سُكارى أم مجانين أم تملَّكتهم شجاعة (المحارب) ذاته، اندفعوا من بينهم مهاجِمين. حتى عند قمة القُبَّة كانت التنِّينة في نطاقٍ قريب لرُماة الأقواس

والنُّشَّابيَّات، فأُطلِقَت السِّهام على دريمفاير أينما اتَّجهت، من مسافةٍ قريبة لدرجة أن بعضها اخترقَ حراشفها، ومتى حطَّت اندفعَ النَّاس هاجمين ودفعوها إلى الهواء من جديد. طارَت التنِّينة مرَّتين نحو بوَّابات (جُب التَّنانين) البرونزيَّة العظيمة، فقط لتجدها مغلقةً وموصدةً وتُدافِع عنها صفوف من حاملي الحِراب.

عاجزةً عن الفِرار، عاودَت دريمفاير الهجوم مفترسةً معذِّبيها حتى تناثرَت الجُثث المتفحِّمة على رمال الجُبِّ وامتلأ الهواء بالدُّخان ورائحة اللَّحم المحروق، ومع ذلك ظلَّت الحِراب والسِّهام تتطايَر. جاءَت النِّهاية حين أصابَ سهم نُشَّابيَّة إحدى عينَي التنِّينة. نصف عمياء وهائجة بفعل دستةٍ من الجراح الأخرى، فردَت دريمفاير جناحيْها وطارَت إلى أعلى مباشرةً نحو القُبَّة العظيمة في محاولةٍ يائسةٍ أخيرة لاقتحام السَّماء المفتوحة. تصدَّعت القُبَّة تحت تأثير قوَّة الاصطدام وقد أوهنَتها دفقات ألسنة اللَّهب من قبل، وبعد لحظةٍ انهارَ نصفها ساحقًا التنِّينة وقاتِليها تحت أطنانٍ من الحجارة المكسورة والأنقاض.

وبذا انتهى اقتحام (جُب التَّنانين). سقطَ أربعة من تنانين آل تارجاريَن صرعى على الرَّغم من التَّكلفة البشعة. ومع ذلك لم ينتصِر الرَّاعي بعدُ، لأنَّ تنِّينة الملكة لم تزَل حيَّةً وطليقةً... ولما خرجَ حشد الناجين المحروقين والنَّازفين من المذبحة في الجُبِّ متعثِّرين وسط الأنقاض الدَّاخنة، انقضَّت عليهم سايراكس من فوقهم.

كان مشروم بين الذين شاهَدوا المعمعة مع الملكة رينيرا من فوق سطح (حصن ميجور)، ويقول لنا: «تردَّدت أصداء ألف صيحةٍ وصرخةٍ في جميع أنحاء المدينة ممتزجةً بهدير التنِّينة. على قمَّة (تل رينس) اعتمرَ (جُب التَّنانين) تاجًا من اللَّهب الأصفر متوقِّدًا لدرجة أنه بدا كأن

الشَّمس تُشرِق. حتى الملكة ذاتها ارتجفَت وهي تُراقِب والدُّموع تتلألأ على خدَّيها. لم يسبق لي إطلاقًا أن رأيت منظرًا أشدَّ إرعابًا، وأشدَّ جلالًا».

هربَ العديد من رُفقاء الملكة على السَّطح، كما يُخبرنا القزم، خوفًا من أن تلتهم النِّيران المدينة بأكملها قريبًا، بما فيها (القلعة الحمراء) فوق قمَّة (تل إجون العالي)، وأخذَ آخَرون أنفُسهم إلى سِبت القلعة للصَّلاة من أجل النَّجاة. أمَّا رينيرا نفسها فضمَّت ذراعيها حول ابنها الحيِّ الأخير، إجون الأصغر، متمسِّكةً به بشدَّةٍ في حضنها ولم تُرخِ ضمَّتها من حوله... حتى تلك اللَّحظة المرعبة عندما سقطَت سايراكس.

حرَّةً ولا يمتطيها أحد، لربما استطاعَت سايراكس الطَّيران بسهولةٍ بعيدًا عن الجنون. كانت السَّماء مِلكها، ولأمكنَ أن تعود إلى (القلعة الحمراء)، أو تُغادِر المدينة بالكامل وتتَّجه إلى (دراجونستون). أكان ما دفعَها إلى (تل رينس) الضَّوضاء والنَّار، وهدير وأنين التَّنانين المحتضرة، ورائحة اللَّحم المحترق؟ لا يُمكننا أن نعرف، كما لا نعرف لِمَ اختارَت سايراكس النُّزول على رعاع الرَّاعي وتمزيقهم بأنيابها ومخالبها والتهام عشراتٍ منهم، في حين أنه كان بإمكانها بالسُّهولة نفسها أن تُمطِرهم باللَّهب من السَّماء حيث لا يستطع أحد منهم إيذاءها. لا يُمكننا إلَّا الإبلاغ عما حدثَ فقط، كما دوَّنه لنا المهرِّج مشروم والسِّپتون إيوستس والمِايستر الأكبر مونكن.

حكايات كثيرة متضاربة تُحكى عن موت تنِّينة الملكة. ينسب مونكن الفضل إلى هوب الخشَّاب وفأسه، ولو أن هذا خطأ شبه مؤكَّد. أيُمكن أن الرَّجل نفسه قتلَ تنِّينيْن في اللَّيلة نفسها وبالطَّريقة نفسها؟ يتحدَّث البعض عن حامل حربةٍ مجهول، «عملاقٍ ملطَّخ بالدِّماء»، قفزَ من

قبّة (جُب التَّنانين) المنهارة على ظهر التنِّينة، ويروي آخَرون كيف قطعَ فارس اسمه السير واريك ويتون جناحًا من سايراكس بسيفٍ من الفولاذ القاليري (كان (رثاء) على الأرجح). بعدها ادَّعى رامي نُشَّابيَّة يُسمَّى بين قتلها، متفاخرًا بذلك في عدَّة حاناتٍ وخانات، حتى سئِمَ أحد الموالين للملكة من لسانه الثَّرثار وقطعَه.

من المحتمل أن هذه الشَّخصيَّات كلَّها (باستثناء هوب) لعبتَ دورًا ما في مقتل التنِّينة... لكن أكثر حكايةٍ سُمِعَت في (كينجز لاندنج) قالت بأن الرَّاعي نفسه كان قاتِل التنّينة. زعمَت الحكاية أنه بينما هربَ الآخَرون وقفَ النَّبي ذو اليد الواحدة وحيدًا بلا وجلٍ ضدَّ الوحش الضَّاري طالبًا المدد من (السَّبعة)، حتى تجسَّد (المحارب) ذاته بارتفاع ثلاثين قدمًا. كان في يده سيف أسود من الدُّخان صارَ فولاذًا حين لوَّح به وهوى فاصلًا رأس سايراكس عن جسمها. هكذا حُكِيَت الحكاية، حتى من قِبَل السِّپتون إيوستس في روايته عن هذه الأيَّام الحالكة، وهكذا ترنَّم بها المغنُّون لسنواتٍ طوال بعد ذلك.

يُخبرنا مشروم أن خسارة كلٍّ من تنِّينتها وابنها تركَت رينيرا تارجاريَن شاحبةً بلا عزاء. مصحوبةً بمهرِّجها فقط، عادَت إلى مسكنها فيما اجتمعَ مُستشاروها. لقد ضاعَت (كينجز لاندنج)، واتَّفق الجميع على وجوب التَّخلِّي عن المدينة، وعلى مضضٍ اقتنعَت جلالتها بالرَّحيل في اليوم التَّالي عند الفجر. بوقوع (بوَّابة الطَّمي) في قبضة أعدائها، واحتراق كلِّ السُّفن بطول النَّهر أو غرقها، تسلَّلت رينيرا ومجموعة صغيرة من الأتباع عبر (بوَّابة التنِّين)، عازمين على شقِّ طريقهم على السَّاحل إلى (وادي الغسق). ركبَ معها الأخوان ماندرلي، والنَّاجون الأربعة من الحرس الملكي، والسير بالون بيرش، وعشرون من المعاطِف الذَّهبيَّة،

وأربع من وصيفات الملكة، وابنها النَّاجي الأخير، إجون الأصغر.

بقيَ مشروم في (كينجز لاندنج) مع بعض أعضاء البلاط الآخَرين، منهم الليدي البَأساء والسِپتون إيوستس. حُمِّلَ السير جارث الأشرم، قائد المعاطِف الذَّهبيَّة عند (بوَّابة التنِّين)، مسؤولية الدِّفاع عن القلعة، وهي مهمَّة أثبتَ الأشرم أنه لم يشتهِ القيام بها. لم تكد جلالتها تبتعِد نصف يوم حتى ظهرَ السير پركين البرغوث وفُرسان الحواري خارج البوَّابات مطالبين باستسلام القلعة. على الرَّغم من أنهم فاقوا حامية الملكة عشرةً إلى واحد، فلربما استطاعَ رجالها المقاومة، لكن السير جارث اختارَ أن يُنكِّس رايات رينيرا بدلًا من ذلك ويفتح بوَّاباته ويثق برحمة الأعداء.

وأثبتَ البرغوث أنه بلا رحمة. جُرَّ جارث الأشرم أمامه وقُطِعَ رأسه مع عشرين فارسًا آخَر بقوا موالين للملكة، بينهم السير هارمون ابن (الأحراج) الملقَّب بالسُّجق الحديدي، الذي كان أحد الخيَّالة السَّبعة. حتى وليَّة الهامسين، الليدي ميساريا اللايسينيَّة، لم يشفَع لها جِنسها، إذ قُبِضَ عليها وهي تُحاوِل الهرب، وجُلِدَت الدُّودة البيضاء عاريةً عبر المدينة من (القلعة الحمراء) إلى (بوَّابة الآلهة). وعدَها السير پركين أنها إذا ظلَّت حيَّةً حتى بلوغهم البوَّابة فسيُعفى عنها ويُسمَح لها بالرَّحيل. صمدَت المرأة نصف المسافة فقط وماتَت على حجارة الرَّصف وقد تبقَّت بالكاد على ظهرها رُقعة من بشرتها البيضاء الشَّاحبة.

خافَ السِپتون إيوستس على حياته، ويَكتُب أن «رحمة (الأمِّ) وحدها أنقذَتني»، وإن بدا على الأرجح أن السير پركين لم يرغب في إثارة عداوة العقيدة. أطلقَ البرغوث أيضًا سراح جميع السُّجناء الذين عُثِرَ عليهم في الزَّنازين تحت القلعة، منهم المِايستر الأكبر أورْوايل وثُعبان البحر اللورد

كورلس ڤيلاريون. كلاهما كان حاضرًا في اليوم التَّالي لشهادة اعتلاء مُرافق السير پركين الطَّويل الهزيل تريستان العرش الحديدي، وكذلك الملكة الأرملة آليسنت سليلة آل هايتاور. وفي الزَّنازين السَّوداء بالأسفل وجدَ رجال السير پركين أن أمين نقد الملك إجون السَّابق، السير تايلاند لانستر، لا يزال على قيد الحياة... ولو أن معذِّبي رينيرا سَمَلوا عينيه واقتلعوا أظفار يديه وقدميه وقطعوا أُذنيه وأعفوه من ذِكره.

كان لارِس سترونج الأحنف، وليُّ هامسي الملك إجون، أفضل حالًا بكثير. خرجَ سيِّد (هارنهال) سليمًا من المكان الذي كان يختبئ فيه، ومثل رجلٍ قامَ من القبر قطعَ قاعات (القلعة الحمراء) بخطواتٍ واسعة كما لو أنه لم يُبارِحها قَطُّ، ليتلقى ترحيبًا حارًّا من السير پركين البرغوث ويتبوَّأ موضع شرفٍ إلى جوار «ملكه» الجديد.

لم يجلب هرب الملكة سلامًا إلى (كينجز لاندنج). يقول (قصة حقيقيَّة): «ثلاثة ملوكٍ حكموا المدينة، كلٌّ منهم على تلِّه الخاص، ومع ذلك لم يعرف رعاياهم التُّعساء قانونًا، ولا عدالةً، ولا حمايةً. لم يكن منزل أيِّ رجلٍ آمنًا، ولا عفَّة أيِّ عذراءٍ مصانةً». استمرَّت هذه الفوضى أكثر من دورة قمر.

غالبًا ما يقتبِس المِايسترات والمؤرِّخون الآخَرون الذين يَكتُبون عن هذا الزَّمن من مونكن، ويتحدَّثون عن قمر الملوك الثَّلاثة (فيما يُفضِّل مؤرِّخون آخَرون تسمية قمر الجنون)، لكن هذه تسمية خاطئة، لأن الرَّاعي لم يدَّعِ الملكيَّة قَطُّ، ووصفَ نفسه بأنه ابن بسيط لـ(السَّبعة). ومع ذلك لا يُمكن إنكار أنه سيطرَ على عشرات الألوف من بين أنقاض (جُب التَّنانين).

نُصِبَت رؤوس التَّنانين الخمسة التي قتلَها أتباعه على أعمدة، وكلَّ

ليلةٍ كان الرَّاعي يظهر بينها ليعظ. مع موت التَّنانين وانتفاء تهديد الهلاك المحدق، صبَّ النَّبي سُخطه على النُّبلاء والأثرياء، معلنًا أن الفُقراء والمتواضعين فقط سيرون أبهاء الآلهة، أمَّا اللوردات والفُرسان والأغنياء فسيُلقَون بكبريائهم وبُخلهم في الجحيم، وقال لأتباعه: «تخلَّصوا من حريركم وأقمشتكم الثَّمينة واكسوا عُريكم بالأثواب الخيش. ارموا أحذيتكم وسيروا في الأرض حُفاةً كما صوَّركم (الأب)». أطاعَه آلاف، لكن آلافًا أكثر هجروه، وكلَّ ليلةٍ ظلَّت الحشود التي أتَت لسماع النَّبي تتضاءَل.

على الطَّرف الآخر من (شارع الأخوات) ازدهرَت مملكة جيمون ذي الشَّعر الباهت الغريبة على قمَّة (تل ڤيزينيا). تألَّف بلاط هذا الملك النَّغل البالغ من العُمر أربع سنواتٍ من العاهرات والممثِّلين واللُّصوص، فيما دافعَت عصابات المجرمين والمرتزِقة والسُّكارى عن «حُكمه». نزلَ مرسوم تلو الآخَر من (بيت القُبلات) حيث جلسَ الطِّفل الملك، كلٌّ منها مشينٌ أكثر من سابقه. قضى جيمون أن تتساوى البنات من الآن فصاعدًا مع البنين في مسألة الوراثة، وأن يُعطى الفقراء الخُبز والمِزر في أوقات المجاعة، وأن الرِّجال الذين فقدوا أطرافهم في الحرب يجب أن يُطعِمهم ويُسكِنهم اللورد الذي قاتَلوا في سبيله عندما فقدوها، وأمرَ جيمون بضرب الأزواج الذين يضربون زوجاتهم بغضِّ النَّظر عمَّا فعلته الزَّوجات لتبرير هذا التَّأديب. من شبه المؤكَّد أن هذه المراسيم كانت من عمل عاهرةٍ دورنيَّة تُدعى بسيلڤينا ساند، يُزعَم أنها عشيقة أمِّ الملك الصَّغير المسمَّاة إسي، والعُهدة على مشروم.

صدرَت مراسيم ملكيَّة أيضًا من فوق قمَّة (تل إجون العالي)، حيث جلسَ تريستان ألعوبة السير پركين على العرش الحديدي، لكن طبيعتها

اختلفَت تمامًا. بدأ الملك المرافق بإلغاء ضرائب الملكة رينيرا المبغوضة وتقسيم أموال الخزانة الملكيَّة بين أتباعه، وأتبعَ ذلك بإلغاءٍ عام للدُّيون، ورفع ستِّين من فُرسان الحواري إلى مراتب النُّبلاء، وأوفى بوعد «الملك» جيمون بتقديم الخُبز والمِزر للجياع بالمجَّان، بمنحه الفُقراء الحقَّ في صيد الأرانب والأرانب البرِّيَّة والغزلان من (غابة الملوك) أيضًا (أمَّا الأيائل والخنازير البرِّيَّة فلا). طوال ذلك الوقت كان السير پركين البرغوث يُجنِّد عشراتٍ من المعاطِف الذَّهبيَّة النَّاجين ليخدموا تحت راية تريستان، وبسيوفهم سيطرَ على (بوَّابة التنِّين) و(بوَّابة الملك) و(بوَّابة الأسد)، وهو ما أعطاه الهيمنة على أربعٍ من بوَّابات المدينة السَّبع وأكثر من نصف الأبراج على أسوارها.

في الأيام الأولى بعد هرب الملكة كان الرَّاعي أقوى «ملوك» المدينة الثَّلاثة، ولكن مع مرور اللَّيالي استمرَّت أعداد أتباعه في التَّضاؤل. كتبَ السِّپتون إيوستس: «استيقظَ عامَّة النَّاس في المدينة كما لو أنهم صحوا من حُلمٍ سيِّئ، ومثل أثمَةٍ يستيقظون بردانين مُفيقين بعد ليلةٍ من فجور الثَّمل وبهجته، انصرفوا بخجلٍ مختبئين من وجوهِ بعضهم بعضًا على أملِ أن ينسوا ما حصلَ». على الرَّغم من موت التَّنانين وهروب الملكة، كانت سُلطة العرش الحديدي عظيمةً في النُّفوس لدرجة أن العامَّة ظلُّوا يتطلَّعون إلى (القلعة الحمراء) حينما شعروا بالخوف أو الجوع. وهكذا بينما تضاءلَت سُلطة الرَّاعي على قمَّة (تل رينس)، تعاظمَت سُلطة الملك تريستان تروفاير -كما بدأ يُسمِّي نفسه- على قمة (تل إجون العالي).

كان الكثير يحدُث في (تمبلتون) كذلك، وإلى هناك علينا أن نُوجِّه أنظارنا الآن. مع وصول أخبار الاضطرابات في (كينجز لاندنج) إلى

جيش الأمير دايرون، تحمَّس العديد من اللوردات الأصغر سنًّا للتَّقدُّم نحو المدينة في الحال، وكان أبرز هؤلاء السير چون روكستون والسير روچر كورن واللورد أنوين بيك... لكن السير هوبرت هايتاور نصحَهم بالحذر، ورفضَ الخائنان الانضمام إلى أيِّ هجومٍ ما لم تُلَبَّ مطالبهما. يُذكَر أن أولف وايت رغبَ في أن يُمنَح قلعة (هايجاردن) العظيمة بكلِّ أراضيها وإيراداتها، في حين لم يشتهِ هيو هامر الصُّلب لنفسه ما هو أقل من تاج.

بلغَت هذه الصِّراعات ذروتها عندما علمَت (تمبلتون) متأخِّرًا بموت إيموند تارجاريَن عند (هارنهال). لم يُرَ الملك إجون الثَّاني أو يُسمَع عنه منذ سقوط (كينجز لاندنج) في يد أخته غير الشَّقيقة رينيرا، وخشيَ كثيرون أن الملكة قتَلته سرًّا وأخفَت الجثَّة حتى لا تُوصَم بأنها قاتِلة أقربين، ومع مقتل شقيقه إيموند أيضًا وجدَ الخُضر أنفُسهم بلا ملكٍ أو قائد. جاءَ دور الأمير دايرون تاليًا في تسلسُل الخلافة، وصرَّح اللورد بيك أنه يجب إعلان الصَّبي أميرًا لـ(دراجونستون) في الحال، فيما أرادَ آخَرون ممَّن اعتقَدوا أن إجون الثَّاني ماتَ تتويجه ملكًا.

شعرَ الخائنان بالحاجة إلى ملكٍ أيضًا... لكن دايرون تارجاريَن لم يكن الملك الذي أراداه، إذ أعلنَ هيو هامر الصُّلب: «نحتاج إلى رجلٍ قوي لقيادتنا لا إلى صبي. يجب أن يكون العرش لي»، وحين سألَه چون روكستون الجَسور بأيِّ حقٍّ يتجرَّأ على تسمية نفسه ملكًا، أجابَ اللورد هامر: «بحقِّ الفاتِح نفسه، التنِّين». وبالفعل، مع موت ڤاجهار أخيرًا صارَ أقدم وأكبر تنِّينٍ حي في جميع أنحاء (وستروس) هو ڤرميثور، الذي كان ذات يومٍ مطيَّة الملك العجوز، والآن مطيَّة النَّغل هيو الصُّلب. عادلَ ڤرميثور حجم تساريون تنِّينة الأمير دايرون ثلاث مرَّات، ولم يغفل

أيُّ أحدٍ لمحَهما معًا عن رؤية أن ڤرميثور كان وحشًا مرعبًا أكثر بكثير.

رغم أن طموح هامر لم يلِق بشخصٍ وضيع المولد، فلا شكَّ أن النَّغل امتلكَ شيئًا من دماء آل تارجاريَن، وأثبتَ أنه شرس في المعارك وكريم مع مَن تبعوه، إذ أبدى السَّخاء الذي يجتذِب الرِّجال إلى القادة كما تجتذِب جثَّة الذُّباب. كان هؤلاء أسوأ الرِّجال طرًّا لا ريب: مرتزِقةً وفُرسانًا لصوصًا وغيرهم من الدَّهماء، رجالًا ملوَّثي الدِّماء مجهولي الأصل أحبُّوا القتال في حدِّ ذاته وعاشوا في سبيل النَّهب والسَّلب. سمِعَ كثيرون النُّبوءة القائلة بأن المطرقة ستسحق التنِّين، وعدُّوا معناها أن انتصار هيو الصُّلب مقدَّر ومكتوب.

على أن لوردات وفُرسان (البلدة القديمة) و(المرعى) شعروا بالإهانة من غطرسة ادِّعاء الخائن، ولا أحد أكثر من الأمير دايرون تارجاريَن نفسه، الذي غضبَ لدرجة أنه ألقى كوبًا من النَّبيذ في وجه هيو الصُّلب. بينما ابتلعَ اللورد وايت هذا باعتباره مضيعةً للنَّبيذ الجيِّد، قال اللورد هامر: «على الأولاد الصِّغار أن يكونوا أكثر تهذيبًا حين يتحدَّث الرِّجال. أظنُّ أن والدك لم يضربك بما يكفي. احذر لكيلا أعوِّض تقاعُسه». غادرَ الخائنان معًا وشرعا في التَّخطيط لتتويج هامر، ولما شُوهِدا في اليوم التَّالي كان هيو يعتمر تاجًا من الحديد الأسود، وهو ما أثارَ ثورة الأمير دايرون ولورداته وفُرسانه الشَّرعيِّين.

أحد هؤلاء، السير روچر كورن، كان جريئًا لدرجة أنه أسقطَ التَّاج من فوق رأس هامر، وقال: «التَّاج لا يجعل الرَّجل ملكًا. حريٌّ بك أن تضع حدوة حصانٍ على رأسك أيها الحدَّاد». كانت تلك حماقةً، ولم يستطرِفها اللورد هيو. بأمره طرحَ رجاله السير روچر أرضًا، وعندها لم يدقَّ نغل الحدَّاد حدوةً واحدةً بل ثلاثًا في جمجمة الفارس. لما حاولَ

أصدقاء كورن التَّدخُّل سُحِبَت الخناجر والسُّيوف من أغمدتها، وهو ما ترك ثلاثةً قتلى ودستةً جرحى.

كان ذلك أكثر مما كان اللوردات الموالون للأمير دايرون مستعدِّين للسَّماح به. استدعى اللورد أنوين پيك وهوبرت هايتاور المتردِّد نوعًا أحد عشرًا من اللوردات والفُرسان مُلَّاك الأراضي الآخَرين إلى مجلسٍ سرِّي في قبو أحد خانات (تمبلتون)، لمناقشة ما يمكن فِعله للحدِّ من غطرسة راكبَي التَّنانين وضيعَي المولد. اتَّفق المتآمرون على سهولة التَّخلُّص من وايت، الذي كان ثملًا في معظم الأحيان ولم يُظهِر قَطُّ أيَّ براعةٍ كبيرة في السِّلاح. شكَّل هامر خطرًا أكبر، لأنه كان محاطًا ليلَ نهارَ في الآونة الأخيرة بالمتملِّقين وأتباع المعسكرات والمرتزِقة المتلهِّفين على حظوته. أشارَ اللورد پيك إلى أن قتل وايت وترك هامر على قيد الحياة لن يُفيدهم كثيرًا، ويجب أن يموت هيو الصُّلب أوَّلًا. كانت المناقشات طويلةً وصاخبةً في الخان تحت اللَّافتة المكتوب عليها «الحسَك الدَّامي»، حيث ناقشَ اللوردات أفضل طريقةٍ لتحقيق ذلك.

أعلنَ السير هوبرت هايتاور: «أيُّ رجلٍ قابل للقتل، ولكن ماذا عن التَّنانين؟». قال السير تايلر نوركروس إنه بالنَّظر إلى الاضطرابات في (كينجز لاندنج) فمن المفترَض أن تكون تساريون وحدها كافيةً لتمكينهم من استعادة العرش الحديدي، فردَّ اللورد پيك بأن النَّصر سيكون مضمونًا أكثر بڤرميثور وسيلڤروينج، واقترحَ مارك أمبروز أن يأخُذوا المدينة أوَّلًا ثم يتخلَّصوا من وايت وهامر بعد تحقيق النَّصر، لكن ريتشارد رودن أصرَّ أن طريقةً كتلك ستكون مخلَّةً بالشَّرف، وقال: «لا يُمكننا أن نطلب من هذين الرَّجليْن بذل الدِّماء معنا ثم نقتلهما». حسمَ الجَسور چون روكستون الخلاف قائلًا: «سنَقتُل النَّغليْن الآن، وبعدها

فليحظَ أشجع اثنين بيننا بتنِّينيْهما ويقودانهما إلى المعركة». لم يشكَّ أيُّ رجل في ذلك القبو في أن روكستون كان يتحدَّث عن نفسه.

على الرَّغم من أن الأمير دايرون لم يكن حاضرًا في المجلس، أبى متآمرو الحسَك (كما أصبَحوا يُعرَفون) المضيَّ قُدمًا دون موافقته ومباركته، فأُرسِلَ أوين فوسواي، سيِّد (بهو التفاح)، تحت جنح الظَّلام لإيقاظ الأمير وإحضاره إلى القبو، حتى يُعلِمه المتآمرون بخُططهم، ولم يتردَّد الأمير الذي كان لطيفًا في يومٍ من الأيام عندما قدَّم له اللورد أنوين بيك مسوِّغَي إعدام هيو هامر الصُّلب وأولف وايت، بل وضعَ ختمه عليهما بحماسة.

قد يتآمَر البشر ويُخطِّطون ويتواطَؤون، ولكن خير لهم أن يصلُّوا أيضًا، لأن خُطط الإنسان لم تَصمُد قَطُّ أمام نزوات الآلهة في الأعالي. بعد يومَيْن، في اليوم ذاته الذي حدَّده متآمرو الحسَك لضرب ضربتهم، استيقظَت (تمبلتون) في جوف اللَّيل على صُراخٍ وصياح. كانت المخيَّمات مشتعلةً خارج أسوار البلدة، وفُرسان مدرَّعون يتدفَّقون أرتالًا من الشَّمال والغرب مذبِّحين هنا وهناك، والغيوم تُمطِر سهامًا، ومن أعلى ينقضُّ تنِّين مفزع شرس.

وهكذا بدأت معركة (تمبلتون) الثَّانية.

كان التنِّين سيسموك، وراكبه السير أدام ڤيلاريون المصمِّم على إثبات أنه ليس كلُّ النُّغول مارقين، وأيُّ دليلٍ على ذلك خيرٌ من استعادة (تمبلتون) من الخائنَيْن اللذين لوَّثته خيانتهما؟ يقول المغنُّون إن السير أدام طارَ من (كينجز لاندنج) إلى (عين الآلهة)، حيث هبطَ على (جزيرة الوجوه) المقدَّسة واستشارَ الرِّجال الخُضر. أمَّا الباحث فعليه أن يُلزِم نفسه بالحقيقة المعروفة، وما نعرفه أن السير أدام طارَ بعيدًا وسريعًا،

ونزلَ على قلاعٍ كبيرة وصغيرة كان سادتها مخلصين للملكة لكي يحشد جيشًا.

اندلعَ بالفعل العديد من المعارك والمناوشات في الأراضي التي يسقيها نهر (الثَّالوث)، وقليل جدًّا من الحصون والقُرى لم يدفع نصيبه من الدَّم... لكن أدام ڤيلاريون كان عنيدًا وحازمًا وفصيح اللِّسان، وقد عرفَ لوردات النَّهر الكثير عن الأهوال التي حلَّت بـ(تمبلتون)، ولدى استعداد السير أدام للانقضاض على (تمبلتون) كان ما يَقرُب من أربعة آلاف رجلٍ وراءه.

جاءَ بنچيكوت بلاكوود سيِّد (شجرة الغِدفان) البالغ من العُمر اثني عشر عامًا، وكذلك الأرملة سابيثا فراي سيِّدة (التوأمتيْن) مع والدها وإخوتها من عائلة ڤايپرن، وجمعَ بعُسرٍ شديد اللوردات ستانتون پايپر وچوزث سمولوود ودريك داري ولايونل ددينجز قوَّاتٍ جديدةً من كبار السِّن والصِّبية الخُضر، على الرَّغم من تكبُّدهم جميعًا خسائر جسيمةً في معارك الخريف، وجاءَ هيوجو ڤانس سيِّد (استراحة عابري السبيل) الشَّاب مع ثلاثمئةٍ من رجاله بالإضافة إلى مرتزِقة ترومبو الأسود المايريِّين.

الأجدر بالملاحظة انضمام آل تَلي إلى الحرب. أخيرًا أقنعَ نزول سيسموك في (ريڤررَن) ذلك المحارب المتردِّد، السير إلمو تَلي، باستدعاء راياته لأجل الملكة، في تحدٍّ لرغبات جدِّه اللورد جروڤر طريح الفِراش. حسب ما وردَ إلينا قال السير إلمو: «وجود تنِّينٍ في فِناء المرء يفعل العجائب لتبديد شكوكه».

فاقَ عدد الجيش العظيم المعسكِر حول أسوار (تمبلتون) عدد المهاجِمين، لكن رجاله قضوا وقتًا طويلًا في مكانٍ واحد، وارتخى انضباطهم (يقول المِايستر الأكبر مونكن إن الثَّمل استوطنَ المعسكر، كما ترسَّخ المرض

أيضًا)، وتركَهم موت اللورد أورموند هايتاور دون قائد، واللوردات الذين أرادوا القيادة في مكانه كانوا على خلاف. لقد كانوا حريصين جدًّا على نزاعاتهم ومنافساتهم لدرجة أنهم نسوا جميعًا أعداءهم الحقيقيِّين. باغتَهم هجوم السير أدام اللَّيلي بالكامل، وقبل أن يُدرِك رجال جيش الأمير دايرون أنهم في معركةٍ وجدوا الأعداء بينهم، يُذبِّحونهم وهُم يَخرُجون مترنِّحين من خيامهم ويسرجون خيولهم ويُكافِحون لارتداء دروعهم وربط أحزمة سيوفهم.

كان التنِّين الأشدَّ تدميرًا. جاءَ سيسموك ينقضُّ على الأرض مرَّةً تلو الأخرى نافثًا النِّيران، وسُرعان ما اشتعلَت مئة خيمة، حتى السُّرادقات الحريريَّة الرَّائعة التي نزلَ فيها السير هوبرت هايتاور واللورد أنوين پيك والأمير دايرون نفسه. ولم تُعفَ بلدة (تمبلتون) كذلك، وتلك المتاجر والمنازل والسِّپتات التي نجَت في المرَّة الأولى ابتلعَها لهب التنِّين.

كان دايرون تارجاريَن نائمًا في خيمته عندما بدأ الهجوم، وأولف وايت داخل (تمبلتون) نائمًا بعد ليلة ثملٍ في خانٍ اسمه (الغُرير الدَّاعر) كان قد أخذَه لنفسه. وكان هيو هامر الصُّلب داخل أسوار المدينة أيضًا، في سريرٍ مع أرملة فارسٍ قُتِلَ خلال المعركة الأولى. أمَّا التَّنانين الثَّلاثة فكانت خارج البلدة، في الحقول وراء المعسكَرات.

على الرَّغم من المحاولات التي جرَت لإيقاظ أولف وايت من سُباته الثَّمل، اتَّضحت استحالة ذلك، وبشكلٍ مخزٍ تدحرجَ تحت طاولةٍ وغطَّ طوال المعركة. أمَّا هيو هامر الصُّلب فكان أسرع استجابةً، إذ هرعَ نازلًا السَّلالم إلى السَّاحة نصف عارٍ، طالبًا مطرقته ودِرعه وحصانًا حتى يَخرُج ويمتطي ڤرميثور. أسرع رجاله يُطيعونه، حتى عندما أشعلَ سيسموك الاسطبلات. على أن اللورد چون روكستون كان قد استحوذَ على غُرفة

نوم اللورد فوتلي علاوةً على زوجته، وكان في السَّاحة بالفعل.

عندما لمحَ هيو الصُّلب، رأى روكستون فرصته، وقال: «أيها اللورد هامر، تقبَّل تعازيَّ». التفتَ هامر عابسًا، وسألَ: «علامَ؟»، فأجاب چون الجَسور: «لقد مُتَّ في المعركة»، واستلَّ سيفه (الميتِّمة) ودفنَه بعمقٍ في بطنِ هامر، قبل أن يشقَّ النَّغل من عانته حتى حلقه.

أتَت دستة راكضة من رجال هيو الصُّلب في الوقت المناسب لرؤيته يموت. حتى نصل من الفولاذي القاليري مثل (الميتِّمة) لا ينفع المرء كثيرًا حينما يكون واحدًا ضدَّ عشرة. قتلَ چون روكستون الجَسور ثلاثةً قبل أن يُقتَل بدوره، ويُقال إنه ماتَ حين انزلَقت قدمه على أحشاء هيو هامر، ولكن لعلَّ تفصيلةً كتلك تنتمي إلى سُخرية القدر المثاليَّة لدرجةٍ يَصعُب معها تصديقها.

تُوجَد ثلاث رواياتٍ متضاربة حول كيفيَّة موت الأمير دايرون تارجاريَن. تدَّعي أشهرها أن الأمير خرجَ متعثِّرًا من سُرادقه وملابسه اللَّيلية مشتعلة، فقط ليَقتُله المرتزِق المايري ترومبو الأسود الذي حطَّم وجهه بضربةٍ من كُرته الشَّائكة. هذه هي الرِّواية التي فضَّلها ترومبو الأسود، الذي رواها على نطاقٍ واسع. الرواية الثَّانية مشابهة إلى حدٍّ ما، باستثناء أن الأمير قُتِلَ بسيفٍ لا بكُرةٍ شائكة، وأن قاتِله لم يكن ترومبو الأسود، بل جُندي مجهول لم يُدرِك مَن قتلَ حتى. في الرِّواية الثَّالثة لم يتمكَّن الصَّبي الشُّجاع المعروف بدايرون الجريء من الخروج على الإطلاق، بل ماتَ عندما انهارَ عليه سُرادقه المحترق، وهذه هي النُسخة المفضَّلة لمونكن في (قصَّة حقيقيَّة) ولنا.[21]

---

21 – أيًّا كانت وسيلة موته فلا خلاف إطلاقًا على أن دايرون تارجاريَن، أصغر أبناء الملك ڤسيرس الأوَّل من الملكة آليسنت، ماتَ في معركة (تمبلتون) الثَّانية. الأمراء الزَّائفون الذين ظهروا خلال عهد إجون الثَّالث منتحلين اسمه ثبتَ على نحو باتٍّ أنهم نصَّابون. (المؤلِّف).

في السَّماء بالأعلى كان بإمكان أدام ڤيلاريون رؤية المعركة تستحيل إلى هزيمةٍ من تحته. ماتَ اثنان من راكبي تنانين العدوِّ الثَّلاثة، وإن لم تكن لديه وسيلة لمعرفة ذلك، وإن استطاعَ بلا شكٍّ رؤية تنانين العدوِّ أنفُسها. أُبقِيَت التَّنانين الثَّلاثة خارج أسوار البلدة، لها حرِّيَّة التَّحليق والصَّيد كما تشاء. في كثيرٍ من الأحيان التفَّت سيلڤروينج وڤرميثور حول بعضهما بعضًا في الحقول جنوب (تمبلتون)، فيما نامَت تساريون وتغذَّت في معسكر الأمير دايرون غرب البلدة، على بعد أقلِّ من مئة ياردة من سُرادقه.

التَّنانين مخلوقات من نارٍ ودم، وقد استيقظَ ثلاثتها مع اندلا ع المعركة من حولها. يُقال لنا إن رامي نُشَّابيَّةٍ أطلقَ سهمًا على سيلڤروينج، وحاصرَ أربعون من الفُرسان الرَّاكبين ڤرميثور بالسَّيف والرُّمح والفأس على أمل قتل الوحش وهو لا يزال نصف غافٍ وممدَّد على الأرض، وقد دفعوا حياتهم ثمنًا لهذه الحماقة. في مكانٍ آخَر من ميدان المعركة ألقَت تساريون بنفسها في الهواء، تهدر وتنفث اللَّهب، فأدارَ أدام ڤيلاريون سيسموك لمقابلتها.

حراشف التنِّين منيعة ضد اللَّهب إلى حدٍّ كبير (وإن لم يكن تمامًا)، وتحمي اللَّحم والعضلات الأضعف تحتها. مع تقدُّم التنِّين في السِّن تزداد سماكة حراشفه وتُصبِح أصلب موفِّرةً له مزيدًا من الحماية، فيما تصير ألسنة لهبه أحمى وأعنف (في حين يستطيع لهب أفراخ التَّنانين إشعال القشِّ، استطاعَت نيران بالريون أو ڤاجهار في أوجِ عنفوانهما صهر الفولاذ والحجر، وقد فعلَت). ومن ثَمَّ، عندما يلتقي تنِّينان في قتالٍ مميت فإنهما غالبًا ما يستخدمان أسلحةً أخرى غير لهبهما: مخالب سوداء كالحديد طويلةً كالسُّيوف حادَّةً كالمواسي، وفكوكًا قويَّةً لدرجة

اختراقها درع فارسٍ فولاذيَّةً، وذيولًا كالسِّياط عُرِفَ عن ضرباتها تحطيم العربات وإحالتها إلى شظايا، وكسر العمود الفقري لحصانٍ حربي ثقيل، والإطاحة بالرِّجال حتى ارتفاع خمسين قدمًا في الهواء.

كانت المعركة بين تساريون وسيسموك مختلفةً.

يُطلِق التَّاريخ على الصِّراع بين الملك إجون الثَّاني وأخته غير الشَّقيقة رينيرا اسم رقصة التَّنانين، ولكن فقط في (تمبلتون) رقصَت التَّنانين حقًّا. كانت تساريون وسيسموك تِنِّينَيْن صغيرَي السِّن، أرشق في الجوِّ من أقربائهما الأكبر سنًّا. مرارًا وتكرارًا اندفعَ كلاهما بسرعةٍ بالغة نحو الثَّاني، فقط لينحرف أحدهما أو الآخَر مبتعدًا في اللَّحظة الأخيرة. محلِّقَيْن كالعُقبان ومنقضَّيْن كالصُّقور، دارا ينهشان الهواء ويهدران وينفثان النَّار، وإن لم يلتحِما مطلقًا. اختفَت الملكة الزَّرقاء مرَّةً في كُتلة سُحب، لتظهر بعدها بلحظةٍ كارَّةً على سيسموك من الخلف لتحرق ذيله بدفقةٍ من لهبٍ بلون الكوبالت. في تلك الأثناء تقلَّب سيسموك في الهواء ومالَ ودارَ في حلقة، في لحظةٍ يكون تحت خصمته، وفجأةً يلتفُّ في السَّماء ويدور من خلفها. حلَّق التِّنينان إلى أعلى وأعلى فيما شاهدَهما مئات من فوق أسطُح (تمبلتون). قال أحدهم بعدها إن تحليق تساريون وسيسموك بدا كرقصةِ تزاوُجٍ أكثر من قتال، وربما كان كذلك.

وانتهت الرَّقصة حين عرجَ ڤرميثور إلى السَّماء هادرًا.

بالغًا ما يَقرُب من مئة عامٍ وضخمًا كالتِّنينَيْن الصَّغيرَيْن مجتمعيْن، كان التِّنين البرونزي ذو الجناحَيْن العظيمَيْن الأسمرَيْن ثائرًا عندما حلَّق، وينزُّ دمه من دستةٍ من الجراح. بلا راكب، لم يعرف صديقه من عدوِّه، لذلك صبَّ جام غضبه على الجميع نافثًا اللَّهب يُمنةً ويُسرةً ومنقلبًا بوحشيَّةٍ على أيِّ رجلٍ تجرَّأ على رمي حربةٍ في اتِّجاهه. حاولَ أحد الفُرسان الفرار

منه، فقط ليختطفه ڤرميثور بين فكَّيه فيما كان حصانه يعدو، واحترقَ اللوردان پايپر ودينجز اللذان كانا جالسيْن معًا فوق مرتفَعٍ منخفض مع مُرافقيهما وخدمهما ودروعهما المحلَّفة عندما انتبه إليهم البرونزي الثَّائر صدفةً.

وبعد لحظةٍ انقضَّ عليه سيسموك.

وحده من بين التَّنانين الأربعة في الميدان في ذلك اليوم كان لسيسموك راكب. جاءَ السير أدام ڤيلاريون ليُثبِت ولاءه بتدمير الخائنيْن وتِنّينيْهما، وها هو ذا أحدهما تحته يُهاجِم الرِّجال الذين انضمُّوا إليه في هذه المعركة. لا بدَّ أنه شعرَ بواجب حمايتهم، رغم أنه علمَ في قرارة نفسه حتمًا أن سيسموك ليس ندًّا للتنِّين الأكبر.

لم تكن تلك رقصةً، بل قتال حتى الموت. كان ڤرميثور طائرًا على ارتفاع لم يزِد على عشرين قدمًا فوق المعركة عندما اصطدمَ به سيسموك من أعلى، وهو ما دفعَه إلى السُّقوط صارخًا في الوحل. ركضَ الرِّجال والفتيان بهلعٍ أو سُحِقوا فيما تدحرجَ التنِّينان ومزَّق كلاهما الآخَر. جلدَ ذيلاهما كالسِّياط وضربَت أجنحتهما الهواء، لكن الوحشيْن كانا متشابكيْن للغاية بحيث لم يتمكَّن أيُّهما من التَّملُّص. شاهدَ بنچيكوت بلاكوود الصِّراع من فوق جواده من بُعد خمسين ياردةً. كان حجم ڤرميثور ووزنه أكبر من أن يتصادَم سيسموك معه، كما أخبر اللورد بلاكوود المايستر الأكبر مونكن بعد سنواتٍ عدَّة، وكان من المؤكَّد أنه سيُمزِّق التنِّين الرَّمادي الفضِّي إلى أشلاء... ما لم تهوِ تساريون من السَّماء في تلك اللَّحظة بالذَّات للانضمام إلى القتال.

من يستطيع معرفة ما في قلب تنِّين؟ أكانت شهوة الدِّماء ما دفعَ الملكة الزَّرقاء إلى الهجوم؟ هل جاءَت التنِّينة لإعانة أحد المتقاتليْن؟ إذا

كان الأمر كذلك فأيهما يا تُرى؟ يدَّعي البعض أن الرَّابط بين التنّين وممتطيه عميق جدًّا لدرجة أن الوحش يُشارِك سيِّده ما يحبُّه ويكرهه. ولكن مَن كان الحليف هنا ومَن الخصم؟ أيُمكن لتنّينٍ بلا راكبٍ تمييز الصَّديق من العدوِّ؟

لن نعرفَ أبدًا الإجابة عن هذه الأسئلة. كلُّ ما يُخبرنا به التاريخ هو أن ثلاثة تنانين تقاتلَت وسط وحل ودم ودُخان معركة (تمبلتون) الثَّانية. كانت سيسموك أوَّل من ماتَ، عندما أطبقَ ڤرميثور أنيابه على رقبتها واجتثَّ رأسها، وبعد ذلك حاولَ التنّين البرونزي الطَّيران وغنيمته بين فكَّيه، لكن جناحيْه الممزَّقيْن لم يقدرا على حمل وزنه، وبعد لحظةٍ انهارَ وماتَ. صمدَت تساريون، الملكة الزَّرقاء، حتى غروب الشمس. ثلاث مرَّاتٍ حاولَت العودة إلى السماء، وفي المرَّات الثلاث فشلَت. بحلول آخِر الظهيرة بدا أنها تتألَّم، فاستدعى اللورد بلاكوود أفضل رامٍ عنده، وهو حامل قوسٍ طويل عُرِفَ باسم بيلي برلي، اتَّخذ موقعًا على بُعد مئة ياردة (خارج نطاق نيران التنّينة المحتضرة) وأولجَ ثلاثة أسهُمٍ في عينها وهي مستلقية عاجزة على الأرض.

بحلول الغسق كان القتال قد انتهى. على الرَّغم من أن لوردات النَّهر فقدوا أقلَّ من مئة رجلٍ وقتلوا أكثر من ألفٍ من رجال (البلدة القديمة) و(المرعى)، لم يُمكن اعتبار معركة (تمبلتون) الثَّانية انتصارًا كاملًا للمهاجِمين، لأنهم فشلوا في الاستيلاء على البلدة. كانت أسوار (تمبلتون) لا تزال سليمةً، وبمجرَّد أن تراجعَ رجال الملك إلى الدَّاخل وأغلقوا بوَّاباتهم لم تجد قوَّات الملكة أيَّ وسيلةٍ لاختراقها، إذ افتقرَت إلى معدَّات الحصار والتَّنانين. ومع ذلك فقد عاثوا تذبيحًا في خصومهم المرتبكين غير المنظَّمين، وأشعَلوا النَّار في خيامهم، وأحرَقوا جميع عرباتهم

وأعلافهم ومؤنهم أو استولوا عليها، وسرقوا ثلاثة أرباع جيادهم الحربيَّة، وقتلوا أميرهم، ووضعوا نهايةً لاثنين من تنانين الملك.

عند طلوع القمر تركَ لوردات النَّهر الحقل لغِربان الجيف وعادوا إلى التِّلال. حمل أحدهم، الصَّبي بِن بلاكوود، معه جُثَّة السير أدام ڤيلاريون المكسورة بعد العثور عليه ميتًا إلى جانب تنِّينه. رقدَت عظامه في قاعة (شجرة الغِدفان) ثمانيَ سنوات، ولكن في عام 138 بعد الفتح أعادَها شقيقه آلِن إلى (دريفتمارك) ودفنَها في (الأبدان)، البلدة التي وُلِدَ فيها. على ضريحه نُقِشَت كلمة واحدة فقط: وَفِيٌّ، ودعمَ حروفها المزخرفة نقشان لحصان بحرٍ وفأرة.

في الصَّباح التَّالي للمعركة نظرَ غُزاة (تمبلتون) من فوق أسوار البلدة ليجدوا أعداءهم رحلوا. تناثرَت جثامين القتلى حول البلدة في كلِّ اتِّجاه، وافترشَت الأرض بينها جُثث ثلاثة تنانين. تبقَّت تنِّينة وحيدة: سيلڤروينج، مطيَّة الملكة الكريمة أليسين في الأيَّام الخوالي، التي حلَّقت في السَّماء مع بدء المذبحة، تدور حول ساحة المعركة لساعات، وتحمل الرِّياح السَّاخنة المتصاعدة من الحرائق بالأسفل جناحيْها. فقط بعد حلول الظلام هبطَت لتحطَّ بجانب أولاد عمومتها القتلى. لاحقًا حكى المغنُّون كيف رفعَت جناح ڤرميثور بخطمها ثلاث مرَّاتٍ كأنها تُحاول جعله يطير مرَّةً أخرى، لكن هذه في الأغلب خُرافة. ستجدها الشَّمس المشرقة تُرفرِف بتأنٍّ عبر الميدان، وتتغذَّى على بقايا الخيول والرِّجال والثِّيران المحترقة.

ماتَ ثمانية من أصل ثلاثة عشر من متآمري الحسَك، منهم اللورد أوين فوسواي ومارك أمبروز وچون روكستون الجَسور، وقد أصابَ سهمٌ ريتشارد رودن في رقبته وماتَ في اليوم التَّالي. وهكذا بقيَ أربعة من

المتآمرين، منهم السير هوبرت هايتاور واللورد أنوين پيك. وعلى الرَّغم من موت هيو هامر الصُّلب ومعه أحلام الملك، بقيَ الخائن الثَّاني. استيقظَ أولف وايت من نومه الثَّمل ليجد نفسه آخِر راكب تنِّين، وبحوزته التنِّينة الأخيرة.

يُزعَم أنه أخبرَ اللورد پيك: «المطرقة ماتَ، وصبيُّكم أيضًا. لم يتبقَّ لكم إلَّاي». عندما سألَه اللورد پيك عن نيَّاته أجابَ وايت: «سنزحف كما أردتم تمامًا. خُذوا أنتم المدينة وسآخذُ أنا العرش اللَّعين، ما رأيك؟»».

في صباح اليوم التَّالي استدعاه السير هوبرت هايتاور لمناقشة تفاصيل هجومهم على (كينجز لاندنج)، وأحضرَ معه برميليْن من النَّبيذ هديَّةً، أحدهما من نبيذ (دورن) الأحمر والثَّاني من نبيذ (الكرمة) الذَّهبي. رغم أن أولف السكِّير لم يتذوَّق نبيذًا لم يرُقه قطُّ، كان معروفًا بميله إلى الخمور الحُلوة. لا شكَّ أن السير هوبرت أملَ أن يرشف من النَّبيذ الأحمر الحامض فيما يتجرَّع اللورد أولف نبيذ (الكرمة) الذَّهبي، غير أن شيئًا ما في أسلوب هايتاور -الذي تعرَّق وتلعثمَ وبدا مبتهجًا جدًّا، كما شهدَ المرافق الذي خدمَهما لاحقًا- أثارَ شكوك وايت. متوخِّيًا حذره، أمرَ أولف بترك النَّبيذ الدورني الأحمر جانبًا لوقتٍ لاحق، وأصرَّ أن يُشارِكه السير هوبرت نبيذ (الكرمة) الذَّهبي.

أشياء جيِّدة قليلة جدًّا يرويها التَّاريخ عن السير هوبرت هايتاور، لكن أحدًا لا يستطيع أن يُشكِّك في كيفيَّة موته. بدلًا من أن يخون زملاءه متآمري الحسَك، تركَ مُرافقه يملأ كأسه، وشربَ بعُمق، وطلبَ المزيد. ما إن رأى هايتاور يشرب حتى أثبتَ أولف السكِّير أنه اسم على مسمَّى، وشربَ ثلاث كؤوسٍ قبل أن يبدأ في التَّثاؤب. كان السُّم في النَّبيذ خفيفًا، وعندما غفا اللورد أولف بلا استيقاظٍ ثانيةً، ركعَ السير

هوبرت على رُكبتيه وحاولَ أن يجعل نفسه يتقيَّأ، ولكن كان الأوان قد فاتَ، وتوقَّف قلبه في غضون ساعة. يقول مشروم عنه: «لم يَخَف أحد سيف السير هوبرت مطلقًا، لكن كأس نبيذه كانت أشدَّ فتكًا من الفولاذ الڤاليري».

بعد ذلك رصدَ اللورد أنوين پيك ألف تِنّينٍ ذهبي لأيِّ فارسٍ نبيل المولد يستطيع الاستحواذ على سيلڤروينج. تقدَّم ثلاثة رجال، ولما مُزِّقَت ذراع الأوَّل واحترقَ الثَّاني حتى الموت، أعادَ الثَّالث النَّظر. عندئذٍ كان جيش پيك، بقايا الحشد العظيم الذي قادَه الأمير دايرون واللورد أورموند هايتاور طوال الطَّريق من (البلدة القديمة)، ينهار إذ فرَّ النَّاجون من (تمبلتون) بالعشرات بكلِّ ما استطاعوا حمله من غنائم. استسلمَ اللورد أنوين للهزيمة، واستدعى اللوردات والنُّقباء وأمرَ بالانسحاب.

أنقذَ المتَّهم بالمروق أدام ڤيلاريون، المولود أدام ابن (الأبدان)، (كينجز لاندنج) من أعداء الملكة... على حساب حياته. على أن الملكة لم تعرف شيئًا عن شجاعته. كان هرب رينيرا من (كينجز لاندنج) محفوفًا بالصِّعاب. في (روزبي) وجدَت بوَّابات القلعة مغلقةً عند اقترابها، بأمرٍ من الشَّابَّة التي أُغفِلَ دورها في الوراثة لصالح أخٍ أصغر. منحَها أمين قلعة اللورد ستوكوورث الشَّاب ضيافته، ولكن لليلةٍ واحدةٍ فقط، إذ حذَّر الملكة: «سيأتون من أجلكِ، وأنا لا أتمتَّعُ بالقوَّة الكافية لردعهم». تخلَّى عنها نصف معاطفها الذَّهبيَّة خلال الطَّريق، وذات ليلةٍ هاجمَ مخيَّمها رجالٌ مكسورون، ومع أن فُرسانها تغلَّبوا على المهاجمين، إلَّا أن سهمًا أردى السير بالون بيرش، وتعرَّض السير لايونل بنتلي، فارس الحرس الملكي الشَّاب، لضربةٍ على رأسه شقَّت خوذته، وماتَ وهو يهذي في اليوم التَّالي. وتابعَت الملكة طريقها نحو (وادي الغسق).

كان آل داركلين من أقوى الدَّاعمين لرينيرا، لكن تكلفة ولائهم كانت باهظةً، فقد فقدَ اللورد جنثور حياته في خدمة الملكة، وعمُّه ستفون كذلك، و(وادي الغسق) نفسها نهبَها السير كريستُن كول. لا عجب إذًا أن أرملة اللورد جنثور لم تكن سعيدةً عندما ظهرَت جلالتها عند بوَّاباتها، ووحدها شفاعة السير هارولد دارك أقنعَت الليدي مريدث بالسَّماح للملكة بالدُّخول وراء أسوارها (كان آل دارك أقرباءً بعيدين لآل داركلين، وكان السير هارولد قد خدمَ مُرافقًا للسير ستفون الرَّاحل)، وفقط بشرط ألَّا تبقى طويلًا.

بمجرَّد أن أصبحوا آمنين خلف أسوار قلعة (التبَّة) المطلَّة على الميناء، أمرَت رينيرا مِايستر الليدي داركلين البعث برسالةٍ إلى المِايستر الأكبر جيراردس في (دراجونستون)، تَطلُب فيها إرسال سفينةٍ على الفور لأخذها إلى الدِّيار. أُرسِلَت ثلاثة غِدفان، كما أكَّدت سجلَّات البلدة... ولكن مع مرور الأيام لم تظهر أيُّ سُفن، ولم يأتِ أيُّ ردٍّ من جيراردس في (دراجونستون)، وهو ما أغضبَ الملكة بشدَّةٍ وبدأت تشكُّ مجدَّدًا في ولاء مِايسترها الأكبر.

لاقَت الملكة حظًّا أفضل في أمكنةٍ أخرى. من (وينترفل) كتبَ كريجان ستارك إليها قائلًا إنه سيأتي على رأس جيشٍ إلى الجنوب بأسرع ما يُمكن، وإن نبَّهها إلى أن جمع رجاله سيستغرق بعض الوقت، «لأن أرضي فسيحة، ومع دخول الشِّتاء يجب أن نُخزِّن حصادنا الأخير وإلا تضوَّرنا جوعًا عند تساقُط الثُّلوج». وعدَ الرَّجل الشَّمالي الملكة بعشرة آلاف رجلٍ «أكثر شبابًا وشراسةً من ذِئابي الشَّتويَّة». ووعدَت عذراء (الوادي) بالمساعدة أيضًا حين ردَّت من قلعتها الشَّتويَّة، (بوَّابات القمر)... ولكن مع انسداد المسالك الجبليَّة بالثُّلوج سيحتاج فُرسانها

إلى القدوم بحرًا. كتبَت الليدي چين أنه إذا أرسلَ آل ڤيلاريون سُفنهم إلى (بلدة النَّوارس) فستُرسِل جيشًا إلى (وادي الغسق) في الحال، وإن لم يكن فعليها استئجار سُفنٍ من (براڤوس) و(پنتوس)، ولهذا ستحتاج إلى مال.

لم يكن لدى الملكة رينيرا لا الذَّهب ولا السُّفن، إذ فقدَت أسطولها عندما أرسلَت اللورد كورلس إلى الزَّنانين، وهربَت من (كينجز لاندنج) خوفًا على حياتها دون قطعة عُملةٍ واحدة. يائسةً وخائفةً، سارَت جلالتها فوق أسوار القلعة في (وادي الغسق) باكيةً تزداد شيبًا وهزالًا. لم تستطِع النَّوم أو الأكل، ولا احتملَت فراق الأمير إجون، ابنها الحي الأخير، فمكثَ الصَّبي بجانبها ليلًا ونهارًا «مثل ظلٍّ شاحبٍ صغير».

عندما أوضحَت الليدي مريدث أن الملكة تجاوزَت فترة ضيافتها، اضطرَّت رينيرا لبيع تاجها لأجل المال لشراء مكانٍ على سفينة تاجرٍ براڤوسي تُسمَّى (ڤايولاند). حثَّها السير هارولد دارك على أن تنشد الملجأ عند الليدي آرن في (الوادي)، فيما حاولَ السير مدريك ماندرلي إقناعها بمرافقته وشقيقه السير تورين للعودة إلى (الميناء الأبيض)، لكن جلالتها رفضَت عرض كليهما. كانت مصرَّةً على العودة إلى (دراجونستون)، وقالت للموالين لها إنها ستجد هناك بيض تنانين، ويجب أن تَحصُل على تِنِّينٍ آخَر وإلَّا فقدَت كلَّ شيء.

دفعَت الرِّياح القويَّة السَّفينة (ڤايولاند) ناحية شواطئ (دريفتمارك) مسافةً أقرب مما راقَ الملكة، ومرَّت ثلاث مرَّاتٍ على مقربة من سُفن ثُعبان البحر الحربيَّة، لكن رينيرا حرصَت على البقاء بعيدًا عن الأنظار، وأخيرًا وصلَ البراڤوسيُّون إلى المرفأ أسفل (دراجونمونت) على مدِّ المساء. كانت الملكة قد أرسلت غُدافًا من (وادي الغسق) لإشعارهم بقدومها،

ووجدَت فرقة حراسةٍ تنتظرها عند نزولها مع ابنها إجون ووصيفاتها وثلاثة فُرسان من حرس الملكة (ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة الذين ركبوا معها من (كينجز لاندنج) مكثوا في (وادي الغسق)، فيما ظلَّ رجال ماندرلي على متن (ڤايولاند) المتَّجهة إلى (الميناء الأبيض)).

كانت السَّماء تُمطِر حين رسَت حاشية الملكة، وبالكاد رأوا أحدًا في الميناء. حتى المواخير على الأرصفة بدَت مظلمةً مهجورةً، لكن جلالتها لم تلحظ هذا. سقيمةَ الرُّوح والجسد، ومحطَّمةً من جرَّاء الخيانة، لم تُرِد رينيرا تارجاريَن إلَّا العودة إلى مقرِّها، حيث توهَّمت أنها وابنها سيكونان في مأمن، ولم تكن الملكة تعلم أنها على وشك أن تتعرَّض إلى خيانةٍ ستكون الأخيرة والأشد إيلامًا.

فرقة حراستها، المكوَّنة من أربعين رجلًا، كانت تحت قيادة السير آلفرِد بروم، أحد الرِّجال الذين تركَتهم رينيرا وراءها عندما شنَّت هجومها على (كينجز لاندنج). كان بروم أكبر فُرسان (دراجونستون)، إذ انضمَّ إلى الحامية في عهد الملك العجوز، ولهذا توقَّع أن يُعيَّن أمينًا للقلعة عند ذهاب رينيرا للاستيلاء على العرش الحديدي... لكن مزاج السير آلفرِد الواجم وأسلوبه الفظ لم يبعثا على عاطفةٍ أو ثقة، كما يُخبرنا مشروم، فتجاوزَته الملكة مفضِّلةً عليه السير روبرت كوينس الأدمث. عندما سألَت رينيرا لماذا لم يأتِ السير روبرت لمقابلتها، أجابَ السير آلفرِد أن الملكة سترى «صديقنا السَّمين» في القلعة.

وقد رأته فعلًا... إلَّا أن جثَّة كوينس المتفخِّمة، عندما لاقوها، كانت محترقةً لدرجة أن تعرُّف صاحبها كان مستحيلًا، ولم يعرفوه إلَّا من حجمه، إذ كان السير روبرت سمينًا للغاية. وجدوه يتدلَّى من شُرفات مبنى البوَّابة بجانب كلٍّ من وكيل (دراجونستون) وقائد الحرس وقيِّم السِّلاح... ورأس

المِايستر الأكبر جيراردس وجذعه العُلوي، أمَّا كلُّ شيءٍ أسفل ضلوعه فقد اختفى، وتدلَّت أحشاء المِايستر الأكبر من بطنه الممزَّق كثعابين سوداء محترقة.

غاضَت الدِّماء من وجه الملكة عندما رأت الجُثث، لكن الأمير إجون الصَّغير كان أوَّل من أدرَك ما يعنيه هذا، وصاحَ: «أمِّي، اهربي»، ولكن بعد فوات الأوان.

انقضَّ رجال آلفرِد على حُماة الملكة، ففلقَت فأس رأس السير هارولد دارك قبل أن يتمكَّن حتى من سحبِ سيفه من غِمده، وطعنَت حربة السير إدريان ردفورت في ظهره. فقط السير لوريث لانسديل تحرَّك بسرعةٍ كافية دفاعًا عن الملكة، قاتلًا أوَّل رجليْن هاجَماه قبل أن يموت هو نفسه، وبموته ماتَ آخِر حرس الملكة. عندما اختطفَ الأمير إجون سيف السير هارولد، ضربَ السير آلفرِد النَّصل وأوقَعه جانبًا بازدراء.

سيقَ كلٌّ من الصَّبي والملكة ووصيفاتها عبر بوَّابات (دراجونستون) إلى ساحة القلعة تحت تهديد السِّلاح، وهناك (كما عبَّر مشروم بصيغةٍ لا تُنسى بعد سنواتٍ عديدة) وجدوا أنفُسهم وجهًا لوجهٍ مع «رجلٍ ميت وتنّينٍ يُحتضَر».

لم تزَل حراشف صنفاير برَّاقةً مثل الذَّهب المطرَّق في ضوء الشَّمس، ولكن إذ تمدَّد على الحجر القاليري الأسود الملحوم في الفِناء كان من السَّهل رؤية كم هو محطَّم، هو ذاته الذي كان أروع تنّينٍ حلَّق في سماوات (وستروس) على الإطلاق. كان الجناح الذي كادَت ميليس تنتزِعه تمامًا من جسمه مائلًا بزاويةٍ حرجة، فيما ظلَّت ندوب حديثة في ظهره تنفث دُخانًا وتنزف دمًا حين يتحرَّك. كان صنفاير متكوِّرًا على نفسه عندما وقعَت عليه أنظار الملكة ورِفقتها، وحينما تحرَّك ورفعَ رأسه

رأوا جروحًا عميقةً ظاهرةً في رقبته حيث مزَّق تنّين آخَر قطعًا كبيرةً من لحمه، وحلَّت في غير موضع على بطنه الجُلَب محلَّ الحراشف، والمكان المفترَض أن تكون فيه عينه اليُمنى أصبحَ مجرَّد فجوةٍ فارغة مكسوَّة بقشرةٍ من الدَّم الأسود.

يجب أن يتساءَل المرء، كما فعلَت رينيرا بالتَّأكيد، كيف حدثَ هذا.

الآن نعرف الكثير والكثير ممَّا لم تعرفه الملكة، ولذلك يجب أن نمتنَّ للمِايستر الأكبر مونكن، لأن كتابه (قصَّة حقيقيَّة)، المبني إلى حدٍّ كبير على رواية المِايستر الأكبر أورْوايل، هو ما أفصحَ عن كيفيَّة وصول إجون الثَّاني إلى (دراجونستون).

كان اللورد لارِس سترونج الأحنف مَن هرَّب الملك وطفليْه إلى خارج المدينة عندما ظهرَت تنانين الملكة لأوَّل مرَّةٍ في السَّماء فوق (كينجز لاندنج)، ولكيلا يمرُّوا من أيٍّ من بوَّابات المدينة، حيث يُمكن رؤيتهم وتمييزهم، قادَهم اللورد لارِس خارجًا من خلال ممرٍّ سرِّي بناه ميجور المتوحِّش، ولم يعرف بوجوده إلَّا الأحنف.

كان اللورد لارِس أيضًا من قضى بوجوب انفصال الهاربين، فحتى إذا قُبِضَ على أحدهم فقد يتمكَّن الآخَران من الفِرار. أُمِرَ السير ريكارد ثورن بتسليم الأمير مِايلور البالغ من العُمر عاميْن إلى اللورد هايتاور، وعُهِدَ بالأميرة جهيرا، الفتاة اللَّطيفة البسيطة ذات السَّنوات السِّت، إلى السير ويليس فِل الذي أقسمَ على إيصالها سالمةً إلى (ستورمز إند). لم يعرف أحد منهما أين اتَّجه الآخَر، حتى لا يستطيع أحدهما خيانة الآخَر إذا ما قُبِضَ عليه.

وفقط لارِس نفسه علمَ أن الملك تجرَّد من ثيابه الفاخرة وارتدى بدلًا منها معطف صيَّادٍ بقَّعه الملح، وأُخفِيَ وسط حمولةٍ من سمك القُدِّ على

متن زورق صيدٍ تحت رعاية فارسٍ نغل له أقرباء على (دراجونستون). دفعَ الأحنف بأنه بمجرَّد أن تعلم رينيرا باختفاء الملك فسترُسِل رجالًا ليُلاحِقوه ويقتفوا أثره... لكن القوارب لا تَترُك آثارًا على الماء، كما أن قليلًا من المطاردين سيُفكِّر في البحث عن إجون على جزيرة أخته، في ظلِّ معقلها بالذَّات. يُخبرنا مونكن أن المِايستر الأكبر أورْوايل روى كلَّ هذا تمامًا كما وردَ على لسان اللورد سترونج نفسه.

وهناك كان إجون ليبقى، مختبئًا ولكن آمنًا، يُخفِّف آلامه بشُرب النَّبيذ ويُخفي ندوب حروقه تحت معطفٍ ثقيل، لولا أن صنفاير شقَّ طريقه إلى (دراجونستون). يُمكننا أن نسأل عمَّا أعادَه إلى (دراجونمونت)، لأن كثيرين سألوا. هل دفعَت التنِّين الجريح، بجناحه المكسور نصف المتعافي، غريزة بدائيَّة ما إلى العودة إلى مسقط رأسه، الجبل الدَّاخن حيث فقسَت بيضته؟ أم إنه شعرَ بطريقةٍ ما بوجود الملك إجون على الجزيرة من بُعد فراسخ طويلة وبحارٍ عاصفة، وطارَ إلى هناك حتى يجتمِع مجدَّدًا براكبه؟ يُشير السِّپتون إيوستس إلى ما هو أبعد من ذلك، مقترحًا أن صنفاير شعرَ بحاجة إجون الماسَّة إليه، ولكن من يستطيع أن يدَّعي معرفة ما في قلب تنِّين؟

بعد أن أبعدَه هجوم اللورد واليس موتون المشؤوم عن حقل الرَّماد والعظام خارج (استراحة الرُّخ)، ضاعَ صنفاير من أنظار التاريخ لأكثر من نصف عام (يُشير بعض الحكايات التي رُوِيَت في قاعات آل كراب وآل برون إلى أن التنِّين ربما اتَّخذ لنفسه ملاذًا في غابات الصَّنوبر الكثيفة وكهوف (الرَّأس المتصدِّع) لبعض تلك الفترة). على الرَّغم من أن جناحه الممزَّق شُفِيَ إلى حدٍّ سمحَ له بالطَّيران، فقد اندملَ بزاويةٍ بشعة وظلَّ ضعيفًا، ولم يَعُد بإمكان صنفاير التَّحليق عاليًا أو البقاء في

الجوِّ وقتًا طويلًا، وعليه أن يُكافِح للطَّيران مسافاتٍ قصيرةً حتى. قال المهرّج مشروم بقسوةٍ إنه في حين حلَّقت معظم التَّنانين في السَّماء مثل العُقبان، لم يَعُد صنفاير إلَّا «دجاجةً ذهبيَّةً كبيرةً تنفث النِّيران، تتواثَب وتُرفرِف من تلٍّ إلى آخَر».

على أن هذه «الدَّجاجة نافثة النِّيران» عبرَت مياه (الخليج الأسود)... ذلك أن صنفاير كان التنِّين الذي رآه البحَّارة على متن السَّفينة (نيساريا) يُهاجِم جراي جوست. ألقى السير روبرت كوينس اللَّوم على الكانيبال... لكن توم المتهتِه، اللَّجلاج الذي سمعَ أكثر ممَّا قال، أغرقَ القولانتينيِّين بالمِزر، ولاحظَ كلَّ المرَّات التي ذكروا فيها حراشف المهاجِم الذَّهبيَّة. كان الكانيبال، كما عرفَ توم جيِّدًا، أسود كالفحم. وهكذا أبحرَ الثُّنائي توم و«ابنا عمومتهما» (هذه نصف حقيقة، لأن السير مارستن وحده شاركَهما دمهما، لكونه نغل أخت توم المتهتِه من الفارس الذي فضَّ بِكارتها) في قاربهم الصَّغير للبحث عن قاتِل جراي جوست.

وجد كلٌّ من الملك المحروق والتنِّين المشوَّه غايةً جديدةً في الآخَر. من عرينٍ خفيٍ في منحدرات (دراجونمونت) الشَّرقيَّة المهجورة غامرَ إجون بالخروج فجرًا كلَّ يوم، محلِّقًا في السَّماء مجدَّدًا لأوَّل مرَّةٍ منذ (استراحة الرُّخ)، فيما عاد الثُّنائي توم وابن عمِّهما مارستن ووترز إلى الجانب الآخَر من الجزيرة للبحث عن رجالٍ على استعدادٍ لمساعدتهم في الاستيلاء على القلعة. حتى على (دراجونستون)، مقرِّ الملكة رينيرا ومعقلها العريق، وجدوا العديد ممَّن كرهوا الملكة لأسبابٍ وجيهة وغير وجيهة. بعضهم كان يرثي إخوةً وأبناءً وآباءً قُتِلوا خلال البِذار أو في معركة (الحُلقوم)، وبعضهم رغبَ في الغنائم أو التَّرقِّي، فيما اعتقدَ آخَرون أن الابن يجب أن يسبق الابنة في خطِّ الوراثة، مُعطين إجون الأحقِّيَّة

الأقوى.

أخذَت الملكة أفضل رجالها معها إلى (كينجز لاندنج)، أمَّا على جزيرتها فقد كانت قلعة (دراجونستون) محميَّةً بسُفن ثُعبان البحر وأسوارها الڤاليريَّة العالية، وبدَت منيعةً، لذا كانت الحامية التي تركَتها جلالتها للدِّفاع عنها صغيرةً، تألَّفت من رجالٍ قُدِّرَ أنهم لا يُجدون نفعًا لغير هذا: شيب وصِبية خُضر، وعُرج وبُلداء وقُعداء، ورجال لم يزالوا يتعافون من جروحهم، ورجال مشكوك في ولائهم، ورجال مشتبَه في جُبنهم. وضعَت رينيرا السير روبرت كوينس قائدًا عليهم، رجلًا مقتدرًا غدا سمينًا وطعنَ في السِّن.

يتَّفق الجميع على أن كوينس كان مؤيِّدًا مخلصًا للملكة، لكن بعضًا من الرِّجال تحت إمرته كانوا أقلَّ إخلاصًا، كاتمينَ أحقادًا وضغائن معيَّنةً من جرَّاء إساءاتٍ قديمة، حقيقيَّةً كانت أم من نسج الخيال. كان السير آلفرِد بروم من أبرز هؤلاء، وقد أثبتَ أنه أكثر من مستعدٍّ لخيانة ملكته لقاء وعدٍ باللورديَّة والأراضي والذَّهب إذا استعادَ إجون الثَّاني العرش. أتاحَت له خدمته الطَّويلة مع الحامية تقديم المشورة لرجال الملك بشأن نقاط قوَّة (دراجونستون) وضَعفها، ومَن من الحُرَّاس يُمكن رشوتهم أو كسب ولائهم، ومَن يجب أن يُقتَلوا أو يُسجَنوا.

عندما حانَ الوقت، استغرقَ سقوط (دراجونستون) أقلَّ من ساعة. فتحَ رجال رشاهُم بروم بوَّابةً جانبيَّةً خلال ساعة الأشباح للسَّماح للسير مارستن ووترز وتوم المتهتِه ورجالهما بدخول القلعة دون أن يلحظ أحد. ريثما استولَت إحدى الفِرق على مستودع السِّلاح واقتادَت أخرى حُرَّاس القلعة المخلصين وقيِّم السِّلاح إلى المحبس، فاجأ السير مارستن المِايستر الأكبر جيراردس في مِغدفته، لكيلا يهرب أيُّ غُدافٍ حاملًا

خبر الهجوم. قادَ السير آلفرِد نفسه الرِّجال الذين اقتحَموا مسكن أمين القلعة لمفاجأة السير روبرت كوينس، وإذ كافحَ كوينس من أجل النُّهوض من سريره غرزَ بروم حربةً في بطنه الكبير الشَّاحب. يقول مشروم، الذي عرفَ كلا الرَّجليْن جيِّدًا، إن السير آلفرِد لم يُعجَب بالسير روبرت قَطُّ وكان يحقد عليه. قد يكون هذا صحيحًا تمامًا، لأن آلفرِد غرزَ الحربة بقوَّةٍ لدرجة أن الضَّربة اخترقَت ظهرَ السير روبرت والحشيَّة الرِّيش والفِراش القشِّ وصولًا إلى الأرضيَّة من تحته.

انحرفَت الخطَّة عن مسارها في أمرٍ واحد فقط. فيما حطَّم توم المتهتِه ومجرموه باب غُرفة نوم الليدي بِايلا ليأسروها، خرجَت الفتاة خلسةً من نافذتها مندفعةً فوق الأسطُح ونازلةً على الأسوار حتى وصلَت إلى الفِناء. كان رجال الملك قد حرصوا على إرسال حُرَّاسٍ لتأمين الاسطبل حيث أُبقِيَت تنانين القلعة، غير أن بِايلا نشأت في (دراجونستون)، وعرفَت طُرقًا سرِّيَّةً للدُّخول والخروج لم يكن لهم علم بها. لدى لحاق مطارديها بها كانت قد حلَّت سلاسل موندانسر بالفعل ووضعَت سرجًا عليها.

وهكذا حدثَ أن حلَّق الملك إجون الثَّاني بصنفاير فوق قمَّة (دراجونمونت) الدَّاخنة، ثمَّ هبطَ من هناك متوقِّعًا أن يَدخُل منتصرًا قلعةً آمنةً في أيدي رجالِه، بعدما قُتِلَ كلُّ الموالين للملكة أو أُسِروا، إلَّا أنه وجدَ نفسه في مواجهة بِايلا تارجاريَن، ابنة الأمير ديمون والليدي لِاينا، الجريئة كوالدها.

كانت موندانسر تِنِّينةً صغيرة السِّن، خضراء باهتةً ذات قرنيْن وعُرفٍ وعظم جناحيْن كاللُّؤلؤ. فيما عدا جناحيْها العظيميْن لم تكن موندانسر أكبر أو حتى أثقل من جوادٍ حربي، ومع ذلك كانت سريعةً جدًّا، ورغم

أن صنفاير كان أكبر حجمًا بكثير فقد كافحَ من جرَّاء جناحه المشوَّه وجروحٍ جديدة تلقَّاها من جراي جوست.

التقى التنّينان وسط الظُّلمة التي تسبق بزوغ الفجر، ظلَّان في السَّماء تُضيء نيرانهما اللَّيل. تملَّصت موندانسر من لهب صنفاير، وتملَّصت من فكَّيه، واندفعَت من تحت مخالبه النَّاشبة، ثمَّ دارَت من حول التنّين الأكبر وخمشَته من أعلى، فشقَّت في ظهره جرحًا كبيرًا داخنًا ومزَّقت جناحه المصاب. قال المتفرّجون بالأسفل إن صنفاير تمايلَ في الهواء كالسَّكران، يُنازِع من أجل البقاء طائرًا، فيما دارَت موندانسر وانقضَّت عليه مجدَّدًا وهي تنفث النّيران. ردَّ صنفاير بدفقةٍ كالأتون من نارٍ ذهبيَّة برَّاقة أضاءَت الفِناء تحتهما كما لو أنها شمس ثانية، دفقةٍ أصابَت عينَي موندانسر مباشرةً. على الأرجح فقدَت التنّينة بصرها في تلك اللَّحظة، ومع ذلك واصلَت الطَّيران مرتطمةً بصنفاير في اشتباكٍ ضارٍ بالأجنحة والمخالب. بينما هويا ضربَت موندانسر عُنق صنفاير تكرارًا ممزّقةً قطعًا كبيرةً من لحمه، في حين غرزَ التنّين الأكبر مخالبه في أسفل بطنها. مغمورةً بالنَّار والدُّخان، وعمياء تنزف الدِّماء، خفقَت موندانسر بجناحيْها بيأسٍ محاولة التَّحرُّر، لكن كلَّ ما آلَت إليه جهودها هو إبطاء سقوطهما. وبينما اندفعَ المتفرّجون في الفِناء بحثًا عن مأوى، ارتطمَ التّينان بالحجر الصُّلب وهما لا يزالان يتقاتَلان. على الأرض أثبتَت سرعة موندانسر أنها قليلة النَّفع ضد حجم صنفاير ووزنه، وسُرعان ما همدَت التنّينة الخضراء، وصرخَ التنّين الذَّهبي معلنًا انتصاره وحاولَ النُّهوض مرَّةً أخرى، فقط لينهار على الأرض والدَّم السَّاخن يتدفَّق من جراحه.

قفزَ الملك إجون من فوق السَّرج حين كان التنّينان ما زالا على ارتفاع

عشرين قدمًا من الأرض، مهشِّمًا كلتا ساقيْه، فيما بقيَت الليدي بايلا مع موندانسر طوال السَّقطة. محترقةً ومحطَّمةً، وجدَت الفتاة رغم ذلك القوَّة الكافية لحلِّ سلاسل سرجها والزَّحف بعيدًا فيما التفَّت تنّينتها على نفسها في سكرات الموت. عندما استلَّ آلفرِد بروم سيفه ليَقتُل الفتاة، انتزعَه مارستن ووترز من يده وحملَها توم المتهتِه إلى المِايستر.

هكذا ظفرَ الملك إجون الثَّاني بمقرِّ عائلة تارجاريَن العريق، لكن الثَّمن الذي دفعَه مقابل ذلك كان باهظًا. لن يطير صنفاير ثانيةً، وقد ظلَّ في الباحة حيث سقطَ، يتغذَّى على جُثَّة موندانسر، ولاحقًا على الأغنام التي ذبحَتها له حامية القلعة. وعاشَ إجون الثَّاني بقيَّة حياته في ألمٍ ممض... ولو أن من شرفه أنه عندما عرضَ عليه المِايستر الأكبر جيراردس حليب الخَشخاش، رفضَه قائلًا: «لن أسلك ذلك الدَّرب مجدَّدًا، وأنا لستُ غبيًّا لأشرب أيَّ عقَّارٍ قد تعدُّه لي. إنك صنيعة أختي».

بأمرٍ من الملك، استُخدِمَت السِّلسلة نفسها، التي انتزعَتها الأميرة رينيرا من حول عُنق المِايستر الأكبر أورْوايل ومنحتها لجيراردس، لشنقه الآن. لم يُمنَح ميتةً سريعةً بسقطةٍ قويَّة وعُنقٍ مكسور، بل خُنِقَ ببطءٍ وهو يركُل ويشهق من أجل الهواء، وثلاث مرَّاتٍ حين أوشكَ على الموت أُنزِلَ جيراردس وسُمِحَ له بالتقاط أنفاسه، فقط ليُسحَب إلى أعلى من جديد. بعد المرَّة الثَّالثة بُقِرَ بطنه وعُلِّقَ أمام صنفاير حتى يتغذَّى التنِّين على ساقيه وأحشائه، لكن الملك أمرَ بترك ما يكفي من بقايا المِايستر الأكبر «ليُرحِّب بأختي الجميلة عند عودتها».

لم يمضِ وقت طويل حتى وصلَ أوَّل غِدفان الملكة رينيرا من (وادي الغسق)، وكان الملك مستلقيًا وقتها في قاعة بُرج (الطَّبلة الحجريَّة)

العظيمة وقد رُبِطَت ساقاه المكسورتان وجُبِرَتا. عندما علمَ إجون أن أخته غير الشَّقيقة ستعود على متن السَّفينة (ڤايولاند)، أمرَ آلفرِد بروم بإعداد «استقبالٍ لائق» بمناسبة عودتها إلى الدِّيار.

كلُّ هذا معلوم لنا الآن، لكن شيئًا منه لم يكن معلومًا للملكة حين خطَت على الشَّاطئ واقعةً في فخِّ أخيها.

يُخبرنا السِّپتون إيوستس (الذي لم يُكِنَّ حُبًّا للملكة) أن رينيرا ضحكَت عندما عاينَت منظر صنفاير الذَّهبي المزري، ويجعلها تقول: «عملُ مَن هذا؟ يجب أن نَشكُره»، ويروي مشروم (الذي كنَّ حُبًّا جمًّا للملكة) قصَّةً مختلفةً، إذ قالت رينيرا في شهادته: «كيف آلَت الأمور إلى هذا؟». تتَّفق كلتا الرِّوايتيْن على أن الكلمة التَّالية التي نُطِقَت كانت من الملك، الذي نادى من الشُّرفة: «أختاه». غيرَ قادرٍ على المشي، أو حتى الوقوف، حُمِل الملك إلى هناك على كُرسي. الورك الذي تحطَّم عند (استراحة الرُّخ) شوَّه إجون وحنى ظهره، وملامحه التي كانت وسيمةً ذات يومٍ انتفخَت من جرَّاء إفراطه في شُرب حليب الخَشخاش، وغطَّت ندوب الحروق نصف جسده. ومع ذلك تعرَّفته رينيرا على الفور، وقالت: «أخي العزيز، كنتُ آملُ أنك مُتَّ».

فردَّ إجون: «من بعدكِ. أنتِ الأكبر».

ردَّت رينيرا: «يسرُّني أن أعرف أنك تَذكُر هذا. يبدو أننا سُجناؤك... ولكن لا تظُننَّ أن ذلك سيستمرُّ طويلًا، فسيجدُني لورداتي المخلصون».

وعلى هذا جاوبَ الملك: «ربما، إذا بحثوا عنكِ في الجحائم السَّبع»، فيما انتزعَ رجاله رينيرا من بين ذراعَي ابنها. يقول بعض الرِّوايات إن السير آلفرِد بروم هو مَن أمسكَ ذراعها، فيما تزعُم أخرى أنهما الثُّنائي توم، الأب ذو اللِّحية المتشابكة والابن المتهتِه. وقفَ السير مارستن

ووترز شاهدًا كذلك، مرتديًا معطفًا أبيض، إذ ضمَّه الملك إجون إلى حرسه الملكي تكريمًا لشجاعته.

ولكن لا ووترز ولا غيره من الفُرسان واللوردات الآخَرين الحاضرين في الفِناء لفظَ كلمة اعتراضٍ حينما سلَّم الملك إجون الثَّاني أخته غير الشَّقيقة إلى تنّينِه. يُقال إن صنفاير لم يُبدِ في البداية اهتمامًا بما قُدِّمَ له، حتى وخزَ بروم ثدي الملكة بخنجره. أيقظَت رائحة الدَّم التنّين، الذي تشمَّم جلالتها ثمَّ غمرها بدفقةٍ من اللَّهب بسرعةٍ مباغتة أشعلَت النَّار في معطف السير آلفرِد فيما قفزَ مبتعدًا. وجدَت رينيرا تارجاريَن وقتًا كافيًا لرفع رأسها نحو السَّماء لتُطلِق صرخةً أخيرةً لاعنةً بها أخاها غير الشَّقيق قبل أن ينطبِق فكَّا صنفاير حولها ممزِّقيْن ذراعها وكتفها.

يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن التنّين الذَّهبي التهمَ الملكة على ستِّ قضمات، تاركًا فقط قصبة ساقها اليُسرى «من أجل (الغريب)». يُفترَض أن إليندا ماسي، الأصغر والأرق بين وصيفات رينيرا، فقأت عينيها من هولِ المنظر، فيما شاهدَ ابن الملكة إجون الأصغر مرعوبًا عاجزًا عن الحراك. هكذا رحلَت رينيرا تارجاريَن، بهجة المملكة وملكة النِّصف عام، من عالمنا القاسي هذا في اليوم الثَّاني والعشرين من القمر العاشر من عام 130 بعد فتحِ إجون، وكانت تَبلُغ من العُمر ثلاثةً وثلاثين عامًا.

حضَّ السير آلفرِد بروم على قتل الأمير إجون أيضًا، لكن الملك إجون حرَّج ذلك، وأعلنَ أن الصَّبي في العاشرة فقط، وقد تبقى له قيمة بصفته رهينةً. على الرَّغم من موت أخته غير الشَّقيقة، ظلَّ لها في ميادين المعارك مؤيِّدون يجب التَّعامُل معهم قبل أن يأمل جلالته الجلوس على العرش الحديدي مرَّةً أخرى. وهكذا صُفِّدَ الأمير إجون من

الرَّقبة والمعصميْن والكاحليْن، ثمَّ اقتيدَ إلى الزَّنازين تحت (دراجونستون)، وحُبِسَت وصيفات الملكة الرَّاحلة في حُجيراتٍ بـ(بُرج تنِّين البحر) لكونهنَّ نبيلات المحتد، منتظراتٍ هناك حتى يفتديهنَّ أحد.

أعلنَ الملك إجون الثَّاني: «انتهى وقت الاختباء. دعوا الغِدفان تُحلِّق إلى جميع أنحاء البلاد ليعلم الكلُّ أن المدَّعية ماتَت، وأن ملكهم الشَّرعي عائدٌ إلى داره ليستردَّ عرش أبيه».

موتُ التَّنانين

عهد إجون الثَّاني القصير البائس

أعلنَ الملك إجون الثَّاني: «انتهى وقت الاختباء. دعوا الغِدفان تُحلِّق إلى جميع أنحاء البلاد ليعلم الكلُّ أن المدَّعية ماتَت، وأن ملكهم الشَّرعي عائدٌ إلى داره ليستردَّ عرش أبيه».

ومع ذلك، حتى الملوك الشَّرعيُّون قد يجدون قول بعض الأشياء أسهل من فعلها، إذ سيَبزُغ القمر ويَأفُل ويَبزُغ من جديدٍ قبل أن يُغادِر الملك إجون الثَّاني جزيرة (دراجونستون).

بينه وبين (كينجز لاندنج) وقعَت جزيرة (دريفتمارك)، وعرض (الخليج الأسود) كاملًا، وعشرات من سُفن ڤيلاريون الحربيَّة التي لم تزَل تمخر المياه. بنزول ثُعبان البحر «ضيفًا» عند تريستان تروفاير في (كينجز لاندنج)، وموت السير أدام في (تمبلتون)، استقرَّت قيادة أساطيل آل ڤيلاريون لآلِن شقيق أدام، الصَّبي ذي الخمسة عشر عامًا والابن الأصغر للفأرة ابنة السفَّان... ولكن هل سيكون صديقًا أم عدوًّا؟ لقد ماتَ أخوه وهو يُقاتِل في سبيل الملكة، لكن تلك الملكة ذاتها أسرَت سيِّدهم،

وهي نفسها ماتَت. أُرسِلَت غِدفان إلى (دريفتمارك) تعرض على آل ڤيلاريون عفوًا في جميع جرائمهم السَّابقة إذا ذهبَ آلِن ابن (الأبدان) بنفسه إلى (دراجونستون) وقدَّم فروض الولاء والطَّاعة... لكن حتى وما لم تَبلُغهم إجابة فمن الحماقة أن يُحاوِل إجون الثَّاني عبور الخليج بسفينةٍ والمخاطرة بالوقوع في الأسر.

كما أن جلالته لم يرغب في الإبحار إلى (كينجز لاندنج). في الأيام التي أعقبَت موت أخته غير الشَّقيقة ظلَّ الملك متمسِّكًا بأمل استرداد صنفاير قوَّةً كافيةً حتى يطير مرَّةً أخرى، ولكن بدلًا من ذلك بدا أن التنِّين يزداد ضعفًا، وسُرعان ما بدأت الجروح في رقبته تتعفَّن، وحتى الدُّخان الذي يزفره كانت له رائحة كريهة، وقُرب النِّهاية امتنعَ عن الأكل.

في اليوم التَّاسع من القمر الثَّاني عشر من عام 130 بعد الفتح ماتَ التنِّين الذَّهبي الرَّائع الذي كان مفخرة الملك إجون في فِناء (دراجونستون) الخارجي حيث سقطَ. بكى جلالته وأمرَ بإحضار ابنة عمِّه الليدي بِايلا من الزَّنازين وإعدامها، وفقط حين ثبِّتَ رأسها على القُرمة تراجعَ إجون عن قراره، إذ ذكَّره مِايستره بأن والدة الفتاة كانت من آل ڤيلاريون، ابنةً لثُعبان البحر. وهكذا أُرسِلَ غُداف آخَر إلى (دريفتمارك)، وإن حملَ هذه المرَّة تهديدًا: في حال لم يأتِ آلِن ابن (الأبدان) في غضون أسبوعيْن ليُبايع وليَّه الشَّرعي، ستفقد ابنة عمَّته الليدي بِايلا رأسها.

في تلك الأثناء، على الشَّواطئ الغربيَّة لـ(الخليج الأسود)، انتهى قمر الملوك الثَّلاثة فجأةً عندما ظهرَ جيشٌ خارج أسوار (كينجز لاندنج). لأكثر من نصف عامٍ عاشَت المدينة في خوفٍ من جيش أورموند هايتاور المتقدِّم... لكن لما أتى الهجوم لم يأتِ من (البلدة القديمة) مارًّا

بـ(جسر العلقم) و(تمبلتون)، بل عبر (طريق الملوك) من (ستورمز إند)، فحين سمعَ بوروس باراثيون بموت الملكة تركَ زوجته الحامل حديثًا وبناته الأربع ليزحف شمالًا عبر (غابة الملوك) بستِّمئة فارسٍ وأربعة آلافٍ من المشاة.

عندما شُوهِدَت طليعة جيش باراثيون عبر (النَّهر الأسود)، أمرَ الرَّاعي أتباعه بالاندفاع نحو النَّهر لمنعِ اللورد بوروس من الرَّسو، لكن مئاتٍ فقط كانوا يأتون الآن ليستمعوا لهذا الشحَّاذ الذي وعظَ عشرات الآلاف من قبل، وقليل منهم انصاعَ لأمره. على قمَّة (تل إجون العالي) وقفَ المرافق، الذي يُطلِق على نفسه الآن الملك تريستان تروفاير، في الشُّرفات مع لارِس سترونج والسير پركين البرغوث محدِّقًا إلى صفوف رجال العواصف المتزايدة. قال اللورد لارِس للصَّبي: «ليس لدينا القوَّة لمجابهة مثل هذا الجيش يا مولاي، لكن قد يُمكن للكلمات أن تنجح حيث ستفشل السُّيوف حتمًا. أرسِلني للتَّفاوُض معهم». وهكذا أُرسِلَ الأحنف ليَعبُر النَّهر تحت راية الهدنة، برفقة المِايستر الأكبر أورْوايل والملكة الأرملة آليسنت.

استقبلَهم سيِّد (ستورمز إند) في سُرادقٍ على حافة (غابة الملوك)، فيما قطعَ رجاله الأشجار من أجل بناء أطوافٍ لعبور النَّهر. هناك تلقَّت الملكة آليسنت الأخبار السَّارَّة عن حفيدتها چهيرا، الطِّفلة الوحيدة النَّاجية من ذُرِّيَّة ابنها إجون وابنتها هيلينا، التي أوصلَها فارس الحرس الملكي السير ويليس فِل إلى (ستورمز إند) بأمان، وهو ما أبكى الملكة الأرملة فرحًا.

تبعَت ذلك خيانات وعروض خطبة، حتى توصَّل إلى اتِّفاقٍ كلٌّ من اللورد بوروس واللورد لارِس والملكة آليسنت، بوجود المِايستر الأكبر

أورْوايل شاهدًا. وعدَ الأحنف بانضمام السير پركين وفُرسانه فُرسان الحواري إلى رجال العواصف للمساعدة في استرداد الملك إجون الثَّاني العرش الحديدي، بشرط أن يُعفى عنهم جميعًا -باستثناء تريستان- في جميع جرائمهم، بما فيها الخيانة العُظمى والتَّمرُّد والسَّرقة والقتل والاغتصاب. وافقَت الملكة آليسنت على زواج ابنها الملك إجون بالليدي كاساندرا، ابنة اللورد بوروس الكُبرى، وجعلِها ملكته الجديدة، فيما خُطِبَت الليدي فلوريس، واحدة أخرى من بنات حضرة اللورد، إلى لارِس سترونج.

نُوقِشَت المعضلة التي مثَّلها أسطول آل ڤيلاريون بحذافيرها، وورَدَ أن اللورد باراثيون قال: «يجب أن نُشرِك ثُعبان البحر في هذا. قد يودُّ العجوز أن يتَّخذ زوجةً شابَّةً جديدةً. إن لديَّ ابنتيْن لم يتقدَّم لهما أحد بعدُ».

قالت الملكة آليسنت: «إنه خائن، ارتكبَ الخيانة ثلاث مرَّات. لولاه لما أخذَت رينيرا (كينجز لاندنج). لن ينسى ابني الملك هذا. أريده ميتًا».

ردَّ اللورد لارِس سترونج: «سيموت قريبًا على أيَّة حال. دعونا نعقد صُلحنا معه الآن ونستفيد منه بأيِّ طريقةٍ ممكنة. بمجرَّد تسوية كلِّ شيءٍ بأمان، إذا لم تكن لنا حاجة إلى عائلة ڤيلاريون بعدها، فيُمكننا دومًا أن نبسط لـ(الغريب) يد المساعدة».

وهكذا تمَّ الاتِّفاق بمنتهى الخزي. عادَ المبعوثون إلى (كينجز لاندنج)، وسُرعان ما تبعَهم رجال العواصف عابرين (النَّهر الأسود) دون حوادث. وجدَ اللورد بوروس أسوار المدينة غير مزوَّدةٍ بالرِّجال، والبوَّابات بلا دفاعات، والشَّوارع والسَّاحات خاليةً إلَّا من الجُثث. فيما ارتقى (تل

إجون العالي) مع حامل رايته وحرس أهل بيته رأى رايات المرافق تريستان الرثَّة تُلقى من شُرفات مبنى البوَّابة، وراية تنّين الملك إجون الثَّاني الذَّهبي تُرفَع بدلًا منها. خرجَت الملكة آليسنت بنفسها من (القلعة الحمراء) لتُرحِّب به، وإلى جانبها السير پركين البرغوث. سألَ اللورد بوروس وهو يترجَّل من فوق صهوة جواده في الفِناء الخارجي: «أين المدَّعي؟»، فأجابَه السير پركين: «قُبِضَ عليه وقُيِّدَ بالأغلال».

مرَّست اللورد بوروس باراثيون اشتباكات لا حصر لها على الحدود مع الدورنيِّين وحملته المظفَّرة الأخيرة ضدَّ ملكٍ نسرٍ جديد، ولذا لم يُهدِر أيَّ وقتٍ في إعادة النِّظام إلى (كينجز لاندنج). بعد ليلةٍ من الاحتفال الهادئ في (القلعة الحمراء) انطلقَ اللورد بوروس في اليوم التَّالي ليُواجِه (تل ڤيزينيا) و«ملك الفرج» جيمون ذا الشَّعر الباهت. صعدَت التَّل أرتال من الفُرسان المدرَّعين من ثلاثة اتِّجاهات، داعسين حُثالة الشَّوارع والمرتزِقة والسَّكارى الذين تجمَّعوا حول الملك الصغير ومُلحقين بهم هزيمةً نكراء. نُقِلَ الملك الصَّغير، الذي احتفلَ بيوم ميلاده الخامس قبل يومَيْن، إلى (القلعة الحمراء) ملقًى على ظهر حصان ومقيَّدًا بالسَّلاسل وباكيًا، وقد سارَت والدته خلفه قابضةً على يد الدورنيَّة سيلڤينا ساند وقائدةً طابورًا طويلًا من العاهرات والدجَّالات والنشَّالين واللُّصوص والسَّكارى، النَّاجين من كُناسة «بلاط» ذي الشَّعر الباهت.

جاءَ دور الرَّاعي في اللَّيلة التَّالية. بعد تحذيره من مصير العاهرات وملكهنَّ الصَّغير، استدعى النَّبي «جيشه الحافي» للاحتشاد حول (جُب التَّنانين) والدِّفاع عن (تل رينس) «بالدَّم والحديد»، لكن نجم الرَّاعي كان قد أفلَ، إذ تقدَّم أقلُّ من ثلاثمئة نفرٍ تلبيةً لندائه، وفرَّ كثيرون من هؤلاء عندما بدأ الهجوم. قادَ اللورد بوروس فُرسانه إلى أعلى التَّل من

الغرب، فيما صعدَ السير بركين وفُرسان الحواري المنحدَر الجنوبي الأشد حدَّةً من (جُحر البراغيث)، مخترقين صفوف المدافعين الضَّعيفة إلى داخل أنقاض (جُب التَّنانين)، حيث وجدوا النَّبي بين رؤوس التَّنانين (التي تعفَّنت إلى حدٍّ كبير)، محاطًا بحلقةٍ من المشاعل ولا يزال يتوعَّد بالهلاك والدَّمار. عندما اقتربَ منه اللورد بوروس على ظهر جواده الحربي، لوَّح الرَّاعي بجَدعته في وجهه ولعنَه، وأعلنَ الأخ الشحَّاذ: «سنلتقي في الجحيم قبل انتهاء هذا العام». ومثل جيمون ذي الشَّعر الباهت، أُخِذَ الرَّاعي حيًّا وحُمِلَ إلى (القلعة الحمراء) مكبَّلًا بالأغلال.

هكذا عاد السَّلام إلى (كينجز لاندنج) إلى حدٍّ ما. باسم ابنها، «ملكنا الشَّرعي، إجون الثَّاني»، أعلنَت الملكة آليسنت فرض حظر تجوال، حاظرةً الوجود في شوارع المدينة بعد حلول الظلام. أعيدَ تشكيل حرس المدينة تحت قيادة السير بركين البرغوث لإنفاذ حظر التَّجوال، في حين تولَّى اللورد بوروس ورجال العواصف بوَّابات المدينة وشُرفاتها. بعد جرجرتهم من تلالهم الثَّلاثة قبعَ «الملوك» الزَّائفون الثَّلاثة في الزَّنازين ينتظرون عودة الملك الشَّرعي، على أن تلك العودة توقَّفت على آل ڤيلاريون أولاد (دريفتمارك). خلف أسوار (القلعة الحمراء) قدَّمت الملكة الأرملة آليسنت واللورد لارِس سترونج عرضًا لثُعبان البحر شملَ حرِّيَّته وعفوًا كاملًا في خياناته ومقعدًا في مجلس الملك الصَّغير، إذا ركعَ لإجون الثَّاني ملكًا له وسلَّم إليهم سيوف (دريفتمارك) وأشرعتها. ومع ذلك أثبتَ العجوز أنه صعب المراس، إذ أجابَ اللورد كورلس قبل أن يُقدِّم شروطه الخاصَّة: «رُكبتاي عجوزان ومتيبِّستان ولا تنثنيان بسهولة». لقد أرادَ العفو، ليس فقط لنفسه، بل لجميع من قاتَلوا في سبيل الملكة رينيرا، وطالبَ كذلك بزواج إجون الأصغر بالأميرة جهيرا، حتى يُعلَن الاثنان معًا وريثَي الملك إجون. «لقد انشقَّت المملكة، وعلينا توحيد شتاتها

من جديد». لم تهمَّه بنات اللورد باراثيون، وإن أرادَ إطلاق سراح الليدي بِايلا في الحال.

يُخبرنا مونكن أن الملكة آليسنت غضبَت من «غطرسة» اللورد ڤيلاريون، خاصَّةً مطالبته بتسمية إجون ابن الملكة رينيرا وريثًا لابنها إجون. لقد عانَت فقدان اثنين من أبنائها الثَّلاثة وابنتها الوحيدة في أثناء الرَّقصة، ولم تستطِع تحمُّل فكرة أن يعيش أيٌّ من أبناء غريمتها. بغضبٍ ذكَّرت جلالتها اللورد كورلس أنها عرضَت السَّلام مرَّتين على رينيرا، فقط لتُرفَض مبادراتها باحتقار. لذلك وقعَ على عاتق اللورد لارِس الأحنف تلطيف الأجواء، مهدِّئًا الملكة بتذكيرها بكلِّ ما ناقَشوه في سُرادق اللورد باراثيون، ومن ثمَّ أقنعَها بالموافقة على مطالب ثُعبان البحر.

في اليوم التَّالي ركعَ اللورد كورلس ڤيلاريون، ثُعبان البحر، أمام الملكة آليسنت الجالسة على الدَّرجات السُّفلى من العرش الحديدي بالنِّيابة عن ابنها، وهناك تعهَّد للملك بولائه وولاء عائلته. أمام أعيُن الآلهة والبشر منحتَه الملكة الأرملة هو وعائلته عفوًا ملكيًّا، وأعادَته إلى منصبه القديم في المجلس الصَّغير بصفته أميرالًا وقيِّمًا للسُّفن. أُرسِلَت غِدفان إلى (دريفتمارك) و(دراجونستون) لإعلان إبرام الاتِّفاق... دون تأخيرٍ ولو ليومٍ واحد، إذ وصلَت والفتى آلِن ڤيلاريون يجمع سُفنه من أجل شنِّ هجومٍ على (دراجونستون)، والملك إجون الثَّاني يتأهَّب مرَّةً أخرى لقطع رأس ابنة عمِّه بِايلا.

في الأيام الأخيرة من عام 130 بعد الفتح عاد الملك إجون الثَّاني أخيرًا إلى (كينجز لاندنج)، رِفقة كلٍّ من السير مارستن ووترز والسير آلفرِد بروم والثُّنائي توم والليدي بِايلا تارجاريَن (التي لم تزَل مكبَّلةً

بالأغلال، خشية أن تُهاجِم الملك إذا حُلَّت قيودها). بمرافقة اثني عشر قادسًا حربيًّا من أسطول آل ڤيلاريون، أبحَروا على كوجٍ تجاري قديم محطَّم اسمه (الفأرة)، تملكه وتقوده ماريلدا بنت (الأبدان). إذا كان الوثوق بمشروم ممكنًا، فإن اختيار السَّفينة كان متعمَّدًا. يقول القزم: «كان اللورد آلِن يستطيع إرسال الملك إلى الدِّيار على متن (مجد اللورد إيثان) أو (المد الصَّباحي) أو حتى (فتاة بلدة التَّوابل)، لكنه أرادَه أن يُرى وهو ينسلُّ إلى المدينة على متن فأرة، إذ إن اللورد آلِن كان فتى وقحًا ولم يحبَّ مليكه قَطُّ».

كانت عودة الملك بعيدةً كلَّ البُعد عن كونها نصرًا، إذ لم يزَل جلالته غير قادرٍ على المشي، وعليه دخلَ المدينة من (بوَّابة النَّهر) في هودجٍ مغلق، وحُمِلَ على (تل إجون العالي) إلى (القلعة الحمراء) عبر مدينةٍ صامتة، مارًّا بشوارع خالية ومنازل مهجورة ومتاجر منهوبة. اتَّضح أن صعوده درجات العرش الضيِّقة شديدة الانحدار مستحيل أيضًا، ومن ذلك الحين فصاعدًا اضطرَّ الملك إلى عقد البلاط من فوق مقعدٍ خشبي منحوت مزوَّد بوسائد عند قاعدة العرش الحديدي، وقد غطَّى دثار ساقيْه الملتويتيْن المكسورتيْن.

على الرَّغم من الألم الشَّديد لم يرجع الملك إلى غُرفة نومه، ولم يستنفِع من نبيذ النَّوم أو حليب الخَشخاش، بل شرعَ على الفور في النُّطق بالأحكام على ثلاثة «الملوك سريعي الزَّوال» الذين حكموا (كينجز لاندنج) خلال قمر الجنون. كان المرافق أوَّل من واجهَ غضبته، وحُكِمَ عليه بالموت بتهمة الخيانة العُظمى. كان تريستان صبيًّا شجاعًا، وقد بدا عليه التَّحدِّي في البداية عندما جُرَّ أمام العرش الحديدي، إلى أن رأى السير پركين البرغوث يقف مع الملك. يقول مشروم إن هذا سلبَ

الفتى شجاعته، لكن حتى حينها لم يدَّعِ الشَّاب براءته أو يتوسَّل الرَّحمة، بل طلبَ فقط أن يُنصَّب فارسا قبل موته. منحَه الملك إجون هذه الهبة، وعندئذٍ لقَّب السير مارستن ووترز الفتى (قرينه النَّغل) بالسير تريستان فاير (أمَّا «تروفاير»، الاسم الذي أطلقه الصَّبي على نفسه، فعُدَّ تطاوُلًا)، ثمَّ قطعَ السير آلفرِد بروم رأسه بـ(اللَّهب الأسود)، سيف إجون الفاتِح.

مصير ملك الفرج جيمون ذي الشَّعر الباهت كان أرحم. لأن الصَّبي بلغَ الخامسة لتوِّه، فقد عُفِيَ عنه لصِغر سنِّه وأصبحَ ربيب التَّاج. أمَّا والدته إسي، التي تجرَّأت على تلقيب نفسها بالليدي إسيلِن خلال عهد ابنها القصير، فقد اعترفَت تحت التَّعذيب بأن والد جيمون لم يكن الملك كما زعمَت سابقًا، بل مجذِّف فضِّي الشَّعر على قادسٍ تجاري من (لِيس). نظرًا إلى كونها وضيعة النَّسب وغير جديرةٍ بالسَّيف، شُنِقَت إسي والعاهرة الدورنيَّة سيلڤينا ساند من شُرفات (القلعة الحمراء) مع سبعةٍ وعشرين عُضوًا آخَر في بلاط «الملك» جيمون، شلَّة بائسة من اللُّصوص والسُّكارى والممثِّلين والمتسوِّلين والعاهرات والقوَّادين.

في الأخير وجَّه الملك إجون الثَّاني انتباهه إلى الرَّاعي. حين جُلِبَ أمام العرش الحديدي للمحاكمة رفضَ النَّبي التَّوبة عن جرائمه أو الاعتراف بالخيانة، بل لوَّح بجدعة يده المفقودة في وجه الملك وكرَّر على جلالته الكلمات نفسها التي قالها لبوروس باراثيون عند أسره: «سنلتقي في الجحيم قبل نهاية هذا العام». مقابل هذه الوقاحة أمرَ إجون بانتزاع لسان الرَّاعي بكمَّاشةٍ ساخنة، ثم حكمَ عليه هو و«أتباعه الخونة» بالموت حرقًا.

في اليوم الأخير من العام غُمِرَ مئتان وواحد وأربعون من «الحملان

الحُفاة»، أشدُّ أتباع الرَّاعي حماسةً وورعًا، بالقار وقُيِّدوا بالسَّلاسل إلى أعمدةٍ بطول الطَّريق العريض المرصوف الذي يمتدُّ شرقًا من (ميدان الأساكِفة) حتى (جُب التَّنانين). في الحين الذي دقَّت فيه سِپتات المدينة أجراسها للإشارة إلى نهاية العام القديم ومجيء العام الجديد، قطعَ الملك إجون الثَّاني الشَّارع في هودجه (من بعدها أصبحَ الشَّارع يُعرَف باسم (طريق الرَّاعي)، بدلًا من (شارع التَّل) كما كان سابقًا)، فيما ركبَ فُرسانه على جانبيه مُضرمين بمشاعلهم النَّار في الحملان الأسرى ليُضيئوا دربه. هكذا واصلَ جلالته صعود التَّل إلى القمَّة حيث قُيِّدَ الرَّاعي نفسه بين رؤوس التَّنانين الخمسة. بمساعدة اثنين من حرسه الملكي قامَ الملك إجون من فوق وسائده، ومضى بخطواتٍ خرقاء إلى العمود الذي قُيِّدَ إليه النَّبي بالأغلال، وأضرمَ فيه النَّار بذات يده.

كتبَ السِّپتون إيوستس بعد فترةٍ وجيزة: «رينيرا المدَّعية ماتَت هي وتنانينها، وسقطَ كلُّ الملوك الزَّائفين، ومع ذلك لم تعرف المملكة السَّلام». مع مقتل أخته غير الشَّقيقة ووجود ابنها الوحيد الباقي على قيد الحياة أسيرًا في بلاطه، كان الملك إجون الثَّاني ليتوقَّع دون أن يُجانِبه العقل أن تتلاشى المعارضة المتبقِّية لحُكمه... ولربما حدثَ ذلك لو استجابَ جلالته لمشورة اللورد ڤيلاريون وأصدرَ عفوًا عامًّا عن كلِّ اللوردات والفُرسان الذين دعموا قضيَّة الملكة.

لكن للأسف لم يكن الملك متسامحًا. بحثٍّ من والدته الملكة الأرملة آليسنت، صمَّم إجون الثَّاني على الانتقام من أولئك الذين خانوه ونبذوه. بدأ بـ(أراضي التَّاج)، مرسلًا رجاله ورجال بوروس باراثيون ضد (روزبي) و(ستوكوورث) و(وادي الغسق) والحصون والقرى المحيطة. رغم أن لوردات تلك المناطق سارَعوا، من خلال وُكلائهم وأمناء قلاعهم،

بتنكيس راية رينيرا المقسَّمة أربعًا ورفع تنِّين إجون الذَّهبي بدلًا منها، جُلِبَ كلٌّ منهم بدوره مكبَّلًا إلى (كينجز لاندنج) وأُجبِرَ على تقديم فروض الطَّاعة والولاء للملك، ولم يُفرَج عنهم حتى وافقوا على دفع فديةٍ كبيرة وتزويد التَّاج بالرَّهائن المناسبين.

أثبتَت هذه الحملة أنها خطأ جسيم، لأنها عملَت فقط على تقسية قلوب رجال الملكة الرَّاحلة ضد الملك. سُرعان ما وصلَت إلى (كينجز لاندنج) تقارير عن محاربين يتجمَّعون بأعدادٍ كبيرة في (وينترفل) و(بلدة الرَّوابي) و(الميناء الأبيض). في (أراضي النَّهر) كان اللورد جروفر تَلي طريح الفِراش قد ماتَ أخيرًا (من جرَّاء سكتةٍ دماغيَّة أصابَته بسبب خوض عائلته الحرب ضد الملك الشَّرعي في معركة (تمبلتون) الثَّانية، كما يقول مشروم)، واستدعى حفيده إلمو، الذي أصبحَ سيِّد (ريفررَن) أخيرًا، لوردات (الثَّالوث) للحرب من جديد، خشية أن يلقى المصير نفسه كاللوردات روزبي وستوكوورث وداركلين. احتشدَ حوله بنچيكوت بلاكوود سيِّد (شجرة الغِدفان)، المحارب المخضرم بالفعل في سنِّ الثَّالثة عشرة، وعمَّته الشَّابة الضَّارية آلي السَّوداء مع ثلاثمئة رامٍ، والليدي سابيثا فراي سيِّدة (التوأمتيْن) القاسية الجشعة، واللورد هيوجو ڤانس سيِّد (استراحة عابري السَّبيل)، واللورد چورا ماليستر سيِّد (سيجارد)، واللورد رولاند داري سيِّد (داري)، ونعم، حتى همفري براكن سيِّد (السِّياج الحجري)، الذي كانت عائلته حتى ذلك الحين تدعم قضيَّة الملك إجون.

الأخبار الأخطر وصلَت من (الوادي)، حيث حشدَت الليدي چين آرن ألفًا وخمسمئة فارسٍ وثمانية آلاف رجلٍ مسلَّح، وأرسلَت مبعوثين إلى (براڤوس) لاستئجار سُفنٍ تحملهم للهجوم على (كينجز لاندنج)... ومعهم سيأتي تنِّين. كانت الليدي رِاينا، سليلة عائلة تارجارين وتوأمة

بِايلا الشُّجاعة، قد جلبَت معها بيضة تِنّينٍ إلى (الوادي)... بيضةً ثبتَت خصوبتها، وخرجَت منها تنّينة ورديَّة شاحبة، سوداء القرنيْن والعُرف، سمَّتها رِاينا مورننج.

ومع أن سنواتٍ ستمرُّ قبل أن تكبر مورننج بما يكفي لامتطائها وأخذها إلى الحرب، إلَّا أن خبر مولدها كان مصدر قلقٍ عظيم للمجلس الأخضر. أشارَت الملكة آليسنت إلى أنه إذا استطاعَ المتمرِّدون التَّباهي بتنِّينٍ على عكس الموالين، فقد يرى العامَّة خصومهم أكثر أحقِّيَّةً. «أنا في حاجةٍ إلى تنّين». قالها إجون الثَّاني عند سماعه بالخبر.

بصرف النظر عن فرخ الليدي رِاينا، لم يتبقَّ في (وستروس) كلِّها إلَّا ثلاثة تنانين حيَّة فقط. اختفى شيپستيلر مع الفتاة نِتلز، وإن ظُنَّ أنه في مكانٍ ما في (الرَّأس المتصدِّع) أو (جبال القمر)، فيما ظلَّ الكانيبال يَسكُن منحدرات (دراجونمونت) الشَّرقيَّة. أمَّا آخِر تقريرٍ عن سيلڤروينج فذكرَ أنها رحلَت من خراب (تمبلتون) متَّجهةً إلى (المرعى)، وقد قيلَ إنها اتَّخذت لنفسها عرينًا على جزيرةٍ صخريَّة صغيرة وسط (البُحيرة الحمراء).

أشارَ بوروس باراثيون إلى أن تنِّينة الملكة أليسين الفضِّيَّة قبلَت راكبًا ثانيًا، «فلِمَ لا تقبل ثالثًا؟ احصُل على التنِّينة وستُؤمِّن تاجك». لكن إجون الثَّاني لم يكن بعدُ قادرًا على المشي أو الوقوف، ناهيك باعتلاء تنِّينةٍ وركوبها. ولم يكن جلالته قويًّا بما يكفي لقطعِ رحلةٍ طويلةٍ عبر المملكة إلى (البُحيرة الحمراء)، عبر مناطق موبوءةٍ بالخونة والمتمرِّدين والرِّجال المكسورين.

من الواضح أن ذلك الجواب لم يكن جوابًا. أعلنَ جلالته: «ليس سيلڤروينج. سيكون لديَّ صنفاير جديد، أضخم وأضرى من سابقه»، ومن ثمَّ أُرسِلَت غِدفان إلى (دراجونستون)، حيث وُضِعَت بيضات تنانين

آل تارجاريَن -بعضها قديم جدًّا لدرجة أنه تحجَّر- تحت الحراسة في الأقبية والسَّراديب، وهناك اختارَ المِايستر سبع بيضاتٍ «تكريمًا للآلهة» اعتبرَها واعدةً أكثر من البقيَّة، وأرسلَها إلى (كينجز لاندنج). احتفظَ الملك إجون بها في غُرفته، لكن أيًّا منها لم يفقس. يُخبرنا مشروم أن جلالته جلسَ على «بيضةٍ أرجوانيَّة وذهبيَّة كبيرة» يومًا وليلةً على أمل أن تفقس، «لكنها لم تكن أكثر نفعًا من قطعة غائطٍ أرجوانيَّة وذهبيَّة».

يُعطينا المِايستر الأكبر أورْوايل، الذي أُطلِقَ سراحه من الزَّنازين وتزيَّن مجدَّدًا بسلسلة منصبه، نظرةً تفصيليَّةً داخل المجلس الأخضر الذي رُمِّمَ خلال هذا الوقت المضطرب، حين هيمنَ الخوف والشَّك حتى داخل (القلعة الحمراء). في الوقت الذي كانت فيه الوحدة مطلوبةً لأقصى درجة، وجدَ اللوردات حول الملك إجون الثَّاني أنفُسهم منقسمين بشدَّة، وعاجزين عن الاتِّفاق على أفضل السُّبل للتَّعامُل مع العاصفة المرتقبة.

ثُعبان البحر فضَّل الصُّلح والعفو والسَّلام.

بوروس باراثيون استهزأ بذلك المسلك باعتباره ضعفًا، وأعلنَ للملك والمجلس أنه سيهزم هؤلاء الخونة في الميدان. كلُّ ما يطلبه هو الرِّجال، ويجب أن تُؤمَر (كاسترلي روك) و(البلدة القديمة) بحشد جيشيْن جديديْن فورًا.

السير تايلاند لانستر، أمين النَّقد الأعمى، اقترحَ الإبحار إلى (لِيس) أو (تايروش) واستئجار واحدةٍ أو أكثر من جماعات المرتزِقة (لم يكن إجون الثَّاني يفتقر إلى المال، إذ وضعَ السير تايلاند ثلاثة أرباع ثروة التَّاج بأمانٍ في أيدي (كاسترلي روك) و(البلدة القديمة) ومصرف (براڤوس) الحديدي قبل أن تستولي الملكة رينيرا على المدينة والخزانة).

رأى اللورد ڤيلاريون تلك الجهود عقيمةً. «ليس لدينا الوقت. على

مقعدَي السُّلطة في (البلدة القديمة) و(كاسترلي روك) يجلس طفلان، ولن نجد المزيد من العون هناك. أفضل الجماعات الحُرَّة في (إسوس) ملزَمة بعقودٍ مع (لِيس) أو (مير) أو (تايروش). حتى لو استطاعَ السير تايلاند أن يُحرِّرها من التزاماتها فلن يتمكَّن من إحضارها إلى هنا في الوقت المناسب. يُمكن لسُفني إبقاء آل آرِن بعيدين عن أبوابنا، لكن مَن سيُوقِف الشَّماليِّين ولوردات (الثَّالوث)؟ لقد بدأوا الزَّحف بالفعل. يجب أن نُقدِّم شروطًا. على جلالته أن يعفو عنهم في جميع جرائمهم وخياناتهم، وأن يُعلِن إجون ابن رينيرا وريثه ويُزوِّجه على الفور بالأميرة جهيرا. إنه السَّبيل الوحيد».

لكن كلمات الرَّجل العجوز لاقَت آذانًا صمَّاء. كانت الملكة آليسنت قد وافقَت على مضضٍ على خطبة حفيدتها إلى ابن رينيرا، وإن فعلَت ذلك دون موافقة الملك. أمَّا إجون الثَّاني فكانت لديه أفكارٌ أخرى. أرادَ أن يتزوَّج كاساندرا باراثيون في الحال، لأنها «ستمنحني أبناءً أقوياء جديرين بالعرش الحديدي»، وأبى السَّماح بزواج الأمير إجون بابنته، إذ قد يُنجِب أبناءً يُعكِّرون الخلافة. لذا أعلنَ جلالته: «بإمكانه أن يرتدي الأسود ويقضي أيامه على (الجِدار)، أو يتخلَّى عن رجولته ويخدمني خصيًّا. الخيار خياره، لكنه لن يُنجِب أطفالًا. يجب أن ينقطِع نسل أختي».

حتى هذا عُدَّ سبيلًا رحيمًا للغاية عند السير تايلاند لانستر، الذي اقترحَ الإعدام الفوري للأمير إجون الأصغر، وأعلنَ: «سيظلُّ الصَّبي تهديدًا ما دامَ يتنفَّس. اقطع رأسه وستَترُك هؤلاء الخونة بلا ملكةٍ ولا ملكٍ ولا أمير. كلَّما عجَّلت بموته عجَّلت بانتهاء هذا التَّمرُّد».

أفزعَت كلماته وكلمات الملك اللورد ڤيلاريون، واتَّهم ثُعبان البحر المسن «بغضبةٍ راعدة» الملك والمجلس بأنهم «حمقى وكاذبون وناكثو أيمان»، واندفعَ مغادرًا القاعة.

عندئذٍ عرضَ بوروس باراثيون أن يجلب رأس العجوز للملك، وكان إجون الثَّاني على وشك الموافقة حين تكلَّم اللورد لارِس سترونج مذكِّرًا إياهما بأن الفتى آلِن ڤيلاريون، وريث ثُعبان البحر، ما يزال بعيدًا عن متناولهم على (دريفتمارك). قال الأحنف: «اقتُل الثُّعبان العجوز وسنخسر الشَّاب وكلَّ سُفنهما السَّريعة الرَّائعة». بدلًا من ذلك يجب أن يتحرَّكوا على الفور لمراضاة اللورد كورلس لإبقاء عائلة ڤيلاريون إلى جانبهم. وحثَّ سترونج الملك قائلًا: «امنحه الخِطبة التي يُريدها يا جلالة الملك، فالخِطبة ليست زفافًا. سمِّ إجون الأصغر وريثك، فالأمير ليس ملكًا. عايِن التَّاريخ واحسب عدد الورثة الذين لم يحيوا ليجلسوا على العرش. تعامَل مع (دريفتمارك) في الوقت المناسب، عندما يُهزَم خصومك ويكون مَدُّك في أوجه. ذلك اليوم لم يحِن بعدُ. يجب أن نتحيَّن فُرصتنا ونتحدَّث معه بلين».

أو هكذا بلغَتنا كلماته من أورْوايل عن طريق مونكن. لم يكن كلا السِّپتون إيوستس والمهرّج مشروم حاضرًا في المجلس، ومع ذلك يتحدَّث مشروم عن ذلك كلِّه قائلًا: «هل وُجِدَ رجل ماكر كالأحنف يومًا؟ أوه، لكان مهرِّجًا مبهرًا ذلك اللارِس. كانت الكلمات تَقطُر من شفتيه كما يَقطُر الشَّهد من قُرص العسل، ولم يُوجَد سمٌّ بتلك الحلاوة قطُّ».

أزعجَ اللُّغز الذي كانه لارِس سترونج طلبة التَّاريخ لأجيال، ولا يُمكننا أن نأمل حلَّه هنا. أين كمنَ ولاؤه الحقيقي يا تُرى؟ ماذا كانت غايته؟

لقد نسجَ شباك طريقه طوال رقصة التّنانين على هذا الجانب وذاك، يختفي ويُعاوِد الظُّهور، ولكن بطريقةٍ ما ينجو دائمًا. كم كان مما قاله وفعله خداعًا وكم حقيقةً؟ أكان مجرَّد رجلٍ أبحرَ في اتِّجاه الرِّيح أينما هبَّت أم عرفَ اتِّجاهه لما أقلعَ؟ لنا أن نسأل، لكن أحدًا لن يُجيب، فآخِر آل سترونج يُجيد كتمان أسراره.

نعلم أنه كان ماكرًا وكتومًا، ومع ذلك وجيهًا ودمثًا عند الحاجة، وأثَّرت كلماته على الملك والمجلس في مسارهم. عندما اعترضَت الملكة آليسنت متسائلةً بصوت عالٍ كيف يُمكن كسب اللورد كورلس مجدَّدًا بعد كلِّ ما قيلَ في ذلك اليوم، أجابَ اللورد سترونج: «هذه المهمَّة اتركيها لي يا جلالة الملكة. أجرؤ على القول إن حضرة اللورد سيستمع لي».

وقد استمعَ له فعلًا. رغم أن أحدًا لم يعلم في ذلك الوقت، ذهبَ الأحنف مباشرةً إلى ثُعبان البحر عندما رُفِعَت جلسة المجلس، وأخبرَه عن نيَّة الملك منحه كلَّ ما طلبه ثمَّ قتله لاحقًا عندما تنتهي الحرب، وحين كان العجوز لينفدفع بسيفه طالبًا الانتقام الدَّامي، هدَّأه اللورد لارِس بابتساماتٍ وكلماتٍ ناعمة، ونصحَه بالصَّبر قائلًا: «تُوجَد طريقة أفضل». وهكذا نسجَ شبكته بخيوط الخداع والخيانة، واضعًا كلَّ واحدٍ منهم في مواجهة الآخَر.

بينما دارَت المؤامرات والمخطَّطات المضادَّة من حوله، وأحاطَ به الأعداء من كلِّ جهة، ظلَّ إجون الثَّاني غافلًا. لم يكن الملك بصحَّةٍ جيِّدة، فالحروق التي أُصيبَ بها في (استراحة الرُّخ) تركَت ندوبًا غطَّت نصف جسده، ويقول مشروم إنها جعلَته عقيمًا أيضًا. ولا استطاعَ المشي كذلك، فالقفزة من فوق ظهر صنفاير في (دراجونستون) كسرَت ساقه اليُمنى في موضعيْن وحطَّمت عظام اليُسرى. دوَّن المِايستر الأكبر أورْوايل أن اليُمنى تعافَت جيِّدًا، ولكن ليس اليُسرى. كانت عضلات تلك الساق قد ضمرَت، والرُّكبة تيبَّست، وذابَ اللَّحم حتى لم يتبقَّ إلَّا عصا ذابلة ومشوَّهة بشدَّة، لدرجة أن أورْوايل عدَّ أن جلالته سيكون بحالٍ أفضل لو بُتِرَت ساقه تمامًا. لكن الملك رفضَ، وبدلًا من ذلك حُمِلَ هنا وهناك بالهودج، وقُرب النِّهاية فقط استعادَ قوَّته للمشي بمساعدة عُكَّاز، جارًّا ساقه المصابة خلفه.

قضى إجون نصف العام الأخير من حياته في ألمٍ دائم، وقد بدا التَّفكير في زواجه القادم الشَّيء الوحيد الذي يُسعِده. حتى طرائف مهرِّجيه لم تستطِع إضحاكه، كما يُخبرنا مشروم، أبرز هؤلاء المهرِّجين... ولو أن «جلالته ابتسمَ من وقتٍ إلى آخر لنكاتي، وأحبَّ أن يُبقيني

بجانبه لتخفيف كآبته ومساعدته على ارتداء ملابسه». على الرَّغم من أنه لم يَعُد قادرًا على ممارسة الجنس بسبب حروقه، وفقًا للقزم، ظلَّ إجون يَشعُر بالحوافز الجنسيَّة، وغالبًا ما شاهدَ من وراء ستارةٍ أحد مقرَّبيه يتطارَح الغرام مع إحدى الخادمات أو سيِّدةٍ ما من البلاط. يُقال لنا إن توم المتهتِه أدَّى هذه المهمَّة له في أغلب الأحيان، وفي أحيانٍ أخرى أخذَ فُرسان أهل بيتٍ معيَّنون موضع العار هذا، وإن مشروم نفسه أدَّى هذه الخدمة ثلاث مرَّات. يقول المهرّج إن بعد هذه الاجتماعات كان الملك يبكي من الخجل ويستدعي السِّپتون إيوستس لمنحه الغُفران. (لكن إيوستس لا يَذكُر شيئًا عن هذا في روايته عن أيام إجون الأخيرة).

خلال هذا الوقت أمرَ إجون بترميم (جُب التَّنانين) وإعادة بنائه، وبتشييد تمثالَيْن هائلَيْن لأخويْه إيموند ودايرون (وقضى أن يكونا أكبر من (مارد براڤوس) ويُطليا بالذَّهب)، وعقدَ حرقًا عامًّا لجميع المراسيم والإعلانات الصَّادرة من «الملكيْن سريعَي الزَّوال» تريستان تروفاير وجيمون ذي الشَّعر الباهت.

في تلك الأثناء كان أعداؤه يزحفون. عبر (العُنق) جاءَ كريجان ستارك سيِّد (وينترفل) بجيشٍ جرَّارٍ من ورائه (يتحدَّث السِّپتون إيوستس عن «عشرين ألفًا من المتوحِّشين في جلودٍ شعثاء»، إلَّا أن مونكن يخفض العدد في (قصَّة حقيقيَّة) إلى ثمانية آلاف)، وحتى عذراء (الوادي) أرسلَت جيشها من (بلدة النَّوارس): عشرة آلاف رجلٍ تحت قيادة اللورد ليوين كوربراي وأخيه السير كوروين، الذي كان يحمل السَّيف الڤاليري الشَّهير المسمَّى (سيِّدة البؤس).

على أن التَّهديد الذي لم يحتمل التَّأخير شكَّله رجال (الثَّالوث)،

الذين تجمَّع ما يُقارِب الستَّة آلاف منهم في (ريڤررَن) عندما استدعى إلمو تَلي راياته. للأسف كان اللورد إلمو نفسه قد ماتَ في أثناء المسير بعدما شربَ مياهًا ملوَّثةً، بعد تسعةٍ وأربعين يومًا فقط سيِّدًا لـ(ريڤررَن)، لكن السِّيادة انتقلَت إلى ابنه الأكبر، السير كرميت تَلي، الشَّاب العنيد الضَّاري المتشوِّق إلى إثبات نفسه مُحاربًا. كانوا على بُعد مسيرة ستَّة أيامٍ من (كينجز لاندنج) على (طريق الملوك) عندما قادَ اللورد بوروس باراثيون رجال العواصف لمقابلتهم، وقد عُزِّزَت قوَّته بمجنَّدين من كلٍّ من (ستوكوورث) و(روزبي) و(هايفورد) و(وادي الغسق)، إلى جانب ألفَي رجلٍ وصبيٍّ من مواخير (جُحر البراغيث)، مسلَّحين على عجالةٍ بِجِرابٍ وخوذٍ حديد.

التقى الجيشان على بُعد يوميْن من المدينة، حيث يمرُّ (طريق الملوك) بين غابةٍ وتلٍّ منخفض. كانت السَّماء تُمطِر بغزارةٍ منذ أيام، والعُشب مبتلًّا والأرض موحلةً وطريَّةً. كان اللورد بوروس واثقًا بالنَّصر، لأن كشَّافته أخبَروه أن مَن يقود رجال النَّهر صِبية ونساء. كان الوقت قريبًا من الغسق عندما لمحَ بوروس العدو، ومع ذلك أمرَ بشنِّ هجومٍ فوري... رغم أن الطَّريق أمامه كان حائطًا متماسكًا من التُّروس، والتَّل عن يمينه مليئًا بالرُّماة. قادَ اللورد بوروس الهجوم بنفسه مشكِّلًا فُرسانه في إسفين، وزلزلَ الطَّريق مندفعًا نحو قلب العدوِّ، حيث طفَت سمكة التروِيت الفضيَّة المرقَّطة رمز (ريڤررَن) على رايتها الزرقاء والحمراء بجانب راية الملكة الرَّاحلة المقسَّمة أربعًا، ومن خلفه المشاة تحت راية تنِّين الملك إجون الذَّهبي.

تُسمِّي (القلعة) القتال التي تبعَ هذا بمعركة (طريق الملوك)، فيما سمَّاها الرِّجال الذين خاضوها بالفوضى الموحلة. مهما كان الاسم، أثبتَت

المعركة الأخيرة في رقصة التَّنانين أنها كانت من طرفٍ واحد. أسقطَت سهام الأقواس الطويلة من فوق التَّل الأحصنة من تحت فُرسان اللورد بوروس في أثناء اندفاعهم، مؤدِّيةً إلى سقوط كثيرٍ منهم لدرجة أن أقلَّ من نصف خيَّالته استطاعوا الوصول إلى حائط التُّروس، وهؤلاء الذين وصلوا وجدوا صفوفهم مشتَّتةً وإسفينهم مكسورًا وخيولهم تنزلق وتُكافِح في الوحل الطَّري. مع أن رجال العواصف سبَّبوا دمارًا كبيرًا برماحهم والفؤوس الطويلة والسُّيوف، صمدَ لوردات النَّهر أمامهم إذ تقدَّم رجال جُدد ليحلُّوا محلَّ الذين سقطوا. عندما وصلَ مُشاة اللورد باراثيون مندفعين نحو الاشتباك تمايلَ حائط التُّروس وتزعزعَ إلى الخلف وبدا كما لو أنه قد ينكسِر... حتى انفجَرت الغابة على ميسرة الطَّريق بالصُّراخ والزَّعيق، واندفعَ مئات آخَرون من رجال النَّهر من وسط الأشجار بقيادة ذلك الصَّبي المجنون بنچيكوت بلاكوود، الذي سيكتسِب في هذا اليوم لقب بِن الدَّموي الذي اشتهرَ به بقيَّة حياته المديدة.

كان اللورد بوروس نفسه لا يزال ممتطيًا جواده وسط المذبحة، وحين رأى أنه يخسر المعركة أمرَ مُرافقه بالنَّفخ في بوقه الحربي مشيرًا إلى قوَّات الاحتياط بالتَّقدُّم. ولكن عند سماع البوق تركَ رجال (روزبي) و(ستوكورث) و(هايفورد) تنانين الملك الذَّهبيَّة تَسقُط وظلُّوا بلا حراك، وتفرَّق رعاع (كينجز لاندنج) كالإوز، وانضمَّ فُرسان (وادي الغسق) إلى العدوِّ مهاجمين رجال العواصف من الخلف. تحوَّلت المعركة إلى هزيمةٍ في لحظةٍ إذ تحطَّم جيش الملك إجون الأخير.

ماتَ بوروس باراثيون وهو يُقاتِل. عندما سقطَ من فوق صهوة جواده الحربي الذي قتلَته سهام آلي السَّوداء ورُماتها، قاتلَ على قدميه قاتلًا عددًا لا يُحصى من الرِّجال المسلَّحين ودستةً من الفُرسان واللورديْن

ماليستر وداري. لدى وصول كرميت تَلي إليه كان اللورد بوروس في غاية الإعياء ومكشوف الرَّأس (إذ انتزعَ خوذته المنبعجة) وينزف من عشرين جرحًا وبالكاد قادرًا على الوقوف. قال سيِّد (ريڤررَن) لسيِّد (ستورمز إند): «استسلِم أيها الفارس. إن النَّصر لنا»، فردَّ اللورد باراثيون بشتيمةٍ قائلًا: «أؤثرُ الرَّقص في الجحيم على وضع أغلالك»، ثم انقضَّ... مباشرةً في مسار الكُرة الحديديَّة الشَّائكة في طرف سلسلة نجمة صباح اللورد كرميت، التي أصابَت وجهه مباشرةً ناثرةً الدِّماء والعظام وبقايا دماغه. ماتَ سيِّد (ستورمز إند) وسط الوحل على (طريق الملوك) وسيفه لا يزال في يده.[22]

عندما جلبَت الغِدفان أخبار المعركة إلى (القلعة الحمراء) اجتمعَ المجلس الأخضر على عجل. لقد ثبتَت صحَّة تحذيرات ثُعبان البحر جميعًا. تباطأت (كاسترلي روك) و(هايجاردن) و(البلدة القديمة) في الرَّدِّ على طلب الملك مزيدًا من الجيوش، ولما ردَّت قدَّمت الأعذار والمراوغات بدلًا من الوعود. كانت عائلة لانستر متورِّطةً في حربها ضد الكراكن الأحمر، وخسرَ آل هايتاور عددًا كبيرًا جدًّا من الرِّجال وليس لديهم قادة مؤهَّلون، وكتبَت والدة اللورد تايرل الصَّغير تقول إن لديها سببًا للشَّكِّ في ولاء حمَلَة راية ابنها، و«كوني مجرَّد امرأةٍ يجعلني لا أصلحُ لقيادة جيشٍ إلى حرب». أُرسِلَ كلٌّ من السير تايلاند لانستر والسير مارستن ووترز والسير چوليان وورموود عبر (البحر الضيِّق) للبحث عن مرتزِقةٍ في (پنتوس) و(تايروش) و(مير)، لكن أحدًا منهم لم يرجع بعدُ.

قريبًا سيُواجِه الملك إجون الثَّاني أعداءه أعزل، وهو ما علمَه جميع

22 – بمشيئة الآلهة، بعد سبعة أيامٍ في (ستورمز إند)، أنجبَت السيِّدة زوجته الابن والوريث الذي رغبَ به اللورد بوروس منذ وقتٍ طويل. تركَ حضرة اللورد تعليماتٍ بتسمية الطِّفل إجون إذا كان ذكرًا، على شرف الملك، ولكن بعد سماعها بموت سيِّدها في المعركة أسمَت الليدي باراثيون الطِّفل أوليڤر، على اسم والدها. (المؤلِّف).

رجال الملك. كان بِن بلاكوود الدَّموي وكرميت تَلي وسابيثا فراي وإخوتهم في النَّصر يستعدُّون لاستئناف تقدُّمهم نحو المدينة، ووراءهم بأيامٍ قليلة اللورد كريجان ستارك ورجاله الشَّماليُّون. غادرَ الأسطول البراڤوسي الذي يحمل قوَّات آل آرن (بلدة النَّوارس) مبحرًا باتِّجاه (الحُلقوم)، حيث لا أحد يعترض طريقه إلَّا الشَّاب آلِن ڤيلاريون... وولاء (دريفتمارك) لا يُمكن الاعتماد عليه.

عندما اجتمعَ سافِلة المجلس الأخضر الفخور سابقًا قال ثُعبان البحر: «يا جلالة الملك، يجب أن تستسلم. لا يُمكن للمدينة أن تتحمَّل نهبًا آخَر. أنقِذ شعبك وأنقِذ نفسك. إذا تنازلت عن العرش لصالح الأمير إجون فيسمح لك بارتداء الأسود وعيش حياتك بشرفٍ على (الجِدار)».

قال الملك إجون: «أحقًّا سيفعل؟»، ويُخبرنا مونكن أن صوته حملَ نبرة أمل.

أمَّا والدته فلم تتمتَّع بمثل ذلك الأمل، وذكَّرت ابنها قائلةً: «لقد أطعمت والدته لتنِّينك. الصَّبي رأى كلَّ شيء».

التفتَ إليها الملك بيأسٍ وسألَها: «وماذا تُريدينني أن أفعل؟».

أجابَت الملكة الأرملة: «إن لديك رهائن. اقطع إحدى أُذنَي الصَّبي وأرسِلها إلى اللورد تَلي. حذِّرهم من أن الصَّبي سيفقِد عُضوًا آخَر مقابل كلِّ ميلٍ يتقدَّمونه».

قال إجون الثَّاني: «نعم، جيِّد، سأفعلُ هذا»، واستدعى السير آلفرِد بروم الذي أحسنَ خدمته في (دراجونستون)، وأخبرَه: «اذهب ونفِّذ الأمر أيها الفارس». وإذ غادرَ الفارس التفتَ الملك إلى كورلس

ڤيلاريون، وقال: «قُل لنغللك أن يُقاتِل بشجاعةٍ يا سيِّدي. إذا خذلَني، إذا اجتازَ أيٌّ من هؤلاء البراڤوسيِّين (الحُلقوم)، فستفقد سيِّدتك الثَّمينة بِايلا بعض الأعضاء أيضًا».

لم يتوسَّل ثُعبان البحر، أو يشتم ويلعن، أو يُهدِّد، بل أومأ برأسه بتيبُّس، ونهضَ، وغادرَ. يقول مشروم إنه تبادلَ نظرةً مع الأحنف في أثناء انصرافه، لكن مشروم لم يكن حاضرًا، ويبدو مستبعدًا للغاية أن يتصرَّف رجل متمرِّس مثل كورلس ڤيلاريون بمثل ذلك الخرَق في مثل هذه اللَّحظة.

ذلك أن عهد إجون ولَّى بالفعل، رغم أنه لم يستوعِب ذلك بعدُ. لقد وضعَ المارِقون بين ظهرانيه خُططهم موضع التَّنفيذ في اللَّحظة التي علموا فيها بهزيمة اللورد باراثيون على (طريق الملوك).

حين عبرَ السير آلفرِد بروم الجسر المتحرِّك إلى (حصن ميجور)، حيث كان الأمير إجون محتجزًا، وجدَ السير پركين البرغوث وستَّةً من فُرسان الحواري يعترضون طريقه، فقال بروم آمرًا: «تنحَّوا جانبًا باسم الملك».

ليردَّ السير پركين: «لدينا ملك جديد الآن»، ووضعَ يده على كتف السير آلفرِد... ثمَّ دفعَه بقوَّةٍ جعلَته يتراجَع مترنِّحًا على الجسر المتحرِّك ليَسقُط على الخوازيق الحديديَّة أدناه، حيث ظلَّ يتلوَّى يومَيْن كاملَيْن وهو يُحتضَر.

في هذه السَّاعة نفسها كانت الليدي بِايلا تارجاريَن تُهرَّب إلى برِّ الأمان في عُهدة عُملاء اللورد لارِس الأحنف. أُخِذَ توم المتهتِه على حين غرَّةٍ في ساحة القلعة وهو يُغادِر الاسطبلات وقُطِعَ رأسه على الفور. يقول مشروم: «ماتَ كما عاشَ، متلعثمًا». أمَّا والده توم ذو اللِّحية المتشابكة فكان غائبًا عن القلعة، لكنهم وجدوه في خانٍ بـ(زُقاق

الحنشان)، ولما احتجَّ قائلًا إنه «مجرَّد صيَّادٍ بسيط، أتيتُ لأشرب المِزر»، أغرقَه آسِروه في برميلٍ من الشَّراب نفسه.

نُفِّذَ كلُّ هذا بدقَّةٍ وسرعةٍ وهدوءٍ حتى إن سُكَّان (كينجز لاندنج) لم تكن لديهم فكرة تقريبًا عمَّا كان يَحدُث خلف جُدران (القلعة الحمراء). حتى داخل القلعة نفسها لم يُطلَق أيُّ إنذار. جميع مَن استُهدِفوا بالموت قُتِلوا فيما استمرَّ باقي البلاط في عمله دون إزعاجٍ ودون علم. يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن أربعةً وعشرين رجلًا قُتِلوا، في حين يقول كتاب مونكن (قصَّة حقيقيَّة) إنهم واحد وعشرون. يَزعُم مشروم أنه شهدَ مقتل ذوَّاق الملك، وهو رجل سمين للغاية يُدعى بأومِت، ويُؤكِّد أنه أُجبِرَ على الاختباء في برميل دقيقٍ هاربًا من المصير نفسه، وظهرَ في اللَّيلة التَّالية «مغطًّى بالدَّقيق بالكامل من الرَّأس إلى الكعبيْن، أبيض للدرجة التي جعلَت أوَّل خادمةٍ تراني تظنُّني شبح مشروم». (تفوح من هذه القصَّة رائحة الاختلاق، فلِمَ يرغب المتآمرون في قتل مهرِّج؟).

أُلقِيَ القبض على الملكة آليسنت على السَّلالم الملتفَّة وهي في طريقها إلى غُرفتها. كان آسروها يضعون شارة حصان البحر رمز عائلة ڤيلاريون على سُتراتهم، وعلى الرَّغم من أنهم قتلوا الرَّجلين اللذين يحرسانها فإنهم لم يُؤذوا الملكة الأرملة نفسها ولا وصيفاتها. الملكة المكبَّلة بالسلاسل كُبِّلَت مرَّةً أخرى وأُخِذَت إلى الزَّنازين لتنتظر هناك حضور الملك الجديد، وبحلول ذلك الوقت كان آخِر أبنائها قد ماتَ بالفعل.

بعد اجتماع المجلس حملَ مُرافقان قويَّان الملك إجون الثَّاني إلى الفِناء، وهناك وجدَ هودجه ينتظره كما جرَت العادة، فقد صعَّبت عليه ساقه الذَّابلة صعود الدَّرجات للغاية، حتى اتِّكاءً على عُكَّاز. لاحقًا شهدَ فارس الحارس الملكي السير جايلز بلجريف، الذي قادَ فرقة حراسة

الملك، بأن جلالته بدا متعبًا بشكلٍ غير معتاد إذ سُوعِدَ على ركوب الهودج، وكان وجهه «مربدًّا وشاحبًا ومترهِّلًا»، ولكن بدلًا من إعادته إلى غُرفته طلبَ الملك إجون من السير جايلز أن يأخذه إلى سِپت القلعة. كتب السِّپتون إيوستس: «ربما أحسَّ باقتراب نهايته ورغبَ في الصَّلاة لتُغفَر ذنوبه».

كانت الرِّيح الباردة تهبُّ، وعندما تحرَّك الهودج أغلقَ الملك السَّتائر لمنع دخول البرد. في الدَّاخل، كما هي الحال دائمًا، وُضِعَ إبريق من نبيذ (الكرمة) الأحمر الحُلو، نبيذ إجون المفضَّل، واستمتعَ الملك بكوبٍ صغير فيما عبرَ الهودج الفِناء.

لم يُدرِك السير جايلز وحاملو الهودج وجود أيِّ مشكلةٍ حتى وصلوا إلى السِّپت ولم تُفتَح السَّتائر. قال الفارس: «وصلنا يا جلالة الملك»، ولم تأتِه إجابة، بل الصَّمت فقط، وعندما ناداه مرَّةً ثانيةً وثالثةً ولم يتلقَّ أيَّ جوابٍ أيضًا، أزاحَ السير جايلز بلجريف السَّتائر ليجد الملك ميتًا على وسائده. قال الفارس: «كان على شفتيه دم، ولكن بخلاف هذا بدا كأنه نائم».

لا يزال المِايسترات والعامَّة على حدٍّ سواء يتناقَشون حول نوع السُّم المستخدَم وهويَّة من وضعَه في نبيذ الملك. (يُجادِل البعض بأن السير جايلز وحده كان بإمكانه ذلك، ولكن مُحال أن يُنهي فارس من الحرس الملكي حياة الملك الذي أقسمَ على حمايته. ويبدو أومِت ذوَّاق الملك، الذي ادَّعى مشروم أنه شهدَ مقتله، مرشَّحًا أرجح). مع أن اليد التي سمَّمت نبيذ (الكرمة) الأحمر لن تُعرَف أبدًا، من المؤكَّد أنه سُمِّمَ بناءً على طلب لارِس سترونج.

هكذا ماتَ إجون الثَّاني سليل آل تارجارِيَن، الابن البِكر للملك

ڤسيرس تارجاريَن الأوَّل والملكة آليسنت سليلة آل هايتاور، الذي أثبتَ عهده أنه كان قصيرًا بقدر ما كان مريرًا. عاشَ إجون أربعةً وعشرين عامًا وحكمَ عاميْن.

عندما ظهرَت طليعة جيش اللورد تَلي أمام أسوار (كينجز لاندنج) بعد يوميْن، انطلقَ كورلس ڤيلاريون ليُحيِّيهم مع الأمير إجون العابس إلى جانبه. أعلنَ ثُعبان البحر بجهامة: «ماتَ الملك، يحيا الملك».

وعبر (الخليج الأسود)، في (الحُلقوم)، وقفَ اللورد ليوين كوربراي على مقدِّمة كوجٍ براڤوسي وشاهدَ صفًّا من سُفن آل ڤيلاريون الحربيَّة يُنكِّس تنِّين إجون الثَّاني الذَّهبي ويرفع مكانه تنِّين إجون الأوَّل الأحمر، الرَّاية التي رفعَها جميع ملوك آل تارجاريَن حتى بدأت الرَّقصة.

لقد انتهَت الحرب (إلَّا أن السِّلم الذي أعقبَ ذلك سُرعان ما ثبتَ بُعده عن السِّلميَّة).

في اليوم السَّابع من القمر السَّابع من عام 131 بعد فتح إجون، في تاريخٍ عُدَّ مقدَّسًا عند الآلهة، ردَّد السِّپتون الأعلى في (البلدة القديمة) نذور الزَّواج إذ تزوَّج الأمير إجون الأصغر، الابن الأكبر للملكة رينيرا من عمِّها الأمير ديمون، بالأميرة چهيرا، ابنة الملكة هيلينا من شقيقها الملك إجون الثَّاني، موحِّدًا بذلك الفرعيْن المتنافسيْن من عائلة تارجاريَن، لينتهي عامان من الخيانة والمجازر.

وبذا انتهَت رقصة التَّنانين، وبدأ عهد الملك إجون تارجاريَن الثَّالث الكئيب.

في أعقابِ الحرب

ساعة الذِّئب

حينما يتحدَّث عامَّة (الممالِك السَّبع) عن الملك إجون تارجاريَن الثَّالث ينعتونه بإجون المنحوس، وإجون التَّعيس، و(في أغلب الأحيان) بمُهلِك التَّنانين؛ وكلٌّ هذه الأسماء جديرٌ به، في حين يُسمِّيه المِايستر الأكبر مونكن، الذي خدمه لفترةٍ معتبرة من عهده، الملك المكسور، وهو ما يُناسِبه أكثر. من بين جميع الرِّجال الذين جلسوا على العرش الحديدي، ربما يظلُّ هو الأشد غموضًا؛ ملكًا مبهمًا قال قليلًا وفعلَ أقلَّ، وعاشَ حياته غارقًا في الحزن والكآبة.

كان إجون الابن الرَّابع لرينيرا تارجاريَن، وابنها الأكبر من عمِّها وزوجها الثَّاني الأمير ديمون تارجاريَن، وقد جلسَ على العرش الحديدي في عام 131 بعد الفتح، وحكم ستَّةً وعشرين عامًا حتى وفاته بالسُّل في عام 157 بعد الفتح. تزوَّج إجون امرأتيْن وأنجبَ خمسة أولاد (ابنيْن وثلاث بنات)، وإن بدا أنه لم يجد إلَّا قليلًا من السَّعادة سواء أفي الزَّواج أم الأبوَّة. في الحقيقة، كان رجلًا كئيبًا على نحوٍ فريد، فلم يصطد

بالكلاب أو الأبواز، ولم يركب الخيل لغير السَّفر، ولم يشرب أيَّ نوعٍ من النَّبيذ، وكان زاهدًا في الطَّعام لدرجة أنه غالبًا ما توجَّب تذكيره ليأكل. على الرَّغم من أنه سمحَ بإقامة دورات مبارياتٍ فإنه لم يُشارِك فيها لا منافسًا ولا متفرِّجًا، وبعد بلوغه اعتادَ ارتداء ملابس بسيطة سوداء في أغلب الأحيان، واشتهرَ بارتدائه قميصًا من الشَّعر تحت المخمل والحرير اللذين يجب أن يرتديهما الملك.

على كلٍّ، كان ذلك بعد سنواتٍ عديدة، بعد أن بلغَ إجون الثَّالث سنَّ الرُّشد وصار حُكم (الممالِك السَّبع) بيده. في عام 131 بعد الفتح، عندما بدأ عهده، كان صبيًّا في العاشرة، قيلَ إنه طويل القامة بالنِّسبة إلى سنِّه، وذو «شعرٍ فضِّي باهت للغاية بدا أقرب إلى الأبيض، وعينيْن أرجوانيَّتيْن داكنتيْن لدرجة أنهما بدوَتا شبه سوداويْن». حتى في صِباه نادرًا ما ابتسمَ إجون، وكانت ضحكته أندر، كما يقول مشروم، ورغم أنه استطاعَ أن يكون كيِّسًا ومهذَّبًا عند الحاجة، كانت في داخله ظُلمة لم تنقشِع قَطُّ.

كانت الظُّروف التي بدأ فيها الملك الصَّبي فترة حُكمه بعيدةً كلَّ البعد عن الميمونة. لوردات النَّهر الذين دمَّروا جيش إجون الثَّاني الأخير في معركة (طريق الملوك) زحفوا إلى (كينجز لاندنج) مستعدِّين للمعركة، وبدلًا من ذلك انطلقَ اللورد كورلس ڤيلاريون والأمير إجون لمقابلتهم تحت راية سلام، وقال اللورد كورلس وهو يُسلِّمهم المدينة ويضعها تحت رحمتهم: «ماتَ الملك، يحيا الملك».

في ذلك الحين، كما الآن، كان لوردات النَّهر عنيدين مشاكسين. كان كرميت تَلي سيِّد (ريڤررَن) سيِّدهم الأعلى وقائد جيشهم اسمًا... ولكن يجب أن نتذكَّر أن حضرته كان يَبلُغ من العُمر تسعة عشر عامًا

فقط، و«أخضر كعُشب الصَّيف» على حدِّ تعبير الشَّماليِّين. أمَّا أخوه أوسكار، الذي قتلَ ثلاثة رجالٍ خلال الفوضى الموحلة ونُصِّبَ فارسًا في ميدان المعركة بعدها، فكان أينع خُضرةً، وملعونًا بنوعٍ من الكبرياء المغيظة الشَّائعة جدًّا عند الأبناء الثَّانين.

كانت عائلة تَلي فريدةً بين العوائل الكبيرة في (وستروس). إجون الفاتح جعلَهم سادة (الثَّالوث) الأعلون، ولكن في كثيرٍ من الأحيان استمرَّ العديد من حمَلة رايتهم في التَّعتيم عليهم، إذ حكمَ كلٌّ من آل براكن وآل بلاكوود وآل ڤانس مناطق أوسع، واستطاعوا حشد جيوشٍ أكبر بكثير، وكذلك آل فراي أولاد (التوأمتيْن) محدثو النِّعمة، وكان نسب آل ماليستر أولاد (سيجارد) أكرم، وآل موتون أولاد (بِركة العذارى) أثرى كثيرًا، فيما ظلَّت (هارنهال)، حتى وهي ملعونة ومدمرَّة وخربة، قلعةً أشد هيبةً من (ريڤررَن)، ويَبلُغ حجمها عشرة أضعافها. كان تاريخ آل تَلي فاقد التَّميز قد ازداد سوءًا بسبب شخصيَّة سيِّديْهم الأخيريْن فقط... لكن الآلهة دفعَت الآن بجيلٍ أصغر سنًّا من آل تَلي إلى المقدِّمة، شابَّيْن فخوريْن مصمِّميْن على إثبات نفسيهما، اللورد كرميت حاكمًا والسير أوسكار محاربًا.

ركبَ معهما من ضفاف (الثَّالوث) إلى أبواب (كينجز لاندنج) واحد أصغر منهما: بنچيكوت بلاكوود سيِّد (شجرة الغِدفان). كان بِن الدَّموي، كما اعتادَ رجاله مناداته، يَبلُغ من العُمر ثلاثة عشر عامًا فقط، في سنٍّ لا يزال فيها معظم أبناء النُّبلاء مُرافقين، يسوسون خيول سادتهم ويُزيلون الصَّدأ من دروعهم. عندما قُتِلَ والده اللورد ساموِيل بلاكوود على يد السير آموس براكن في معركة الطاحونة المحترقة، انتقلَت إليه اللورديَّة في وقتٍ مبكِّر، وعلى الرَّغم من صِغر سنِّه رفضَ الصَّبي

تفويض السُّلطة إلى رجالٍ أكبر. في طُعمة الأسماك اشتهرَ ببكائه لما رأى منظر القتلى الكثيرين، لكنه لم يُحجِم عن القتال بعد ذلك، بل بالأحرى سعى له. كان رجاله ممَّن ساعَدوا في طرد كريستُن كول من (هارنهال) باصطياد كشَّافته، وقادَ بنچيكوت القلب في معركة (تمبلتون) الثَّانية، وخلال الفوضى الموحلة قادَ هجوم الجناح من الغابة، الذي حطَّم رجال عواصف اللورد باراثيون وربحَ المعركة في النِّهاية. قيلَ إنه في أثناء ارتدائه ملابس البلاط الفاخرة بدا اللورد بنچيكوت صِبيانيًّا للغاية، طويل القامة بالنِّسبة إلى سنِّه ولكن صغير البنية ذا وجهٍ حسَّاس وشخصيَّةٍ خجول متسامحة، أمَّا عند ارتدائه حلقات وصفائح المعدن أصبحَ بِن الدَّموي رجلًا مختلفًا بالكامل، شخصًا رأى من ميادين المعارك في سنِّ الثَّالثة عشرة أكثر ممَّا يرى معظم الرِّجال في حياتهم بأكملها.

بالطَّبع ضمَّ الجيش الذي واجهَه كورلس ڤيلاريون خارج (بوَّابة الآلهة)، في ذلك اليوم في عام 131 بعد الفتح، لوردات وفُرسان مشاهير آخَرين، جميعهم أكبر سنًّا وبعضهم أكثر حكمةً من بِن بلاكوود الدَّموي والأخويْن تَلي، لكن بطريقةٍ ما خرج الشُّبَّان الثَّلاثة من الفوضى الموحلة قادةً لا شكَّ فيهم، وإذ ربطَتهم أواصر المعركة صارَ ثلاثتهم لا ينفصلون أبدًا، لدرجة أن رجالهم بدأوا يُشيرون إليهم جُملةً باسم «الفِتية».

بين أنصارهم كانت امرأتان غير عاديَّتيْن: أليسين بلاكوود المدعوَّة بآلي السوداء، أخت اللورد الرَّاحل سامويل بلاكوود وعمَّة بِن الدَّموي، وسابيثا فراي، سيِّدة (التوأمتيْن) وأرملة اللورد فورست فراي وأمُّ وريثه، «حيزبون حادَّة اللِّسان والملامح وسليلة عائلة ڤايپرن، تُفضِّل الرُّكوب على الرَّقص، وترتدي قميص حلقاتٍ معدنيَّة بدلًا من الحرير، ومغرمة بقتل الرِّجال وتقبيل النِّساء»، وفقًا لمشروم.

عرفَ الفِتية اللورد كورلس ڤيلاريون عن طريق سُمعته فقط، لكن تلك السُّمعة كانت مهيبةً. بعد أن وصلوا إلى (كينجز لاندنج) متوقِّعين أنهم سيحتاجون إلى محاصرتها أو اقتحامها، غمرَتهم البهجة (وإن فُوجِئوا) لتقديم المدينة لهم على طبقٍ من ذهب... ولعلمهم أيضًا بأن إجون الثَّاني ماتَ (ولو أن بنچيكوت بلاكوود وعمَّته عبَّرا عن استيائهما من طريقة موته، فالسُّم عُدَّ سلاح الجُبناء ووسيلةً عديمة الشَّرف). ارتفعَت صيحات سعيدة في الميدان إذ انتشرَ خبر موت الملك، وتقدَّم سيِّد (الثَّالوث) وحلفاؤه واحدًا تلو الآخَر ليركعوا أمام الأمير إجون مهلِّلين له على صيرورته ملكًا عليهم.

فيما ركبَ لوردات النَّهر عبر المدينة هتفَ لهم العامَّة من فوق أسطُح المنازل والشُّرفات، وتسابقَت الفتيات الجميلات ليُمطرن منقذيهن بالقُبلات (كممثِّلين في مسرحيَّةٍ هزليَّة، كما يقول مشروم، موحيًا بأن كلَّ هذا كان من تخطيط لارِس سترونج)، واصطفَّ ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة في الشَّوارع وخفضوا حِرابهم عندما مرَّ بهم الفِتية. داخل (القلعة الحمراء) وجدَ الفِتية جثَّة الملك الميت ممدَّدةً فوق تابوتٍ أسفل العرش الحديدي، وبجانبه والدته الملكة آليسنت تبكي. من تبقَّوا من بلاط إجون تجمَّعوا في القاعة، بينهم اللورد لارِس سترونج الأحنف والمِايستر الأكبر أورْوايل والسير پركين البرغوث ومشروم والسِّپتون إيوستس والسير جايلز بلجريف وأربعة آخَرون من الحرس الملكي، وعدَّة من اللوردات الصِّغار وفُرسان أهل بيته. تحدَّث أورْوايل نيابةً عنهم، مشيدًا بلوردات النَّهر بوصفهم منقذين.

في أماكن أخرى من (أراضي التَّاج) وبطول (البحر الضيِّق) كان الموالون المتبقُّون للملك الميت يستسلمون أيضًا. رسَت السُّفن البراڤوسيَّة

التي حملَت اللورد ليوين كوربراي ونصف القوَّة التي أرسلَتها الليدي آرن من (الوادي) في (وادي الغسق)، فيما رسا النِّصف الثَّاني في (بِركة العذارى) تحت إمرة أخيه السير كوروين كوربراي، ورحَّبت كلتا البلدتيْن بجيشَي آرن بالولائم والزُّهور. (ستوكوورث) و(روزبي) سقطتا دون إراقة دماء، وأنزلَتا تنِّين إجون الثَّاني الذَّهبي واستبدلَتا به تنِّين إجون الثَّالث الأحمر. أمَّا حامية (دراجونستون) فأثبتَت أنها أشد عنادًا، فأغلقَ رجالها بوَّاباتهم وتعهَّدوا بالتَّحدِّي، وقد صمدوا ثلاثة أيامٍ وليلتيْن، ولكن في اللَّيلة الثَّالثة تسلَّح سائسو القلعة وطبَّاخوها وخدمها وثاروا ضدَّ رجال الملك، ذابحين كثيراً منهم وهُم نيام ومسلِّمين الباقين مقيَّدين بالسَّلاسل إلى الشَّاب آلِن ڤيلاريون.

يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن «نشوةً غريبةً» استحوذَت على (كينجز لاندنج)، في حين يقول مشروم ببساطةٍ إن «نصف أهل المدينة كانوا سكارى». سُلِّمَت جثَّة الملك إجون الثَّاني إلى اللَّهب، على أمل أن تحترق جميع ضغائن ومساوئ فترة حكمه مع رُفاته، وصعدَ آلاف (تل إجون العالي) ليسمعوا الأمير إجون يُعلِن أن السَّلام في متناول اليد. خُطِّطَ لحفل تتويج باذخ من أجل الصَّبي، ليتبعه بعدها حفل زفافه والأميرة چهيرا. حلَّقت سحابة من الغِدفان من (القلعة الحمراء) لاستدعاء الموالين المتبقِّين للملك المسمَّم في كلٍّ من (البلدة القديمة) و(المرعى) و(كاسترلي روك) و(ستورمز إند) إلى (كينجز لاندنج) كي يُقدِّموا فروض الطَّاعة والولاء لملكهم الجديد، وقد مُنِحوا مرورًا آمنًا ووُعِدوا بإعفاءاتٍ كاملة. وجدَ حُكَّام المملكة الجُدد أنفُسهم منقسمين حول ما سيفعلونه بالملكة الأرملة آليسنت، لكن فيما عدا ذلك بدوا جميعًا على وفاق، وسادَت الرِّفقة الصَّالحة... نحو أسبوعيْن.

«الفجر الزَّائف». هكذا يُسمِّيه المايستر الأكبر مونكن في (قصَّة حقيقيَّة). كان وقتًا مُسكرًا لا شكَّ، وإن لم يَطُل... إذ بمجرَّد أن وصلَ اللورد كريجان ستارك أمام (كينجز لاندنج) مع شماليِّيه انتهَت الحفلات وتهاوَت المخطَّطات السَّعيدة. كان سيِّد (وينترفل) في الثَّالثة والعشرين، أكبر بسنواتٍ قليلةً من سادة (شجرة الغِدفان) و(ريفررَن)... لكن ستارك كان رجلًا وهُم صِبيةً، وهو ما بدا أن كلَّ مَن رأوهم معًا استشعَروه. يقول مشروم إن الفِتية انكمشوا في حضرته، و«كلَّما دخلَ ذِئب الشَّمال غُرفةً ما تذكَّر بِن الدَّموي أنه في الثَّالثة عشرة، فيما ارتبكَ اللورد تَلي وأخوه وتلعثَما واحمرَّ وجهاهما ليُحاكيا لون شعرهما».

رحَّبت (كينجز لاندنج) بلوردات النَّهر ورجالهم بالولائم والأزهار والتَّكريمات، لكن الحال لم تكن كذلك مع الشَّماليِّين. بدايةً، كانوا أكثر عددًا، جيشهم أكبر مرَّتيْن من الجيش الذي قادَه الفِتية، وذوي سُمعةٍ مخيفة. بقمصانهم المعدنيَّة ومعاطفهم الفرو الخشنة وملامحهم المختبئة خلف لحاهم الكثيفة المتشابكة، تبختَروا عبر المدينة كدببةٍ مدرَّعة عديدة، كما يقول مشروم. معظم ما عرفَه أهل (كينجز لاندنج) عن الشَّماليِّين تعلَّموه من السير مدريك ماندرلي وأخيه السير تورين، وكان الأخوان لبقيْن يتحدَّثان بطلاقةٍ ويرتديان ملابس فاخرةً وحسنَي الانضباط ومتديِّنيْن. يُدوِّن السِّپتون إيوستس مرعوبًا أن رجال (وينترفل) لم يحترموا الآلهة الحقيقيَّة حتى، بل احتقَروا (السَّبعة)، وتجاهَلوا أيام الأعياد، وسخروا من الكُتب المقدَّسة، ولم يُبدوا تقديرًا لأيِّ سِپتون أو سِپتة، وعبدوا الأشجار.

قبل عاميْن قطعَ كريجان ستارك وعدًا للأمير چسيرس، ورغم أن چايس ووالدته ماتا فقد جاءَ ليفي بوعده. عندما رحَّب به كلٌّ من

الأمير إجون واللورد كورلس والفِتية أعلنَ اللورد ستارك: «الشَّمال يتذكَّر». أخبرَه ثُعبان البحر: «جئتَ متأخِّرًا يا سيِّدي، فالحرب انتهَت والملك ماتَ». يُخبرنا السِّپتون إيوستس، الذي وقفَ شاهدًا على اللِّقاء، أن سيِّد (وينترفل) «حدَّق إلى سيِّد المدِّ والجَزر العجوز بعينيْن رماديَّتيْن باردتيْن كعاصفةٍ شتويَّة، وقال: على يد مَن وبأمر مَن يا تُرى؟ فالفُتَّاك الضَّواري هؤلاء ما جاؤوا إلَّا للقتال والدِّماء، كما سيعلم الجميع عمَّا قريب، فيا لحسرتنا».

السِّپتون الصَّالح لم يكن مخطئًا، فقد سُمِعَ اللورد كريجان يقول إن آخَرين بدأوا هذه الحرب، لكنه ينوي أن يُنهيها بالاستمرار في الزَّحف بجيشه جنوبًا وتدمير كلِّ مَن تبقَّى من الخُضر الذين وضعوا إجون الثَّاني على العرش الحديدي وقاتَلوا من أجل أن يُبقوه عليه. سيُخضِع (ستورمز إند) أوَّلًا، ثم يَعبُر (المرعى) ليأخذ (البلدة القديمة)، وفور أن يَسقُط (البُرج العالي) سيأخُذ ذِئابه شمالًا على شواطئ (بحر الغروب) ليزوروا (كاسترلي روك).

– «خطَّة جريئة». هكذا قال المِايستر الأكبر أورْوايل بحذرٍ عندما سمِعَها، أمَّا مشروم فيُفضِّل أن يُسمِّيها «جنونًا»، لكنه يُضيف: «لقد نعتوا إجون التنِّين بالجنون عندما أفصحَ عن نيَّته فتح (وستروس)». حين أشارَ كرميت تَلي إلى أن (ستورمز إند) و(البلدة القديمة) و(كاسترلي روك) قويَّات كـ(وينترفل) قلعة آل ستارك (إن لم يكنَّ أقوى)، وأنهن لن يَسقُطن بسهولة (هذا إذا سقطن من الأساس)، حاكاه بِن بلاكوود الصَّغير وقال: «نصف رجالك سيموتون يا لورد ستارك»، فردَّ ذِئب (وينترفل) ذو العينيْن الرَّماديَّتيْن: «لقد ماتوا يوم زحفنا يا ولد».

مثل ذِئاب الشِّتاء من قبلهم، لم يتوقَّع معظم الرِّجال الذين زحفوا

جنوبًا مع اللورد كريجان ستارك أن يروا ديارهم مجدَّدًا. كانت الثُّلوج عميقةً بالفعل وراء (العُنق)، والرِّيح الباردة تشتدُّ، وفي المعاقل والقلاع والقُرى المتواضعة في جميع أنحاء الشَّمال كان كبير الشأن منهم والصَّغير يتضرَّعون إلى آلهتهم الأشجار المنقوشة أن يكون هذا الشِّتاء قصيرًا. مَن لديهم أفواه أقلُّ يُطعمونهما حالهم أفضل من غيرهم في الأيام الظَّلماء، لذا جرَت العادة في الشَّمال منذ زمنٍ طويل على أن يَترُك العجزة والأبناء الأصغر وغير المتزوِّجين ومَن لا أولاد لهم والمتشرِّدون وفاقدو الأمل كلُّهم الأهل والوطن عند تساقُط أوَّل الثُّلوج، حتى تسنح لأقاربهم فُرصة العيش لرؤية ربيعٍ آخَر. النَّصر كان ثانويًّا عند رجال جيوش الشِّتاء هؤلاء. لقد زحفوا من أجل المجد والمغامرة والغنائم، والأهم من ذلك زحفوا من أجل نهايةٍ جديرة.

مرَّةً أخرى وقعَ على عاتق كورلس ڤيلاريون، سيِّد المدِّ والجَزر، التضرُّع من أجل السَّلام والعفو والصُّلح. قال العجوز: «لقد استمرَّ القتل وقتًا طويلًا. إجون ورينيرا ماتا، فدع صراعهما يموت معهما. تتحدَّث عن أخذ (ستورمز إند) و(البلدة القديمة) و(كاسترلي روك) يا سيِّدي، لكن الرِّجال الذين حكموا هذه المقار قُتِلوا في المعارك، جميعهم. صِبية صغار ورُضَّع يجلسون في مجالسهم الآن، لا يُمثِّلون لنا تهديدًا. امنحهم شروطًا سخيَّةً وسيركعون».

لكن اللورد ستارك لم يكن ميَّالًا إلى الاستماع لكلامٍ كهذا أكثر من إجون الثَّاني والملكة آليسنت، وقد ردَّ: «الصِّبية الصِّغار يغدون رجالًا كبارًا مع الوقت، والطِّفل يرضع كراهية أمِّه مع لبنها. لنقضِ على هؤلاء الأعداء الآن، وإلَّا ندمَ مَن لم يكونوا منا في قبورهم خلال عشرين عامًا على حماقتنا، عندما يشحذ هؤلاء الأطفال سيوف آبائهم ويأتون

ساعين للانتقام».

لم يتأثَّر اللورد ڤيلاريون بكلامه، وقال: «الملك إجون قال الشَّيء نفسه وماتَ بسببه. لو استمعَ لنصيحتنا وعرضَ السَّلام والعفو عن أعدائه فلربما كان جالسًا معنا اليوم».

سألَه سيِّد (وينترفل): «ألهذا سمَّمته يا سيِّدي؟». رغم أن كريجان ستارك لم يكن له تاريخ شخصي مع ثُعبان البحر، جيِّدًا كان أم سيِّئًا، فقد عرفَ أن اللورد كورلس خدمَ رينيرا يدًا، وأنها سجنَته عند اشتباهها في خيانته، وأن إجون الثَّاني أطلقَ سراحه وقبلَ ڤيلاريون مقعدًا في مجلسه... فقط، على ما يبدو، ليُساعِد على جلب نهايته بالسُّم. تابعَ اللورد ستارك: «لا عجب أنك ملقَّب بثُعبان البحر. يُمكنك أن تسعى في هذا الاتِّجاه وذاك، ولكن، أوه، أنيابك سامَّة. إجون كان ناكث عهدٍ وقاتِل أقربين وغاصِبًا، لكنه يظلُّ ملكًا. حين لم يستمِع لنصيحتك الجبانة أزحته كما يفعل الجبان، بلا شرف، بالسُّم... والآن ستُحاسَب على هذا».

ثم اقتحمَ رجال ستارك قاعة المجلس، وجرَّدوا الحُرَّاس عند الباب من أسلحتهم، وجرُّوا ثُعبان البحر المسن من مقعده ورموه في الزَّنازين. هناك سينضمُّ إليه قريبًا كلٌّ من لارِس سترونج الأحنف والمِايستر الأكبر أورْوايل والسير پركين البرغوث والسِّپتون إيوستس، وبجانبهم نصفمئة آخَرون رفيعو النَّسب ووضيعوه ممَّن أعطوا ستارك سببًا للشَّكِّ فيهم. يقول مشروم: «أنا نفسي شعرتُ بإغراءٍ بالعودة إلى برميل الدَّقيق، لكن شكرًا للآلهة أني أصغر حجمًا من أن يُلاحِظني الذِّئب».

حتى الفِتية لم يسلموا من غضب اللورد كريجان، مع أنهم كانوا ظاهريًّا حُلفاءه، إذ وبَّخهم ستارك قائلًا: «أأنتم رُضَّع ملتفُّون بالأقمطة حتى

تُخدعوا بالزُّهور والولائم والكلمات الرَّقيقة؟ مَن أخبرَكم أن الحرب انتهَت؟ الأحنف؟ ثُعبان البحر؟ لماذا؟ لأنهما يتمنَّيان ذلك؟ لأنكم انتصرتم انتصاركم الصَّغير وسط الوحل؟ الحروب تنتهي عندما يركع المهزومون، لا قبل ذلك. هل استسلمَت (البلدة القديمة)؟ هل أعادَت (كاسترلي روك) ذهب التَّاج؟ تتكلَّمون عن تزويج الأمير بابنة الملك، لكنها لا تزال في (ستورمز إند) بعيدةً عن متناولكم. ما دامَت حُرَّةً ولم تتزوَّج فما الذي يمنع أرملة بوروس باراثيون من تتويج الفتاة ملكةً بصفتها وريثة إجون؟».

عندما احتجَّ اللورد تَلي قائلًا إن رجال العواصف هُزِموا ولا قوَّة لديهم لحشد جيشٍ آخَر، ذكَّرهم اللورد كريجان بالمبعوثين الثَّلاثة الذين أرسلَهم إجون الثَّاني عبر (البحر الضيِّق)، «الذين قد يعود أيُّهم غدًا بآلاف المرتزِقة»، وقال الرَّجل الشَّمالي إن الملكة رينيرا اعتقدَت أنها انتصرَت بعد أن استولَت على (كينجز لاندنج)، وإجون الثَّاني ظنَّ أنه أنهى الحرب بإطعام أخته لتنِّينه، ومع ذلك بقيَ رجال الملكة حتى بعدما ماتَت الملكة نفسها و«أضحى إجون رمادًا وعظامًا».

وجدَ الفِتية أنفُسهم أقلَّ قوَّةً وعددًا، وهكذا أذعَنوا وخضعوا ووافَقوا على ضمِّ قوَّاتهم إلى قوَّات اللورد كريجان حين يزحف إلى (ستورمز إند). يقول مونكن إنهم فعلوا ذلك طوعًا، مقتنعين بأن اللورد الذِّئب كان له الحقُّ، ويَكتُب في (قصَّة حقيقيَّة): «كانوا منتشين بنصرهم، وأرادوا المزيد؛ تجوَّعوا لمزيدٍ من المجد، للصِّيت الذَّائع الذي يَحلُم به الشُّبَّان ولا يُمكن أن يُكتسب إلَّا في المعركة». أمَّا مشروم فوجهة نظره أكثر سخريةً، إذ يَزعُم أن اللوردات الشُّبَّان كانوا ببساطةٍ مرعوبين من كريجان ستارك.

كانت النَّتيجة واحدةً. يقول السِّپتون إيوستس: «كانت المدينة مِلكه ليفعل بها ما يشاء. لقد استولى عليها الشَّمالي دون أن يستلَّ سيفًا أو

يُطلِق سهمًا. سواء أكانوا من رجال الملك أم رجال الملكة، من رجال العواصف أم حصان البحر، من رجال لوردات النَّهر أم فُرسان الحواري، من رفيعي النَّسب أم وُضعائه، أذعنَ له الجنود العاديُّون كما لو أنهم وُلِدوا في خدمته».

طوال ستَّة أيَّامٍ ارتعدَت (كينجز لاندنج) على حافة سيف. في محال الأكل والخمَّارات بـ(جُحر البراغيث) وضعَ النَّاس رهاناتٍ على المدَّة التي سيحتفظ فيها الأحنف وثُعبان البحر والبرغوث والملكة الأرملة برؤوسهم، واجتاحَت الشَّائعات المدينة واحدةً تلو الأخرى، بعضها قال إن اللورد ستارك يُخطِّط لأخذ الأمير إجون معه إلى (وينترفل) ليزوِّجه بابنته (إفك واضح، إذ لم تكن لكريجان ستارك ابنة شرعيَّة في ذلك الوقت)، وقالت أخرى إن ستارك ينوي أن يَقتُل الصَّبي ليتزوَّج الأميرة چهيرا ويأخذ العرش الحديدي لنفسه، وأعلنَ السِّبتونات أن الشَّماليِّين سيُحرِقون سِبتات المدينة ويُجبِرون (كينجز لاندنج) على العودة إلى عبادة الآلهة القديمة، وهمسَ آخرون أن لسيِّد (وينترفل) زوجةً همجيَّةً، وأنه يرمي أعداءه في حُفرة ذئابٍ ليُشاهِدهم يُلتهَمون.

تلاشى مزاج النَّشوة، ومرَّةً أخرى حكمَ الخوف شوارع المدينة. رجل ادَّعى أنه الرَّاعي مولودًا من جديد نهضَ من الحواري داعيًا بنزول الهلاك على الشَّماليِّين الكفرة، ومع أنه لم يبدُ كالرَّاعي الأوَّل على الإطلاق (بدايةً، كان له يدان)، توافدَ مئات ليسمعوه يتكلَّم. احترقَ ماخور في (شارع الحرير) عندما نشبَ شجار على عاهرةٍ ما بين أحد رجال اللورد تَلي وآخَر من رجال اللورد ستارك، شجارٌ أحدثَ التحامًا دمويًّا بين أصدقائهم وإخوتهم في السِّلاح. حتى النُّبلاء لم يكونوا آمنين في الأماكن الأقبح من المدينة، فقد اختفى الابن الأصغر للورد هورنوود، أحد حمَلة

راية اللورد ستارك، مع اثنين من رُفاقه وهُم يُعربِدون في (جُحر البراغيث) ولم يُعثَر عليهم قَطُّ، وربما انتهى بهم المطاف في وعاءٍ من البنِّي، والعُهدة على مشروم.

سُرعان ما وصلَت إلى المدينة أخبار تقول إن ليوين كوربراي ترك (بِركة العذارى) وفي طريقه إلى (كينجز لاندنج) برِفقة اللورد موتون واللورد برون والسير رنيفر كراب. غادرَ السير كوروين كوربراي (وادي الغسق) في الوقت ذاته لينضمَّ إلى أخيه في الزَّحف، وركبَ معه كليمنت سلتيجار ابن اللورد المسن بارثموس ووريثه، والليدي ستاونتون أرملة (استراحة الرُّخ). في (دراجونستون) كان الشَّاب آلِن ڤيلاريون يُطالب بالإفراج عن اللورد كورلس (هذا القدر صحيح)، ويُهدِّد بالهجوم على (كينجز لاندنج) بسُفنه إذا تأذَّى العجوز (نصف صحيح). وادَّعت شائعات أخرى أن آل لانستر وآل هايتاور يزحفون بجيوشهم، وأن السير مارستن ووترز رسا بعشرة آلافٍ من المرتزِقة من (لِيس) و(ڤولانتيس القديمة) (غير صحيحٍ بتاتًا)، وأن عذراء (الوادي) أبحرَت من (بلدة النَّوارس) مع الليدي رِاينا تارجاريَن وتنِّينتها (صحيح).

بينما زحفَت الجيوش وشُحِذَت السُّيوف جلسَ اللورد كريجان ستارك في (القلعة الحمراء) يُجري تحقيقاته في اغتيال الملك إجون الثَّاني فيما خطَّط لحملته ضد أنصار الملك الميت المتبقِّين. في أثناء ذلك وجدَ الأمير إجون نفسه محبوسًا في (حصن ميجور) دون أيِّ رفقةٍ باستثناء الصَّبي جيمون ذي الشَّعر الباهت. عندما طالبَ الأمير أن يعرف لماذا لا يتمتَّع بحرِّيَّة الذَّهاب والمجيء، أجابَ ستارك بأن ذلك من أجل سلامته، وأخبرَه اللورد كريجان: «هذه المدينة جُحر أفاعٍ. في هذا البلاط كاذبون ومارِقون ومسمِّمون سيَقتُلونك بسرعةٍ كما قتلُوا خالك ليُؤمِّنوا

سُلطتهم». عندما احتجَّ إجون قائلًا إن اللورد كورلس واللورد لارِس والسير پركين أصدقاء، ردَّ سيِّد (وينترفل) بأن الأصدقاء الزَّائفين أخطر على الملوك من أيِّ عدوٍّ، وأن الثُّعبان والأحنف والبرغوث أنقَذوه ليستغلُّوه فقط، ليتمكَّنوا من حُكم (وستروس) باسمه.

بمعصوميَّة الإدراك الآجِل، نعود الآن عبر القرون ونقول إن الرَّقصة انتهَت، لكن هذا بدا أقلَّ يقينًا لأولئك الذين عاشوا عواقبها المظلمة الخطيرة. بوجود السِّپتون إيوستس والمِايستر أورْوايل في الزَّنازين (حيث بدأ أورْوايل كتابة اعترافاته، النَّص الذي سيُزوِّد مونكن بالأساس الذي سيقوم عليه كتابه (قصَّة حقيقيَّة) بالغ الأهمِّيَّة)، يبقى مشروم فقط ليأخذنا وراء سجلَّات البلاط والمراسيم الملكيَّة. يُعلن المهرِّج في شهادته: «كان اللوردات الكبار ليُعطونا عامَيْن آخرَيْن من الحرب، فيما كانت النِّساء مَن أقَمن السَّلام. آلي السَّوداء، عذراء (الوادي)، الأرامل

الثَّلاث، توأمتا التنّين، هؤلاء اللواتي أَنهَين إراقة الدِّماء، وليس بالسُّيوف أو السُّموم، بل بالغِدفان والكلمات والقُبلات».

البذور التي ألقاها اللورد كورلس ڤيلاريون في الرِّيح خلال الفجر الزَّائف تجذَّرت وأدرَّت ثمارًا شهيَّة، فواحدًا تلو الآخَر عادت الغِدفان حاملةً أجوبةً على عروض السَّلام التي قدَّمها العجوز.

كانت (كاسترلي روك) أوَّل مَن ردَّ. تركَ اللورد چيسون لانستر ستَّة أبناءٍ بعد موته في المعركة: خمس بناتٍ وابنًا واحدًا، لوريون ذا الأربعة أعوام، لذلك انتقلَ حُكم الغرب إلى أرملته الليدي چوهانا ووالدها اللورد رونالد وسترلينج سيِّد (الجرف). مع استمرار سُفن الكراكِن الأحمر في تهديد سواحلها، كانت عائلة لانستر مهتمَّةً بالدِّفاع عن (كايس) واسترجاع (الجزيرة القصيَّة) أكثر من العودة إلى النِّزاع على العرش الحديدي. وافقَت الليدي چوهانا على جميع شروط ثُعبان البحر، واعدةً بأن تأتي بنفسها إلى (كينجز لاندنج) لأداء فروض الولاء والطَّاعة للملك الجديد عند تتويجه، وتسليم اثنتين من بناتها لتكونا رفيقتَيْن للملكة الجديدة (ورهينتَيْن لضمان ولائها في المستقبل)، ووافقَت أيضًا على إعادة تلك الحصَّة من الخزانة الملكيَّة التي أرسلَها السير تايلاند لانستر إلى (كاسترلي روك) لحفظها، شرط أن يُمنَح السير تايلاند عفوًا. في المقابل، طلبَت فقط من العرش الحديدي «أن يأمر اللورد جرايچوي بالعودة إلى جُزره وإعادة (الجزيرة القصيَّة) إلى سادتها الشَّرعيِّين، وإطلاق سراح جميع النِّساء اللواتي أخذهن، أو على الأقل نبيلات المولد منهن».

شقَّ العديد من الرِّجال النَّاجين من معركة (طريق الملوك) طريقهم رجوعًا إلى (ستورمز إند) بعدها. جوعى ومنهكين وجرحى، عمدوا إلى ديارهم وحيدين أو في مجموعاتٍ صغيرة، وما كان على أرملة اللورد

بوروس، الليدي إلندا، إلَّا النَّظر إليهم لتُدرِك أنهم فقدوا رغبتهم في القتال. ولم تُرِد كذلك وضع ابنها حديث الولادة أوليفر في خطر، لأن هذا اللورد الصَّغير الذي يرضع منها كان مستقبل عائلة باراثيون. سُرعان ما وافقَت الليدي إلندا على الشُّروط، مع أنه قيلَ إن ابنتها الكُبرى كاساندرا ذرفَت دموعًا مريرةً عند معرفتها بأنها لن تغدو ملكةً. كتبَت الليدي إلندا أنها لا تزال مرهقةً من المخاض، لذا لن تستطيع المجيء إلى المدينة بنفسها لحضور التَّتويج، لكنها ستُرسِل السيِّد والدها ليُبايِع الملك بدلًا منها، وثلاثًا من بناتها رهائنَ، وسيُرافِقهم السير ويليس فِل بـ«عُهدته الثَّمينة»، الأميرة چهيرا ذات الثَّمان سنوات، آخِر أولاد الملك إجون الثَّاني الأحياء، التي ستُصبِح عروس الملك الجديد.

كانت (البلدة القديمة) آخِر مَن ردَّ. كان آل هايتاور أغنى العوائل الكبيرة التي احتشدَت لنُصرة إجون الثَّاني، وقد ظلُّوا في بعض النَّواحي أخطرها، لقُدرتهم على حشد جيوشٍ جديدة سريعًا من شوارع (البلدة القديمة)، وبسُفنهم الحربيَّة وسفن أقربائهم، آل ردواين أولاد (الكرمة)، كانوا يستطيعون حشد أسطولٍ كبير جدًّا أيضًا. علاوةً على ذلك، لم يزَل رُبع ذهب التَّاج محفوظًا في أقبيتهم تحت (البُرج العالي)، ذهب كان من الممكن استخدامه بسهولةٍ لشراء حُلفاءٍ جُدد واستئجار مرتزِقة. كانت لدى (البلدة القديمة) القُدرة على إعادة شنِّ الحرب، لكن كلَّ ما افتقرَت إليه هو الإرادة.

كان اللورد أورموند قد اتَّخذ زوجةً ثانيةً لتوِّه عندما بدأت الرَّقصة، إذ ماتَت زوجته الأولى قبل أعوامٍ في أثناء الولادة. عند موته في (تمبلتون) ورثَ أراضيه وألقابه ابنه الأكبر لايونل، شاب في الخامسة عشرة على أعتاب البلوغ، وكان ابنه الثَّاني مارتن مُرافقًا للورد ردواين في (الكرمة)،

والثَّالث ربيبًا في (هايجاردن)، رفيقًا للورد تايرل وساقيًا للسيِّدة والدته. كلُّ أبناء اللورد هايتاور كانوا من زواجه الأوَّل. عندما عُرِضَت شروط اللورد ڤيلاريون على لايونل هايتاور، يُقال إن اللورد الشَّاب انتزعَ الرَّق من يد مِايستره ومزَّقه، مقسمًا أن يَكتُب ردَّه بدماء ثُعبان البحر.

على أن أفكارًا أخرى جالَت ببال أرملة السيِّد والده الشَّابة. كانت الليدي سامانثا ابنة اللورد دونالد تارلي سيِّد (هورن هيل) والليدي چين روان ابنة (البستان الذَّهبي)، وكلتا العائلتَيْن حاربَت من أجل الملكة رينيرا خلال الرَّقصة. هذه الفتاة الضَّارية النَّاريَّة الجميلة قويَّة الإرادة لم تكن لديها أيُّ نيَّةٍ للتَّخلِّي عن مكانتها سيِّدةً لـ(البلدة القديمة) و(البُرج العالي). كان لايونل أصغر منها بعامَيْن فقط، و(يقول مشروم) إنه فُتِنَ بها منذ أوَّل مرَّةٍ جاءَت إلى (البلدة القديمة) لتتزوَّج والده. على الرَّغم من أنها صدَّت محاولات الصَّبي التَّقرب إليها في السَّابق، خضعَت الليدي سام (كما ستُعرف لأعوامٍ طويلة) لمحاولاته الآن، سامحةً له بإغرائها أوَّلًا، وواعدةً إيَّاه بالزَّواج به ثانيًا... لكن فقط إذا عقدَ السَّلام، «لأنني بالتَّأكيد سأموتُ حزنًا إذا فقدتُ زوجًا آخَر».

يقول مشروم إن الصَّبي واجهَ خيارًا بين «والدٍ ميت بارد مدفون في الأرض، وامرأةٍ حيَّة دافئة وراغبة بين ذراعيه، وقد أظهر تعقُّلًا مفاجئًا بالنِّسبة إلى واحدٍ نبيل الأصل جدًّا مثله، واختارَ الحُبَّ فوق الشَّرف». استسلمَ لايونل هايتاور موافقًا على جميع الشُّروط التي وضعَها اللورد كورلس، بما فيها إعادة ذهب التَّاج (وهو ما أدَّى إلى غضب ابن عمومته السير مايلز هايتاور، الذي سرقَ جزءًا ليس بقليلٍ من ذلك الذَّهب، ولو أن هذه الحكاية لا تعنينا هنا). اندلعَت فضيحة كُبرى حين أعلن اللورد الشَّاب نيَّته بالزَّواج بأرملة والده، وحرَّج السِّپتون

الأعلى الحاكم الزِّيجة بوصفها شكلًا من أشكال زنى المحارم، ولكن حتى ذلك لم يستطِع التَّفرقة بين هذين العاشقيْن الشَّابّيْن. رافضًا الزَّواج من ثمَّ، أبقى سيِّد (البُرج العالي) وحامي (البلدة القديمة) على الليدي سام بجانبه عشيقةً طيلة الأعوام الثَّلاثة عشر التَّالية، مُنجبًا منها ستَّة أولاد، وأخيرًا متَّخذًا إيَّاها زوجةً حين تولَّى السِّپتون الأعلى الجديد السُّلطة في (السِّپت النَّجمي) ونقضَ قرار سلفه.[23]

دعونا الآن نَترُك (البُرج العالي) ونعود مرَّةً أخرى إلى (كينجز لاندنج)، حيث وجدَ اللورد كريجان ستارك جميع خُططه للحرب أُلغِيَت بواسطة الأرامل الثَّلاث. يقول مشروم: «كانت أصوات أخرى تجعل أنفُسها مسموعةً أيضًا، أصوات ألطف تردَّدت أصداؤها بنعومةٍ عبر قاعات (القلعة الحمراء)». وصلَت عذراء (الوادي) من (بلدة النَّوارس) محضرةً ربيبتها الليدي رِاينا تارجاريَن ومعها تنِّينة على كتفها. عامَّة (كينجز لاندنج)، الذين قتلوا قبل أقلِّ من عامٍ كلَّ تنِّينٍ بالمدينة، طاروا الآن فرحًا لرؤيتهم منظر واحدٍ منها، وأصبحَت الليدي رِاينا وتوأمتها بِايلا حبيبتَي المدينة بين عشيَّةٍ وضحاها. لم يحصرهما اللورد ستارك في القلعة كما فعلَ مع الأمير إجون، وبسرعةٍ عرفَ أنه لن يستطيع التَّحكُّم فيهما أيضًا. عندما طالبَتا بالسَّماح لهما برؤية «أخينا الحبيب» منحَتهما الليدي آرن دعمها، وأذعنَ ذئب (وينترفل) لهما (بنوعٍ من الإكراه، كما يقول مشروم).[24]

---

23 - هذه هي الحكاية كما يرويها مشروم على الأقل، أمَّا (قصَّة حقيقيَّة) فيعزو تغيير اللورد لايونل رأيه إلى سببٍ مختلف. يجب تذكُّر أن آل هايتاور، مهما بلغوا من القوَّة والثراء، كانوا حمَلة راية مقسمين على الولاء لآل تايرل أولاد (هايجاردن)، حيث كان جارموند شقيق حضرة اللورد وصيفًا. لم يُشارِك آل تايرل بأيِّ دورٍ في الرَّقصة (إذ كان يَحكُمهم لورد صغير في القِماط)، لكنهم تحرَّكوا أخيرًا من مكانهم مانعين اللورد لايونل من حشد جيشٍ أو الذَّهاب إلى الحرب دون إذنهم، وإذا عصى أوامرهم فسيدفع أخوه ثمن العصيان بحياته... إذ إن كلَّ ربيبٍ رهينة أيضًا، كما قال رجل حكيم ذات مرَّة، أو هكذا يجزم المِايستر الأكبر مونكن. (المؤلِّف).

24 - لم يجرِ اللِّقاء كما أملَت التَّوأمتان، إذ شحبَ وجه الأمير لمرأى تنِّينة رِاينا، مورننج، وأمرَ الشَّماليِّين الذين يحرُسونه بأن يأخذوا «هذا المخلوق القذر بعيدًا عن ناظريَّ». (المؤلِّف).

الفجر الزَّائف حلَّ وراحَ، والآن ساعة الذِّئب (كما يُسمِّيها المِايستر الأكبر مونكن) كانت تُداني نهايتها أيضًا. كان كلا الوضع والمدينة يفلتان من بين يدَي كريجان ستارك. عندما وصلَ اللورد ليوين كوربراي وأخوه إلى (كينجز لاندنج)، وضمَّا صوتيْهما إلى الليدي آرن والفِتية، وجدَ ذِئب (وينترفل) نفسه غالبًا على خلافٍ معهم جميعًا. هنا وهناك في أنحاء المملكة كان بعض الموالين العنيدين ما زالوا يرفعون تنِّين إجون الثَّاني الذَّهبي، لكنهم لم يُمثِّلوا إلَّا القليل من الخطورة. اتَّفق الآخَرون كلُّهم على أن الرَّقصة انتهَت، وقد حانَ الوقت لإقامة السَّلام وإصلاح البلاد.

على أن اللورد كريجان ظلَّ معاندًا في نقطةٍ واحدة: يجب ألَّا يفلت قتَلة الملك من العقاب. مهما كان الملك إجون الثَّاني غير جدير، ظلَّ اغتياله خيانةً عُظمى، والمسؤولون عنها يجب أن يُعاقَبوا. كان أسلوبه قاسيًا جدًّا لا يتزحزَح حتى إن الآخَرين ما كان لهم غير أن يخضعوا له. قال كرميت تَلي: «ليكن هذا على مسؤوليَّتك يا ستارك. لا أريدُ أن أشارك بأيِّ دورٍ في هذا، لكني لن أسمح بأن يُقال إن (ريڤررَن) اعترضَت طريق العدالة».

لم يكن لأيِّ لورد حقُّ الحُكم على لورد آخَر بالإعدام، لذا كان ضروريًّا أوَّلًا أن يجعل الأمير إجون اللورد ستارك يد الملك، ويمنحه كامل السُّلطة ليتصرَّف باسمه. وقد كان. فعلَ اللورد كريجان الباقي كلَّه فيما تنحَّى الآخرون جانبًا. لم يتجرَّأ على الجلوس على العرش الحديدي، بل جلسَ على أريكةٍ خشبيَّة متواضعة أسفله، وواحدًا تلو الآخَر أُحضِرَ المشتبَه بلعبهم دورًا في تسميم الملك إجون الثَّاني أمامه.

كان السِّپتون إيوستس أوَّل من أُحضِرَوا، وأيضًا أوَّل من أُفرِجَ عنهم، إذ لم يُوجَد أيُّ دليلٍ ضدَّه. أمَّا المِايستر الأكبر أورْوايل فكان أسوأ

حظًّا، إذ اعترفَ قبل ذلك تحت التَّعذيب بأنه أعطى الأحنف السُّمَّ. احتجَّ أورْوايل دفاعًا عن نفسه قائلًا: «يا سيِّدي، لم أكن أعرفُ ما كان سيُستخدَم فيه»، فردَّ اللورد ستارك: «ولم تسأل حتى، لأنك لم تُرِدِ أن تعرف». عُدَّ المِايستر الأكبر مشاركًا في الجريمة، وحُكِمَ عليه بالموت.

وحُكِمَ على السير جايلز بلجريف بالموت أيضًا. إن لم يكن هو نفسه من وضعَ السُّمَّ في نبيذ الملك، فقد سمحَ لذلك بالحدوث إمَّا بالإهمال وإمَّا بالغفلة المقصودة. أعلنَ ستارك: «عندما يموت الملك مقتولًا يجب ألَّا يعيش فارس الحرس الملكي بعده». كان ثلاثة من إخوة بلجريف المحلَّفين حاضرين عند مقتل الملك إجون وأدينوا سواسيةً، وإن لم يُمكن إثبات تواطؤهم في المؤامرة (رجال الحرس الملكي الثَّلاثة الذين كانوا خارج المدينة حُكِمَ ببراءتهم).

اثنان وعشرون شخصًا أقل شأنًا اكتُشِفَت مشاركتهم في مقتل الملك إجون، منهم حاملو هودج جلالته، وأيضًا حاجب الملك، وحافظ أقبية النَّبيذ الملكيَّة، وخادم كانت وظيفته التَّأكُّد من أن إبريق الملك ممتلئ دومًا. حُكِمَ عليهم جميعًا بالموت، وبالمثل الرِّجال الذين قتلوا أومِت ذوَّاق الملك (مشروم نفسه قدَّم دليلًا ضدَّهم)، إلى جانب المسؤولين عن مقتل توم المتهتِه وإغراق والده بالمِزر. كان معظم هؤلاء فُرسان حوارٍ ومرتزِقة، ورجالًا مسلَّحين ليسوا تحت إمرة أحد، وحُثالة شوارع منحَهم فُروسيَّتهم المشكوك فيها السير پركين البرغوث خلال الاضطرابات. عن آخِرهم أصرَّوا أنهم تصرَّفوا بأوامر من السير پركين.

في ذنب البرغوث لا ريب على الإطلاق. قال اللورد كريجان: «المارِق مرَّةً مارِقٌ للأبد. لقد تمرَّدت على ملكتك الشَّرعيَّة وساعدت على طردها من هذه المدينة لتلقى حتفها، ونصَّبت مُرافقك مكانها، ثم

تخلَّيت عنه لتحمي نفسك عديمة القيمة من العقاب. ستكون البلاد مكانًا أفضل من دونك». عندما اعترضَ السير پركين قائلًا إنه تلقَّى عفوًا في جرائمه هذه، ردَّ كريجان ستارك: «ليس مني».

الرِّجال الذين اعتقَلوا الملكة الأرملة على السَّلالم الملتفَّة كانوا يضعون شارة حصان البحر رمز عائلة ڤيلاريون، أمَّا مَن حرَّروا الليدي بِايلا تارجاريَن من أسرها فخدموا اللورد لارِس سترونج. آسرو الملكة آليسنت قتلوا حُرَّاسها، وبالتَّالي حُكِمَ عليهم بالموت، لكن تذرُّعًا حارًّا من بِايلا تارجاريَن نفسها أنقذَ محرِّريها من مصيرٍ مشابه، ولو أنهم لوَّثوا سيوفهم بالدِّماء بقتلهم رجال الملك الذين حرسوا بابها. يُخبرنا مشروم: «ولا حتى بُكاء تنِّينٍ كان ليُذيب قلب كريجان ستارك المتجمِّد، كما قال النَّاس عن استحقاق، ولكن لما لوَّحت الليدي بِايلا بسيفٍ مهدِّدةً وأعلنَت أنها ستقطع يد أيِّ رجلٍ يُحاوِل أذيَّة الرِّجال الذين أنقذوها، ابتسمَ سيِّد (وينترفل) على مرأى من الجميع، وقال إنه إذا كانت حضرة الليدي مولعةً بهؤلاء الكلاب فسيسمح لها بالاحتفاظ بهم».

آخِر من واجه حُكم الذِّئب -كما يدعو مونكن هذه المحاكمات في (قصَّة حقيقيَّة)- كان اللوردان الكبيران في قلب المؤامرَّة: لارِس سترونج الأحنف سيِّد (هارنهال)، وكورلس ڤيلاريون، ثُعبان البحر، عميد (دريفتمارك) وسيِّد المدِّ والجزر.

لم يُحاوِل اللورد ڤيلاريون أن يُبرِّئ نفسه، وقال العجوز: «ما فعلتُه فعلتُه لصالح البلاد، وإن اضطررتُ فسأفعله ثانيةً. كان يجب أن ينتهي الجنون». أمَّا اللورد سترونج فأثبتَ أنه أقلُّ استجابةً. أدلى المِايستر الأكبر أورْوايل بشهادةٍ قائلًا إنه هو مِن أعطى السُّمَّ لحضرة اللورد، وأقسمَ السير پركين البرغوث أنه كان رجل الأحنف، ويتصرَّف بالكامل

بأوامره، لكن اللورد لارِس لم يُؤَكِّد هذه الاتِّهامات أو ينفِها، وعندما سأله اللورد ستارك إذا كان لديه شيء يقوله دفاعًا عن نفسه، لم يقل إلَّا: «منذ متى تُؤثِّر الكلمات في مشاعر ذِئب؟». وهكذا أعلنَ كريجان ستارك، يد الملك غير المتوَّج، أن اللورديْن ڤيلاريون وسترونج مذنبان بالاغتيال وقتل الملك والخيانة العُظمى، وحكَمَ بوجوب دفعهما ثمن جرائمهما بحياتيْهما.

دائمًا كان لارِس سترونج رجلًا يمضي في طريقه الخاص، ويحتفظ بنيَّاته لنفسه، ويُبدِل ولاءه كما يُبدِّل رجال آخَرون معاطفهم. فور أن أُدينَ أمسى لارِس بلا أصدقاء، ولم يرتفع ولو صوت واحد دفاعًا عنه. لكن الحال اختلفَت تمامًا مع كورلس ڤيلاريون، فقد كان لثُعبان البحر العجوز العديد من الأصدقاء والمعجبين. حتى بعض الرِّجال الذين قاتَلوا ضدَّه خلال الرَّقصة تحدَّثوا دفاعًا عنه الآن... بعضهم فعلَها بدافع العاطفة نحو الرَّجل العجوز لا شكَّ، وآخَرون بدافع قلقهم مما قد يفعله وريثه الشَّاب آلِن إذا أُعدِمَ جدُّه (أو والده) الحبيب. عندما أثبتَ اللورد ستارك أنه لن يتنازَل بتاتًا، التجأ البعض إلى مراوغته عن طريق مناشدة الشَّخص الذي سيُصبِح الملك: الأمير إجون نفسه. أبرز هؤلاء أختاه غير الشَّقيقتيْن بِايلا ورِاينا، اللَّتان ذكَّرتا الأمير بأنه كان ليخسر أُذنًا وربما أكثر لو لم يفعل اللورد كورلس ما فعلَه. تقول (شهادة مشروم): «الكلام هواء، لكن الهواء القويَّ يُمكنه أن يُزعزِع أشجار السِّنديان الهائلة، وهمسات الفتيات الحسناوات قادرة على تغيير مصير ممالك». لم يُوافِق إجون على الإبقاء على حياة ثُعبان البحر فقط، بل تمادى لدرجة أنه أعادَ إليه مناصبه وألقابه، ومن ضمنها مقعد بالمجلس الصَّغير.

على أن الأمير كان في العاشرة من العُمر فقط، ولم يغدُ ملكًا بعدُ. بلا

تاجٍ وبلا تمريخٍ بالزُّيوت المقدَّسة ملكًا، لم تحمل قرارات جلالته أيَّ تأثيرٍ قانونًا، وحتى بعد تتويجه سيبقى خاضعًا لوصيٍّ أو مجلس وصايةٍ إلى أن يَبلُغ السَّادسة عشرة، وبالتَّالي لتصرُّف اللورد ستارك في حدود حقوقه تمامًا إذا لم يُعِر أوامر الأمير اهتمامًا ومضى قُدمًا في مسألة إعدام كورلس ڤيلاريون. لكن ستارك اختارَ ألَّا يفعل ذلك، وهو قرار أثارَ اهتمام الباحثين وفضولهم منذ ذلك الحين. يقترح السِّپتون إيوستس أن «(الأم) حرَّكت مشاعر الرَّحمة فيه في تلك اللَّيلة»، على الرَّغم من أن اللورد ستارك لم يَعبُد (السَّبعة). ويقترح إيوستس علاوةً على ذلك أن الشَّماليَّ كان عازفًا عن استفزاز آلِن ڤيلاريون، خائفًا من قوَّته في البحر، لكن هذا يبدو متعارضًا تمامًا مع ما نعرفه عن شخصيَّة ستارك. ما كانت حرب جديدة لتُخيفه، وبالفعل بدا في بعض الأوقات أنه يسعى لها.

مشروم هو مَن يُزوِّدنا بالتَّفسير الأجلى لرحمة ذِئب (وينترفل) المفاجئة هذه. يدَّعي المهرِّج أن كلام الأمير ليس مَا جعله يعدل عن قراره، ولا التَّهديد الكبير من أساطيل آل ڤيلاريون، ولا حتى توسُّلات التَّوأمتيْن بِايلا ورِاينا، بل صفقة عقدَها مع الليدي أليسين سليلة عائلة بلاكوود.

يقول القزم: «مخلوقةً نحيلةً فارعةً كانت هذه الفتاة، رفيعةً كسوطٍ ومستوية الصَّدر كصبي، ولكن طويلة السَّاقيْن وقويَّة الذِّراعيْن، ذات شعرٍ أسود كثيف يتخطَّى خصرها عندما يسترسِل». كانت آلي السَّوداء صيَّادةً ومروِّضة خيلٍ ورامية سهامٍ بلا نظير، وتحلَّت بالقليل من نعومة المرأة. ظنَّ البعض أنها من شاكلة سابيثا فراي نفسها، لأن كلتيهما كانت عادةً في صُحبة الأخرى، وعُرِفَتا بتشارُكهما خيمةً واحدةً في أثناء الزَّحف. لكن في (كينجز لاندنج)، فيما رافقَت آلي بنچيكوت ابن أخيها في البلاط والمجلس، التقَت كريجان ستارك وأُعجِبَت بالشَّماليِّ

الصَّارم.

وردَّ اللورد كريجان، الذي كان أرمل آخِر ثلاث سنوات، الإعجاب بالإعجاب. رغم أن آلي السَّوداء لم تكن ملكة حبٍّ وجمالٍ عند أيِّ رجل، عزفَت شجاعتها وقوَّتها العنيدة ولسانها السَّليط على وترٍ حسَّاس في قلب سيِّد (وينترفل)، الذي سُرعان ما أصبحَ يسعى لصُحبتها في القاعات والسَّاحات. «رائحتها كرائحة الدُّخان المنبعث من الحطب، لا كالأزهار». هكذا أخبرَ ستارك اللورد سروين، الذي قيلَ إنه أعزُّ أصدقائه.

وهكذا حين أتَته الليدي أليسين طالبةً التزام قرار الأمير، أصغى لها، ويُزعَم أن اللورد ستارك سألَها عندما قدَّمت تذرُّعها: «ولِمَ أفعلُ ذلك؟».

أجابَت: «من أجل البلاد».

- «أفضل للبلاد أن يموت الخونة».

- «فمن أجل شرف أميرنا».

- «الأمير طفل. ما كان يجب أن يتدخَّل في هذا. إنه ڤيلاريون مَن لوَّث شرف الأمير، لأنه سيُقال الآن وحتى آخِر الزَّمان إنه ارتقى عرشه عن طريق القتل غدرًا».

قالت الليدي أليسين: «فمن أجل السَّلام إذًا، من أجل كلِّ الذين سيموتون بالتَّأكيد إذا سعى آلِن ڤيلاريون للانتقام».

- «ثمَّة طرائق أسوأ للموت. الشِّتاء حلَّ يا سيِّدتي».

- «من أجلي إذًا. امنحني هذه الهبة ولن أطلب أخرى أبدًا. افعل هذا وسأعلمُ أنك حكيم بقدر ما أنت قوي، لطيف بقدر ما أنت

مهيب. امنحني هذا وسأمنحك أيًّا كان ما تختار أن تَطلُبه مني».

يقول مشروم إن اللورد كريجان عبسَ لهذا، وسألَها: «ماذا إذا طلبت منكِ عُذريَّتكِ يا سيِّدتي؟».

أجابَت: «لا يُمكنني أن أعطيك ما لا أملكه يا سيِّدي. لقد فقدتُ عُذريَّتي على السَّرج عندما كنتُ في الثَّالثة عشرة».

- «قد يقول البعض إنكِ أهدرتِ على حصانٍ هديَّةً كان يجب أن تنتمي حقًّا لزوجكِ المستقبلي».

ردَّت آلي السَّوداء: «البعض حمقى، وقد كانت فَرسًا رائعةً، أروع من معظم الأزواج الذين رأيتهم».

سرَّ جوابها اللورد كريجان، الذي ضحكَ بصوتٍ عالٍ وقال: «سأحاولُ تذكُّر هذا يا سيِّدتي. نعم، سأمنحكِ الهبة التي تَطلُبينها».

سألَته أليسين: «وبالمقابل؟».

قال سيِّد (وينترفل) بجدِّيَّة: «كلُّ ما أطلبه هو أنتِ، كلُّ شيءٍ فيكِ، للأبد. أطلبُ يدكِ للزَّواج».

- «يدٌ مقابل رأس». قالتها آلي السَّوداء مبتسمةً ابتسامةً عريضةً... إذ يقول مشروم إن هذه كانت نيَّتها طوال الوقت. «ليكن». وقد كان.

طلعَ صباح يوم الإعدام غائمًا رطبًا. كلُّ الذين حُكِمَ عليهم بالموت جُلِبوا مكبَّلين بالسَّلاسل من الزَّنازين إلى ساحة (القلعة الحمراء) الخارجيَّة، وهناك أُجبِروا على الرُّكوع فيما شاهدَ الأمير إجون وبلاطه.

بينما قادَ السِّبتون إيوستس المدانين في الصَّلاة، متوسِّلًا إلى (الأُم) أن ترحم أرواحهم، بدأ المطر يهطل. يقول مشروم: «أمطرَت السَّماء بغزارةٍ

وظلَّ إيوستس يُطَنطِن طويلًا لدرجة أننا بدأنا نخشى أن يغرق السُّجناء قبل قطع رؤوسهم». أخيرًا انتهَت الصَّلاة، واستلَّ اللورد كريجان ستارك (جليد)، السيف القاليري العظيم الذي كان مفخرة عائلته، وقد حملَه بنفسه لأن تقاليد الشَّمال الهمجيَّة تنصُّ على أن الرَّجل الذي يُصدِر الحُكم عليه أن يضرب بالسَّيف، حتى تكون الدِّماء على يديه وحده.

سواء أكان لوردا كبيرًا أو جلَّادًا عاديًّا، نادرًا ما واجه أيُّ رجلٍ إعداماتٍ بالكثرة التي واجهَها كريجان ستارك في ذلك الصَّباح تحت المطر. لكن المسألة انتفَت في لمح البصر، إذ سحبَ المدانون قُرعةً ليروا مَن سيكون أوَّل مَن يموت، ووقعَ الاختيار على السير پركين البرغوث. عندما سألَ اللورد كريجان ذلك المارِق الماكر إذا كانت لديه كلمات أخيرة، أعلنَ السير پركين أنه يرغب في ارتداء الأسود. ربما وافقَ لورد

جنوبي على طلبه وربما رفضَه، لكن آل ستارك أولاد الشَّمال، حيث يُنظَر إلى احتياجات حرس اللَّيل بكلِّ تقدير.

وعندما أمرَ اللورد كريجان رجاله بسحب پركين ليقف على قدميه، رأى السُّجناء الباقون الطَّريق إلى الخلاص، وردَّدوا طلب البرغوث. يقول مشروم: «بدأوا كلُّهم يزعقون فورًا كجوقة سكارى يجأرون بأغنيةٍ لا يَذكُرون إلَّا نصف كلماتها»، وفجأةً أبدى كلٌّ من فُرسان الحواري والرِّجال المسلَّحين وحاملي الهودج والخدم والحُجَّاب وحافظ أقبية النَّبيذ الملكيَّة وثلاثة فُرسان الحرس الملكي رغبةً عظيمةً في الدِّفاع عن (الجِدار). حتى المِايستر الأكبر أورْوايل انضمَّ إلى الجوقة اليائسة، وهو أيضًا عُفِيَ عنه، ذلك أن حرس اللَّيل يحتاجون إلى رجالٍ متعلِّمين بقدر حاجتهم إلى رجالٍ مقاتلين.

ماتَ رجلان فقط في ذلك اليوم، أحدهما السير جايلز بلجريف فارس الحرس الملكي. على عكس إخوته المحلَّفين، رفضَ السير جايلز أن يستبدل بمعطفه الأبيض واحدًا أسود، إذ قال عندما حانَ دوره: «لم تكن مخطئًا يا لورد ستارك. لا ينبغي أن يحيا فارس الحرس الملكي بعد موت مليكه»، ثم هوى اللورد كريجان بضربةٍ سريعة واحدة من سيفه (جليد) كانت كفيلةً ببتر رأسه.

تالي (وآخِر) مَن ماتا كان اللورد لارِس سترونج. حين سُئِلَ إن كان يرغب في ارتداء الأسود أجابَ: «لا يا سيِّدي، سأذهبُ إلى جحيمٍ أدفأ بعد إذنك... لكن لي طلبًا أخيرًا. بعد موتي اقطع قدمي الحنفاء بسيفك العظيم ذاك. لقد جررتها معي طوال حياتي، فدعني أتحرَّرُ منها في الموت على الأقل»، فلبَّى له اللورد ستارك هذا الطَّلب.

وهكذا هلكَ آخِر فردٍ من آل سترونج، وانقرضَت بذلك عائلة أبيَّة

عتيقة. سُلِّمَ رُفات اللورد لارِس إلى الأخوات الصَّامتات، وبعد سنواتٍ ستجد عظامه طريقها إلى مثواها الأخير في (هارنهال)... باستثناء قدمه الحنفاء، التي قضى اللورد ستارك أن تُدفَن منفردةً في مقبرةٍ للفُقراء والمجهولين، ولكن قبل أن يَحدُث ذلك اختفَت القدم. يُخبرنا مشروم أنها سُرِقَت وبيعَت إلى ساحرٍ ما استخدمَها في إلقاء تعاويذه. (القصَّة ذاتها تُروى عن القدم المجتثَّة من ساق الأمير چوفري في (جُحر البراغيث)، وهو ما يُثير الشُّكوك في دقَّة القصَّتيْن، إلَّا إذا كان من المفترض أن نُصدِّق أن الأقدام كلَّها تتمتَّع بقُوى خبيثةً).

عُلِّقَ رأسا اللورد لارِس سترونج والسير جايلز بلجريڤ على جانبَي بوَّابات (القلعة الحمراء)، وأعيدَ المدانون الآخَرون إلى زنازينهم ليقبعوا فيها إلى حين الانتهاء من ترتيبات إرسالهم إلى (الجِدار). لقد كُتِبَ السَّطر الأخير في تاريخ عهد الملك إجون تارجاريَن الثَّاني الفظيع.

انتهَت خدمة كريجان ستارك الوجيزة يدًا للملك غير المتوَّج في اليوم التَّالي، حين أعادَ سلسلة منصبه إلى الأمير إجون. كان من السَّهل على كريجان ستارك أن يظلَّ يد الملك لأعوام، بل وأن يتولَّى الوصاية حتى بلوغ إجون سنَّ الرُّشد، غير أنه لم يكن يعبأ بالجنوب. أعلنَ اللورد ستارك: «الثُّلوج تَسقُط في الشَّمال، ومكاني في (وينترفل)».

تحت حُكم الأوصياء

حضرة اليد المقلنَس

تنازلَ كريجان ستارك عن منصب يد الملك وأعلنَ نيَّته العودة إلى (وينترفل)، ولكن قبل انصرافه من الجنوب واجهَته معضلةٌ شائكة.

كان اللورد ستارك قد زحفَ جنوبًا بجيشٍ عظيم، جزءٌ كبير منه تكوَّن من رجالٍ لا رغبة فيهم ولا حاجة إليهم في الشَّمال، رجالٍ ستجلب عودتهم إلى الوطن معاناةً كُبرى وربما الموت للأحبَّة الذين خلَّفوهم. تُخبرنا الأسطورة (ومشروم كذلك) أن الليدي أليسين كانت مَن اقترحَ الحلَّ، إذ ذكَّرت اللورد ستارك بأن الأراضي بطول نهر (الثَّالوث) تعجُّ بالأرامل، نساءٍ كثيرات منهنَّ على عواتقهنَّ أطفال صغار، النِّساء اللاتي أرسلن أزواجهنَّ إلى القتال مع هذا اللورد أو ذاك، فقط ليَسقُطوا في المعركة، ومع دخول الشِّتاء ستلقى الكواهل القويَّة والأكفُّ القادرة ترحيبًا في العديد من الدِّيار.

في النِّهاية رافقَ أكثر من ألفٍ من الشَّماليِّين آلي السَّوداء واللورد بنچيكوت ابن أخيها حين عادا إلى (أراضي النَّهر) بعد الزِّفاف الملكي.

قال مشروم مازحًا: «ذئبٌ لكلِّ امرأة. سيُدفِئ فِراشها شتاءً، ويقضم عظامها بحلول الرَّبيع». على أن مئاتٍ من الزِّيجات تمَّت في المناسبات المسمَّاة بمَعارض الأرملة، التي أقيمَت في (شجرة الغِدفان) و(ريڤرزَن) و(السِّپت الحجري) و(التَّوأمتيْن) و(السُّوق القصيَّة)، أمَّا الشَّماليُّون الذين لم يرغبوا بالزَّواج فقد تعهَّدوا بسيوفهم بدلًا من ذلك للورداتٍ كبار وصغار ليخدموهم حرسًا وأجنادًا. من المحزن القول إن قلَّةً منهم انقلبَت إلى الإجرام ولاقَت نهاياتٍ تعيسةً، ولكن مع الأكثريَّة حقَّقت وساطات الليدي أليسين نجاحًا مبهرًا، فهؤلاء الشَّماليُّون الموطَّنون لم يُساهِموا في تقوية جانب لوردات النَّهر الذين رحَّبوا بهم وحسب، خاصَّةً آل تَلي وآل بلاكوود، بل ساعَدوا أيضًا على إحياء عبادة الآلهة القديمة ونشرها جنوب (العُنق).

شماليُّون آخَرون اختاروا البحث عن حياةٍ وثرواتٍ جديدة عبر (البحر الضيِّق). بعد بضعة أيامٍ من تنازُل اللورد ستارك عن منصب اليد، رجعَ السير مارستن ووترز وحيدًا من (لِيس) حيث أُرسِلَ لاستئجار مرتزِقة، وقبلَ بسرورٍ العفو الممنوح له في جرائمه السَّابقة، وأبلغَ عن انهيار الحِلف الثُّلاثي. على شفا الحرب، كانت (البنات الثَّلاث) في سعيٍ محموم لتوظيف الجماعات الحُرَّة بسرعة تشكيلها، وبأجورٍ باذخة لا أمل له في مضاهاتها. رأى العديد من رجال اللورد كريجان الشَّماليِّين في ذلك فُرصةً سانحةً. لماذا العودة إلى ديارٍ محكومة بالشِّتاء للتَّجمُّد بردًا أو الموت جوعًا في حين يُوجَد ذهب يُمكن أن يحوزه المرء عبر (البحر الضيِّق)؟ ونتيجةً لذلك لم تُنشأ جماعة حُرَّة واحدة بل اثنتان: قطيع الذِّئاب، بقيادة هاليس هورنوود الملقَّب بهال المجنون وتيموتي سنو نغل (إصبع فلينت)، شُكِّلَت بالكامل من الشَّماليِّين، في حين ضمَّت داحرو العواصف، بتمويل السير أوسكار تَلي وقيادته، رجالًا من كلِّ

أقطار (وستروس).

وبينما كان أولئك المغامرون يتهيَّؤون لمغادرة (كينجز لاندنج)، توافدَ آخَرون عليها من كلِّ جهةٍ على وجه المعمورة لأجل تتويج الأمير إجون وحضور الزِّفاف الملكي. من الغرب جاءَت الليدي چوهانا لانستر مع والدها رولاند وسترلينج سيِّد (الجُرف)، ومن الجنوب قدمَ أربعون من آل هايتاور أولاد (البلدة القديمة)، يقودهم اللورد لايونل وأرملة والده الليدي سامانثا الجليلة. رغم منعهما من الزَّواج كانت العاطفة بينهما قد شاعَت واشتهرَت بين النَّاس وقتها، وقد حدَثت مخزاة عظيمة كهذه بالسِّپتون الأعلى إلى رفض السَّفر معهما، ليصل بعد ثلاثة أيامٍ رِفقة اللوردات ردواين وكوستاين وبيزبوري.مكتبة سُر مَن قرأ

بقيَت الليدي إلندا، أرملة اللورد بوروس، في (ستورمز إند) مع طفلها الرَّضيع، لكنها أرسلَت بناتها كاساندرا وإيلين وفلوريس بدلًا منها ممثِّلاتٍ عن عائلة باراثيون. (أمَّا ماريس، رابعة بنات بوروس، فيُبلِغنا السِّپتون إيوستس أنها انضمَّت إلى الأخوات الصَّامتات، ويرد في رواية مشروم أن هذا حدثَ بعد أن أمرَت السيِّدة والدتها بقطع لسانها، لكن تلك التَّفصيلة المنفِّرة بالإمكان دحضها بسهولة، ذلك أن الاعتقاد السَّائد عن أن الأخوات الصَّامتات بلا ألسنةٍ خُرافة محضة، فالتَّقوى وحدها هي ما يُبقيهنَّ صامتات، لا الكمَّاشات السَّاخنة). رافقَ والد الليدي باراثيون، اللورد رويس كارون سيِّد (التَّغريدة) ومُشير (التُّخوم)، الفتيات إلى المدينة، حيث سيبقى ملازمًا لهنَّ بصفته وليِّهن الحامي.

رسا آلِن ڤيلاريون أيضًا، وعادَ الأخوان ماندرلي مرَّةً أخرى من (الميناء الأبيض) رِفقة مئة فارسٍ يرتدون معاطف خضراء مزرقَّةً. وحتى من وراء (البحر الضيِّق) جاؤوا، من (براڤوس) و(پنتوس)، ومن كلِّ (البنات

الثَّلاث)، ومن (ڤولانتيس القديمة). ومن (جُزر الصَّيف) ظهرَ ثلاثة أمراء طوال القامة سُود البشرة بمعاطفهم الرِّيش التي كانت فخامتها أعجوبةً للنَّاظرين. سُرعان ما امتلأ كلُّ خانٍ واسطبلٍ في (كينجز لاندنج)، فيما قامَت خارج الأسوار مدينة من الخيام والسُّرادقات لمن لم يستطيعوا أن يجدوا مكانا يُقيمون فيه. يدَّعي مشروم وفرةً من حفلات السُّكر والعربدة، في حين يَذكُر السِّپتون إيوستس وفرةً من الصَّلوات والصِّيام والأعمال الصَّالحة. امتلأت جيوب أصحاب الخانات بالمدينة وغدوا سُعداء لفترة، والأمر كذلك مع عاهرات (جُحر البراغيث) وأخواتهنَّ في الدُّور الفاخرة بطول (شارع الحرير)، ولو أن العامَّة اشتكوا من الضَّوضاء والرَّوائح القذرة.

علقَ جوٌّ يائس هشٌّ من الصُّحبة الإجباريَّة فوق (كينجز لاندنج) في الأيَّام السَّابقة للزِّفاف، إذ كان كثيرون من المتزاحمين المتلاصقين في الخمَّارات ومحال الأكل بالمدينة قد قاتَلوا في صفَّيْن مختلفيْن في ميادين المعارك قبل عام. يقول مشروم: «إذا كان الدَّم لا يُغسَل إلَّا بالدَّم، فـ(كينجز لاندنج) كانت مليئةً بغير المغتسلين». ورغم ذلك وقعَت مناوشات في الشَّوارع أقل مما توقَّع أغلب النَّاس، فلم يُقتَل إلَّا ثلاثة رجال. ربما سئمَ لوردات المملكة الحرب أخيرًا.

لما كان معظم (جُب التَّنانين) لا يزال خرابًا، أقيمَ حفل زفاف الأمير إجون والأميرة چهيرا في الهواء الطَّلق فوق قمَّة (تل ڤيزينيا)، حيث نُصِبَت مدرَّجات شاهقة حتى يتسنَّى للرِّجال والنِّساء نبيلي المحتد الجلوس براحةٍ والاستمتاع بمنظرٍ ليس بينهم وبينه عائق. سجَّل السِّپتون إيوستس أن النَّهار كان باردًا ولكن مشمسًا، وكان ذلك في اليوم السَّابع من القمر السَّابع من العام الحادي والثَّلاثين بعد المئة منذ فتح إجون، ويا له من

تاريخ ميمون. أدَّى سِپتون (البلدة القديمة) الأعلى الشَّعائر بنفسه، وصمَّ هدير العامَّة الآذان حين أعلنَ صاحب القداسة الأعلى أن الأمير والأميرة أصبَحا واحدًا. عشرات الآلاف ملأوا الشَّوارع هاتفين باسْمَي إجون وچهيرا وهما محمولان في هودجٍ مكشوف إلى (القلعة الحمراء)، حيث تُوِّجَ الأمير بحلقةٍ بسيطة غير مزخرفة من الذَّهب الأصفر، وأُعلِنَ إجون الثَّالث سليل عائلة تارجاريَن، ملك الأنداليِّين والروينار والبشر الأوائل، وسيِّد (الممالِك السَّبع). ووضعَ إجون التَّاج بنفسه فوق رأس عروسه الطِّفلة.

رغم كونه صبيًّا كئيبًا، كان الملك الجديد وسيمًا بلا شك، نحيل الوجه ورشيق البنيان، وذا شعرٍ أبيض فضِّي وعينيْن أرجوانيَّتيْن، في حين كانت الملكة طفلةً جميلةً. بدا مشهد زفافهما فخمًا كالمشهد الذي شهدَته (الممالِك السَّبع) عند تتويج إجون الثَّاني في (جُب التَّنانين)، وكلُّ ما كان يَنقُصه هو التَّنانين. لا طيران ظافرًا حول أسوار المدينة احتفالًا بهذا الملك، ولا هبوط مهيبًا في ساحة القلعة. لاحظَ أكثرهم انتباهًا غيابًا آخَر أيضًا، فالملكة الأرملة لم تكن موجودةً، فلأنها جدَّة چهيرا وجبَ أن تكون آليسنت هايتاور حاضرةً.

بما أنه كان في العاشرة من العُمر وحسب، كان أوَّل تصرُّفٍ للملك الجديد هو تعيين الأشخاص الذين سيحمونه ويُدافِعون عنه ويَحكُمون نيابةً عنه حتى بلوغه. نُصِّبَ السير ويليس فِل، النَّاجي الوحيد من الحرس الملكي في زمن ڤسيرس، حضرة قائد السُّيوف البيضاء، والسير مارستن ووترز نائبه، وبما أن كلا الرَّجلين اعتُبِرَ من الخُضر، شغلَ سودٌ الأماكن المتبقِّية في الحرس الملكي. نُصِّبَ السير تايلاند لانستر العائد لتوِّه من (مير) يدًا للملك، فيما سُمِّيَ اللورد ليوين كوربراي حامي البلاد.

كان الأوَّل من الخُضر والثَّاني من السُّود، وعلى رأسيهما سيتربَّع مجلس وصايةٍ مكوَّن من الليدي چين آرن سيِّدة (الوادي)، واللورد كورلس ڤيلاريون سيِّد (دريفتمارك)، واللورد رونالد وسترلينج سيِّد (الجُرف)، واللورد رويس كارون سيِّد (التَّغريدة)، واللورد مانفرد موتون سيِّد (بِركة العذارى)، والسير تورين ماندرلي ابن (الميناء الأبيض)، والمِايستر الأكبر مونكن الذي اختارَته (القلعة) حديثًا ليضع سلسلة منصب المِايستر الأكبر أورْوايل.

(يُبلِغنا مصدر موثوق أن موضعًا عُرِضَ على اللورد كريجان ستارك بين الأوصياء لكنه رفضَه، فيما تضمَّن تجاهُل صريح من المجلس كلًّا من كرميت تَلي وأنوين پيك وسابيثا فراي وثاديوس روان ولايونل هايتاور وچوهانا لانستر وبنچيكوت بلاكوود، لكن السِّپتون إيوستس يصرُّ أن اللورد پيك فقط غضبَ حقًّا لإقصائه من مجلس الأوصياء).

كان ذلك مجلسًا استحسنَه السِّپتون إيوستس من صميم قلبه، «ستَّة رجالٍ أشدَّاء وامرأة حكيمة، سبعة يَحكُموننا هنا على الأرض كما يَحكُم (السَّبعة في الأعالي) البشر جميعًا من ملكوتهم في السَّماوات». أمَّا مشروم فكان أقلَّ انبهارًا، إذ قال: «سبعة أوصياءٍ أكثر بستَّة من اللَّازم. إنني أشفقُ على ملكنا المسكين». على الرَّغم من هواجس المهرّج فقد بدا أن معظم المراقبين يشعرون أن عهد الملك إجون الثَّالث بدأ بدايةً مبشِّرةً.

المتبقِّي من عام 131 بعد الفتح كان وقتًا للرَّحيل، إذ غادرَ لوردات (وستروس) الكبار (كينجز لاندنج) الواحد تلو الآخَر للعودة إلى مقارِّ سُلطتهم. كانت الأرامل الثَّلاث بين أوَّل مَن غادَروا، بعد وداعيَّاتٍ دامعة لمن بقوا من البنات والأبناء والإخوة وأولاد العمومة لخدمة الملك

والمملكة الجديديْن مُرافقين ورهائن. قادَ كريجان ستارك جيشه، الذي نقصَ عدده كثيرًا، شمالًا على (طريق الملوك) بعد أسبوعيْن من حفل التَّتويج، وبعدها بثلاثة أيَّامٍ عادَ اللورد بلاكوود والليدي أليسين إلى (شجرة الغِدفان) بألفٍ من رجال ستارك الشَّماليِّين في أعقابهما، وركبَ اللورد لايونل وخليلته الليدي سام جنوبًا إلى (البلدة القديمة) برفقة جنودهما من (البُرج العالي)، فيما انضمَّ اللوردات روان وبيزبوري وكوستاين وتارلي وردواين لمرافقة صاحب القداسة الأعلى إلى الوجهة نفسها، وعادَ اللورد كرميت تَلي وفُرسانه إلى (ريڤررَن)، فيما أبحرَ أخوه السير أوسكار بداحري العواصِف إلى (تايروش) و(أراضي النِّزاع).

على أن شخصًا واحدًا لم يرحل كما كان مخطَّطًا، إذ وافقَ السير مدريك ماندرلي على أخذِ السُّجناء الذَّاهبين إلى (الجِدار) حتى (الميناء الأبيض) على متن قادسه (نجم الشَّمال)، ليُكمِلوا طريقهم من هناك برًّا إلى (القلعة السَّوداء)، ولكن في صباح إبحار (نجم الشَّمال) كشفَ عدُّ المدانين عن رجلٍ مفقود. على ما بدا، اختبرَ المِايستر الأكبر أورْوايل تغييرًا في رأيه بخصوص الالتحاق بحرس اللَّيل، وبعد أن رشى أحد حُرَّاسه ليفكَّ قيوده، بدَّل بملابسه أسمال متسوِّلٍ واختفى في مواخير المدينة. غير راغبٍ بالتَّأخُّر أكثر، حكمَ السير مدريك على الحارس الذي أطلقَ سراح أورْوايل بأن يحلَّ محلَّه، ثمَّ انطلقَت (نجم الشَّمال) ساعيةً إلى البحر.

يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن بحلول نهاية عام 131 بعد الفتح استقرَّ «سكون غائم» على (كينجز لاندنج) (وأراضي التَّاج). جلسَ إجون الثَّالث على عرشه عند الحاجة، ولكن بخلاف ذلك قلَّما كان يُرى، ووقعَ واجب الدِّفاع عن المملكة على كاهل اللورد الحامي ليوين

كوربراي، وواجب الحُكم اليومي الممل على عاتق حضرة اليد الأعمى تايلاند لانستر، الذي كان في الماضي طويلًا ذهبيَّ الشَّعر وسيمًا كتوأمه الرَّاحل اللورد چيسون، قبل أن يَترُكه معذِّبو الملكة مشوَّهًا لدرجة أن الليديهات القادمات حديثًا إلى البلاط كان يغمى عليهنَّ لمرآه. رأفةً بهن، بدأ حضرة اليد يُغطِّي رأسه بقلنسوةٍ حريريَّة في المناسبات الرَّسميَّة. ربما كانت هذه فكرةً سيِّئةً، لأن القلنسوة أضفَت على السير تايلاند طابعًا شرِّيرًا، ولم يمرَّ وقت طويل قبل أن يبدأ عامَّة (كينجز لاندنج) يتهامَسون بحكاياتٍ عن مشعوذ (القلعة الحمراء) المقلنَس الخبيث.

رغم ذلك ظلَّ السير تايلاند أريبًا. ربما كان متوقَّعًا أن يَخرُج من عذابه رجلًا مفعمًا بالمرارة عازمًا على الانتقام، وإن تبيَّن أن ذلك غير صحيح بتاتًا. بدلًا من ذلك ادَّعى حضرة اليد قصورًا غريبًا في الذَّاكرة، مشدِّدًا على أنه لا يستطيع تذكُّر مَن كان من السُّود ومَن من الخُضر، في الحين نفسه الذي أظهرَ فيه وفاء الكلاب لابن الملكة التي أرسلَته إلى المعذِّبين. بسرعةٍ كبيرة حقَّق السير تايلاند هيمنةً ضمنيَّةً على ليوين كوربراي، الذي يقول عنه مشروم: «كان غليظ العُنق والذِّهن، لكني لم أصادف قَطُّ رجلًا ضراطه عالٍ مثله». حسب القانون، كان كلا حضرة اليد واللورد الحامي تحت سُلطة مجلس الأوصياء، لكن بمرور الأيَّام ودوران القمر أصبحَ الأوصياء يجتمعون أقلَّ فأقلَّ، في حين استحوذَ تايلاند لانستر المثابر الأعمى المقلنَس على المزيد والمزيد من السُّلطة لنفسه.

كانت الصُّعوبات التي واجهَها شاقَّة، إذ حلَّ الشِّتاء على (وستروس)، وسيستمرُّ أربعة أعوام، واحد من أبرد الأشتية وأقساها في تاريخ (الممالِك السَّبع). كانت تجارة المملكة قد انهارَت خلال الرَّقصة أيضًا، إذ نُهِبَت أعداد لا تحصى من القُرى والبلدات والقلاع أو دُمِّرَت، وروَّعت جماعات

الخارجين عن القانون والرِّجال المكسورين الطُّرق والغابات.

المشكلة العاجلة أكثر سبَّبتها الملكة الأرملة التي رفضَت أن تتصالَح مع الملك الجديد، إذ حوَّل مقتل آخِر أبنائها قلب آليسنت إلى حجر. لم يرغب أيٌّ من الأوصياء في رؤيتها تُعدَم، بعضهم بدافع الشَّفقة، فيما تخوَّف آخَرون من أن إعدامها قد يُعيد إشعال نيران الحرب، ولكن رغم ذلك لم يُمكن السَّماح لها بالمشاركة في أنشطة البلاط كما اعتادَت من قبل، إذ كان خليقًا بها أن تصبَّ اللَّعنات كالمطر على الملك، أو تختطف خنجرًا من حارسٍ غافل. لم تكن آليسنت مؤتمنةً على رِفقة الملكة الصَّغيرة حتى، فحين سُمِحَ لها آخِر مرَّةٍ بأن تتشارك وجبةً مع جلالتها، قالت لچهيرا أن تشقَّ حلق زوجها في نومه، وهو ما جعلَ الطِّفلة تَصرُخ. شعرَ السير تايلاند أن لا خيار لديه سوى حبس الملكة الأرملة في مسكنها بـ(حصن ميجور)؛ سجن فاره، لكنه سجن رغم ذلك.

بعدها باشرَ حضرة اليد بإعادة إحياء تجارة المملكة وبدء عمليَّة إعادة البناء. سُرَّ اللوردات الكبار والعوام على حدٍّ سواء عندما ألغى الضَّرائب التي فرضَتها الملكة رينيرا واللورد سلتيجار، ومع تأمين ذهب التَّاج من جديدٍ خصَّص السير تايلاند ألف ألف تِنِّينٍ ذهبي قروضًا للوردات الذين دُمِّرَت أملاكهم خلال الرَّقصة (رغم أن كثيرين استفادوا من تلك الأموال، سبَّبت تلك القروض شقاقًا بين العرش الحديدي ومصرف (براڤوس) الحديدي). أمرَ لانستر كذلك ببناء ثلاث صوامع حبوب ضخمة محصَّنة في كلٍّ من (كينجز لاندنج) و(لانسپورت) و(بلدة النَّوارس)، وبشراء حبوبٍ تكفي لملئها. (كان القرار الأخير سببًا في ارتفاع أسعار الحبوب ارتفاعًا جنونيًّا، وهو ما أبهجَ مَن لديهم قمح وذرة وشعير للبيع من البلدات واللوردات، وإن أغضبَ مالكي الخانات ومحال

الأكل، وكلَّ فقيرٍ وجائعٍ عمومًا).

مع أنه أمرَ بإيقاف العمل على تمثالَي الأميرَيْن إيموند ودايرون الهائليْن اللذين ابتدأ العمل عليهما بتكليفٍ من إجون الثَّاني (بعد أن نُحِتَ رأسا الأميرَيْن)، عيَّن حضرة اليد مئاتٍ من الحجَّارين والنجَّارين والبنَّائين ليعملوا على إصلاح (جُب التَّنانين) وترميمه، وبأمره قُوِّيَت بوَّابات (كينجز لاندنج) حتى تُصبِح أقدر على الصُّمود أمام الهجمات من داخل أسوار المدينة علاوةً على خارجها. أعلنَ اليد كذلك تمويل التَّاج بناء خمسين قادسًا حربيًّا جديدًا، وعندما سُئِلَ لماذا، أخبرَ الأوصياء أن ذلك من شأنه توفير وظائف في ترسانات بناء السُّفن وحماية المدينة من أساطيل الحِلف الثُّلاثي... لكن كثيرين شكُّوا أن هدف السير تايلاند الحقيقي كان تقليل اعتماد التَّاج على آل ڤيلاريون أولاد (دريفتمارك).

ربما كان حضرة اليد مدركًا أيضًا للحرب المستمرَّة في الغرب حين أرسل بنَّائي السُّفن للعمل. صحيحٌ أن تربُّع إجون الثَّالث على العرش وضعَ نهايةً للسَّواد الأسوأ من فوضى رقصة التَّنانين، إلَّا أن ذلك لم يعنِ بالضَّرورة أن تتويج الملك الصَّغير جلبَ السَّلام على جميع (الممالِك السَّبع). تواصلَ القتال في الغرب خلال السَّنوات الثَّلاث الأولى من حُكم الملك الصَّغير، إذ استمرَّت الليدي چوهانا سيِّدة (كاسترلي روك)، باسم ابنها اللورد لوريون الصَّغير، في مقاومة نهب دالتون جرايچوي. تفاصيل حربهما خارج نطاق هدفنا الآن (للرَّاغبين بمعرفة المزيد، فصول المِايستر الرَّئيس مانكاستر المعنيَّة بهذا الموضوع في كتابه (أبالِسة البحر: تاريخ أولاد إله الجُزر الغريق) متميِّزة للغاية). يكفينا القول إن الكراكن الأحمر أثبتَ أنه حليف ثمين للسُّود خلال الرَّقصة، لكن مجيء السَّلام أظهرَ أن الحديديِّين لم يكترثوا إطلاقًا لا للسُّود ولا للخُضر.

على الرَّغم من أنه لم يَبلُغ حدَّ تنصيب نفسه ملكًا لـ(جُزر الحديد) علانيَّةً، لم يُلقِ دالتون جرايچوي بالًا لأيٍّ من المراسيم المرسلة إليه من العرش الحديدي خلال تلك الأعوام... ربما لأن الملك كان طفلًا، ويده من عائلة لانستر. عندما أُمِرَ بالكفِّ عن شنِّ غاراته استمرَّ جرايچوي كعادته، وعندما أُمِرَ بإعادة النِّساء اللاتي اختطفهنَّ حديديُّوه ردَّ بقوله: «وحده الإله الغريق يُمكنه أن يكسر الرَّابطة بين الرَّجل وزوجاته الملحيَّات»، وعندما أُمِرَ بردِّ (الجزيرة القصيَّة) إلى أصحابها ردَّ: «إذا بُعِثوا من قاع البحر فسأمنحهم وبكلِّ سرورٍ ما كانوا يملكونه ذات يوم».

حين حاولَت چوهانا لانستر بناء أسطولٍ جديد لقتال الحديديِّين، انقضَّ الكراكِن الأحمر على ترسانات سُفنها وأضرمَ فيها النِّيران وهربَ بمئة امرأةٍ أخرى خلال ذلك. أرسلَ إليه حضرة اليد توبيخًا غاضبًا، ردَّ عليه اللورد دالتون بقوله: «نساء الغرب يُفضِّلن رجالًا من حديدٍ على الأُسود الجبانة على ما يبدو، لأنهن يقفزن في البحر ويتوسَّلن إلينا لنأخذهنَّ».

عبر (وستروس) هبَّت رياح الحرب من (البحر الضيِّق) أيضًا، فقد اتَّضح أن مقتل اللايسيني شاراكو لوهار، الأميرال الذي ترأَّس كارثة الحِلف الثُّلاثي في (الحُلقوم)، كان الشَّرارة التي أشعلَت نيرانًا ابتلعَت (البنات الثَّلاث)، إذ أجَّجت الحادثة المنافسة المشتعلة دون دُخانٍ بين (تايروش) و(لِيس) و(مير) وقادَت إلى حربٍ مفتوحة. يتقبَّل عديدون الآن أن موت شاراكو كان مسألةً شخصيَّة، فالأميرال المتعجرف قُتِلَ على يد أحد منافسيه على محظيَّةٍ عُرِفَت باسم البجعة السوداء، أمَّا في ذلك الوقت فقد نُظِرَ إلى موته باعتباره اغتيالًا سياسيًّا، وكان المايريُّون المشتبه بهم، وهكذا عندما دخلَت (لِيس) و(مير) الحرب انتهزَت

(تايروش) الفُرصة لترسيخ سُلطتها على (الأعتاب).

لتأكيد هذا الادِّعاء، استدعى أركون (تايروش) راكاليو ريندون، اللِّواء الرُّبان المبهرج الذي قادَ سابقًا قوَّات الحِلف الثُّلاثي لمواجهة ديمون تارجارين. اجتاحَ راكاليو الجُزر بسرعة البرق وقتلَ حاكمها ملك (البحر الضيِّق)... فقط ليُقرِّر أن يعتمر تاجه بنفسه، خائنًا الأركون ومدينته الأم. أفضَت الحرب المربكة رُباعيَّة الأطراف التي تبعَت ذلك إلى إغلاق طرف (البحر الضيِّق) الجنوبي في وجه التِّجارة، وهو ما أدَّى إلى قطع تجارة (كينجز لاندنج) و(وادي الغسق) و(بِركة العذارى) و(بلدة النَّوارس) مع الشَّرق. تأثَّرت (پنتوس) و(براڤوس) و(لوراث) على نحوٍ مشابه، وأرسلن مبعوثين إلى (كينجز لاندنج) بآمال ضمِّ العرش الحديدي إلى تحالُفٍ عظيم ضدَّ راكاليو والبنات المتصارعات. استضافَهم السير تايلاند بترفٍ لكنه رفضَ عرضهم، وقال لمجلس الأوصياء: «سيكون خطأً فادحًا أن تتورَّط (وستروس) في صراعات المدن الحُرَّة اللَّا متناهية».

انتهى ذلك العام المصيري 131 بعد الفتح بالبحار شرق (الممالِك السَّبع) وغربها مشتعلةً بالحرب، والعواصف الثَّلجيَّة تضرب (وينترفل) والشَّمال. ولا كان المزاج في (كينجز لاندنج) سعيدًا، إذ بدأ ظَنٌّ عامَّة المدينة يخيب بالفعل في الملك الصَّبي والملكة الصَّغيرة، اللذين لم يظهرا منذ حفل الزِّفاف، وانتشرَت الهمسات حول «اليد المقلنَس». رغم أن ذوي المعاطِف الذَّهبيَّة اعتقلوا الرَّاعي «المولود من جديد» وجرَّدوه من لسانه، حلَّ آخَرون محلَّه واعظين عن ممارسة يد الملك الفنون المحرَّمة وشُربه دماء الرُّضَّع، وكونه علاوةً على ذلك «وحشًا يُخفي وجهه المشوَّه عن الآلهة والبشر».

وراء أسوار (القلعة الحمراء) تردَّدت همساتٌ حول الملك والملكة

كذلك. كان الزَّواج الملكي مضطربًا من البداية، فكلا العريس والعروس كان طفلًا؛ إجون الثَّالث في الحادية عشرة وچهيرا في الثَّامنة فقط. بمجرَّد أن تزوَّجا أصبحَ الاتِّصال بينهما قليلًا إلَّا في المناسبات الرسميَّة، وحتى ذلك كان نادرًا، إذ عزفَت الملكة الصَّغيرة عن مغادرة غُرفتها. في رسالةٍ إلى المجمع صرَّح المِايستر الأكبر مونكن: «كلاهما محطَّم». الفتاة شهدَت مقتل شقيقها التَّوأم على أيدي دَمٍ وجُبنة، والملك فقدَ إخوته الأربعة جميعًا، ثم شاهدَ خاله يُطعِم والدته لتنِّين. كتبَ مونكن: «ليس هذان بطفليْن عاديَّيْن، إذ لا تَسكُنهما أيَّة بهجة، ولا يلعبان ولا يضحكان. الفتاة تُبلِّل فِراشها في اللَّيل وتبكي بحرقةٍ عندما تُوبَّخ. تقول وصيفاتها إنها تبلغ الثَّامنة من عُمرها، وتتصرَّف كأنها في الرَّابعة. لو لم أخلط بحليبها حُلو الكرى قبل الزِّفاف فإنني متيقِّن من أن الفتاة كانت لتنهار خلال المراسم».

فيما يتعلَّق بالملك أكملَ المِايستر الأكبر الجديد: «يُظهِر إجون القليل من الاهتمام نحو زوجته أو أيِّ فتاةٍ أخرى، ولا يركب الخيل أو يصطاد أو يتبارَز، ولكنه لا يستمتع كذلك بالممارسات الموضعيَّة كالقراءة أو الرَّقص أو الغناء. رغم أنه يبدو سليم العقل بما فيه الكفاية، فإنه لا يفتتح أيَّ محادثات، وعند الحديث إليه تكون إجاباته مقتضبةً لدرجةٍ تجعل المرء يظنُّ أن مجرَّد الحديث يُؤلِمه. ليس له أصدقاء غير الصَّبي النَّغل جيمون ذي الشَّعر الباهت، وقلَّما ينام اللَّيل بطوله. في ساعة الذِّئب كثيرًا ما يُعثَر عليه واقفًا عند نافذةٍ يُحدِّق إلى النُّجوم عاليًا، ولكن لما قدَّمتُ له كتاب المِايستر الرَّئيس لايمان (ممالك السَّماء) لم يُظهِر به اهتمامًا. نادرًا ما يتبسم إجون، ولا يضحك البتَّة، ولا يُبدي أيَّ إشاراتٍ ظاهريَّة إلى الغضب أو الخوف، إلَّا فيما يتعلَّق بالتَّنانين التي يبعث فيه مجرَّد ذِكرها غضبًا استثنائيًّا. اعتادَ أورْوايل أن يصف جلالته بالهدوء والرَّزانة، وأقول

أنا إن الصَّبي ميتٌ من الدَّاخل. إنه يمشي في أروقة (القلعة الحمراء) كشبح، فيا إخوتي، عليَّ أن أكون صريحًا. إني أخشى على ملكنا، وعلى المملكة».

ستُثبِت مخاوفه، ويا للأسف، أنها سليمة الأُسس، فرغم سوء عام 131 بعد الفتح، كان العامان التَّاليان أسوأ.

بدأ ذلك بحادثةٍ مشؤومة عندما كُشِفَ عن المِايسترَ الأكبر السَّابق أورْوايل في ماخورٍ يُسمَّى (ماخور الأم) قُرب الطَّرف السُّفلي من (شارع الحرير). متجرّدًا من شعره ولحيته ومجرَّدًا من سلسلة منصبه وحاملًا اسم ويل العجوز، كسبَ أورْوايل رزقه عن طريق الكنس والتَّنظيف والكشف على زبائن المنشأة للتَّأكُّد من عدم إصابتهم بالجُدري، وخلط شاي القمر وعقاقير حشيشة الدُّود والنَّعناع البرِي لكي تُخلِّص «بنات» (ماخور الأم) أنفسهنَّ من الأطفال غير المرغوب فيهم. لم يكترث أحد البتَّة لويل العجوز حتى أخذَ على عاتقه تعليم بعض بنات (ماخور الأم) الصَّغيرات القراءة. أظهرَت إحدى تلميذاته مهارتها الجديدة لرقيبٍ في المعاطِف الذَّهبيَّة، ليُفعِمه الشَّك ويقبض على العجوز للاستجواب، وسُرعان ما اتَّضحت الحقيقة.

عقوبة التَّهرُّب من حرس اللَّيل الموت. على الرَّغم من أن أورْوايل لم يحلف يمينًا بعدُ، ظلَّ معظم النَّاس يعتبرونه ناكثًا للقسم. لم يَعُد السَّماح له بركوب سفينةٍ تُوصله إلى (الجدار) مطروحًا، واتَّفق الأوصياء على وجوب تطبيق الحُكم الأصلي الذي أدلى به اللورد ستارك. لم يُنكِر السير تايلاند هذا، وإن أشارَ إلى أن منصب عدالة الملك لم يزَل شاغرًا، وبصفته أعمى فهو خيار سيِّئ أن يضرب بالسَّيف بنفسه. مستخدمًا تلك الحجَّة، حبسَ حضرة اليد أورْوايل بدلًا من ذلك في زنزانة بُرج

(اتَّهمه بعضهم بأنها واسعة وجيِّدة التَّهوية وجدٌّ مريحة) «إلى حين العثور على جلَّادٍ مناسب». لا السِّبتون إيوستس انخدعَ ولا مشروم كذلك، فأوزوايل خدمَ مع السير تايلاند في مجالس إجون الثَّاني الخضراء، وواضح أن صداقتهما القديمة وذكرى كلِّ ما عانياه لعبَتا دورًا في قرار اليد، حتى إن المايستر الأكبر السَّابق زُوِّدَ بريشةٍ وحبرٍ ورقوقٍ ليُكمِل تدوينه اعترافاته، وهكذا فعلَ قُرابة العامَيْن، ساطرًا التَّاريخ الطَّويل لعهدَي ڤسيرس الأوَّل وإجون الثَّاني، الذي سيُبرهِن لاحقًا على أنه مصدر لا يُقدَّر بثمنٍ لخليفته في كتابه (قصَّة حقيقيَّة).

بعدها بأقلِّ من أسبوعيْن وصلَت تقارير إلى (كينجز لاندنج) تفيد بأن مجاميع من الهمج من (جبال القمر) تنقضُّ على (وادي آرن) بأعدادٍ غفيرة ليُغيروا وينهبوا، فغادرَت الليدي چين آرن البلاط وأبحرَت إلى (بلدة النَّوارس) لتتولَّى الدِّفاع عن أراضيها وناسها. كانت في (التُّخوم الدورنيَّة) تحرُّكات تُنذِر بالسُّوء أيضًا، إذ صارَت لـ(دورن) حاكمةٌ جديدة تُسمَّى آلياندرا مارتل، وهي فتاة وقحة في السَّابعة عشرة تصوَّرت نفسها «نايميريا الجديدة»، وجعلَت كلَّ لوردٍ شاب جنوب (الجبال الحمراء) يتنافَس من أجل اكتساب حُبِّها. ليتعامَل مع توغُّلاتهم، غادرَ اللورد كارون (كينجز لاندنج) أيضًا ليعود على عجلةٍ إلى (التَّغريدة) في (التُّخوم الدورنيَّة)، وبرحيله غدا الأوصياء السَّبعة خمسةً. بوضوح، كان أعظم هؤلاء نفوذًا ثُعبان البحر، الذي وضعَته ثروته وخبرته وتحالُفاته في صدارة سواسي الأوصياء، والأهمُّ أنه بدا الرَّجل الوحيد الذي كان الملك مستعدًّا لوضع ثقته به.

لكلِّ هذه الأسباب مُنِيَت المملكة بضربةٍ موجعة في اليوم السَّادس من القمر الثَّالث من عام 132 بعد الفتح، عندما انهارَ كورلس ڤيلاريون

سيِّد المدِّ والجَزر في أثناء صعوده السَّلالم الملتفَّة بقلعة (كينجز لاندنج) الحمراء، ولدى وصول المِايستر الأكبر مونكن مسرعًا لمساعدته كان ثُعبان البحر قد ماتَ. بعُمر التَّاسعة والسَّبعين، كان قد خدمَ أربعة ملوكٍ وملكةً، وأبحرَ إلى أقصى أطراف الأرض، وسما بآل ڤيلاريون إلى مستوياتٍ غير مسبوقة من السُّلطة والثَّراء، وتزوَّج أميرةً كانت لتغدو ملكةً، وأنجبَ راكبي تنانين، وبنى بلداتٍ وأساطيل، وأثبتَ بسالته في أوقات الحرب وحكمته في أوقات السِّلم، ولن ترى (الممالِك السَّبع) مثيله أبدًا. مع وفاته ظهرَت فجوة عظيمة في نسيج (الممالِك السَّبع) المهترئ.

سُجِّيَ اللورد كورلس في نعشٍ مكشوف أسفل العرش الحديدي لسبعة أيَّام، وبعدها نُقِلَ رُفاته إلى (دريفتمارك) على متن (قُبلة حوريَّة البحر) التي قادَتها ماريلدا بنت (الأبدان) مع ابنها آلِن. هناك دُفِعَ بدن السَّفينة العتيقة (ثُعبان البحر) المحطَّم إلى البحر مجدَّدًا، وسُحِبَ إلى المياه العميقة شرق (دراجونستون)، حيث دُفِنَ كورلس ڤيلاريون في البحر على متن السَّفينة ذاتها التي منحَته لقبه. قيلَ فيما بعد إنه بينما غرقَ بدن السَّفينة حلَّق الكانيبال بالأعلى وبسطَ جناحيْه الأسوديْن العظيميْن في تحيَّةٍ أخيرة. (لفتة تُحرِّك المشاعر، لكنها على الأرجح تزويق أضيفَ لاحقًا، فحسب ما نعرفه عن الكانيبال، كان ليرغب بالتهام الجثَّة أكثر من تحيَّتها).

كان الابن الطَّبيعي آلِن ابن (الأبدان)، الذي أصبحَ آلِن ڤيلاريون، الوريث الذي اختارَه ثُعبان البحر، لكن خلافته لم تكن بلا معارضات. يُذكَر أن في زمن الملك ڤسيرس قدَّم السير ڤيموند ڤيلاريون، ابن شقيق اللورد كورلس، نفسه وريثًا شرعيًّا لـ(دريفتمارك)، وكلَّفه هذا التَّمرُّد

رأسه، لكنه خلَّف زوجةً وابنيْن. كان السير ڤيموند ابن أكبر إخوة ثُعبان البحر، وكانت لخمسة أبناءٍ آخَرين من أخٍ آخَر دعاوى أيضًا. عندما عرضوا قضيَّتهم على ڤسيرس المريض الضَّعيف، وارتكبوا غلطةً فادحةً بتشكيكهم في شرعيَّة أبناء كريمته، جرَّدهم ڤسيرس من ألسنتهم لقاء هذه الإهانة، لكنه تركَهم يحتفظون برؤوسهم. ثلاثةٌ من «الخُرسان الخمسة» ماتوا خلال الرَّقصة وهُم يقاتلون مع إجون الثَّاني ضدَّ رينيرا... وإن نجا اثنان بالإضافة إلى ابنَي السير ڤيموند، وقد تقدَّموا جميعًا الآن مصرِّين أنهم أحقُّ بـ(دريفتمارك) من «هذا النَّغل ابن (الأبدان)، الذي كانت أمُّه فأرةً».

عرضَ ابنا السير ڤيموند، ديميون ودايرون، دعواهما على المجلس في (كينجز لاندنج)، ولما حكمَ اليد والأوصياء ضدَّهما اختارا بحكمةٍ قبول القرار وتصالحا مع اللورد آلِن، الذي كافأهما بأراضٍ في (دريفتمارك) شرط أن يُساهِما بسُفنٍ في أسطوله، فيما اختارَ ابنا عمِّهما الصَّامتان سبيلًا مغايرًا. يقول مشروم: «بسبب افتقارهما إلى لسانيْن ليَطلُبا إعادة النَّظر، فضَّلا التَّحاوُر بالسُّيوف»، غير أن مؤامرتهما لاغتيال سيِّدهما الشَّاب أخفقَت عندما برهنَ حُرَّاس قلعة (دريفتمارك) على ولائهم لذكرى ثُعبان البحر والوريث الذي اختارَه. قُتِلَ السير مالنتاين في أثناء المحاولة وأُسِر شقيقه السير روجر، وحين حُكِمَ عليه بالموت حافظَ على رأسه بالانضمام إلى حرس اللَّيل.

نُصِّبَ آلِن ڤيلاريون، النَّغل الذي أنجبَته الفأرة، سيِّدًا للمدِّ والجَزر وعميدًا لـ(دريفتمارك) رسميًّا، وعندئذٍ توجَّه إلى (كينجز لاندنج) ليحتلَّ مكان ثُعبان البحر بين الأوصياء. (حتى في صِباه لم يفتقِر اللورد آلِن إلى الجرأة). شكرَه حضرة اليد وأرسلَه إلى الدِّيار... وهذا أمرٌ مفهوم،

ففي عام 132 بعد الفتح كان آلِن ڤيلاريون يَبلُغ ستَّة عشر عامًا فقط، وقد عُرِضَ مقعد اللورد كورلس في مجلس الأوصياء بالفعل على رجلٍ أكبر سنًّا وأكثر خبرةً: أنوين پيك، سيِّد (ستارپايك) وسيِّد (دنستنبري) وسيِّد (البُستان الأبيض).

كان عند السير تايلاند همٌّ أشدُّ إلحاحًا في عام 132 بعد الفتح: مسألة الخلافة. لئن كان اللورد كورلس عجوزًا وهشًّا، جاءَ موته المفاجئ رغم ذلك بمثابة تذكيرٍ كئيب بأن أيَّ إنسانٍ يُمكن أن يموت في أيِّ وقت، حتى الملوك الصِّغار الذين يبدون متمتِّعين بصحَّةٍ جيِّدة كإجون الثَّالث. الحرب، المرض، الحوادث... سُبل الموت عديدة، وإذا ماتَ الملك فمَن ذا الذي سيخلفه؟

حذَّر اللورد مانفرد موتون زُملاءه الأوصياء بقوله: «إذا ماتَ دون وريثٍ فسنَرقُص من جديد، بغضِّ النَّظر عن كراهيتنا اللَّحن». كانت دعوى الملكة چهيرا قويَّةً كدعوى الملك، وفي أذهان البعض أقوى، لكن فكرة وضع تلك الطِّفلة اللَّطيفة البسيطة الخائفة على العرش الحديدي كانت جنونًا محضًا، كما اتَّفق الجميع. حين سُئِلَ الملك إجون نفسه، طرحَ عليهم ساقيه جيمون ذا الشَّعر الباهت، مذكِّرًا الأوصياء بأن الصَّبي كان «ملكًا من قبل»، وكان ذلك أيضًا مستحيلًا.

في الحقيقة، لم يُوجَد إلَّا صاحبتا دعوى اثنتان يُحتمَل أن تقبلهما البلاد: أختا الملك غير الشَّقيقتيْن، بِايلا ورِاينا تارجاريَن، ابنتا الأمير ديمون التَّوأمتيْن من زوجته الأولى الليدي لِاينا ڤيلاريون. كانت الفتاتان الآن في السَّادسة عشرة من العُمر، طويلتيْن نحيفتيْن فضِّيَّتَي الشَّعر، ومحبوبتيْن جدًّا في المدينة. نادرًا ما وطأت قدما الملك إجون خارج (القلعة الحمراء) بعد أن تُوِّجَ، ولم تُبارِح ملكته الصَّغيرة مسكنها قَطُّ، لذلك خلال معظم

العام السَّابق كانت بِايلا أو رِاينا مَن تَخرُج للصَّيد أو القنص بالأبواز، وتتصدَّق على الفُقراء، وتستقبل المبعوثين واللوردات الزَّائرين مع يد الملك، وتعمل مضيفةً شرقيَّةً في المآدب (التي قلَّما أقيمَت) والحفلات التَّنكُّريَّة والحفلات الرَّاقصة (التي لم يُقِم أيُّها بعدُ). كانت التَّوأمتان الوحيدتيْن من آل تارجاريَن اللتين رآهما النَّاس.

ولكن حتى في هذا واجهَ المجلس انقسامًا وتعارُضًا في الآراء. حين قال ليوين كوربراي: «ستكون الليدي رِاينا ملكةً رائعة»، أشارَ السير تايلاند إلى أن بِايلا خرجَت أوَّلًا من رحِم والدتها، فردَّ السير تورين ماندرلي: «بِايلا جامحة للغاية. كيف يُمكن أن تَحكُم المملكة وهي لا تستطيع أن تَحكُم نفسها؟». وافقَه السير ويليس فِل قائلًا: «يجب أن تكون رِاينا. إن لديها تنِّينةً، على عكس أختها»، ولما قال اللورد كوربراي: «بِايلا حلَّقت بتنِّينة، أمَّا رِاينا فليس لديها إلَّا فرخ»، ردَّ رولاند وسترلينج: «تنِّينة بِايلا أسقطَت ملكنا الرَّاحل. كثيرون في المملكة لم ينسوا ذلك. تتويجها سيُعيد فتح الجروح القديمة مرَّةً أخرى».

ومع ذلك كان المِايستر الأكبر مونكن هو الذي وضع حدًّا للجدل عندما قال: «أيُّها السَّادة، لا يهمُّ. إنهما فتاتان. ألم نتعلَّم إلَّا قليلًا من المذبحة؟ يجب أن نلتزم حقَّ الذُّكورة، مثلما حكمَ المجلس العظيم في عام 101. دعوى الذَّكر تسبق الأنثى»، ولكن عندما قال السير تايلاند: «ومَن هو هذا المدَّعي الذَّكر يا سيِّدي؟ يبدو أننا قتلناهم جميعًا»، لم يجد مونكن إجابةً سوى القول إنه سيُعيد البحث في المسألة، وهكذا ظلَّ شأن الوراثة الحاسم غير محسوم.

لم تفعل هذه الحيرة الكثير لتجنيب التَّوأمتيْن سيل التَّملُّق من الخُطَّاب والخُدناء والرُّفقاء وغيرهم من المجاملين التوَّاقين إلى مصادقة وريثَي الملك

المفترضتيْن، ولو أن الأختيْن تعاملتا مع هؤلاء المتصنِّعين بطريقتيْن متباينتيْن للغاية. في حين استمتعَت رِاينا بكونها مركز اهتمام البلاط، انزعجَت بِايلا من الثَّناء، وبدا أنها تتلذَّذ بالسُّخرية من الخُطَّاب الذين يُرفرفون حولها كالعُثِّ وتعذيبهم.

في صِغرهما لم تنفصِل التَّوأمتان قَطُّ، وكان من المستحيل التَّمييز بينهما، ولكن بعد انفصالهما شكَّلتهما تجاربهما بطرائق مختلفة جدًّا. في (الوادي) تمتَّعت رِاينا بحياةٍ مليئة بالرَّاحة والامتيازات بصفتها ربيبة الليدي چين، فمشَّطت الخادمات شعرها وجهَّزن حوض استحمامها، فيما ألَّف المطربون قصائد غنائيَّةً عن جمالها، وتنازلَ الفُرسان لأجل حظوتها. كان الأمر كذلك معها في (كينجز لاندنج)، حيث تنافسَ عشرات من اللوردات الشُّبَّان الجسورين على نيل ابتساماتها، وتوسَّل الفنَّانون للحصول على فُرصةٍ لرسمها، وسعى خيرة خيَّاطي المدينة للحظيان بشرف حياكة فساتينها. وأينما ذهبَت رِاينا أتَت معها مورننج، تنِّينتها الصَّغيرة التي غالبًا ما التفَّت حول كتفيها كالوشاح.

كان وقت بِايلا في (دراجونستون) أكثر اضطرابًا، وانتهى بالنَّار والدَّم، ولدى وصولها إلى البلاط كانت الأميرة واحدةً من أضرى الفتيات وأشدهن عنادًا في البلاد بأسرِها. رِاينا كانت نحيلةً ورشيقةً، أمَّا بِايلا فهزيلةً وسريعةً. رِاينا أحبَّت الرَّقص، فيما أُغرِمَت بِايلا بركوب الخيل... والطَّيران، ولو أن ذلك سُلِبَ منها عندما ماتَت تنِّينتها. أبقَت بِايلا شعرها الفضِّي قصيرًا كشعر صبيٍّ حتى لا يتخبَّط حول وجهها حين تركب، ومرارًا وتكرارًا لاذَت بالفرار من وصيفاتها بحثًا عن المغامرة في الشَّوارع، فشاركَت في سباقات الخيول المخمورة بـ(شارع الأخوات)، وانخرطَت في السِّباحة في ضوء القمر عبر (النَّهر الأسود) -الذي عُرِفَت

تيَّاراته القويَّة بإغراق العديد من السبَّاحين الأشدَّاء- وشربَت مع ذوي المعاطِف الذَّهبيَّة في ثُكناتهم، وراهنَت بالنُّقود وأحيانًا بالثِّياب في حلبات الجرذان بـ(جُحر البراغيث)، واختفَت في إحدى المرَّات مُدَّة ثلاثة أيَّامٍ ورفضَت الكشف عن مكانها حين عادَت.

الأدهى أن ذوق بِايلا في اختيار رفقتها كان سيِّئًا. ككلابٍ ضالَّة جلبَتهم معها إلى (القلعة الحمراء)، وأصرَّت على منحهم وظائف في القلعة، أو أن يكونوا جزءًا من حاشيتها. تضمَّنت قائمة حيواناتها المدلَّلة هذه حاويًا شابًّا وسيمًا، وصبيَّ حدَّادٍ أُعجِبَت بعضلاته، ومتسوِّلةً مبتورة السَّاقيْن أشفقَت عليها، وساحرًا رخيص الحيل حسبَته مشعوذًا حقيقيًّا، ومُرافق فارسٍ متجوِّلٍ قبيح، وحتى فتاتيْن شابَّتيْن من ماخور، توأمتيْن، «مثلنا يا ري»، وفي إحدى المرَّات ظهرَت مع فرقةٍ كاملة من الممثِّلين. يئسَت منها السِّپتة آماريز التي كُلِّفَت بتلقينها تعليمها الدِّيني والأخلاقي، وحتى السِّپتون إيوستس لم يستطِع كبح جماحها، وقال ليد الملك: «يجب أن تتزوَّج الفتاة، وعاجلًا، وإلَّا فأخشى أن تجلب الخزي على آل تارجاريَن، والعار لجلالة الملك أخيها».

رأى السير تايلاند المغزى في مشورة السِّپتون... لكن الأمر انطوى على مخاطر أيضًا. لم يكن في خُطَّاب بِايلا نقص، إذ كانت شابَّةً جميلةً، تتمتَّع بصحَّةٍ طيِّبة، وثريَّةً، وسليلة أعلى العائلات نسبًا، ومن دواعي سرور أيِّ لوردٍ في (الممالِك السَّبع) أن يتَّخذها زوجةً. على أن عواقب الاختيار الخاطئ وخيمة، لأن زوجها سيقف قريبًا جدًّا من العرش، وقد يتسبَّب قرين عديم الضَّمير أو فاسد النَّفس أو عالي الطُّموح حدَّ الإفراط في حروبٍ وويلاتٍ لا نهاية لها. أخذَ الأوصياء عشرين من المرشَّحين المحتملين للزَّواج بالليدي بِايلا بعين الاعتبار، وطُرِحَت أسماء كلٍّ من

اللورد تَلي واللورد بلاكوود واللورد هايتاور (الذي لم يتزوَّج بعدُ، وإن اتَّخذ أرملة والده عشيقةً)، وكذلك خياراتٍ أقل احتماليةً تضمَّنت دالتون جرايچوي (كان الكراكن الأحمر يتباهى باتِّخاذه مئة زوجةٍ ملحيَّة، لكنه لم يتَّخذ زوجةً صخريَّة مطلقًا)، وكذا أخ أصغر لأميرة (دورن)، وحتى ذلك المارِق راكاليو ريندون، واستُبعِدوا جميعًا لسببٍ أو لآخَر.

أخيرًا قرَّر اليد ومجلس الأوصياء تزويج الليدي بِايلا بثاديوس روان سيِّد (البُستان الذَّهبي). كان روان بلا شكٍّ اختيارًا حصيفًا، فقد تُوفِّيَت زوجته الثَّانية في العام السَّابق، ومن المعروف أنه يبحث عن شابَّةٍ عذراء مناسبة لتحلَّ محلَّها. كانت فحولته مفروغًا منها، إذ أنجبَ ابنيْن من زوجته الأولى وخمسةً آخَرين من الثَّانية. ونظرًا إلى أنه لم يُنجب بناتٍ فستكون بِايلا ربَّة قلعته بلا منازع. كان أبناؤه الأربعة الأصغر سنًّا لا يزالون في الدِّيار وبحاجةٍ إلى لمسة امرأة. صبَّت حقيقة أن نسل اللورد روان كلَّه ذكور بشدَّةٍ في صالحه، فإذا أنجبَ ابنًا ذكرًا من بِايلا فسيُصبِح لإجون الثَّالث وريث واضح.

كان اللورد ثاديوس رجلًا صريحًا ودودًا مرحًا، ومحبوبًا ومحترمًا، وزوجًا يكنُّ حبًّا جمًّا لزوجته وأبًا صالحًا لأبنائه، وقد قاتلَ من أجل الملكة رينيرا في أثناء الرَّقصة، وفعلَ ذلك بحذقٍ وبسالة. كان معتدًّا بنفسه دون تكبُّر، وعادلًا في الحُكم ولكن ليس قاسيًا، ومخلصًا لأصدقائه، ومطيعًا في واجباته الدِّينيَّة دون مغالاةٍ في التَّقوى، وخالي البال من الطُّموح المفرط. إذا ورثَت الليدي بِايلا العرش فسيكون اللورد روان الزَّوج المثالي، ويدعمها بكلِّ قوَّةٍ وحكمةٍ دون السَّعي للسَّيطرة عليها أو اغتصاب حقِّها في الحُكم. يُخبرنا السِّپتون إيوستس أن الأوصياء كانوا سُعداء للغاية بنتيجة مُداولاتهم.

عند إبلاغ بِايلا تارجاريَن بالزِّيجة المزمعة لم تُشاركهم فرحتهم، إذ يُزعَم أنها قالت لليد: «اللورد روان يكبرني بأربعين سنةً، وأصلع كحجر، ووزن بطنه يزيد على وزني كاملةً!»، ثمَّ أضافَت: «لقد نمتُ مع اثنين من أبنائه، أكبرهم وثالثهم على ما أظنُّ. ليس مع كليهما في الوقت نفسه، فلم يكن ذلك ليليق». لا يُمكننا أن نقول إن كانت في هذا أيُّ حقيقة، فقد عُرِفَت الليدي بِايلا بتعمُّدها الاستفزاز في بعض الأحيان، وإذا كان هذا هدفها هنا فقد نجحَت. أرسلَها اليد إلى غُرفتها، ووضع حرَّاسًا على بابها للتَّأكُّد من بقائها هناك حتى يجتمع الأوصياء.

بعد يومٍ واحد فزِعَ حضرة اليد لما عرفَ أن بِايلا هربَت من القلعة بوسيلةٍ سرِّيَّةٍ ما (تبيَّن فيما بعد أنها تسلَّقت من النَّافذة وبدَّلت بثيابها ثياب إحدى الغسَّالات وخرجت من البوَّابة الأماميَّة). بحلول الوقت الذي ارتفعَ فيه صياح التَّنبيه كانت قد قطعَت نصف الطَّريق عبر (الخليج الأسود) بالفعل، بعد أن استأجرَت صيَّادًا لنقلها إلى (دريفتمارك). هناك سعَت إلى ابن خالها سيِّد المدِّ والجَزر، وأخبرَته بكُربتها، وبعد أسبوعيْن تزوَّج آلِن ڤيلاريون وبِايلا تارجاريَن في السِّبت على (دراجونستون). كانت العروس في السَّادسة عشرة من عُمرها، والعريس قُرابة السَّابعة عشرة.

حثَّ العديد من الأوصياء الغاضبين السير تايلاند على مناشدة السِّپتون الأعلى بإبطال الزَّواج، لكن ردَّ اليد نفسه كان استسلامًا مندهشًا، وبحكمةٍ روَّج لفكرة أن الزِّيجة كانت من ترتيب الملك والبلاط، معتقدًا أن تحدِّي الليدي بِايلا هو الفضيحة لا اختيارها الزَّوج. قال مُطمئِنًا الأوصياء: «الصَّبي ينحدر من دمٍ نبيل، ولا أشكُّ أنه سيُثبِت ولاءه كأخيه». استُرضِيَ ثاديوس روان جريح الكبرياء بخطبته فلوريس

باراثيون، وهي شابَّة سنُّها أربعة عشر عامًا اعتُبِرَت على نطاقٍ واسع أجمل «العواصف الأربع»، الاسم الذي أصبحَت بنات اللورد بوروس الأربع معروفاتٍ به. في حالتها كانت التَّسمية خاطئةً، إذ كانت فتاةً لطيفةً رغم طيشها نوعًا، وقد ماتَت على فِراش الولادة بعد عامَيْن. سيتَّضح أن الزَّواج العاصف هو الذي تمَّ على (دراجونستون)، كما ستُثبِت الأعوام التَّالية.

بالنِّسبة إلى اليد ومجلس الأوصياء أكَّد هرب بِايلا تارجاريَن في منتصف اللَّيل عبر (الخليج الأسود) شكوكهم كلَّها بشأنها. صرَّح السير ويليس فِل بحزن: «الفتاة جامحة وعنيدة وطائشة كما خشينا، والآن ربطَت نفسها بنغل اللورد كورلس المتسلِّق. ثُعبان من طرف الأب وفأرة من جهة الأُم... أهذا مَن سيكون قرين أميرتنا؟». اتَّفق معه الأوصياء؛ لا يُمكن أن تكون بِايلا تارجاريَن وريثة الملك إجون. صرَّح موتون: «يجب أن تكون الليدي رِاينا الوريثة، بشرط أن تتزوَّج».

هذه المرَّة، بإصرارٍ من السير تايلاند، أُشرِكَت الفتاة نفسها في المناقشات. أثبتَت الليدي رِاينا أنها سهلة الانقياد بقدر ما كانت أختها عنيدةً، إذ أقرَّت بأنها ستتزوَّج بالطَّبع بمَن يشاؤه الملك والمجلس، ولكن «من دواعي سروري ألَّا يكون كبيرًا في السِّن لدرجةٍ تمنعه من منحي أطفالًا، ولا سمينًا لدرجة أن يسحقني حين نتشارَك السَّرير. ما دامَ لطيفًا ورقيقًا ونبيلًا فأنا أعلمُ أنني سأحبُّه». عندما سألها اليد إذا كان لديها أيُّ تفضيلٍ بين اللوردات والفُرسان الذين تقدَّموا لخطبتها، اعترفَت بأنها «مولعة بشكلٍ خاص» بالسير كوروين كوربراي الذي التقَته أوَّل مرَّةٍ في (الوادي) حين كانت ربيبة الليدي آرن.

لم يكن السير كوروين بالخيار المثالي، فهو ابن ثانٍ وله ابنتان أنجبَهما

من زوجةٍ سابقة. في سنِّ الثَّانية والثَّلاثين كان رجلًا بالغًا لا صبيًّا أخضر، ومع ذلك كانت عائلة كوربراي عائلةً عريقةً مبجَّلةً، والسير كوروين فارسًا ذا سُمعةٍ حسنة لدرجة أن والده الرَّاحل منحَه (سيِّدة البؤس)، سيف آل كوربراي المصاغ من الفولاذ الڤاليري. كان شقيقه ليوين حامي البلاد، ومن شأن هذا وحده أن يُصعِّب على الأوصياء تقديم أيِّ اعتراض. وبالتَّالي تمَّت الزِّيجة: خطبة سريعة تلاها زفاف أُقيمَ على عجلٍ بعد أسبوعيْن. (كان حضرة اليد يُفضِّل أن تستمرَّ الخطبة وقتًا أطول، لكن الأوصياء شعروا أن من الحكمة أن تتزوَّج رِاينا بسرعة، في حال كانت أختها حاملًا بالفعل).

لم تكن التَّوأمتان السيِّدتيْن الوحيدتيْن في المملكة اللتين تزوَّجتا في عام 132 بعد الفتح، ففي وقتٍ لاحِق من العام نفسه قادَ بنچيكوت بلاكوود سيِّد (شجرة الغِدفان) حاشيةً على (طريق الملوك) إلى (وينترفل)، ليشهد زواج عمَّته أليسين باللورد كريجان ستارك. بوقوع الشَّمال في قبضة الشِّتاء بالفعل، استغرقَت الرِّحلة ثلاثة أضعاف الوقت المتوقَّع، وفقدَ نصف الخيَّالة خيولهم فيما كافحَ الموكب خلال العواصف الثَّلجيَّة العاوية، وتعرَّضت عربات اللورد بلاكوود ثلاث مرَّاتٍ للهجوم من عصابات الخارجين عن القانون، الذين سرقوا الكثير من طعام الموكب وجميع هدايا الزِّفاف. على الرَّغم من ذلك قيلَ إن حفل الزِّفاف نفسه كان رائعًا: ردَّدت آلي السَّوداء وذئبها الشَّمالي نذور الزَّواج أمام شجرة القلوب في أيكة الآلهة المتجمِّدة بـ(وينترفل)، وفي المأدبة التي تلَت ذلك غنَّى ريكون، ابن اللورد كريجان من زوجته الأولى البالغ من العُمر أربع سنوات، أغنيةً لزوجة أبيه الجديدة.

وأيضًا في تلك السَّنة تزوَّجت الليدي إلندا باراثيون، أرملة (ستورمز

إند)، رجلًا جديدًا. لكون اللورد بوروس ميتًا ووريثه أوليفر رضيعًا، كثرَت الغارات الدورنيَّة على (أراضي العواصف)، وأثبَت الخارجون عن القانون في (غابة الملوك) كم هُم مزعجون. شعرَت الأرملة بحاجتها إلى عون رجلٍ شديد البأس كي تحافظ على السَّلام، واختارت السير ستفون كوننجتون، الابن الثَّاني لسيِّد (وكر الجرافِن). رغم أنه أصغر بعشرين عامًا من الليدي إندا، فقد أثبتَ بسالته خلال حملة اللورد بوروس ضدَّ الملك النَّسر، وقد قيلَ إنه باسل بقدر ما هو وسيم.

في أماكن أخرى كان النَّاس منشغلين بالحرب أكثر من حفلات الزِّفاف. على امتداد (بحر الغروب) استمرَّ الكراكن الأحمر ورجاله الحديديُّون في الإغارة والنَّهب. قاتلَت مُدن (تايروش) و(مير) و(لِيس) ضدَّ التَّحالُف ثلاثي الرُّؤوس بين (براڤوس) و(پنتوس) و(لَوراث) عبر (الأعتاب) و(أراضي النِّزاع)، فيما أغلقَت مملكة راكاليو ريندون المسروقة المنفذ الجنوبي لـ(البحر الضيِّق). كسدَت التِّجارة في كلٍّ من (كينجز لاندنج) و(وادي الغسق) و(بِركة العذارى) و(بلدة النَّوارس)، وأتى التُّجَّار والباعة يُوَلوِلون للملك... الذي رفضَ مقابلتهم أو لم يُسمَح له بها، حسب سجلِّ التاريخ الذي نثق به. لاحَ شبح المجاعة في الشَّمال إذ شاهدَ كريجان ستارك وحمَلة رايته مؤنهم تتضاءَل، فيما تصدَّى حرس اللَّيل لهجماتٍ متزايدة من الهمج من وراء (الجِدار).

لاحقًا في ذلك العام اجتاحَت عدوى رهيبة (الأخوات الثَّلاث). قتلَت حُمَّى الشِّتاء -كما سُمِّيَت- نصف سُكَّان (بلدة الأخوات)، فيما انتفضَ النَّاجون من النِّصف النَّاجي، الذين اعتقدوا أنَّ الوباء وصلَ إلى شواطئهم على متن حوَّاتةٍ من (مرفأ إيبن)، وقتلوا جميع البحَّارة الإيبنيزيِّين الذين استطاعوا إمساكهم وأضرَموا النِّيران في سُفنهم. لم يُشكِّل هذا

فرقًا، فعندما اجتازَ الوباء (الخليج النَّاهش) وصولًا إلى (الميناء الأبيض) لم تُجدِ دعوات السِّپتونات وعقاقير المِايسترات على حدٍّ سواء نفعًا. ماتَ آلاف، منهم اللورد دزموند ماندرلي وابنه الجليل السير مدريك، أبرع فارسٍ في الشَّمال، الذي صمدَ بعده لأربعة أيَّامٍ قبل أن يستسلم للدَّاء نفسه. بما أن السير مدريك لم يَترُك ذُرِّيَّةً، كانت لهذا عاقبة مأساويَّة أخرى، إذ انتقلَت اللورديَّة إلى أخيه السير تورين الذي اضطرَّ من ثمَّ إلى التَّخلِّي عن منصبه بين مجلس الأوصياء ليتولَّى حُكم (الميناء الأبيض)، فصارَ الأوصياء بذلك أربعةً، وقد كانوا من قبل سبعةً.

ماتَ العديد من اللوردات الكبار والصِّغار خلال رقصة التَّنانين لدرجة أن (القلعة) أطلقَت على هذه الفترة عن استحقاقٍ اسم شتاء الأرامل. لم يسبق قطُّ أو منذ ذلك الحين في تاريخ (الممالِك السَّبع) أن حظيَت نساء بتلك الكثيرة بتلك السُّلطة العظيمة، حاكماتٍ بدلًا من أزواجهن وإخوتهن وآبائهن المقتولين، وبأسماء أبنائهن الملفوفين بالقماط أو الرُّضَّع. جُمِعَ العديد من قصصهن في المجلَّد الضَّخم الذي ألَّفه المِايستر الرَّئيس أبيلون، المعنوَن بـ(حين حكمَت النِّساء: سيِّدات ما بعد الحرب). على الرَّغم من أن أبيلون يروي قصص مئات الأرامل، سنضطرُّ إلى التَّقيُّد بعددٍ أقل، إذ لعبَت أربع منهن أدوارًا جوهريَّةً في تاريخ المملكة، سواءً أكانت نتائجها جيِّدة أم لم تكن، في أواخِر عام 132 وأوائل عام 133 بعد الفتح.

أولى هؤلاء كانت الليدي چوهانا، أرملة (كاسترلي روك)، التي حكمَت منطقة نفوذ آل لانستر باسم ابنها الصَّغير، اللورد لوريون. مرَّاتٍ عديدةً ناشدَت چوهانا حضرة يد إجون الثَّالث، توأم السيِّد زوجها الرَّاحل، لإرسال دعمٍ ضد المغيرين، لكن دعمًا لم يأتِ. وهكذا،

مستميتةً على حماية ناسها، ارتدَت الليدي چوهانا أخيرًا درع رجلٍ وقادَت رجال (لانسپورت) و(كاسترلي روك) لقتال العدوّ. تحكي الأغاني كيف أنها قتلَت دستةً من الحديديّين أسفل أسوار (كايس)، ولكن يُمكننا تنحية هذه القصص جانبًا ونحن على يقينٍ من كونها محض خيال مغنّين سُكارى (حملَت چوهانا رايةً في المعركة، لا سيفًا). على أن شجاعتها ألهمَت رجالها الغربيّين، لأن المغيرين هُزِموا بسرعةٍ وأُنقِذَت (كايس). (كان عمُّ الكراكِن الأحمر المفضَّل بين القتلى).

حقَّقت الليدي شاريس فوتلي، أرملة (تمبلتون)، شهرةً مختلفةً من خلال جهودها في إعادة بناء تلك البلدة المدَّمرة. حاكمةً باسم ابنها الرَّضيع (بعد نصف عامٍ من معركة (تمبلتون) الثَّانية أنجبَت صبيًّا قويًّا أسود الشَّعر ادَّعت أنه ابن زوجها الرَّاحل الشَّرعي ووريثه، إلَّا أن الأرجح كثيرًا أن الصَّبي كان ابن چون روكستون الجَسور)، أزالَت الليدي شاريس هياكل المتاجر والمنازل المحروقة، وأعادَت بناء أسوار البلدة، ودفنَت الموتى، وزرعَت القمح والشَّعير واللِّفت في الحقول التي احتلَّتها المعسكرات سابقًا، كما أمرَت بتنظيف رأسَي التِنّينيْن سيسموك وڤرميثور وتعليقهما وعرضهما في ميدان البلدة، حيث دفعَ المسافرون سعرًا جيِّدًا لرؤيتهما (بنسًا واحدًا لإلقاء نظرة، ونجمةً للمسهما).

في (البلدة القديمة) ازدادَت العلاقات بين السِّپتون الأعلى وأرملة اللورد أورموند (الليدي سام) سوءًا، عندما تجاهلَت أمر صاحب القداسة الأعلى بعدم مشاركتها ابن زوجها الرَّاحل فِراشه، وأن تحلف أيمان الأخوات الصَّامتات كفَّارةً عن خطاياها. ساخطًا من عصيانها، ندَّد السِّبتون الأعلى بسيِّدة (البلدة القديمة) الأرملة بكونها زانيةً قليلة الحياء، ومنعَها من أن تطأ (السِّپت النَّجمي) بقدمها إلى أن تتوب وتطلب

المغفرة. بدلًا من ذلك امتطَت الليدي سامانثا حصانًا حربيًّا واندفعَت إلى داخل السِّپت فيما كان صاحب القداسة الأعلى يقود صلاةً، وحين طالبَها بأن يعرف ما تُريده، ردَّت الليدي سامنثا أنه بينما أمرَها ألَّا تطأ السِّپت بقدمها فإنه لم يَذكُر شيئًا عن حوافر حصانها. ثمَّ أمرَت فرسانها بإيصاد الأبواب، فما دامَت ممنوعةً من دخول السِّپت فسيُمنَع الجميع. رغم أنه ارتعدَ وتوعَّد ودعا باللَّعنات على «هذه البغي الرَّاكبة حصانًا»، لم يجد السِّپتون الأعلى في النِّهاية خيارًا سوى الخضوع والتَّراجُع.

رابعة هؤلاء النِّساء الاستثنائيَّات (وآخِرهن فيما يتعلَّق بغرضنا) ظهرَت من الأبراج الملتوية والحصون المحترقة في (هارنهال)، تلك الخرابة الشَّاسعة المطلَّة على مياه (عين الآلهة). كان مقرُّ هارن الأسود الملعون متجنَّبًا منسيًّا منذ التقى ديمون تارجاريَن وإيموند ابن أخيه هناك في قتالهما الأخير، وأصبحَ مكانًا يتردَّد إليه الخارجون عن القانون والفرسان اللُّصوص والرِّجال المكسورون، الذين خرجوا من وراء أسواره لسرقة المسافرين وصائدي الأسماك والمزارعين. قبل عامٍ كانوا قليلين، لكن أعدادهم ازدادَت في الآونة الأخيرة، وقيلَ إن مشعوذةً تَحكُمهم، ملكةً ساحرةً تمتلك قوى مخيفةً. عندما وصلَت هذه الحكايات إلى (كينجز لاندنج) قرَّر السير تايلاند أن الوقت قد حانَ لاستعادة القلعة، وعُهِدَ بهذه المهمَّة إلى فارسٍ من الحرس الملكي، السير ريچز جروڤز، الذي انطلقَ من المدينة مع نصفمئة رجلٍ متمرِّس. في (قلعة داري) انضمَّ إليه السير دامون داري بعددٍ مماثل من الجنود، وبتسرُّعٍ افترضَ السير ريچز أن هذا سيكون أكثر من كافٍ للتَّعامُل مع عددٍ قليل من غاصِبي الأراضي.

ولكن لدى وصوله إلى أسوار (هارنهال) وجدَ البوَّابات مغلقةً ومئات

الرِّجال المسلَّحين في الشُّرفات. كان داخل القلعة ما لم يقلَّ عن ستِمئة شخص، ثُلثهم رجال في سنِّ القتال. عندما طلبَ السير ريچز التَّحدُّث إلى سيِّدهم، خرجَت امرأة لتتعامَل معه، وإلى جانبها طفل. اتَّضح أن «الملكة السَّاحرة» في (هارنهال) ليست إلَّا آليس ريڤرز، المرضعة التي كانت أسيرة الأمير إيموند تارجاريَن ثمَّ عشيقته، وادَّعت الآن أنها أرملته. أخبرَت الفارس أن الصَّبي ابن إيموند، فسألَها السير ريچز: «نغله؟»، فردَّت آليس ريڤرز بحدَّة: «بل ابنه الحقيقي ووريثه، وملك (وستروس) الشَّرعي»، ثمَّ أمرَت الفارس بقولها: «اركع أمام ملكك وتعهَّد له بسيفك». ضحكَ السير ريچز من هذا قائلًا: «لا أركعُ للنُّغول، ناهيكِ بنغلٍ هو نتاج قاتِل أقربين وبقرةٍ حلوب».

ما حدثَ بعد ذلك لا يزال محلَّ شيءٍ من الخلاف. يقول البعض إن آليس ريڤرز رفَعت يدها فحسب، وبدأ السير ريچز يَصرُخ ويقبض على رأسه، حتى انفجرَت جمجمته ناثرةً الدِّماء وأجزاء الدِّماغ. ويصرُّ آخرون أن حركة يدها كانت إشارةً أطلقَ على إثرها أحد رُماة النُّشَّابيَّة في الشُّرفات سهمًا أصابَ السير ريچز في عينه. اقترحَ مشروم (الذي كان على بُعد مئات الفراسخ) أن أحد الرِّجال فوق الأسوار ربما كان ماهرًا في استخدام المِقلاع، فمن المعروف عند إطلاق كُرات الرَّصاص اللَّيِّنة بقوَّةٍ كافية أنها تُسبِّب نوع التَّأثير المفجِّر الذي رآه رجال جروڤز ونسبوه إلى السِّحر.

أيًّا ما كان، ماتَ السير ريچز جروڤز في لحظة، وفي غمضة عينٍ فُتِحَت بوَّابات (هارنهال) واندفعَ منها فوج من الخيَّالة الصَّارخين. دارَ قتال دامٍ فرَّ منه رجال الملك، ولكون السير دامون داري حسن المطيَّة حسن الدِّرع حسن التَّدريب، فقد كان من القلائل الذين تمكَّنوا من

الفرار، وطارَدَه أتباع الملكة السَّاحرة طوال اللَّيل قبل أن يتخلَّوا عن المطاردة. اثنان وثلاثون رجلًا من المئة الذين خرجوا بقوا على قيد الحياة ليعودوا إلى (قلعة داري).

في اليوم التَّالي ظهرَ النَّاجي الثَّالث والثَّلاثون. بعد أن قُبِضَ عليه مع اثني عشر آخَرين، أُجبِرَ على مشاهدتهم يموتون واحدًا تلو الآخَر بالتَّعذيب قبل أن يُطلَق سراحه ليُوصل تحذيرًا. قال الرَّجل لاهثًا: «سأخبركم بما قالته لي، ولكن لا تضحكوا. تلك الأرملة وضعَت عليَّ لعنةً. إذا ضحكَ أيٌّ منكم فسأموتُ»، وعندما أكَّد له السير دامون أن أحدًا لن يضحك قال الرَّسول: «تقول ألَّا يعود أحد إلى هناك إلَّا بنيَّة الرُّكوع. أيُّ رجل يقترب من أسوارها سيموت. في تلك الحجارة قوى خفيَّة، والأرملة أيقظَتها. فليحمنا (السَّبعة) جميعًا، إنها تمتلك تنِّينًا! لقد رأيته بنفسي».

اسم هذا الرَّسول غير معروفٍ لنا، وكذا اسم الرَّجل الذي ضحكَ، لكن أحدهم فعلَ، أحد رجال اللورد داري. رمقَه الرَّسول مذعورًا، ثمَّ أطبقَ على حلقه وبدأ يشهق، وعاجزًا عن التَّنفُّس ماتَ في لحظات. يُفترَض أن بصمات أصابع امرأةٍ ظهرَت على جلده، كما لو أنها كانت معه في الغُرفة، تخنقه.

أزعجَ موت فارس الحرس الملكي السير تايلاند للغاية، ولو أن أنوين بيك شكَّك في حديث السير دامون داري عن الشَّعوذة والتَّنانين، وعزا موت ريجز جروڤز ورجاله إلى الخارجين عن القانون، ووافقَه الوصيَّان الآخَران. خلصَ الأوصياء إلى أنهم سيحتاجون إلى قوَّةٍ أكبر لطردهم من (هارنهال) فيما بلغَ عام 132 «السِّلمي» نهايته، ولكن قبل أن يتسنَّى للسير تايلاند تنظيم هجومٍ كهذا، أو حتى التَّفكير فيمن قد يحلُّ محلَّ

السير ريچز في سبعة إجون، حطَّ على المدينة تهديد أسوأ بكثير من أيِّ «ملكةٍ ساحرة»، ففي اليوم الثَّالث من عام 133 بعد الفتح وصلَت حُمَّى الشِّتاء إلى (كينجز لاندنج).

سواء أظهرت الحُمَّى أوَّلًا في غابات (إيب) المظلمة وجاءَت إلى (وستروس) بواسطة حوَّاتة -كما اعتقدَ رجال (الأخوات)- أم لا، كانت بالتَّأكيد تنتشر من ميناءٍ إلى آخَر. تأثَّرت (الميناء الأبيض) و(بلدة النَّوارس) و(بِركة العذارى) و(وادي الغسق)، كلٌّ بدورها، ووصلَت أنباء عن اجتياح الدَّاء (براڤوس) أيضًا. كان أول أعراض العدوى احتقان الوجه، الذي يَسهُل الخلط بينه وبين تورُّد الوجنتين بعد التَّعرُّض للهواء البارد في يوم شتاءٍ قارس، لكن الحُمَّى تبعَته، طفيفةً في البداية، ولكن في ارتفاعٍ مستمر. لم يُساعِد الفصد ولا الثُّوم ولا أيٌّ من العقاقير والكمادات والصِّبغات التي جُرِّبَت، وسُرعان ما اكتشفَ المِايسترات الذين حاولوا فهم ماهية هذا المرض أن وضع المصابين في أحواضٍ من الثَّلج والمياه الباردة يُبطئ من مجرى المرض على ما يبدو، لكنه لا يُوقِفه. بحلول اليوم الثَّاني يبدأ المريض في الارتعاش بعُنفٍ والشَّكوى من البرد، على الرَّغم من ملمسه السَّاخن حدَّ الاحتراق. في اليوم الثَّالث يَحدُث هذيان وتعرُّق دموي، وبحلول اليوم الرَّابع إمَّا يموت المريض... وإمَّا يكون في طريقه إلى التَّعافي إذا انجابَت الحُمَّى. نجا شخص واحد فقط من كلِّ أربعةٍ من حُمَّى الشِّتاء. لم يشهد أحد في (الممالِك السَّبع) مثل هذا الوباء الرَّهيب منذ اجتاحَت الرَّعشة (وستروس) خلال عهد چهيرس الأوَّل.

شُوهِدَت أولى علامات الاحتقان القاتل في (كينجز لاندنج) على امتداد ضفَّة النَّهر بين البحَّارة والمَلَّاحين وباعة الأسماك وعُمَّال الموانىٔ ومتعهِّدي الشَّحن والتَّفريغ وعاهرات الأرصفة اللواتي مارسن حرفتهنَّ

بجانب (النَّهر الأسود). قبل أن يُدرِك معظمهم أنهم مرضى كانوا قد نشروا العدوى في جميع أنحاء المدينة، إلى الأغنياء والفقراء على حدٍّ سواء. عندما بلغَت الأخبار البلاط ذهبَ المِايستر الأكبر مونكن بنفسه لفحص بعض المصابين للتَّأكُّد إن كانت هذه حُمَّى الشِّتاء بالفعل لا مرضًا أقلَّ خطورةً. منزعجًا مما رآه، لم يَعُد مونكن إلى القلعة خوفًا من أنه يكون هو نفسه أصيبَ بالعدوى نظرًا إلى اتِّصاله المباشر بأربعين من العاهرات وعُمَّال الموانئ المحمومين، وبدلًا من ذلك أرسلَ معاونه برسالةٍ عاجلة إلى يد الملك. تصرَّف السير تايلاند فورًا، آمرًا المعاطِف الذَّهبيَّة بإغلاق المدينة ومنع أيِّ أحدٍ من الدُّخول أو الخروج حتى تجري الحُمَّى مجراها، وأمرَ أيضًا بإبقاء بوَّابات (القلعة الحمراء) العظيمة مغلقةً لإبعاد الوباء عن الملك والبلاط.

للأسف لم يكن لحُمَّى الشِّتاء أيُّ احترامٍ للبوَّابات أو الحرَّاس أو أسوار القلعة. على الرَّغم من أن المرض بدا أقلَّ فعَّاليَّةً إلى حدٍّ ما مع زحفه جنوبًا، أصيبَ عشرات الآلاف بالحُمَّى في الأيَّام التَّالية، وثلاثة أرباع هؤلاء ماتوا. اتَّضح أن المِايستر الأكبر مونكن كان من الرُّبع المحظوظ الذي تعافى... لكن اللورد ويليس فِل قائد الحرس الملكي ماتَ بعد إصابته بالعدوى هو واثنين من إخوته المحلَّفين. عزلَ اللورد الحامي ليوين كوربراي نفسه في مسكنه بعدما أصيبَ بالعدوى وحاولَ علاج نفسه بالنَّبيذ المتبَّل السَّاخن، وماتَ هو وعشيقته والعديد من خدمه. أصيبَت اثنتان من خادمات الملكة چهيرا بالحُمَّى وماتَتا، ولو أن الملكة الصَّغيرة نفسها ظلَّت سليمةً وبصحَّةٍ جيِّدة. ماتَ قائد حرس المدينة أيضًا، وبعد تسعة أيَّام تبعَه خليفته إلى القبر. ولم يسلم الأوصياء حتى، فقد مرضَ اللوردان وسترلينج وموتون كلاهما. انقطعَت حُمَّى اللورد موتون ونجا، إلَّا أنه ضعفَ كثيرًا، أمَّا رولاند وسترلينج الأكبر سنًّا فماتَ.

ربما كانت واحدة من تلك الميتات رحمةً، ففي ليلة موت اللورد وسترلينج نفسها ماتَت الملكة الأرملة آليسنت سليلة عائلة هايتاور، زوجة الملك ڤسيرس الأوَّل الثَّانية وأمُّ أبنائه إجون وإيموند ودايرون وابنته هيلينا، بعدما اعترفَت بخطاياها لسِپتتها. كانت قد عاشَت أكثر من أولادها جميعًا، وأمضَت العام الأخير من حياتها محجوزةً في جناحها بلا رفقةٍ إلَّا سِپتتها والخادمات اللواتي أحضرن طعامها والحرَّاس خارج بابها. أُعطِيَت آليسنت كُتبًا وإبرًا وخيوطًا، لكن حرَّاسها قالوا إنها قضَت في البُكاء وقتًا أطول من القراءة أو الحياكة. في أحد الأيَّام مزَّقت ملابسها كلَّها تمزيقًا، وبحلول نهاية العام كانت قد بدأت تُكلِّم نفسها وأصبحَت تُبدي كرهًا جمًّا للَّون الأخضر.

في أيَّامها الأخيرة بدَت الملكة الأرملة أصفى عقلًا، وأخبرَت سِپتتها: «أريدُ أن أرى أبنائي مرَّةً أخرى، وهيلينا، فتاتي الحبيبة، أوه... والملك جهيرس. سأقرأ له كما فعلتُ وأنا صغيرة. كان يقول إن لي صوتًا جميلًا». (من دواعي الاستغراب أن في ساعاتها الأخيرة تحدَّثت الملكة آليسنت كثيرًا عن الملك العجوز، وإن لم تتحدَّث مطلقًا عن زوجها الملك ڤسيرس). جاءَها (الغريب) في ليلةٍ ماطرة، في ساعة الذِّئب.

كلُّ هذه الوفيات سجَّله بأمانةٍ السِّپتون إيوستس، الذي يُراعي إعطاءنا الكلمات الأخيرة الملهمة لكلِّ لوردٍ كبير وليدي نبيلة. يَذكُر مشروم أسماء الموتى أيضًا، لكنه يقضي المزيد من الوقت في ذِكر حماقات الأحياء، مثل المرافق الدَّميم الذي أقنعَ خادمة أفرشةٍ جميلةً بالتَّنازُل عن عُذريَّتها له بإخبارها أنه مصاب بالحُمَّى، و«في غضون أربعة أيَّامٍ سأكونُ ميتًا، وأنا لا أريدُ أن أموت دون أن أعرف الحبَّ أبدًا». أثمرَت حيلته نجاحًا لدرجة أنه جرَّبها مع ستِّ فتياتٍ أخريات... ولكن عندما

لم يَمُت بدأن يتكلَّمن وافتضحَت خُطَّته. ينسب مشروم سبب نجاته إلى الشُّرب، ويقول: «فكَّرتُ أنني إذا شربتُ كمِّيَّةً كافيةً من النَّبيذ فلن أعرف أبدًا إن كنتُ مريضًا، وكلُّ مهرّجٍ يعلم أن الأشياء التي لا تعرفها لن تُؤذيك أبدًا».

خلال تلك الأيَّام المظلمة برزَ بطلان غير متوقَّعيْن لفترةٍ وجيزة. أحدهما كان أورْوايل، الذي حرَّره سجَّانوه من زنزانته بعد أن ماتَ العديد من المِايسترات بالحُمَّى. تركَته الشَّيخوخة والخوف والحبس الطَّويل نُسخةً باهتةً من الرَّجل الذي كانه، وأثبتَت جرعاته وعقاقيره أنها ليست أكثر فعَّاليَّةً من جرعات وعقاقير المِايسترات الآخَرين، ومع ذلك عملَ أورْوايل بلا كللٍ لإنقاذ مَن استطاعَ إنقاذهم وتخفيف ألم مَن لم يستطِع.

البطل الآخَر، لدهشة الجميع، كان الملك الشَّاب. مصيبًا حرسه الملكي بالهلع، قضى إجون أيَّامه في زيارة المرضى، وغالبًا ما جلسَ معهم لساعات، أحيانًا يُمسك أيديهم بيديه أو يُرطِّب جباههم المحمومة بخِرقٍ باردة مبلَّلة. رغم أن جلالته نادرًا ما تحدَّث فقد شاركَهم صمته، واستمعَ لهم فيما حكوا له قصصًا عن حيواتهم، أو توسَّلوا منه المغفرة، أو تباهوا بحكايات الفتوحات والإحسان والأطفال. ماتَ معظم من زارَهم، لكن أولئك الذين عاشوا بعد ذلك نسبوا نجاتهم إلى لمسة ما وصفوه بـ«يدَي الملك الشَّافيتيْن».

ولكن إن كان بالفعل في لمسة الملك شيء من السِّحر -كما يعتقد كثير من العامَّة- فقد فشلَت عندما كانت الحاجة إليها أمسَّ. آخِر سريرٍ زارَه إجون الثَّالث كان سرير السير تايلاند لانستر. خلال أحلك أيَّام المدينة بقيَ السير تايلاند في (بُرج اليد) يُقاوِم (الغريب) ليلًا ونهارًا. على الرَّغم من كونه أعمى ومشوَّهًا فإنه لم يعانِ إلَّا إرهاقًا حتى النِّهاية

تقريبًا... لكن كما شاءَ القدر القاسي، حين مرَّ الأسوأ وقلَّت إصابات حُمَّى الشِّتاء الجديدة حتى انعدمَت تقريبًا، أتى صباحٌ أمرَ فيه تايلاند لانستر خادمه بإغلاق نافذةٍ قائلًا: «الجوُّ بارد جدًّا هنا»... رغم أن النَّار كانت متأجِّجةً في المستوقد، والنَّافذة مغلقةً بالفعل.

تداعى اليد بسرعةٍ بعد ذلك، وأماتَته الحُمَّى خلال يومَيْن بدلًا من الأربعة المعتادة. كان السِّپتون إيوستس معه حين ماتَ، وكذا الملك الصَّبي الذي خدمَه، وقد أمسكَ إجون يده وهو يلتقط آخِر أنفاسه.

لم يكن السير تايلاند لانستر محبوبًا قطُّ. بعد موت الملكة رينيرا حثَّ إجون الثَّاني على قتل ابنها إجون أيضًا، وكرهَه سُود معيَّنون لذلك، ولكن بعد موت إجون الثَّاني بقيَ لخدمة إجون الثَّالث، وكرهه خُضر معيَّنون لذلك. خروجه من بطن والدته ثانيًا، بعد بضع لحظات من شقيقه التَّوأم چيسون، حرمَه مجد (كاسترلي روك) وسيادتها وذهبها،

تاركًا إيَّاه ليكتسب مكانته في العالم بنفسه. لم يتزوَّج السير تايلاند قطُّ ولم يُنجِب أطفالًا، لذلك كان الحداد عليه قليلًا عندما شُيّعَ. أدَّى الوشاح الذي وضعَه لإخفاء وجهه المشوَّه إلى نشوء حكايةٍ عن أن المظهر الذي تحته كان وحشيًّا وشرّيرًا، ونعتَه البعض بالجُبن لإبعاده (وستروس) عن حرب البنات، وأيضًا لأنه لم يفعل الكثير لكبح جماح آل جرايچوي في الغرب. من خلال نقل ثلاثة أرباع ذهب التَّاج من (كينجز لاندنج) في أثناء عمله أمين نقد إجون الثَّاني، زرعَ تايلاند لانستر بذور سقوط الملكة رينيرا، وهي ضربة مكرٍ كلَّفته في النِّهاية عينيه وأُذنيه وصحَّته، وكلَّفت الملكة عرشها وحياتها ذاتها، ومع ذلك يجب أن يُقال إنه خدمَ ابن رينيرا يدًا بإخلاصٍ وأمانة.

تحت حُكم الأوصياء

حرب وسلام وعروض ماشية

كان الملك إجون الثَّالث لا يزال صبيًّا تفصله فترة عن يوم ميلاده الثَّالث عشر، ولكن في الأيَّام التي أعقبَت وفاة السير تايلاند لانستر أظهرَ نُضجًا تجاوزَ سِني عُمره. تخطَّى جلالته السير مارستن ووترز، الثَّاني في قيادة الحرس الملكي، وأعطى معطفيْن أبيضيْن للسير روبن ماسي والسير روبرت داركلين، ونصَّب ماسي اللورد القائد. لأن المِايستر الأكبر مونكن لم يزَل في المدينة يعتني بضحايا حُمَّى الشِّتاء، لجأ جلالته إلى سلفه مُصدرًا تعليماته إلى المِايستر الأكبر السَّابق أورْوايل باستدعاء اللورد ثاديوس روان إلى المدينة. «أريدُ اللورد روان يدي. السير تايلاند قدَّره بما يكفي ليعرض عليه يد أختي للزَّواج، لذلك أعرفُ أن الوثوق به ممكن». أرادَ الملك أيضًا عودة بِايلا إلى البلاط. «سيكون اللورد آلِن أميرالي، كما كان جدُّه». وقد أسرعَ أورْوايل، آملًا الحصول على عفوٍ ملكي ربما، يُرسِل الغِدفان في طريقها.

على أن الملك إجون تصرَّف دون استشارة مجلس الأوصياء، الذين

بقيَ منهم ثلاثة فقط في (كينجز لاندنج): اللورد پيك واللورد موتون والمِايستر الأكبر مونكن، الذي هرعَ عائدًا إلى (القلعة الحمراء) في اللَّحظة نفسها التي أمرَ فيها السير روبرت داركلين بفتح بوَّاباتها مرَّةً أخرى. كان مانفرد موتون طريح الفراش، لا يزال يستعيد قوَّته بعد معركته مع الحُمَّى، وطلبَ تأجيل أيِّ قراراتٍ إلى حين استدعاء الليدي چين آرن واللورد رويس كارون من (الوادي) و(التُّخوم الدورنيّة) ليُشارِكا في المداولات. لكن زميليْه أبيَا ذلك تمامًا، وأصرَّ اللورد پيك أن الأوصياء السَّابقين تخلَّوا عن مناصبهم في المجلس برحيلهم من (كينجز لاندنج). بدعم المِايستر الأكبر (وسيندم مونكن لاحقًا على انصياعه)، نقضَ أنوين پيك جميع تعيينات الملك وترتيباته، على أساس أن لا صبيَّ في الثَّانية عشرة لديه السُّلطة ليُقرِّر مثل هذه الأمور المهمَّة بنفسه.

أُكِّدَ تعيين مارستن ووترز قائدًا للحرس الملكي، فيما أُمِرَ داركلين وماسي بتسليم معطفيهما الأبيضيْن حتى يمنحهما السير مارستن لفارسيْن من اختياره، وأعيدَ المِايستر الأكبر أورْوايل إلى زنزانته لينتظر الإعدام، ولكيلا يُسيئوا إلى اللورد رِوان، عرضَ عليه الأوصياء مكانًا بينهم، ومنصب كبير القُضاة وقيِّم القوانين. لم تُقدَّم لفتة مشابهة لآلِن ڤيلاريون، ولكن بالطَّبع لم يكن ممكنًا لصبيٍّ بسنِّه ونسبه غير المؤكَّد أن يتولَّى منصب اللورد الأميرال. كان منصباً يد الملك وحامي البلاد منفصليْن سابقًا، والآن دُمِجا ولم يشغلهما أحدٌ غير أنوين پيك نفسه.

يُخبرنا مشروم أن الملك إجون الثَّالث ردَّ على قرارات أوصيائه بصمتٍ واجم، متحدِّثًا مرَّةً واحدةً فقط ليحتجَّ على إقالة ماسي وداركلين. قال الصَّبي: «الحرس الملكي يخدمون مدى الحياة»، وهو ما ردَّ عليه اللورد پيك بقوله: «فقط عندما يُعيَّنون حسب الأصول يا جلالة الملك». أمَّا بخلاف ذلك فيُخبرنا السِّپتون إيوستس أن الملك استقبل القرارات

«بأدبٍ» وشكرَ اللورد بيك على حكمته قائلًا: «إنني لا أزالُ صبيًّا كما تعلم حضرتك، وأحتاجُ إلى توجيهاتٍ في هذه الأمور». إذا خالفَت مشاعره الحقيقيَّة ذلك، فإن إجون لم يختَرِ الإفصاح عنها، بل انسحبَ مرَّةً أخرى إلى الصَّمت والسَّلبيَّة.

طوال الفترة المتبقِّية من قصوره شاركَ الملك إجون قليلًا في حُكم مملكته، بوضع توقيعه وختمه على الأوراق التي قدَّمها له اللورد بيك. في مناسباتٍ رسميَّة معيَّنة كان يُؤتى بجلالته للجلوس على العرش الحديدي أو التَّرحيب بمبعوث، ولكن عدا ذلك لم يُرَ داخل (القلعة الحمراء) إلَّا قليلًا، ولم يُرَ خارج أسوارها قَطُّ.

جديرٌ بنا الآن أن نتوقَّف للحظةٍ ونلتفت إلى أنوين بيك، الذي سيَحكُم (الممالِك السَّبع) في كلِّ شيءٍ عدا الاسم قُرابة السَّنوات الثَّلاث في أثناء خدمته وصيًّا على العرش وحاميًا للبلاد ويدًا للملك. كانت عائلته من أقدم عوائل (المرعى)، تعود جذورها العميقة إلى عصر الأبطال والبشر الأوائل. من أسلافه المشاهير الكُثر أمكنَ لحضرته أن يعدَّ أساطير مثل السير أوراثون كسَّار التُّروس، واللورد مرين النسَّاخ، والليدي بيرما ذات الدَّلو الذَّهبي، والسير باركوين المحاصِر، واللورد إديسون الأكبر، واللورد إديسون الأصغر، واللورد إمريك المنتقم. عملَ العديد من سليلي آل بيك مُستشارين في (هايجاردن) عندما كان (المرعى) أغنى وأقوى مملكةٍ في (وستروس). حين بلغَت قوَّة آل ماندرلي أوج الغطرسة والغرور كان لوريمار بيك هو من أذلَّهم ودفعَهم إلى المنفى في الشَّمال، الخدمة التي منحَه الملك پرسيون جاردنر الثَّالث مقابلها معقل آل ماندرلي السَّابق في (دنستنبري) والأراضي التَّابعة له. اتَّخذ جوين نجل الملك پرسيون ابنة اللورد لوريمار عروسًا أيضًا، وهو ما جعلَها سابع عذراءٍ من آل بيك تجلس تحت راية اليد الخضراء ملكةً على (المرعى) كاملًا. على

مرِّ القرون تزوَّجت بنات أخريات لآل بِيك من عائلات ردواين ورِوان وكوستاين وأوكهارت وأوزجري وفلورنت، وحتى من عائلة هايتاور.

انتهى كلُّ هذا مع مجيء التَّنانين. لقيَ اللورد آرمن بِيك وأبناؤه حتفهم في معركة حقل النِّيران بجانب الملك مِرن وذويه، ومع انقطاع نسل آل جاردنر منحَ إجون الفاتِح (هايجاردن) وحُكم (المرعى) لآل تايرل، الوُكلاء الملكيِّين السَّابقين. لم تكن بين آل تايرل وآل بِيك روابط دم، ولا سبب لديهم لتفضيلهم، وهكذا بدأ السُّقوط البطيء لهذه العائلة العريقة. بعد مرور قرنٍ من الزَّمان كان آل بِيك ما زالوا محتفظين بثلاث قلاع، وأراضيهم واسعةً ومأهولةً بالسُّكان، وإن لم تكن خصبةً بشكلٍ خاص، لكنهم لم يعودوا يحتلُّون مكان الصَّدارة بين حمَلة رايات (هايجاردن).

كان أنوين بِيك عازمًا على تصحيح ذلك وإعادة العائلة إلى عظمتها السَّابقة. مثل والده، الذي انحازَ إلى الأغلبيَّة في مجلس عام 101 العظيم، لم يعتقد بِيك أن من شأن امرأةٍ حُكم الرِّجال، وخلال رقصة التَّنانين كان اللورد أنوين من أشرس الخُضر، وقد قادَ ألف سيفٍ وحربةٍ لإبقاء إجون الثَّاني على العرش الحديدي. حين هلكَ أورموند هايتاور في (تمبلتون) اعتقدَ اللورد أنوين في وجوب انتقال قيادة الجيش إليه، لكن منافسيه الكيَّادين سلبوه إياها، ولم يغفر هذا مطلقًا، إذ طعنَ المارِق أوين بورني وخطَّط لقتل راكبَي التَّنانين هيو هامر وأولف وايت. كان اللورد أنوين أبرز متآمري الحسَك (وإن لم يُعرَف هذا على نطاقٍ واسع)، وواحدًا من ثلاثةٍ فقط لم يزالوا على قيد الحياة، وقد أثبتَ في (تمبلتون) أنه ليس رجلًا يُعبَث معه، وسيُثبِت ذلك ثانيةً في (كينجز لاندنج).

بعد أن رفعَ السير مارستن ووترز إلى قيادة الحرس الملكي، طلبَ منه اللورد بِيك منح معطفَيْن أبيضَيْن لاثنين من أقاربه: ابن أخيه السير آموري بِيك ابن (ستارپايك)، وأخيه النَّغل السير مرڤين فلاورز، ووُضِعَ

حرس المدينة تحت قيادة السير لوكاس لايجود، ابن أحد متآمري الحسَك الذين ماتوا في (تمبلتون)، ولاستبدال الرِّجال الذين ماتوا خلال فترتَي حُمَّى الشِّتاء وقمر الجنون، منحَ حضرة اليد معاطف ذهبيَّةً لخمسمئةٍ من رجاله.

لم تكن الثِّقة من طباع اللورد بيك، وكلُّ ما رآه -وكان جزءًا منه- في (تمبلتون) أقنعَه بأن أعداءه سيُطيحون به إذا أتيحَ لهم ولو نصف فُرصة. كان حريصًا دائمًا على سلامته، فأحاطَ نفسه بحرسه الشَّخصيِّين، عشرة من المرتزِقة المخلصين له فقط (والذَّهب الذي أغدقَ به عليهم)، أصبَحوا يُعرَفون في وقتٍ لاحق بـ«أصابعه». كان لقائدهم، وهو مغامر ڤولانتيني يُسمَّى تيساريو، وشمٌ بشكل خطوط نمرٍ على وجهه وظهره، علامات جُنديٍّ عبد. دعاه النَّاس بتيساريو النَّمر في وجهه، الأمر الذي سرَّه، وخلف ظهره دعوه بتيساريو الإبهام، اللَّقب السَّاخر الذي أطلقَه عليه مشروم.

ما إن أمَّن اليد الجديد نفسه حتى بدأ يُحضِر مؤيِّديه وأقاربه وأصدقاءه إلى البلاط، بدلًا من الرِّجال والنِّساء الذين كان ولاؤهم أقلَّ ضمانًا. عُيِّنَت خالته الأرملة كلاريس أوزجري مسؤولةً عن أهل بيت الملكة جهيرا، لتُشرِف على وصيفاتها وخدمها، فيما حصلَ السير جاريث لونج، قيِّم السِّلاح في (ستارپايك)، على المنصب نفسه في (القلعة الحمراء) وكُلِّفَ بتدريب الملك إجون على الفروسيَّة، وعُيِّنَ چورج جريسفورد سيِّد (البهو المقدَّس) والسير ڤيكتور ريزلي فارس (فسحة ريزلي) -النَّاجي الوحيد من متآمري الحسَك غير اللورد بيك نفسه- وليَّ الاعترافات وعدالة الملك على التَّوالي.

وصلَت قرارات اليد إلى حدِّ صرف السِّپتون إيوستس، محضرًا بدله رجلًا أصغر سنًّا هو السِّپتون برنارد، ليُلبِّي احتياجات البلاط الرُّوحانيَّة

ويُشرِف على تعليم جلالته الدِّيني والأخلاقي. كان برنارد أيضًا من دمه، ينحدر من نسل أختٍ صُغرى لجدِّه. بمجرَّد إعفائه من مهامه رحلَ السِّپتون إيوستس من (كينجز لاندنج) إلى (السِّپت الحجري)، مسقط رأسه، حيث كرَّس نفسه لكتابة عمله العظيم -وإن كان مضجرًا إلى حدٍّ ما- (عهد الملك ڤسيرس الأوَّل، ورقصة التَّنانين التي تلَته). للأسف فضَّل السِّپتون برنارد تأليف الموسيقى المقدَّسة على تدوين نميمة البلاط، وبالتَّالي لا تهمُّ كتاباته المؤرِّخين والباحثين كثيرًا (ويُحزِننا القول إنها تلقى اهتمامًا أقل ممَّن يجدون مُتعةً في الموسيقى المقدَّسة).

لم يسرَّ أيٌّ من هذه التَّغييرات الملك الصَّغير. لم يرضَ جلالته عن الحرس الملكي تحديدًا، إذ لم يرُقه الرَّجلان الجديدان ولم يثق بهما، ولم ينسَ حضور السير مارستن ووترز عند موت والدته. وكرهَ الملك إجون أصابع اليد أكثر، خاصَّةً قائدهم الوقح سليط اللِّسان تيساريو الإبهام. ثمَّ تحوَّلت الكراهية إلى بغضاء عندما قتلَ الڤولانتيني السير روبن ماسي، أحد الفارسيْن الشَّابَّيْن اللذين رغبَ إجون في اختيارهما لحرسه الملكي، في شجارٍ على حصانٍ أرادَ الرَّجلان شراءه.

سُرعان ما تنامى عند الملك نفور قوي من قيِّم سلاحه الجديد أيضًا. كان السير جاريث لونج مبارزًا ماهرًا ولكن معلِّمًا صارمًا، اشتهرَ في (ستارپايك) بقسوته على الفِتية الذين درَّبهم. مَن لم يستوفوا معاييره أُجبِروا على البقاء أيَّامًا دون نوم، وغُمِروا في أحواضٍ من الماء المثلَّج، وحُلِقَت رؤوسهم، وتعرَّضوا للضَّرب في كثيرٍ من الأحيان. لم يكن أيٌّ من هذه العقوبات متاحًا للسير جارث في منصبه الجديد، فرغم أن إجون كان تلميذًا متجهِّمًا ولم يُظهر إلَّا ضئيل الاهتمام بتمارين السَّيف أو فنون الحرب، كان شخصه الملكي مُصانًا، ومتى خاطبَه السير جارث بصوتٍ أعلى من اللَّازم أو بلهجةٍ أخشن من اللَّازم، رمى الملك سيفه وتُرسه ببساطةٍ وانصرفَ.

بدا أن لإجون رفيقًا واحدًا فقط اهتمَّ لأمره. لم يُشارِك جيمون ذو الشَّعر الباهت، ساقيه وذوَّاقه البالغ من العُمر ست سنوات، الملك جميع وجباته فقط، بل رافقَه غالبًا إلى ساحة التَّدريب، وهو ما لم تفُت السير جارث ملاحظته. بصفته نغلًا ابن عاهرة، كانت قيمة جيمون في البلاط طفيفةً، لذلك حين طلبَ السير جارث من اللورد بيك أن يجعل الصَّبي كبش فداء الملك، سرَّ حضرة اليد أن يفعل ذلك، ومن بعدها أدَّى أيُّ سلوكٍ سيِّئ أو كسلٍ أو مشاغبةٍ من جانب الملك إجون إلى معاقبة صديقه. أثَّرت دماء جيمون ودموعه في الملك كما لم تفعل من قبل أيٌّ من كلمات جاريث لونج، وسُرعان ما انتبهَ إلى تحسُّن جلالته كلُّ رجلٍ شاهدَه في ساحة القلعة، لكن كراهية الملك لمدرِّبه تعمَّقت أكثر.

دائمًا ما عاملَ الأعمى المقعد تايلاند لانستر الملك باحترامٍ وتحدَّث إليه

بلُطفٍ وسعى للإرشاد بدلًا من القيادة، أمَّا أنوين بِيك فكان يدًا أشد صرامةً، فظًّا وصعب المراس، أبدى القليل من الصَّبر مع الملك الصَّغير وعاملَه «مثل صبيٍّ عابس أكثر من ملك» على حدِّ تعبير مشروم، ولم يبذل أيَّ جهدٍ لإشراك جلالته في الحُكم اليومي لمملكته. عندما تراجعَ إجون الثَّالث إلى الصَّمت والوحدة والسَّلبيَّة الكئيبة، كان من دواعي سرور يده أن يتجاهَله، اللهم إلَّا في بعض المناسبات الرَّسميَّة التي تطلَّبت حضوره.

سواء أكان ذلك صوابًا أم خطأً، نُظِرَ إلى السير تايلاند لانستر على أنه يد ضعيف وغير فعَّال، وفي الآن نفسه -بطريقةٍ ما- شرير وماكر، بل ووحشي أيضًا. جاءَ اللورد بِيك إلى اليدويَّة مصمِّمًا على إظهار قوَّته واستقامته، وأعلنَ أمام الملك وبلاطه: «هذا اليد ليس بالأعمى ولا بمخفيِّ الوجه ولا بالمقعد. هذا اليد ما زال بإمكانه أن يمتشق السَّيف». هكذا قال، واستلَّ حُسامه الطَّويل من غِمده ورفعَه عاليًا حتى يراه الجميع. جالَت الهمسات في أنحاء القاعة، فالنَّصل الذي حملَه سيادته لم يكن تقليديًّا، بل مُصاغ من الفولاذ الڤاليري: (الميتِّمة)، السَّيف الذي شُوهِدَ آخِر مرَّةٍ في يدَي الجَسور چون روكستون وهو يُقاتِل رجال هيو هامر الصُّلب في فِناءٍ بـ(تمبلتون).

يُعلِّمنا السِّپتونات أن عيد (الأب في الأعالي) هو اليوم الأنسب لإصدار الأحكام. في عام 133 بعد الفتح قضى اليد الجديد أن يكون هذا اليوم الذي يُعاقَب فيه أخيرًا الذين سبقَ أن حُوكِموا على جرائمهم. محابس المدينة كانت مزدحمةً حدَّ الانفجار، وحتى الزَّنازين العميقة تحت (القلعة الحمراء) كانت شبه ممتلئة، ومع ذلك أفرغَها اللورد أنوين، فسيقَ السُّجناء أو جُرُّوا إلى الميدان أمام بوَّابات (القلعة الحمراء)، حيث

تجمَّع آلاف من ساكنة (كينجز لاندنج) لرؤيتهم يتلقَّون ما يستحقُّونه. فيما شاهدَ الملك الصَّغير المتجهِّم ويده الصَّارم المشهد أسفلهما من الشُّرفات، شرعَ عدالة الملك في تنفيذ الأحكام، ولما كان العمل أكثر من أن يُنجِزه سيف واحد، كُلِّفَ تيساريو الإبهام وأصابعه بمساعدته.

يُعلِّق مشروم: «كان يُمكن أن يَفرُغوا بسرعةٍ أكبر لو أرسلَ اليد إلى (شارع الذُّباب) في طلب جزَّارين، لأن ما حدثَ من تقطيعٍ وفلقٍ كان من أعمال الجزارة». أربعون لصًّا بُترَت أيديهم، وخُصِيَ ثمانية مغتصبين ثمَّ سيقوا عُراةً إلى ضفَّة النَّهر بأعضائهم التناسلية معلَّقةً من أعناقهم ليُوضَعوا على متون سُفنٍ متَّجهة إلى (الجِدار)، وقُطِعَ لسان رجلٍ اشتُبِهَ في كونه من الصَّعاليك وادَّعى أن (السَّبعة) أرسلوا حُمَّى الشِّتاء لمعاقبة عائلة تارجاريَن على سِفاح القُربى، وشُوِّهَت عاهرتان مصابتان بالجُدري بطرائق لا تُوصَف لإصابتهما عشرات الرِّجال بالعدوى، وسُلَّت أنوف ستَّة خدمٍ مذنبين بالسَّرقة من سادتهم، وأنف سابعٍ صنعَ ثقبًا في الحائط ليسترق النَّظر إلى بنات سيِّده في عُريهن، واقتُلِعَت عينه الجانية أيضًا.

بعد ذلك جاءَ دور القتلة. سبعة أُحضِروا، أحدهم صاحب نُزلٍ كان يَقتُل أفرادًا معيَّنين من ضيوفه (الذين قدَّر أن أحدًا لن يفتقدهم)، ويسرق مقتنياتهم الثَّمينة منذ عهد الملك العجوز. لئن شُنِقَ القتَلة الآخَرون مباشرةً، قُطِعَت يداه هو وأُحرِقَتا أمام عينيه، ثمَّ شُنِقَ بأنشوطةٍ وبُقِرَ بطنه فيما اختنقَ.

جيءَ أخيرًا بأبرز ثلاثة سُجناء، أولئك الذين كانت الجماهير تنتظرهم: «راعٍ مولود من جديد» آخَر، وتاجر بنتوشي اتُّهِمَ وأُدينَ بجلب حُمَّى الشِّتاء من (بلدة الأخوات) إلى (كينجز لاندنج)، والمِايستر الأكبر السابق أورْوايل، الخائن المدان والمتهرِّب من حرس اللَّيل. تكفَّل عدالة

الملك، السير ڤيكتور ريزلي، بكلٍّ منهم بنفسه، فأزالَ رأسَي الپنتوشي والرَّاعي الكاذب بفأس الجلَّاد، أمَّا المايستر الأكبر أورْوايل فمُنِحَ شرف الموت بالسَّيف، نظرًا إلى سنِّه ونسبه العالي وخدمته الطَّويلة.

كتبَ السِّپتون إيوستس، الذي سيُغادر إلى (السِّپت الحجري) في اليوم التَّالي: «حين انتهى عيد (أبينا في الأعالي) وتفرَّق الغوغاء عند البوَّابات، كان يد الملك راضيًا تمامًا. ليت بإمكاني أن أكتب أن العوام عادوا إلى منازلهم وأكواخهم للصَّوم والصَّلاة والاستغفار من خطاياهم، لكن ذلك بعيد كلَّ البُعد عن الحقيقة. بدماءٍ حامية سعوا بدلًا من ذلك إلى أوكار الخطيئة، وازدحمَت حانات المدينة وخمَّاراتها ومواخيرها حتى كادَت تنفجر، فهكذا شرُّ الإنسان». قال مشروم الشَّيء نفسه، ولكن بطريقته الخاصَّة: «كلَّما رأيتُ رجلًا يُقتَل طابَ لي أن أتلذَّذ بإبريق نبيذٍ وبعده بامرأة، لتذكير نفسي بأنني ما زلتُ حيًّا».

وقفَ الملك إجون الثَّالث فوق متاريس مبنى البوَّابة طوال عيد (أبينا في الأعالي)، ولم يتكلَّم ولم يُشِح بنظره عن إراقة الدِّماء بالأسفل. علَّق السِّپتون إيوستس: «كأن الملك كان مصنوعًا من الشَّمع»، ويُوافِقه المايستر الأكبر مونكن بقوله: «كان جلالته حاضرًا لأن هذا واجبه، ورغم ذلك بدا بطريقةٍ ما بعيدًا أيضًا. التفتَ بعض المدانين إلى المتاريس ليَصرُخوا متوسِّلين الرَّحمة، ولكن لم يبدُ أن الملك رآهم على الإطلاق أو سمعَ توسُّلاتهم اليائسة. فليثق القارئ بأن هذه الوليمة قدَّمها لنا اليد، وبأنه هو الذي التهمَها التهامًا».

بحلول منتصَف العام أصبحَت القلعة والمدينة والملك في قبضة اليد الجديد. كان الرَّعايا هادئين، وحُمَّى الشِّتاء انحسرَت، والملكة چهيرا مختبئةً في عُزلة غُرفتها، والملك إجون يتدرَّب في السَّاحة صباحًا ويُحدِّق إلى

النُّجوم ليلًا. أمَّا خارج أسوار (كينجز لاندنج) فقد تفاقمَت المشكلات التي ابتُلِيَت بها المملكة خلال العاميْن السَّابقيْن. تلاشَت التِّجارة حتى انعدمَت، واستمرَّت الحرب في الغرب، وسيطرَت المجاعة والحُمَّى على جزءٍ كبير من الشَّمال، وفي الجنوب كان الدورنيُّون يزدادون جرأةً وإزعاجًا. قرَّر اللورد بيك أنه الوقت المناسب ليُظهر العرش الحديدي قوَّته.

انتهى بناء ثمانٍ من السُّفن الحربيَّة العظيمة العشر التي أمرَ بها السير تايلاند، لذلك قرَّر اليد أن يبدأ بفتح (البحر الضيِّق) للتِّجارة مرَّةً أخرى، ولقيادة الأسطول الملكي استغلَّ عمًّا آخَر، السير جدموند بيك، المقاتل المحنَّك المعروف بلقب جدموند الفأس العظيمة نسبةً إلى سلاحه المفضَّل. على الرَّغم من شُهرته عن استحقاقٍ ببراعته مُحاربًا، كانت معرفة السير جدموند وخبرته بالسُّفن محدودةً، لذلك استدعى سيادته أيضًا السفَّان المرتزِق سيِّئ السُّمعة ند بين (المدعو بالفول الأسود، للحيته السَّوداء الكثيفة) ليكون بمثابة اليد اليُمنى للفأس العظيمة ويُشير عليه في جميع الأمور البحريَّة.

كان الوضع في (الأعتاب) حين أبحرَ الفأس العظيمة والفول الأسود فوضويًّا على أقلِّ تقدير. معظم سُفن راكاليو ريندون كُنِسَ من البحر، لكنه لم يزَل يَحكُم (حجر الدَّم)، أكبر الجُزر، وبضع صخورٍ أصغر. كان التايروشيُّون على وشك التَّغلُّب عليه عندما عقدَت (لِيس) و(مير) اتِّفاق سلامٍ وشنَّتا هجومًا مشتركًا على (تايروش)، وهو ما أجبرَ الأركون على سحب سُفنه وسيوفه. كان تحالُف (براڤوس) و(پنتوس) و(لوراث) ثُلاثي الرُّؤوس قد فقدَ أحد رؤوسه مع انسحاب اللوراثيِّين، وإن سيطرَ الآن المرتزِقة البنتوشيُّون على ما ليس في أيدي رجال راكاليو من جُزر (الأعتاب)، وحازَت سُفن البراڤوسيِّين الحربيَّة المياه الواقعة بينها.

لم يكن لـ(وستروس) أمل في الانتصار في حربٍ بحريَّة ضدَّ (براڤوس)، وقد عرفَ اللورد أنوين ذلك، فأعلنَ أن هدفه أن يضع حدًّا للمارِق راكاليو ريندون ومملكته القُرصانيَّة، وتأسيس سُلطةٍ للعرش على (حجر الدَّم) لضمان عدم إغلاق (البحر الضيِّق) من جديد. لم يكن الأسطول الملكي، المكوَّن من ثماني سُفنٍ حربيَّة جديدة ونحو عشرين من الأكواج والقوادس القديمة، كبيرًا بما يكفي لإنجاز ذلك، لذلك كتبَ اليد إلى (دريفتمارك) مُمليًا على سيِّد المدِّ والجزر أن «تحشد أساطيل السيِّد جدِّك وتضعها تحت إمرة عمِّنا الصَّالح جدموند ليعمل على فتح الطُّرق البحريَّة مرَّةً أخرى».

لم يكن هذا إلَّا ضالَّة آلِن ڤيلاريون التي نشدَها طويلًا كثُعبان البحر من قبله، ولو أن اللورد الشَّاب تأجَّج غضبًا عندما قرأ الرِّسالة، وأعلنَ: «إنها أساطيلي الآن، وقرد بايلا أقدر على قيادتها من العمِّ جدموند هذا». ومع ذلك فعلَ كما أُمِرَ، فحشدَ ستِّين قادسًا حربيًّا وثلاثين سفينةً طويلةً وأكثر من مئة كوجٍ تضمَّنت أكواجًا عظيمة لمقابلة الأسطول الملكي إذ أقلعَ من (كينجز لاندنج). بينما مرَّ الأسطول الحربي العظيم من (الحُلقوم) أرسلَ السير جدموند الفول الأسود إلى سفينة قيادة اللورد آلِن، (الملكة رينس)، برسالةٍ تمنحه الصَّلاحية لتولِّي قيادة سرايا سُفن ڤيلاريون، «حتى ينتفعوا من سنوات خبرته الطَّويلة»، ليُعيده اللورد آلِن برسالةٍ إلى السير جدموند كتبَ فيها: «كنتُ لأشنقه، لكني أكرهُ أن أضيِّع حبل قنَّبٍ جيِّدًا على حبَّة فول».

في الشِّتاء تسود رياح شماليَّة قويَّة (البحر الضيِّق) في أغلب الأحيان، لذلك انطلقَ الأسطول بسرعةٍ بالغة في رحلته جنوبًا. قُبالة (تارث) خرجَ المجذِّفون باثنتي عشرة سفينةً طويلةً أخرى لتعزيز صفوف الأسطول، بقيادة اللورد بريندمير نجم المساء، غير أن الأخبار التي جلبَها سيادته لاقَت ترحيبًا أقل، إذ تحالفَ أمير بحر (براڤوس) وأركون (تايروش)

وراكاليو ريندون. سيَحكُمون (الأعتاب) حُكمًا مشتركًا، ولن يُسمَح إلا للسُّفن المرخَّص لها بالتِّجارة من (براڤوس) أو (تايروش) بالمرور. أرادَ اللورد آلِن أن يعرف: «وماذا عن (بنتوس)؟»، فأبلغَه نجم المساء: «أُهمِلَت. الفطيرة المجزَّأة أثلاثًا شرائحها أكبر من تلك المقسَّمة أرباعًا».

قرَّر جدموند الفأس العظيمة (الذي أصيبَ بدُوار البحر في أثناء الرِّحلة لدرجة أن البحَّارة لقَّبوه بجدموند المريض الأخضر) وجوب إبلاغ يد الملك بهذا الحِلف الجديد بين المدن المتحاربة. أرسلَ نجم المساء غُدافًا إلى (كينجز لاندنج) بالفعل، لذلك قضى پيك ببقاء الأسطول عند (تارث) حتى تلقِّي رد. جادلَ آلِن ڤيلاريون: «سيُفقِدنا ذلك أيَّ أملٍ في مفاجأة راكاليو»، لكن السير جدموند أثبتَ أنه حرون متعنِّت، وافترقَ القائدان غاضبيْن.

وعند شروق شمس اليوم التَّالي أيقظَ الفول الأسود السير جدموند لإبلاغه بأن سيِّد المدِّ والجَزر رحلَ، وأن أسطول ڤيلاريون بأكمله انسلَّ مبتعدًا خلال اللَّيل، فأطلقَ جدموند الفأس العظيمة نخيرًا قائلًا: «أراهنُ أنه فرَّ عائدًا إلى (دريفتمارك)»، ووافقَه ند بين ناعتًا اللورد آلِن بـ«الصَّبي المرعوب».

تبيَّن أن الصَّواب جانبَهما تمامًا، فقد أخذَ اللورد آلِن سُفنه جنوبًا لا شمالًا. بعد ثلاثة أيَّام، بينما لبثَ جدموند ذو الفأس العظيمة وأسطوله الملكي قُبالة سواحل (تارث) في انتظار وصول غُداف، نشبَت المعركة بين صخور (الأعتاب) ومسلَّاتها البحريَّة وممرَّاتها المائيَّة المتشابكة. وقعَ الهجوم على البراڤوسيِّين على حين غرَّةٍ فيما احتفلَ الأميرال الأعلى وأربعون من ربابنته على (حجر الدَّم) مع راكاليو ريندون ومبعوثي (تايروش). نصف السُّفن البراڤوسيَّة استُولِيَ عليه أو أُحرِقَ أو أُغرِقَ وهي لا تزال في المراسي أو مربوطةً بالأرصفة، وغيرها فيما رفعَت أشرعتها

محاولةً الإقلاع.

لم يخلُ القتال من الدِّماء تمامًا، فقد شقَّت (التَّحدِّي الأغَر) -وهي دُرمونة[25] براڤوسيَّة شاهقة ذات أربعمئة مجذاف- طريقها قتالًا بين نصف دستةٍ من سُفن ڤيلاريون الحربيَّة الأصغر لتَبلُغ البحر المفتوح، فقط لتجد اللورد آلِن نفسه ينقضُّ عليها. حاولَ البراڤوسيُّون بعد فوات الأوان الدَّوران لمواجهة مهاجِميهم، لكن الدُّرمونة الضَّخمة كانت ثقيلةً في الماء وبطيئةً في الرَّد، لتضرب (الملكة ريينس) جانبها بقوَّةٍ مندفعةً
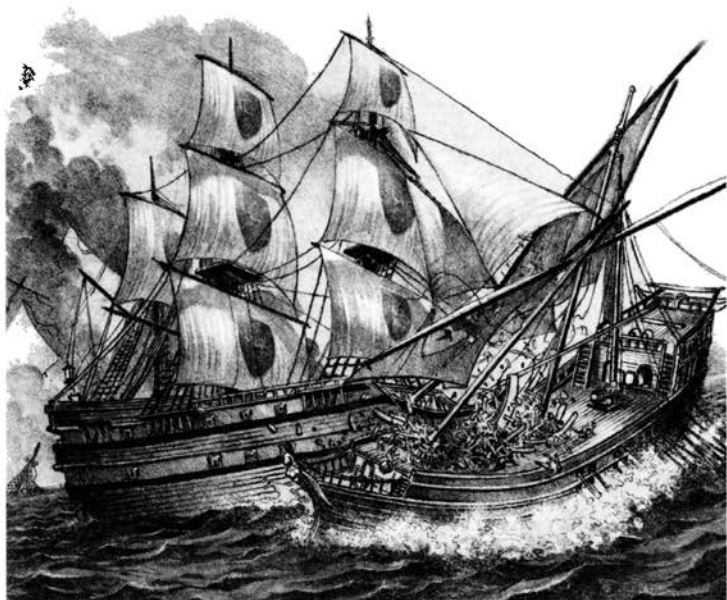
25 - الدُّرمونة: من السُّفن الحربيَّة ذات الأشرعة والمجاذيف، تتميَّز بسرعتها وحجمها الكبير وقُدرتها على حمل عددٍ كبير من الرِّجال. (المترجمون).

ومجاذيفها جميعًا تمخض المياه.

ارتطمَت مقدِّمة (الملكة) بجانب السَّفينة البراقوسيَّة «كقبضة سنديانٍ عظيمة»، كما كتبَ أحد المراقبين لاحقًا، فشطَّت مجاذيفها ونفذَت من ألواحها وبدنها مُسقطةً صواريها وشاطرةً الدُّرمونة الهائلة نصفيْن تقريبًا. عندما صاحَ اللورد آلِن في مجذِّفيه بالتَّقهقُر تدفَّفت مياه البحر عبر الجُرح الأنجل الذي أحدثَته (الملكة)، لتغرق (التَّحدِّي الأغَر) في لحظاتٍ معدودات «ومعها كبرياء أمير البحر المتضخِّمة».

كان نصر آلِن ڤيلاريون ساحقًا. رغم أنه فقدَ ثلاث سُفن في (الأعتاب) -إحداها للأسف (القلب الصَّادق)، التي كانت تحت إمرة دايرون ابن عمِّه، الذي غرقَ معها حين غرقَت- فقد أغرقَ أكثر من ثلاثين سفينةً وغنمَ ستَّ قوادس وأحد عشر كوجًا وتسعًا وثمانين رهينةً وكمِّيَّاتٍ مهولةً من الطَّعام والشَّراب والعتاد والعُملة، وفيلًا كان في طريقه إلى معرض وحوش أمير البحر. عادَ سيِّد المدِّ والجَزر بكلِّ هذا إلى (وستروس)، إلى جانب اللَّقب الذي سيحمله لبقيَّة حياته الطَّويلة: قبضة السِّنديان. عندما مخرَ اللورد آلِن بسفينته (الملكة رينس) مياه (النَّهر الأسود)، ودخلَ المدينة من (بوَّابة النَّهر) راكبًا فيل أمير البحر، اصطفَّ عشرات الآلاف في شوارع المدينة هاتفين باسمه لينالوا نظرةً على بطلهم الجديد، وعند بوَّابات (القلعة الحمراء) ظهرَ الملك إجون الثَّالث ليُرحِّب به بنفسه.

ما إن أصبحوا داخل أسوار القلعة حتى اختلفَت القصَّة. لدى بلوغ آلِن قبضة السِّنديان قاعة العرش كان الملك الصَّغير قد اختفى بطريقةٍ ما، وبدلًا من ذلك وجدَ اللورد أنوين بيك يُطالِعه عابسًا من فوق العرش الحديدي ويقول له: «أيُّها الأحمق، أيُّها الأحمق الملعون ثلاثًا. لو

أني أجرؤ لأمرتُ بقطع رأسك اللَّعين».

كان لغضبة حضرة اليد العارمة سببٌ وجيه. على الرَّغم من هتاف الغوغاء الصَّاخب لقبضة السِّنديان، فإن الهجوم المتهوِّر لبطلهم الشَّاب الجريء تركَ (وستروس) في وضعٍ حرج. ربما استولى اللورد ڤيلاريون على نحو عشرين من سُفن (براڤوس) وفيل، لكنه لم يأخُذ (حجر الدَّم) ولا أيًّا من جُزر (الأعتاب) الأخرى، فالفُرسان والأجناد الذين تطلَّبهم غزوٌ كهذا كانوا على متون سُفن الأسطول الملكي الأكبر، التي هجرَها قُبالة سواحل (تارث). كان تدمير مملكة قراصنة راكاليو ريندون هدف اللورد بيك، وبدلًا من ذلك بدا أن راكاليو أضحى أقوى من أيِّ وقتٍ مضى. آخِر شيءٍ أرادَه اليد هو الحرب مع (براڤوس)، أغنى المدن الحُرَّة التِّسع وأقواها. هدرَ بيك: «وهذا ما أعطيتنا إيَّاه رغم ذلك يا سيِّدي، أعطيتنا حربًا».

ردَّ اللورد آلِن بوقاحة: «وفيلًا. أرجو ألَّا تنسى الفيل يا سيِّدي».

أثارَ التَّعليق ضحكاتٍ مكتومةً متوتِّرةً، حتى من رجال اللورد بيك المختارين بعناية، كما يُخبرنا مشروم، لكن اليد لم يستطرِف الرَّد. يقول القزم: «إذ لم يكن عن نفسه رجلًا يحبُّ الضَّحك، وحبُّه أن يضحك منه النَّاس أقل وأقل».

رغم أن رجالًا آخَرين قد يخشون استفزاز عداوة اللورد أنوين، كان آلِن قبضة السِّنديان مطمئنًّا لقوَّة شوكته، فمع أنه بالكاد رجل بالغ، بل ونغل أيضًا، فقد كان متزوِّجًا بأخت الملك غير الشَّقيقة، وتحت إمرته كلُّ قوَّة آل ڤيلاريون وثروتهم، وأصبح للتَّوِّ قُرَّة عين الرَّعيَّة. سواء أكان اللورد الوصي أم لا، لم يكن أنوين بيك مجنونًا لدرجة تخيُّل أن بإمكانه أن يُؤذي بطل (الأعتاب) دون عواقب.

يَكتُب المِايستر الأكبر مونكن في (قصَّة حقيقيَّة): «يشكُّ الشُّبَّان كلُّهم أنهم خالدون، ومتى تذوَّق مُحارب شاب نبيذ النَّصر القويَّ أصبحَ الشَّكُّ يقينًا. على أن ثقة الشَّباب لا تزن الكثير مقابل مكر الشَّيخوخة. قد يبتسم اللورد آلِن لتوبيخ اليد، لكنه سُرعان ما سيُعطى سببًا وجيهًا للخوف من مكافآت اليد».

كان مونكن يعرف عمَّ يكتب. بعد سبعة أيَّامٍ من عودته المظفَّرة إلى (كينجز لاندنج)، كُرِّمَ اللورد آلِن في حفلٍ فخم بـ(القلعة الحمراء)، حيث جلسَ الملك إجون الثَّالث على العرش الحديدي فيما شاهدَ البلاط ونصف المدينة. نصَّبه السير مارستن ووترز قائد الحرس الملكي فارسًا، ولفَّ أنوين بيك اللورد الوصي ويد الملك سلسلة الأميرال الذَّهبيَّة حول رقبته وقدَّم له نُسخةً فضِيَّةً طبق الأصل من (الملكة رينس) رمزًا لانتصاره، وسألَه الملك نفسه إن كان سيادته يُوافِق على الخدمة في مجلسه الصَّغير قيِّمًا للسُّفن، فقبلَ اللورد آلِن بتواضُع.

يقول مشروم: «ثمَّ انغلقَت أصابع اليد حول رقبته. كان الصَّوت صوت إجون، والكلمات كلمات أنوين». أعلنَ الملك الصَّغير أن رعاياه في الغرب يُعانون منذ فترةٍ طويلة من مُغيري (جُزر الحديد)، ومَن أفضل لجلب السَّلام إلى (بحر الغروب) من أميراله الجديد؟ ووجدَ آلِن قبضة السِّندِيان، ذلك الشَّاب الأبيُّ العنيد، أن لا خيار لديه إلَّا الموافقة على الإبحار بأساطيله حول طرف (وستروس) الجنوبي لاستعادة (الجزيرة القصيَّة) وإنهاء التَّهديد المتمثِّل في دالتون جرايجوي ورجاله الحديديِّين.

نُصِبَ الفخُّ بدقَّة. كانت الرِّحلة محفوفةً بالمخاطر، وعلى الأرجح ستُلحِق خسائر فادحةً بأسطول ڤيلاريون. امتلأت (الأعتاب) بالأعداء الذين لن يُفاجَؤوا مرَّةً أخرى، وخلفها وقعَت سواحل (دورن) القاحلة،

حيث لن يستطيع اللورد آلِن العثور على مرسى آمن غالبًا، وإذا بلغَ (بحر الغروب) فسيجد الكراكِن الأحمر منتظرًا مع سُفنه الطَّويلة. إذا انتصرَ الرَّجل الحديدي فستنكسِر قوَّة آل ڤيلاريون إلى الأبد، ولن يتجشَّم اللورد بيك ثانيةً وقاحة الصَّبي المدعو بقبضة السِّنديان، أمَّا إذا انتصرَ اللورد آلِن في (الجزيرة القصيَّة) فستُعاد إلى سادتها الحقيقيِّين، وتتحرَّر (أراضي الغرب) من المزيد من الانتهاكات الخارجيَّة، ويتعلَّم لوردات (الممالِك السَّبع) ثمن تحدِّي الملك إجون الثَّالث ويده الجديد.

قدَّم سيِّد المدِّ والجزر فيله هديَّةً للملك إجون الثَّالث عند رحيله من (كينجز لاندنج)، ولدى عودته إلى (الأبدان) ليحشد أسطوله ويأخُذ المؤن للرِّحلة الطَّويلة، ودَّع زوجته الليدي بِايلا، التي فارقَته بقُبلةٍ وأخبرَته بأنها حامل. قال لها اللورد آلِن: «سمِّيه كورلس على اسم جدِّي. قد يجلس في يومٍ من الأيَّام على العرش الحديدي»، فضحكَت بِايلا من ذلك وقالت: «سأسمِّيها لِاينا على اسم والدتي. قد تركب في يومٍ من الأيَّام تنِّينًا».

يُذكَر أن اللورد كورلس ڤيلاريون قامَ بتسع رحلاتٍ شهيرة بسفينته (ثُعبان البحر)، وسيقوم اللورد آلِن قبضة السِّنديان بستِّ رحلاتٍ على متن ستِّ سُفنٍ مختلفة سمَّاها «سيِّداتي». في رحلته حول (دورن) إلى (لانسپورت) أبحرَ بقادسٍ حربي براڤوسي مزوَّد بمئتي مجذاف، استولى عليه في (الأعتاب) وسمَّاه (الليدي بِايلا) على اسم زوجته الشَّابَّة.

قد يظنُّ البعض أن من الغريب أن يُرسِل اللورد بيك الأسطول الأكبر في (الممالِك السَّبع) فيما يتهدَّدها خطر الحرب مع (براڤوس). استُدعِيَ السير جدموند بيك والأسطول الملكي من (تارث) إلى (الحُلقوم) لحراسة مدخل (الخليج الأسود) في حال سعى البراڤوسيِّين للقصاص من (كينجز

لاندنج)، لكن الموانئ والمدن الأخرى أعلى (البحر الضيِّق) وأدناه ظلَّت عُرضةً للخطر، لذلك أرسلَ حضرة اليد زميله في الوصاية اللورد مانفرد موتون إلى (براڤوس) للتَّعامُل مع أمير البحر وإعادة فيله إليه، وقد رافقَه ستَّة من النُّبلاء الآخَرين، إلى جانب ستِّين من الفُرسان والحُرَّاس والخدم والكتَبة والسِّپتونات وستَّة مغنِّين... ومشروم، الذي اختبأ على ما يبدو في برميل نبيذٍ للهرب من كآبة (القلعة الحمراء)، و«لأجد مكانًا يتذكَّر فيه النَّاس كيف يضحكون».

في ذلك الحين، كما هي الحال الآن، كان البراڤوسيُّون شعبًا نفعيًّا، فمدينتهم مدينة من العبيد الهاربين، حيث يُكرَّم آلاف من الآلهة الزَّائفة لكن الذَّهب وحده يُعبَد حقًّا، ويعني الرِّبح أكثر من الكبرياء بين الجُزر المئة. عند وصولهم تعجَّب اللورد موتون ورفاقه من (المارد)، واصطُحِبوا إلى (التَّرسانة) الأسطوريَّة ليشهدوا اكتمال بناء سفينةٍ حربيَّة في يومٍ واحد. «لقد استبدلنا بالفعل كلَّ سفينةٍ سرقَها أو أغرقَها صبيُّكم الأميرال». قالها أمير البحر متفاخرًا للورد موتون.

ولكن بعد استعراضه قوَّة (براڤوس) كان أكثر من راغبٍ في الاسترضاء، وفي أثناء مساومته اللورد موتون بشأن شروط السَّلام، نشرَ اللوردان فولارد وكريسي رشًى سخيَّةً بين حاملي مفاتيح المدينة وماچستراتها وكهنتها وأمرائها التُّجَّار. في النِّهاية، مقابل تعويضٍ باهظ، سامحَت (براڤوس) اللورد ڤيلاريون على «التَّعدِّي غير المبرَّر»، ووافقَت على حلِّ تحالُفها مع (تايروش) وقطع جميع العلاقات مع راكاليو ريندون، وتنازلَت عن (الأعتاب) للعرش الحديدي، (بما أن هذه الجُزر كانت محتلَّةً من ريندون والبنتوشيِّين في هذا الوقت، فقد باعَ أمير البحر شيئًا لا يملكه حقًّا، وإن لم يكن هذا غير اعتيادي في (براڤوس)).

أثبتَت البعثة إلى (براڤوس) أنها حافلة بالأحداث بطرائق أخرى أيضًا، إذ فُتِنَ اللورد فولارد للغاية بمحظيَّةٍ براڤوسيَّة واختارَ البقاء بالقُرب منها بدل العودة إلى (وستروس)، وقُتِلَ السير هرمان رولنجفورد في مبارزةٍ على يد مُبارز براڤو أساءَ إليه لون صُدرته الضيِّقة، وعلى ما يبدو استعانَ السير دينس هارت بخدمات الرِّجال عديمي الوجوه الغامضين لقتل منافسٍ له في (كينجز لاندنج)، كما يؤكِّد مشروم. أمَّا المهرِّج نفسه فسلَّى أمير البحر لدرجة أنه تلقَّى عرضًا مغريًا للبقاء في (براڤوس). «أعترفُ بأنني شعرتُ بالإغراء. في (وستروس) أهدرُ مواهبي متواثبًا لأجل ملكٍ لا يبتسم أبدًا، لكن في (براڤوس) سيحبُّونني... أكثر من اللَّازم كما أخشى. كلُّ محظيَّةٍ ستُريدني، وعاجلًا أو آجلًا سيستاء أحد مبارزي البراڤو من حجم عُضوي ويكزُني بسيخ الأقزام المدبَّب الذي يحمله. لذا عائدًا إلى (القلعة الحمراء) انطلقَ مشروم مزدادًا حماقةً على حماقة».

وهكذا عادَ اللورد موتون إلى (كينجز لاندنج) بالسَّلام المتَّفق عليه، ولكن بتكلفةٍ باهظة. استنفدَ التَّعويض الضَّخم الذي طالبَ به أمير البحر الخزانة الملكيَّة، لدرجة أن اللورد پيك سُرعان ما وجدَ الاقتراض من مصرف (براڤوس) الحديدي ضروريًّا لمجرَّد أن يتمكَّن التَّاج من سداد ديونه، وهذا بدوره تطلَّب منه إعادة فرض بعض ضرائب اللورد سلتيجار التي ألغاها السير تايلاند لانستر، الأمر الذي أغضب اللوردات والتُّجَّار على حدٍّ سواء وأضعفَ نسبة تأييده بين العامَّة.

أثبتَ النِّصف الأخير من العام مأساويَّته من نواحٍ أخرى أيضًا. أعربَ البلاط عن فرحه عندما أعلنَت الليدي رِاينا حملها من اللورد كوربراي، لكن الفرح تحوَّل إلى ترحٍ بعد دورة قمرٍ حين أجهضَت.

أُبلِغَ عن مجاعةٍ واسعة النِّطاق في الشَّمال، وهاجمَت حُمَّى الشِّتاء (بلدة الرَّوابي)، وهي المرَّةُ الأولى التي توغَّلت فيها على اليابسة لهذه الدَّرجة. قاد مُغير يُسمَّى سايلاس العابس ثلاثة آلافٍ من الهمج ضدَّ (الجِدار) متغلِّبًا على الإخوة السُّود في (بوَّابة الملكة) ومنتشرًا عبر (الهديَّة)، حتى انطلقَ اللورد كريجان ستارك من (وينترفل) وانضمَّ إليه آل جلوفر سادة (ربوة الغابة)، وآل فلينت وآل نوري من التِّلال، ومئة جوَّالٍ من حرس اللَّيل، لاصطيادهم والقضاء عليهم. وعلى بُعد ألف فرسخٍ إلى الجنوب كان السير ستفون كوننجتون يصطاد أيضًا، يُطارد مجموعةً صغيرةً من المغيرين الدورنيِّين عبر التُّخوم التي تعصف بها الرِّياح، لكنه توغَّل بعيدًا جدًّا وبسرعةٍ كبيرة جاهلًا ما ينتظره حتى باغتَه ويلاند ويل ذو الذِّراع الواحدة، ووجدَت الليدي إلندا نفسها أرملةً من جديد.

في الغرب أملَت الليدي چوهانا لانستر إتباع انتصارها في (كايس) بتوجيه ضربةٍ أخرى ضدَّ الكراكن الأحمر، فحشدَت أسطولًا غير منظَّم من قوارب وأكواخ الصيد تحت أسوار (شُعلة الأعياد)، وحمَّلت مئة فارسٍ وثلاثة آلاف جُندي على متونها وأرسلَتهم تحت جنح الظَّلام لاستعادة (الجزيرة القصيَّة) من الرِّجال الحديديِّين. كانت الخطَّة إنزالهم على طرف الجزيرة الجنوبي دون أن يُكتشَف أمرهم، لكن شخصًا ما خانَهم، فألْفوا السُّفن الطَّويلة في انتظارهم. قادَ اللورد پرستر واللورد تاربك والسير إروين لانستر العبور المشؤوم، وبعد ذلك أرسلَ دالتون جرايچوي رؤوسهم إلى (كاسترلي روك) واصفًا إياها بـ«تصفية حسابٍ لعمِّي، رغم أنه في الحقيقة كان شرهًا وسكِّيرًا، وخيرٌ للجُزر أنها تخلَّصت منه».

على أن كلَّ هذا لم يزن شيئًا مقابل المأساة التي حلَّت بالبلاط والملك،

ففي اليوم الثَّاني والعشرين من القمر التَّاسع من عام 133 بعد الفتح رحلَت چهيرا سليلة آل تارجاريَن، ملكة (الممالِك السَّبع) وآخِر ذُرِّيَّة الملك إجون الثَّاني الحيَّة، في سنِّ العاشرة. ماتَت الملكة الصَّغيرة تمامًا كما ماتَت والدتها الملكة هيلينا، بإلقاء نفسها من نافذة غُرفتها بـ(حصن ميجور) على الخوازيق الحديديَّة المصطفَّة في الخندق الجاف أدناه، التي انغرزَت في صدرها وبطنها لتظلَّ تتلوَّى في ألمٍ ممض نصف ساعةٍ قبل أن يستطيعوا رفعها، وعندئذٍ غادرَت هذه الحياة في الحال.

حزنَت (كينجز لاندنج) كما لـ(كينجز لاندنج) وحدها أن تحزن. كانت چهيرا طفلةً خائفةً، ومنذ اليوم الذي اعتمرَت فيه تاجها أخفَت نفسها داخل (القلعة الحمراء)، ومع ذلك تذكَّر عوام المدينة زفافها وكيف بدَت الفتاة الصَّغيرة شُجاعةً وجميلةً، وهكذا بكوا وولولوا ومزَّقوا ثيابهم، وازدحَموا في السِّپتات والحانات والمواخير بحثًا عن أيِّ عزاءٍ يُمكنهم أن يجدوه. هناك كانت الهمسات تنتشر بسرعة البرق، تمامًا كما حدثَ عندما ماتَت الملكة هيلينا بطريقةٍ مماثلة. هل انتحرَت الملكة الصَّغيرة حقًّا؟ حتى وراء أسوار (القلعة الحمراء) تفشَّت الإشاعات.

كانت چهيرا طفلةً وحيدةً، كثيرة البُكاء وساذجةً إلى حدٍّ ما، وإن بدَت راضيةً بالبقاء في غُرفتها مع خادماتها ورفيقاتها وهُريراتها ودُماها. ما الذي جنَّنها أو أحزنَها لدرجة أن تُقدِم على القفز من نافذتها على تلك الخوازيق القاسية؟ اقترحَ البعض أن إجهاض الليدي رايِنا ربما أصابَها بحالة اضطرابٍ حتى إنها لم تعُد راغبةً في الحياة، وآخَرون من ذوي النَّزعة الأكثر تشاؤمًا ردُّوا بأن الغيرة من نموِّ الجنين في رحم الليدي بايِلا هو الذي دفعَها إلى فعل ذلك، فيما همسَ غيرهم: «الملك السَّبب. لقد أحبَّته من كُلِّ قلبها، لكنه لم يكترث لها ولم يُظهِر لها أيَّ مودَّةٍ ولم

يُشارِكها مسكنه حتى».

وبالطَّبع رفضَ كثيرون تصديق أن چهيرا قتلَت نفسها، وتهامَسوا: «لقد قُتِلَت، تمامًا كوالدتها». ولكن إن صحَّ ذلك، فمَن القاتِل؟

لم يكن في المشتبه بهم شُح. حسب التَّقاليد وقفَ فارس من الحرس الملكي عند باب الملكة دومًا، ولكان من السَّهل عليه التسلُّل إلى الدَّاخل ليرمي الطِّفلة من نافذتها. إن كان الأمر كذلك فمؤكَّد أن الملك نفسه أعطى الأمر. قال النَّاس إن إجون سئمَ بُكاءها ونحيبها وأرادَ زوجةً جديدة، أو ربما أرادَ الانتقام لنفسه من ابنة الملك الذي قتلَ أمَّه. كان الولد عبوسًا وكئيبًا، ولم يعرف أحدٌ طبيعته حقًّا. بكلِّ حرِّيَّةٍ رُوِيَت حكايات عن ميجور المتوحِّش.

ألقى آخَرون باللَّوم على إحدى رفيقات الملكة الصَّغيرة، الليدي كاساندرا باراثيون. خُطِبَت الليدي كساندرا، أكبر «العواصف الأربع»، لفترةٍ وجيزة للملك إجون الثَّاني خلال العام الأخير من حياته (وربما لأخيه إيموند الأعور قبل ذلك)، وقال مُغتابوها إن خيبة الأمل أغضبَتها، فتلك التي كانت ذات يومٍ وريثة (ستورمز إند) بعد أبيها وجدَت نفسها محدودة الشَّأن في (كينجز لاندنج)، واستاءَت بمرارةٍ من الاضطرار إلى رعاية الملكة الطِّفلة البكَّاءة ضعيفة العقل التي لامَتها على مشكلاتها كلِّها.

كما تعرَّضت إحدى خادمات الملكة للاشتباه حين اكتُشِفَت سرقتها اثنتين من دُمى چهيرا وقلادةً من اللُّؤلؤ، واتُّهِمَ خادم صبي سكبَ الحساء على الملكة الصَّغيرة في العام السابق وضُرِبَ لهذا السَّبب. خضعَ كلاهما لاستجواب قيِّم الاعترافات، وأخيرًا أُعلِنَت براءتهما (ولو أن الصَّبي ماتَ في أثناء الاستجواب، والفتاة فقدَت يدًا لارتكابها السَّرقة).

حتى خدم (السَّبعة) المقدَّسون لم يكونوا فوق مستوى الشُّبهات، إذ سُمِعَت سِيتة معيَّنة في المدينة ذات مرَّةٍ تقول إن الملكة الصَّغيرة يجب ألَّا تحظى بأطفال، لأن المرأة البلهاء تُنجِب أبناءً بُلهًا، وقد قبضَ عليها ذوو المعاطِف الذَّهبيَّة أيضًا، واختفَت في زنزانة.

الحُزن يُجنِّن البشر. بالإدراك المتأخِّر يُمكننا أن نقول بيقينٍ لا بأس به إن أيًّا من هؤلاء لم يلعب أيَّ دورٍ في ميتة الملكة الصَّغيرة المحزنة. إذا قُتِلَت چهيرا تارجاريَن بالفعل (ولا تُوجَد ذرَّة دليلٍ على ذلك)، فمن المؤكَّد أن قتلها نُفِّذَ بأمرٍ من الجاني الوحيد المعقول حقًّا: أنوين پيك، اللورد الوصي، سيِّد (ستارپايك) وسيِّد (دنستنبري) وسيِّد (البُستان الأبيض)، حامي البلاد ويد الملك.

كان من المعروف أن اللورد پيك شاركَ سلفه مخاوفه بشأن الخلافة. لم يكن لإجون الثَّالث أطفال، ولا أيُّ أشقَّاءٍ أحياء (على حدِّ علم الجميع)، وقد استطاعَ كلُّ ذي عينين أن يرى أن الملك لن يَحصُل غالبًا على وريثٍ من ملكته الصَّغيرة، وما لم يفعل فستظلُّ أختاه غير الشَّقيقتيْن أقرب أقربائه، لكن اللورد پيك لم يكن ليسمح لامرأةٍ بالجلوس على العرش الحديدي بعد أن قاتلَ ونزفَ مؤخَّرًا لمنع هذا الشَّيء بالذَّات. إذا أنجبَت أيٌّ من التوأمتيْن ابنًا فمن المؤكَّد أن الصَّبي سيُصبِح على الفور الأوَّل في ترتيب الوراثة... لكن حمل الليدي رِاينا انتهى بالإجهاض، ليتبقَّى فقط الجنين النَّامي في رحم الليدي بِايلا على (دريفتمارك)، وكانت فكرة أن التَّاج قد ينتقل إلى «جرو أمٍّ لعوب وأبٍ نغل» أصعب مما كان اللورد أنوين پيك مستعدًّا لاستساغته.

إذا أنجبَ الملك وريثًا من صُلبه فسيُمكن تجنُّب هذه الكارثة... ولكن قبل حدوث ذلك توجَّبت إزاحة چهيرا حتى يتمكَّن إجون من الزَّواج

ثانيةً. لم يكن باستطاعة اللورد بيلك أن يدفع الطِّفلة من النَّافذة بنفسه بالطَّبع، لوجوده في مكانٍ آخَر في المدينة عندما ماتَت... لكن الحارس الملكي الواقف عند باب الملكة في تلك اللَّيلة كان مرڤين فلاورز، أخاه النَّغل.

أممكنٌ أنه كان أداة اليد؟ أكثر من ممكن، لا سيَّما في ضوء الأحداث اللَّاحقة التي سنُناقِشها في الوقت المناسب. كان السير مرڤين نفسه نغل المولد، وقد اعتبرته الأغلبيَّة عضوًا مطيعًا في الحرس الملكي، وإن لم يكن بطوليًّا بشكلٍ خاص، ليس بنجم مبارياتٍ ولا ببطل، بل جُندي محنَّك وصاحب يدٍ لا بأس ببراعتها بالسَّيف الطَّويل، رجل مخلص يفعل ما يُقال له. ومع ذلك، ما كلُّ الرِّجال يُبدي ما يُبطِنه، خاصَّةً في (كينجز لاندنج)، فمَن عرفوا فلاورز أفضل من غيرهم رأوا جوانبه الأخرى. في غير أوقات الخدمة كان مولعًا بالنَّبيذ، كما يقول مشروم الذي عُرِفَ عنه أنه شربَ معه، ومع أنه أقسمَ على العفَّة فنادرًا ما نامَ وحده خلا في غُرفته بـ(بُرج السيف الأبيض)، وعلى الرَّغم من كونه بغيض الطَّبع إلى حدٍّ ما فقد تمتَّع بجاذبيةٍ خشنة استجابَت لها الغسَّالات والخادمات، وفي نشوة سكرته كان يتباهى أيضًا بأنه ضاجعَ سيِّداتٍ معيَّناتٍ من ذوات النَّسب العالي. مثل العديد من النُّغول كان حارَّ الدَّم سريع الغضب، يتوهَّم إهاناتٍ لم يقصدها أحد.

لكن شيئًا من هذا لم يوحِ بأن فلاورز كان من نوع الوحوش الذي يُمكن أن يأخُذ طفلةً نائمةً من سريرها ويُلقي بها إلى موتٍ مروِّع. حتى مشروم، المستعدُّ لافتراض الأسوأ في الجميع، يقول المثل. لو قتلَ السير مرڤين الملكة لفعلَ ذلك بوسادة، كما يصرُّ المهرِّج... قبل أن يُشير إلى احتمالٍ أكثر شرًّا وواقعيَّةً. يدَّعي القزم أن فلاورز لم يدفع الملكة من

تلك النَّافذة قَطُّ، ولكن ربما تنحَّى جانبًا للسَّماح لشخصٍ آخَر بدخول غُرفتها إذا كان هذا الشَّخص معروفًا له... شخص مثل تيساريو الإبهام ربما، أو واحدٍ من أصابعه. وما كان فلاورز ليَشعُر بالحاجة إلى سؤاله عن غرضه من الملكة الصَّغيرة إذا قال إنه أتى بناءً على طلب يد الملك.

هكذا يقول المهرّج، لكن من المؤكّد أن كلَّ هذا خيال محض. لن تُعرَف أبدًا الحكاية الحقيقيَّة لكيفيَّة ملاقاة چهيرا تارجاريَن مصرعها. ربما انتحرَت حقًّا في نوبةٍ من اليأس الطُّفولي، أمَّا إن كان القتل سبب موتها بالفعل، فلكلٍّ هذه الأسباب لم يُمكن أن يكون مدبِّره إلَّا اللورد أنوين پيك. لكن دون دليلٍ لما جرَّمه شيء من هذا... لولا ما فعلَه حضرة اليد بعد ذلك.

بعد سبعة أيَّامٍ من تسليم جُثَّة الملكة الصَّغيرة إلى النِّيران، زارَ اللورد أنوين الملك الحزين برفقة المايستر الأكبر مونكن والسِّپتون برنارد والسير مارستن ووترز فارس الحرس الملكي. لقد أتوا ليُخبروا جلالته بوجوب خلعه ثياب الحِداد والزَّواج مرَّةً أخرى «من أجل مصلحة المملكة»، وعلاوةً على ذلك اختيرَت ملكته الجديدة له.

تزوَّج أنوين پيك ثلاث مرَّاتٍ وأنجبَ سبعة أولاد، عاشَت منهم واحدة فقط. ماتَ ابنه البِكر في سنِّ الرِّضاعة، كما ماتَت ابنتاه من زوجته الثَّانية، وعاشَت ابنته الكُبرى طويلًا كفايةً لتتزوَّج، فقط لتموت في أثناء الولادة في سنِّ الثَّانية عشرة. نشأ ابنه الثَّاني ربيبًا في (الكرمة)، حيث خدمَ اللورد ردواين تابعًا ومُرافقًا، لكنه غرقَ وهو في الثَّانية عشرة في حادثة إبحار، وكان السير تايتوس، وريث (ستاريايك)، الوحيد من أبناء اللورد أنوين الذي نما ليَبلُغ مبلغ الرِّجال، وقد حصلَ على لقب فارسٍ لبسالته بعد معركة (نهر البِتع) من الجَسور چون روكستون، ليموت

بعدها بستَّة أيَّام فقط في مناوشةٍ تافهة مع مجموعةٍ من الرِّجال المكسورين صادفَها خلال رحلة استكشاف. هكذا كانت الوحيدة الباقية على قيد الحياة من ذُرِّيَّة اليد هي ابنته ميرِيل.

قُرِّرَ أن تكون ميرِيل پيك ملكة إجون الثَّالث الجديدة. صرَّح اليد بأنها الخيار المثالي، فهي في سنِّ الملك، و«فتاة جميلة ومهذَّبة»، وسليلة إحدى أنبل عوائل المملكة، وعلَّمتها سِپتواتها القراءة والكتابة والحساب، وكانت السيِّدة والدتها خصبةً، فلم يُوجَد سبب للظَّنِّ أن ميرِيل لن تمنح جلالته أبناءً أقوياء.

سألَ الملك إجون: «ماذا لو لم أحبها؟»، فأجابَ اللورد پيك: «لست بحاجةٍ إلى أن تُحبَّها. ما عليك إلَّا أن تتزوَّجها وتَحصُل على ابنٍ منها»، ثمَّ أضافَ تعليقه الشهير: «صاحب الجلالة لا يحبُّ اللِّفت، لكن عندما يعدُّه طبَّاخوك تأكله، أليس كذلك؟». أومأ الملك إجون برأسه متجهِّمًا... لكن الحكاية خرجَت إلى العلن، كما يَحدُث مع الحكايات المشابهة دائمًا، وسُرعان ما اشتهرَت الليدي ميرِيل بلقب الليدي لِفتة عبر (الممالِك السَّبع).

إلَّا أنها لن تُصبح الملكة لِفتة أبدًا.

لقد بالغَ أنوين پيك في تجاوُز حدوده. غضبَ ثاديوس روان ومانفرد موتون لأنه لم يرَ التَّشاوُر معهما لائقًا، فمسائل كهذه تنتمي حسب الأصول إلى مجلس الأوصياء، وأرسلَت الليدي آرن ملاحظةً لاذعةً من الوادي، وأعلنَ كرميت تَلي أن الخطبة «تطاوُل»، فيما شكَّك بِن بلاكوود في التَّعجيل بها، إذ انبغى أن يُسمَح لإجون بنصف عامٍ على الأقل ليحزن على ملكته الصَّغيرة، ووصلَ خطاب مقتضب من كريجان ستارك في (وينترفل)، يُشير إلى أن الشَّمال قد يستاء من قرانٍ كهذا.

حتى المِايستر الأكبر مونكن بدأ يتردَّد، وقال لحضرة اليد: «الليدي ميريل فتاةٌ مبهجة، ولا أشكُّ في أنها ستُصبِح ملكةً رائعةً، ولكن يجب أن نهتمَّ بالمظاهر يا سيِّدي. نحن الذين نتشرَّف بالخدمة مع معاليك نعرف أنك تحبُّ جلالته كما لو أنه ابنك، وتفعل ما تفعله من أجله ومن أجل المملكة، ولكن قد يفترِض آخَرون أنك اخترت ابنتك لأسبابٍ أقل نُبلًا... لأجل السلطة، أو مجد آل پيك».

يرى مهرِّجنا الحكيم مشروم أن أبوابًا معيَّنةً من الأفضل عدم فتحها، لأنك «لا تعرف أبدًا ما الذي قد يَدخُل منها». فتحَ پيك باب ملكةٍ لابنته، لكن لورداتٍ آخَرين كان لهم بنات أيضًا (وأيضًا أخوات وبنات إخوةٍ وأخوات وبنات عمومة، ولهذا أو ذاك أمٌّ أرملة وحيدة أو عمَّة بِكر)، وقبل أن يُغلَق الباب جاؤوا جميعًا يتدافعون مصرِّين أن دماءهم ستكون قرينةً ملكيَّةً أفضل من الليدي لِفتة.

قد يستدعي سرد جميع الأسماء المطروحة صفحاتٍ أكثر مما لدينا، لكن قليلًا منها يستحقُّ الذكر. في (كاسترلي روك) وضعَت الليدي چوهانا لانستر حربها مع الرِّجال الحديديِّين جانبًا بما يكفي لتَكتُب إلى حضرة اليد وتُشير إلى أن ابنتيْها سيريل وتايشارا عذراوان نبيلتا المولد وفي سنِّ الزَّواج. ورشَّحت إلندا باراثيون سيِّدة (ستورمز إند) المترمِّلة مرَّتيْن ابنتيْها كاساندرا وإيلين، وكتبَت أن كاساندرا خُطِبَت من قبل لإجون الثَّاني وكانت «مهيَّئةً جيِّدًا لتُصبِح ملكةً». ووصلَ من (الميناء الابيض) غُداف من اللورد تورين برسالةٍ ذكرَت مواثيق زواجٍ سابقةً بين التنِّين وعريس البحر «كسرَتها الصُّدفة القاسية»، واقترحَت أن يضع الملك إجون الأمور في نصابها باتِّخاذ فتاةٍ من آل ماندرلي عروسًا. أمَّا شاريس فوتلي أرملة (تمبلتون) فقد تجرَّأت لدرجة ترشيح نفسها.

لعلَّ الرِّسالة الأجرأ هي التي جاءَت من الليدي سامانثا سيِّدة (البلدة القديمة) المتعذِّر كبتُها، التي صرَّحت بأن أختها سانسارا (سليلة آل تارلي) «تتمتَّع بالحيويَّة والقوَّة، وقرأت كُتبًا أكثر مما قرأ نصف مِايسترات (القلعة)»، وأن كنَّتها بِثاني (سليلة آل هايتاور) «جميلة جدًّا، ذات بشرةٍ ناصعة ناعمة وشعرٍ لامع وسلوكٍ مهذَّب»، ولو أنها أيضًا «والحقُّ يُقال، كسول وغبيَّة نوعًا، رغم أن بعض الرِّجال تُعجِبهم تلك الصِّفات في الزَّوجة»، واختتمَت رسالتها باقتراح أنه قد يَجدُر بالملك إجون أن يتزوَّج كلتيهما، «واحدة لتَحكُم بجانبه كما فعلَت الملكة أليسين مع الملك چهيرس، وواحدة للسَّرير والإنجاب». وفي حال كانت كلتاهما «معوزةً لأيِّ سببٍ غامض»، فقد ذيَّلت الليدي سام الرِّسالة بأسماء واحدةٍ وثلاثين فتاةً أخرى صالحاتٍ للزَّواج من عائلات هايتاور وردواين وتارلي وأمبروز وفلورنت وكوب وكوستاين وبيزبوري وفارنر وجريم، قد يكنَّ ملكاتٍ مناسبات. (يُضيف مشروم أن معاليها ختمَت بتعليقٍ صفيقٍ يقول: «أعرفُ بعض الصِّبية الجميلين أيضًا إذا كان جلالته يميل إلى ذلك، لكنني أخشى ألا يتمكَّنوا من منحه ورثةً»، لكن أيًّا من السِّجلَّات الأخرى لا يَذكُر هذه الإهانة، كما أن خطاب معاليها نفسه ضاعَ).

في مواجهة كلِّ هذه الاضطرابات اضطرَّ اللورد أنوين إلى إعادة النَّظر. رغم أنه ظلَّ مصمِّمًا على تزويج ابنته ميريل بالملك فقد وجبَ أن يفعل ذلك بطريقةٍ لا تستفزُّ اللوردات الذين يحتاج إلى دعمهم، وهكذا انحنى لما لا مفرَّ منه واعتلى العرش الحديدي وقال: «من أجل خير شعبه يجب أن يتَّخذ جلالته زوجةً أخرى، رغم أن لا امرأة ستحلُّ محلَّ محبوبتنا چهيرا في قلبه. عديدات رُشِّحن لهذا الشرف، أجمل زهور المملكة. الفتاة التي سيتزوَّجها الملك إجون أيًّا كانت ستُصبِح مثل أليسين لچهيرس

وچونكويل لفلوريان؛ تنام بجانبه وتُنجِب أطفاله وتُشارِكه أعباءه وتمسح جبينه عند مرضه وتشيخ معه، لذلك ارتأينا حسب الأصول أن نسمح للملك نفسه بالاختيار. في عيد (العذراء) سنُقيم حفلةً راقصةً لم تشهد (كينجز لاندنج) مثلها منذ أيَّام الملك ڤسيرس. فلتأتِ العذارى من كلِّ ركنٍ من أركان (الممالِك السَّبع) ويُقدِّمن أنفُسهن أمام الملك، لكي يختار جلالته الأنسب لتُشارِكه حياته ومحبَّته».

وهكذا أذيعَ الخبر، واستحوذَت على البلاط والمدينة إثارةٌ عظيمة وانتشرَت في جميع أنحاء البلاد. من (التُّخوم الدورنيَّة) وحتى (الجِدار) نظرَ الآباء الشَّغوفون والأمَّهات الفخورات إلى بناتهم البالغات متسائلين إن كان يُمكن اختيارهن، وبدأت كلُّ عذراءٍ ذات نسبٍ عالٍ في (وستروس) تتزيَّن وتخيط فساتينها وتُصفِّف شعرها مفكِّرةً: «لماذا لا تكون أنا؟ قد أكونُ الملكة».

ولكن من قبل أن يعتلي اللورد أنوين العرش الحديدي كان قد أرسلَ غُدافًا إلى (ستارپايك) لاستدعاء ابنته إلى المدينة. على الرَّغم من أن عيد (العذراء) كان يَبعُد ثلاثة أقمار، فقد رغبَ معاليه في وجود ميرِيل في البلاط، على أمل أن تُصادِق الملك وتفتنه، وبالتَّالي يختارها في ليلة الحفلة.

هذا القدر معلوم، أمَّا ما سيَعقُبه الآن فشائعة. قيلَ إنه في أثناء انتظاره وصول ابنته، استهلَّ أنوين پيك أيضًا مؤامراتٍ وخُططًا سرِّيَّةً متنوِّعةً هدفَت إلى تقويض وتشتيت وتلويث وتشويه سُمعة الفتيات اللائي عدَّهن المنافسِات الأكثر احتمالًا لابنته، فسُمِعَ مجدَّدًا الرَّأي القائل بأن كاساندرا باراثيون دفعَت الملكة الصَّغيرة إلى موتها، وأضحَت الأفعال السَّيِّئة التي ارتكبَتها شابَّات عذارى معيَّنات أخريات، سواء أكانت

حقيقيَّةً أم خيالًا، نميمةً متداولةً في البلاط. نُشِرَ شغف يزابل ستاونتون بالنَّبيذ، ورُدِّدَت حكاية فضِّ بكارة إلينور ماسي وأعيدَ ترديدها، وقيلَ إن روزاموند داري تُخفي ستَّ حلماتٍ تحت صدارها (إذ يُفترَض أن أمَّها نامَت مع كلب)، واتُّهِمَت لايرا هايفورد بخنق أخيها الرَّضيع في نوبةٍ من الغيرة، وأشيعَ أن «الثُّلاثي چاين» (چاين سمولوود وچاين موتون وچاين ميريويذر) أحبَبن ارتداء ملابس المرافقين وزيارة بيوت الدَّعارة في (شارع الحرير) لتقبيل النِّساء هناك ومداعبتهن كأن ثلاثتهن فِتيان.

بلغَ كلُّ هذه الافتراءات مسامع الملك، بعضها من شفتَي مشروم، لأن المهرِّج يعترف بأنه نُقِدَ مبلغًا «سخيًّا» لتسميم عقل إجون الثَّالث ضدَّ أولائي العذارى وغيرهن. ظلَّ القزم في رفقة جلالته كثيرًا بعد موت الملكة چهيرا، ورغم أن عروضه الهزليَّة لم تستطِع تبديد كآبة الملك، فقد أبهجَت جيمون ذا الشَّعر الباهت، لذلك استدعاه إجون في كثيرٍ من الأحيان من أجل الصَّبي. يقول مشروم في شهادته إن تيساريو الإبهام خيَّره بين «الفضَّة والفولاذ»، و«لعاري دعوته لإغماد خنجره وأطبقتُ على كيس النُّقود السَّمين الجميل».

ولم تكن الكلمات الوسيلة الوحيدة التي سعى اللورد أنوين للفوز بها في حربه السرِّيَّة للوصول لقلب الملك، إذا أمكنَ تصديق الهمسات. عُثِرَ على سائس خيلٍ في الفِراش مع تايشارا لانستر بعد وقتٍ قصير من الإعلان عن الحفلة، ورغم ادِّعاء الليدي تايشارا أن الفتى دخلَ من نافذتها دون دعوة، كشفَ فحص المِايستر الأكبر مونكن أن غشاء بكارتها مفضوض. وتهجَّم خارجون عن القانون على لوسيندا پنروز في أثناء رحلة صيدٍ بالباز عبر (الخليج الأسود)، على مسافة ركوبٍ أقل من نصف يوم من القلعة، فقُتِلَ بازها وسُرِقَ حصانها وثبَّتها أحد الرِّجال

فيما شقَّ آخَر أنفها. وتعثَّرت الجميلة فالينا ستوكوورث، الفتاة المرحة ذات الثَّمانية أعوامٍ التي لعبَت أحيانًا بالدُّمى مع الملكة الصَّغيرة، على السَّلالم الملتفَّة وكسرَت ساقها، في حين غرقَت الليدي بكلر وابنتاها حين امتلأ القارب الذي أقلَّهن عبر (النَّهر الأسود) بالماء وساخَ في النَّهر. بدأ بعض النَّاس يتحدَّثون عن «لعنة عيد (العذراء)»، في حين رأى آخَرون أوعى بأساليب السُّلطة أن كلَّ هذا من صنيع أيادٍ غير مرئيَّة وأمسَكوا ألسنتهم.

هل كان اليد وأتباعه مسؤولين عن هذه المآسي والمصائب أم كانت مجرَّد حوادث عرضيَّة؟ في النِّهاية لم يهمَّ. لم يسبق أن أقيمَت حفلة راقصة من أيِّ نوعٍ في (كينجز لاندنج) منذ عهد الملك ڤسيرس، وستكون هذه حفلة لا مثيل لها. في دورات المباريات تنافسَت العذارى الحسناوات والسيِّدات ذوات النَّسب العالي على شرف تسميتهن ملكات الحُبِّ والجمال، لكن مثل هذه المناسبات لم يَدُم إلَّا ليلةً واحدةً، أمَّا الفتاة التي سيختارها الملك إجون أيًّا كانت فستَحكُم (وستروس) مدى الحياة. تدفَّق الأعيان على (كينجز لاندنج) من الحصون والقلاع في كلِّ جزءٍ من (الممالِك السَّبع)، وفي محاولةٍ للحدِّ من أعدادهم قضى اللورد ﭙيك أن تقتصِر المسابقة على العذارى ذوات الدِّماء النَّبيلة تحت سنِّ الثَّلاثين، ومع ذلك تزاحمَ أكثر من ألف فتاةٍ بالغة في (القلعة الحمراء) في اليوم المحدَّد، في مدٍّ أعظم كثيرًا من أن يستطيع اليد إيقافه. حتى إنهن جئن من وراء البحر، إذ أرسل أمير (ﭙنتوس) ابنةً، وأركون (تايروش) أختًا، وأبحرَت سليلات عوائل عريقة من (مير) ومن (ڤولانتيس القديمة) أيضًا (ولو أن، مع عظيم الأسى، أيًّا من الفتيات الڤولانتينيَّات لم تَبلُغ (كينجز لاندنج)، إذ اختطفَهن قراصنة من (جُزر البازيليسق) في طريقهن).

يقول مشروم في شهادته: «كلُّ فتاةٍ بدَت أجمل من السَّابقة، متلألئاتٍ دائراتٍ في فساتينهن الحرير وحُليِّهن ليصنعن مشهدًا مبهرًا وهُن يتهادين في طريقهن إلى قاعة العرش. من الصَّعب تصوُّر شيءٍ أجمل، ما لم يكنَّ جميعهن قد وصلن عرايا ربما». (إحداهن فعلَت في واقع الأمر، فقد ظهرَت ميرمادورا هِاين، ابنة أحد ماچسترات (لِيس)، في ثوبٍ من الحرير الأزرق المخضر الشفَّاف تماشى مع لون عينيها، لم ترتدِ تحته إلَّا مشدًّا مرصَّعًا بالجواهر. بعثَ مظهرها موجةً من الصَّدمة عبر الباحة، لكن الحرس الملكي منعَها من دخول القاعة حتى تُغيِّر ملبسها بزيٍّ أقل عُريًا).

لا شكَّ أن أولائي العذارى حلمنَ أحلامًا جميلةً بالرَّقص مع الملك وفتنته بخفَّة ظلِّهن وتبادُل النَّظرات الخجول فيما يشربن معه كأسًا من النَّبيذ، ولكن لم يكن هنالك رقص، ولا نبيذ، ولا فُرصة للمحادثة، سواء أكانت ظريفةً أم مملَّةً. لم يكن التَّجمُّع حفلةً راقصةً بالمعنى المتعارف عليه حقًّا، فقد جلسَ الملك إجون الثَّالث عاليًا على العرش الحديدي، مرتديًا الأسود وواضعًا حلقةً ذهبيَّةً حول رأسه وسلسلةً ذهبيَّةً حول رقبته، فيما تبخترَت العذارى أسفله واحدةً تلو الأخرى. عندما أعلنَ حاجب الملك عن اسم كلِّ مرشَّحةٍ ونسبها، كانت الفتاة تنحني، ويُومئ الملك لها برأسه، ثمَّ يأتي دور الفتاة التَّالية. يُخبرنا مشروم: «وفي الوقت الذي قُدِّمَت فيه الفتاة العاشرة كان الملك بلا شكٍّ قد نسيَ أوَّل خمس. كان بإمكان آبائهن إعادتهن خلسةً إلى الطَّابور ليحصلن على جولةٍ أخرى، ومن المرجَّح أن بعضًا من أكثرهم دهاءً فعلَ».

تحلَّت حفنة من الفتيات الأشجع بالجرأة لمخاطبة الملك في محاولةٍ لجعله يتذكَّرهن. سألَت إيلين باراثيون جلالته إن كان ثوبها يُعجِبه

(وقالت أختها لاحقًا إن سؤالها كان «هل يُعجِبك ثدياي؟»، ولكن لا صحَّة لذلك)، وأخبرَته أليسا رويس أنها جاءَت من (رونستون) لتكون معه اليوم، وبزَّتها پاتريشا ردواين بإعلانها أن رفقتها ارتحلَت من (الكرمة) وأُجبِرَت في مرَّاتٍ ثلاث على صدِّ هجمات الخارجين عن القانون، وصرَّحت بفخر: «أصبتُ أحدهم بسهمٍ في دُبره»، وأخبرَته الليدي آنيا ويذرواكس، البالغة من العُمر سبع سنوات، أن حصانها يُسمَّى توينكلهوف وأنها تحبُّه كثيرًا، وسألَت إن كان عند جلالته حصان جيِّد أيضًا (ليُجيبها اللورد أنوين بصبرٍ نافد: «عند جلالته مئة حصان»). غامرَت أخريات بالثَّناء على مدينته وقلعته وملابسه، وتحدَّثت فتاة شماليَّة اسمها باربرا بولتون، ابنة (معقل الخوف)، قائلةً: «إذا أرسلتني إلى الدِّيار يا صاحب الجلالة، فأرسِلني إليها بالطَّعام، لأن الثُّلوج عميقة وشعبك يتضوَّر جوعًا».

كان اللِّسان الأجرأ يخصُّ فتاةً دورنيَّةً، موريا كورجايل ابنة (الحجر الرَّملي)، التي نهضَت من انحناءتها مبتسمةً وقالت: «يا صاحب الجلالة، لِمَ لا تنزل من عندك وتُقبِّلني؟». لم يردَّ عليها إجون، ولا ردَّ على أيٍّ منهن، بل أعطى كلَّ فتاةٍ إيماءة ليُعلمها أنه سمعَها، ثمَّ صرفَهن السير مارستن والحرس الملكي.

عُزِفَت الموسيقى في القاعة طوال اللَّيل، وإن سُمِعَت بالكاد فوق ضجيج الخُطى ولغط الكلام، ومن حينٍ إلى آخر صوت البُكاء الخافت الرَّقيق. قاعة العرش بـ(القلعة الحمراء) فسيحة، أكبر من أيِّ قاعةٍ في (وستروس) عدا قاعة هارن الأسود، ولكن في وجود أكثر من ألف عذراء، لكلٍّ منهن حاشية تضمَّنت والديها وإخوتها وحُرَّاسها وخدمها، سُرعان ما أصبحَت القاعة أشدَّ ازدحامًا من أن يتحرَّك فيها أحد،

وحارَّةً على نحوٍ خانق، رغم أن رياح الشِّتاء كانت تهبُّ بالخارج. فقدَ الحاجب المكلَّف بإعلان اسم ونسب كلِّ واحدةٍ من الفتيات الحسان صوته ووجبَ استبداله، وأُغمِيَ على أربعٍ من المتفائلات إلى جانب دستةٍ من الأمَّهات والعديد من الآباء وسِپتون، وانهارَ أحد اللوردات السِّمان وماتَ.

«عرض ماشية عيد (العذراء)». هكذا سمَّى مشروم الحفلة لاحقًا. حتى المغنُّون الذين صاغوا العديد من الأغاني عن العرض سلفًا لم يجدوا إلَّا القليل ليغنُّوا عنه مع توالي فقرات الحدث، وبدا الملك نفسه في اضطرابٍ متزايد مع مرور السَّاعات وتواصُل استعراض العذارى. يقول مشروم: «كلُّ هذا كان كما رغبَ اليد تمامًا. في كلِّ مرَّةٍ عبسَ فيها جلالته أو تململَ في مقعده أو أعطى إيماءةً مرهقةً أخرى، زادَت احتماليَّة اختياره الليدي لِفتة، حسب وجهة نظر اللورد أنوين».

وصلَت ميريل بيك إلى (كينجز لاندنج) قبل دورة قمرٍ تقريبًا من الحفلة، وحرصَ والدها على قضائها جزءًا من كلِّ يومٍ في صُحبة الملك. بنِّيَّة الشَّعر والعينين، وذات وجهٍ عريض ومنمَّش وأسنانٍ معوجَّة جعلَتها تخجل من ابتسامتها، كانت الليدي لِفتة تَبلُغ من العمُر أربعة عشر عامًا، أي أكبر من إجون بسنةٍ واحدة. يقول مشروم: «لم تَحُز جمالًا بارعًا، وإن كانت فتاةً نضرةً ومليحةً وسارَّةً، ولم يبدُ جلالته نافرًا منها». يقول القزم إن خلال الأسبوعيْن اللذين سبقا عيد (العذراء)، رتَّب اللورد أنوين لميريل أن تُشارِك الملك نصف دستةٍ من وجبات العشاء، ويُخبِرنا مشروم، الذي استُدعِيَ للتَّرفيه عنهما خلال تلك الوجبات الطَّويلة المحرجة، أن الملك إجون تكلَّم قليلًا فيما أكلَ، لكنه «بدا مرتاحًا مع الليدي لِفتة أكثر من أيِّ وقتٍ قضاه مع الملكة چهيرا، أي إنه لم يكن

مرتاحًا على الإطلاق، وإن لم يبدُ عليه أنه وجدَ حضورها مقيتًا. قبل الحفلة بثلاثة أيَّامٍ أعطاها واحدةً من دُمى المملكة الصَّغيرة، وقال وهو يُلقي بها إليها: هاكِ. يُمكنك الحصول على هذه. قد لا تكون هذه بالكلمات التي تَحلُم بسماعها العذارى الصَّغيرات البريئات، لكن ميرِيل عدَّت الهديَّة عربون محبَّة، وسعدَ والدها للغاية».

أحضرَت الليدي ميرِيل الدُّمية معها عندما ظهرَت في الحفلة، تضمُّها بين ذراعيها كما لو أنها تحتضن رضيعةً. لم تكن أوَّل مَن قُدِّمتَ -إذ ذهبَ ذلك الشَّرف لابنة أمير (پنتوس)- ولا الأخيرة -التي كانت هنرييتا وودهول، ابنة فارس من مُلَّاك الأراضي من (جزيرة التلَّيْن)- فقد حرصَ والدها على مثولها أمام الملك في وقتٍ متأخِر في الساعة الأوَّلى، متأخِرةً بما يكفي لكيلا يُتَّهم بمنحها موضعًا مرموقًا، ولكن متقدِّمةً بما يكفي بحيث يظلُّ الملك إجون منتبهًا بشكلٍ معقول. عندها حيًّا جلالته الليدي ميرِيل بالاسم ولم يكتفِ بقول: «لُطف منكِ أن تأتي يا سيِّدتي»، بل أيضًا: «أنا سعيدٌ لأنكِ أحضرتِ الدُّمية»، مؤكِّد أن والدها تشجَّع معتقدًا أن مكايده الحذرة كلَّها قد آتَت أُكلها.

على أن كلَّ ذلك انهارَ في لمح البصر بسبب تدخُّل أختَي الملك غير الشَّقيقتيْن، التَّوأمتيْن أنفُسهما اللتين كان أنوين پيك مصمِّمًا على منعهما من خلافة الملك. كان أقل من اثنتي عشرة فتاةً قد تبقَّى، وخفَّ الزِّحام إلى حدٍ كبير، حين دوَّت صيحة بوقٍ مفاجئة معلنةً وصول بِايلا ڤيلاريون ورِاينا كوربراي. فُتِحَ باب قاعة العرش على مصراعيه، ودخلَت ابنتا الأمير ديمون مع هبَّةٍ من هواء الشِّتاء. كانت الليدي بِايلا حُبلى، والليدي رِاينا شاحبةً مهزولةً من الإجهاض، ومع ذلك نادرًا ما بدوَتا متماثلتيْن إلى ذلك الحدِّ. ارتدَت كلتا الأختيْن فُستانًا من المخمل

الأسود النَّاعم وزيَّنت جيدها بالياقوت ومعطفها بتِنِّين آل تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس.

ركبَت التَّوأمتان زوجيْن من الفحول الحربيَّة السَّوداء كالفحم جنبًا إلى جنبٍ بطول القاعة، وعندما اعترضَ فارس الحرس الملكي السير مارستن ووترز طريقهما وطالبَهما بالنُّزول، جلدَت الليدي بِايلا خدَّه بكُرباجها قائلةً: «صاحب الجلالة أخي يُمكنه أن يأمرني، أمَّا أنت فلا». أوقفَتا جواديْهما أسفل العرش الحديدي، ولما اندفعَ اللورد أنوين إلى الأمام مطالبًا بمعرفة ما يعنيه ذلك، لم تُولِه التَّوأمتان اهتمامًا أكثر مما تُولِيان خادمًا، وقالت الليدي رِاينا لإجون: «أخي، إذا أذنت لنا، فقد أحضرنا ملكتك الجديدة».

تقدَّم السيِّد زوجها، السير كوروين كوربراي، بالفتاة، وارتفعَت شهقة عبر القاعة. بصوتٍ أجش إلى حدٍّ ما صدحَ الحاجب: «الليدي دينيرا سليلة آل ڤيلاريون، ابنة الرَّاحل المأسوف عليه دايرون سليل تلك العائلة وزوجته الليدي هيزل سليلة آل هارت المتوفَّاة أيضًا، وربيبة الليدي بِايلا سليلة آل تارجاريَن واللورد آلِن قبضة السِّنديان سليل آل ڤيلاريون، اللورد الأميرال وعميد (دريفتمارك) وسيِّد المدِّ والجَزر».

كانت دينيرا ڤيلاريون يتيمةً؛ أخذَت حُمَّى الشِّتاء والدتها، وماتَ والدها في (الأعتاب) عندما غرقَت سفينته (القلب الصَّادق). كان والده هو السير ڤيموند الذي قُطِعَ رأسه بأمر الملكة رينيرا، لكن دايرون تصالحَ مع اللورد آلِن وماتَ وهو يُقاتِل في سبيله. حين وقفَت أمام الملك في يوم عيد (العذراء) ذاك، مرتديةً فُستانًا من الحرير الأبيض الباهت وشرائط الزِّينة المايريَّة واللُّؤلؤ، ويلتمع شعرها الطَّويل في ضوء المشاعل ويتورَّد خدَّاها من الإثارة، كانت دينيرا تَبلُغ من العمر ستَّ

سنوات، ولكن جميلةً جمالًا يخلب الألباب. كانت دماء (ڤاليريا القديمة) تجري قويَّةً فيها -كما يظهر في كثيرٍ من الأحيان في أبناء وبنات حصان البحر- وشعرها فضِيًّا بخُصلٍ من الذَّهب، وعيناها زرقاويْن مثل بحر الصَّيف، وبشرتها ملساء شاحبةً مثل ثلج الشِّتاء. يقول مشروم إنها «تألَّقت، وعندما ابتسمَت ابتهجَ المغنُّون في الشُّرفة، لأنهم علموا أنهم وجدوا أخيرًا فتاةً جديرةً بأغنيَّة». اتَّفق النَّاس على أن ابتسامة دينيرا غيَّرت وجهها، إذ كانت حلوةً وجريئةً وشقيَّةً دُفعةً واحدةً، ومَن رأوها لم يَفُتهم أن يُفكِّروا: «ها هي ذي فتاة صغيرة مشرقة لطيفة سعيدة، التِّرياق المثالي لكآبة الملك الصَّغير».

حين بادلَها إجون الثَّالث الابتسامة وقال: «شُكرًا لكِ على قدومكِ يا سيِّدتي. تبدين جميلةً جدًّا»، حتى اللورد أنوين بيك نفسه عرفَ بالتَّأكيد أنه خسرَ اللُّعبة. قُدِّمَت العذارى الأخريات على عجلٍ ليأخذن أدوارهن، لكن رغبة الملك في وضع حدٍّ للعرض كانت ملموسةً لدرجة أن هنريتا وودهول المسكينة بكَت وهي تنحني، وحين اقتيدَت بعيدًا استدعى الملك إجون ساقيه الصَّغير، جيمون ذا الشَّعر الباهت، مانحًا إيَّاه شرف الإدلاء بالإعلان، وصاحَ جيمون بحُبور: «جلالته سيتزوَّج الليدي دينيرا سليلة عائلة ڤيلاريون!».

وقعَ اللورد أنوين بيك في شركٍ من صُنعه، ولم يكن أمامه من خيارٍ إلَّا قبول قرار الملك بأكبر قدرٍ ممكن من الكياسة، ولكن في اجتماع المجلس في اليوم التَّالي نفَّس الرَّجل عن غضبه. باختياره فتاةً في السَّادسة عروسًا، أحبطَ «هذا الولد العبوس» كامل الغرض من الزَّواج، فسوف تمرُّ سنوات قبل أن تكبر الفتاة بما يكفي للإضْجاع، وفترة أطول حتى تأمل إنجاب وريثٍ شرعي، وحتى ذلك الحين ستبقى مسألة الخلافة

موضع شُبهة. أعلنَ بيك أن واجب الوصاية الرَّئيسي هو حماية الملك من حماقات الشَّباب، «حماقات مثل هذه». من أجل خير المملكة تجب تنحية اختيار الملك جانبًا، ليتزوَّج جلالته «فتاةً مناسبةً في سنِّ الإنجاب». قال اللورد روان: «كابنتك؟ لا، لا أظنُّ». ولم يكن زُملاؤه الأوصياء أكثر تعاطُفًا، وللمرَّةً الأولى ظلَّ المجلس مصرًّا متحدِّيًا لرغبات اليد. القران سيُعقَد. وهكذا أُعلِنَت الخطبة في اليوم التَّالي فيما تدفَّقت عشرات من الفتيات المحبَطات من بوَّابات المدينة إلى ديارهن.

تزوَّج الملك إجون تارجاريَن الثَّالث بالليدي دينيرا في اليوم الأخير من العام الثَّالث والثَّلاثين بعد المئة منذ فتح إجون. كانت حشود العوام التي اصطفَّت في الشَّوارع للتَّعبير عن فرحتها بالزَّوجيْن الملكيَّيْن أقل بكثيرٍ من أولئك الذين خرجوا من أجل إجون وچهيرا، لأن حُمَّى الشِّتاء فتكَت بما قاربَ خُمس سُكَّان (كينجز لاندنج)، لكن مَن تحلَّوا بالشَّجاعة لمواجهة رياح اليوم القارسة والثُّلوج المنهمرة ابتهجوا بملكتهم الجديدة وفُتِنوا بتلويحاتها السَّعيدة وخدَّيْها المتورِّديْن وابتساماتها العذبة الخجول، كما حُيِّيَت الليدي بِايلا والليدي رِاينا، اللتان ركبَتا خلف الهودج الملكي مباشرةً، بهتافاتٍ حماسيَّة. قلَّة فقط لاحَظوا يد الملك الأبعد في الخلف، و«وجهه القاتم كالموت».

تحت حُكم الأوصياء

رحلة آلِن قبضة السِّنديان

دعونا نَترُك (كينجز لاندنج) بعض الوقت ونرجع بالتَّقويم للتَّحدُّث عن السيِّد زوج الليدي بِايلا، اللورد آلِن قبضة السِّنديان، في رحلته الملحميَّة إلى (بحر الغروب).

من شأن التَّجارب والانتصارات التي خاضَها أسطول ڤيلاريون إذ شقَّ طريقه حول «مؤخِّرة وستروس» (كما اعتادَ اللورد آلِن أن يُسمِّيها) أن تملأ وحدها مجلَّدًا عظيمًا. لمن يبحثون عن تفاصيل الرِّحلة، يظلُّ كتاب المِايستر بنداميور (ستُّ مرَّاتٍ إلى البحر: سجلٌّ لرحلات آلِن قبضة السِّنديان العظيمة) المصدر الأكثر اكتمالًا وموثوقيَّةً، ولو أن الرِّوايتيْن البذيئتيْن عن حياة اللورد آلِن، المعنونتَيْن بـ(صُلب كالسِّنديان) و(نغل المولد)، مثيرتان وجذَّابتان على طريقتيْهما، وإن كانتا غير موثوقتيْن. الأولى كتبَها السير راسل ستيلمان، الذي كان مُرافقًا لحضرة اللورد في شبابه، ولاحقًا نُصِّبَ فارسًا على يده قبل أن يفقد ساقه خلال رحلة

قبضة السِّندِيان الخامسة، والثَّانية كتبَتها امرأة تُعرَف فقط باسم ريو، ربما كانت سِيتةً وربما لم تكن، وربما أصبحَت إحدى عشيقات سيادته وربما لم تُصبِح. لن نُردِّد عمليْهما هنا، بل نكتفي ببعض التَّلميحات فقط.

إلى حدٍّ كبير أبدى قبضة السِّنديان المزيد من الحيطة عند عودته إلى (الأعتاب) ممَّا فعلَ في زيارته السَّابقة. واعيًا للتَّحالُفات دائمة التَّقلُّب والخيانات المدروسة بين المدن الحُرَّة، بعثَ قبله بكشَّافةٍ متوارين في قوارب صيدٍ ومتنكِّرين بهيئة تُجَّارٍ لاكتشاف ما ينتظره، وقد أبلغوه بأن القتال على الجُزر هدأ إلى حدٍّ كبير، واستعادَ راكاليو ريندون شوكته مسيطرًا على (حجر الدَّم) وكلِّ الجُزر جنوبها، في حين سيطرَ على شرق وشمال تلك الصُّخور مرتزِقة پنتوشيُّون استأجرَهم أركون (تايروش). أغلقَت العديد من القنوات بين الجُزر سلاسل حديديَّة، أو سدَّتها هياكل سُفنٍ غرقَت خلال هجوم اللورد آلِن، أمَّا الممرَّات المائيَّة التي بقيَت مفتوحةً فخضعَت لريندون ومجرميه. وهكذا وجدَ اللورد آلِن نفسه في مواجهة خيارٍ بسيط: عليه أن يشقَّ طريقه قتالًا ليتجاوَز «الملكة راكاليو» (كما سمَّاه الأركون)، أو أن يتعامَل معه.

لم يُكتَب باللُّغة العاميَّة إلَّا القليل عن هذا المغامر الأجنبي الاستثنائي، راكاليو ريندون، لكن في المدن الحُرَّة أصبحَت حياته موضوعًا لدراستيْن تعليميَّتيْن وعددٍ لا يُحصى من الأغاني والقصائد والحكايات الرومانسيَّة البذيئة. في مدينته الأمِّ (تايروش) لا يزال اسمه لعنةً عند الرِّجال والنِّساء رفيعي النَّسب حتى يومنا هذا، في حين يُوقِّره اللُّصوص والقراصنة والعاهرات والسَّكارى وأمثالهم.

المعروف عن شبابه قليل لدرجةٍ مدهشة، وكثير ممَّا نعتقد أننا نعرفه عنه إمَّا مغلوط وإمَّا متناقض. يُفترَض أن طوله كان ستَّة أقدامٍ ونصفًا،

وأن له كتفًا أعلى من الأخرى، وهو ما أضفى عليه وقفةً محنيَّةً ومشيةً متمايلةً، وأنه تحدَّث دستةً من اللَّهجات القاليريَّة، وهو ما يُوحي بأنه نبيل المولد، وإن اشتهرَ ببذاءة لسانه أيضًا، وهو ما يُوحي بمجيئه من أفقر الأزقَّة. على غرار العديد من التايروشيِّين، اعتادَ صباغة شعره ولحيته، وكان الأرجواني لونه المفضَّل -وهو ما يُلمِّح إلى احتمال ارتباطٍ ما بـ(براقوس)- ويَذكُر أكثر القصص عنه شعرًا أرجوانيًّا طويلًا مجعَّدًا، موخوطًا غالبًا بالبرتقالي. أحبَّ ريندون العطور الفاغمة واستحمَّ بالخُزامى أو ماء الورد.

يبدو واضحًا أنه كان رجلًا عظيم الطُّموح هائل الشَّهيَّة، شرهًا وسكِّيرًا خلال أوقات فراغه، وشيطانًا في المعارك، وأجادَ استخدام السَّيف بيُمناه ويُسراه، وأحيانًا قاتلَ بكلتيهما في آنٍ واحد. كما أنه كرَّم الآلهة؛ كلَّ الآلهة في كلِّ مكان، فعندما ألقَت المعركة وعيدها ألقى هو عظام العِرافة لاختيار الإله الذي سيسترضيه بأضحيةٍ ما. رغم أن (تايروش) مدينة عبيد فقد كرهَ العبوديَّة، وهو ما يُوحي بأنه هو نفسه ربما جاءَ من الاسترقاق. خلال فترات الثَّراء (فقد ربحَ ثرواتٍ كثيرةً وخسرَها) اشترى أيَّ أمَةٍ تجذب ناظريْه وقبَّلها وأطلقَ سراحها، وكان سخيًّا مع رجاله، لا يأخُذ من الغنائم حصَّةً أعلى من أدناهم. في (تايروش) عُرِفَ بإلقاء العُملات الذَّهب للشحَّاذين، وإذا أعجبَ رجلًا ما شيءٌ يخصُّه، سواء أكان حذاءً أم خاتمًا زمرُّديًّا أم حتى زوجةً، لم يتردَّد راكاليو في تقديمه له هديَّةً.

كانت له دستة من الزَّوجات لم يضربهن قَطُّ، وإن أمرَهن أحيانًا بأن يضربنه هُن، وأحبَّ الهُريرات وكرهَ الهِرر، وهويَ النِّسوة الحوامل وإن اشمئزَّ من الأطفال. من وقتٍ إلى آخَر ارتدى ثياب النِّساء ليلعب دور

العاهرة، وإن جعلَه طول قامته وظهره المحدَّب ولحيته الأرجوانيَّة شاذَّ المنظر أكثر من أنثى. أحيانًا كان ينفجر ضحكًا في خضمِّ المعركة، وأحيانًا يُغنِّي أغانيَ سافلةً بدلًا من ذلك.

كان راكاليو ريندون مجنونًا، ومع ذلك أحبَّه رجاله، وقاتَلوا من أجله، وماتوا في سبيله، ولبضع سنواتٍ قصيرة جعلوه ملكًا.

في عام 133 بعد الفتح، في (الأعتاب)، كان «الملكة» راكاليو في أوج قوَّته. ربما أمكنَ لآلِن ڤيلاريون إسقاطه، لكنه خشيَ أن يُكلِّفه ذلك نصف قوَّاته، إذ احتاجَ إلى كلِّ رجلٍ من رجاله إن كان له أيُّ أملٍ في هزيمة الكراكن الأحمر، ومن ثمَّ فقد اختارَ الكلام بدل المعركة، ليفصل قادسه (الليدي بِايلا) عن أسطوله ويُبحِر به إلى (حجر الدَّم) تحت عَلم تفاوُض، في محاولةٍ منه لترتيب مرورٍ حُرٍّ لسُفنه عبر مياه ريندون.

في النِّهاية نجحَ في ذلك، رغم أن راكاليو أبقاه أكثر من أسبوعيْن في معقله الخشبي الممتد على (حجر الدَّم). لم يتَّضح تمامًا إن كان اللورد آلِن ضيفًا أم رهينةً، حتى لسيادته نفسه، فقد تقلَّب مزاج مضيفه كالبحر؛ في يومٍ يُشيد بقبضة السِّنديان صديقًا وأخًا في السِّلاح، ويحثُّه على الانضمام إليه في هجومٍ على (تايروش)، وفي اليوم التَّالي يُلقي العظام ليرى إن كان عليه أن يَقتُل ضيفه. أصرَّ راكاليو أن يُصارِعه اللورد آلِن في حُفرةٍ موحلة خلف حصنه فيما راقبَهما مئات من القراصنة السَّاخرين، وحين قطعَ رأس أحد رجاله بتهمة التَّجسُّس لصالح التايروشيِّين، قدَّم الرَّأس للورد آلِن رمزًا لصُحبتهما، ولكن في اليوم التَّالي مباشرةً اتَّهم سيادته ذاته بالعمل لصالح الأركون. لإثبات براءته، أُجبِرَ اللورد آلِن على قتل ثلاثة سُجناء تايروشيِّين، ولما فعلَ ذلك سُرَّ منه «الملكة» لدرجة إرسال اثنتين من زوجاته إلى حُجرة نوم قبضة السِّنديان في تلك الليلة.

أمرَه راكاليو قائلًا: «امنحهما أبناءً. أريدُ أبناءً شجعانًا وأقوياء مثلك».
أمَّا تنفيذ اللورد آلِن الأمر من عدمه فتتضارَب مصادرنا حوله.

أخيرًا سمحَ ريندون بمرور أسطول ڤيلاريون مقابل ثمن: أرادَ ثلاث سُفن، وتحالُفًا مكتوبًا على جِلد الأغنام وموقَّعًا بالدَّم، وقُبلةً. أعطاه قبضة السِّنديان أقلَّ ثلاث سُفنٍ صالحة للإبحار في أسطوله، وتحالُفًا مكتوبًا على رقٍّ وموقَّعًا بحبر مِايستر، ووعدًا بقُبلةٍ من الليدي بِايلا، إذا زارَها «الملكة» في (دريفتمارك). بدا ذلك كافيًا، وأبحرَ الأسطول عبر (الأعتاب).

على أن المزيد من المِحن قبعَ في انتظاره، فـ(دورن) كانت التَّالية. انزعجَ الدورنيُّون انزعاجًا مفهومًا من الظُّهور المفاجئ لأسطول ڤيلاريون الكبير في المياه قُبالة (صنسپير)، ولكن لافتقارهم إلى أيِّ قوَّةٍ في البحر فقد اختاروا اعتبار قدوم اللورد آلِن زيارةً بدلًا من هجوم، فخرجَت آلياندرا مارتل أميرة (دورن) للقائه بصُحبة دستةٍ من أعزَّائها وخُطَّابها الحاليِّين. احتفلَت «نايميريا الجديدة» لتوِّها بيوم ميلادها الثَّامن عشر، ويُقال إنها انجذبَت جدًّا إلى «بطل (الأعتاب)» الشَّاب الوسيم الأنيق، الأميرال الجريء الذي أذلَّ البراڤوسيِّين. طلبَ اللورد آلِن مياهً عذبةً ومؤنًا لسُفنه، فيما طلبَت الأميرة آلياندرا خدماتٍ ذات طبيعةٍ أكثر حميميَّةً. يُريدنا كتاب (نغل المولد) أن نعتقد أنه قدَّم تلك الخدمات، ويُؤكِّد (صُلب كالسِّنديان) أنه لم يفعل. ما نعرفه هو أن المجاملات التي أغدقَت بها عليه الأميرة الدورنيَّة الغنِجة أثارَت استياء لورداتها وأغضبَت أخويْها الأصغر كايل وكوريان، ورغم ذلك حصلَ اللورد قبضة السِّنديان على براميل من الماء العذب، وطعامٍ كافٍ لرحلتهم إلى (البلدة القديمة) و(الكرمة)، وخرائط أظهرَت مواضع الدوَّامات القاتلة الكامنة بطول

ساحل (دورن) الجنوبي.

ومع ذلك تكبَّد اللورد ڤيلاريون أولى خسائره في المياه الدورنيَّة. بينما شقَّ الأسطول طريقه مرورًا بالأراضي الجافَّة غرب (ساحل الملح)، هبَّت عاصفة مفاجئة مشتِّتةً السُّفن ومُغرقةً اثنتين، وبعد مسافةٍ غربًا، بالقُرب من مصبِّ (نهر الكبريت)، رسَت سفينة محطَّمة بعض الشَّيء من أجل تحميل المياه العذبة وإجراء بعض الإصلاحات، لتتعرَّض لهجومٍ تحت جنح الظَّلام من قُطَّاع طُرقٍ ذبحوا طاقمها ونهبوا مؤنها.

على أن هذه الخسائر لاقَت أكثر من عوضها حين وصلَ اللورد قبضة السِّنديان إلى (البلدة القديمة). أرشدَت المنارة العظيمة فوق قمَّة (البُرج العالي) سفينته (الليدي بِايلا) وباقي الأسطول عبر (النَّهر الهامس) حتى الميناء، حيث خرجَ لايونل هايتاور بنفسه لملاقاته والتَّرحيب به في مدينته. اللُّطف الذي عاملَ به اللورد آلِن الليدي سام أكسبَه

وُدَّ اللورد لايونل فورًا، وكوَّن الشَّابَّان صداقةً سريعةً ساهمَت في دفن كلِّ العداوات القديمة بين السُّود والخُضر. وعدَ هايتاور بتزويد (البلدة القديمة) الأسطول بعشرين سفينةً حربيَّةً، وبإرسال صديقه العزيز اللورد ردواين سيِّد (الكرمة) ثلاثين. بضربةٍ واحدة أصبحَ أسطول اللورد قبضة السِّنديان أشدَّ هيبةً كثيرًا.

بقيَ أسطول ڤيلاريون مُدَّة طالَت جدًّا في (النَّهر الهامس)، منتظرًا اللورد ردواين والقوادس التي وعدَ بها. استمتعَ آلِن قبضة السِّنديان بضيافة آل هايتاور، واستكشفَ عطفات (البلدة القديمة) وطُرقها العتيقة، وزارَ (القلعة) حيث قضى أيامًا مستغرقًا في الخرائط القديمة ودراسة وثائق ڤاليريَّة مغبرَّة حول تصميم السُّفن الحربيَّة وتكتيكات معارك البحر. في (السِّپت النَّجمي) باركَه السِّپتون الأعلى، الذي رسمَ نجمةً سُباعيَّةً على جبهته بالزُّيوت المقدَّسة وأرسلَه ليُنزِل غضبة (المحارب) على الحديديِّين وإلههم الغريق. كان اللورد ڤيلاريون لا يزال في (البلدة القديمة) عندما بلغَ نبأ موت الملكة چهيرا المدينة، متبوعًا في غضون أيامٍ قليلة بإعلان خطبة الملك ميرِيل پيك. بحلول ذلك الوقت كان آلِن قد صارَ مقرَّبًا من الليدي سام علاوةً على اللورد لايونل، ولكن يظلُّ إن كان له أيُّ دور في كتابة رسالتها الشَّائنة مسألةً تخمينيَّةً. على أن من المعروف أنه بعثَ برسائل للسيِّدة زوجته في (دريفتمارك) في أثناء وجوده بـ(البُرج العالي)، إلَّا أننا لا نعرف فحواها.

كان قبضة السِّنديان لا يزال شابًّا في عام 133 بعد الفتح، والشُّبَّان لا يُعرَفون بصبرهم. في النِّهاية قرَّر أنه لن ينتظر اللورد ردواين أكثر، وأعطى الأمر بالإبحار. هلَّلت (البلدة القديمة) فيما رفعَت سُفن ڤيلاريون

قلوعها وأنزلَت مجاذيفها وانزلقَت واحدةً تلو الأخرى في مجرى (النَّهر الهامس)، وتبعَها عشرون قادسًا حربيًّا من قوادس آل هايتاور بقيادة السير ليو كوستاين، البحَّار الأشيب المعروف بأسد البحر.

قُبالة جروف (التَّاج الأسود) المغرِّدة، حيث تُصفِّر الأبراج الملتوية والأحجار المنحوتة بالرِّيح فوق الأمواج، انعطفَ الأسطول شمالًا إلى (بحر الغروب) منسلًّا بمحاذاة السَّاحل الغربي مرورًا بـ(باندالون). في أثناء عبوره مصبَّ (الماندر) أرسلَ رجال (جُزر التُّروس) قوادسهم للانضمام إليه: ثلاث سُفنٍ من كلٍّ من (التُّرس الرَّمادي) و(تُرس الجنوب)، وأربعًا من (التُّرس الأخضر)، وستًّا من (تُرس السِّنديان). ولكن قبل أن يتمكَّنوا من الإبحار شمالًا أكثر هبَّت عليهم عاصفة أخرى، فغرقَت سفينة بالإضافة إلى تعرُّض ثلاثٍ أخرى لأضرارٍ بالغة منعَتها من المضيِّ قُدمًا. أعادَ اللورد ڤيلاريون تنظيم الأسطول قُرب (كراكهول)، حيث خرجَت سيِّدة القلعة للقائه، وقد سمعَ سيادته منها أوَّل مرَّةٍ عن الحفلة الرَّاقصة الرَّائعة التي ستُقام في عيد (العذراء).

وصلَ الخبر إلى (الجزيرة القصيَّة) كذلك، ويُقال لنا إن اللورد دالتون جرايچوي أدارَ في رأسه فكرة إرسال واحدةٍ من أخواته للتَّنافُس على تاج الملكة، وقال: «فتاةٌ حديديَّة على العرش الحديدي. هل من شيءٍ أنسب؟». على أن الكراكن الأحمر كانت عنده هموم أشد إلحاحًا. كان قد حُذِّرَ قبل فترةٍ طويلة من قدوم آلِن قبضة السِّنديان وجمعَ قوَّاته لاستقباله، فاحتشدَت مئات من السُّفن الطَّويلة في المياه جنوب (الجزيرة القصيَّة)، والمزيد بالقُرب من (شُعلة الأعياد) و(كايس) و(لانسپورت). أعلنَ الكراكن الأحمر أنه، بعد إرسال «ذلك الصَّبي» إلى أبهاء الإله الغريق في قاع البحر، سيقطع بأسطوله الطَّريق الذي جاءَ منه قبضة

السِّنديان، ويرفع راياته فوق (التُّروس)، وينهب (البلدة القديمة) و(صنسپير)، ويأخذ (دريفتمارك) لنفسه. (رغم أن جرايچوي كان يكبر خصمه بأقل من ثلاث سنوات فإنه لم يَدعُه إلَّا بـ«ذلك الصَّبي»). أخبرَ سيِّد (جُزر الحديد) ربابنته ضاحكًا أنه قد يتَّخذ الليدي بِايلا زوجةً ملحيَّةً أيضًا. «صحيحٌ أن لي اثنتين وعشرين زوجةً ملحيَّةً، ولكن ولا واحدة منهن فضِّيَّة الشَّعر».

كثيرًا ما يُخبرنا التَّاريخ عن أفعال الملوك والملكات واللوردات العظام والفُرسان النُّبلاء والسِّپتونات المباركين والمِايسترات الحُكماء، حتى إن من السَّهل أن ننسى الأناس العوام الذين شاركوا العُظماء والجبابرة تلك الأوقات، ولكن من وقتٍ إلى آخَر يَبرُز بطريقةٍ ما رجل بسيط -أو امرأة- لا يتمتَّع بنسبٍ عالٍ ولا ثروةٍ ولا دهاءٍ ولا حكمةٍ ولا مهارةٍ في السِّلاح، وبفعلٍ بسيط أو كلمةٍ مهموسة يُغيِّر مصير ممالك، وهذا عين ما حدثَ على (الجزيرة القصيَّة) في ذلك العام المصيري، 133 بعد الفتح.

كانت للورد دالتون جرايچوي فعلًا اثنتان وعشرون زوجةً ملحيَّةً. أربع كُنَّ على (پايك)، ومنحَته اثنتان منهن أطفالًا، أمَّا الأخريات فنساء من الغرب اختطفَهن خلال غزواته، منهن اثنتان من بنات اللورد فارمان الرَّاحل، وأرملة فارس (كايس)، بل وابنة لآل لانستر -لانستر من (لانسپورت)، لا لانستر من (كاسترلي روك)- والبقيَّة فتيات وضيعات النَّسب، بنات صيَّادين بُسطاء أو تُجَّارٍ أو جنود لفتن انتباهه بطريقةٍ ما، غالبًا بعد أن ذبحَ آباءهن أو إخوانهن أو أزواجهن أو غيرهم من حُماتهن الذُّكور. واحدة من هؤلاء حملَت اسم تِس، واسمها هو كلُّ ما نعرفه عنها في الحقيقة. هل كانت في الثَّالثة عشرة أم الثَّلاثين؟ جميلةً

أم عاديَّةً؟ أرملةً أم بِكرًا؟ أين وجدَها اللورد جرايچوي وكم من الوقت قضَت ضمن زوجاته الملحيَّات؟ هل مقتَته لكونه مُغيرًا ومغتصبًا أم أحبَّته بشدَّةٍ إلى حدِّ الجنون من الغيرة؟

لا علم لنا، فالحكايات تختلف اختلافًا ملحوظًا جدًّا لدرجةٍ تُوجِب أن تظلَّ تِس لغزًا في سجلَّات التَّاريخ إلى الأبد. كلُّ ما هو معروف يقينًا أن في ليلةٍ ممطرة عاصفة بـ(القلعة القصيَّة)، فيما احتشدَت السُّفن بالأسفل، قضى منها اللورد دالتون وطره، وبعد ذلك، إذ غابَ في نومه، أخذَت تِس خنجره من غِمده وشقَّت حلقه من الأُذن إلى الأُذن، ثم ألقَت بنفسها عاريةً ملطَّخةً بالدَّم في البحر الجائع بالأسفل.

وهكذا هلكَ الكراكن الأحمر سيِّد (پايك) عشيَّة أهمِّ معاركه... غير مقتولٍ بسيف عدوٍّ، بل بخنجره الخاص على يد واحدةٍ من زوجاته.

ولا صمدَت غزواته من بعده، فمع انتشار خبر موته بدأ الأسطول الذي حشدَه لمقابلة آلِن قبضة السِّنديان يتلاشى، إذ فرَّ الرُّبَّان إثر الرُّبَّان إلى الوطن. لم يتَّخذ دالتون جرايچوي زوجةً صخريَّةً قَطُّ، وبالتَّالي لم يُخلِّف ورثةً إلَّا ابنيْن صغيريْن من زوجتيْن ملحيَّتيْن تركَهما في (پايك)، وثلاث أخوات، وعدَّة أبناء عمومةٍ كل منهم أشد طمعًا وطموحًا من السَّابق. بموجب القانون انتقلَ كُرسي حجر اليَمِّ إلى أكبر ابنيْه الملحيَّيْن، لكن الصَّبي تورون لم يكن قد بلغَ السَّادسة بعدُ، ولا أمل لأمِّه، بصفتها زوجةً ملحيَّةً، في التَّصرُّف وصيَّةً عليه كما كان ليُمكن لزوجةٍ صخريَّة. الصِّراع على السُّلطة كان لا مفرَّ منه، وهي حقيقةٌ رآها الرَّبابنة حديديُّو الميلاد بوضوحٍ إذ تسابَقوا عائدين إلى جُزرهم.

في تلك الأثناء قامَ عوام (الجزيرة القصيَّة) والفُرسان الباقون على الجزيرة في انتفاضةٍ حمراء، فجُرَّ الرِّجال الحديديُّون الذين تخلَّفوا عندما

فرَّ أقرباؤهم من أسرَّتهم وقُطِّعوا حتى الموت، أو هُوجِموا على الأرصفة واجتيحَت سُفنهم وأُحرِقَت. في غضون ثلاثة أيَّامٍ لاقى مئات المغيرين نهاياتٍ قاسيةً وداميةً ومفاجئةً تمامًا كالتي ألحقوها بضحاياهم، حتى لم يبقَ إلَّا (القلعة القصيَّة) في أيدي الحديديِّين. بعنادٍ صمدَت الحامية، المكوَّنة بالأساس من رفاق الكراكن الأحمر المقرَّبين وإخوته في المعارك، تحت قيادة الماكر ألستر وينش والعملاق الصَّاخب چنشور جودبراذر، حتى قتل الأخير الأوَّل في شجارٍ على لايسا ابنة اللورد فارمان، إحدى الأرامل الملحيَّات.

وهكذا عندما وصلَ آلِن ڤيلاريون أخيرًا لتحرير الغرب من حديدِيِّي الجُزر، وجدَ نفسه بلا خصم. لقد تحرَّرت (الجزيرة القصيَّة)، وفرَّت السُّفن الطَّويلة، وانتهى القتال. فيما مرَّت (الليدي بِايلا) أسفل أسوار (لانسپورت)، دقَّت أجراس المدينة مرحِّبةً به، وهرعَ آلاف من البوَّابات ليصطفُّوا على الضفَّة هاتفين، كما خرجَت الليدي چوهانا بنفسها من (كاسترلي روك) لتُهدي قبضة السِّنديان حصان بحرٍ من الذَّهب وغيره من رموز تقدير آل لانستر.

تلَت ذلك أيَّام من الاحتفال. تلهَّف اللورد آلِن على تحميل المؤن والانطلاق في رحلته الطَّويلة إلى الوطن، لكن الغربيِّين لم يرغبوا في رؤيته يرحل، ففي ظلِّ تدمير أسطولهم ظلُّوا معرَّضين للخطر إذا عاد الحديديُّون تحت قيادة خليفة الكراكن الأحمر أيًّا كان. بل وتمادَت الليدي چوهانا لدرجة اقتراح هجومٍ على (جُزر الحديد) ذاتها، بحيث تُوفِّر هي العدد المطلوب من السُّيوف والحِراب، وما على اللورد ڤيلاريون إلَّا إيصالهم إلى الجُزر. أعلنَت سيادتها: «يجب أن نضع كلَّ رجلٍ منهم على حدِّ السَّيف، ونبيع زوجاتهم وأطفالهم إلى نخَّاسي الشَّرق. فلتأخذ النَّوارس

والسَّراطين تلك الصُّخور عديمة القيمة».

لم يكن قبضة السِّنديان ليُقدِم على أيٍّ من ذلك، ولكن لإرضاء مضيفيه وافقَ على بقاء أسد البحر ليو كوستاين في (لانسپورت) مع ثُلث الأسطول إلى أن يتمكَّن آل لانستر وآل فارمان وباقي لوردات الغرب من إعادة بناء عددٍ كافٍ من سُفنهم الحربيَّة للدِّفاع ضدَّ أيِّ عودةٍ للحديديِّين، ثمَّ رفعَ أشرعته من جديدٍ وأخذ باقي أسطوله إلى البحر عائدًا من حيث جاءَ.

لا نحتاج إلى قول الكثير عن رحلته إلى الدِّيار. قُرب مصبِّ (الماندر) لُمِحَ أخيرًا أسطول ردواين مهرولًا شمالًا، لكنه دارَ راجعًا بعد مشاركة اللورد ڤيلاريون الطَّعام على متن (الليدي بايلا). قامَ سيادته بزيارةٍ قصيرة إلى (الكرمة) ضيفًا على اللورد ردواين، وزيارةٍ أطول إلى (البلدة القديمة) حيث جدَّد صداقته باللورد لايونل هايتاور والليدي سام، وجالسَ ناسخي ومِايسترات «القلعة» ليُدوِّنوا تفاصيل رحلته، وكرَّمه عُمداء الرَّوابط السَّبع، وتلقَّى مباركةً أخرى من السِّپتون الأعلى. أبحرَ ڤيلاريون مجدَّدًا بمحاذاة سواحل (دورن) الجافَّة القاحلة مجذِّفًا شرقًا هذه المرَّة، وسُرَّت الأميرة آلياندرا بعودته إلى (صنسپير)، وأصرَّت على سماع كلِّ تفصيلةٍ عن مغامراته، وهو ما أحنقَ إخوتها وخُطَّابها الغيورين.

ومنها علمَ اللورد قبضة السِّنديان أن (دورن) انضمَّت إلى حرب البنات، متحالفةً مع (تايروش) و(لِيس) ضدَّ راكاليو ريندون... وفي بلاطها بـ(صنسپير) خلال وليمة عيد (العذراء) -اليوم ذاته الذي استعرضَت فيه ألف عذراءٍ نفسها أمام إجون الثَّالث في (كينجز لاندنج)- أقبلَ على سيادته المدعو درازنكو روجير، واحد من المبعوثين الذين أرسلَتهم (لِيس) إلى بلاط آلياندرا، وسألَه كلمةً على انفراد. شاعرًا بالفضول، وافقَ اللورد

آلِن على السَّماع وخرجَ الرَّجلان إلى السَّاحة، حيث اقتربَ منه درازنكو بشدَّةٍ لدرجة أن سيادته قال: «خشيتُ أنه ينوي تقبيلي»، ولكن بدلًا من ذلكَ همسَ بشيءٍ ما في أُذن الأميرال، بسرٍّ غيَّر مجرى التَّاريخ الوستروسي. في اليوم التَّالي عادَ اللورد ڤيلاريون إلى قادسه (الليدي بِايلا) وأعطى الأمر بالإبحار... إلى (لِيس).

دوافعه وما جرى معه في المدينة الحُرَّة سنكشف عنها في الوقت المناسب، لكن دعونا حاليًّا نُعيد توجيه أنظارنا إلى (كينجز لاندنج)، حيث سادَ الأمل والمشاعر الطيِّبة (القلعة الحمراء) فيما بزغَ فجر العام الجديد. رغم أنها أصغر من سلفتها، كانت الملكة دينيرا طفلةً أبهج، وساهمَت طبيعتها المشرقة كثيرًا في إضاءة كآبة الملك الحالكة... لفترةٍ وجيزة على الأقل. شُوهِدَ إجون الثَّالث في البلاط أكثر من المعتاد، بل وغادرَ القلعة في ثلاث مناسباتٍ ليُري عروسه معالم المدينة (ولو أنه رفضَ أخذها إلى (جُب التَّنانين)، حيث أوَت تنِّينة الليدي رِاينا الصَّغيرة، مورننج). بدا أن جلالته وجدَ اهتمامًا جديدًا بدراسته، وغالبًا ما استُدعِيَ مشروم لتسلية الملك والملكة على العشاء («كان صوت ضحكات الملكة كالموسيقى في أُذنَي هذا المهرّج، عذبًا لدرجة أن الملك نفسه عُرِفَ عنه الابتسام لوقعه»). حتى جاريث لونج، قيِّم سلاح (القلعة الحمراء) المبغوض، لاحظَ تغييرًا، وقال لحضرة اليد: «لم نعُد مضطرِّين لضرب النَّغل بالكثرة السَّابقة. الصَّبي لم يفتقِر قَطُّ إلى القوَّة أو السُّرعة، والآن أخيرًا يُظهِر نزرًا يسيرًا من المهارة».

امتدَّ اهتمام الملك الصَّغير الجديد بالعالم ليشمل حُكم مملكته، إذ شرعَ إجون الثَّالث في حضور جلسات المجلس، ورغم أنه نادرًا ما تكلَّم فقد شجَّع حضوره المِايستر الأكبر مونكن، وبدا أنه سرَّ اللورديْن موتون

وروان. على أن السير مارستن ووترز فارس الحرس الملكي بدا مرتبكًا من حضور جلالته، وعدَّه اللورد بيك توبيخًا. يُخبرنا مونكن أنه متى استجمعَ إجون شجاعته لطرح سؤال، انزعجَ اليد ولامَه على تضييع وقت المجلس، أو أخبرَه أن تلك الأمور المهمَّة تفوق استيعاب طفل، وبشكلٍ غير مفاجئ بدأ جلالته يتغيَّب عن الاجتماعات بعد مُدَّة قصيرة، كما فعلَ في السَّابق.

عابسًا وشكَّاكًا بالسَّليقة، ومتعجرفًا بالغ الزَّهو بنفسه، كان أنوين بيك من أتعس الرِّجال في عام 134 بعد الفتح. كانت حفلة عيد (العذراء) بمثابة مذلَّةٍ له، واعتبرَ رفض الملك ابنته ميريل وتفضيل دينيرا عليها إهانةً شخصيَّةً. لم يكن مولعًا بالليدي بِايلا قَطُّ، والآن صارَ لديه سبب ليَمقُت شقيقتها رِاينا كذلك، لاقتناعه بأنهما تعملان ضدَّه، غالبًا بإيعازٍ من زوج بِايلا، الوقح المتمرِّد قبضة السِّنديان. لقد تعمَّدت التَّوأمتان وبحقدٍ مبيَّت تدمير خُططه لتأمين الخلافة، كما قال لمواليه، وبتأكُّدهما من اتِّخاذ الملك زوجةً في السَّادسة من العُمر فقد ضمنَتا أن يكون الطِّفل الذي تحمله بِايلا التَّالي في تسلسُل وراثة العرش الحديدي.

في إحدى المرَّات قال بيك لمارستن ووترز في حضور مشروم: «إذا كان المولود صبيًّا فلن يعيش جلالته طويلًا كفايةً ليُنجِب وريثًا من صُلبه». بعد ذلك بوقتٍ قصير أتى بِايلا ڤيلاريون المخاض ووضعَت طفلةً سليمةً أسمَتها لِاينا على اسم أمِّها، ولكن حتى هذا لم يُهدِّئ روع يد الملك طويلًا، فبعد أقلِّ من أسبوعيْن عادَت الكُتلة المتقدِّمة من أسطول ڤيلاريون إلى (كينجز لاندنج) حاملةً رسالةً مبهمةً، أرسلَها قبضة السِّنديان مسبقًا فيما أبحرَ هو إلى (لِيس) ليُؤمِّن «كنزًا لا يُقدَّر بثمن».

ألهبَت هذه الكلمات شكوك اللورد پيك. ما هذا الكنز؟ وكيف ينوي اللورد ڤيلاريون «تأمينه»؟ بالسَّيف؟ أهو على شفا بدء حربٍ مع (لِيس) كما فعلَ مع (براڤوس)؟ لقد أرسلَ حضرة اليد الأميرال الشَّاب المتهوِّر حول (وستروس) بأكملها لتخليص البلاط منه، ولكن ها هو ذا على وشك أن يحلَّ عليهم من جديد، «مغمورًا بمديح وهتافاتٍ غير مستحقَّة»، وربما بثروةٍ هائلة كذلك. (كان الذَّهب دائمًا مسألةً مزعجةً لأنوين پيك، الذي كانت عائلته فقيرة الأراضي غنيَّة الحجارة والتُّربة والفخر، ومع ذلك افتقرَت إلى العُملة افتقارًا مزمنًا). رأى العوام قبضة السِّنديان بطلًا، وقد علمَ حضرته هذا، فهو الرَّجل الذي أذلَّ أمير بحر (براڤوس) الأبيَّ وكراكن (پايك) الأحمر، أمَّا هو نفسه فمغضوب عليه ومذموم. حتى داخل (القلعة الحمراء) أملَ عديدون أن يُزيح الأوصياء اللورد پيك من منصب يد الملك ويستبدلوا به آلِن ڤيلاريون.

كانت الإثارة التي أحدثَتها عودة قبضة السِّنديان واضحةً، ومع ذلك ما استطاعَ اليد سوى أن يُرغي ويُزبِد. عندما شُوهِدَت أشرعة (الليدي بايلا) عبر مياه (الخليج الأسود)، وقد ظهرَت بقيَّة أسطول ڤيلاريون من وسط ضباب الصَّباح خلفها، بدأ كلُّ جرسٍ في (كينجز لاندنج) يُقرَع، واحتشدَ آلاف فوق أسوار المدينة ليهتفوا للبطل، تمامًا كما فعلوا في (لانسپورت) قبل نصف عام، فيما اندفعَ آلاف آخَرون من (بوَّابة النَّهر) ليصطفُّوا على الشَّواطئ، ولكن حين عبَّر الملك عن رغبته في الذَّهاب إلى الأرصفة «لأشكر صهري على خدمته»، نهاه حضرة اليد مصرًّا أن ذهاب جلالته إلى اللورد ڤيلاريون لن يليق، وأن الأميرال هو من يجب أن يأتي إلى (القلعة الحمراء) ليُبدي التَّواضُع أمام العرش الحديدي.

وجدَ اللورد أنوين نفسه في هذا، كما في مسألة خطبة إجون ميرِيل

بيك، باطل الرَّأي من طرف باقي الأوصياء، ورغم اعتراضاته شديدة اللَّهجة نزلَ الملك إجون والملكة دينيرا من القلعة على متن هودجهما، بصُحبة الليدي بِايلا وطفلتها الرَّضيعة، وأختها الليدي رِاينا والسيِّد زوجها كوروين كوربراي، والمِايستر الأكبر مونكن، والسِّپتون برنارد، والوصيَّيْن مانفرد موتون وثاديوس روان، وفُرسان الحرس الملكي، والعديد من الأعيان الآخَرين المتلهِّفين على استقبال (الليدي بِايلا) على الأرصفة.

تُخبرنا السِّجلَّات أن الصَّباح كان مشرقًا وباردًا. هناك، أمام أعيُن عشرات الآلاف، أبصرَ اللورد آلِن قبضة السِّنديان ابنته لِاينا لأوَّل مرَّة، وبعد تقبيل السيِّدة زوجته أخذ الطِّفلة منها ورفعَها عاليًا ليراها كلُّ المحتشدين فيما دوَّت الهتافات حولهم كالرَّعد. عندها فقط أعادَ الفتاة إلى ذراعَي أمِّها وركعَ أمام الملك والملكة. كانت الملكة دينيرا متورِّدة الوجه على نحوٍ جميل وتلعثمَت بعض الشَّيء، وقالت معلِّقةً حول عُنقه سلسلةً ذهبيةً ثقيلةً مرصَّعةً بالياقوت الأزرق: «أ-أزرق كالبحر حيث ربح سيِّدي معاركه»، ثم دعا الملك الأميرال للنُّهوض قائلًا: «نحن سُعداء بعودتك إلى الوطن سالمًا غانمًا يا أخي».

يقول مشروم إن قبضة السِّنديان كان يضحك إذ نهضَ، وجاوبَ: «مولاي، لقد شرَّفتني بيد أختك، وإني لفخور بكوني أخاك بالمصاهرة. على أنني لا أستطيعُ أبدًا أن أكون أخاك في الدَّم، وإن وُجِدَ شخص كذلك»، ثمَّ، بإيماءةٍ استعراضيَّة، استدعى اللورد آلِن ذلك «الكنز» الذي أحضرَه من (لِيس)، ومن فوق متن (الليدي بِايلا) نزلَت امرأة شابَّة شاحبة فائقة الجمال، متأبِّطةً ذراع صبيٍّ في لباسٍ فاخر قريبة سنُّه من سنِّ الملك، وتتوارى ملامحه تحت قلنسوة معطفه المطرَّز.

لم يستطِع اللورد أنوين پيك تمالُك نفسه أكثر، وسألَ مندفعًا إلى الأمام: «مَن هذا؟ مَن أنت؟». نزعَ الصَّبي قلنسوته، وإذ تألَّق ضوء الشَّمس على شعره الذَّهبي الفضِّي، أجهشَ الملك إجون الثَّالث بالبُكاء منكبًّا بنفسه على ذلك الصَّبي في عناقٍ حار. كان «كنز» قبضة السِّنديان ڤسيرس تارجاريَن، شقيق الملك الضَّائع، أصغر أبناء رينيرا والأمير ديمون، الذي افتُرِضَ موته منذ معركة (الحُلقوم) وبقيَ مفقودًا لما قاربَ الخمس سنوات.

يُذكَر أن في عام 129 بعد الفتح أرسلَت الملكة رينيرا ابنيْها الأصغر إلى (پنتوس) لإبقائهما بعيديْن عن الأذى، فقط لتُبحِر بهما السَّفينة التي حملَتهما عبر (البحر الضيِّق) بين أنياب أسطولٍ حربي تابع للحِلف الثُّلاثي. لئن هربَ الأمير إجون على متن تنِّينه ستورمكلاود، قُبِضَ على الأمير ڤسيرس، وسُرعان ما تبعَت ذلك معركة (الحُلقوم)، ولما لم يُسمَع

أيُّ خبرٍ عن الأمير الصغير بعدها افتُرِضَ أنه ماتَ، ولا أحد استطاعَ حتى أن يقول أيُّ سفينةٍ كان على متنها تحديدًا.

لكن على الرَّغم من موت آلافٍ وآلافٍ في (الحُلقوم)، لم يكن ڤسيرس تارجاريَن واحدًا منهم، فالسَّفينة التي حملَت الأمير الصغير نجَت من المعركة وعادَت متمايلةً إلى موطنها (لِيس)، حيث وجدَ ڤسيرس نفسه أسير أميرال الحِلف الثُّلاثي الأعلى، شاراكو لوهار. غير أن الهزيمة كلَّلت شاراكو بالخزي، وسُرعان ما وجد اللايسيني نفسه محاصرًا من أعداءٍ قُدامى وجُدد متعطِّشين لإسقاطه، وفي محاولةٍ يائسة لكسب بعض المال والتَّحالُفات باعَ شاراكو الصَّبي لماچستر معيَّن من المدينة اسمه بامبارو بازان مقابل وزن ڤسيرس ذهبًا ووعدٍ بالدَّعم. تلا ذلك مقتل الأميرال المذموم الذي أدَّى إلى جلب التَّوتُّرات والمنافسة بين (البنات الثَّلاث) إلى الواجهة، وتحوُّل الامتعاض الذي طالَ غليانه تحت السَّطح إلى عُنفٍ مرفق بسلسلة اغتيالاتٍ سُرعان ما أفضَت إلى إعلان الحرب. في خضمِّ الفوضى التي أعقبَت ذلك رأى الماچستر بامبارو أن من الحكمة إبقاء غنيمته مخفيَّةً بعيدًا في الظَّرف الحالي، لئلا ينتزع منه الصَّبي أحدُ نُظرائه اللايسنيِّين أو خصوم من مدينةٍ أخرى.

حظيَ ڤسيرس بمعاملةٍ حسنة في أثناء أسره. رغم منعه من مغادرة أراضي ضيعة بامبارو، تمتَّع بجناح غُرفه الخاص، كما شاركَ الماچستر وعائلته وجباتهم، وعُيِّنَ له معلِّمون لتلقينه اللُّغات والأدب والرِّياضيَّات والتَّاريخ والموسيقى، بل وقيِّم سلاحٍ أيضًا ليُعلِّمه المبارزة، وهي الفنُّ الذي سُرعان ما أتقنَه. أغلب الظَّن (وإن لم يَثبُت ذلك قَطُّ) أن نيَّة بامبارو كانت انتظار انتهاء رقصة التَّنانين، ثمَّ إمَّا طلب فدية الأمير ڤسيرس من والدته (إذا خرجَت رينيرا ظافرةً)، وإمَّا بيع رأسه لعمِّه (إذا

اتَّضح أن إجون الثَّاني هو المنتصر).

ولكن إذ تكبَّدت (لِيس) سلسلة هزائم مدمرة في حرب البنات، لم تسِر هذه الخطط حسب المتوقَّع. ماتَ بامبارو بازان في (أراضي النِّزاع) في عام 132 بعد الفتح عندما انقلبَت عليه جماعة المرتزِقة التي قادَها ضدَّ (تايروش) بسبب مسألة تأخُّره في الدَّفع، وعند موته اكتُشِفَ أنه كان غارقًا في الدُّيون، ليستولي دائنوه على ضيعته. بيعَت زوجته وأطفاله للعبوديَّة، وانتقلَ أثاثه وملابسه وكُتبه وغيرها من المقتنيات الثَّمينة، بما في ذلك الأمير الأسير، إلى حوزة رجلٍ نبيلٍ آخَر، هو ليساندرو روجير.

كان ليساندرو ربَّ سُلالةٍ غنيَّة وقويَّة من الصَّيارفة والتُّجار ترجع أصولها إلى (ڤاليريا) قبل الهلاك، وبين العديد من الممتلكات الأخرى امتلكَ آل روجير دار هوى شهيرةً اسمها (الرَّوضة العطرة). كان ڤسيرس تارجاريَن جذَّابًا لدرجة أنه يُقال إن ليساندرو روجير فكَّر في تكليفه بالعمل محظيًّا... إلى أن عرَّفه الصَّبي بنفسه. بمجرَّد أن عرف أن عنده أميرًا في المتناول راجعَ الماچستر خُططه بسرعة، وبدل بيع خدمات الأمير زوَّجه ابنته الصُّغرى، الليدي لارا روجير، التي ستُعرَف في تاريخ (وستروس) بلارا اللايسينيَّة.

أتاحَ لقاء الصُّدفة بين آلِن ڤيلاريون ودرازنكو روجير في (صنسپير) فُرصةً مثاليَّةً لتحقيق عودة الأمير ڤسيرس إلى أخيه... ولكن ليس من طبيعة أيِّ لايسيني أن يُهدي شيئًا يُمكن بيعه، لذا كان من الضروري أوَّلًا أن يذهب قبضة السِّنديان إلى (لِيس) ويتَّفق على الشُّروط مع ليساندرو روجير. يُلاحِظ مشروم: «لانتفعَت المملكة أكثر لو أن والدة اللورد آلِن جلسَت إلى طاولة التَّفاوُض بدل اللورد آلِن نفسه»، وله حقٌّ، فقبضة السِّنديان لم يكن مساومًا، وللحصول على الأمير وافقَ سيادته

على دفع العرش الحديدي فديةً قيمتها مئة ألف تنّينٍ ذهبي، والاتّفاق على عدم حمل السِّلاح ضدَّ آل روجير أو مصالحهم لمئة عام، وائتمان (مصرف روجير) اللايسيني على الأرصدة المحفوظة في مصرف (براڤوس) الحديدي، ومنح اللورديَّة لثلاثةٍ من أبناء ليساندرو الأصغر، و... فوق كلِّ شيء... أن يُقسِم ڤيلاريون بشرفه على عدم إبطال الزَّواج بين ڤسيرس تارجاريَن ولارا روجير لأيِّ سبب. وافقَ اللورد آلِن ڤيلاريون على كلِّ هذا، ووضعَ توقيعه وختمه.

كان الأمير ڤسيرس في السَّابعة عندما أُخِذَ من سفينة (البهجة المهجورة)، وفي الثَّانية عشرة عند عودته في عام 134 بعد الفتح، وزوجته الشَّابَّة الجميلة التي سارَت متأبِّطةً ذراعه عند نزولهما من (الليدي بِايلا) في التَّاسعة عشرة، تكبره بسبع سنوات. رغم أنه صغرَ الملك بسنتين، كان ڤسيرس أنضجَ في نواحٍ معيَّنة من شقيقه الأكبر. لم يُظهِر إجون الثَّالث قَطُّ أيَّ اهتمامٍ جسدي بأيٍّ من ملكتيْه (وهذا أمر متفهَّم في حالة الملكة دينيرا، التي لم تزَل مجرَّد طفلة)، أمَّا ڤسيرس فأتمَّ زواجه بالفعل، كما أسرَّ للمِايستر الأكبر مونكن بفخرٍ خلال المأدبة التي أقيمَت للتَّرحيب بعودته.

عودة شقيقه من الموت أحدثَت تغييرًا إعجازيًّا في إجون الثَّالث، كما يُخبرنا مونكن، فجلالته لم يُسامِح نفسه قَطُّ على تركه أخاه لمصيره عندما فرَّ من (البهجة المهجورة) على ظهر تنّينٍ قبل معركة (الحُلقوم). رغم أنه كان في التَّاسعة فقط حينها، انحدرَ إجون من سُلالةٍ طويلة من المحاربين والأبطال، وترعرعَ على سماع قصص أعمالهم الشُّجاعة ومآثرهم الجسورة، التي لم يتضمَّن أيٌّ منها الهروب من المعركة والتَّخلِّي عن أخيك للموت. في أعماقه شعرَ الملك المكسور أنه لا يستحقُّ الجلوس على

العرش الحديدي، فإذا لم يقوَ على إنقاذ أخيه أو أمِّه أو ملكته الصَّغيرة من ميتاتٍ مروِّعة، فكيف له أن يجرؤ على محاولة إنقاذ مملكة؟

ساهمَت عودة ڤسيرس كثيرًا في تقليل عُزلة الملك كذلك. في صِباه بَجَّل إجون ثلاثة إخوته غير الأشقَّاء الأكبر، لكن ڤسيرس هو مَن شاركَه غُرفة نومه ودروسه وألعابه. كتبَ مونكن: «جزءٌ من الملك ماتَ مع شقيقه يوم معركة (الحُلقوم). من الواضح أن تعلُّق إجون بجيمون ذي الشَّعر الباهت نشأ بسبب رغبته في تعويض شقيقه الصَّغير الذي فقدَه، ولكن فقط لما عادَ إليه ڤسيرس بدا إجون حيًّا ومكتملًا مجدَّدًا». أصبحَ الأمير ڤسيرس مرَّةً أخرى الرَّفيق الملازم للملك إجون كما كانا في صِباهما في (دراجونستون)، فيما نُحِّيَ جيمون ذو الشَّعر الباهت جانبًا ونُسِيَ، وحتى الملكة دينيرا أُهمِلَت.

عودة الأمير المفقود حسمَت مسألة الخلافة كذلك. بصفته شقيق الملك، كان ڤسيرس الوريث الجليَّ بلا منازع، قبل أيِّ طفلٍ من صُلب بايلا ڤيلاريون أو رِاينا كوربراي أو التَّوأمتيْن أنفسهما. لم يعُد اختيار الملك إجون فتاةً في السَّادسة زوجةً ثانيةً يبدو مقلقًا للغاية. كان الأمير ڤسيرس فتى واعدًا يتحلَّى بسحرٍ أخَّاذ وهمَّةٍ لا حدود لها، ورغم أنه لم يكن طويل القامة أو قويًّا أو وسيمًا كأخيه، فقد أعطى كلَّ من قابَلوه انطباعًا بأنه أكثر ذكاءً وفضولًا من الملك... وزوجته لم تكن طفلةً، بل شابَّة جميلة في عزِّ سنوات الإنجاب. فليحتفظ إجون بعروسه الطِّفلة، فعلى الأرجح ستمنح اللايسنية لارا ڤسيرس أطفالًا عاجلًا لا آجلًا، وبالتَّالي تُؤمِّن السُّلالة الملكيَّة.

لكلِّ هذه الأسباب ابتهجَ كلٌّ من الملك والبلاط والمدينة لقدوم الأمير، وأصبحَ اللورد آلِن ڤيلاريون محبوبًا أكثر من أيِّ وقتٍ مضى

لجلبه ڤسيرس من أسره في (لِيس). لكن يد الملك لم يُشارِكهم سرورهم، فبينما عبَّر اللورد أنوين عن سعادته بعودة شقيق الملك، كان غاضبًا من الثَّمن الذي وافقَ قبضة السِّنديان على دفعه في المقابل. أصرَّ پيك أنه لم يكن للأميرال الشَّاب أيُّ حقٍّ في قبول مثلِ هذه «الشُّروط المدمِّرة»، فوحدهم الأوصياء وحضرة اليد مخوَّل لهم التَّكلُّم باسم العرش الحديدي، لا أيُّ «أحمقٍ بأسطول».

القانون والأعراف كانا في صفِّه، وقد أقرَّ بذلك المِايستر الأكبر مونكن عندما قدَّم حضرة اليد شكاواه للمجلس... لكن الملك والعوام رأوا خلاف ذلك، وسيكون نقض عهد اللورد آلِن حماقةً بالغةً. وافقَ باقي الأوصياء، وصوَّتوا على تكريماتٍ جديدة لقبضة السِّنديان، وأيَّدوا شرعيَّة زواج الأمير ڤسيرس بالليدي لارا، ووافَقوا على دفع الفدية لوالدها على عشر دُفعاتٍ سنويَّة، ونقلوا مبلغًا أعظم من الذَّهب من (براڤوس) إلى (لِيس).

بالنِّسبة إلى اللورد أنوين پيك بدا هذا توبيخا مهينًا آخَر، ولأنه أعقبَ مباشرةً عرض الماشية في عيد (العذراء)، ورفض الملك ابنته ميريل لصالح الطِّفلة دينيرا، فقد وجدَه أكثر مما يُمكن أن تتحمَّله كبرياؤه. ربما ظنَّ سيادته أن بإمكانه إخضاع رفاقه الأوصياء لإرادته بتهديده بالتَّنحِّي عن منصب يد الملك، وبدلَ ذلك قبلَ المجلس استقالته بكلِّ سرور، وعيَّن مكانه الصَّريح الصَّادق المرموق اللورد ثاديوس روان.

أخذَ اللورد أنوين پيك نفسه عائدًا إلى مقرِّه في (ستارپايك) للتَّفكير في الإساءات التي شعرَ أنه تجشَّمها، ولو أن كلًّا من خالته الليدي كلاريس وعمِّه جدمون پيك الفأس العظيمة وچاريث لونج وڤيكتور ريزلي ولوكاس لايجود وچورچ جريسفورد والسِّپتون برنارد، والعديد ممن

عيَّنهم، لم يتبعوه، بل استمرُّوا في الخدمة في مناصبهم، كما فعلَ أخوه النَّغل السير مرفين فلاورز وابن أخيه السير آموري بيك، ذلك أن إخوة الحرس الملكي المحلَّفين يخدمون طوال حياتهم. حتى إن اللورد أنوين تركَ تيساريو وأصابعه ليرثهم خليفته، معلنًا أن للملك حرسه، وكذا يجب أن يكون لليد.

الرَّبيع اللايسيني ونهاية الوصاية

عمَّ السَّلام (كينجز لاندنج) ما تبقَّى من ذلك العام، ولم يُعكِّر صفوه إلَّا وفاة اللورد مانفرد موتون سيِّد (بركة العذارى) وآخِر الأوصياء الأوائل على الملك إجون. كانت صحَّة معاليه تتداعى منذ مُدَّة، ولم يستعِد عافيته قَطُّ بعد نكسة حُمَّى الشِّتاء، لذا لم تُثِر وفاته أيَّ لغط. لجأ اللورد روان إلى السير كوروين كوربراي حليل الليدي رِاينا لشغل المنصب الشَّاغر في المجلس الصَّغير، في حين غادرَت شقيقتها الليدي بِايلا إلى (دريفتمارك) بصُحبة زوجها اللورد آلِن وابنتهما. بعد فترةٍ لم تَطُل أسعدَ الأمير ڤسيرس البلاط بإعلانه أن زوجته الليدي لارا روجير حامل، لتبتهج (كينجز لاندنج) كلُّها بالخبر.

أمَّا خارج المدينة فسيُخلِّف عام 134 بعد الفتح ذكرياتٍ مريرةً. شمال (العُنق) ظلَّ الشِّتاء مهيمنًا على الدِّيار بقبضته الجليديَّة. في (بلدة الرَّوابي) أغلقَ اللورد داستن بوَّاباته فيما احتشدَ مئات من القرويِّين الجوعى أسفل أسواره، وفي (الميناء الأبيض) كانت الحال أفضل، إذ سمحَ مرفأها باستيراد الطَّعام من الجنوب، وإن حدا غلاء الأسعار الجنوني بصالحي الرِّجال إلى بيع أنفُسهم لتُجَّار العبيد عبر (البحر الضيِّق)،

عسى أن تَحصُل زوجاتهم وأطفالهم على الغذاء، في حين باعَ الطَّالحون زوجاتهم وأطفالهم. حتى في (البلدة الشَّتويَّة) أسفل أسوار (وينترفل) ذاتها انحطَّ الشَّماليُّون لدرجة أكل الكلاب والأحصنة، وإلى الشَّمال أتى الجوع والبرد على ثُلث قوَّة حرس اللَّيل، وحين حاولَ آلاف من الهمج عبور مجاز البحر المتجمِّد شرق (الجِدار) فنى مئات آخَرون من الإخوة السُّود في المعركة.

في (جُزر الحديد) تبعَ هلاك الكراكن الأحمر دالتون جرايچوي نزاعٌ دامٍ على السُّلطة. اعتقلَت شقيقاته الثَّلاث وبُعولهن الصَّبي الجالس على كُرسي حجر اليَمِّ تورون جرايچوي وقتلوا والدته، فيما انضمَّ أبناء عمومته إلى سيِّدَي (هارلو) و(بلاكتايد) في سعيهما لتنصيب رودريك، أخي تورون غير الشَّقيق، واحتشدَ أهل (ويك الكُبرى) خلف مدَّعٍ يُسمَّى سام سولت أعلنَ تحدُّره من سُلالة هارن الأسود من آل هور.

استعرَ صراعهم الثُّلاثي الدَّموي نصف عامٍ قبل أن يُباغِتهم اللورد ليو كوستاين بهجومٍ من أسطوله، مُنزلًا آلافًا من سيوف وحِراب آل لانستر على شواطئ (پايك) و(هارلو) و(ويك الكُبرى). رفضَ اللورد قبضة السِّندِيان مسبقًا أن يكون طرفًا في انتقام آل لانستر من الحديديِّين، وإن أثبتَ أسدُ البحر العجوز أنه أكثر استجابةً لالتماسات الليدي چوهانا... مدفوعًا ربما بوعدها الزَّواج به إن أدخلَ (جُزر الحديد) تحت سُلطان ابنها، وإن تبيَّن بُعد ذلك عن قُدرة السير ليو، فقد هلكَ كوستاين وسط تلال (ويك الكُبرى) الحجريَّة على يدَي آرثر جودبراذر، واستُولِيَ على ثلاثة أرباع سُفنه أو أُغرِقَت في تلك البحار الرَّماديَّة الباردة.

رغم إحباط رغبة الليدي چوهانا بوضع جميع الحديديِّين تحت حدِّ

السَّيف، لا يُمكن لأيِّ أحدٍ التَّشكيك في تسديد آل لانستر دينهم عند نهاية القتال. أُحرِقَت مئات من السُّفن الطَّويلة وقوارب الصَّيد ومثلها من المساكن والقُرى، أمَّا زوجات وأولاد الحديديِّين الذين أشاعوا الخراب في (أراضي الغرب) فقد أُعمِلَت فيهم السُّيوف أينما ثُقِفوا، وتضمَّن القتلى تسعةً من أبناء عمومة الكراكن الأحمر، واثنتين من شقيقاته الثَّلاث وزوجيهما، واللورد دروم سيِّد (ويك القديمة)، واللورد جودبراذر سيِّد (ويك الكُبرى)، بالإضافة إلى اللورديْن ڤولمارك وهارلو من (هارلو)، واللورد بوتلي سيِّد (لوردزيورت)، واللورد ستونهاوس سيِّد (ويك القديمة). عدَّة آلافٍ آخَرون سيموتون من جرَّاء المجاعة قبل انقضاء العام، لأن آل لانستر سرقوا أطنانًا وأطنانًا من الحبوب المخزَّنة والسَّمك المملَّح وأتلفوا ما لم يُمكنهم نقله. على الرَّغم من بقاء تورون جرايچوي جالسًا على كُرسي حجر اليَمِّ حين نجحَ المدافعون عنه في الصُّمود أمام هجوم آل لانستر على أسوار (پايك)، فقد أُسِرَ أخوه غير الشَّقيق وأُرسِلَ إلى (كاسترلي روك)، حيث أمرَت الليدي چوهانا بإخصائه لتجعله مهرِّج ابنها.

عبر عرض (وستروس) نشبَ نزاعٌ آخَر على الوراثة قُرب نهاية عام 134، بعد وفاة الليدي چين آرن الملقَّبة بعذراء (الوادي) في (بلدة النَّوارس) بنزلة بردٍ استقرَّت في صدرها. ماتَت الليدي چين في الأربعين من عُمرها بـ(معتكَف ماريس) المقام على جزيرته الحجريَّة في مرفأ (بلدة النَّوارس)، وقد طوَّقتها ذراعا «رفيقتها الغالية» چسامين ردفورت. على سرير المنيَّة أملَت الليدي چين وصيَّتها الأخيرة مسمِّيةً ابن عمومتها السير چوفري آرن وريثًا لها. كان السير چوفري قد خدمَها بإخلاصٍ طوال عشرة أعوام قضاها فارسًا لـ(البوَّابة الدَّامية)، ودافعَ خلالها عن أمن وسلام (الوادي) ضدَّ غارات همج التِّلال المتوحِّشين.

على أن السير چوفري كان مجرَّد ابن عمومةٍ من الدَّرجة الرَّابعة، وأقرب إليها دمًا كان ابن عمّ الليدي چين الأوَّل، السير آرنولد آرن الذي حاولَ تنحيتها مرَّتيْن في السَّابق. سجينًا بعد أن باءَ تمرُّده الثَّاني بالفشل، صارَ السير آرنولد شبه مجنونٍ بعد عديد السِّنين التي قضاها في زنازين السَّماء والمحابس المظلمة تحت (بوَّابات القمر)، لكن ابنه السير إلدريك آرن كان رجلًا عاقلًا أريبًا طموحًا، وقد تقدَّم ليطرح دعوى أبيه، وانضوى كثير من لوردات (الوادي) تحت راياته مصرِّين أن قوانين الوراثة الرَّاسخة لا يُمكن تجاهُلها «لأجل نزوة امرأةٍ محتضرة».

تمثَّلت دعوى ثالثة في شخص إزمبارد آرن، ربِّ آل آرن أولاد (بلدة النَّوارس)، وهُم فرع أبعد من تلك العائلة العريقة. بعد انفصالهم عن أقاربهم النُّبلاء في عهد الملك چهيرس، اتَّجه آل آرن أولاد (بلدة النَّوارس) إلى التِّجارة وأثروا. قال النَّاس ساخرين إن الصَّقر على راية إزمبارد مصنوع من الذَّهب، وسُرعان ما أصبحَ يُعرَف بلقب الصَّقر المذهَّب، وقد استخدمَ إزمبارد ثروته تلك في رشوة صغار اللوردات لدعم دعواه واستئجار مرتزقةٍ عبر (البحر الضيِّق).

بذلَ اللورد روان وسعه للحدِّ من تلك الإِحَن، فأمرَ آل لانستر بالانسحاب من (جُزر الحديد)، وشحنَ طعامًا إلى الشَّمال، واستدعى مدَّعيي آرن إلى (كينجز لاندنج) لعرض قضاياهم على الأوصياء، لكن أكثر جهوده ذهبَ سُدى، فقد تجاهلَ آل لانستر وآل آرن على حدِّ سواءٍ قراراته، ووصلَ القليل جدًّا من الطَّعام إلى (الميناء الأبيض) لتخفيف المجاعة. رغم أنهما محبوبان، فلا اللورد روان ولا الصَّبي الذي خدمَه كان مرهوبًا، ومع نهاية العام بدأ كُثر في البلاط يقولون همسًا إن الأوصياء ليسوا حُكَّام المملكة حقًّا، بل أولئك الصَّيارفة اللايسينيُّون.

مع أن شغف البلاط والمدينة لم يزَل منصبًّا على شقيق الملك، الصَّبي الذَّكي الشَّهم ڤسيرس، لا يُمكن أن يُقال المثل عن زوجته اللايسينيَّة. أقامَت لارا روجير مع زوجها في (القلعة الحمراء)، لكنها ظلَّت سيِّدةً لايسينيَّةً في أعماقها، ورغم أنها طليقة اللِّسان في الڤاليريَّة الفُصحى ولهجات (مير) و(تايروش) و(ڤولانتيس القديمة)، بالإضافة إلى لُغتها اللايسينيَّة الأُم، لم تَبذُل الليدي لارا أيَّ جهدٍ لتتعلَّم اللُّغة العاميَّة، مفضِّلةً الاعتماد على المترجمين لنقل رغباتها. كلُّ رفيقاتها وخدمها كانوا من (لِيس)، وكلُّ ما ارتدتَه من فساتين وحتى ملابسها الدَّاخليَّة أيضًا، إذ زوَّدتها سُفن والدها التِّجاريَّة بأحدث الصَّيحات اللايسينيَّة ثلاث مرَّاتٍ كلَّ سنة. بل وكان لها حُماة وحرس يخصُّونها، فحرسَتها السُّيوف اللايسينيَّة ليل نهار تحت إمرة أخيها موريدو روجير ورجلٍ أخرس شاهق القامة من حلبات القتال في (ميرين) يُدعى بساندوك الظِّل.

لربما تقبَّل البلاط والمملكة كلَّ هذا مع الوقت، لولا أن الليدي لارا أصرَّت أيضًا على تبجيل آلهتها الخاصَّة. لم يعنِها تقديس (السَّبعة) ولا آلهة الشَّماليِّين القديمة، فقد ادَّخرت تعبُّدها لعددٍ معيَّن من آلهة (لِيس) المتنوِّعة: الربَّة القطَّة پانتيرا ذات الضُّروع الستَّة، ويندروس إله الغسق (الذَّكر نهارًا والأنثى ليلًا)، والطِّفل الشَّاحب باكالون صاحب السَّيف، وعديم الوجه ساجيل مانح الألم.

في أوقاتٍ معيَّنة انضمَّت إليها حاشيتها من رفيقاتها وخدمها وحرسها لأداء طقوس التَّبجيل لتلك المعبودات الشَّاذَّة العتيقة، وشُوهِدَت القِطط تروح وتجيء من غُرفتها مرارًا حتى إن النَّاس بدأوا يقولون إنها تتجسَّس لحسابها، تنقل إليها بأصواتٍ ناعمة خافتة كلَّ ما يجري في (القلعة الحمراء)، بل وقيلَ إن لارا نفسها تتحوَّل إلى قطَّةٍ تجوس خلسةً أزقَّة

المدينة وأسطُحها. سُرعان ما ظهرَت شائعات أدهى، فعلى ما يبدو أن بإمكان أتباع ينِدروس تحويل أنفُسهم من ذكورٍ إلى إناثٍ والعكس عن طريق ممارسة الحُبّ، وقد انتشرَت همسات قائلةً إن تلك الملَكة أتاحَت لمعاليها المشاركة في عربدات الغسق بزيارة مواخير (شارع الحرير) بهيئة رجل، وكلَّما فُقِدَ طفلٌ في المدينة تبادلَ الجُهلاء النَّظرات وتكلَّموا عن تعطُّش ساجيل النَّهِم للدِّماء.

قدرٌ أقلُّ من المحبَّة كان من نصيب إخوة لارا اللايسينيَّة الثَّلاثة الذين رافَقوها إلى (كينجز لاندنج). قادَ موريدو حرس أخته، فيما شرعَ لوثو في إنشاء فرعٍ لـ(مصرف روجير) أعلى (تل ڤيزينيا)، أمَّا أصغرهم، روجيريو، فافتتحَ دار هوى لايسينيَّةً فخمةً بجانب (بوَّابة النهر) سمَّاها (حوريَّة البحر)، وملأها ببغاواتٍ من (جُزر الصَّيف) وقردةٍ من (سوثوريوس) ومئاتٍ من الفتيات -والفتية- الأجانب المجلوبين من كلِّ رُكنٍ من أركان المعمورة. رغم أن خدماتهم كلَّفت عشرة أضعاف ما جرؤَ أيُّ ماخورٍ آخَر على فرضه، لم يفتقر روجيريو إلى الزَّبائن قَطُّ، إذ تحدَّث النُّبلاء العظام والتُّجار العوام على حدٍّ سواء عن الأعاجيب والمفاتن الموجودة خلف أبواب (حوريَّة البحر) المنقوشة المطليَّة... التي تضمَّنت حوريَّة بحرٍ حقيقيَّةً كما زعمَ البعض. (أغلب ما نعلمه عن بدائع (حوريَّة البحر) المتعدِّدة بلغَنا من مشروم، وهو الوحيد بين رُواتنا الذي أقدمَ على الاعتراف بزيارته الماخور بنفسه في عدَّة مناسباتٍ والانخراط في ملذَّاته العديدة في غُرفٍ فارهة مخصَّصة).

عبر (البحر الضيِّق) وضعَت حرب الأخوات أوزارها أخيرًا. فرَّ راكاليو ريندون جنوبًا نحو (جُزر البازيليسق) مع فلول أنصاره، وتقاسمَت (لِيس) و(تايروش) و(مير) (أراضي النِّزاع)، وفرضَ الدورنيُّون هيمنتهم على أغلب

(جُزر الأعتاب). تجرَّع المايريُّون الخسائر الأثقل من تلك التَّقسيمات الجديدة، في حين نالَ أركون (تايروش) وأميرة (دورن) حصَّة الأسد. في (لِيس) سقطَت عائلات عريقة، وأطيحَ بالعديد من الماچسترات من علياء النِّعمة إلى حضيض النِّقمة فيما نهضَ غيرهم ليحوزوا مقاليد السُّلطة. كان على رأس أولئك ليساندرو روجير وشقيقه درازنكو، مهندس التَّحالُف الدورني، وقد جعلَ ارتباط درازنكو بـ(صنسپير) وليساندرو بالعرش الحديدي آل روجير أمراء (لِيس) غير المتوَّجين.

بنهاية عام 134 بعد الفتح تخوَّف البعض من أنهم قد يَحكُمون (وستروس) أيضًا عمَّا قريب. أضحى زهوهم وخُيلاؤهم وسطوتهم حديث السَّاعة في (كينجز لاندنج)، وبدأ النَّاس يتهامَسون عن نصبهم واحتيالهم: لوثو يشتري الرِّجال بالذَّهب، ويُغويهم روجيريو بالأجساد العطرة، ويُخضِعهم موريدو رُعبًا بالفولاذ. بيد أن الإخوة الثَّلاثة لم يكونوا إلَّا دُمى بيدَي الليدي لارا، هي وآلهتها اللايسينيَّة الشَّاذَّة المتحكِّمة في خيوطها. الملك، والملكة الصَّغيرة، والأمير اليافع... جميعهم أطفال معميُّون عمَّا يجري حولهم، في حين أن فوارس الحرس الملكي ورجال المعاطِف الذَّهبيَّة وحتى يد الملك ذاته بيعوا واشتُروا.

أو هكذا زعمَت القصص. مثل كلِّ الحكايات الشَّبيهة، احتوَت هذه على شيءٍ من الحقيقة المتبَّلة بالخوف والأباطيل، فكون هؤلاء اللايسينيِّين آياتٍ في الكِبر والجشع والطُّموح لا شكَّ فيه قطعًا، واستغلال لوثو مصرفه وروجيريو ماخوره لكسب الأصدقاء لأغراضهم لمن نافلة القول، إلَّا أنهم لم يختلفوا في النهاية إلَّا قليلًا عن كثيرٍ من اللوردات والليديهات في بلاط إجون الثَّالث، الذين سعوا جميعًا للسُّلطة والثَّراء بأساليبهم الخاصَّة. رغم حصادهم نجاحًا أكبر من منافسيهم (لفترةٍ على الأقل)،

كان هؤلاء اللايسينيُّون مجرَّد واحدٍ من الكيانات العديدة المتنافسة على النُّفوذ. لو كانت الليدي لارا وأشقَّاؤها وستروسيِّين فلربما قُوبِلوا بالإعجاب والحفاوة، لكن أصولهم وطرائقهم وآلهتهم الأجنبيَّة جعلَتهم بدلًا من ذلك مادَّةً لسوء الظَّنِ والارتياب.

يُشير المِايستر الأكبر مونكن إلى تلك الحقبة باسم صعود آل روجير، وإن تُدووِلَ ذلك المصطلح في (البلدة القديمة) حصرًا بين المِايسترات ورؤساء المِايسترات بـ(القلعة)، أمَّا العامَّة الذين عايَشوها فأسموها الرَّبيع اللايسيني... فالرَّبيع كان جزءًا منها لا شكَّ. في باكورة عام 135 بعد الفتح أطلقَ مجمع (القلعة) غِدفانه البيضاء من (البلدة القديمة) معلنًا انقضاء أحد أطول وأقسى الأشتية التي شهدَتها (الممالِك السَّبع) على الإطلاق.

لطالما كان الرَّبيع موسم الأمل والنَّهضة والتَّجدُّد، وربيع عام 135 لم يختلف. وصلَت الحرب في (جُزر الحديد) إلى نهايتها أخيرًا، واقترضَ اللورد كريجان ستارك سيِّد (وينترفل) مبلغًا باهظًا من مصرف (براڤوس) الحديدي لشراء طعامٍ وحبوبٍ لقومه الجياع. فقط في (الوادي) لم يتوقَّف القتال. مغتاظًا من رفض مدَّعيي آرن القدوم إلى العاصمة وإخضاع نزاعهم لحُكم مجلس الأوصياء، أرسلَ اللورد ثاديوس روان ألف رجلٍ إلى (بلدة النَّوارس) تحت قيادة زميله في المجلس السير كوروين كوربراي، لاستعادة سلام الملك وتسوية مسألة الوراثة في (الوادي).

في تلك الأثناء شهدَت (كينجز لاندنج) فترةً من الازدهار والرَّخاء لم تشهدها منذ سنينٍ طويلة، وقد رجعَ جانب كبير من الفضل في ذلك إلى آل روجير أولاد (لِيس). كان (مصرف روجير) يدفع عائداتٍ سخيَّةً على جميع الأموال المودعة فيه، وأدَّى ذلك إلى إقبال المزيد والمزيد من

اللوردات لائتمان اللايسينيِّين على ذهبهم. ازدهرَت التِّجارة كذلك، إذ ازدحمَت سُفن من (تايروش) و(مير) و(پنتوس) و(براڤوس)، وخاصَّةً من (لِيس)، على الأرصفة بطول (النَّهر الأسود)، مفرِّغةً حمولاتٍ من الحرير والتَّوابل وشرائط الزِّينة المايريَّة واليشب من (كارث) والعاج من (سوثوريوس)، وغيرها من شتَّى الأشياء الغريبة العجيبة من أقاصي الأرض، التي تضمَّنت نفائس نادرًا ما رأتها (الممالِك السَّبع) من قبل.

كان لبلدات موانٍ أخرى نصيب من المغانم، إذ شهدَت أيضًا (وادي الغسق) و(بركِة العذارى) و(بلدة النَّوارس) و(الميناء الأبيض) تناميًا في تجارتها، وكذا (البلدة القديمة) في الجنوب، وحتى (لانسپورت) على (بحر الغروب). على (دريفتمارك) اختبرَت بلدة (الأبدان) نهضةً، إذ بُنِيَت عشرات السُّفن الجديدة وأُطلِقَت في البحر، وضخَّمت والدة اللورد قبضة السِّنديان أساطيلها التِّجاريَّة وبدأت العمل على بناء إيوانٍ فاخر رحب يطلُّ على الميناء، سمَّاه مشروم (دار الفأرة) تهكُّمًا.

عبر (البحر الضيِّق) ازدهرَت (لِيس) نفسها تحت «الطُّغيان المخملي» المفروض من ليساندرو روجير، الذي أسبغَ على نفسه لقب الماچستر الأوَّل مدى الحياة، وحين تزوَّج أخوه درازنكو بآلياندرا مارتل أميرة (دورن)، التي سمَّته الأمير القرين وسيِّد (الأعتاب)، بلغَت هيمنة عائلة روجير منتهى السُّؤدد، وبدأ النَّاس يتحدَّثون عن ليساندرو البهيّ.

شهدَ الرُّبع الأوَّل من عام 135 بعد الفتح حدثيْن جلليْن كانا مناسبةً لبهجةٍ عظيمة عمَّت أرجاء ممالك (وستروس) السَّبع. في اليوم الثَّالث من ثالث أقمار ذلك العام استيقظَ ساكنة (كينجز لاندنج) على مشهدٍ لم يروه منذ أيام الرَّقصة الحالكة: تنِّين في السَّماء فوق المدينة. في سنِّ التَّاسعة عشرة كانت الليدي رِاينا تُحلِّق بتنِّينتها مورننج للمرَّة الأولى.

في يومها الأوَّل ذاك دارَت مرَّةً حول المدينة قبل أن تعود أدراجها إلى (جُب التَّنانين)، ولكن يومًا بعد يومٍ طارَت مسافاتٍ أبعد إذ ازدادَت جرأتها.

على أن رِاينا حطَّت بها مرَّةً واحدةً فقط داخل (القلعة الحمراء)، فحتى ما بذلَه الأمير ڤسيرس من قصارى جهدٍ لم يُقنِع شقيقه الملك بالقدوم لمشاهدة أختهما تُحلِّق (ولو أن الملكة دينيرا سعدَت بالتنِّينة حتى إنها سُمِعَت تقول إنها ترغب بتنِّينها الخاص). بعدها بفترةٍ وجيزة حملَت مورننج الليدي رِاينا عبر (الخليج الأسود) إلى (دراجونستون)، حيث، حسب قولها، «تلقى التَّنانين ومَن يمتطونها ترحيبًا أكثر».

بعد أقلِّ من أسبوعيْن أنجبَت لارا اللايسينيَّة ابنًا، الولد البِكر للأمير ڤسيرس. كانت الأمُّ في العشرين من العُمر، والأب في الثَّالثة عشر فقط. أطلقَ ڤسيرس على الوليد اسم إجون تيمُّنا بشقيقه الملك، واضعًا بيضة تنِّينٍ في مهده كما اقتضى التَّقليد المتَّبع منذ سنين مع كلِّ مواليد آل تارجاريَن الشَّرعيِّين. مرَّخ السِّپتون برنارد إجون الرَّضيع بالزُّيوت السَّبعة في السِّپت الملكي، وقُرِعَت أجراس المدينة احتفالًا بمولده، وأُرسِلَت الهدايا من كلِّ رُكنٍ في المملكة، ولو أن أيَّها لم يكن أشدَّ بذخًا من تلك التي تهاطلَت على الرَّضيع من أخواله اللايسينيِّين، وفي (لِيس) نفسها أعلنَ ليساندرو البهيُّ يومًا من الولائم والأفراح على شرف حفيده.

لكن وسط أجواء الحُبور تلك بدأت همسات السُّخط تُسمَع. رغم أن هذا الابن الجديد لآل تارجاريَن بُورِكَ من العقيدة، سُرعان ما تسامعَت المدينة بنيَّة والدته أن ينال مباركة آلهتها كذلك، وبدأت شائعات تنتشر في شوارع (كينجز لاندنج) عن طقوسٍ مخلَّة تُمارَس في (حوريَّة البحر) وقرابين دمٍ تُقدَّم في (حصن ميجور). ربما كانت المتاعب لتنتهي عند

حدِّ الكلام، ولكن بعد فترةٍ قصيرة ألمت بالمملكة والعائلة الملكيَّة سلسلة من الكوارث، كلٌّ منها أشد وطأةً من سابقتها، حتى وصلَت الحال بمَن يتهكَّمون على الآلهة، كمشروم، إلى التَّساؤل إن كان (السَّبعة) قد انقلبوا على آل تارجاريَن و(الممالِك السَّبع) في خضمِّ غضبتهم.

شهدَت (دريفتمارك) باكورة نُذر الأوقات العصيبة المقبلة حين فقسَت بيضة التنِّين التي أُهدِيَت إلى لِاينا ڤيلاريون عند ولادتها، ولكن سُرعان ما تحوَّل زهو والديها وحبورهما إلى رماد، إذ كان التنِّين الذي تلوَّى خارجًا من البيضة مسخًا، دودةً بلا أجنحة، بيضاء كاليرقات وعمياء، وبُعيد لحظاتٍ من فقسه انقضَّ الكائن على الرَّضيعة في مهدها قاضمًا جزلةً داميةً من ذراعها. على وقع صرخات لِاينا انتزعَ والدها اللورد قبضة السِّندِيان «التنِّين» عنها وألقاه على الأرض ليُمزِّقه إلى أشلاء.

أزعجَت أنباء مولد التنِّين المسخ والفوضى الدَّامية التي تبعَته الملك إجون للغاية، وسرعان ما أدَّت إلى شجارٍ لفظي بين جلالته وأخيه الأمير ڤسيرس، الذي لم يزَل محتفظًا ببيضته، ورغم أنها لم تفقس قَطُّ فقد أبقاها معه على الدَّوام طوال سِنِي الأسر والمنفى، إذ كانت لها معزَّة عظيمة عنده. حين أمرَ إجون بمنع وجود أيِّ بيض تنانين داخل قلعته اغتاظَ ڤسيرس، لكن إرادة الملك نفذَت كما يجب أن تنفذ، فأُرسِلَت البيضة إلى (دراجونستون)، وأبى الأمير ڤسيرس أن يُكلِّم أخاه الملك إجون لدورة قمرٍ كاملة.

يُخبِرنا مشروم أن جلالته استاءَ جدًّا من خصامه مع أخيه، لكن ما حدثَ بعدها تركَه محطَّمًا بائسًا. كان الملك يستمتع بعشاءٍ هادئ في غُرفته الشَّمسيَّة مع ملكته الصَّغيرة دينيرا وصديقه جيمون ذي الشَّعر الباهت، والقزم يُسلِّيهم بأغنيَّةٍ سخيفةٍ عن دُبٍّ يُفرِط في الشُّرب، عندما

بدأ الصَّبي النَّغل يشتكي من انقباضٍ في أمعائه. قال الملك آمرًا مشروم: «أسرِع واجلِب المِايستر مونكن»، ولدى عودة المهرِّج بالمِايستر كان جيمون قد أُغمِيَ عليه والملكة دينيرا تتأوَّه قائلةً: «معدتي تُؤلِمني أيضًا».

طويلًا خدمَ جيمون الملك إجون بصفته ذوَّاق طعامه إضافةً إلى ساقيه، وسُرعان ما أعلنَ مونكن كلا الصَّبي والملكة الصَّغيرة ضحيَّة تسميم. أعطى المِايستر الأكبر مسهِّلًا قويَّ المفعول لدينيرا، وهو ما أنقذَ حياتها على الأرجح. طوال اللَّيل ظلَّت تقيء لا إراديًّا وهي تُولوِل وتتلوَّى من الألم، ولم تقوَ على مغادرة سريرها في اليوم التَّالي من شدَّة الضَّعف والإنهاك، لكنها شُفِيَت. غير أن نجدة مونكن تأخَّرت عن جيمون ذي الشَّعر الباهت، وماتَ الصَّبي بعد أقلِّ من ساعة. مولودًا نغلًا في ماخور، سادَ «ملك الفرج» مملكته أعلى التَّل فترةً قصيرةً خلال قمر الجنون، ثمَّ شاهدَ أمَّه تُقتَل، ليخدم بعد ذلك الملك إجون الثَّالث ساقيًا وكبش فداءٍ وصديقًا. في وقت موته عُدَّ أنه لم يتجاوَز التَّاسعة من عُمره.

بعدها أطعمَ المِايستر الأكبر مونكن ما تبقَّى من وجبة العشاء لجرذانٍ في قفص، وتبيَّن له أن السُّم مُزِجَ بأغلفة فطير التُّفاح. لحُسن الحظِّ لم يكن الملك مولعًا بأطباق الحلوى على وجه الخصوص (أو بأيِّ نوعٍ من الطَّعام في الحقيقة). توجَّه فُرسان الحرس الملكي على الفور إلى مطابخ (القلعة الحمراء)، واعتقلوا دستةً من الطُّهاة والخبَّازين وعُمَّال المطبخ والخادمات وسلَّموهم إلى قيِّم الاعترافات اللورد چورچ جريسفورد. اعترفَ سبعة منهم تحت التَّعذيب بمحاولة تسميم الملك... لكن كلَّ روايةٍ اختلفَت عن التَّالية، إذ لم يتَّفق الأسرى على كيفيَّة حصولهم على السُّم، ولم يُحدِّد أيٌّ منهم الطَّبق المسمَّم، وهكذا رفضَ اللورد روان قبول

اعترافاتهم باعتبارها «هراءً لا يصلُح أن أمسح به مؤخِّرتي». (كان حضرة اليد في مزاجٍ أسود من قبل حادثة التَّسميم حتى، إذ مُنِيَ لتوِّه بمأساته الخاصَّة، حين ماتَت زوجته الشَّابَّة الليدي فلوريس على سرير الولادة).

رغم أن الملك أمضى وقتًا أقلَّ مع ساقيه على إثر عودة أخيه من الغُربة إلى (وستروس)، تركَه موت جيمون ذي الشَّعر الباهت مفجوعًا. نفعٌ صغيرٌ واحدٌ نتجَ عن تلك الخسارة، إذ ساعدَت على رأب الصَّدع بينه وبين أخيه ڤسيرس، الذي كسرَ عناد الصَّمت لتعزية أخيه في حُزنه وجلوسه معه بجانب سرير ملكته الصَّغيرة. ومع ذلك تبيَّن أن هذا غير كافٍ، فبعدئذٍ كان إجون هو مَن لاذَ بالصَّمت، إذ حلَّ عليه الأسى القديم مجدَّدًا، وبدا أنه فقدَ اهتمامه بما يجري في أروقة بلاطه وربوع مملكته.

وقعَت الضَّربة التَّالية بعيدًا عن (كينجز لاندنج)، تحديدًا في (وادي آرن)، عندما قرَّر السير كوروين كوربراي وجوب تحقيق مشيئة الليدي چين، وأعلنَ السير چوفري آرن وريث (العُش) الشَّرعي. حين أثبتَ بقيَّة المدَّعين عنادهم ورفضوا قبول حُكمه، أمرَ السير كوروين باعتقال الصَّقر المذهَّب وأبنائه، وأعدمَ إلدريك آرن، ولكن بوسيلةٍ ما تمكَّن والد السير إلدريك المجنون، السير آرنولد، من الانسلال من قبضته والفرار إلى (رونستون)، حيث خدمَ مُرافقًا في صِباه. كان جنثور رويس، الشَّهير في (الوادي) بالمارد البرونزي، رجلًا عجوزًا يُوازي عناده شجاعته، وحين وصلَ السير كوروين ليجتثَّ السير آرنولد من مخبئه، ارتدى اللورد جنثور درعه البرونز العتيقة وركبَ جواده ليُلاقيه خارج أسواره. حميَ الكلام بينهما، وتحوَّل إلى شتائم ولعنات، ثمَّ إلى تهديد، وعندما استلَّ كوربراي (سيِّدة البؤس) -لطعن رويس أم لتهديده فحسب، فهذا ما لن يُعرف

أبدًا- أطلق رامي نُشَّابيَّة فوق متاريس القلعة سهمًا اخترقَ صدره.

كان الاعتداء على أحد أوصياء الملك فعل خيانة، تمامًا كالاعتداء على الملك ذاته. علاوةً على ذلك، كان السير كوروين عمًّا للورد كوينتون كوربراي سيِّد (بيت القلوب) القدير ذي الحنكة العسكريَّة، إلى جانب الزَّوج الحبيب لراكبة التنِّين الليدي رِاينا، والصِّهر العزيز لأختها الليدي بِايلا، وبالتَّالي قريبًا لزوجها اللورد آلِن قبضة السِّنديان. مع مقتل كوربراي تسعَّرت نيران الحرب من جديدٍ في (وادي آرن)، فاحتشدَت عائلات كوربراي وهنتر وكراين وردفورت لنُصرة وريث الليدي چين المختار، في حين انضمَّت عائلات تمپلتون وتوليت وكولدووتر ودوتن ولوردات (الأصابع) و(الأخوات الثَّلاث) إلى صفِّ آل رويس أولاد (رونستون) والسير آرنولد الوريث المجنون، فيما ظلَّت (بلدة النَّوارس) وعائلة جرافتون راسختيْن في ولائهما للصَّقر المذهَّب رغم أسره.

ولم يتأخَّر الرَّد من (كينجز لاندنج). أطلقَ اللورد روان سربًا أخيرًا من الغِدفان نحو (الوادي)، آمرًا اللوردات الدَّاعمين للصَّقر المذهَّب والوريث المجنون بإلقاء السِّلاح فورًا، وإلَّا تسبَّبوا في إثارة «سخط العرش الحديدي»، وحين لم يصِل إليه أيُّ ردٍّ منهم، تشاورَ اليد مع قبضة السِّنديان لوضع خطةٍ لإخماد التَّمرُّد بالقوَّة.

مع حلول الرَّبيع ظُنَّ أن (الطَّريق العالي) المارَّ عبر (جبال القمر) عادَ سالكًا. خمسة آلاف رجلٍ خرجوا على (طريق الملوك) تحت قيادة السير روبرت روان، ابن اللورد ثاديوس البِكر، وزادَ مجنَّدون من (برِكة العذارى) و(داري) و(هايفورد) أعدادهم خلال الزَّحف، وما إن عبروا (الثَّالوث) حتى وافاهم ستُّمئة رجلٍ من آل فراي وألف من آل بلاكوود بقيادة اللورد بينچكوت نفسه، فصاروا بذلك قوَّةً من تسعة آلافٍ يَدخُلون

الجبال.

هجومٌ آخَر أُطلِقَ بحرًا. بدل الاتِّكال على الأسطول الملكي الذي قادَه عمُّ سلفه السير جدموند پيك الفأس العظيمة، لجأ يد الملك إلى آل ڤيلاريون لتجهيز السُّفن المنشودة. سيقود قبضة السِّنديان الأسطول بنفسه، فيما تذهب زوجته الليدي بايلا إلى (دراجونستون) لتُواسي توأمتها المترمّلة (وبالتَّبعيَّة تتأكَّد أن الليدي رِاينا لن تسعى للثَّأر لموت زوجها بنفسها على متن مورننج).

أعلنَ اللورد روان أن الجيش الذي سينقله اللورد آلِن إلى (الوادي) سيقوده موريدو روجير شقيق الليدي لارا. لم يُشكِّك أحد في أن اللورد موريدو مقاتل مرعب، إذ كان طويلًا وصارمًا، وقال النَّاس إنه بدا بشعره الأشقر المبيض وعينيه المتَّقدتيْن بالأزرق كصورةٍ طبق الأصل من مُحاربي (ڤاليريا القديمة)، وقد تقلَّد سيفًا طويلًا من الفولاذ الڤاليري أسماه (يقين). لكن بصرف النَّظر عن بسالته، كُرِهَ تكليف اللايسيني بالقيادة بشدَّة، ففي حين تكلَّم شقيقاه روجيريو ولوثو عاميَّة (وستروس) بطلاقة، كان استيعاب موريدو للُّغة محدودًا للغاية، وقد شُكِّكَ على نحوٍ واسع في الحكمة من وضع رجلٍ لايسيني على رأس جيشٍ من الفُرسان الوستروسيِّين. سارعَ أعداء اللورد روان في البلاط، من بينهم العديد ممَّن دانوا بمناصبهم لأنوين پيك، بالقول بأن ذلك بُرهان على ما تهامَسوا به طوال نصف عام، أن ثاديوس روان باعَ نفسه لقبضة السِّنديان وآل روجير.

ما كانت تلك الشَّكاوى لتلقى أهميَّةً لو أن الهجمات على (الوادي) نجحَت، غير أنها لم تنجح. رغم أن قبضة السِّنديان اكتسحَ بيُسرٍ أسطول بحَّارة الصَّقر المذهَّب المأجورين ليستولي على ميناء (بلدة النَّوارس)، فقدَ

المهاجِمون مئات الرِّجال عند اقتحام أسوار المرفأ، وثلاثة أضعافهم خلال القتال الذي تبعَ ذلك من دارٍ إلى دار. واجهَ موريدو صعوبةً بالغةً في التَّواصُل مع قوَّاته بعد مقتل مُترجمه خلال القتال الدَّائر في الشَّوارع، فالرِّجال لم يفهموا أوامره ولا هو فهمَ تقاريرهم... لتعمَّ الفوضى.

في تلك الأثناء، عند الطَّرف الآخَر من (الوادي)، اتَّضح أن (الطَّريق العالي) عبر الجبال لم يكن مفتوحًا كما قُدِّرَ. وجدَ جيش السير روبرت روان نفسه يُعاني لعبور الثُّلوج المتراكمة في المجازات الأعلى، وهو ما أبطأ تقدُّمه لدرجة الدَّبيب، ومرَّةً بعد مرَّةٍ هاجمَ قافلةَ أمتعته سُكَّانُ الجبال الأصليُّون الأجلاف (المنحدرون من البشر الأوائل الذين طردَهم الأنداليُّون من (الوادي) قبل آلاف السنين)، الذين قال عنهم بن بلاكوود لاحقًا: «كانوا هياكل عجفاء مدجَّجةً بالفؤوس الحجريَّة والمقارع الخشب، ولكن جياعًا ويائسين لدرجة أن لا حيلة لردعهم مهما قتلنا منهم». سُرعان ما بدأ البرد والثَّلج والغارات اللَّيليَّة والثُّلوج يُسبِّبون خسائر باهظة.

عاليًا وسط الجبال حدثَ ما لا يُصدَّق فيما تلملمَ اللورد روبرت ورجاله حول بؤر نار المخيَّم. في المنحدرات بالأعلى كان مدخل غارٍ مكشوفًا من الطَّريق، وقد تسلَّقت دستة من الرِّجال ليروا إن كان يَصلُح ملجأً يقيهم عصف الرِّياح. ربما كان منظر العظام المتناثرة عند المدخل مدعاةً للتوقُّف، لكنهم واصَلوا التَّقدُّم... ليوقِظوا تنِّينًا.

أهلكَ القتال ستَّة عشر رجلًا، وأصيبَ ستُّون بحروقٍ قبل أن تُحلِّق دودة النَّار البنِّيَّة الغاضبة وتفرَّ عميقًا في غياهب الجبال بـ«امرأةٍ شعثاء رثَّة الثِّياب متشبِّثةً بظهرها». تلك كانت آخِر مشاهدةٍ مدوَّنة في سجلات (وستروس) عن التنِّين شيپستيلر وراكبته نِتلز... ولو أن همج الجبال ما

زالوا يروون الحكايا عن «ساحرة النَّار» التي سكنَت في الماضي واديًا مخفيًّا بعيدًا عن أيِّ طريقٍ أو قرية. يقول القصَّاصون إن إحدى أشرس قبائل الجبال بدأت تَعبُدها، ليُثبِت الشُّبَّان شجاعتهم بجلب الهدايا لها، ولا يُعدُّون رجالًا إلَّا إن عادوا بحروقٍ تُظهِر أنهم واجَهوا المرأة التِّنِّينة في عرينها.

لم تكن مواجهة التِّنِّين آخِر الأخطار التي واجهَها جيش السير روبرت روان. حين بلغوا (البوَّابة الدَّامية) كان ثُلثهم قد هلكَ في هجمات الهمج أو ماتَ من البرد أو الجوع، وتضمَّن الموتى السير روبرت روان نفسه، الذي سُحِقَ تحت جلمودٍ ساقط حين هدمَ رجال القبائل نصف جانب جبلٍ على صفوف العسكر. تولَّى بن بلاكوود الدَّموي القيادة بعد موته، ورغم بُعده نصف عامٍ عن سنِّ البلوغ، وازَت خبرة اللورد بلاكوود في الحرب رجالًا أكبر منه أربع مرَّات. في (البوَّابة الدَّامية)، مدخل (الوادي)، وجدَ النَّاجون الغذاء والدِّفء والتَّرحاب، لكن السير چوفري آرن، فارس (البوَّابة الدَّامية) وخليفة الليدي چين المختار، رأى في الحال أن العبور تركَ رجال بلاكوود غير صالحين للمعركة، وسيكونون عبئًا عليه لبُعدهم الشَّديد عن كونهم ذوي نفعٍ له في حربه.

في أثناء استمرار القتال في (وادي آرن)، تلقَّى وعد الرَّبيع اللايسيني ضربةً موجعةً أخرى على بُعد مئات الأميال جنوبًا، مع الرَّحيل شبه المتزامن لليساندرو روچير البهيِّ في (لِيس) وأخيه درازنكو في (صنسپير). رغم فصل (البحر الضيِّق) بينهما، ماتَ الثُّنائي روچير بفرق يومٍ واحد، كلاهما في ظروفٍ مثيرة للشُّبهة. هلكَ درازنكو أوَّلًا مختنقًا حتى الموت بشريحةٍ من اللَّحم المقدَّد، وغرقَ ليساندرو بعبَّارته الفخمة وهي تقلُّه عائدًا إلى قصره من روضته العطرة. رغم أن البعض قد يصرُّ أن الميتتيْن

كانتا مجرَّد حادثتيْن مؤسفتيْن، عدَّ كثيرون غيرهم طريقتهما وتوقيتها دليلًا على مؤامرةٍ استهدفَت إسقاط عائلة روجير. اعتُقِدَ على نطاقٍ واسع أن رجال (براڤوس) عديمي الوجوه كانوا المسؤولين عن الاغتياليْن، فلم يُعرَف في هذا العالم الشَّاسع أحد أكثر منهم حذقًا في تنفيذ الاغتيالات. ولكن إن كان عديمو الوجوه من نفَّذوا الاغتياليْن حقًّا، فبإيعاز مَن تصرَّفوا؟ اشتُبِهَ في مصرف (براڤوس) الحديدي، وكذا في أركون (تايروش) وراكاليو ريندون، وعددٍ من الأمراء التُّجار والماچسترات اللايسينيِّين الذين عُرِفوا بمعاناتهم أيَّما معاناة تحت «الطُّغيان المخملي» الذي فرضَه ليساندرو البهيُّ. بالغَ بعضهم باقتراحه أن أبناء الماچستر الأوَّل هُم من أزاحوه (إذ أنجبَ ستَّة أبناءٍ شرعيِّين وثلاث بناتٍ وستَّة عشر نغلًا). على أن التَّخلُّص من الأخويْن جرى بمنتهى الدِّقَّة، حتى إن مجرَّد حقيقة اغتيالهما لم تَثبُت.

لم يكن أيٌّ من المناصب التي مارسَ بها ليساندرو هيمنته على (لِيس) وراثيًّا، وبالكاد انتُشِلَت جُثَّته الغريقة التي التهمَتها السَّراطين من الماء قبل أن يبدأ أعداؤه القُدامى وأصدقاؤه الزَّائفون وحُلفاؤه السَّابقون الصِّراع على خلافته.

يُقال بحقٍّ إن الحرب بين معشر اللايسينيِّين تُشَنُّ بالدَّسائس والمؤامرات والتَّسميم بدلًا من الجيوش، وطوال ما تبقَّى من ذلك العام الدَّامي أدَّى ماچسترات (لِيس) وأمراؤها التُّجَّار رقصةً ضروسًا، يرتقون ويَسقُطون كلَّ أسبوعٍ تقريبًا، وفي أغلب الأحيان كانت سقطاتهم مميتةً. سُمِّمَ توريو هِاين مع زوجته وعشيقته وبناته -إحداهن كانت الفتاة التي تسبَّب فستانها الشفَّاف في فضيحةٍ يوم حفلة عيد (العذراء)- وإخوته وأنصاره في المأدبة التي أقامَها بمناسبة ترقيته إلى ماچستر أوَّل، وطُعِنَ سيلفاريو

بنداريس في عينه وهو يُغادِر (معبد التِّجارة)، في حين خُنِقَ أخوه پيرينو في دار هوى فيما متَّعته أمَة بفمها، وذبحَ حاكمَ مجلس الأعيان موريو داجاريون حرسُه الصَّفوة، وافترسَ ماتينو أورثيس المتعبِّد الغيور للربَّة پانتيرا والتهمَه جُزئيًّا قِطُّ الظِّلِ الأثير لديه، حين تُرِكَ باب قفصه مفتوحًا لأسبابٍ مجهولة في إحدى اللَّيالي.

رغم أنه لم يُمكن لأولاد ليساندرو أن يرثوا مناصبه، ذهبَ قصره إلى ابنته ليسارا، وسُفنه إلى ابنه دراكو، ودار الهوى إلى ابنه فريدو، ومكتبته إلى ابنته مارا. كان لكلٍّ من ذُرِّيَّته نصيب من ثروته المتمثِّلة في (مصرف روجير)، وحتى نغوله استوفوا حصصًا، وإن قلَّت عن تلك المخصَّصة لأبنائه وبناته الشَّرعيِّين. على أن التَّحكُّم الفعلي بالمصرف كان منوطًا ببِكر ليساندرو المسمَّى ليسارو... الذي كُتِبَ عنه حقًّا أنه «امتلك ضِعف طموح أبيه ونصف براعته».

تطلَّع ليسارو إلى حُكم (لِيس)، لكنه لم يتحلَّ لا بالدَّهاء ولا الصَّبر ليقضي عقودًا كاملةً في مُراكمةٍ بطيئة للثَّروة والسَّطوة كما فعلَ والده ليساندرو. مع تساقُط المنافسين من حوله كانت أوَّل خطوةٍ أخذَها ليسارو هي تأمين شخصه بشرائه ألف جندي مطهَّر من نخَّاسي (أستاپور)، وقد اشتهرَ أولئك المحاربون المخصيُّون بأنهم أبرع أجنادٍ مُشاة في العالم، علاوةً على تدريبهم الملزِم بالطَّاعة العمياء، لكيلا يخشى سادتهم منهم عصيانًا أو خيانةً.

أمَّن ليسارو انتخابه حاكمًا لمجلس الأعيان بمجرَّد أن أحاط نفسه بهؤلاء الحُماة، فائزًا بالعوام عن طريق التَّسالي الباذخة، وبالماچسترات بالرِّشى التي لم يرَ أحدهم أبذخ منها قطُّ، وحين أتَت هذه النَّفقات الباهظة على ثروته الخاصَّة بدأ يسحب الذَّهب من المصرف. كانت

نيَّته، كما كشفَ لاحقًا، أن يختلق حربًا قصيرةً مظفَّرةً ضدَّ (تايروش) أو (مير)، وبصفته الحاكم فسيُنسَب إليه النَّصر ليُمكِّنه من الظَّفر بمنصب الماچستر الأوَّل، وبنهبه (تايروش) أو (مير) سيجني ذهبًا كافيًا لتسديد الأرصدة التي سحبَها من المصرف ليجعله ذلك الرَّجل الأثرى في (لِيس).

ولكم كانت مكيدةً خائبةً، وسُرعان ما فشلَت. تدَّعي الأسطورة أن رجالًا استأجرَهم (المصرف الحديدي) في (براڤوس) كانوا أوَّل من بدأوا الطَّعن في سُمعة (مصرف روجير)، ولكن بصرف النَّظر عمَّن بدأه انتشرَ ذلك الكلام سريعًا في (لِيس) كلِّها، وبدأ ماچسترات المدينة وأمراؤها التُّجار يُطالِبون بإرجاع ودائعهم، قِلَّة في البداية، ثمَّ أكثر فأكثر، حتى تدفَّق من خزينة ليسارو نهرٌ من الذَّهب... نهرٌ سُرعان ما جفَّ. عندئذٍ كان ليسارو نفسه قد اختفى، فلمَّا وجدَ الخراب يُواجِهه فرَّ من (لِيس) تحت جنح اللَّيل مع ثلاثٍ من إماء الفراش وستَّةٍ من الخدم ومئةٍ من حرسه المطهَّرين، هاجرًا زوجته وبناته وقصره. منزعجين لأسبابٍ مفهومة، تحرَّك ماچسترات المدينة من فورهم للاستحواذ على (مصرف روجير)، فقط ليكتشفوا أن شيئًا لم يتبقَّ منه إلَّا هيكلًا أجوف.

كان سقوط عائلة روجير مفاجئًا وموجعًا. ادَّعى أشقَّاء ليسارو وشقيقاته أن لا دور لهم في نهب المصرف، لكن كثيرين شكَّكوا في ادِّعائهم البراءة. هربَ دراكو روجير إلى (ڤولانتيس) على متن أحد قوادسه، في حين فرَّت أخته مارا إلى معبد يندروس متنكِّرةً في زيِّ رجل، وهناك طلبَت الالتجاء والحماية، لكن إخوتهما جميعًا، بمَن فيهم النُّغول، اعتُقِلوا رهن المحاكمة. عندما اعترضَت ليسارا روجير قائلة: «لم أكن أعلم»، ردَّ الماچستر تيجارو موراكوس: «كان يَجدُر بكِ أن تعلمي»، فجأرَ الجمع الحاضر بالتَّأييد، إذ كان نصف أهل المدينة قد تضرَّر.

ولم يقتصِر الضَّرر على (لِيس)، فما إن بلغَ (وستروس) خبرُ سقوط عائلة روجير حتى أدركَ اللوردات والتُّجَّار على حدٍّ سواء أن الأموال التي ائتمنوا عليها آل روجير ضاعَت. في (بلدة النَّوارس) تصرَّف موريدو روجير بسرعةٍ متنازلًا عن القيادة لآلِن قبضة السِّنديان ومستقلًّا سفينةً إلى (براڤوس)، أمَّا لوثو روجير فقبضَ عليه السير لوكاس لايجود ومعاطفه الذَّهبيَّة وهو يُحاوِل مغادرة (كينجز لاندنج)، وتحفَّظوا على جميع رسائله ودفاتره وكلِّ قطعة ذهبٍ وفضَّة متبقِّية في الخزائن أعلى (تل ڤيزينيا). في تلك الأثناء انقضَّ السير مارستن ووترز فارس الحرس الملكي على (حوريَّة البحر) مع اثنين من إخوته المحلَّفين وخمسين من الحرس، فسيقَ زبائن الماخور إلى الشَّارع، كثيرون منهم عُراةً (كان مشروم أحدهم، باعترافه)، فيما اقتيدَ روجيريو بحدِّ الحربة وسط حشدٍ من المستهزئين. في (القلعة الحمراء) احتُجِزَ المصرفيُّ وصاحب الماخور معًا في (بُرج اليد)، إذ جنَّبتهما مصاهرتهما الأمير ڤسيرس تذوُّق ويلات الزَّنازين السَّوداء، مؤقتًا على الأقل.

افتُرِضَ في البداية وعلى نطاقٍ واسع أن حضرة اليد هو الذي أمرَ باعتقالهما، فمع مقتل السير كوروين في (الوادي) لم يتبقَّ من الأوصياء إلَّا اللورد روان والمايستر الأكبر مونكن. لم يدُم سوء الفهم هذا أكثر من بضع ساعات، ففي المساء نفسه انضمَّ اللورد روان ذاته إلى الأخوين روجير في الحبس. ولا فعلَ الأصابع، حُماة اليد المفترضون، شيئًا للدِّفاع عنه، فحين دخلَ السير مرقين فلاورز غُرفة المجلس للتَّحفُّظ على حضرة اللورد، أمرَ تيساريو النَّمر رجاله بالتَّنحِّي جانبًا. صدرَت المقاومة الوحيدة من مُرافق اللورد روان، الذي رُدِعَ بسهولة. ترجَّاهم اللورد ثاديوس: «اعفوا عن الصَّبي»، وقد فعلوا... ولكن ليس قبل أن يقطع فلاورز إحدى أُذنَي الفتى «ليتعلَّم ألَّا يُجرِّد فولاذه في وجه حرس الملك».

لم تنتهِ لائحة المأمور باعتقالهم واحتجازهم للمحاكمة للاشتباه في خيانتهم عند ذلك الحدِّ، إذ قُبِضَ على ثلاثةٍ من أبناء عمومة اللورد روان وابنِ أخيه أيضًا، مع أربعين من السَّاسة والخدم والفُرسان الملحقين بخدمته. أُخِذوا جميعًا على حين غفلةٍ واستسلموا بخنوع، لكن حين بلغَ السير آموري بيك عتبة (حصن ميجور) مع دستةٍ من المسلَّحين، وجدَ ڤسيرس تارجاريَن نفسه واقفًا على الجسر المتحرِّك وفي يده فأس حربيَّة. يُخبرنا المهرّج مشروم: «كانت فأسًا ثقيلةً، والأمير صبيًّا ناحلًا نوعًا في الثَّالثة عشرة، حتى إن المرء شكَّك في قُدرة الفتى على رفع الفأس، فما بالك بأن يُلوِّح بها».

قال الأمير الصَّغير: «إن كنتَ قادمًا لتأخُذ السيِّدة زوجتي، فعُد أدراجك وارحل أيُّها الفارس، لأنك لن تمرَّ ما دمتُ واقفًا هنا».

وجدَ السير آموري في عرض التَّحدِّي هذا تسليةً أكثر من التَّهديد، وقال للأمير: «السيِّدة زوجتك مطلوبة للسُّؤال عن صلتها بخيانة إخوتها».

استفسرَ الأمير: «ومَن الذي يَطلُبها؟».

أجابَ السير آموري: «حضرة يد الملك».

سألَ ڤسيرس: «اللورد روان؟».

– «اللورد روان أُعفِيَ من المنصب. السير مارستن ووترز هو يد الملك الجديد».

في تلك اللحظة تقدَّم إجون الثَّالث من بوَّابة الحصن ليقف بجانب أخيه، وذكَّرهم جلالته: «أنا الملك، وأنا لم أختَر السير مارستن ليكون يدي».

يُخبرنا مشروم أن تدخُّل الملك أدهشَ السير آموري، ولكن بعد لحظة تردُّدٍ قال: «جلالتك ما زلت صبيًّا، وحتى تَبلُغ يا مولاي على لورداتك المخلصين الاختيار لك، وقد اختيرَ السير مارستن من قِبل أوصيائك».

أصرَّ الملك: «اللورد روان وصيِّي».

قال السير آموري: «لم يَعُد كذلك. اللورد روان خانَ ثقتك. لقد انتهَت وصايته».

سألَه إجون: «بتفويض مَن؟».

قال الفارس الأبيض: «يد الملك».

ضحكَ الأمير ڤسيرس من هذا (فالملك إجون لم يضحك قَطُّ، لسوء حظِّ مشروم)، وقال: «الملك يُسمِّي الوصيَّ والوصيُّ يُعيِّن اليد، وهكذا دواليك نَرقُص... لكنك لن تمرَّ ولن تلمس زوجتي أيُّها الفارس. ارحلوا، وإلَّا فأعدُك بأن يهلك كلُّ رجلٍ منكم هنا».

عندها نفدَ صبر السير آموري، إذ لم يُمكنه أن يسمح لنفسه بأن يردعه صبيَّان، أحدهما في الثَّالثة عشرة والآخَر في الخامسة عشر، وأكبرهما أعزل. «كفى». قالها وأمرَ رجاله بإزاحة الصَّبيين جانبًا. «عامِلوهما برفق، واحرصوا ألَّا يُصيبهما أيُّ أذى بأيدينا».

حذَّره الأمير ڤسيرس: «وزرُ هذا على رأسك أيُّها الفارس»، ودفنَ الفأس عميقًا في خشب الجسر المتحرِّك، ثمَّ تقهقرَ مسرعًا وهو يقول: «إيَّاكم وتجاوُز الفأس وإلَّا فالموت لكم». أمسكَه الملك من كتفه وسحبَه إلى أمان الحصن، وخطا ظلٌّ فوق الجسر.

قدمَ ساندوك الظِّل مع الليدي لارا من (لِيس)، هديَّةً من والدها الماچستر ليساندرو. كان أسود البشرة والشَّعر، وبلغَ طوله الأقدام

السَّبعة تقريبًا، وبدا وجهه، الذي أخفاه غالبًا تحت لثامٍ من الحرير الأسود، كُتلةً من النُّدوب البيضاء الرَّفيعة، وقد تركَته إزالة شفتيْه ولسانه أخرسَ وشنيع المنظر في آنٍ واحد. قيلَ عنه إنه انتصرَ في مئات النِّزالات في حلبات الموت بـ(ميرين)، وإنه مزَّق مرَّةً حلق خصمٍ بأسنانه بعد أن تهشَّم سيفه، وإنه يشرب دماء الرِّجال الذين يَقتُلهم، وإنه جندلَ في الحلبات سباعًا ودببةً وذئابًا ووايڤرنات بلا سلاحٍ إلَّا الأحجار التي وجدَها بين الرِّمال.

مثل تلك الحكايا يتنامى بالسَّرد بلا ريب، ولا يُمكننا أن نعرف كم من هذا -إن حدثَ- قابل للتَّصديق. يُخبرنا مشروم أن ساندوك، رغم جهله القراءة والكتابة، كان مولعًا بالموسيقى، وعادةً ما جلسَ في ظلال غُرفة نوم الليدي لارا ليعزف أنغامًا حزينةً شديدة العذوبة على أوتار آلةٍ غريبة من خشب القلب الذَّهبي والعاج الأسود ناهزَته طولًا. يقول المهرِّج: «أمكنَني إضحاك الليدي أحيانًا، ولو أنها لم تفهم إلَّا بضع كلماتٍ من لُغتنا، لكن عزف الظِّل أبكاها دائمًا، ومن الغريب القول إن ذلك راقَها أكثر».

لكن ساندوك الظِّل عزفَ صنفًا مختلفًا من الموسيقى أمَّام بوابات (حصن ميجور) إذ انقضَّ عليه حرس السير آموري بالسُّيوف والحِراب. كانت آلتاه المختارتان في تلك اللَّيلة تُرسًا أسود طويلًا من خشب اللَّيل والجِلد المقوَّى والحديد، وحسامًا عظيمًا معقوفًا، مقبضه من عظم التنِّين ونصله الدَّاكن يلتمع في ضوء المشاعل بتموُّجات الفولاذ الڤاليري المميَّزة. عوى خصومه لاعنين صارخين وهُم يجرون نحوه، لكن صوتًا لم يَصدُر من الظِّل خلا رنين فولاذه إذ انزلقَ وسطهم بصمت القِطط، يصفر نصله يُمنةً ويُسرةً وأعلى وأسفل مريقًا الدِّماء مع كلِّ جرحٍ وشاقًّا

حلقاتهم المعدنيَّة كأنها سرابيل من ورق. يشهد مشروم، الذي يدَّعي أنه شاهدَ القتال من فوق السَّطح، بأنه «لم يبدُ كنزال سيوفٍ كما بدا كمُزارعٍ يحصد القمح. مع كلِّ ضربةٍ سقطَ المزيد من السُّوق، لكن هذه السُّوق كانت رجالًا أحياء صرخوا لاعنين وهُم يتساقَطون». لم يفتقر رجال السير آموري إلى الشَّجاعة، وعاشَ بعضهم كفايةً ليُسدِّد ضرباتٍ بدوره، لكن الظِّل لم يكفَّ عن الحركة مستقبِلًا نصالهم على تُرسه، ثمَّ استخدمَه ليدفعهم إلى الوراء من فوق الجسر إلى حيث الخوازيق الحديد الجائعة بالأسفل.

فلنقل هذا عن السير آموري پيك: موته لم يُكلِّل الحرس الملكي بالخزي. ثلاثة من رجاله كانوا على الجسر صرعى واثنان آخَران يتلوَّيان على الخوازيق أسفله في الوقت الذي استلَّ فيه پيك سيفه من غِمده. يُخبرنا مشروم: «كان مسربلًا بدرعه البيضاء تحت معطفه الأبيض، لكن خوذته كانت مفتوحة الوجه، ولم يجلب تُرسه، وقد جعلَه ساندوك يدفع ثمن هذه النَّواقص بعُنف». يقول المهرِّج إن الظِّل جعلَ من القتال رقصةً، فبين كلِّ جرحيْن جديديْن أنزلَهما بالسير آموري صرعَ أحد أتباعه المتبقِّين قبل أن يلتفت مجدَّدًا إلى الفارس الأبيض، ورغم ذلك جابهَه پيك بإقدامٍ عنيد، وقُرب النِّهاية، لنصف نبضة قلب، منحَته الآلهة الفُرصة عندما أطبقَ آخِر الحرس بوسيلةٍ ما على سيف ساندوك وانتزعَه من قبضة الظِّل قبل أن يَسقُط من فوق الجسر، فنهضَ السير آموري وهو يترنَّح وحملَ على خصمه الأعزل.

وعندها انتزعَ ساندوك فأس ڤسيرس الحربيَّة من حيث دفنَها الأمير في الخشب، وهوى بها فالقًا رأس السير آموري وخوذته نصفيْن من الرِّيشة إلى واقي العُنق. تركَ الظِّل الجثَّة تهوي على الخوازيق، متمهِّلًا كفايةً

ليدفع الموتى والمحتضرين من فوق الجسر قبل أن ينسحب إلى داخل (حصن ميجور)، حيث أمرَ الملك برفع الجسر المتحرّك وإنزال الشَّبكة الحديد وإزلاج الأبواب. غدَت القلعة ضمن القلعة مؤمَّنةً.

وهكذا ظلَّت ثمانية عشر يومًا.

كانت بقيَّة القلعة في أيدي السير مارستن ووترز وحرس الملك، وخارج أسوار القلعة أحكمَ السير لوكاس لايجود ومعاطفه الذَّهبيَّة قبضتهم الصَّارمة على (كينجز لاندنج). حضرَ كلا الرَّجليْن بنفسه أمام الحصن في الصَّباح التَّالي ليُطالِب الملك بمغادرة ملاذه، وقال السير مارستن فيما انتُشِلَت جُثث الرِّجال الذين قتلَهم ساندوك من الخندق: «جلالته مخطئ بظنِّه أننا ننوي أذيَّته. لقد تصرَّفنا فقط لحماية جلالته من أصدقائه الزَّائفين والخونة. السير آموري أقسمَ على حمايتك، على بذل حياته في سبيلك إن تطلَّب الأمر. كان رجلك المخلص، مثلي تمامًا، ولم يستحقَّ ميتةً كهذه على يدَي وحشٍ كهذا».

لم يتزعزَع الملك إذ ردَّ من أعلى المتاريس: «ساندوك ليس بوحش. إنه لا يستطيع الكلام، لكنه يسمع ويُطيع. لقد أمرتُ السير آموري بالرَّحيل ورفضَ، وحذَّره أخي من مغبَّة فعلته إن تجاوزَ الفأس. على ما أذكرُ، قسم أخويَّة الحرس الملكي يتضمن الطَّاعة».

ردَّ السير مارستن: «لقد أقسمنا أن نُطيع الملك يا مولاي، صحيحٌ هذا، وحين تُصبِح رجلًا بالغًا سيُسعِدني أنا وإخوتي أن نَسقُط على سيوفنا إذا أمرتنا بذلك، ولكن ما دُمتَ قاصرًا فنحن مطالبون بطاعة يد الملك بمقتضى قسمنا، لأن اليد يتحدَّث بصوت الملك».

قال إجون بإصرار: «اللورد ثاديوس يدي».

ردَّ السير مارستن: «اللورد ثاديوس باعَ مملكتك لـ(لِيس) ويجب أن يدفع ثمن ذلك. سأخدمُ بصفتي يدك حتى يحين الوقت الذي يُمكن فيه إثبات ذنبه أو براءته»، ثمَّ استلَّ سيفه وجثا على رُكبةٍ واحدة قائلًا: «أقسمُ بسيفي على مرأى من الآلهة والبشر أن أحدًا لن يضرَّك ما دمتُ أقفُ بجانبك».

إذا اعتقدَ حضرة القائد أن هذه الكلمات ستستميل الملك فقد أخطأ بشدَّة، إذ جاوبَه إجون: «كنتَ واقفًا بجانبي حين التهمَ التنّين أمِّي، وكلُّ ما فعلته هو الفُرجة. لن أدعك تتفرَّج وهُم يَقتُلون زوجة أخي»، ثمَّ ترك المتاريس، ولم تُفلِح أيُّ كلمةٍ من مارستن ووترز في حثِّه على العودة في ذلك اليوم أو التَّالي أو الذي تلاه.مكتبة سُر مَن قرأ

ظهرَ المِايستر الأكبر مونكن برفقة السير مارستن في اليوم الرَّابع، وقال: «أتوسَّلُ إليك يا مولاي أن تُنهي هذه الحماقة الطُّفوليَّة وتَخرُج لكي نستطيع خدمتك». حدَّق الملك إجون من علٍ دون أن ينبس ببنت شفة، لكن أخاه كان أقلَّ تحفُّظًا، إذ أمرَ المِايستر الأكبر بأن يُرسِل «ألفًا من الغِدفان» لتعرف المملكة بأَسرها أن الملك محتجَز داخل قلعته. لم يردَّ المِايستر الأكبر على هذا، ولا الغِدفان حلَّقت.

في الأيام التَّالية قدَّم مونكن عدَّة مناشداتٍ إضافيَّة، مؤكِّدًا لإجون وفسيرس أن كلَّ ما جرى شرعيٌّ، وتنقَّل السير مارستن من الرَّجاء إلى التَّهديد إلى المساومة، وأُحضِرَ السِّپتون برنارد ليُصلِّي بصوتٍ عالٍ لـ(العجوز) أن تُنير درب رجوع الملك إلى الحكمة، وكلُّ ذلك بلا طائل. لم تستثِر هذه الجهود في الملك الصَّبي أيَّ استجابة، أو استجاباتٍ محدودةً لم تتجاوَز الصَّمت الجهيم العنيد. مرَّةً واحدةً فقط استُفِزَّ جلالته حدَّ

الغضب، حين أخذَ قيّم سلاحه السير جاريث لونج دوره في محاولة إقناع الملك بالخُضوع، إذ صاحَ فيه الملك إجون من الأعلى: «وإذا لم أفعل فمَن ستُعاقِب أيُّها الفارس؟ لك أن تضرب عظام جيمون المسكين، لكنك لن تنال دماءً أخرى منه».

تعجَّب كثيرون مما رأوه تساهُلًا من اليد الجديد وحُلفائه خلال تلك الأزمة، إذ كان للسير مارستن عدَّة مئاتٍ من الرِّجال داخل (القلعة الحمراء)، وفاقَ عدد معاطف السير لوكاس لايجود الذَّهبيَّة ألفَي رجل. (حصن ميجور) معقلٌ حصين لا شكَّ، لكن المدافعين عنه كانوا ضُعفاء، فلم يتبقَّ من اللايسينيِّين الذين قدموا إلى (وستروس) مع الليدي لارا إلَّا ساندوك الظِّل وستَّة آخَرون بجانبها، في حين غادرَت بقيَّتهم مع أخيها موريدو إلى (الوادي). قلَّة من الرِّجال الموالين للورد روان دخلوا (حصن ميجور) قبل إغلاق أبوابه، ولكن لم يكن بينهم فُرسان أو مُرافقون أو مجنَّدون، ولا حتى بين حاشية الملك. (كان أحد فُرسان الحرس الملكي داخل المعقل، لكن السير راينارد روسكين كان محتجزًا، إذ تغلَّب عليه اللايسينيُّون وجرحوه في بداية عصيان الملك). يُخبرنا مشروم أن رفيقات الملكة دينيرا ارتدين حلقات المعدن وحملن الحِراب ليُساعِدن على أن يبدو أن للملك إجون مدافعين أكثر مما لديه، وإن لم يُمكن أن تلك الحيلة انطلَت على السير مارستن ورجاله طويلًا، إن انطلَت عليهم على الإطلاق.

بالتَّالي يجب طرح هذا التَّساؤل: لماذا لم يأخذ مارستن ووترز ببساطةٍ المعقل بالقوَّة؟ كان لديه فائضٌ من الرِّجال، ولئن سقطَ بعضهم أمام ساندوك واللايسينيِّين الآخَرين، فمؤكَّد أن الظِّل نفسه كان ليُقهَر في

النِّهاية. على أن اليد أحجمَ عن الهجوم متابعًا محاولاته إنهاء «الحصار السرِّي» (كما ستُعرَف هذه المواجهة لاحقًا) بالكلام، في حين كانت السُّيوف لتضع له خاتمةً سريعةً.

سيقول البعض إن إحجام السير مارستن كان جُبنًا محضًا، إنه ارتعبَ من فكرة مواجهة نصل العملاق اللايسيني ساندوك، وهو ما يبدو مستبعدًا. يُشاع أحيانًا أن المدافعين عن المعقل (الملك نفسه في بعض الرِّوايات، والأمير في غيرها) هدَّدوا بشنق فارس الحرس الملكي المحتجز عند أوَّل بادرةٍ للهجوم... إلَّا أن مشروم يصف ذلك بـ«الكذبة الحقيرة».

لذا فالتفسير الأرجح هو الأبسط، إذ يتَّفق الباحثون على أن مارستن ووترز لم يكن يومًا بالفارس العظيم أو الرَّجل الصَّالح، ورغم أنه نغل المولد فقد حصلَ على الفروسيَّة ورُتبةٍ متواضعة بين حاشية الملك إجون الثَّاني، لكن ارتقاءه كان ليتوقَّف عند ذلك الحدِّ غالبًا لولا صِلة قرابته بصيَّادي سمكٍ معيَّنين على (دراجونستون)، التي قادَت لارِس سترونج لاختياره على حساب مئاتٍ من الفُرسان الأفضل لإخفاء الملك خلال هيمنة رينيرا. في السَّنوات التي تلَت ذلك تسلَّق ووترز عاليًا لا شكَّ، إذ صارَ قائدًا للحرس الملكي على حساب فوارس أرقى نسبًا وأعظم صيتًا بكثير، وبصفته يد الملك سيكون الرَّجل الأقوى في المملكة حتى يَبلُغ إجون الثَّالث سنَّ الرُّشد... لكنه في اللَّحظة الحاسمة تردَّد مثقَلًا بنذوره وشرف نغولته. غير راغبٍ في تلويث المعطف الأبيض الذي ارتداه بإعطاء الأمر بالهجوم على الملك الذي أقسمَ على حمايته، تحاشى السير مارستن السَّلالم والكُلَّابات والإغارة مستمرًّا في وضع ثقته في الكلمات المتعقِّلة (وربما في الجوع، لأن المؤن داخل المعقل لم تكن لتبقى طويلًا).

في صباح اليوم الثَّاني عشر من الحصار السرّي أُحضِرَ ثاديوس روان راسفًا في أغلاله للإقرار بالتُّهم الموجَّهة إليه.

سردَ السِّپتون برنارد جرائمه المزعومة: تلقِّيه رشًى على هيئة ذهبٍ وفتيات (مخلوقاتٍ مثيرة من (حوريَّة البحر)، وكلما كُنَّ أصغر كان أفضل، حسب مشروم)، وإرساله موريدو روجير إلى (الوادي) ليسلب السير آرنولد آرن ميراثه الشَّرعي، وتآمُره مع قبضة السِّنديان لإزاحة اللورد أنوين پيك من منصب يد الملك، والمساعدة في نهب (مصرف روجير) اللايسيني، ومن ثمَّ الاحتيال على العديد من «رجال (وستروس) الصَّالحين المخلصين من نُبلاء المحتد وأهل المقام العالي» وإفقارهم، وتولية ابنه قيادةً «لم يكن جديرًا بها بتاتًا»، وهو ما أفضى إلى موت آلافٍ في (جبال القمر).

أمَّا أفظع التُّهم على الإطلاق فتآمُر حضرته مع ثلاثة الإخوة

روجير لتسميم الملك والملكة، لكي يضعوا الأمير ڤسيرس على العرش الحديدي وتكون لارا ابنة (لِيس) ملكته. أعلنَ برنارد: «السُّم المستخدَم يُسمَّى دموع (لِيس)»، وهو الاستنتاج الذي أكَّده المِايستر الأكبر مونكن لاحقًا. ثم ختمَ برنارد قائلًا: «رغم أن (السَّبعة) حفظوك يا مولاي، فمؤامرة اللورد روان الآثمة كلَّفت صديقك الصَّغير جيمون حياته».

عندما اختتمَ السِّپتون سرد التُّهم قال السير مارستن ووترز: «اللورد روان أقرَّ بجميع هذه الجرائم»، وأشارَ لقيِّم الاعترافات چورچ جريسفورد بأن يتقدَّم بالسَّجين. مغلول الكاحليْن بسلاسل ثقيلة، وبوجهٍ مكدوم متورِّم يستحيل تمييزه، لم يتحرَّك اللورد ثاديوس في البداية، حتى وخزَه اللورد جريسفورد برأس خنجره، فتكلَّم عندئذٍ بصوتٍ أجش: «الحقُّ ما قال السير مارستن يا صاحب الجلالة، لقد اعترفتُ بكلِّ ذلك. لوثو وعدَني بخمسين ألف تنِّينٍ ذهبي حين يتمُّ الأمر، ومثلها حين ينال ڤسيرس العرش. أمَّا السُّم فقد أعطانيه روجيريو». كان كلامه متقطِّعًا وكلماته متلعثمةً حتى إن بعض مَن في الشُّرفات حسبوه ثملًا، حتى وضَّح مشروم أن الرَّجل فقدَ أسنانه كلَّها.

تركَ الاعتراف الملك إجون الثَّالث عاجزًا عن الكلام. كلُّ ما استطاعَه الفتى هو الوقوف والتَّحديق بقُنوطٍ موجوع على وجهه، حتى خشيَ مشروم أن جلالته كان على وشك أن يُلقي نفسه من الشُّرفات على الخوازيق بالأسفل لينضمَّ إلى ملكته الأولى.

وقعَ على كاهل الأمير ڤسيرس أن يُجيب نيابةً عنه، فرفعَ عقيرته قائلًا: «وزوجتي الليدي لارا، أكانت جزءًا من المؤامرة هي الأخرى يا سيِّدي؟». أومأ اللورد روان برأسه بإنهاكٍ مجيبًا: «كانت كذلك»،

فسألَه الأمير: «وماذا عني؟»، ليُجيب حضرة اللورد ببلادة: «نعم، وأنت أيضًا»... وهي الإجابة التي بدا أنها فاجأت مارستن ووترز، في حين أغاظَت اللورد چورچ جريسفورد بشدَّة. تابعَ ڤسيرس بعفويَّة: «وجيمون ذو الشَّعر الباهت، أراهنُ أنه هو مَن دسَّ السُّمَّ في الفطيرة»، فغمغمَ اللورد روان: «إذا كان هذا يُرضي أميري». عندئذٍ التفتَ الأمير إلى أخيه الملك وقال: «جيمون كان مذنبًا كبقيَّتنا... بلا شيء»، ونادى مشروم من أعلى: «لورد روان، أأنت مَن سمَّم الملك ڤسيرس؟»، ليردَّ اليد السَّابق بإيماءةٍ قائلًا: «نعم يا سيِّدي، أعترفُ بهذا».

اربدَّ وجه الملك، وقال: «سير مارستن، هذا الرَّجل يدي، وهو براءٌ من الخيانة. الخونة هنا هُم من عذَّبوه ليستخلِصوا هذا الاعتراف الباطل. اقبض على قيِّم الاعترافات إن كنتَ تحبُّ مولاك الملك... وإلَّا فسأعرفُ أنك غشَّاش مثله». رنَّت كلماته عبر الفِناء الدَّاخلي، وفي تلك اللَّحظة بدا الصَّبي المكسور إجون الثَّالث كأن كلَّ شبرٍ فيه ملك.

يجزم البعض حتى يومنا هذا بأن السير مارستن ووترز كان مجرَّد أداة، فارسًا بسيطًا شريفًا استغلَّه وغرَّر به رجال أشدُّ منه مكرًا، في حين يدفع آخَرون بأن ووترز كان جزءًا من المؤامرة منذ البداية، لكنه انقلبَ على زُملائه حين استشعرَ المدَّ ينقلب في غير صالحهم.

أيًّا كانت الحقيقة، فقد نفَّذ السير مارستن أمر الملك، فقبضَ رجال الحرس الملكي على اللورد جريسفورد وجرجَروه إلى الزِّنزانة ذاتها التي كان حاكمها حين استيقظَ في ذلك اليوم، وخُلِعَت الأغلال عن اللورد روان وأُخرِجَ جميع فُرسانه وخدمه من الزَّنازين إلى نور الشَّمس.

تبيَّن عدم ضرورة إخضاع قيِّم الاعترافات للتَّعذيب، فمنظر أدوات التَّعذيب وحده كان كلَّ ما تطلَّبه الأمر ليُدلي بأسماء المتآمرين الآخَرين.

ضمن الذين ذكرَ أسماءهم كان الرَّاحل السير آموري پيك والسير مرڤين فلاورز من الحرس الملكي، وتيساريو النَّمر والسِّپتون برنارد والسير جاريث لونج والسير ڤيكتور ريزلي والسير لوكاس لايجود قائد حرس المدينة، مع ستَّةٍ من أصل سبعةٍ من قادة بوَّابات المدينة، وحتى ثلاث من رفيقات الملكة.

لم يستسلم الجميع سلميًّا، إذ دارَت معركة قصيرة دامية عند (بوَّابة الآلهة) حين أتى الرِّجال لاعتقال لوكاس لايجود، خلَّفت تسعة قتلى منهم لايجود نفسه. فرَّ ثلاثة من القادة المتَّهمين قبل القبض عليهم مع دستةٍ من رجالهم، واختارَ تيساريو النَّمر الفرار كذلك، وإن قُبِضَ عليه في إحدى حانات رصيف الميناء قُرب (بوَّابة النَّهر) وهو يُساوِم رُبَّان حوَّاتةٍ إيبنيزيَّة لتهريبه إلى (ميناء إيبن).

اختارَ السير مارستن مواجهة مرڤين فلاورز بنفسه، إذ سُمِعَ وهو يُخبِر السير راينارد روسكين: «كلانا نغل، وأخ محلَّف علاوةً على ذلك». حين أُبلِغَ باتِّهامات جريسفورد، قال السير مرڤين: «مؤكَّد أنك ستُريد سيفي»، وسحبَ سيفه الطَّويل من غِمده وقدَّم مقبضه لمارستن ووترز، ولكن ما كادَ السير مارستن يُمسِكه حتى قبضَ السير مرڤين على معصمه واستلَّ خنجرًا باليد الأخرى ودفنَه في بطن ووترز. لم يتجاوَز فلاورز الاسطبلات، حيث وجده جُندي سكران وصبيًّا اسطبلٍ وهو يُسرِّج جواده. قتلَهم جميعًا، لكن الضجَّة اجتذبَت آخَرين راكضين، وأخيرًا غُلِبَ الفارس النَّغل وضُرِبَ حتى الموت وهو ما يزال يرتدي المعطف الأبيض الذي لوَّثه.

لم يعِش قائده السير مارستن ووترز بعده طويلًا. وجدوه في (بُرج السَّيف الأبيض) غارقًا في بركةٍ من دمائه، وحملوه إلى المايستر الأكبر

مونكن الذي عاين جُرحه ثم أعلنَ أن الطَّعنة قاتلة، ورغم أن مونكن خاطَ الجرح بأفضل ما أمكنَه وسقاه حليب الخَشخاش فقد تُوفِيَ ووترز في اللَّيلة نفسها.

سمَّى اللورد جريسفورد السير مارستن واحدًا من المتآمرين أيضًا، مصرًّا أن «ذلك المارِق اللَّعين» كان معهم منذ البداية، وهي تُهمة ما عادَ بإمكان ووترز تفنيدها. أودِعَ باقي المتآمرين الزَّنازين السَّوداء في انتظار المحاكمة. تذرَّع بعضهم بالبراءة، فيما ادَّعى آخَرون أنهم، مثل السير مارستن، تصرَّفوا عن اعتقادٍ صادق بأن ثاديوس روان واللايسينيِّين همُ الخونة. على أن قلَّةً أثبتوا أنهم أكثر تعاونًا، وكان السير جاريث لونج أطلقهم لسانًا، معلنًا بصوتٍ عالٍ أن إجون الثَّالث ضعيف غير كفؤٍ لحمل السَّيف فضلًا عن التَّربُّع على العرش الحديدي، فيما جادلَ السِّپتون برنارد بدافع معتقده الإيماني بأن لا مكان للايسينيِّين وآلهتهم الأجنبيَّة الشَّاذَّة في رُبوع (الممالِك السَّبع)، وقال إن النيَّة دائمًا كانت موت الليدي لارا مع إخوتها، ليُصبِح فسيرس حُرًّا في اتِّخاذ زوجةٍ ستروسيَّة لائقة.

أصرح المتآمرين كان تيساريو الإبهام، الذي قال إنه فعلَها من أجل الذَّهب والنِّساء والانتقام، إذ منعَه روجيريو روجير من دخول (حوريَّة البحر) لضربه إحدى بغاياه، لذلك طالبَ بالماخور وذَكر روجيريو ثمنًا، وقد وُعِدَ بتلبية هذين المطلبَيْن، ولكن حين سألَه المستجوبون عمَّن وعدَه لم يُجِب تيساريو إلَّا بابتسامة... ابتسامةٍ تحوَّلت إلى تكشيرة، ثمَّ إلى صرخةٍ لما سُئِلَ مجدَّدًا تحت التَّعذيب. أوَّل اسمٍ أعطاه كان مارستن ووترز، ومع تقدُّم التَّحقيق سمَّى لهم چورچ جريسفورد، ولاحقًا مرفين فلاورز. يُخبرنا مشروم أن النَّمر كان على شفا إعطائهم اسمًا رابعًا، الاسم

الحقيقي ربما، حين قضى نحبه.

اسمٌ واحد لم يُذكَر إطلاقًا، رغم أنه ظلَّ معلَّقًا فوق (القلعة الحمراء) كغمامة. يَذكُر المهرّج في (شهادة مشروم) بكلِّ صراحةٍ ما لم يجرؤ كثيرون على ذِكره حينها: أن متآمرًا آخَر كان موجودًا، سيِّد البقيَّة ورأسهم، الرَّجل الذي تلاعبَ بكلِّ شيءٍ من بُعدٍ مستخدمًا الآخَرين كأدوات. يدعوه مشروم بـ«اللَّاعب في الظِّلال»، ويقول: «جريسفورد كان قاسيًا ولكن ليس بذلك الذَّكاء، ولونج تمتَّع بالشَّجاعة ولكن ليس بالدَّهاء، وريزلي كان سكِّيرًا، وبرنارد تقيًّا أحمق، والإبهام ڤولانتينيًا لعينًا أسوأ من اللايسينيِّين، والنِّساء كُنَّ مجرَّد نساء، وحرس الملك اعتادوا طاعة الأوامر لا إعطاءها، أمَّا لوكاس لايجود فكان يعشق التَّبختُر بمعطفه الذَّهبي، ويسكر ويُقاتِل ويُضاجِع مثله مثل أيِّ أحدٍ آخَر، وإن لم يكن دسَّاسًا. جميع هؤلاء كانوا مرتبطين برجلٍ واحد: أنوين پيك، سيِّد (ستارپايك) وسيِّد (دنستنبري) وسيِّد (البُستان الأبيض) ويد الملك سابقًا».

لا شكَّ أن آخَرين ساورَتهم الشُّكوك نفسها بمجرَّد الكشف عن المؤامرة لقتل الملك. عديد من الخونة ربطَهم باليد السَّابق دم، فيما دانَ له آخَرون بمناصبهم. ولم يكن پيك غريبًا عن التَّآمُر، فقد خطَّط مرَّةً لقتل راكبَي تنانين تحت لافتة (الحسَك الدَّامي)، لكن پيك كان في (ستارپايك) خلال الحصار السرِّي، ولا أحد من بيادقه المزعومين نطقَ اسمه قطُّ، لذا بقيَ تواطؤه غير مثبَت، حينها والآن.

أفعمَ (القلعة الحمراء) جوٌّ موبوء خانق من انعدام الثِّقة جعلَ الملك إجون الثَّالث لا يُغادِر (حصن ميجور) لستَّة أيامٍ أخرى بعد كشف أخيه ڤسيرس أكذوبة اعتراف اللورد روان، ولم يسمح الملك بإنزال الجسر ثانيةً إلَّا حين شاهدَ المِايستر الأكبر مونكن يُرسِل سربًا من الغِدفان

لاستدعاء أكثر من أربعين من لورداته المخلصين إلى (كينجز لاندنج). كان الطَّعام قد نفدَ داخل المعقل، حتى إن الملكة دينيرا كانت تبكي حتى يغلبها النَّوم، وأضعفَ الجوع اثنتيْن من وصيفاتها لدرجة أنهما احتاجَتا إلى مساعدةٍ لتَعبُرا من فوق الخندق.

بحلول الوقت الذي ظهرَ فيه الملك كان اللورد جريسفورد قد أعطاهم جميع الأسماء، وأُلقِيَ القبض على العديد من الخونة، وفرَّ آخَرون، وماتَ كلٌّ من مارستن ووترز ومرفِين فلاورز ولوكاس لايجود. بعد فترةٍ وجيزة عادَ اللورد ثاديوس روان يُقيم في (بُرج اليد)... وإن بدا جليًّا للجميع أن معاليه في حالةٍ غير ملائمةٍ لاستئناف واجبات يد الملك. الويلات التي جرَت له في الزَّنازين كسرَته، ففي لحظةٍ بدا كأنه استعادَ ذاته القديمة، في أتمِّ الصحَّة والعافية، فقط ليُجهِش بالبُكاء بلا سيطرةٍ بعدها مباشرةً. جعلَ مشروم، الذي أمكنَه أن يكون قاسيًا بقدر كونه ذكيًّا، من الرَّجل العجوز محطَّ سُخريةٍ باتِّهامه بجرائم غريبة ليستدرَّ المزيد من الاعترافات العبثيَّة، ويقول القزم في شهادته: «أذكرُ أنني جعلتُه يعترف في إحدى اللَّيالي بتسبُّبه في هلاك (ڤاليريا)، فضجَّ البلاط بالضَّحك، لكن حين أستعيدُ الموقف الآن يتورَّد وجهي خزيًا».

بعد دورة قمر، واللورد روان ما يزال لا يُبدي أيَّ أمارةٍ على تحسُّن حالته، أقنعَ المِايستر الأكبر مونكن جلالة الملك بإعفاء الرَّجل من منصبه، فارتحلَ روان عائدًا إلى مقرِّه في (البُستان الذَّهبي)، واعدًا بأن يرجع إلى (كينجز لاندنج) فور أن يستردَّ عافيته، لكنه ماتَ على الطَّريق وهو في صُحبة اثنين من أبنائه، ولما تبقَّى من ذلك العام خدمَ المِايستر الأكبر وصيًّا ويدًا للملك، لأن المملكة احتاجَت إلى سُلطةٍ تُديرها، وإجون لم يَبلُغ بعدُ سنَّ الرُّجولة. على أن بصفته مِايسترًا

مسلسلًا مقسمًا على الخدمة، لم يَشعُر مونكن أن مكانته تُتيح له إصدار الأحكام على اللوردات رفيعي المقام والفُرسان المنصَّبين، فقبعَ المتَّهمون بالخيانة في الزَّنازين في انتظار يدٍ جديد.

مع انقضاء السَّنة القديمة وإفساحها المجال للجديدة توافدَ اللورد إثر اللورد على (كينجز لاندنج) لتلبية استدعاءات الملك، إذ أدَّت الغِدفان عملها كما يجب. رغم أنه لم يُشكِّل كمجلسٍ عظيم رسميًّا، كان تحاشُد اللوردات في عام 136 بعد الفتح أكبر تجمُّعٍ للنُّبلاء شهدَته (الممالِك السَّبع) منذ استدعى الملك العجوز لوردات المملكة إلى (هارنهال) في عام 101 بعد الفتح، وسريعًا ازدحمَت (كينجز لاندنج) حدَّ الانفجار، ليبتهج بذلك أرباب الحانات والعاهرات والتُّجَّار.

جاءَ معظم الحاضرين من (أراضي التَّاج) و(أراضي النَّهر) و(أراضي العواصف)... ومن (الوادي)، حيث تمكَّن اللورد قبضة السِّنديان وبن بلاكوود الدَّموي أخيرًا من إجبار الصَّقر المذهَّب والوريث المجنون والمارد البرونزي وكلَّ أنصارهم على الرُّكوع وقبول چوفري آرن وليًّا عليهم (كان جنثور رويس وكوينتون كوربراي وإزمبارد آرن بين الذين رافقوا اللورد آلِن إلى التَّجمُّع، ومعهم اللورد چوفري آرن نفسه). أرسلَت چوهانا لانستر ابن عمومةٍ رِفقة ثلاثة من حمَلة راياتها للتَّحدُّث نيابةً عن الغرب، وأبحرَ تورين ماندرلي من (الميناء الأبيض) مع أربعين من الفُرسان وأبناء العمومة، وركبَ لايونل هايتور والليدي سام من (البلدة القديمة) مع رتلٍ قوامه ستمئة فرد، أمَّا الحاشية الأكبر فرافقَت اللورد أنوين پيك الذي أحضرَ ألفًا من رجاله وخمسمئةً من المرتزِقة. (قال مشروم مازحًا: «ما الذي يخشاه يا تُرى؟»).

هناك تحت ظلِّ العرش الحديدي الخالي (لأن الملك إجون لم يرغب

بالحضور إلى البلاط) حاولَ اللوردات اختيار أوصياءٍ جُدد لحُكم المملكة حتى يَبلُغ جلالته سنَّ الرُّشد، وبعد الاجتماع لأكثر من أسبوعين لم يكونوا أقرب إلى التَّوافُق ممَّا كانوا حين بدأوا، وفي غياب يد ملكٍ قويَّة تُرشِدهم نفَّس بعض اللوردات عن مظالم قديمة، وبدأت جراح الرَّقصة نصف الملتئمة تنزف ثانيةً. كان للرِّجال الأقوياء الكثير من الأعداء، في حين ازدُرِيَ اللوردات الأدنى لأنهم فُقراء أو ضُعفاء. يائسًا من التَّوصُّل إلى اتِّفاق، اقترحَ المِايستر الأكبر مونكن أخيرًا اختيار الأوصياء الثَّلاثة بالقُرعة، وعندما أضافَ الأمير ڤسيرس صوته إلى مونكن اعتُمِدَ الاقتراح. وقعَت القُرعة على ويلام ستاكسپير ومارك ميريويذر ولورنت جرانديسون، الذين يُمكن القول عنهم حقًّا إنهم كانوا مُسالمين بقدر كونهم مغمورين.

كان اختيار يد الملك مسألةً ذات أهميَّةٍ أكبر، مسألةً أبى اللوردات المجتمعون تركها للأوصياء الجُدد. كان بينهم أولئك -من (المرعى) خاصَّةً- الذين دفعوا بسؤال أنوين پيك أن يتولَّى اليدويَّة مرَّةً أخرى، لكنهم سُرعان ما أُخرِسوا حين أعلنَ الأمير ڤسيرس أن شقيقه يُفضِّل رجلًا أصغر سنًّا، «واحدًا أقل رغبةً في مَلء بلاطه بالخونة». طُرِحَ اسم آلِن ڤيلاريون أيضًا، لكنه عُدَّ صغيرًا جدًّا، وتُجوهِلَ كرميت تَلي وبنچيكوت بلاكوود للسَّبب نفسه، وبدلًا من ذلك التفتَ اللوردات إلى رجل الشَّمال تورين ماندرلي سيِّد (الميناء الأبيض)... رجل غير معروفٍ لكثيرٍ منهم، لكنه بلا أعداءٍ جنوب (العُنق) لهذا السَّبب بالذَّات (ربما باستثناء أنوين پيك، الذي كان رجلًا لا ينسى).

قال اللورد تورين: «نعم، سأفعلُ ذلك، لكنني سأحتاجُ إلى رجلٍ بارعٍ في شؤون العُملة إذا كنتُ سأتعاملُ مع أولئك اللُّصوص اللاسينيِّين

ومصرفهم اللَّعين»، وعندها نهضَ قبضة السِّنديان طارحًا اسم إزمبارد آرن، صقر (الوادي) المذهَّب. لإرضاء اللورد بيك وأنصاره، سُمِّيَ جدموند بيك الفأس العظيمة اللورد الأميرال وقيِّم السُّفن (قيلَ إن قبضة السِّنديان بدَت عليه الدَّهشة أكثر من الغضب، وأعلنَ أن الاختيار موفَّق، لأن «السير جدموند يحبُّ دفع ثمن السُّفن، فيما أحبُّ أنا الإبحار بهن»). أصبحَ السير راينارد روسكين حضرة قائد الحرس الملكي، فيما اختيرَ السير إدريان ثورن لقيادة المعاطِف الذَّهبيَّة. سبقَت لثورن قيادة (بوَّابة الأسد)، وكان الوحيد من قادة لوكاس لايجود السَّبعة الذي لم يتَّهم بالتَّورُّط في المؤامرة.

وهكذا تمَّت الأمور، ولم يتبقَّ إلَّا أن يضع إجون الثَّالث ختمه، وهو ما فعلَه دون اعتراضٍ في صباح اليوم التَّالي قبل أن ينسحِب مرَّةً أخرى إلى معتزل مسكنه الفاره.

شرعَ يده الجديد على الفور في العناية بأعمال المملكة. كانت مهمَّته الأولى شاقَّةً: الجلوس للقضاء في محاكمات المتَّهمين بتسميم جيمون والتَّآمُر على خيانة الملك. اتُّهِمَ ما لم يقلَّ عن اثنين وأربعين، فالذين ذكرَ اللورد جريسفورد أسماءهم ذكروا أسماء آخَرين عند استجوابهم بحدَّة. ستَّة عشر فرُّوا وثمانية ماتوا تاركين ثمانية عشر فردًا ليُحاكَموا، وقد اعترفَ بالفعل ثلاثة عشر من هؤلاء بدرجاتٍ مختلفة من التَّورُّط في الجرائم، لأن محقِّقي الملك كانوا في غاية الإقناع، فيما استمرَّ خمسة في إصرارهم على براءتهم، معلنين أنهم اعتقدوا حقًّا أن الخيانة كانت خيانة اللورد روان، وبالتَّالي انضمُّوا إلى المؤامرة لإنقاذ جلالته من اللايسينيِّين الذين انتووا قتله.

استمرَّت المحاكمات ثلاثةً وثلاثين يومًا، وكان الأمير ڤسيرس حاضرًا

طوال الوقت، غالبًا برفقة زوجته الليدي لارا ببطنها المنتفخ بطفلهما الثَّاني، وابنهما إجون مع مُرضعته. حضرَ الملك إجون ثلاث مرَّاتٍ فقط، في الأيَّام التي نُطِقَ فيها بالحُكم على جاريث لونج وچورچ جريسفورد والسِّپتون برنارد، إذ لم يُبدِ أيَّ اهتمامٍ بالبقيَّة، ولم يسأل عن مصيرهم حتى. أمَّا الملكة دينيرا فلم تحضر على الإطلاق.

حُكِمَ على السير جاريث لونج واللورد چورچ جريسفورد بالموت، لكن كلا الرَّجلين اختارَ ارتداء أسود حرس اللَّيل بدلًا من ذلك، فقضى اللورد ماندرلي بوجوب وضعهما على متن السَّفينة التَّالية المتَّجهة إلى (الميناء الأبيض)، ليُشحَنا من هناك إلى (الجِدار). كان السِّپتون الأعلى قد كتبَ طالبًا التَّسامُح مع السِّپتون برنارد، «لعلَّه يُكفِّر عن خطاياه بالصَّلاة والتَّأمُّل والأعمال الصَّالحة»، وبذلك أعفاه ماندرلي من فأس الجلاد، وبدلًا من ذلك أُخصِيَ برنارد وحُكِمَ عليه بقطع الطَّريق من (كينجز لاندنج) إلى (البلدة القديمة) حافيًا وقد عُلِّقَ ذَكره من رقبته. أعلنَ حضرة اليد: «إذا نجا فلصاحب القداسة الأعلى أن يستعمله كيفما شاءَ». (نجا برنارد بالفعل، وأمضى بقيَّة حياته نسَّاخًا، ينسخ الكُتب المقدَّسة في (السِّپت النَّجمي) تحت نُذر الصَّمت).

أمَّا ذوو المعاطف الذَّهبيَّة الذين اتُّهموا واعتُقِلوا (عددٌ منهم هرب) فقد اختاروا محاكاة السير جاريث واللورد جريسفورد مؤثرين ارتداء الأسود على فقدان رؤوسهم. اختارَ الأصابع النَّاجون الاختيار ذاته... لكن السير ڤيكتور ريزلي، عدالة الملك سابقًا، أصرَّ على حقِّه بصفته فارسًا منصَّبًا في المطالبة بمحاكمة بالنِّزال، «لأثبت براءتي بالرِّهان على جسدي على مرأى من الآلهة والبشر»، ومن ثمَّ أعيد السير جاريث لونج، الذي كان السبَّاق وفي مقدِّمة مَن سمَّوا ريزلي جزءًا من المؤامرة، إلى البلاط

لمواجهته. قال السير جاريث حين أعطوه سيفه الطَّويل: «لطالما كنت أحمق لعينًا يا ڤيكتور». صرعَ قيِّم السّلاح السَّابق جلَّاد الملك السَّابق بمنتهى السُّرعة، ثمَّ التفتَ بابتسامةٍ على وجهه إلى المحكوم عليهم في مؤخِّرة قاعة العرش وسألَهم: «هل من أحدٍ آخَر؟».

كان أشدُّ القضايا إزعاجًا قضيَّة النِّساء الثَّلاث المتَّهمات، اللاتي كُنَّ عاليات المقام جميعًا ووصيفاتٍ للملكة. أقرَّت لوسيندا پنروز -التي تعرَّضت للهجوم في أثناء الصَّيد بالباز قُبيل حفلة عيد (العذراء)- برغبتها في موت دينيرا بقولها: «لو لم يُشوِّهوا أنفي لكانت هي مَن تخدمني، لا أنا التي أخدمها. لا أحد سيُريدني الآن بسببها». اعترفَت كاساندرا باراثيون بأنها غالبًا ما تشاركَت سريرها مع السير مرڤين فلاورز، وأحيانًا مع تيساريو النَّمر بناءً على طلب السير مرڤين، «ولكن فقط عندما سألَني ذلك». عندما اقترحَ ويلام ستاكسپير أنها ربما كانت جزءًا من المكافأة التي وُعِدَ بها الڤولانتيني، انفجرَت الليدي كاساندرا في البُكاء. على أن اعترافها هذا كان باهتًا لا يُذكَر مقارنةً باعتراف الليدي پريسلا هوج، وهي فتاة حزينة وبسيطة إلى حدٍ ما في الرَّابعة عشرة من عُمرها، قصيرة وممتلئة القوام وليست بذات جمال، توهَّمت بطريقةٍ ما أن الأمير ڤسيرس قد يتزوَّجها لو أن لارا اللايسينيَّة ماتَت. أخبرَت الفتاة البلاط: «إنه يبتسم كلَّما رآني، وحين مرَّ بي على السَّلالم ذات مرَّةٍ مسَّت كتفه نهدي».

استجوبَ اللورد ماندرلي والمِايستر الأكبر مونكن والأوصياء النِّساء الثَّلاث بدقَّة، في محاولةٍ ربما (كما يجزم مشروم) لاستخلاص اسم امرأةٍ رابعة لم يُذكَر اسمها بعدُ: الليدي كلاريس أوزجري، خالة اللورد أنوين پيك الأرملة. أشرفَت الليدي كلاريس على جميع رفيقات الملكة

دينيرا وخدمها وحشمها، كما فعلَت مع حاشية الملكة چهيرا من قبل، وكانت على معرفةٍ وثيقة بالعديد من المتآمرين المعترفين (يقول مشروم إنها وچورچ جريسفورد كانا عشيقيْن، ويُشير إلى أن التَّعذيب أثارَ حضرتها لدرجة انضمامها أحيانًا إلى قيِّم الاعترافات في الزَّنازين لمساعدته في عمله). إذا كانت متورِّطةً فعلًا فتورُّط أنوين پيك محتمَل أيضًا. غير أن تحقيقاتهم كلَّها أثبتَت أنها بلا جدوى، وعندما سألَ اللورد تورين بصراحةٍ إن كانت الليدي كلاريس متواطئةً، اكتفَت النِّساء الثَّلاث بهزِّ رؤوسهن نفيًا.

على الرَّغم من مشاركتهن في المؤامرة لا شكَّ، كانت الأدوار التي لعبَتها النِّساء الثَّلاث ثانويَّةً نسبيًّا، ولهذا السَّبب، وبحُكم جنسهن، اختارَ اللورد ماندرلي والأوصياء إظهار الرَّحمة لهن، فحُكِمَ على لوسيندا پنروز وپريسلا هوج بقطع أنفيهما، مع الاتِّفاق على تعطيل العقوبة إذا منحَتا نفسيهما للعقيدة، ما دامَتا وفيَّتيْن لنذورهما.

أمَّا كاساندرا باراثيون فقد جنَّبها نُبل مولدها العقوبة نفسها، إذ كانت رغم كلِّ شيءٍ الابنة البِكر للورد بوروس باراثيون الرَّاحل وأختًا لسيِّد (ستورمز إند) الحالي، وخُطِبَت سابقًا للملك إجون الثَّاني. مع أن والدتها الليدي إلندرا لم تكن بصحَّةٍ تُتيح لها لحضور المحاكمات، فقد أرسلَت ثلاثةً من حمَلة راية ابنها للتَّحدُّث نيابةً عن (ستورمز إند)، ومن خلالهم (وعبر اللورد جرانديسون، الذي وقعَت أراضيه وقلعته في (أراضي العواصف) أيضًا)، رُتِّبَ لزواج الليدي كاساندرا بفارسٍ ضئيل الشَّأن يُسمَّى السير والتر براونهل، حكمَ بضع أراضٍ بـ(رأس الغضب) من قلعةٍ وُصِفَت بأنها مبنيَّة بـ«الطَّمي وجذور الأشجار». أنجبَ السير والتر المترمِّل ثلاثًا ستَّة عشر ولدًا من زوجاته السَّابقات، ولم يزَل ثلاثة عشر

منهم أحياء. كانت فكرة الليدي إلندرا أن رعاية هؤلاء الأطفال وأيِّ أبناءٍ أو بناتٍ إضافيِّين قد تُنجِبهم له ابنتها ستمنع الليدي كاساندرا من الإقدام على أيِّ خياناتٍ مستقبليَّة. (وقد كان).

وبذا خُتِمَ آخِر محاكمات الخيانة، لكن الزَّنازين تحت (القلعة الحمراء) لم تُفرَغ بعدُ، إذ تبقَّى تقرير مصير لوثو وروجيريو شقيقَي الليدي لارا. على الرَّغم من براءتهما من الخيانة العُظمى والقتل والتَّآمُر لم يزالا متَّهميْن بالاحتيال والسَّرقة، فلقد أدَّى انهيار (مصرف روجير) إلى خراب آلافٍ في (وستروس) علاوةً على (لِيس). رغم ارتباطهما بآل تارجاريَن من خلال الزَّواج، لم يكن الأخوان أنفُسهما ملكيْن أو أميريْن، ولورديَّتاهما مجرَّد مجاملةٍ فارغة، وهو ما اتَّفق عليه اللورد ماندرلي والمِايستر الأكبر مونكن، وعليه فسيُحاكَمان ويُعاقَبان.

في هذا تخلَّفت (الممالِك السَّبع) كثيرًا عن مدينة (لِيس) الحُرَّة، حيث أدَّى انهيار (مصرف روجير) بلا هوادةٍ إلى الخراب التَّام للبيت الذي بناه ليساندرو البهيُّ. القصر الذي وهبَه لابنته ليسارا صُودِرَ، ومعه إيوانات أولاده الآخَرين وجميع مفروشاتها. علمَت مجموعة من قوادس دراكو روجير التِّجاريَّة بسقوط العائلة في الوقت المناسب لتحويل مسارها إلى (ڤولانتيس)، ولكن مقابل كلِّ سفينةٍ نجَت، ضاعَت تسع غيرها بحمولاتها بالإضافة إلى مستودعات روجير وأرصفته. حُرِمَت الليدي ليسارا ذهبها وجواهرها وفساتينها، والليدي مارا كُتبها، وشهدَ فريدو روجير استيلاء الماچسترات على (الرَّوضة العطرة) فيما حاولَ بيعها، وبيعَ عبيده وعبيد إخوته، الشَّرعي منهم والنَّغل، وعندما تبيَّن أن ذلك غير كافٍ لتسديد أكثر من عُشر الدُّيون التي خلَّفها انهيار المصرف، بيعَ أفراد عائلة روجير أنفُسهم للعبوديَّة مع أولادهم، وسُرعان ما وجدَت بنات فريدو وليسارو

روجير أنفُسهن عائداتٍ إلى (الرَّوضة العطرة) حيث لعبن في طفولتهن، هذه المرَّة إماء فِراشٍ لا سيِّداتٍ للمكان.

ولم يفلت ليسارو روجير، مهندس هلاك عائلته، بغير أذى، إذ أُلقِيَ القبض عليه رِفقة حُرَّاسه المخصيِّين في بلدة (ڤولون ثيريس) على (الروين) وهُم ينتظرون قاربًا لنقلهم عبر النَّهر. أوفياء حتى النِّهاية، استبسلَ المطهَّرون دفاعًا عنه حتى آخِر رجل... لكن عشرين منهم فقط بقوا معه (كان ليسارو قد أخذَ مئةً عندما هربَ من (لِيس)، وإن أُجبِرَ على بيع معظمهم على الطَّريق)، وسُرعان ما وجدوا أنفسهم مطوَّقين محاصَرين في القتال الفوضوي الدَّامي عند أرصفة الميناء. بمجرَّد القبض عليه أُرسِلَ ليسارو عبر النَّهر إلى (ڤولانتيس)، حيث عرضَه القناصل على أخيه دراكو بسعرٍ محدَّد، لكنه رفضَ واقترحَ على الڤولانتينيِّين بيعه لـ(لِيس) بدلًا من ذلك، وهكذا أعيدَ ليسارو روجير إلى (لِيس) مقيَّدًا إلى مجذافٍ في جوف سفينة عبيدٍ ڤولانتينيَّة.

في أثناء محاكمته، عندما سُئِلَ عما فعلَه بكلِّ الذَّهب الذي سرقَه، ضحكَ ليسارو وبدأ يُشير إلى ماچسترات معيَّنين ضمن الحضور قائلًا: «استخدمته في رشوة هذا، وهذا، وهذا، وهذا»، منتقيًا دستةً منهم قبل أن يُسكِتوه. لم يُنقِذه ذلك على كلِّ حال، إذ صوَّت الرِّجال الذين اشتراهم مع البقيَّة بإدانته (واحتفظوا بالرِّشى أيضًا، ذلك أن ماچسترات (لِيس) يُعلون الجشع فوق الشَّرف، كما هو معلوم).

حُكِمَ على ليسارو بتقييده بالسَّلاسل عاريًا إلى عمودٍ أمام (معبد التِّجارة)، حيث سُمِحَ لكلِّ من سلبَهم أموالهم بجلده، وحُدِّدَ عدد الضَّربات المخصَّصة لكلِّ شخصٍ وفق مقدار الخسائر التي تكبَّدها. وهذا ما حدثَ بالفعل، وقد ذُكِرَ أن أخته ليسارا وأخاه فريدو كانا بين

من جلدوه بالسَّوط، في حين تراهنَ لايسنيُّون آخَرون على ساعة موته. قضى ليسارو روجير نحبه في السَّاعة السَّابعة من اليوم الأوَّل من تنفيذ عقوبة جلده، وبقيَت عظامه مقيَّدةً إلى العمود ثلاث سنوات، حتى أنزلَها شقيقه موريدو ودفنَها في سرداب العائلة.

في هذه الحالة على الأقل أثبتَت العدالة في (لِيس) أنها أقسى كثيرًا من نظيرتها في (الممالِك السَّبع). كثيرون في (وستروس) كانوا ليُرحِّبوا بسرورٍ بمشاهدة الأخويْن لوثو وروجيريو روجير يُكابِدان المصير الشَّنيع نفسه كأخيهما ليسارو، لأن انهيار (مصرف روجير) تسبَّب في إفقار لورداتٍ عُظماء وتُجَّارٍ بُسطاء على حدٍّ سواء... لكن حتى أشد النَّاقمين عليهما لم يستطيعوا تقديم ذرَّة دليلٍ على معرفة أيِّهما باحتيالات أخيهما في (لِيس)، أو انتفاعهما من نهبه بأيِّ شكلٍ من الأشكال.

في النِّهاية حُكِمَ على الصَّيرفي لوثو بأنه مذنب بالسَّرقة، لاستيلائه على ما لم يخصَّه من الذَّهب والجواهر والفضَّة، وفشله في ردِّ نظيرها حين طُولِبَ بذلك. عندما خيَّره اللورد ماندرلي بين ارتداء أسود حرس اللَّيل أو قطع كفِّه اليُمنى كما لو أنه لصٌّ وضيع، قال لوثو: «الشُّكر ليندروس إذًا، إنني أعسر»، مختارًا بهذا التَّشويه. أمَّا أخوه روجيريو فلم يَثبُت شيء ضدَّه على الإطلاق، ومع ذلك حكمَ عليه اللورد ماندرلي بسبع جلدات. سألَه روجيريو مذعورًا: «لأجل ماذا؟»، ليُجيبه اللورد ماندرلي: «لأنك لايسيني ملعون ثلاثًا».

بعد تنفيذ الحُكميْن غادرَ الشَّقيقان العاصمة نهائيًّا. أغلقَ روجيريو ماخوره وباعَ المبنى والسجَّاد والسَّتائر والأسرَّة والمفروشات الأخرى، وحتى الببغاوات والقردة، وأنفقَ الأموال التي جناها ليقتني كوجًا عظيمًا سمَّاه (بنت الحوريَّة)، وهكذا وُلِدَ ماخوره من جديد، ولكن بأشرعةٍ هذه

المرَّة، ولسنواتٍ تلَت مخرَ روجيريو عباب (البحر الضيِّق) جيئةً وذهابًا، يبيع النَّبيذ المتبَّل والأطعمة النادرة وملذَّات الجسد لقاطني الموانئ العظيمة وقُرى الصَّيد الوضيعة على حدٍّ سواء. أمَّا أخاه لوثو، منقوصًا يدًا، فاستأثرَت به الليدي ساماناثا خليلة اللورد لايونل هايتاور وعادَت به إلى (البلدة القديمة). بما أن آل هايتاور لم يأتمنوا اللايسينيِّين ولو على جروت من ذهبهم، فقد ظلُّوا بالتَّالي إحدى أثرى عائلات (وستروس) كلِّها، لا يفوقهم ربما إلَّا آل لانستر أولاد (كاسترلي روك)، وقد رغبَت الليدي سام أن تتعلَّم كيف تستغلُّ هذا الذَّهب استغلالًا أفضل. وهكذا وُلِدَ (مصرف البلدة القديمة)، الذي جعلَ آل هايتاور أغنى وأغنى.

(كان موريدو روجير، أكبر الإخوة الثَّلاثة الذين قدموا مع الليدي لارا إلى (كينجز لاندنج)، في (براڤوس) خلال المحاكمات، يتعامَل مع حمَلة المفاتيح في (المصرف الحديدي). قبل انقضاء العام سيُبحِر إلى (تايروش) مزوَّدًا بثروةٍ من الذَّهب البراڤوسي ليستأجر سُفنًا وسيوفًا للهجوم على (لِيس). على أن تلك حكاية لوقتٍ آخَر، وخارج نطاقنا الحالي).

لم يظهر الملك إجون الثَّالث ليجلس على العرش الحديدي ولو مرَّةً خلال محاكمتَي الأخوين، لكن الأمير ڤيسرس حضرهما يوميًّا للجلوس بجانب زوجته. لا تُخبرنا سجلَّات البلاط ولا حتى مشروم عن رأي الليدي لارا في عدالة حضرة اليد، غير أنها بكَت حين أصدرَ اللورد تورين ماندرلي حُكمه.

بعد وقتٍ قصير شرعَ اللوردات في الرَّحيل، كلٌّ منهم إلى معقله، وعادَت الحياة إلى مجراها المعتاد في (كينجز لاندنج) تحت سُلطة الأوصياء الجُدد ويد الملك... ولو أن الأخير حكمَ أكثر من الأوائل. يُعلِّق مشروم على هذا بالقول: «لقد اختارَت الآلهة أوصياءنا الجُدد،

ويبدو أن الآلهة لا تقلُّ بلاهةً عن اللوردات». لم يكن مخطئًا في ذلك، فاللورد ستاكسپير هويَ الصَّيد بالأبواز، واللورد ميريويذر عشقَ الولائم، واللورد جرانديسون أحبَّ النَّوم، وعدَّ كلٌّ منهم كلا الاثنيْن الآخرَيْن أحمق، لكن في النهاية لم يهمَّ هذا، لأن اللورد تورين ماندرلي أثبتَ أنه يد نزيه ومقتدر، قيلَ عنه بحقٍّ إنه جلف وشره، لكنه عادل. لم يَشعُر الملك إجون بالدِّفء نحوه إطلاقًا، هذه حقيقة، لكن جلالته لم يثق بالغير بطبيعته، وساهمَت أحداث العام الغابر في تعميق شكوكه. ولا يُمكن القول بأن اللورد تورين حملَ تقديرًا عظيمًا للملك، الذي أشارَ إليه بـ«ذلك الولد النَّكد» حين راسلَ ابنته في (الميناء الأبيض)، لكن من ناحيةٍ أخرى أصبحَ اللورد ماندرلي مولعًا بالأمير ڤيسيرس وشغوفًا بالملكة دينيرا.

رغم قِصر فترة وصاية الرَّجل الشَّمالي نسبيًّا فقد كانت بعيدةً عن الهدوء. بمساعدةٍ معتبَرة من الصَّقر المذهَّب إزمبارد آرن، سنَّ ماندرلي تعديلاتٍ جوهريَّةً على الضَّرائب، موفِّرًا المزيد من الدَّخل للتَّاج وشيئًا من الرَّاحة للمتضرِّرين الذين بإمكانهم إثبات معاناتهم خسائر من جرَّاء نهب (مصرف روجير). بالاشتراك مع حضرة القائد، أعادَ ماندرلي عدد الحرس الملكي إلى سبعةٍ مجدَّدًا، بإسباغه المعطف الأبيض على كلٍّ من السير إدموند واريك والسير دينس ويتفيلد والسير آرجمور كوب لملء الأماكن التي شغلَها مارستن ووترز ومرڤين فلاورز وآموري پيك. كما أسقطَ رسميًّا الاتِّفاق الذي وقَّعه آلِن قبضة السِّنديان لضمان تحرير الأمير ڤيسيرس، بناءً على أن ذلك الاتِّفاق لم يُبرَم مع مدينة (لِيس) الحُرَّة، بل مع عائلة روجير التي لم يعُد بالإمكان القول إن لها وجودًا.

مع رحيل السير جاريث لونج إلى (الجِدار) أصبحَت (القلعة الحمراء)

في حاجةٍ إلى قيِّم سلاحٍ جديد، ليُعيِّن اللورد ماندرلي سيَّافًا شابًّا بارعًا اسمه السير لوكاس لوثستون. كان السير لوكاس حفيدًا لفارسٍ متجوِّل، ومدرِّبًا صبورًا سُرعان ما أضحى من مفضَّلي الأمير ڤسيرس، بل ونالَ قدرًا معيَّنًا من الاحترام من الملك إجون. لمنصب قيِّم الاعترافات اختارَ ماندرلي المِايستر رولي، وجهًا شابًّا جديدًا قدمَ حديثًا من (البلدة القديمة)، حيث درسَ تحت إشراف المِايستر الرَّئيس سانديمان، الذي يُقال إنه المعالج الأكثر حكمةً في تاريخ (وستروس). كان المِايستر مونكن هو مَن حثَّ على تعيين رولي، إذ قال لحضرة اليد: «رجلٌ يعرف كيف يُخفِّف الألم سيعرف أيضًا كيف يُسبِّبه، لكن من المهم أيضًا أن يكون لدينا قيِّم اعترافٍ يرى عمله واجبًا لا مُتعةً».

في عشيَّة عيد (الحدَّاد) منحَت الليدي لارا الأمير ڤسيرس ابنه الثَّاني، صبيًّا كبير الحجم مفعمًا بالحيويَّة سمَّاه والده إيمون. أقيمَت مأدبة احتفالًا بمولده، وابتهجَ الجميع بولادة هذا الأمير الجديد... ما عدا إجون ربما، شقيقه الأكبر بسنةٍ ونصف، الذي وجدوه وهو يضرب الرَّضيع ببيضة التنِّين الموضوعة في مهده. لم يقع أيُّ أذى، لأن صُراخ إيمون جلبَ الليدي لارا راكضةً لتأخذ البيضة من ابنها الأكبر وتُؤدِّبه.

بعد وقتٍ قصير غدا اللورد آلِن قبضة السِّنديان ضجرًا، ليبدأ في التَّخطيط لثانية رحلاته السِّت العظيمة. كان آل ڤيلاريون قد ائتمنوا لوثو روجير على الكثير من ذهبهم، وخسروا أكثر من نصف أموالهم بالمحصِّلة، ولاستعادة ثرواتهم حشدَ اللورد آلِن أسطولًا ضخمًا من التُّجَّار مع دستةٍ من قوادسه الحربيَّة لحمايتهم، معتزمًا الإبحار نحو (ڤولانتيس القديمة) عن طريق (پنتوس) و(تايروش) و(لِيس)، ثمَّ زيارة (دورن) في طريق عودته إلى الوطن.

يُقال إنه تشاجرَ مع زوجته قبل الانطلاق في الرِّحلة، لأن الليدي بِايلا

كانت من دم التنّين وسريعة الغضب، وقد سمعَت الكثير من الكلام من السيِّد زوجها عن الأميرة آلياندرا الدورنيَّة، غير أن الاثنين تصالَحا في النِّهاية كما فعَلا دائمًا. أبحرَ الأسطول عند منتصَف العام، يقوده قبضة السِّندِيان من فوق متن قادسه المسمَّى (ماريلدا الجريئة) تيمُّنًا بالسيِّدة والدته، فيما ظلَّت الليدي بِايلا على (دريفتمارك) وجنين اللورد آلِن الثَّاني ينمو في بطنها.

أمسى يوم ميلاد الملك السَّادس عشر قريبًا، ولما كان السَّلام يعمُّ المملكة، والرَّبيع في ريعانه، قرَّر اللورد ماندرلي أن على الملك إجون والملكة دينيرا القيام بجولةٍ ملكيَّة للدَّلالة على بلوغه سنَّ الرُّشد. علَّل يد الملك ذلك بأن من المستحسن للصَّبي أن يرى الأراضي التي يَحكمُها، ليُظهِر نفسه لرعيَّته. كان إجون طويلًا وسيمًا، وبإمكان ملكته الصَّغيرة العذبة أن تُوفِّر كلَّ ما يلزم من الجاذبيَّة التي عازَت الملك. سيُغرَم بها العامَّة لا شكَّ، وهو ما سيصبُّ بالتَّأكيد في صالح الملك الصَّغير الكئيب.

وافقَه الأوصياء، ووُضِعَت المخطَّطات لجولةٍ شاملة تدوم عامًا كاملًا، جولةٍ تذهب بالملك إلى أصقاعٍ من مملكته لم ترَ ملكًا قطُّ. سيركب صاحبا الجلالة من (كينجز لاندنج) إلى (وادي الغسق) و(بركة العذارى)، ومن هناك يستقلَّان سفينةً إلى (بلدة النَّوارس)، وبعد زيارةٍ إلى (العُش) سيعودان إلى (بلدة النَّوارس) للإبحار صوب الشَّمال، مع التَّوقُّف في (الأخوات الثَّلاث).

وعدَ اللورد ماندرلي بمنح (الميناء الأبيض) الملك والملكة ترحيبًا لم يريَا له من قبلُ مثيلًا، ثمَّ بإمكانهما المضي شمالًا نحو (وينترفل)، وقد يزوران (الجِدار) حتى، قبل الدَّوران جنوبًا من جديدٍ عبر (طريق الملوك) إلى (العُنق). ستستضيفهما الليدي سابيثا فراي في (التوأمتيْن)، ويزوران

اللورد بنچيكوت في (شجرة الغِدفان)، وبالطبع ما داما سيزوران آل بلاكوود فعليهما قضاء المدَّة نفسها عند آل براكن، ثمَّ بضع ليالٍ في (ريڤررن)، وبعدها يَعبُران التِّلال نحو الغرب لزيارة الليدي چوهانا في (كاسترلي روك).

من هناك سيقطعان طريق البحر نزولًا نحو (المرعى)... (هايجاردن)، (البُستان الذَّهبي)، (السِّنديانة القديمة)... كان في (البُحيرة الحمراء) تنِّين، ولن يُعجِب ذلك إجون، ولكن من السَّهل تجنُّب البُحيرة... قد تُساعِد زيارة واحدٍ من معاقل اللورد أنوين پيك على طمأنة حضرة اليد الأسبق. لا شكَّ في إمكانيَّة إقناع السِّپتون الأعلى بمنح الملك والملكة مباركته في (البلدة القديمة)، وسيُرحِّب اللورد لايونل والليدي سام بفُرصة أن يُظهِرا للملك أن فخامة مدينتهما تبزُّ (كينجز لاندنج) مرارًا. أخبرَ المايستر الأكبر مونكن جلالته: «ستكون جولةً لم ترَ لها المملكة مثيلًا منذ أكثر من قرن. الرَّبيع وقتٌ للبدايات الجديدة يا مولاي، وستكون هذه إشارة البداية الحقَّة لعهدك. من (التُّخوم الدورنيَّة) حتى (الجِدار) سيعرف الجميع أنك ملكهم وأن دينيرا ملكتهم».

ليُوافِقه تورين ماندرلي، ويُعلِن على مسمعٍ من مشروم: «سيكون خيرًا الصَّبي أن يُغادِر قلعته اللَّعينة هذه. يُمكنه أن يصيد بالكلاب والأبواز، ويتسلَّق جبلًا أو اثنين، ويصطاد السَّلمون من (السكِّين الأبيض)، ويرى (الجِدار)، ويُولَم له كلَّ ليلة. لن يضرَّ الصَّبي أن يكسو عظامه تلك شيءٌ من اللَّحم. فليُجرِّب القليل من المِزر الشَّمالي الجيِّد، الثخين لدرجة أن بإمكانك أن تشقَّه بسيف».

استدعَت ترتيبات الاحتفالات بيوم ميلاد الملك والجولة الملكيَّة التي ستتبعه انتباه اليد والأوصياء الثَّلاثة كلَّه في الأيام التَّالية. خُطَّت لوائح بأسماء اللوردات والفُرسان الرَّاغبين بمرافقة الملك ثمَّ مُزِّقت وأعيدَ خطُّها،

وجُهِّزَت الخيول بالحدوات، وصُقِلَت الدُّروع، وأُصلِحَت العربات والمركبات وأعيدَ طلاؤها، وخيطَت الرَّايات. مئاتٌ من الغِدفان حلَّقت جيئةً وذهابًا عبر (الممالِك السَّبع) إذ توسَّل كلُّ لوردٍ وفارسٍ من مُلَّاك الأراضي في (وستروس) شرف الزِّيارة الملكيَّة. بلُطفٍ نُحِّيَت رغبة الليدي رِاينا بمواكبة الجولة على ظهر تِنِّينتها جانبًا، في حين أعلنَت أختها بِايلا أنها ستُرافِقهم سواء أكان حضورها مرغوبًا فيه أم لم يكن. حتى الملابس التي سيرتديها الزَّوجان الملكيَّان دُرِسَت بعناية، وقُرِّرَ في الأيام التي ترتدي فيه الملكة دينيرا الأخضر أن يتسربل إجون بزيِّه الأسود المعتاد، لكن حين تلبس الملكة أحمر وأسود عائلة تارجاريَن على الملك أن يتَّشح بمعطفٍ أخضر، لكي يُرى كلا اللَّونيْن أينما ذهبا.

كانت بضعة شؤونٍ تحت النِّقاش حين حلَّ يوم ميلاد الملك إجون أخيرًا. مأدبةٌ عظيمة كانت ستُقام في قاعة العرش ليلتها، وقد وعدَت رابطة الخيميائيِّين العريقة بتقديم عروض الپايرومانسي بصورةٍ لم تشهدها البلاد من قبل.

على أن الصَّباح كان لا يزال باكرًا حين دخلَ الملك إجون غُرفة المجلس، حيث تباحثَ اللورد ماندرلي والأوصياء تضمُّن الجولة الملكيَّة (تمبلتون) من عدمه.

أربعة من فُرسان الحرس الملكي رافقوا الملك الشَّاب إلى غُرفة المجلس، وكذلك ساندوك الظِّل ملثَّمًا وصامتًا ومتمنطقًا بسيفه العظيم. أضفى حضوره المنذر بالويل غاشية كآبةٍ على الغُرفة، وحتى تورين ماندرلي فقدَ القُدرة على النُّطق للحظة.

قال الملك في السُّكون المفاجئ: «لورد ماندرلي، أرجوك أخبِرني كم أبلغُ من العُمر إذا تكرَّمت».

أجابه ماندرلي: «أنت في السَّادسة عشرة اليوم يا جلالة الملك، رجل

ناضج، وقد جاء وقتك لتتولَّى زمام حُكم (الممالِك السَّبع) بنفسك».

قال الملك إجون: «وسأفعلُ. إنك جالس على مقعدي».

فاجأت البرودة في نبرته كلَّ رجلٍ في الغُرفة، كما كتبَ المِايستر الأكبر مونكن بعد سنوات. محتارًا ومهزوزًا، رفعَ تورين ماندرلي جُثَّته الضَّخمة من فوق المقعد الموضوع عند رأس طاولة المجلس رامقًا ساندوك الظِّل بوجل، وقال وهو يُمسِك المقعد للملك: «جلالة الملك، كنا نتحدَّث في شأن الجولة...»

أعلنَ الملك إذ جلسَ: «لن تُقام جولة. لن أقضي عامًا كاملًا على ظهر حصان، لأنام على أسرَّة الغُرباء وأتبادل المجاملات الفارغة مع اللوردات السُّكارى، الذين سيسرُّ نصفهم أن يراني ميتًا إن أكسبَهم ذلك جروتًا واحدًا. إذا طلبَ أيُّ رجلٍ الكلام معي فسيجدني جالسًا على العرش الحديدي».

قال ماندرلي بإلحاح: «مولاي، هذه الجولة ستُساهِم كثيرًا في فوزك بمحبَّة الرَّعيَّة».

فردَّ الملك: «أنوي أن أمنح الرَّعيَّة السَّلام والطَّعام والعدل، وإذا لم يكفِ ذلك للفوز بحُبِّهم فلندع مشروم يقوم بجولة. أو ربما علينا أن نُرسِل دُبًّا راقصًا. أخبرَني أحدهم مرَّةً أن العامَّة لا يحبُّون شيئًا بنصف محبَّتهم الدِّببة الرَّاقصة. لك أن تُعلِن إلغاء مأدبة اللَّيلة كذلك. أرسِل اللوردات إلى معاقلهم وأعطِ الطَّعام للجياع. لتكُن البطون الممتلئة والدِّببة الرَّاقصة سياستي». ثمَّ التفتَ إجون إلى الأوصياء الثَّلاثة وقال: «لورد ستاكسپير، لورد جرانديسون، لورد ميريويذر، أشكركم جميعًا على خدمتكم، اعتبروا أنفُسكم أحرارًا في المغادرة. لا حاجة لي إلى الأوصياء من الآن فصاعدًا».

سألَ اللورد ماندرلي: «وهل سيحتاج صاحب الجلالة إلى يد؟».

- «ينبغي أن يكون للملك يد من اختياره هو». قالها إجون الثَّالث وهو ينهض. «لقد أحسنت خدمتي لا شكَّ، كما خدمت والدتي من قبلي، لكن لورداتي هُم الذين اختاروك. بإمكانك العودة إلى (الميناء الأبيض)».

- «بكلِّ سرورٍ يا مولاي». قالها ماندرلي بصوتٍ وصفَه المِايستر الأكبر مونكن لاحقًا بالزَّمجرة. «لم أشرب مِزرًا مقبولًا حتى منذ قدومي إلى هذه القلعة البالوعة»، وعندئذٍ خلعَ سلسلة منصبه ووضعَها على طاولة المجلس.

وبعد أقلِّ من أسبوعيْن استقلَّ اللورد ماندرلي سفينةً إلى (الميناء

الأبيض) مع حاشيةٍ صغيرة من حرسه وخدمه... منهم مشروم، إذ غدا المهرّج مولعًا بالرَّجل الشَّمالي الضَّخم على ما يبدو، وبحماسةٍ قبلَ عرضه مكانًا له في (الميناء الأبيض) بدلًا من البقاء رِفقة ملكٍ بالكاد يبتسم ولا يضحك على الإطلاق. يُخبرنا القزم: «كنتُ مهرِّجا أحمق، ولكن ليس أحمق إلى حدِّ البقاء مع ذلك الأحمق».

سيطول العُمر بالقزم ليعيش بعد الملك الشَّاب الذي تخلَّى عنه. المجلَّدات اللَّاحقة من شهادته، المليئة بالرِّوايات المبهرجة عن حياته في (الميناء الأبيض)، وإقامته ببلاط أمير البحر في (براڤوس)، ورحلته إلى (ميناء إيبن)، وسنواته بين الممثِّلين على متن سفينة (الليدي لثغة)، قيِّمة في حدِّ ذاتها، إلَّا أنها أقلُّ فائدةٍ لغرضنا هنا... لذلك، ومع كامل الأسى، على الرَّجل الصَّغير ذي اللِّسان السَّليط أن ينسحب من إطار قصَّتنا. رغم أن رواياته ليست الأكثر موثوقيَّةً، تحدَّث القزم بحقائق لم يجرؤ أحدٌ غيره على قولها، بجانب كونه ظريفًا في غالب الأحيان.

يُخبرنا مشروم أن الكوج الذي أقلَّ اللورد ماندرلي ورِفقته كان يُسمَّى (الملح البهيج)، لكن المزاج على متن السَّفينة كان أبعد ما يكون عن البهجة إذ يمَّموا وجوههم شمالًا شطر (الميناء الأبيض). لم يحبَّ تورين ماندرلي قَطُّ «ذلك الولد النَّكد»، كما تُوضِّح رسائله لابنته، ولا غفرَ للملك أسلوب صرفه الفج، أو الطَّريقة التي «اغتالَ» بها جلالته الجولة الملكيَّة، التي عدَّ معاليه نهايتها المفاجئة إهانةً بالغةً لشخصه.

خلال لحظاتٍ من تقلُّده حُكم (الممالِك السَّبع) استفزَّ الملك إجون الثَّالث عداوة رجلٍ عُدَّ من أوفى خدمه وأكثرهم تفانيًا.

وهكذا انتهى حُكم الأوصياء نهايةً محبِطةً إذ بدأ الملك المكسور عهده المكسور.

الأنساب وشجرة العائلة

خلافة عائلة تارجارِيَن
مؤرَّخة بالأعوام بعد فتح إجون

1-37	إجون الأوَّل	الفاتِح، التنِّين
37-42	إينس الأوَّل	ابن إجون الأوَّل وريينس
42-48	ميجور الأوَّل	المتوحِّش، ابن إجون الأوَّل وڤيزينيا
48-103	چهيرس الأوَّل	الملك العجوز، المصلح، ابن إينس
103-129	ڤسيرس الأوَّل	حفيد چهيرس
129-131	إجون الثَّاني	أكبر أبناء ڤسيرس {نازعَت إجون الثَّاني على العرش أخته غير الشَّقيقة رينيرا التي كبرته بعشر سنوات، وهلكَ كلاهما في الحرب التي دارَت بينهما، وسمَّاها المغنُّون رقصة التَّنانين}

131-157	إجون الثَّالث	مُهلك التَّنانين، ابن رينيرا {ماتَ آخَر تنانين عائلة تارجاريَن خلال عهد إجون الثَّالث}
157-161	دايرون الأوَّل	التنّين الصَّغير، لملك الصَّبي، أكبر أبناء إجون الثَّالث {غزا دايرون (دورن)، وإن لم يستطِع السَّيطرة عليها، ومات شابًّا}
161-171	بيلور الأوَّل	المحبوب، المبارَك، سِپتون وملك، ثاني أبناء إجون الثَّالث
171-172	ڤسيرس الثَّاني	أخو إجون الثَّالث الأصغر
172-184	إجون الرَّابع	غير الجدير، أكبر أبناء ڤسيرس {كان أخوه الأصغر، الأمير إيمون الفارس التنّين، نصير الملكة نيرس، ويقول البعض عشيقها}
184-209	دايرون الثَّاني	الصَّالح، ابن الملكة نيرس من إجون أو إيمون {ضمَّ دايرون (دورن) إلى البلاد بزواجه بالأميرة الدورنيَّة ميريا}

209-221	إيرس الأوَّل	ثاني أبناء دايرون الثَّاني {لم يَترُك ورثةً}
221-233	مايكار الأوَّل	رابع أبناء دايرون الثَّاني
233-259	إجون الخامس	المستبعَد، رابع أبناء مايكار
259-262	چهيرس الثَّاني	ثاني أبناء إجون المستبعَد
262-283	إيرس الثَّاني	الملك المجنون، ابن چهيرس الثَّاني الوحيد

هنا تنتهي سُلالة ملوك التَّنانين، بخلع إيرس الثَّاني عن العرش وقتله هو ووريثه ووليُّ عهده الأمير ريجار تارجاريَن، الذي فتكَ به روبرت باراثيون في معركة (الثَّالوث).

نسل تارجارين
من فتح إجون إلى ارتقاء إجون الثالث العرش
سلاسل نسب
ذرية
زواج
جلس على العرش الحديدي
ترتيب الميلاد
أنثى
ذكر
إريون تارجارين
ڤالينا ڤيلاريون
ڤيزينيا تارجارين
إجون تارجارين الأول
(الفاتح)
رينيس تارجارين
سيريس هايتاور
أليس هاروواي
تيانا بنت البرج
چاين وسترلينج
إلينور كوستاين
ميجور تارجارين
(المتوحش)
إينس تارجارين الأول
أليسا ڤيلاريون
روجار باراثيون
راينا تارجارين
إجون تارجارين
چهيرس تارجارين
الأول (المصلح)
أليسين تارجارين
ڤسيرس تارجارين
ڤايلا تارجارين
بورمند باراثيون
چوسلين باراثيون
أندرو فارمان
إيريا تارجارين
رايلا تارجارين
رينيس تارجارين
كورلس ڤيلاريون
إيمون تارجارين
دنيرس تارجارين
چايل تارجارين
إجون تارجارين
جيمون تارجارين
أليسا تارجارين
بايلون تارجارين
سايرا تارجارين
مايجل تارجارين
ڤسيرا تارجارين
ڤالريون تارجارين
ڤيجون تارجارين
دايلا تارجارين
رودريك آرن
لاينا ڤيلاريون
ريا رويس
إجون تارجارين
ديمون تارجارين
ڤسيرس تارجارين الأول
أليسنت هايتاور
إما آرن
كوروين كوربراي
راينا تارجارين
بايلا تارجارين
ألن ڤيلاريون
راينيرا تارجارين
بايلون تارجارين
لاينور ڤيلاريون
لاينا ڤيلاريون
هيلينا تارجارين
إجون تارجارين
الثاني
إيموند تارجارين
دايرون تارجارين
ڤيزينيا تارجارين
ڤسيرس تارجارين
لارا روجير
چسيرس ڤيلاريون
لوسيرس ڤيلاريون
چوفري ڤيلاريون
مايلور تارجارين
چهيرس تارجارين
چهيرا تارجارين
إجون تارجارين
الثالث
(المنحوس)
دينيرا ڤيلاريون
إجون تارجارين
إيمون تارجارين

چورچ ر. ر. مارتن

عشر سنوات قضاها چورچ ريتشرد رايموند مارتن في العمل في هوليوود، واشترك خلالها في كتابة وإنتاج عددٍ من المسلسلات التليفزيونية المعروفة في عقد الثَّمانينيَّات، منها Beauty and the Beast و The Twilight Zone، لكن مع مجيء عام 1994 كان مارتن قد ضاقَ ذرعًا برفض القائمين على الاستوديوهات الكبيرة المستمر المشاريع التي يُقدِّمها لهم للإنتاج في التليفزيون أو السينما -بزعم أن الأفكار التي يطرحها شديدة الضَّخامة وستتكلَّف مبالغ كبيرة جدًّا لا قِبل لهم بإنفاقها- وقال إنه اكتفى تمامًا من القيود التي تفرضها التَّكاليف على الإنتاج، ومن ثم قُدرة الشاشة على تقديم ما يرغب فيه حقًّا على المستوى المطلوب، في حين يُمكنه على الصَّفحة المطبوعة أن يحكي كلَّ ما يُريده من قصصٍ بكلِّ التَّفاصيل التي تتفتَّق عنها مخيِّلته النَّشطة. هكذا اتَّخذ مارتن قرار ترك العمل في هوليوود والعودة إلى تأليف الكُتب وتقديم أفكاره كلِّها فيها، حيث لا عقبات إنتاجيَّة أو ماليَّة تعوقه عن بناء العوالم الضَّخمة التي يتخيَّلها، وتقديمها بأدقِّ وأصغر تفاصيلها.

وُلِدَ مارتن في سبتمبر عام 1948 بولاية نيو چرسي لأبٍ من أصول إيطاليَّة عملَ في تفريغ وتحميل البضائع على السُّفن، وأمٍّ من أصول أيرلنديَّة، وفي عائلة لها جذور إنجليزيَّة وألمانيَّة وفرنسيَّة، وهو ما يُفسِّر شغفه الشَّديد بالتَّاريخ الأوربي، خاصَّةً حقبة العصور الوُسطى التي استلهمَ منها الكثير في كتاباته. يقول مارتن إن طفولته كلَّها تلخَّصت في الذَّهاب إلى المدرسة والعودة إلى المنزل، ومشاهدة السُّفن المتوافدة على

ميناء نيوآرك من جميع أنحاء العالم من نافذة غُرفته الصَّغيرة، واضعًا قائمةً بأعلام الدُّول التي يراها ويَحلُم بزيارتها يومًا ما، وهو ما شجَّعه على القراءة بنهمٍ بالغ على سبيل زيارة تلك الدُّول في خياله، قبل أن يتَّجه إلى الكتابة في سنٍّ صغيرة، إذ بدأ يبيع القصص التي يَكتُبها لأطفال الحيِّ مقابل بنس للقصَّة، وأحيانًا قرأ عليهم هذه القصص أيضًا.

ظلَّ مارتن شغوفًا بالقراءة والكتابة، وخلال دراسته الثَّانويَّة أضافَ قصص الكومِكس إلى هواياته، حتى صارَت لديه مجموعة ضخمة منها، وهو ما شجَّعه على كتابتها كذلك، وفي عام 1970 اشترَت مجلة Galaxy منه واحدةً من تلك القصص، لتُصبِح أوَّل عملٍ احترافي يُنشر له على الإطلاق. ثم التحقَ مارتن بجامعة نورثوسترن في ولاية إلينوي ليَحصُل على درجتَي البكالوريوس والليسانس في الصِّحافة، وخلال دراسته الجامعيَّة كان من النُّشطاء المعارضين لحرب ڤيتنام.

عملَ مارتن أستاذًا للصِّحافة بالجامعة لفترةٍ واصلَ فيها نشر قصصه ومقالاته في الصُّحف والمجلَّات المختلفة، وأخيرًا في سنة 1976 نشرَ مجموعته القصصيَّة الأولى «أغنيَّة من أجل ليا»، التي فازَت بجائزة Locus Poll عن أفضل مجموعة قصصيَّة لهذا العام، ثم نشرَ في العام التالي روايته الأولى بعنوان «موت الضِّياء»، التي رُشحت لجائزتَي Hugo وBritish Fantasy Award عن أفضل رواية، وتُرجِمَت إلى عدَّة لُغات.

بحلول عام 1979 كان مارتن قد تفرَّغ للكتابة تمامًا، وواصلَ نشر مجموعاته القصصيَّة ورواياته، ليحصد المزيد من الجوائز الأدبية المرموقة عن أعماله المختلفة، غير أن روايته الرَّابعة التي نشرها في عام 1983 بعنوان «راية أرماجدون» لاقَت فشلًا ذريعًا في المبيعات على الرغم

من إشادة النُّقّاد بها، حتى إنه قال إنه «دمَّر مسيرته الرِّوائيَّة في ذلك الحين». لكن سُرعان ما تعافى مارتن واتَّجه إلى العمل في هوليوود، وفي الآن نفسه واصلَ كتابة القصص والرِّوايات، لتَبلُغ حصيلته منها حتى الآن 18 روايةً ومجموعةً قصصيَّةً، لا تتضمَّن سلسلته الأشهر «أغنيَّة الجليد والنار» والكُتب الأخرى التي تدور أحداثها في عالمها، بخلاف تحريره سلسلة «بطاقات جامحة» التي يَكتُبها مؤلِّفون آخَرون وتضمُّ عشرات الأجزاء.

يقول مارتن إن تركه هوليوود كان من أفضل القرارات التي اتَّخذها في حياته، ويقرُّ بأن هوليوود كانت كفيلة بتدمير سلسلة «أغنيَّة الجليد والنار» تمامًا لو قدَّمها للاستوديوهات الكبيرة لتُحوِّلها إلى سلسلة أفلام سينمائيَّة ضخمة، بدلًا من شبكة HBO التي حوَّلتها إلى مسلسل Game of Thrones، كما حوَّلت هذا الكتاب إلى مسلسل House of the Dragon الذي بدأ عرضه هذا العام.

تُرجِمَت من أعمال مارتن إلى اللُّغة العربيَّة الأجزاء الصَّادرة حتى الآن من «أغنيَّة الجليد والنار»، وقصَّة الأطفال «تنِّين الجليد»، وكتاب من مجموعة «بطاقات جامحة».

دوج ويتلي

فنَّان كومِكس ومصمِّم تصويري ورسَّام عملَ في مشاريع ضخمة مثل Star Wars وAlien، وعلى شخصيَّاتٍ شهيرة مثل سوبرمان وكونان البربري. شاركَ ويتلي في رسم الرِّواية المصوَّرة المقتبسة من فيلم Star Wars: Revenge of the Sith، وفي كتاب «عالم الجليد والنَّار» لجورج مارتن.

Facebook.com/doug.wheatley

Twitter: @wheatley_doug

Instagram: @doug_wheatley

شُكر من فريق التَّرجمة

يتقدَّم مُترجمو الكتاب بالشُّكر لكلٍّ من يوسف علاء، ويوسف زعفوري، وعلي أبو الراغب، وفرج محمد، ومحمد بلال، ونجيب المسلاتي، على مساعداتهم في هذه التَّرجمة بشتَّى الوسائل.

النَّار والدَّم
FIRE & BLOOD

قبل قرون من أحداث «لعبة العروش»، فرَّ آل تارجارين -عائلة سادة التنانين الوحيدة الناجية من هلاك ڤاليريا- إلى جزيرة دراجونستون، ليفرضوا بعد ذلك نفوذهم على قارَّة وستروس بأكملها.

لا يُصنَّف «النَّار والدَّم» روايةً، بل ينتمي إلى فرع من أدب الفانتازيا معروف باسم «التاريخ الزائف»، ويفتتحه چورچ ر. ر. مارتن، على لسان المؤرِّخ المايستر جيلداين، بقصَّة إجون الفاتح الذي سعى لتوحيد الممالك السَّبع وصاغ العرش الحديدي، ويتبعها برواية الأحداث البارزة في عهود الأجيال التالية من عائلة تارجارين، التي جلست على هذا المقعد الأيقوني وتصارعت عليه، حتى الحرب الأهليَّة التي كادت تقضي على العائلة، وتبعاتها الوخيمة.

ماذا حدث خلال رقصة التِّنانين؟ لماذا أصبحت زيارة ڤاليريا بعد الهلاك مخاطرة مميتة؟ من أين أتت بيضات تنانين دنيرس؟ هذه بعض الأسئلة التي يُجيب عنها الكتاب في هذا التأريخ للمئة وثلاثين عامًا الأولى من حُكم آل تارجارين.